مركز
الدراسات السياسية
والاستراتيجية اليمني
Center for Yemeni
Political & Strategic
Studies

قراءة في المشروع القرآني
للشهيد القائد السيد حسين بدرالدين الحوثي

القيادة والمنهج

فاضل محسن الشرقي

الطبعة الثانية
١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م

قراءة في المشروع القرآني

للشهيد القائد السيد
حسين بدر الدين الحوثي
رضوان الله عليه

فاضل محسن الشرقي

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

تنسيق وإخراج: حفظ الله أحمد عقيل

Mobial : 774373456 – 737247737
e-mail : hefdallahageel@gmail.com

مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية اليمني
الجمهورية اليمنية – صنعاء – حي الجراف.
هاتف: ٩٦٧١٣٣٧٣٠+
صندوق بريد: ٤١٩٠
بريد إلكتروني: yecscs@gmail.com
الموقع الإلكتروني: www.yecscs.com

الإهداء

إلى روحك الطاهرة ومقامك الرفيع

إلى قائد قوافل الشهداء وسيدهم

إلى أرواح الشهداء الأطهار

إلى جميع الجرحى الأخيار

إلى جميع الأسرى الأحرار

إلى جميع المجاهدين الأبطال

أهدي هذا الجهد المتواضع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة مركز الدراسات الاستراتيجية والاستشارية اليمني

إن حركة أنصارالله المجاهدة التي ملأت الدنيا وشغلت العالم شرقه وغربه، تحملت منذ انطلاقتها من العسف والجور والتشويه والافتراء من قبل خصومها في الداخل والخارج ما لم تتحمله أو تواجهه أية حركة إسلامية عبر التاريخ.

ولا تزال هذه الحركة المباركة التي أسسها الشهيد القائد حسين بدرالدين الحوثي في العام ٢٠٠٢م بمنطقة مران - مديرية حيدان - محافظة صعدة محطَّ استهدافٍ وحربٍ شعواء تشنها قوى الظلام والجهل نيابة عن قوى الاستعمار الأمريكي والصهيوني التي ترى في هذه الحركة خطراً عليها من منطلقات عدة:

١- أن حركة أنصارالله قدمت مشروعا قرآنيا نهضويا إحيائياً حضارياً يتجاوز ماهو قائم في الواقع اليمني وامتداداته العربية على صعيد النظريات والأفكار السياسية والفكرية التي شاخت وتكلست ولم تقدم للواقع شيئا ذا بال.

٢- حركة أنصارالله استطاعت على الصعيد النظري والفكري أن تتجاوز فخ المذهبية والقطرية لتكون وعما قريب – إن شاء الله - حركة إحياء إسلامية إنسانية عالمية، تقدم من منطلقات قرآنية الحلول والمعالجات لما تعانية الأمة من استلاب وتبعية وانحطاط حضاري جعلها فريسة سهلة للظلمة والمستبدين ولقوى الاستعمار الأمريكية والصهيونية .

٣- إن حركة أنصارالله ومن خلال النموذج الفذ في القيادة والحركة والموقف السياسي والفكري والاجتماعي والثقافي الذي قدمته في مواجهة التحديات التي واجهتها في الواقع اليمني سرعان ما وجدت استجابة لدى مختلف أطياف المجتمع اليمني، فأصبحت الحركة وفي زمن وجيز حقيقة سياسية وثقافية يمنية راسخة.

وقد كان لهذا الحضور الوطني الكبير لأنصارالله دوره الحاسم في التصدي لمشاريع الفتنة

والتقسيم التي تتربص باليمن ووحدته وأرضه وإنسانه منذ العام ٢٠١١م.

وكان للثقافة القرآنية المباركة التي حملها أنصارالله تأثيرها التعبوي والجهادي في مواجهة العدوان السعودي الأمريكي التحالفي الهمجي على اليمن.

المسيرة القرآنية من حيث النشأة والانطلاقة والمنهج والرؤية والأهداف كانت ولا تزال بحاجة إلى جهود بحثية وسياسية وإعلامية توضح حقيقة المسيرة لمن يريد معرفة الحقيقية من الباحثين والمهتمين في الداخل والخارج.

كما أن جهدا كبيرا لا يزال قائما ومطلوبا من المعنيين داخل المسيرة القرآنية وحركة أنصارالله وغيرهم لتفنيد الكم الكبير من المغالطات والأكاذيب التي روج لها خصوم المسيرة القرآنية على مدى السنوات الماضية وحتى اللحظة.

وفي هذا السياق يسر مركز الدراسات الاستراتيجية والاستشارية أن يقدم للقراء والمهتمين والباحثين هذا الجهد الفكري الذي يحاول استقراء بعض ملامح المشروع القرآني وحمل عنوان (قراءة في المشروع القرآني) للأخ الأستاذ فاضل محسن الشرقي، أحد أبناء هذه المسيرة والمشتغلين بالعمل الجهادي فيها منذ الانطلاقة، ما يضفي أهمية على هذا الجهد الكبير، وتكمن أهمية هذا البحث أيضا باعتبار الكاتب أحد طلاب وتلاميذ السيد حسين بدرالدين الحوثي.

وإننا في المركز إذ نشكر المؤلف على ما بذله في سبيل إنجاز هذه القرآءة، لنأمل أن تكون دافعا لآخرين على الإقتراب من ميدان الكتابة والتوثيق للمسيرة القرآنية بكل مراحلها ومنعطفاتها المهمة التي تستحق أن تروى وأن يعرفها أبناء الشعب اليمني العظيم، وتشكل عنوان ملحمة جهادية كبرى نسجت فصولها الآلام والتضحيات العظيمة لأجيال المسيرة وأبطالها ورموزها .

نأمل أن يحقق هذا الكتاب الإستقرائي للمشروع القرآني للشهيد القائد حسين بدر الدين الحوثي رضوان الله عليه الفائدة المرجوه منه، فلقد بذل المؤلف فيه جهدا يستحق التقدير ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُون﴾، والله من وراء القصد.

مركز الدراسات الاستراتيجية والاستشارية اليمني

صنعاء ١٢/ ربيع الأول/ ١٤٣٩هـ/ نوفمبر ٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

ترددتُ كثيراً في الكتابة عن السّيد/ حسين بدر الدين الحوثي (رضوان الله عليه) إلى الدّرجة التي لم أستطع فيها ترتيب الأفكار وتجميعها، رغم وفرتها وغزارتها، وظللت أراوح بين الإحجام، والإقدام متهيّباً من التّقصير في مقامه ومكانته الّتي تتحدث عنها صفحات الواقع ، بأنصع بيان، وأوضح برهان، ولولا إصرار بعض الأخوة ، وتأنيب الضّمير الباعث على ضرورة الوفاء والعرفان لهذا السّيد الجليل، والقائد العظيم الذي ظلّ يغذونا، ويرعانا طيلة حياته، وجهاده، بالعطف، والحنان، والتّربية، والتّعليم، ويربّينا على العزّة والقوّة، ويأخذ بأيدينا إلى سبيل الرّشاد، لما فعلتُ، سيَّما في ظلّ مرحلة التّشويه المموّل، والتّضليل المُمنهج الذي لا زال مستعراً إلى اليوم للنيل منه، ومن مشروعة، وأنصاره.

ومع إقراري واعترافي بأهميّة الحديث عن السّيد وإبراز معالم شخصيّته ومنهجه الخالد، إلاّ أنّ الكتابة عنه تحتاج إلى الوقت الكافي، والدّقة، والموضوعيّة، وقراءة الواقع الذي تحرّك فيه، وما قدّمه خلال مسيرته الجهاديّة من دروس ومحاضرات على صفحات الورق والواقع، كرمز عظيم من رموز هذه الأمّة الإسلاميّة.

السّيد الذي تكالب عليه الأعداء والأوباش الظّالمون من تجّار الحروب، ومصاصيّ الدِّماء، ومن اللّصوص، والنّهابين، وقطاع الطّرق، في أكبر جريمة عصريّة ارتكبها النّظام المجرم العميل، ورموز الظّلم والإجرام في هذا العصر من القادة العسكريّين، والمسئولين الذين تكالبوا، وتداعوا عليه، من كلّ مكان، في ظلّ شراكة، وتواطؤ دولي، وإقليمي، لم يشهد له العالم المعاصر مثيلًا، إلاّ ما حدث سابقاً في كربلاء الحسين بن علي(عليه السلام)، وأهل بيته، وأصحابه علي يد الطّاغية يزيد، وابن زياد.

هذا الشّهيد القائد: الذي فُرض عليه، وعلى أهل بيته، والقليل من أنصاره، حصاراً مطبقاً من كلّ شيء، ومن كلّ الجهات، وواجهوا أبشع أنواع الإجرام، ومختلف آلات القتل، والدّمار الشّامل، إلى الدّرجة الّتي لم يجد فيها شربة ماء، يسدّ بها رمقه، ويروي بها عطشه، وعطش أهل بيته من النّساء، والأطفال، وهم محاصرون في جرف سلمان، أحد شعاب جبال (مرَّان) بمحافظة صعدة.

هـذا الـشّهيد القائـد: (رضـوان الله عليـه) الـذي مُنِحنَـا الحيـاة مـن حياتـه، والقـوّة، والكرامـة، والعزّة، من دمه، والسموّ، والمجد، من صدقه، وصبره، وثباته.

هذا الشّهيد القائد: (مدرسة البذل والعطاء، والإحسان والإيمان) الذي تفجّر على يديه أقدس، وأعظم ثورة، قادها بكلّ اقتدار، وصبر، وتجلّد، وثقة بالله سبحانه وتعالى العزيز الجبّار المنتقم.

القائد الذي يستقي منه الثّوار، والأحرار، والشّرفاء، دروسهم، وخططهم، وبرامجهم، في سبيل مواصلة المشوار، والذّود عن كرامة الأمّة، وعرضها، وأرضها، وشرفها، وسيادتها، واستقلالها. وإيماناً منّي بذلك كلّه، ووفاءً، وعرفاناً، وجميلاً، للشّهيد القائد، قرّرت الكتابة عنه، مستعيناً بالله، متوكلاً عليه في بحث متواضع يحتاج إلى إعادة نظر، واستكمال لاحق، يبحث جوانب مضيئةً، ومهمّة، فكرياً، وثقافيّاً، وتربويّاً، وسياسيّاً، واقتصاديّاً في عدّة محاور وأقسام تدور حول القيادة والمنهج، ليستفيد منه رواد الفكر، والثقافة، والعلم، والأدب، والسياسة في الداخل والخارج من النخب المثقفة الأكاديمية، والعلمية، والسياسية، والإعلامية، والتربوية، والإقتصادية، والعسكرية، والأمنية، والمسؤولين، والقضاة، والباحثين، والخبراء.

فاضل محسن الشرقي

١٥/ رجب/ ١٤٣٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

قراءة ودراسة المشروع القرآني الذي قدمه السيد حسين بدرالدين الحوثي وتسير عليه المسيرة القرآنية اليوم بقيادة السيد عبدالملك بدرالدين الحوثي أصبح حاجة ملحة وواقعاً قائماً وماثلاً بنفسه يحتاج للقراءة والدراسة والبحث من قبل الكتاب والباحثين والمهتمين بموضوع ومراكز الدراسة والبحوث، وهو في الحقيقة مشروع قرآني أي أنه من الله وقد عنونت كل هذه الدروس والمحاضرات بإسم (دروس من هدي القرآن الكريم) وتبرز الأهمية والحاجة من عدة جهات.

أولاً: أن الساحة اليوم مليئة بالمشاريع والكتابات والثقافات والرؤى والنظريات التي غالباً ما تكون وجهة نظر وعبارة عن اجتهادات ورؤى ونظريات وأحكام وقوانين وضعية أو مستمدة من نظريات وفلسفات مادية بحتة.

ثانياً: أن شعوب الأمة العربية والإسلامية تعيش حالة فراغ وتخبط خطير يعبر عن فقدان الذات والهوية، وغياب الرؤية والمشروع، وتتجاذبها الثقافات الضالة، والمفاهيم الخاطئة، وتتداعى عليها الأمم الكبرى بنهم وشراسة مما أفقدها توازنها وتماسكها.

ثالثاً: أنه لم يعد هنالك نموذج إسلامي حضاري منافس بالحد الأدنى يقدم ويشكل النموذج والجاذبية خاصة في هذا العصر عصر الحضارة والتفوق والسباق العلمي والحضاري ... إضافة لعدة أسباب وعوامل أخرى يفرضها هذا الواقع، ونحن في هذه القراءة نحاول تسليط الأضواء على أهم مشروع إسلامي وقرآني حضاري مستقل قوي وجذاب فرض حضوره في الساحة المحلية أولاً والإقليمية والدولية ثانياً؛ وهو يتعرض لضربات شديدة ومستمرة للحيلولة دون نهوضه، بل بهدف طمسه والقضاء عليه، وأوجه الدعوة هنا لكل الكتاب والباحثين داخل المسيرة القرآنية وخارجها إلى العمل الجاد لإبراز معالم وركائز هذا المشروع القرآني الحيوي النهضوي الذي ما من شك أن حياة ومصير الأمة مرتبط به باعتبار أن هدى الله يعتبر مشروعه المقدس والمنقذ والمخلص للناس، وحتى تعم الثقافة القرآنية وتسود على كل الرؤى والنظريات والثقافات.

بداية التعرف على السيّد حسين

كانت البداية الأولى لتعرّفي على السّيد حسين وأنا في الثامنة عشرة من عمري عندما ذهبت للهجرة العلميّة وطلب العلم لديه، وكنت أحمل له رسالة خطية من والدي (حفظه الله) بحكم العلاقة الوطيدة بينهما يوصيه فيها بالاهتمام بي .. التقيت به حينها في أواخر العام ١٩٩٩م صباحاً في أحد محلات المواد الغذائية الصغيرة في سوق الخميس بمنطقة (مرّان) سلمت عليه وعرّفته بنفسي ومنطقتي، وسلمته الرّسالة المظرّفة من والدي ففتحها وقرأها، ثمّ رحّب بي وقال لي سنفتح لك دروساً عند الأساتذة في الكتب الأوليّة للمبتدئين وعدّدها لي، فقلت له قد قرأتها أكثر من مرّة، فقال سنفتح لك دروساً في كتب كذا وكذا وعدّدها في الفقه، واللّغة، والعقيدة فقلت له وهذه قد درستها فابتسم (رضوان الله عليه) وقال إذن تدرس مع الكبار عندنا، وعند الوالد، وعند الأستاذ زيد، والأستاذ عبدالله ففرحت وسررت بذلك كثيراً، وانضممت لزملائي في الدّراسة الأكبر منّي سنّا، وكان يبدأ برنامجنا الدّراسي من الفجر وينتهي في المساء في دروس متفرقة لدى السّيد حسين، وعند السّيدين الجليلين الشّهيدين عبدالله وزيد علي مصلح سند، وعند السّيد بدرالدين الحوثي رحمة الله تغشاهم جميعاً، حيث كانت دروسنا تبدأ من بعد صلاة الفجر لدى الشّهيد السّيد زيد علي مصلح سند (رحمه الله) في كتاب (المجموعة الفاخرة) للإمام الهادي عليه السّلام وكانت لا زالت مخطوطة حتّى السّاعة السابعة صباحاً ثمّ نتناول طعام الإفطار ونتحرّك إلى منزل السّيد حسين الكائن بمنطقة (الخرب) بعزلة (مرّان) وندرس من الثّامنة والنّصف صباحاً حتّى السّاعة العاشرة، كنّا ندرس عنده أنا وزملاء لي من صعدة، وضحيان، وذمار في كتاب (جواهر البلاغة) للهاشمي على سطح منزله، وكان يشبع الدّرس بالأمثلة، ويوصل إلينا المعلومة بكلّ بساطة وسهولة حتّى يتأكد أنّنا قد استوعبنا الدّرس جميعا، وكان متمكّناً جدّاً في البلاغة، ويقدّم بعض الملاحظات والتّصحيحات القيّمة من القرآن الكريم التي كنّا ندوّنها في هوامش وجوانب الكتاب، وغالباً ما كنّا نلتقي به الصباح قبل الذهاب إلى منزله في سوق الخميس (بمرّان) ونتحرّك جميعاً إلى منزله مشياً على الأقدام، ويتحفنا أثناء السير بالحديث المفيد، والقيّم، والشيّق عن مختلف

المواضيع السّياسيّة، والثّقافيّة، والإقتصاديّة، والإجتماعيّة.

وكان يتحفنا بزيارات ليليّة، وجلسات مسائيّة خاصّة يقوم فيها بزيارتنا إلى مدرسة الإمام الهادي التي كانت مقرّاً وسكناً لنا خلال تلك الفترة، وهي عبارة عن جلسات مفتوحة يخصّص لها يوماً أو يومين في الأسبوع للنّقاش والحوار المفتوح معنا ومع الأساتذة، وكان يتحفنا فيها بدرر نفيسة من كنوز العلم والمعارف لساعات طويلة يناقش فيها مختلف القضايا الفكريّة، والعلميّة، والثّقافيّة، والسّيّاسيّة، والإقتصاديّة بأسلوب سلس ورائع وجذّاب.

وما أن تحرّك السّيد حسين في المشروع القرآني وكانت دروسه ومحاضراته تنشر عبر أشرطة الكاسيت أوّلاً قبل طباعة (الملازم) حتّى عملت على اقتنائها ومتابعتها أوّلاً بأوّل، وفي أحد الأيام ذهبت إليه وطلبت منه أن يكلّف السّيد زيد علي مصلح بالذهاب معي في زيارة إلى بعض مديريّات محافظة حجة في بلاد (الشّرفين) و(حجور) بحكم معرفتي بتلك البلاد وأهلها حيث كنت قد عملت فيها مرشداً دينيّاً على مدى سنتين في فترات متقطعة، وكان مجلسه مكتظّاً بالنّاس، وهو المجلس القديم الذي كان يسمّى (بالقَرَشْ) فاستحيت أن أكلمه وكتبت له طلبي في ورقة فاطّلع عليها وأجاب خطيّاً بالسّلام والتّرحاب، ووجّه السّيد زيد بذلك، وحمّلنا سلامه وتحيّاته للنّاس، وزوّدنا بعدد كبير من أشرطة (الكاسيت) التي تحتوي على عدد من الدّروس والمحاضرات، وذهبنا حينها في أواخر العام ٢٠٠٢م مع السّيد زيد على مصلح، والأخ ضيف الله سلمان، وعدد آخر من الشّباب لزيارة مديريّات المفتاح وكحلان الشرف وزرنا منطقة (قارية) ومنطقة (أفصر) والتقينا بالقاضي العلاّمة عبدالله محمد النعمي في بلاد الشّرفين في منزله بمديرية كحلان الشرف، وبعدها تحرّكنا لزيارة مديرية (عاهم) ومديرية (وشحة) في بلاد حجور.

وفي أواخر العام ٢٠٠٣م وبداية العام ٢٠٠٤م كنت أذهب كلّ ثلاثاء، وأربعاء، وخميس، وجمعة وألازم مجلس السّيد حسين الذي كان يكتظّ بالنّاس والزّوار يوميّاً من مختلف المناطق من محافظة صعدة ومن بعض المحافظات، وأستمع بكلّ إصغاء للمحاضرات والدّروس، والحوارات،

والنّقاشات السّاخنة مع بعض الزوار، والعلماء، وطلبة العلم، والتي كانت تستمر من بعد صلاة العصر إلى ما قبل أذان الفجر في أغلب الأيام، وكان (رضوان الله عليه) يخصّص يوما الخميس والجمعة عصراً ومساءً لمحاضرات ودروس عامّة من القرآن الكريم، وكان قد انتقل إلى المجلس الجديد، وهو المجلس الكبير الملاصق لمنزله الذي يتّسع لعدد كبير من النّاس.

لقد كانت تلك اللحظات والأيام من أفضل وأروع أيام حياتي، حيث كنّا نستمتع فيها مع كلّ الحاضرين بهدى الله، وعظمته، وقيمته، وكان السّيد على خلق عظيم يمتلك أسلوباً جذّاباً ومؤثّراً للغاية فما أن يتكلم حتى يهدأ ويسكن المئات من الحاضرين في مجلسه، وتراهم وكأنّ على رؤوسهم الطير، فكان يحاضر، ويناقش، ويحاور بأسلوب قرآني مؤثّر جدّاً تصل كلّ كلمة من كلماته إلى أعماق النفس، وتؤثر كلماته، ومحاضراته، ودروسه تأثيراً بليغاً في أعماق النفوس، وتحرّك كلّ المشاعر والوجدان، وتلامس خصائص النفس البشريّة، وكنّا نتابع معه وفي مجلسه أهمّ الأخبار والبرامج السّياسيّة وخاصة من قناتي (الجزيرة) و(المنار) ونتابع كلّ ثلاثاء، وأربعاء، برنامج (الإتجاه المعاكس) من قناة الجزيرة وبرنامج (ماذا بعد؟) لعمر ناصر من قناة المنار، وكان السّيد يسجّل هذين البرنامجين ثمّ يتحفنا بتعليقات وايضاحات سياسيّة مهمة جدّاً على البرامج السّياسيّة والأخبار بطريقة تحليليّة واقعيّة مرتبطة بالقرآن الكريم ... وللأمانة والحقيقة أنّني لا أستطيع أن أصف متعة، وحلاوة، وطراوة تلك الأيّام والليالي.

شخصيّة السّيد حسين

كانت شخصيّة السّيد حسين شخصيّة قياديّة وتتمتّع (بكاريزيمية) عالية وجذّابة جدّا قل نظيرها على ما أعرف، كما كان يتمتّع بالحكمة والبصيرة، وسعة الصّدر، وعلوّ مكارم الأخلاق، والحيويّة والنّشاط، وكان يمتلك أعلى القدرات في التّبيين والتّوضيح، والطّرح، والتّثقيف، ويتمتّع بأعلى الخبرات السّياسية، والإدارية، والفنيّة، وقد حباه الله بأعظم الصّفات الإيمانيّة، والمميّزات القياديّة التي كانت من أبرز مكوّنات شخصيته، ولعبت دوراً أساسيّاً ومحوريّاً فيها، وقد عُرف السّيد بنفوذه الواسع وتأثيره الكبير على محيطه، ومجتمه، وزوّاره ومع

كلّ من كان يلتقي به ويحضر مجلسه من عامّة النّاس ونخب المجتمع، وعندما تحضر في مجلسه وتستمع لدروسه ومحاضراته القرآنيّة، ومناقشاته وأطروحاته لا تمتلك إلاّ أن تقول ما قاله الجنّ يوماً من الأيام في حضرة جدّه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما قالوا: (إنّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرّشد فآمنّا به ولن نّشرك بربّنا أحدا) وهذا والله ما لمسته وعايشته بنفسي.

وفي تلك الفترة أثيرت حملة دعائيّة وتضليليّة شرسة ضدّ السّيد حسين، وضدّ المشروع القرآني، وكان السّيد العلاّمة بدرالدين بن أميرالدين الحوثي (رحمه الله) والسّيد العلاّمة أحمد بن صلاح الهادي في طليعة العلماء الأجلاء الذين تصدّوا لهذه الهجمة الشّرسة وبيّنوا بطلانها، وكانت ترد الأسئلة على السّيّد بدرالدين الحوثي فيجيب عليها بما يزيل كلّ هذه التّهم والدّعايات المضللّة، وأجاب بأنّ السّيّد حسين من أفاضل وأجلاء علماء الزّيديّة والإسلام، وكان يعتبره من أعلم النّاس في هذا العصر بمكر ودسائس اليهود كما ورد في رسالته الموجّهة عبر ما سمّي بلجنة الوساطة في الحرب الأولى إلى السّيّد حسين، وفي الحقيقة لقد كان السّيد حسين سرّا من أسرار الله ربّ العالمين اختصّ الله به هذه الأمّة وأنعم به عليها.

ولقد حظيت أطروحاته ودروسه ومحاضراته بسرعة الإنتشار والتداول، وكانت حديث السّاعة والنّاس في المجالس والمدارس وفي كلّ مكان، وفي ظلّ وسط ثقافيّ تكدّست فيه الثقافات المغلوطة والعقائد الباطلة، إلاّ أنّ الثقافة القرآنيّة قد استطاعت أن تشقّ طريقها بنجاح، وتأسر القلوب والألباب، وكان المجتمع بكلّه يعيش حالة التفاعل والذّوبان مع هذه الدّروس والمحاضرات، والأحداث والقضايا.

لقد حمل السّيد حسين همّ الأمّة بكلّها، وحمل قضيّة الأمّة وشعوبها على عاتقه، وتحرّك لرفع الظلم عن كاهلها، وتخليصها من هذه الحالة، وهذا ما تنضح به الدّروس والمحاضرات، وكان السّيد يعيش قضايا الأمّة والشّعوب المستضعفة في العراق، وفلسطين، ولبنان، وأفغانستان، ويهتمّ اهتماماً عالياً بقضاياها ومشاكلها، ويتابع الأخبار أوّلاً بأوّل على المستوى السّياسي،

والإعلامي، والثّقافي، والإقتصادي، والأمني، والعسكري، وكنت أرى عنده كمّاً من الصحف والمجلاّت بما فيها الصحف الصادرة باللغة الإنجليزية .

لقد لعب السّيد دوراً تمهيديّا قبل انطلاقة المشروع على المستويات السّياسية، والفكريّة، والثقافيّة، والاجتماعيّة في محيطه ومجتمعه من خلال آراءه، ونظرته الثاقبة، ونشاطه الإجتماعي، والثقافي، والسّياسي، والخدمي، والتنموي، وكان محطّ احترام وتقدير الجميع، وكانت كلّ القلوب تكنّ له خالص المودّة، والإحترام، والتقدير إلى درجة الذوبان.

لقد كان من أبرز ما تميّز به السّيد حسين هو القدرة الفائقة على التّقييم والتّحليل، تقييم وتحليل الأحداث والمستجدات، والتقييم والتحليل الدّقيق والموضوعي للتراث الفكريّ والثقافي، مع تقديم كافة الحلول والمعالجات برؤية قرآنيّة، ومعايير إلهيّة ممّا أعاد الإعتبار للإسلام بمنهجه العظيم وقيادته الربانيّة، وقد احتوت الدّروس والمحاضرات على رؤية تقيميّة وتحليليّة شاملة كما سيمرّ بنا في هذه الدّراسة.

وكانت شخصيّته الفذّة والفريدة مصبوغة بصبغة إلهيّة من الهيبة، والجلال، والكبرياء، والبهاء الإلهي مقترنة بالحلم، والتواضع، وعلوّ مكارم الأخلاق بشكل منقطع النظير، فكان الكلّ يتقاطرون إلى مجلسه، ويتوافدون من كلّ مكان بكلّ لهف وشوق لرؤيته وسماع دروسه ومحاضراته، وكان يحضر في مجلسه الكبار، والصّغار فكان يهتمّ بالجميع، ولقد كنّا في مجلسه ذات يوم وهو مكتظّ بالنّاس إلى الدرجة التي لا ترى أين تضع فيها قدمك، فدخل ولد صغير فأفسح له السّيد ليجلس بجانبه، ودعاه للجلوس بجواره، فاستحى وأحرج ذلك الولد بشكل كبير.

وكان السّيد معروفاً ومشهوراً بكرم الضّيافة، وحسن الإستقبال للضّيوف والزّوار الوافدين فيحسن ضيافتهم قولاً وعملاً، وكان معه بجوار منزله مبناً هو عبارة عن عدد من الغرف والمرافق أشبه ما يكون (بالمطعم الشّعبي) يخصّص لإطعام الضّيوف والزّوار القادمين، ويقوم بخدمتهم وتقديم وجبات الطّعام لهم على مدار ال٢٤ ساعة، حيث كان الزّوّار يتوافدون عليه في كلّ الأوقات في الصّباح، والظّهر، والعصر، والليل بشكل مستمر، وكان يهتمّ بمساعدة

الفقراء، والمساكين، والمحتاجين، ويسعى بنفسه في قضاء حوائجهم.

كما عُرف السّيد بقوّة الشّخصيّة، والقدرة على اتخاذ القرارات الحكيمة في أحلك الظّروف وأصعب المواقف، في الحرب والسّلم دون أن تلحظ أيّ تغيّر أو تأثّر على التّوجيهات والقرارات، فكلّها مصبوغة بالحكمة، والبصيرة النافذة، كما عُرف السّيد بالشّجاعة والإقدام فكان رجلاً شجاعاً ومقداماً لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا تهزّه التّهديدات، ولا تضعفه الضّغوطات، فكانت كلمته، ومواقفه، وصرخته قويّة بقوّة الحقّ والمنهج الذي يحمله، وقد شهد له الواقع بذلك، وشهد له الخصوم والأعداء، فبرغم كلّ ما كان يصل إليه من رسائل التّهديد والوعيد إلاّ أنّه لم يضعف، ولم يتراجع، ولم يتنازل، وكيف لا يكون كذلك وهو من واجه عدوان السّلطة وبغيها في العام ٢٠٠٤م وهو لا يمتلك أيّ مقوّمات ماديّة وعسكريّة، وكان يواجه ويقاتل بنفسه قتال الأبطال، فقد حكى لي أحد الزملاء ممّن كانوا معه في الأيّام الأخيرة وهو محاصر في (جرف سلمان) وقد أنكأت الجراح وأنهكت من تبقى معه أنّه كان بمفرده يشنّ هجمات شديدة على القوّة العسكريّة المحاصرة للجرف حتّى يجليهم عنه، وكيف لا يكون كذلك وهو من أحيا فريضة الجهاد والشّهادة في سبيل الله والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وقدّم نفسه، وبذل روحه ودمه شهيداً في سبيل الله سبحانه وتعالى فكان سيّد وقائد شهداء المسيرة القرآنية المباركة، وهو من ربّى الرّجال المقاتلين المجاهدين الأبطال الذين خاضوا وواجهوا العدوان طيلة الفترات السّابقة ولا زالوا، وما صبرنا اليوم، وثباتنا في مواجهة العدوان السّعودي الأمريكي على بلدنا وشعبنا للعام الثّالث بعتاده العسكريّ الفتّاك والحديث إلاّ ثمرة لتربيته، وصبره، وجهاده، وما هو إلاّ حسنة من حسناته.

عظمة المشروع

تجلّت عظمة المشروع القرآنيّ في عالميّته، وصفاءه، ونقاءه، وتجاوزه لكلّ الأطر والقوالب المناطقيّة، والطائفيّة، والمذهبيّة، والحزبيّة، فهو لا يحمل أيّ نفس من هذه العناوين، بل نفسه وطريقته هي الطريقة القرآنيّة الواسعة والشّاملة، ويعتبر المشروع القرآنيّ واسع الأفق وعالميّ النظرة بسعة ملك الله، وهداه، وتدبيره، وعندما نتحدّث عن هذا المشروع الثقافي فإنّه لا يقتصر على الجانب الثقافي فقط، بل هو مشروع شامل، فهو يعني المشروع الثقافي الشّامل، أي أنّ

رؤيته وخلفيته الثقافيّة هي تعتبر الشي الأساسي فيه، فهو يحمل رؤية ثقافيّة، وتربويّة، وسياسيّة، واعلاميّة، واقتصاديّة، واجتماعيّة، وأمنيّة، وعسكريّة.....الخ بخلفيّة ومنطلقات الرّؤية، والثقافة، والمنهجيّة القرآنيّة، كما سيمر بنا في هذا البحث، ومع هذه الإحاطة والإلمام الشّامل فإنّه مشروع حيويّ ونشط لديه القدرة على المواكبة والبناء في آن واحد.

وتميّز المشروع القرآنيّ بقدرته على مواجهة الهجمة الثقافيّة، والإعلاميّة، والسّياسيّة المضلّلة التي سُخر لها ملايين الدّولارات بهدف تشويهه، ولقد لعب المشروع القرآنيّ دوراً محوريّاً في مواجهة الحرب النّاعمة والتّصدي لها، وخاض معركة المصطلحات وحقّق فيها الإنتصار السّاحق.

وفي الجانب الآخر تميّز بالصّمود والثّبات في مواجهة الهجمة الشّرسة الأمنيّة والعسكريّة رغم حداثته وانعدام امكانياته، وخاض المشروع القرآنيّ معركة الصّراع العسكريّ والأمنيّ المنظّم، والمموّل محليّاً، واقليميّاً، ودوليّاً، ولا زال بكلّ قوّة وجدارة، وحقّق أيضاً الإنتصارات الأسطوريّة، كلّ ذلك لأنّه يتميّز بارتباطه المباشر بالله سبحانه وتعالى، وثقته به، وتوكّله عليه، وتميّز بصناعة الرّجال العظماء الأبطال الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يخشون أحداً إلاّ الله وكفى بالله حسيبا.

ومع هذه القدرة على خوض معترك الصّراع العسكريّ، وتحقيق الإنتصارات ومواكبة كلّ الأحداث والمتغيّرات المحليّة، والإقليميّة، والدّوليّة، كان لديه نفس القوّة والقدرة على خوض معترك الأحداث والتفاعلات السّياسيّة برؤية ثاقبة وبصيرة عالية رغم حداثة التجربة.

وتميّز بالمرونة والقدرة على التّأثير في البيئة والمحيط، وحسن الإدارة والتّنظيم للشأن الداخلي، والتنظيمي، والمجتمعي بشكل نموذجي، كما أنّه يمتلك الرّؤية الصحيحة لبناء الدّولة، وتحقيق العدالة في ظلّ تعقيدات الوضع، وطفرة التسلط والهيمنة.

نقول هذا الكلام ليعرف الجميع أنّ هذا المشروع لم يقدّم لنا غظّاً طريّاً إلاّ بهذه التّضحيات، وبهذه المواقف، فهو مشروع خرج من واقع المعاناة، والألم، والدّم، والعذاب، يتطلّب منّا جميعاً المحافظة عليه، وصونه بدمائنا، وأرواحنا، وقبل ذلك حسن تفهمه واستيعابه، وحسن تقديمه للنّاس بجماله، وروعته، وجاذبيّته.

انطلاقة المشروع

انطلق المشروع القرآني من الصفر وهو لا يمتلك أيّ مقوّمات ماديّة، وإنّما بتمويل ذاتي بحت ومحدود، فكان المصدر الوحيد لتمويل المشروع ونهضته هو الإسهامات والمشاركات المجتمعيّة المحدودة التي كان يبذلها ويقدّمها السابقون من حملة هذا المشروع والمؤمنون به فكانت تؤسّس الجمعيّات الإجتماعيّة، وتجمع المساهمات الشّهريّة واليوميّة من (عشرة ريال ومائة ريال) وأقلّ وأكثر، وتصرف على نسخ وطباعة الأشرطة، والملازم، والشّعارات، ونشرها وتعميمها مجاناً على أوسع نطاق، بحماس، وتفاعل، وتفاني منقطع النّظير، فكانت الملازم، وشعارات الصّرخة والمقاطعة تنشر وتوزع في كلّ مكان وعلى كلّ النّاس، أمّا على صعيد ومستوى الإعداد العسكري فكان كلّ فرد يقوم بتسليح نفسه وشراء السّلاح الشّخصي والذّخيرة بالقدر المستطاع والممكن، إيماناً بضرورة إعداد العدّة المستطاعة من منطلق الإستجابة لتوجيهات الله سبحانه وتعالى، وكان السّيد يحثّ على اعداد العدّة بالقدر المستطاع، ويحثّ على نشر الدّروس والمحاضرات، والشّعار، وتوزيع الأشرطة بالجهود الذاتية، وكانت هذه الدعوات تحظى بسرعة الإستجابة والقبول، وبالرّغم من ضعف وضآلة القدرات والإمكانات الماديّة، إلاّ أنّ هذا المشروع وأنصاره يمتلكون أقوى وأعظم الإمكانات، والمقوّمات، والطاقات المعنويّة والإيمانيّة التي أهلتهم لخوض معترك التّحدّيات بقوّة، وعزيمة، وإرادة منقطعة النّظير، وكان السّيد يحثّ على أهميّة استشعار نعمة وعظمة الهدى، ويدرك أهميّة هذا العمل القرآني، وتفرّده، وتميّزه على مستوى السّاحة بكلّها، ففي الدّرس العاشر من دروس معرفة الله يقول السّيد:

(فالذي ينبغي علينا هو أن نهتم بهذا الجانب، أن ننشر ... فكلنا في هذا [المجلس]، نحن نبحث عن الهدى أليس كذلك؟ ونحن نتعرف على المضلين، ونتعرف على من أضلانا هنا في الدنيا أليس كذلك؟

إذًا من واجبنا وفضيلة عظيمة لنا أن نكون سبّاقين إلى أن نعمل أيضاً في إيصال ما عرفناه من الهدى، إيصال ما فيه إنقاذ الآخرين من الضلال، أن نعمل بجد على إيصاله إليهم، نجمع كم ما

أمكن من الأشخاص الذين يهتمون بالنشر نشر الأشرطة [الفيديو] أو [الكاسيت] تنشر.

وأعتقد باعتبار أنها طائفة واحدة [زيدية] يتقبلون من بعضهم بعض فيكون لكل واحد منا فضيلة أن يهدي الله على يديه ولو شخصًا واحدًا من الناس، هذه فضيلة عظيمة، ويكون الناس هنا في هذه المنطقة هم السبّاقون في مجال توعية الآخرين، وهدايتهم وإنقاذهم من الضلال.

ولأننا نجد فعلًا وليس ادعاء شيء لأنفسنا لا نجد في الساحة عملًا بالشكل المطلوب لإنقاذ الناس من الضلال، هل تسمعون من التلفزيون شيئًا؟ أو تسمعون من الإذاعات شيئًا، أو حركة أخرى؟

هناك حركات أخرى إما حركة علمية منزوية على نفسها داخل مركز، أو مسجد فقط، أو حركة علمية تعمل في جانب وتخرب في جانب آخر، ممن ينطلقون لتحذير الناس من الشباب المؤمن والكلام فيهم وفي العلماء الذين ينتمون إليهم، وهذا نفسه جزء من الإضلال)[1].

لقد تميّزت انطلاقة المشروع القرآني بالتجرّد عن كلّ الأطماع المادّيّة والسّلطويّة، وكانت انطلاقة خالصة لوجه الله لا يشوبها أيّ شائبة، وكان السّيد على قناعة تامّة، وثقة مطلقة بأحقيّة وعدالة وأهميّة المشروع القرآني، ويطمئن النّاس بشكل مستمر إلى أنّ عملهم هو العمل الصحيح الذي تتطلبه المرحلة، وتقتضية المصلحة العامّة للشّعوب والحكّام، مهما كان مستوى الضجيج، وحجم الحملات المضادة، وكان السّيد على معرفة وادراك بأنّ النّاس قد تأهلوا من قبل الله وحضوا بتوفيقه لأن يكون لهم عملاً في سبيل الله، ونصر دينه، وهداية عباده فيقول:
(نحن بحمد الله . ربما . قد تأهلنا إلى أن يكون لنا عمل يكون له أثره في مجال هداية الناس، وإنقاذ الناس، ولن ننطلق في حديثنا إلى التحامل على أحد من الآخرين من أبناء هذه الطائفة لا عالم ولا متعلم ولا مدرسة، ولا شيء.

همنا هو: أن نعمل في إصلاح الناس، ولا نبالي إذا كان هناك من يعارض؛ لأننا كما عودنا أنفسنا على ألا نبالي بمن يعارضنا، فكم قد حصل في الماضي وإلى الآن معارضة طويلة ومستمرة لم نكن

(١) دروس معرفة الله، وعده ووعيده، الدّرس العاشر.

نكترث بها ..هذا شيء طبيعي قد يحصل لأي إنسان ينطلق في عمل أن يلقى من يعارضه سواء وأنت في طريق الحق أو في طريق الباطل ستلقى من يعارضك، تلقى من يشاقكك، تلقى من يتكلم عليك، تلقى من يشوه عملك، من يعمل على الحط من مقدار عملك، بل قد تلقى من يكفرك أو يفسقك، أو ..كم من العبارات تنطلق!

لنصل إلى اهتمام يكون أكثر من اهتمام الكافرين بالنسبة للمضلين، أليس هؤلاء الكافرون حكى الله عنهم بأنهم أصبح لديهم اهتمام بأن يجعلوا المضلين تحت أقدامهم؟

فنحن من يجب أن نسعى إلى أن نجعل المضلين تحت أقدامنا، وإن لم يكن بمعنى الكلمة حقيقة؛ فليكونوا منبوذين هم وضلالهم، وكل ما يأتي من لديهم لا قيمة له عندنا، أي ولو مجازًا تحت أقدامنا أي :لا قيمة له ولا اعتبار له، ولا نتأثر به ولا نلتفت إليه، ولا نتركه أيضا يؤثر في الآخرين، وأن يكون كل شخص منا إذا ما سمع من آخر تنبيها له على أن يبتعد عن فئة ضالة فيقال له: هذه الفئة ستضلك، أو شخص سيضلك أن يهتم بالمسألة.

ولاحظ هنا هم كيف حكى الله عنهم أن اهتمامهم وصل إلى درجة أنهم يريدون أن يعرفوا حتى من أضلهم من الجن وليس من الإنس﴿**رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ**﴾ [فصلت: من الآية ٢٩])[1] .

وكان السّيد يشحذ الهمم، ويقوي العزائم، ويحثّ النّاس على ضرورة التفاني والمثابرة في حمل هدى الله، ونشره بين عباده، وادراك أهميته، وقيمته، ونعمته، ويدعوا إلى ضرورة الإهتمام بالنّاس، وتقديم هدى الله إليهم فيقول :

(وإذا كنت ترى نفسك في نعمة أنك تسير على طريق هداية، أنك تتعرف على المضلين، وتعرف إضلالهم، وترى نفسك بأنك بحمد الله أصبحت في طريق الابتعاد عنهم، فإن من واجبك أن تهتم بالآخرين، وهذه هي روحية الأنبياء، وروحية النبي (محمد صلى الله عليه وآله وسلم) ، الذي كان حريصًا على هداية الآخرين، حريصاً جدًا ومهتمّاً جدّاً.

(١) دروس معرفة الله، وعده ووعيده، الدّرس العاشر.

يجب أن نتأسى به، وأن نقتبس من روحيته هذه الروحية العالية، أن يكون لديك اهتمام بالآخرين، الآخرون هم مثلنا قد يكون الضلال انطلى عليهم؛ لأنهم لم يعرفوا، ولم يأت أحد يعرفهم، ولم يأت أحد يبين لهم)[1] .

مستويات الطّرح والتّثقيف

لم تكن انطلاقة المشروع القرآنيّ انطلاقة عشوائيّة، ولم تكن محاضرات ودروس السّيد مجرّد كلام وتثقيف عام وانفعالي يمثّل ارتداداً طبيعيّاً تجاه الهجمة الشّرسة التي تقودها الإمبرياليّة والصهيونية العالمية ممثلة بأمريكا وإسرائيل على الإسلام والمسلمين فحسب، بل كانت كلّ خطواته خطوات مدروسة ومحكمة، ودقيقة، ومرتّبة، وتحت الملاحظة والرّقابة والتقييم كما سبق، فمثلاً في (محاضرة الشّعار سلاح وموقف) نلاحظ أنّ السّيد تحدّث فيها عن مناسبة مروم عام على الإنطلاقة الأولى لشعار الصّرخة في وجه المستكبرين، وهذا يعني أنّ السّيد كان يراقب ويقيّم مسيرة انطلاقة المشروع بعامل الوقت، والزّمن، والأحداث، ويتجلّى ذلك بكلّ وضوح من خلال سلسلة (الدّروس والمحاضرات) التي قُدّمت وفق جدول زمني مرتب ومدروس يلحظ قضيّة التّدرج والتّسلسل الهادف، فكان السّيد يعي ويدرك ما يقول، ويعرف أين يتجّه وأين يريد أن يصل، ونحن هنا نستعرض مستويات تسلسل الدّروس والمحاضرات التي تحرّك فيها السّيد حسين:

المستوى الأوّل:

ويشمل المجموعة الأولى من الدّروس والمحاضرات وعددها (٤) دروس حول آيات من سورة آل عمران من الآية (١٠٠) إلى الآية (١٠٩) ألقيت بتاريخ من ٨/ ١/ ٢٠٠٢م إلى ١٢/ ١/ ٢٠٠٢م وهي دروس تركّز على أهمية الوحدة والإعتصام بحبل الله في مواجهة اليهود والنّصارى، وتقدّم رؤية عمليّة لتوحّد الأمّة والتكوّن تحت هذا المبدأ العظيم في حمل المسؤوليّة والقيام بها، وبناء الأمّة الواحدة الموحدة القادرة على النّهوض بهذا المشروع.

(١) دروس معرفة الله، وعده ووعيده، الدرس العاشر.

المستوى الثّاني:

ويشمل المجموعة الثّانية من سلسلة الدّروس والمحاضرات، وعددها (4)دروس حول آيات من سورة المائدة من الآية (٥١) إلى الآية (٥٩) ألقيت بتاريخ من ١٣/ ١/ ٢٠٠٢م إلى ١٦/ ١/ ٢٠٠٢م، وهي دروس ومحاضرات ثقافيّة، وفكريّة، وسياسيّة تصبّ في مربّع تصحيح الأفكار، والمفاهيم، والوعي، والولاية، والمعاداة، وحقيقة التّولي الصّحيح والصّادق لله ولرسوله وللإمام علي، وعن صفات ومواصفات أولياء الله، وكيف نكون منهم.

المستوى الثّالث:

ويشمل سلسلة دروس معرفة الله الثّقة بالله الدّرس الأوّل، ودروس معرفة الله نعم الله (4) دروس، هي الثّاني، والثّالث، والرّابع، والخامس، ودروس معرفة الله عظمة الله (3) دروس، هي السّادس، والسّابع، والثّامن، ودروس معرفة الله وعده ووعيده (7) دروس، هي التّاسع، والعاشر، والثّاني عشر، والثّالث عشر، والرّابع عشر، والخامس عشر، ألقيت هذه السّلسلة بتاريخ من ١٨/ ١/ ٢٠٠٢م إلى ٨/ ٢/ ٢٠٠٢م، وهي تركّز على ترسيخ مفاهيم ومعاني معرفة الله والثّقة به، والقضايا الإيمانيّة، والعباديّة، والعقائديّة، وترسّخ عظمته في النّفوس، وتحقّق البناء الإيماني المتكامل من خلال الثّقة بالله، ومعرفته من خلال نعمه، ومعرفة نعمه وقيمتها، وأهميّتها، والإستفادة منها، والتأمّل في ملكوت السماوات والأرض، وما سخر الله فيهما لعباده، وعن عظمة الله، ووعده ووعيده بالشكل الذي يسّهل حمل هذا المشروع، ويرسّخ القناعة والإيمان به، والتّضحيّة لأجله.

المستوى الرّابع:

ويشمل أكثر من (٣٠) درساً من سلسلة الدّروس والمحاضرات، وهي دروس متفرّقة ألقيت في العام ٢٠٠٢م وبداية العام ٢٠٠٣م، وهي سلسلة عظيمة جدّاً تركّز على قضايا ومواضيع وجوانب فكريّة، وثقافيّة، وتربويّة، واجتماعيّة، وسياسيّة، واعلاميّة، وغيرها من القضايا والمواضيع الأخلاقيّة، والعباديّة، والإيمانيّة تعمل على ترسيخ المسؤوليّة، وتتحدّث عن قضايا الصّراع، وتتحدّث عن متطلبات المرحلة، وعن الوعي، والحكمة، والبصيرة، والبناء، والتأهيل، وتناقش قضايا ومواضيع ثقافيّة عامّة، وتلامس قضايا النّاس، وتعايش واقعهم.

وهي دروس مهمّة جدّاً تعمل على ترسيخ الهويّة الإيمانيّة، وتحتوي على دروس تاريخيّة، وتتحدّث عن خطورة الصّراع مع اليهود والنصارى، وتتحدّث عن المواقف الصحيحة في مواجهتهم، وتتحدّث عن خطورة الإعراض عن هدى الله، والإشتراء بآياته ثمناً قليلا.

المستوى الخامس:

ويشتمل على عدد (٧) دروس ألقيت بتاريخ من ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٣م إلى ٣/ ٦/ ٢٠٠٣م، وهي عبارة عن شرح لكتاب (مديح القرآن الكبير والصّغير) للإمام القاسم بن إبراهيم الرّسي المولود والمتوفي بالمدينة المنورة سنة (١٧٢هـ - ٢٤٦هـ)، وهي دروس ترسّخ مسألة الإيمان بالقرآن الكريم، ومعرفة عظمته، وعظمة هداه وبيّناته، وتشدّ النّاس إليه، وتناقش عدداً من مواضيع التراث، والمواضيع الفكريّة، والثّقافيّة، والسّياسيّة، وتناقش قضايا ومواضيع عامّة أخرى.

المستوى السّادس:

ويشتمل على عدد (٢٥) درساً من دروس رمضان، ألقيت بتاريخ من ٣/ رمضان / ١٤٢٣هـ إلى ٢٩/ رمضان/ ١٤٢٣هـ، وهي عبارة عن دروس ومحاضرات رمضانيّة ألقيت ضمن برنامج قرآني رمضاني مسائي كان يقيمه السّيد في مجلسه ويحضره عدد كبير من النّاس، وهي دروس مهمّة جدّاً تشكّل أسسَ وقواعدَ عامّة تركّز على المنهجيّة، والوسائل، والأساليب، والطّرق، والأسس والقواعد القرآنيّة، ومعرفة السنن الإلهيّة، وتتحدّث عن أهمّ الدّروس والعبر المستفادة من قصص الأنبياء والمرّسلين في القرآن الكريم، وعن الرّسل والرّسالات الإلهية، وعن بني إسرائيل ، وتناقش العدد الكبير من القضايا والمواضيع الفكريّة، والثقافيّة، والتربويّة، والسّياسيّة، والإجتماعيّة، والإقتصاديّة، والإيمانيّة، والعباديّة، والأخلاقيّة، والحضاريّة، والعلميّة، والمعرفيّة، والأحكام، والمعاملات ، وقضايا الصّراع، والجهاد والقتال في سبيل الله، وغير ذلك من القضايا والمواضيع الشّاملة، وهي من أهمّ الدروس والمحاضرات، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هنالك العدد الكبير من الدّروس والمحاضرات التي فُقدت ونُهبت أثناء عدوان السّلطة وغزوها لمنطقة (مرّان) في العام ٢٠٠٤م، ونهبها لكلّ مقتنيات السّيد حسين، ونحن هنا في هذا الجدول التّوضيحي نستعرض التّسلسل الزّمنيّ لهذه الدّروس والمحاضرات.

جدول توضيحي لتسلسل الدّروس والمحاضرات

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس من هدي القرآن الكريم

ألقاها السّيد/ حسين بدر الدين الحوثي

المجموعة الأولى: دروس من سورة آل عمران			
الدرس الأول ٢٠٠٢/١/٨م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/٩م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١١م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٢م
المجموعة الثانية: دروس من سورة المائدة			
الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٣م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٤م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١٥م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٦م

المجموعة الثالثة: دروس معرفة الله			
الثقة بالله - الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٨م	نعم الله الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٩م	نعم الله الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/٢٠م	نعم الله الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/٢١م
نعم الله الدرس الخامس ٢٠٠٢/١/٢٢م	عظمة الله الدرس السادس ٢٠٠٢/١/٢٣م	عظمة الله الدرس السابع ٢٠٠٢/١/٢٥م	عظمة الله الدرس الثامن ٢٠٠٢/١/٢٦م
وعده ووعيده الدرس التاسع ٢٠٠٢/١/٢٨م	وعده ووعيده الدرس العاشر ٢٠٠٢/١/٢٩م	وعده ووعيده الدرس الحادي عشر ٢٠٠٢/١/٣٠م	وعده ووعيده الدرس الثاني عشر ٢٠٠٢/٢/٤م
وعده ووعيده الدرس الثالث عشر ٢٠٠٢/٢/٥م	وعده ووعيده الدرس الرابع عشر ٢٠٠٢/٢/٦م	وعده ووعيده الدرس الخامس عشر ٢٠٠٢/٢/٨م	

المجموعة الرابعة: دروس متفرقـــــــة			
الصرخة في وجه المستكبرين ٢٠٠٢/١/١٧م	﴿اشتروا بآيات الله ثمناً قليلا﴾ ٢٠٠٢/١/٢٤م	الهوية الإيمانية ٢٠٠٢/١/٣١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) ٢٠٠٢/٢/١م
في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) ٢٠٠٢/٢/٢م	خطر دخول أمريكا اليمن ٢٠٠٢/٢/٣م	لتحذون حذو بني إسرائيل ٢٠٠٢/٢/٧م	معنى الصلاة على محمد وآل محمد ٢٠٠٢/٢/٨م
معنى التسبيـــح ٢٠٠٢/٢/٩م	﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى﴾ ٢٠٠٢/٢/١٠م	﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن﴾ ٢٠٠٢/٢/١١م	الإرهاب والسلام ٢٠٠٢/٣/٨م
مسؤولية طلاب العلوم الدينية ٢٠٠٢/٣/٩م	خطورة المرحلة ٢٠٠٢/٣/١٦م	دروس من وحي عاشوراء ٢٠٠٢/٣/٢٣م	﴿محياي ومماتي لله﴾ ٢٠٠٢/٧/٢٦م
الثقافة القرآنية ٢٠٠٢/٨/٤م	آيات من سورة الكهف الجمعة ٢٠٠٣/٨/٢٩م	﴿وأنفقوا في سبيل الله﴾ ٢٠٠٢/٩/٢م	الإسلام وثقافة الإتباع ٢٠٠٢/٩/٢م
لا عذر للجميع أمام الله ٢٠٠٢/١٢/٢١م	مسؤولية أهل البيت ٢٠٠٢/١٢/٢١م	أمر الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ	يوم القدس العالمي ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ
دروس من غزوة أحد ذوالحجة ١٤٢٢هـ	آيات من سورة الواقعة ١٠رمضان١٤٢٣هـ	الشعار سلاح وموقف ١١ رمضان ١٤٢٣هـ	ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام ١٩ رمضان ١٤٢٣هـ
حديث الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ	﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ ١٤٢٣هـ	من نحن ومن هم شوال ١٤٢٢هـ .	

المجموعة الخامسة: دروس مديح القرآن			
مديح القرآن - الدرس الأول ٢٠٠٣/٥/٢٨م	مديح القرآن - الدرس الثاني ٢٠٠٣/٥/٢٩م	مديح القرآن - الدرس الثالث ٢٠٠٣/٥/٣٠م	مديح القرآن - الدرس الرابع ٢٠٠٣/٥/٣١م
مديح القرآن - الدرس الخامس ٢٠٠٣/٦/١م	مديح القرآن – الدرس السادس ٢٠٠٣/٦/٢م	مديح القرآن - الدرس السابع ٢٠٠٣/٦/٣م	

المجموعة السادسة: دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٣هـ				
سورة البقرة: الآيات (٢١ - ٣٩) ٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٤٠-٦٦) ٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٦٧- ١٠٣) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٠٤ - ١١٤) ٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١١٥ -١٤٥) ٧ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة البقرة: الآيات (١٤٦- ١٨٦) ٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٨٧- ٢١٤) ٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٢١٥- ٢٥٢) ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٢٥٣ - ٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤هـ	الآيات: (٢٧٥من سورة البقرة-٣٢من آل عمران) ١٢ رمضان١٤٢٤هـ
سورة آل عمران: الآيات (٣٣- ٩١) ١٣رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٩٢- ١٦٠) ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (١٦١- آخرالسورة) ١٦رمضان١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١ - ٤٢) ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (٤٣- ١١٦) ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة النساء: الآيات (١٣٥- آخرالسورة) ٢٠ رمضان١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (١- ٢٦) ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٢٧- ٥٧) ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٥٥- آخرالسورة) ٢٣ رمضان١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١ - ٣٩) ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأنعام: الآيات (٣٩-١٠٢) ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١٠٣- آخرالسورة) ٢٦رمضان١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١-١٣٧) ٢٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٣٨-١٦٢) ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف:الآيات (١٦٣- آخرالسورة) ٢٩رمضان١٤٢٤هـ

هدف ومنهج البحث

الهدف الأساسي لهذه الدارسة يتمثل في زيادة الفهم للمشروع القرآني، وأسسه، ومبادئه، ومناهجه، وابراز شموليته، وفي استحداث طرق ووسائل جديدة في عرضه وتقديمه بما يساعد على تأمله وإستيعابه، ويسهم في معالجة الكثير من الظواهر المختلفة.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي «تحليل المحتوى» والذي يعرَّف بأنه طريقة منظمة يتم من خلالها قراءة وتصنيف وتحليل شكل ومحتوى المواد المكتوبة والمسموعة.

وهذا المنهج هو الملائم مع هذه الدراسة نظرا لكون المادة - موضوع الدراسة - جاهزة وموجودة في سلسلة من الدروس والمحاضرات المكتوبة والمسموعة.

وقد عملت أولا على تجميع نصوص هذه الدراسة من خلال القراءة المتواصلة والمستمرة والدورية لمجمل الدروس والمحاضرات بعد أن كنت قد حددت ورسمت الفصول التي أريد أن أبحث فيها، ثم قمت بتدوين النصوص المتطابقة مع الأهداف الأولية في كشف الملاحظات

والإستعانة ببرامج البحث «الإلكتروني» وتجميع المواد والبحوث السابقة التي كنت قد كتبتها لبعض الصحف والمجلات مع إدخال بعض التحسينات والتعديلات عليها، ومن ثم القيام بعملية التبويب ووضع العناوين الملائمة المعتمدة على النصوص نفسها والمقتبسة منها، وبعد الإنتهاء من التبويب والتعليق المختصر والعرض الموجز والمهذب للنصوص بطريقة لا تخل بالنص نفسه ولا بفهمه واستيعابه، قمت بعملية الصف والتنسيق والإخراج وطباعة عددا من النسخ التجريبية.

بعدها قمت بإرسال نسخة للسيد القائد/ عبدالملك بدرالدين الحوثي «يحفظه الله» الذي بدوره قام بالإطلاع الكامل على الدراسة ووجه بطباعتها وإخراجها.

وقد احتوت هذه الدراسة على اثني عشر فصلا تناولنا فيها جوانب ومواضيع فكرية، وثقافية، وتربوية، وجهادية، وسياسية، واقتصادية، وقضايا أخرى ذات صلة وعلاقة، ويجب الإشارة إلى أن دروس ومحاضرات الشهيد القائد تتوزع كما يلي:

- دروس ومحاضرات متفرقة توعوية، وتثقيفية، وتعبوية عامة يعبر عنها بالدروس المتفرقة أو محاضرات المدرسة[1]، كما سبق وأن وضحناه في مستويات الطرح والتثقيف والجدول التوضيحي، وهي تهدف لإستنهاض الأمة وترسيخ روح المسؤولية لديها.
- دروس شهر رمضان المبارك وهي تُعبّر أكثر شيئاً عن الأسس والقواعد المنهجية في القرآن الكريم والوسائل والأساليب العملية والحركية.
- تجدر الإشارة إلى أن هناك العدد الكبير من الدروس والمحاضرات المفقودة أو بالأصح المنهوبة[2].

وعند قراءة فكر وثقافة السيد حسين يجب علميا ومهنيا الإلمام بالجميع فلا يكفي في البحث والدراسة النقدية والموضوعية الإطلاع على البعض دون الآخر، وأي باحث في فكر ورؤية السيد

(١) محاضرات المدرسة يقصد بها المحاضرات التي ألقيت في مدرسة الإمام الهادي بمران محافظة صعدة.

(٢) الدروس والمحاضرات المنهوبة هي التي نهبت من قبل الجيش اليمني في الحرب الأولى على منطقة مران منتصف العام ٢٠٠٤م.

حسين يجب أن يفهم ويتفهم الخلفية التي انطلق منها وعبر عنها وهي (القرآن الكريم) لأنه صاحب رؤية وثقافة قرآنية، وأي دراسة يجب أن تكون شاملة وموضوعية بدون تُحيَّز أو تجزئة منفصلة وانتقائية للنصوص بعيدا عن سياق الفكرة والرؤية التي وردت ضمنها أو تعبر عنها.

الإنطلاقة الغير موضوعية للقرائة النقدية والبحث والدراسة في فكر الشهيد القائد واسقاطها على خلفية الباحث العقائدية أو السياسية - قومية أو مذهبية - ستؤدي إلى فرضيات غير واقعية واسقاطات غير منطقية أو ضبابية بالحد الأدنى. لهذا يجب أن تقرأ قراءة ودراسة شاملة وموضوعية كما سبق حتى يتمكن الباحث من استخلاص نتائج قابلة للتعميم، ومتطابقة مع الواقع، ومعبرة عن رؤية وأهداف الشهيد القائد، وحتى لا يتم تحميل النصوص ما لا تحتمله من التأويلات والتعسفات، أو تقويله ما لم يقله، أو استنتاج مفاهيم منحرفة عن الأهداف الأساسية للشهيد القائد والمشروع القرآني.

وقد رأينا أن نبدأ هذا البحث بعد هذه المقدمة بنبذة مختصرة، ولمحة تاريخية كترجمة مبسطة للشهيد القائد السيد حسين بدرالدين الحوثي -رضوان الله عليه- بقلم الأستاذ الفاضل المجاهد/ يحي قاسم أبو عواضة.

للعلم بأنه قد تم عرض هذه القراءة المتواضعة على السيد القائد/ عبدالملك بدرالدين الحوثي -حفظه الله- وبعد اطلاعه، ونيل ثقته، ومباركته لهذا الجهد وجّه بطباعته ونشره لتعم به الفائدة إن شاء الله سبحانه وتعالى.

والله ولي الهداية والتوفيق ،،،

فاضل محسن الشرقي

١٢/ ربيع الأول/ ١٤٣٩هـ

لمحة عن شخصية الشهيد القائد
السيد حسين بدر الدين الحوثي

بقلم/ الأستاذ يحي قاسم أبو عواضة

ماذا يعني الحديث عن السيد حسين؟

الحديث عن السيد حسين هو حديث عن الإنسان الذي جسد كل معاني الإنسانية في حياته، هو حديث عن الرجل الذي تجلت فيه أسمى آيات الرجولة، حديث عن الشجاعة التي أذهلت الجميع، حديث عن الإباء والعزة الإيمانية، حديث عن القيم العظيمة والمبادئ السامية، حديث عن السمو في أمثلته العليا، هو حديث عن القرآن الكريم ببصائره وبيناته وهداه، تتجلى لك عظمتها من خلال هذا الرجل، هو حديث عن العظماء الذين قل أن يجود بهم الزمان.

ولذلك فليس من السهل التحدث عن هكذا شخصيات لأنك تجد ما تكتبه من عبارات تعد قاصرة عن حقيقة ما تعرفه عنهم وما لهم من مكانة في نفسك وستجد نفسك خجولا أمامهم وتشعر بالتقصير مهما بالغت في اختيار العبارات وترتيب الجمل.

السيد حسين محط إعجاب كل من عرفه

السيد حسين - رضوان الله عليه - كان شخصية قوية وجذابة جدًّا ومؤثرة يحيطه هالة كبيرة من العظمة تجعله محط إعجاب كل من يراه، فبعضهم أعجب به لكرمه وسخائه، وآخرون كان محط إعجابهم شجاعته الكبيرة، والبعض الآخر ملك قلوبهم تواضعه وكرم أخلاقه، وفريق آخر اندهش لعلمه ومعرفته فوجد نفسه أمام بحر من العلم لا يدرك قعره، أما بعضهم فمدح فيه حكمته وبعد نظره، وآخرون أحبوه لحبه للناس واهتمامه بهم، والكثير الكثير دخل قلوبهم لمواقف الإحسان التي تميز واشتهر بها.. لكنهم كلهم متفقون على محبته والإعجاب به وإجلاله وتقديره، وعلى أنه الوحيد الذي حاز كل هذه المزايا والصفات..

وهكذا كان السيد/ حسين بدر الدين الحوثي - رضوان الله عليه - كما أراد الله له أن يكون.

ولن أكون مبالغًا عندما أقول بأن السيد حسين - رضوان الله عليه - كان يمتلك نظرة واعية وحكيمة في كل شيء فكل مفردات الحياة كنت أجد للسيد حسين نظرة ثاقبة فيها ومن يقرأ دروس السيد حسين وكيف تناول كل مجالات الحياة وتحدث عن كل واحد من هذه المجالات وكأنه متخصص فيه وصاحب تجربة طويلة.

من هو والده؟

عندما نعود إلى معرفة والده سنعرف بأن هذه الشخصية لم تأت من فراغ.

والده: هو السيد المجاهد فقيه القرآن العالم الرباني/ بدر الدين بن أمير الدين بن الحسين بن محمد الحوثي - رضوان الله عليه - وعلى آبائه الكرام.

فأبوه هو الذي عرف بين الجميع بعلمه وتقواه وخشيته من الله واستشعاره للمسؤولية، وجرأته في قول الحق، وبأنه لا يخشى في الله لومة لائم، ينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران:١٤٦] وتعرف من خلاله معنى قول الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾[فاطر:٢٨].

كما عرف بين الخاصة والعامة بالورع والتقوى والمسارعة في الأعمال الصالحة وكان كثير الاهتمام بإرشاد الناس وإصلاحهم وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم وحل جميع مشاكلهم، وكان يولي الفقراء والمحتاجين اهتمامًا خاصًّا. وكان بيته عامرًا بطلاب العلم وأصحاب الحاجات وحل المشاكل وقضاء الحوائج، وكان يستخدم منبر الجمعة والمناسبات الدينية لتربية الناس وتوعيتهم وتوجيههم.

أما اهتمامه بأسرته وتربيتهم على البر والتقوى وعلى الشعور بالمسؤولية والاهتمام بأمر الأمة فإنه بحق يذكرك بآبائه العظام من أهل بيت الرسالة يذكرك بعلي والحسن والحسين وزين العابدين صلوات الله عليهم.

وفي ظل هذه الأسرة الكريمة وفي كنف هذا الرجل العظيم ولد السيد/ حسين بدر الدين الحوثي - رضوان الله عليه -.

مكان وتاريخ ميلاده

ولد في تاريخ شهر شعبان ١٣٧٩هـ (فبراير ١٩٦٠م) بمنطقة الرويس بني بحر التابعة لمديرية ساقين بمحافظة صعدة.. تلك المنطقة المعروفة بجمال مدرجاتها الخضراء المكسوة بأشجار البن ووديانها التي تغطيها أشجار الموز والمتميزة بعذوبة نسيمها وتنوع تضاريسها وطيبة أهلها.

وكما فتح السيد حسين - رضوان الله عليه - عينيه على الدنيا على نور الإيمان والتقوى فإنه نشأ وترعرع في رحاب القرآن الكريم وعلوم أهل بيت النبوة - صلوات الله عليهم - فنهل من هذا المعين الصافي النقي وتعلم من أبيه العلم والعمل معًا والشعور بالمسؤولية العظيمة تجاه أمته ودينه، وكلما شب وكبر كبر معه هذا الشعور حتى أصبح رجلًا متميزًا منحه الله من العلم والوعي والحكمة والبصيرة والكرم والأخلاق العالية والتعقل والصبر وسعة الصدر والشجاعة وغيرها من صفات الكمال ما يبهر كل من عرفه وجالسه.

ولم يخف السيد حسين الدور العظيم لوالده إلى درجة أنه كان يقول: بأن كل ما لديه هو من بركات والده الذي رباه تربية قرآنية.

شخصيته المتميزة

لقد كان السيد حسين- رضوان الله عليه - جديرًا ومؤهلًا بأن يؤتيه الله ما آتاه من العلم والحكمة والبصيرة والوعي والقدرة على القيادة كثمرة لما كان يحمله في عمق روحه الطاهرة من مؤهلات العظمة والقيادة فإحسانه وشجاعته ومروءته وكرمه ورحمته بالناس وثقته القوية بالله واستشعاره للمسؤولية وإخلاصه ووفاؤه كلها مؤهلات وكمالات ومميزات برزت واضحة في حياته وممارساته وهذه سنة إلهية ثابتة أن الله يختار من عباده أعلامًا للهدى يمنحهم العلم والحكمة والبصيرة ويترافق مع ذلك التأهيل مسؤولية عظيمة تنتهي في الأخير في مصلحة البشرية وتأهيلها لتكون بمستوى النهوض بمسؤوليتها الملقاة على عاتقها.

الإسهامات المبكرة للشهيد القائد

مسيرته الجهادية

المسيرة الجهادية للسيد حسين بدأت مبكرًا أولًا مع والده السيد العلامة المجاهد بدر الدين الحوثي الذي تصدى للمد الوهابي المدعوم من الدول الخليجية وبعض الدول الغربية وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا هذا المد الذي هو مقدمة الاستعمار لليمن وللعالم الإسلامي فقد كان السيد حسين يدرك أهمية هذا العمل وخطورة هذا المد الوهابي في مسخ هوية الناس الدينية واستبدالها بأفكار باطلة ومنحرفة تخدم العدو وتهيئ الساحة له؛ فتحرك مع والده يسانده بطباعة ونشر ردوده والتحرك في توعية الناس على أساسها وعمل بكل جد واهتمام يساعد والده في هذا العمل العظيم والمهم لمواجهة التضليل الذي يمارسه الوهابيون مستغلين الأوضاع التي تعيشها اليمن ومستخدمين مؤسسات الدولة التي سلمت لهم؛ لفرض الفكر الوهابي على أهل اليمن عن طريق الترغيب والترهيب وشراء الضمائر، فكشف السيد حسين ووالده زيف وباطل الوهابيين وما يمثله من خطورة بالغة على الأمة بالكلمة الصادقة والفكر النير، وتعرضوا بسبب ذلك للإقصاء والمحاربة والتصفية من قبل السلطة وأزلامها الذين وقفوا مع الفكر الوهابي نتيجة الضغوطات التي مورست عليهم من قبل النظام السعودي المدعوم أمريكيًّا وعشقًا للسلطة والمال الذي حصلوا عليه مقابل هكذا مواقف وصنعوا لهم ولأتباعهم وبالذات في جبل مران العديد من المشاكل محاولة منهم لثنيهم عن السير قدمًا في نصرة الحق ودفع الباطل.

وكما عمل السيد حسين ووالده على كشف ضلال الوهابيين ودجلهم وكذبهم فقد عملا أيضًا على استنهاض همم العلماء والمثقفين في أبناء هذا البلد من أجل التحرك العلمي والثقافي لتحصين المجتمع بالفكر الصحيح المستمد من القرآن الكريم وقرنائه بدءًا بالرسول محمد - صلوات الله عليه وعلى آله - ومرورًا بالأعلام من أهل بيت النبوة؛ حتى يكون مجتمعا لا يقبل بضلال الوهابيين، ويفهم خطورة هذا الفكر على مستقبله في الدنيا والآخرة، فتحرك هنا

وهناك وساهم في بناء المدارس العلمية وشارك في إقامة الدورات والحلقات العلمية التي تحصن المجتمع أمام الحرب الثقافية التي تستهدف أبناءه وتمثل خطرًا كبيرًا على هويتهم الدينية وعقائدهم الأصيلة.

كان أحد أبرز مؤسسي حركة (الشباب المؤمن) والتي عملت على تحصين الشباب بالعلم والوعي والقيم والأخلاق حماية لهم من كل أشكال الغزو إلا أنها استهدفت وحوربت من قبل السلطة العميلة الظالمة بتدمير مدارسها ومراكزها.

انطلاقة المشروع العملي القرآني

وفي يوم الخميس ١٧ يناير ٢٠٠٢م هو بلا شك يوم حاسم في تاريخ الأمة، يوم يمثل منعطفًا تاريخيًّا مهمًّا في العصر الحديث فهو اليوم الذي حطم فيه السيد حسين بدر الدين الحوثي - رضوان الله عليه - جدار الصمت والخنوع والذلة، هو اليوم الذي هز السيد حسين فيه عرش الطاغوت بصرخته المدوية في وجه الإمبراطورية التي أصبحت تتصور نفسها إلهًا يعبد من دون الله وأنها قد وصلت مستوى لا أحد من البشر يجرؤ أن يقف في وجهها أو يعصي لها أمرًا، إلا أن السيد حسين أطلق صرخة الحق والعزة في وجهها وفي وجه ربيبتها المدللة إسرائيل معلنا بأنه لا يزال هناك نفوس أبية تأبى الذل والخنوع والاستسلام والخضوع لغير الله.

في هذه الفترة الزمنية الحرجة والخطيرة انطلقت من فم السيد حسين هذه الصرخة المدوية صرخة الكرامة والحرية والإباء صرخة: (الله أكبر، الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النصر للإسلام) ليعلن بذلك ولادة فجر جديد لا مكان فيه للذل والهوان والخوف والاستكانة والخنوع.

إنه يوم رسم فيه السيد حسين - رضوان الله عليه - للأمة مسار العزة والحرية والمواقف المشرفة التي ستعيد للأمة مجدها وسيادتها وتخلصها من تحت أقدام أعدائها، وترفعها من المستنقع الذي قد انغمست فيه، يوم فتح فيه السيد حسين باب العلم والمعرفة والوعي من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، من البحر الذي لا يدرك قعره، يوم رفع فيه

السيد حسين راية الجهاد في سبيل الله عالية خفاقة ضد الاستكبار العالمي ومفسدي هذا العالم من اليهود والنصارى حتى يتحقق وعد الله بالتمكين لأوليائه الصالحين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[القصص:٦٥] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥].

إنه جهاد في سبيل الله حقيقي وشامل مبني على وعي كامل بهذا العدو من خلال ما قدمه القرآن الكريم من رؤى حكيمة وناجحة في الصراع مع هذا العدو؛ ولذلك سيظل تاريخ هذا اليوم محفورًا في ذاكرة الأمة وفي وجدانها وفي حياتها وفي ذاكرة الأجيال الآتية ما اختلف الليل والنهار.

قوى النفاق والعمالة تقف في مواجهة هذا المشروع

بدأت جبهة النفاق والعمالة حربها على هذا المشروع بدءًا بالاعتقالات، بدءًا بفصل الموظفين وقطع مرتبات البعض منهم وأشكال متعددة من الاستهداف والضغوط في مواجهة هذا المشروع؛ لكنهم فشلوا في القضاء عليه وفشلوا في إسكاته، فتوجهوا للعدوان والاستهداف، الاستهداف لهذا المشروع باستهداف حملته وفي مقدمتهم السيد القائد الشهيد رضوان الله عليه.

وهكذا استهدف ذلك الرجل الذي نادى بصوت الحق، ودعا الأمة إلى الحق، وكان غيورًا على أمته يريد لها الخلاص، استهداف بكل وحشية ليل نهار لم تكن تسكت آلتهم العسكرية، الدبابات، الطائرات، كل أنواع العتاد العسكري، في نهاية المطاف حتى الغازات بكل أنواعها التي توفرت لهم، حتى محاولة حرق الناس بالنار كما فعل ذو نواس الحميري اليهودي يوم أحرق المؤمنين في نجران.

تخلقوا بأخلاق أولئك الذين يتولونهم، رأينا فيهم وحشية أمريكا وإسرائيل، رأينا فيهم في ممارساتهم، في سلوكهم، في طغيانهم وهم يقتلون حتى الأطفال، وهم يقتلون الأسرى، وهم يحاولون حرق الناس بالبنزين في داخل الجروف طغيان أمريكا وإسرائيل وأخلاق اليهود.

بل دفعت بهم أمريكا وإسرائيل إلى أن يقدموا أنفسهم وبالوحشية تلك. وبذلك الأسلوب والطريقة والسلوك الإجرامي استمروا في حربهم وطغيانهم حتى سيطروا على مران ووصلوا إلى ذلك الرجل العظيم في اليوم الذي وصلوا إليه فيه، يوم السادس والعشرين من شهر رجب لعام ١٤٢٥هـ الموافق العاشر من سبتمبر ٢٠٠٤م.

وصلوا إليه مثخنًا بجراحه، وصلوا إليه مزملًا بدمائه، وصلوا إليه منهكًا بكل ما فيه من جراح، جراح القلب على وضعية هذه الأمة، وجراح الجسد العليل، وصلوا إليه مستهدفين له بقتله، يريدون بذلك إسكات صوت الحق، يريدون بذلك الذل للأمة والهوان للأمة، يريدون بذلك أن يجعلوا منه قربانًا إلى من؟ أرادوا أن يجعلوا من قرين القرآن قربانًا إلى أمريكا وإسرائيل.

ولم تضع تضحياته رضوان الله عليه، ولم تستطع القوى الظلامية أن تطفئ هذا النور الرباني الذي سطع نوره من جبل مران بل كان دمه الطاهر الزكي وقوداً لهذه المسيرة القرآنية فشقت طريقها رغم الأمواج العاتية لم يسطع الطواغيت القضاء عليها بل هي من قضت على طغيانهم وجبروتهم. وها هي اليوم تخوض أكبر معركة على مستوى الدنيا بكلها وتسقط هيبة الطغيان والاستكبار العالمي بكل أنواعه وأشكاله وأدواته .

فسلام الله عليه وجزاه عن هذه الأمة خير الجزاء ووفقنا للسير على خطاه واقتفاء أثره .

تنبيه مهم

النّصوص التي من محاضرات ودروس السّيد حسين بدر الدين الحوثي ألقيت خلال الفترة من العام ٢٠٠٢م إلى العام ٢٠٠٤م وقد تركناها كما هي دون إجراء أيّ تعديلات فنيّة أو لغويّة؛ للعلم بأنّه قد ورد تنويه بهذا الخصوص في كلّ الدروس والمحاضرات؛ وإليكم نصه:

(هذه الدروس نقلت من تسجيل لها في أشرطة كاسيت وقد أُلقيَت ممزوجة بمفردات وأساليب من اللّهجة المحليّة العاميّة، وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النّحو.

المحـــــور الأول

القيادة والمنهج

القيادة والمنهج

الترابط قوي، وأصيل، ومتلازم ما بين القيادة، والمنهج، والمنهج، والقيادة، فلا يمكن أن تكون هناك قيادة بدون منهج، ولا منهج بدون قيادة، حتّى في التشريع الإلهي، ويرى الشهيد القائد (رضوان الله عليه): أنّ القيادة مشروع متكامل، فعند قول الله تعالى: ﴿**فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ**﴾[البقرة:٢١٣]، يقول السيد حول هذه الآية : **(أليس الله قدم (المنهج والعلم) القيادة مشروع متكامل، مشروع متكامل)** سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

ويوضح السيد (رضوان الله عليه):أنّ القيادة، والمنهج ليست قضية خاضعة للكيفيّة والمزاج، ولا تأتي عبر مجموعة من الشروط المعتبرة، سواءً وفق اعتبارات الأنظمة الحديثة، أو وفق نظريات الفقه السياسي، والأصولي، فهناك فرق ما بين محاولة سدّ الفراغ السياسي، في هيكلة النظام، والسلطة السياسية والتنفيذية، وما بين التأهيل الإلهي المتكامل "قيادة ومنهجاً"، وفق سنن الله في عباده، فتكون الأمّة ملزمة بإتباع المنهج الصحيح الذي يبنيها، ويحافظ عليها، ويطوّر من واقع حياتها العام، وطاعة تلك القيادة الحامل الأساسي لذلك المشروع فيقول: **(الله يضع المنهج، ويختار هو المنهج، يختار هو القيادة التي ماذا؟ تتحرك على أساس ذلك المنهج، وتهدي بذلك المنهج، ويلزم الكل بأن يسيروا على هذا المنهج، ويتبعوا تلك القيادة)**[1].

ونحن هنا قبل أن ندخل إلى صلب الموضوع، ومحاوره الرئيسية، والفرعية حاولنا تقديم رؤية مختصرة، وسريعة عن رؤية السيد القرآنية، حول المنهج الصحيح لبناء الأمة، والقيادة التي بمقدورها التّمكّن من تطبيق هذا المنهج، وهذا وللأسف الشديد هو ما غاب عن واقع أمّتنا اليوم، فأصبح لديها مناهج بديلة عن المنهج الإلهي الصحيح، وقيادات مصطنعة أخفقت بشكل مفضوح، حتى صارت الأمّة هي الضحية، كلُّ ذلك بسبب الابتعاد عن المنهج والقيادة، المنهج الرّاقي الذي لن تعمر الحياة، ويصلح النّاس إلاّ به، والقيادة الرحيمة بالأمة، التي هي امتدادٌ لولاية الله، ورسوله على عبادة.

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

القيادة

قدّم الشّهيد القائد (رضوان الله عليه) في الدّروس والمحاضرات الرؤية القرآنية للقيادة، القيادة التي يختارها الله ويصطفيها لعباده، وتكون امتدادا لولاية الله على عباده، وولاية رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله).

القيادة في القرآن الكريم

موضوع القيادة موضوع مهمّ جدّا، ويدور حوله حديث كثير، وشروط متعددة، وهنا يبين السيد من خلال القرآن الكريم أنّ الله سبحانه وتعالى هو من يتولى موضوع القيادة في سبيله، القيادة التي تقود النّاس على أساس كتاب الله، ووفق ما هداهم الله إليه، فتمثل طوق نجاة لهم في الدنيا والآخرة، ويؤكّد السّيد أنّ القرآن الكريم قد هدى إلى موضوع القيادة بشكلٍ واضحٍ ومفصّل فيقول: (**القرآن الكريم هدى حتى إلى القيادة التي يجب أن تكون هي القيادة للأمة كيف يجب أن تكون، ومن أين تكون، فعندما تتوفر للأمة هذه المقومات وإن كان شعباً واحداً، أو جنوب شعب، كما هو في جنوب لبنان، سيولونهم الأدبار، وسينهزمون من أمام وجوههم**)[1].

وفي موضوع الصّراع يبين السيد أنّ موضوع القيادة موضوع مهم جدا، وأنّ الله سبحانه وتعالى هو من يتولى موضوع القيادة بشكل مباشر لأنّها قضية مهمّة وحساسة تحتاج إلى رعاية وهداية من الله سبحانه وتعالى، وأنّ الله هو من يرسم طريق القيادة ويتولاّه حتّى يستطيع النّاس أن يكونوا من حزبه ويحظوا بنصره وتأييده فيقول: (**ولهذا تجد أنه كيف في الآيات في [سورة آل عمران] في مقام الحديث عن أهل الكتاب كيف وجهنا إلى نقطة مهمة هي: أن نكون متوحدين داخل من يجب أن يكونوا حزب الله ثم هنا يتحدث عن القيادة، القيادة هي تبدأ من عند ولي العباد هو الله سبحانه وتعالى، قلنا في جلسة سابقة بأنه يبدو لمن يتأمل هذه الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل، وعمّا يراد للأمة في مواجهتها، وعن خطورة هذه القضية يبدو وكأن الله سبحانه وتعالى**

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع.

هو من يقود هو من يتصدر لقيادة المهمة فعلاً، ماذا يعني؟. وكأن القضية تولى رسم معالمها، تولى تبيينها بشكل يعني هو تولى قياده - كما يقولون - [غرفة العمليات] تولى هو القيادة لخطورة القضية. فكيف لا يوجه؟

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾[المائدة:٥٥] **تهتدون بهديه، تسيرون على تعليماته ووفق خططه في هذه المواجهة، أنتم يا من تريدون أن تكونوا حزبه لتغلبوا، وليكم الله ورسوله والذين آمنوا علي بن أبي طالب، فتولي علي بن أبي طالب هو تولي قدوة، تولي ولي أمر، تولي هادي للأمة من بعد نبيها "صلوات الله عليه وعلى آله")**[1].

وفي الدرس العاشر من دروس رمضان يبيّن السيد أنّ موضوع القيادة قضية مهمّة ورئيسية في الصراع والقتال في سبيل الله يقول السيد: (**لكن موضوع القيادة تبدوا تكون قضية هامة، قضية رئيسية في موضوع القتال في سبيل الله، أنها قضية هامة**) سورة البقرة الدرس العاشر.

القيادة من أهمّ مقوّمات النّهوض

تعتبر القيادة من أهمّ مقومات النّهوض للأمّة في كلّ مجالات حياتها، وعندما تفقد الأمّة القيادة الحكيمة والمؤهلة من قبل الله سبحانه وتعالى لن تستطيع أن تعمل شيئا مهما كان لديها من مقوّمات نهوض أخرى، بل يرتبط بالقيادة موضوع إقامة الدين نفسه وحول هذا الموضوع يقول السيد: (**هذه المقومات الأساسية الهامة للأمة التي عبرت عنها هاتان الآيتان: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾**[البقرة: من الآية١٢٤] **﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾**[البقرة: من الآية١٢٥] **عندما لم تعد القضية على هذا النحو في الأمة ما الذي حصل؟ ضاعت الأمة فلم يعد البيت، ولم يعد الحج بالشكل الذي يعطي الإيجابية، ولم يعد لدى الأمة قيادة واحدة على هذا النحو: القيادة التي هي ماذا؟ امتداد لقيادة إبراهيم، وقيادة محمد (صلوات الله عليهما) لديك الآن [٥٧ قائداً] ماذا عمل هؤلاء أمام مجموعة من اليهود؟ لا شيء، و[٥٧ قائداً] تحتهم كم؟ مليار وثلاثمائة مليون مسلم، وتحتهم ثروات هائلة جداً، وتحت أقدامهم منطقة إستراتيجية هامة جداً، وتراهم لا شيء، لا يجرؤون بكلمة واحدة إلا القليل منهم، وعندما يتكلم القليل منهم يكون الآخرون بالشكل الذي ربما مستحيل عندهم أن يستجيبوا**

(١) سورة المائدة الدرس الثالث.

لكلمته، وأن تنطلق إلى مواقف عملية جادة، لا يوجد.

إذاً فقدت الأمة شيئين هامين جداً تعتبر من أهم المقومات لبناء الأمة، وأن تكون أمة لها فاعليتها، أمة مؤثرة في حركتها، أمة لا يمكن أن تصل إلى الوضعية التي وصلت فيها الآن)[1].

وحول موضوع القيادة في قصة طالوت وجالوت برز كيف كان بنو اسرائيل فاهمين ومستوعبين للموضوع، أنّه لا بد أن تكون القيادة مختارة من قبل الله سبحانه وتعالى يقول السيد حول قوله تعالى: (﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً﴾[البقرة: من الآية٢٤٧]. **أنتم قلتم: نريد ملكاً، أي قائداً يقودنا، لاحظ في موضوع القيادة هم يركزون جداً في موضوع القيادة، لازم قيادة تكون مختارة بطريقة إلهية، وليس تحت أي قيادة. هم يعرفون سبيل الله، هو طريق من القيادة، والمنهج والطريقة التي ترسم فيها، أو يسير الناس عليها، وهم يتحركون في سبيله، والهدف هو هو من أجله، من أجل الله، وفي سبيله)**[2].

ويضيف السيد: **(نلاحظ أن طالوت وجنوده، كان القضية لديهم، بنو إسرائيل بشكل عام، وهذه من الأشياء العجيبة أن مما يدل على أنها كانت قضية أساسية، وهامة جداً، موضوع في سبيل الله، قضية مترسخة لديهم على الرغم من سوء حالهم، وعلى الرغم من مخالفاتهم الكبيرة، بقيت قضية متجذرة في ذهنيتهم، في ثقافتهم، أنه يجب أن تكون الانطلاقة في سبيل الله، ويجب أن تكون القيادة مختارة من الله، وأن تكون القيادة منسجمة مع سبيله)**[3].

سبيل الله ليس مجرد عنوان

سبيل الله ليس مجرد عنوان يرفع، بل هو طريق وسبيل مرتبط بالقيادة والمنهج، القيادة التي يختارها الله سبحانه وتعالى، والمنهج الذي يرسمه هو، والقيادة والمنهج يعتبران صمّام أمان حتى لا نقع ضحية لكل من يرفع عنوان سبيل الله، حتى ولو كان الإنسان مخلصاً وصادقاً في نيته فلا بد أن يكون فاهماً لموضوع القيادة والمنهج من خلال القرآن الكريم، وفي هذا يقول السيد:

(١) سورة البقرة الدرس السابع من دروس رمضان.
(٢) سورة البقرة الدرس العاشر من دروس رمضان.
(٣) دروس رمضان الدرس العاشر.

(فعندما تكون أنت فاهم من البداية أن مسألة سبيل الله ليس معناه فقط مجرد النية أنك تقاتل تقرباً إلى الله، أن هناك طريقة، هناك طريقة مرسومة تبدأ من القيادة، والمنهج الذي يسير عليه الناس، قضية ليست سهلة، إذا أنت فاهم الطريقة هذه تستطيع تميز من يقول لك: في سبيل الله، من خلال الطريقة التي يسير عليها، تمام أنت عندك عنوان: في سبيل الله، وذاك عنده عنوان: في سبيل الله، لكن ستبقى الطرق، والمنهجيات التي يسيرون عليها تبين من هو الذي في سبيل الله حقاً)[1].

القيادة مشروع متكامل

القيادة مشروع متكامل رسم الله وحدد معالمها في القرآن الكريم، وهي سنّة من سنن الله في الهداية لعبادة، أن يكون هناك قيادة يختارها، ويصطفيها الله سبحانه وتعالى، ومنهج يرسمه وينزله لعباد يسيرون عليه، ويرتبط بموضوع القيادة والمنهج كلّ أعمال الناس وخطواتهم بما في ذلك موضوع الوحدة، والتوحد، والاعتصام لا يمكن أن يكون مشروعاً ناجحاً إلاّ في ظلّ القيادة والمنهج يقول السيد حول قوله سبحانه وتعالى: (﴿**فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ**﴾[البقرة: من الآية٢١٣] **إذاً أليس هنا قدم [المنهج والعلم] القيادة مشروع متكامل، مشروع متكامل؛ لأن من مقومات الوحدة بشكل صحيح هو ماذا؟ [منهج وقيادة] هل يمكن نتصور أمة يقال توحدت ولا يكون توحدها على أساس [منهج وقيادة]، معروف حتى قَبَلياً يكتبون [قاعدة] يعني ماذا؟ منهج، أليست هكذا؟ ويختارون شخصاً كبيراً لهم معناه ماذا؟ قيادة، الله يضع المنهج يختار هو المنهج ويختار هو القيادة التي ماذا؟ تتحرك على أساس ذلك المنهج وتهدي بذلك المنهج ويلزم الكل بأن يسيروا على هذا المنهج ويتبعوا تلك القيادة، هنا تتم المسألة تبدأ بدائرة وقابلة للتوسع وهو أفضل مشروع وحدوي فعلاً، أفضل مشروع وأرقى مشروع وحدوي، وقلنا في كلام سابق بأن الطريقة هذه هي أضمن لوحدة المسلمين على اختلاف طوائفهم؛ لأنه إذا كان المسلمون الآن مجمل ما لديهم يتعصبون لمسائل، فالطريقة هذه التي قدمت على يد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أنزل عليه القرآن واختِير هو نبي، وعندما تحرك والتفّت حوله**

(١) سورة البقرة الدرس العاشر من دروس رمضان.

دائرة، أصبح في الأخير ماذا؟ العربي من القبيلة الفلانية ومن القبيلة الأخرىٰ ومن أي منطقة تركوا آلهة يعبدونها، أليست مسألة آلهة يعبدونها؟ أرقىٰ من مسائل فقهية في تعصبك لها وفي إنشدادك لها، تركوا آلهة واجتمعوا هناك، إذاً فهذه القاعدة هي القاعدة المهمة، وهي الطريقة المهمة وطريقة ما تحتاج إلىٰ مؤتمرات، فالتوجيه ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾[آل عمران: من الآية ١٠٣] هو قائم واجب عليكم، وطريقة الإعتصام بحبله هو الذي يختص بها، هذا حبله القرآن الكريم ومن يختاره أن يكون علماً مع كتابه، هنا في الأخير تتحقق وحدة بين الناس وكل واحد لا يرىٰ أنه تنازل لطرف آخر كل واحد يرىٰ أنه تخلىٰ والآخر تخلىٰ ونفوس طيبة ويتفاعلون بإيجابية مع ماهم مؤمنين به بنسبة ١٠٠%، لكن عندما يقدم تلفيقات يكون إيماناً ٥٠% أو أقل)[1].

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر من دروس رمضان.

المنهج

قدّم الشهيد القائد (رضوان الله عليه) رؤية قرآنية لمعرفة المنهج الصحيح الذي يعطي المعرفة بالله سبحانه وتعالى، وبكتابه، وبرسوله، وباليوم الآخر، وبهذه الحياة الدنيا، وبالإنسان، وبالأمور كلّها موضحاً **بأنّ الله قد رسم المنهج الذي يمثل رعايته لعباده في الجوانب التنظيمية، والتشريعية، وكل الجوانب الأخرى.**

وقد تضمّنت دروس الشهيد القائد، ومحاضراته، رؤية متكاملة لتصحيح الواقع، والنهوض، والإرتقاء بالأمة، من منطلق التشخيص الدقيق، والقراءة الصحيحة للواقع، وما تركته تراكمات الماضي، وعوامله، من تأثير سيء في الواقع المعاصر، وتداعياته الخطيرة، قدّم كلّ ذلك من منطلق إنساني، وفطري، وفق ما هدى الله عباده، وأرشدهم إليه في كتابه القرآن الكريم، و دعا الجميع إلى مراجعة ما بين أيديهم من موروثات، وتصحيح واقعهم على قاعدة: (عين على القرآن وعين على الواقع).

التصحيح الثقافي والمعرفي

من خلال المتابعة الدّقيقة للأحداث، والتأمّل الصحيح في القرآن الكريم، والمعرفة بالسنن الإلهية في التغيير، دعا الشهيد القائد السيد/ حسين بدر الدين (رضوان الله عليه) إلى ضرورة التغيير الثقافي أوّلاً، وكان يقول: (**بأنّ هذه الأمة وقعت ضحية للثقافة المغلوطة التي جاءتها من خارج كتاب الله سبحانه وتعالى**)، وأكد الشهيد القائد (رضوان الله عليه) بأنّ الواقع السيئ الذي تعيشه الأمة، مرتبطٌ ارتباطاً وثيقاً بالثقافة المغلوطة، والانحرافات الفكرية التي تشبّعت بها الأمّة جيلاً بعد جيل، وأكّد بأنّه لا يمكن تغيير هذا الواقع السيئ مالم يحدث التغيير الثقافي أوّلاً، وفقاً للسنن الإلهية، وأنّ الله لا يسمح للتغيير أن يحصل، مالم تتغيّر الرؤية، والثقافة على قاعدة: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[الرعد:١١].

وقدَّم تشخيصاً حقيقياً للواقع باعتبار أنّ المشكلة اليوم التي تعاني منها الأمة الإسلامية هي: **مشكلة ثقافية في الأساس، أفرزت هذا الواقع السيء.**

ودعا إلى ضرورة البحث عن الحلول، والقراءة الجذرية للأسباب، ومعالجتها خاصةً في هذه المرحلة، ففي محاضرة (آل عمران – الدرس الأول) يقول السيد: **(هذا الزمن – أيها الأخوة – هو زمن لابد أن الناس يقفون موقفاً صحيحاً من أنفسهم، لم يعد الوقت وقت مجاملات ولا حياء، ولا مداهنة، وقت مناقشة الحقائق، ومعرفة الحقائق، يكفي الناس ما يلمسونه من ذلة، وإهانة، وضياع لهم كمسلمين كعرب يكفي)** ويضيف : **(المفروض أن يبحثوا عن الحل، الإنسان متى ما أشتد به المرض أليس هو في الأخير يشرب العلاج ولو كان مرّاً؟ الآن نبحث عن العلاج، ولنقبل ولو كان مراً، مع أنّ العلاج من قبل الإسلام ليس مراً، لا يمكن أن يكون مراً، لكن نفهم أنّ وضعيتنا أصبحت إلى درجة رهيبة)** [1].

ويضيف (رضوان الله عليه): **(نحن أمة مجروحة يجب أن تبحث عن العلاج، وعن سبب المرض، عن السبب الذي جعل هذا الجرح ينزف دماً، ولا نجد هناك من يلتئم الجرح على يديه، ليس عصر مجاملة، ليس عصر مداهنة، ليس زمن تغطية، وتلبيس، زمن يجب أن تكشف فيه الحقائق على أرقى مستوى)** [2].

ويؤكد السيد:(رضوان الله عليه)بأنّ مواقفه القرآنية في التصحيح الثقافي، وكشف الحقائق أمام كلّ القضايا، والأمور التي تطرق إليها في الدروس، والمحاضرات جاءت كضرورة حتمية لا مناص عنها، ولا يمكن تجاهلها وتغافلها، وأنّ موقفه الصارم والحازم هو من منطلق القرآن الكريم، وثقافته، وليس تعصباً مذهبياً، ولا سياسياً، ولا مكايدة، أو تحاملاً أجوف على أحد، فيقول: **(بالعودة إلى القرآن الكريم سنعرف أننا بحاجة إلى أن تتحدث بهذا الأسلوب، وبهذا المنطق، وإلاّ فنحن لسنا ممن طبائعهم حمقى أو ضيقة، أو شديدي اللهجة على أيّ إنسان، أو يتطاولون بألسنتهم على أيّ إنسان ليس هذا من طبعنا، ولكن هي الحاجة الماسة التي جعلتنا نتحدث حتى على الرغم من أننا سنجرح مشاعر كثير من المسلمين بهذا الكلام)** [3].

---

(١) سورة آل عمران الدرس الأول.

(٢) سورة المائدة الدرس الثالث.

(٣) سورة المائدة الدرس الثالث.

لقد أُجهد السيد/ حسين (رضوان الله عليه) كثيراً في سبيل تصحيح الواقع الثقافي للأمة، واستجلاء الرؤية القرآنية الصحيحة، وتنقيتها من كلّ الشوائب التي أُلصقت بها، وجعلتها ديناً نتعبد الله به، وتتضح الصورة أكثر في تشخيص هذا الواقع المريض للأمّة عندما يقول: **(الحقيقة إذا ما تأمل الإنسان في واقع الناس يجد أننا ضحية عقائد باطلة، وثقافة مغلوطة جاءت من خارج الثقلين كتاب الله، و عترة رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله))[1].

تصحيح النظرة إلى الدين

حرص الشهيد القائد: (رضوان الله عليه)على تصحيح النّظرة المغلوطة عن الدّين، وتنزيه الله سبحانه وتعالى أوّلاً عن أن يكون دينه، ومنهجه وراء هذه الوضعية السيئة، مؤكداً أنّها نتاج الإنحرافات السابقة، والثقافات المغلوطة فيقول في محاضرة (الوحدة الإيمانية) :

(نحاول أن ننظر إلى ما بين أيدينا من أين جاء هذا الخلل؟ فإن كان من الدين من أساسه، وهذا ما لا يمكن أن يكون، ولا يجوز أن يكون مصدر ما نحن عليه من ضعف، وإذلال، وإنحطاط هو من ديننا)[2].

ويجزم الشهيد القائد، قاطعاً بأنّ ما نحن عليه ليس من دين الله في شيء، وهو منه براء، لأنّ دين الله هو يبني الأفراد، ويبني الأمّة على أرقى وأعلى مستوى فيقول: **(نحن نقطع بأنه ليس من ديننا ما يوحي، ولا ما يهيئ أن تكون الأمة على هذه الوضعية السيئة، دين الله هو المنهج الكامل الذي يبني أفراداً، ويبني أمة على أعلى مستوى ممكن)**[3].

وفي هذه الوضعية الخطيرة ظلّ السيد ينادي بضرورة مراجعة الواقع، ودراسته، ويدعو إلى التفتيش الدقيق في البيئة الدّاخلية الإسلامية، ورفض كلّ معتقَد باطل، وثقافة مغلوطة جاءت من خارج القرآن الكريم فيقول: **(هذه الوضعية الخطيرة التي يجب أن نرجع فيها إلى واقعنا ،**

(١) دروس معرفة الله الثقة بالله الدرس الأول.
(٢) محاضرة الوحدة الإيمانية.
(٣) محاضرة الوحدة الإيمانية.

فنرفض أيّ طرف مهما كان كبيراً أمامنا، إذا ما أتضح لنا وتأكدنا بأنه كان وراء هذا الفشل الذريع الذي الأمة عليه، وكان سبباً من الأسباب التي أوصلت الأمة إلى هذه الوضعية السيئة، أن نرفضه ولنعد إلى القرآن، ونعتمد على القرآن، وهو نفسه من سيكشف لنا الأشياء الكثيرة جداً)[1].

ويوضح السيد (رضوان الله عليه) بأنّ الإنسان عندما يتثقف ثقافة مغلوطة تكون هذه هي الضربة القاضية، والقضية البالغة الخطورة عليه وعلى مستقبله، وعلى من حوله، ويتساءل (رضوان الله عليه)قائلاً: **(ما الذي أوصل العرب إلى هذا الوضع؟ الإنسان إذا ما ترك على فطرته يدرك أشياء كثيرة، لكن أحياناً بعض الثقافات تمسخه عن الإنسانية، وتحطه، تقدم له الجبن ديناً، تقدم له الخضوع للظلم ديناً يدينُ الله به)**[2].

وفي مقام التدجين، والتضليل الذي قُدّم باسم الدّين، وخطّه علماء السوء، يوضّح الشهيد القائد حقيقةً خطيرةً ومهمّةً جداً ففي محاضرة (الصرخة في وجه المستكبرين) يقول: **(لقد تجلت حقيقة خطيرة جداً ...خطيرة جداً جديرة بأن نلعن كل صوت رفع في تاريخ الإسلام، أو خطّ بأقلام علماء السوء، أو مؤرخي السوء الذين عملوا على تدجين الأمة لكل حكام الجور على طول تاريخ الإسلام)**[3].

ويحذّر السّيد من خطورة ترسُّخ مفاهيم ورؤى مغلوطة عن الإسلام تكون انعكاساً للواقع السيئ، وللوضعية السيئة التي يعيشها المسلمون فيقول: **(ولهذا نقول أكثر من مرّة يجب أن لا يترسخ في الذهنية لا عندنا ولا عندهم أنّ ما نحن عليه من سوء هو واقع دين لأنّ هذه ضربه رهيبة، وهذا واقع باطل حسب على الدين، وليس من الدين في شيء نهائياً بل هو حربٌ للدين)**[4].

(١) محاضرة الوحدة الإيمانية.
(٢) محاضرة الثقافة القرآنية.
(٣) محاضرة الصرخة في وجه المستكبرين.
(٤) مديح القرآن الدرس الخامس.

شهادة الواقع على بطلان النظرية

في تطوّر الصراع مع أعداء الإسلام من صراعٍ تقليدي إلى صراعٍ حضاري بكلّ ما تعنيه الكلمة حَرَص السيد على سدّ كل الثغرات، وإبطال كلّ الشبهات التي تُثار عن الإسلام من قِبَل الأعداء الأبديّين له من اليهود والنصارى، وخاصةً في هذه الظّروف، والوضعية التي أصبحت مثار جدلٍ واسع، ونظرياتٍ متعدّدة تُقدّم نفسها بديلةً عن دين الله، ومنهجه العظيم الخالد، خاصةً وأنّ اليهود يرقبون مسيرة هذا الدين منذ يومه الأول، ويسعون لإفشاله، وضربه ثقافياً، وإعلامياً، ومنهجياً، وسياسياً، لذا كان لزاماً في مسيرة هذا الدّين تبيين عظمته، وأهميته، وضرورته، مع تنقيته، وحراسته والمحافظة عليه، وهذا هو المدخل لرفض أيّ وضعية سيئة تقدّم على أنها من دين الله، وهي ليست منه يقول السيد (رضوان الله عليه) **بأنّ أعداء الإسلام (مركزين على النقطة هذه، شهادة الواقع على بطلان النظرية، هي قضية أساسية يقولون: لاحظوا كيف أنتم كذا وكذا، وأنتم وأنتم، دينكم هذا ليس بشيء)**[1].

ويجيب (رضوان الله عليه) على هذه الأطروحات بكلّ جرأة وثقة بقوله: **(يا أخي هذا ليس هو الدين، هذا الذي صنعه أصحابكم زمان، يوم دخلوا مع بني أمية ينظرون لهم، هذا الذي عمله أشباه اليهود من زمان قدموا لنا باطلاً جعلوه بهذا الشكل، الدين شيء ثان، هو القرآن)**[2].

وبطريقة حكيمة يربط السيد بين هذا الواقع السيئ الذي يعيشه المسلمون اليوم، وواقع اليهود والنصارى الذي قدّمه الله في القرآن الكريم، وما نحن عليه من سوء كشاهد على سوء ما لديهم هم، لماذا؟ يقول: **(وواقع حياتنا الذي نحن عليه هو ما صنعته ثقافتكم أنتم يوم دخل كعب الأحبار وأمثاله. فنحن فيما نحن عليه من سوء شاهد على سوء ما لديكم، أي سوءكم أنتم؛ لأنّ الإسلام لم يعمل إلاّ مرة واحدة في أيام رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **جانب محدود منه، وفي فترة قصيرة أيام الإمام علي** (عليه السلام) **ما أتاحوا له، كم أربع سنين وستة أشهر تقريباً؟ فترات محدودة هكذا، ما ترك القرآن يشتغل، لكن أنت تشتغل الآن تتفهم واقع ما لديهم، وواقعك هذا نفسه السيئ تحسبه عليهم، ويكون عندك قدرة أن تبرهن على أن تحسبه عليهم)**[3].

---

(١) مديح القرآن الدرس الخامس.

(٢) مديح القرآن الدرس الخامس.

(٣) مديح القرآن الدرس الخامس.

منهجية القرآن العالمية

تجاوز الشهيد القائد (رضوان الله عليه) كلّ الأطر المذهبيّة، والطائفيّة، والحزبيّة، وقدّم مشروعاً متكاملاً عبر سلسلة دروس ومحاضرات من هدي القرآن الكريم، وكان يؤكّد بأنّ المرحلة هي مرحلة القرآن الكريم، ومن خلال قراءته الدقيقة للواقع، والمنهجية القرآنية في التصحيح الثقافي، والفكري، والمعرفي، كان يقول: **(ومع أن تشريعه حتى لو لم يكن وراءه جنة، كل ما هدانا إليه في كتابه الكريم حتى لو لم يكن وراءه جنة لكان هو وحده المنهج الصحيح الذي لا تستقيم حياة البشر إلا به، ولا تستقيم الدنيا إلا بالسير عليه، حتى ولو فرضنا بأنه ليس هناك جنة. أما عندما تكون المسألة بأن ما هدانا إليه هو وحده الذي لا منهج أقوم منه، ولا شيء أفضل للحياة، وفي الحياة منه ثم يثيبنا عليه، ثم يعطينا الجزاء العظيم عليه، هذا هو من أبلغ مظاهر رحمته، من أبلغ دلائل سعة رحمته لعباده.. أنك لا تكاد تجد شيئاً مما أرشد إليه في كتابه الكريم إلا وهو يؤكد أن فيه صلاح الحياة، هنا في الدنيا؛ لأنه هو الذي خلق الدنيا، وخلق الإنسان، وهو الذي يعلم السر في السموات والأرض)**[1].

وفي محاضرة مديح القرآن الدرس الثالث يبيّن السيد أنّ هدى الله، وتشريعه واسعٌ جداً، ويبين طرق القرآن الكريم، ومناهجه في الهداية الشاملة فيقول: **(تشريعه واسع جداً، هدايته واسعة جداً، وأيضاً مع هذا نفسه يعلمك كيف المنهج، والطريقة، والأساليب التي تسلكها في عملك مع الناس، في عملك مع نفسك، ما قُدّم ككتاب عبارة عن قانون جاهز مادة واحد، مادة اثنين، مادة ...إلخ، هذا يسمى ماذا؟ أسلوب جاف ليس له قيمة؟ أسلوب ناشف ليس له أثر في النفوس، ولا إحترام، ولا تقدير، القوانين لولا أنه بعدها (سوط) لما كانت أشياء محترمة عند الناس، القوانين التي يصيغها الناس لا تكون محترمة – تقريباً- عند الذين يقومون بصياغتها)**[2].

---

(١) دروس معرفة الله الثقة بالله الدرس الأول.

(٢) سورة البقرة الدرس الثالث من دروس رمضان.

وكان (رضوان الله عليه) يؤكّد بأنّ القرآن الكريم هو المنهج الوحيد القادر على بناء الأمة، والنهوض بها، وإصلاح وضعها، ففي محاضرة الإرهاب والسلام يقول: **(أليست الثقافة القرآنية هي من تصنع جيلاً صالحاً؟ من ترسخ في الإنسان القيم الفاضلة، والمبادئ الفاضلة؟ كي يتحرك في هذه الدنيا عنصراً خيراً يدعو إلى الخير، يأمر بالمعروف، ينهى عن المنكر، ينصح الآخرين، يهتم بمصالح الآخرين، لا ينطلق الشر من يده، ولا من لسانه؟ أليس هذا هو ما يصنعه القرآن؟)**[1].

العصر الذهبي للإسلام

كانت رؤية الشهيد القائد (رضوان الله عليه) واضحة المعالم، والأهداف، ففي الوقت الذي يرى فيه غالبية الأمّة بأننا في عصر الظلمات والضياع؟ كان السيد يحمل رؤية تفاؤلية لهذه المرحلة، وكان يرى بأنّ هذه المرحلة الزمنية هي المرحلة التي توفرت فيها كلّ عوامل القوّة، وأخرجت فيها الأرض خيراتها من باطنها، وظاهرها بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ هذا العالم بكلّه، لكن عندما ابتعد المسلمون عن ثقافة القرآن الكريم، وصلت وضعيتهم إلى هذا المستوى المنحط فيقول: **(عندما أبتعد المسلمون عن القرآن الكريم، ولديهم أشياء كثيرة فيها أشياء كثيرة من الضلال، وصلت الأمة هذه إلى حالة الضياع في عصر قد يكون من أزهى عصور الدنيا)**[2].

وفي خضمّ هذه الأحداث والتحرّكات الرهيبة كان السيد يؤكد أنّ من ينطلقون ويتحركون على أساس القرآن الكريم لا يمكن أن يحبطوا نهائياً، بل سيجدونها فترة ومرحلة من أحسن فترات ومراحل الإسلام فيقول: **(تأتي هذه الأحداث من خلال تحرك الأمريكيين، تحرك الإسرائيليين، تحرك دول الغرب هذه، من يتأملها بنظرة قرآنية لا يمكن أن يحصل لديه إحباط، ولا يحصل لديه يأس، بل يمكن أن يرى هذه الفترة من أفضل، وأحسن الفترات بالنسبة للإسلام، لمن يعرفون كيف يتحركون في سبيل الإسلام، فعلاً، ومن لا ينظرون نظرة قرآنية يجدوها فترة**

(١) محاضرة الإرهاب والسلام.

(٢) سورة آل عمران الدرس الثالث عشر من دروس رمضان.

مظلمة، و فترة رهيبة، هي فعلاً رهيبة وخطيرة، لكن لمن لا يتحركون على هدى القرآن، فهي خطيرة ورهيبة فعلاً، هنا في الدنيا، وفي الآخرة)[1].

وأمام هذا الواقع، وهذه الأحداث الخطيرة لم يصل إلى قلب السيد مثقال ذرة من اليأس والإحباط، بل كان يرى بأنّها من أفضل وأحسن الفترات بالنسبة للإسلام، لأنّنا في عصر تساقطت فيه كلّ الرؤى، والنّظريات، ولم يبقَ إلاّ المشروع القرآني الذي يستطيع قيادة الأمّة، والإنتقال والإرتقاء بها، وتغيير واقعها إلى الأحسن والأفضل لكن لمن يفهمون القرآن، ويسيرون على هداه فيقول: **(أما من يسيرون على هدي الله، على هدي كتابه - على حسب فهمنا وتقيمنا - أنّها من أفضل المراحل في تاريخ هذه الأمة، لمن يعملون في سبيل الله فقط، لمن يتحركون في سبيل الله، وعلى أساس كتابه، وأنها يبدو ليست مرحلة من سنة، أو سنتين، بل ربما قد تكون من نحو عشر سنين تقريباً، من نحو عشر سنوات بدأت متغيرات بشكل عجيب في هذه الدنيا)**[2].

الخطط والبرامج العلمية لبناء الأمة

قدّم السيد (رضوان الله عليه) منظومة متكاملة من الخطط والبرامج العلمية التي أنعم الله بها على عباده، وهداهم إليها في كتابه القرآن الكريم، والتي كانت كفيلة ببناء الحضارة العالمية بشكل صحيح، وسليم، وبشكل أفضل وأرقى ممّا وصل إليه الغرب، ووصلت إليه الحضارة اليوم، كلّ ذلك ممكن أن يحصل من خلال المعرفة التي لا تتأتّى إلاّ من خلال البحث العلمي كما وضّح وبيّن السيد حيث يقول: **(يجب أن تفهم أنت منهجية المعرفة، لا تعتقد أن المعرفة معناها أنه في يوم واحد، أو في شهر واحد، شهر واحد يجب أن تعرف كل شيء، هذه هي منهجية غير صحيحة حتى ولو من الناحية العلمية السائدة الآن في الدنيا: أن أهم مصدر في المعرفة هو ما يسمى بالبحث العلمي أن المعرفة تأتي ضمن مسيرة، ضمن حركة، تأتي المعرفة بهذا الشكل، فعندما تتسع دائرة مهام الناس، تتسع ماذا؟ شعورهم بأنهم بحاجة إلى هذا، وبحاجة إلى معرفة هذا، فيكونون أقرب إلى أن يعرفوه، وتكون**

(١) محاضرة آيات من سورة الكهف.

(٢) محاضرة آيات من سورة الكهف.

معرفتهم هذه بالشكل الذي يستطيعون أن يستفيدوا من خلال معرفتهم له، فتنموا معرفتهم في نفس الوقت، أما مجرد أنك تريد تعرف كل شيء، كل شيء في شهر واحد هذا لا يحصل، ولا للأنبياء أنفسهم لماذا؟ لأنه ليست هذه الطريقة الطبيعية للمعرفة)[1].

ويرى السيد بأنّ التنوّع والتعدّد الحاصل في حياة الناس، واختصاصاتهم هو تنوّع إيجابي عندما يكون مبنياً على أسس صحيحة، ويوظّف التوظيف الصحيح، لأنّه يسهم في بناء الأمة، وعمارة الحياة، فيشكل قوةً للأمّة، ويبني أمةً قوية فيقول: **(الاختلاف هذا نفسه الذي يقولون هو طبيعي، هي ليست قضية سلبية، هو أصلاً تنوع بالنسبة لعمارة الحياة، هو تنوع، تنوع، لكن إذا تريد تنزل القرآن إلى بين أيدي هؤلاء المتنوعين سيمزقونه كل ممزق، والدين يفرقونه، وكل واحد ينطلق لوحده.**

وهذه قضية فيها شاهد من الحياة بالنسبة لنا، ألست مثلاً ستجد في الشعب الواحد ترى الناس مختلفين، مختلفين في مؤهلاتهم، مختلفين في صناعاتهم، مختلفين في أذواقهم، مختلفين في مهنهم، ويأتون بنظام واحد، أليسوا يأتون بنظام واحد يكون نظام لحياة هؤلاء الذين تراهم هذا نجار، وهذا طبيب، وهذا كهربائي، وهذا ملحّم، وهذا بنّاء، وهذا مليّس، وهذا يأكل هذا، وهذا ما يعجبه الأكل هذا، وهذا يأكل كذا، وهذا يعجبه أن يكون شكله كذا، أليس هذا التنوع حاصل عند الناس؟

هذا لا يمكن أن يحصل عندنا نحن البشر، يعني نقول: أنها ليست قضية صحيحة أنه ممكن ننزل النظام، ننزل قانون ونجعله في متناول الناس هم، نقول: أنتم اعملوا لكم قانون، وكل واحد يمشي على ما ترجح لديه! ما هو سيطلع رؤى متباينة؟ يأتي القانون بالشكل الذي لا يخضع للاختلافات هذه، بل هو يحسم، أي يعتبر نظام يجمع هؤلاء المختلفين في صناعاتهم، في أمزجتهم؛ ليسيروا في اتجاه واحد في الحياة؟ يسيروا في اتجاه واحد، وما معناه ليطلعوا كلهم نجارين، أو يطلعوا كلهم كهربائيين، أو يطلعوا كلهم ملحمين، أو بنائين، لا، لأن مجموع البنائين، والملحمين، والكهربائيين، والأطباء، والإداريين، والمعلمين .. الخ، كلهم يبنوا ماذا؟ يبنوا الحياة.

(١) سورة البقرة الدرس التاسع من دروس رمضان.

فهنا يجعل كيف يكون عمل النجار بشكل صحيح، يكون رافد في الحياة، يكون له أثر في الحياة، مثل الكهربائي، مثل المعلم، مثل كذا، فيضبط المسيرة هذه المتنوعة، يضبط المسيرة المتنوعة، يضبط الناس المتنوعين في مسيرتهم، ويجعل المؤدى واحد، والغاية واحدة، ويجعل البناء في الأخير بناء واحداً) (عندما تتصور مثلاً أمة تكون قوية، أما كلمة أمة تعني حاجة واحدة؟، تتصور قوة واحدة أليست هكذا؟ تنزل إلى تفاصيل القوى تقول: يجب أن يكون هناك زراعة، يكون هناك تعليم، يكون هناك صناعة، يكون هناك مراكز علمية، ومراكز أبحاث ألست هنا في الأخير ترى تنوعاً؟ لتشكل قوة، وتشكل أمة واحدة؟.

بناء الأمة يتمثل في هذا التنوع الواسع؟ فليضبط المسألة بحيث يكون هذا التنوع الواسع بالشكل الذي يبني الأمة؟ ويكون هؤلاء بالشكل الذي ما يكون بينهم إختلافات، ينطلقون إنطلاقة واحدة وهكذا)[1].

ويرى السيد (رضوان الله عليه) : بأنّ بناء الأمة يأتي ضمن إختصاصات، ومهام، وأدوار كلها تحتاج إلى هداية من الله سبحانه وتعالى فيقول: **(بناء الأمة يأتي فيه أدوار متعددة، وكل دور هو عبارة عن مهام، كل مهمة تحتاج إلى هداية فيما يتعلق بهذه المهمة)**[2].

ويوضّح الشهيد القائد أسلوب وخطوات القرآن العملية في مهمّة بناء الأمة، مؤكداً أنّه يهدي الهداية الشاملة في مختلف جوانب وشؤون الحياة، يقول السيد (رضوان الله عليه): **(مما ضرب القرآن المفسرون الذين يجعلون كلمة: ﴿هُدىً﴾ و﴿هَدَى﴾ تنصرف إلى مجال العبادات البحتة، يعني إلى صيام، إلى صلاة، إنّ القرآن كتاب حياة، كتاب حياة شاملة، يهدي الناس في كلّ مجالات الحياة، يهدي الناس في كلّ شئون الحياة، وليس فقط إلى الجانب الإيماني العبادي الروحي، فجاء المفسرون ليقولوا عن (يهدي) يعني يهديك إلى طريق الجنة، أي إلى ما تعمل به لتصل إلى الجنة، كيف تسبح وكيف تصلى وانتهى الموضوع)**[3].

---

(١) مديح القرآن الدرس الرابع.

(٢) مديح القرآن الدرس الخامس.

(٣) محاضرة يوم القدس العالمي.

ويوضّح السّيد أنّ القرآن الكريم هو الكفيل ببناء الأمة بناءً حقيقياً في مختلف شؤون ومفاصل الحياة، وأنّ خسارة الأمة كانت خسارةً كبيرةً وفادحةً عندما ابتعدت عن القرآن الكريم فيقول: **(قلنا بالأمس حول آيتين فقط تحدثت عن أهل الكتاب أنها كانت كفيلة، لو كان هناك اهتمام بالقرآن، ورؤية قرآنية، وتأثر بالقرآن، ونظرة قرآنية صحيحة لكان تلك الآيتان لوحدهما، بمفردهما كفيلة ببناء الأمة، وكفيلة بأن تكون هذه الأمة أرقى مما وصل إليه الآخرون: عندما حكى الله عن بني إسرائيل بأنهم ما يودون لنا أي خير، وعندما قال عنهم في آية أخرى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً﴾[البقرة: من الآية١٠٩] لأنه هنا شخّص لك أمة من الأمم، توجهها إلى هذه الأمة الأخرى، الأمة المسلمة، كانت هاتان الآيتان تكفي في الماضي - كما قلنا بالأمس - أن تجعل من يفهمون القرآن الكريم، من يعرفون هدى القرآن الكريم كفيلة ببناء هذه الأمة بحيث لا تصل إلى ما وصلت إليه الآن من هذه الحالة السيئة، الخسارة الكبيرة، خسارة كبيرة فعلاً)**[1].

ويضيف السيد أنّ هاتين الآيتين من كتاب الله كانتا كفيلتين ببناء الأمّة والنهوض بها لو كان هناك إلتفاتة جادة للقرآن الكريم والعمل به فيقول: **(كان هاتان الآيتان كفيلة لو أن أحداً من أسلافنا ممن كانوا في وضعية أحسن مما نحن فيه باعتبار الضغط العالمي، ما كان يوجد بهذا الشكل الذي نحن نعاني منه من قبل الأعداء كان هذا التشخيص لأهل الكتاب يكفي بأنهم يتجهون لبناء أنفسهم، من بديهيات هذا التوجه: أن يحاولوا أن يهتموا بالجانب العلمي، بالجانب العلمي باعتباره قضية من القضايا الهامة في بناء الأمة فحينها سيصلون إلى علوم كثيرة في مختلف الأشياء التي وصل إليها أخيراً بنو إسرائيل، أو أهل الكتاب بشكل عام من اليهود والنصارى)**[2].

القرآن الكريم مفتاح كلّ العلوم

ويؤكّد السّيد على أنّ القرآن الكريم هو مفتاح كلّ العلوم، موضحاً أنّ القرآن الكريم قد أعطى وقدّم المؤشرات، والموجهات، والمسؤوليات العامّة والعلميّة التي تحقق النهضة الشاملة، والنمو، والتقدّم، والإزدهار لهذه الأمّة، ويبيّن السّيد أنّ الله سبحانه وتعالى قد ذلل وهيّأ هذه

(١) سورة البقرة الدرس السابع من دروس رمضان.

(٢) سورة البقرة الدرس السابع من دروس رمضان.

المسخّرات الموجودة في السموات والأرض بما يتكيّف ويتلاءم مع حاجات الإنسان ووضعيته فيقول: (**عندما يقول البعض عن القرآن الكريم: [القرآن كتاب باهر وسلام الله عليه يجلس مكانه لكن نحن نريد علوماً أخرىٰ]! هذا هو مفتاح العلوم بكلها؛ لأنه في نفس الوقت الذي يعطي التوجهات، والمسؤوليات التي هي كفيلة بأن تتوسع نظرتك لكل ما حولك، وتعمل علىٰ تطوير قدرات هذه الأمة أعطىٰ مؤشرات أيضاً فيما يتعلق بكل ما هو محيط بالناس مما في السماوات وما في الأرض، أنه مسخر لك: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾**[الجاثية: من الآية١٣] **ومعنىٰ التسخير العبارة هي توحي بأن الأشياء هذه قابلة لأن نستخدمها، وعندما تنظر إليها علىٰ سعتها الكبيرة جداً عندما يقول: ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾**[إبراهيم:٢] **أليست قائمة طويلة عريضة جداً من الأصناف، والأنواع المتعددة من المخلوقات بدءاً من الكواكب، والشمس، والقمر، والهواء، ومختلف المعادن، والنباتات، وكل العناصر الموجودة في هذا العالم، كل مفردات ما في السماوات، وما في الأرض، أنها مسخرة.**

تعني هذه: أن حياة الإنسان مرتبطة بهذه الأشياء، وأن هذه الأشياء قابلة؛ لأنه ذكر مثلاً فيما يتعلق بحيوانات معينة: أنه ذللها، وسخرها، كيف تجدها قابلة لك أن تستخدمها للأغراض المتعددة كالإبل، والبقر، والخيل، والبغال، والحمير، ومختلف الحيوانات المذللة، وتجدها قابلة لمختلف الأغراض، وبيَّن في آيات أخرىٰ كيف تكون الأشياء المسخرة قابلة للإستخدام المتعدد ذكر: تركبون، وتأكلون، وتستخدمون من جلودها بيوتاً، ومن أصوافها، ومن أوبارها، وأشعارها أثاثاً لكم ومتاعاً إلىٰ حين، فعندما يقول: إنه سخر لنا ما في السماوات وما في الأرض بعدما أعطىٰ توجها من هذا النوع الذي يجعل الإنسان يتوجه فيرىٰ نفسه في سبيل بناء الأمة بحاجة إلىٰ كل ما لديه من أشياء، أن هذه تعطي أملاً كبيراً جداً: أن بالإمكان تطويع الأشياء الكثيرة للأغراض المتعددة. هذه اكتشفت أخيراً، الشمس ألم يستطيعوا أن يحولوها إلىٰ طاقة كهربائية؟ واحدة من الإستخدامات التي برزت: أن يحولوا أشعة الشمس عبر وسائل معينة إلىٰ طاقة كهربائية، بل تتحول هذه إلىٰ وقود هام للمراكب الفضائية، ولكثير من الأقمار الصناعية هذه التي تحتاج إلىٰ الوقود صفائح معينة تحول أشعة الشمس إلىٰ كهرباء، إلىٰ وقود تشتغل عليه هذه المركبات والأقمار.

إذاً أليس هذا من التسخير؟ الشمس التي بيننا وبينها - كما يقولون - ملايين الأميال أو عشرات الملايين من الأميال تجدها قابلة لأن تسخرها لأشياء متعددة الأغراض، وأن يكون لها دور في استخدام أشعتها في مجالات ليس بإمكانك أن تستخدم أشياء أخرى بديلة عنها، من الذي يستطيع أن يوفر مثلاً طاقة معينة للمركبات الفضائية التي تأخذ فترة طويلة؟ أين يمكن تعبئتها بترول أو أشياء أخرى؟ لكن الشمس طاقة مستمرة يومياً أمكن أن تحول بهذا الشكل فأغنت عن طاقات أخرى لا يمكن لو أن المسألة مرتبطة بطاقات هي في الأرض هنا بترول أو الطاقات التي يسمونها طاقة نووية وقود نووي أو نحوه لكانت المسألة صعبة، أي لكان هذا يشكل عائقاً دون إمكانية مركبات فضائية وأقمار صناعية ونحوها، متى يمكن أن تذهب تجدد لها الوقود هذا؟ لهذا كانت الطاقة الشمسية واحدة من استخداماتها استخدمت في مجالات هامة جداً في إعطاء معلومات وفي إمكانية التواصل فيما بين الناس عبر وسائل الإتصالات والبث الإذاعي والتلفزيوني وغيره، إذاً هو كتاب علمي على أرقى مستوى لكن لمن يفهم)[1].

ويؤكد السيد على شمولية القرآن الكريم في هداه ،وبيناته، وتوجيهاته فيقول: **(ومن هذا نعرف أيضاً شمولية القرآن الكريم عندما يقول الله فيه: ﴿تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾**[النحل: من الآية٨٩] **وأنه تبيان لكل شيء(أي القرآن) ليس معناه أنه يذكر لك تفاصيل المسألة الفلانية أعني علما من العلوم مثلاً: قوانين في الفيزياء، أو الهندسة، أو أي شيء من هذه الأشياء يأتي بها هي ويذكرها، ويعمل لك قائمة للمعادن وخواصها، وأشياء من هذه، لا، هو يعطي الناس توجهاً معيناً هو كفيل بالوصول إلى هذه الأشياء)**[2].

ويوضّح السّيد المسألة هذه أكثر فيؤكّد على أنّ القرآن الكريم قد هدى فعلاً إلى هذه العلوم، وإلى الإكتشافات، والإختراعات العلميّة، والتّقدميّة بطريقة توجيهيّة مرتبطة بجانب المسؤولية، والعمل، والحركة في هذه الحياة، وبالتالي تقودك إلى هذه العلوم، والمعارف، والخصائص المهمّة، والضروريّة في عملية بناء الأمّة فيقول: **(إذا أنت تقول: ما هناك قائمة؟ تقول**

(١) سورة البقرة الدرس السابع من دروس رمضان.

(٢) سورة البقرة الدرس السابع من دروس رمضان.

هل هدىٰ إلىٰ موضوع الإختراعات هذه؟ أقول لك: نعم، هدىٰ إليه بطريقة إن لم تكن قائمة، يذكر لك كذا، إعمل، واتجه إلىٰ كذا، الحياة طبعت فيها الأشياء، في الحياة أشياء كثيرة من الكنوز، من المعادن، ولها خواصها، ولهذا كذا، حاجيات الإنسان واسعة من جانب المسؤولية التي ربطك القرآن بها، تفرض عليك أن تتحرك في كلّ هذه المجالات، أن تصنِّع، أن تزرع، أن تعمل علىٰ أن يكون لديك خبراء، أن يكون لديك مهندسين، أن تهتم ببناء أمة متكاملة)[1].

ويضيف السّيد أنّ القرآن الكريم يهدي إلىٰ الإهتمام بالجانب العلمي، والمعرفي، والحضاري للأمّة من خلال الخبراء، والعلماء، والمتخصصين، ومراكز الأبحاث والدراسات العلمية والتطبيقية المتقدّمة التي يتحقق من خلالها السبق والتقدّم العلمي، وتحقيق الاكتفاء الذّاتي والضّروري فيقول: **(أليس القرآن هدىٰ إلىٰ هذه؟ يكون عندك خبراء يشتغلون في كلّ المجالات، ويبدعون، ومعاهد، معاهد بحث، دراسات، تمويل للبحث من أجل ماذا؟ أنك تريد أن لا يسبقك الآخرون إلىٰ شيء، تكون أنت من تملك الخبرة؟ من تملك الصناعة، من تملك الإكتفاء في زراعة، في غيرها، وتجد في كل واحدة من هذه تلقىٰ الله فيها، عندما يتحركون في أي مجال من المجالات يتلمس التأييد الإلهي، يتلمس البركة الإلهية، يتلمس البُشرىٰ التي قال هنا: ﴿وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾**[البقرة:٩٧] **يتلمس أيضا مظاهر معرفة الله، مظاهر قدرته، مظاهر رحمته، مظاهر رعايته، مظاهر تدبيره، مظاهر... الخ)**[2].

ويوضّح السّيد (رضوان الله عليه) أنّ الدّين يملأ كلّ جوانب الحياة هذه بعلومه، ومعارفه، وإرشاداته، وتوجيهاته، وهداه، وبيّناته، ويوضّح السيد أنّ التبين المعرفي في القرآن الكريم، والهداية العلميّة تكون بشكل قواعد تهدي إلىٰ أبواب من العلوم والمعارف، التي يتحقق بها ومن خلالها البناء الشامل والنوعي للأمّة يقول السيد: **(فالدين هو يملأ الحياة، يملأ الحياة بكلها، والتبين لا يعني أن يعمل لك قائمة تفصيلية بأسماء الأشياء بالتحديد، هو يبين لك كيف تكون، يهديك إلىٰ كيف تكون هذه الأمة، ماذا ينبغي أن تعمل؟ ومعلوم بأنه حتىٰ في الصناعات ألا يكون فيها ما تسمّىٰ**

(١) مديح القرآن الدرس الأول.

(٢) مديح القرآن الدرس الأول.

قواعد؟ فهو يهدي إلى أبواب من المعرفة، تهدي إلى معارف من هذا النوع، تهدي إلى بناء الأمة في كلّ المجالات، هذا هو التبيين)[1].

وفي مقام الحملة العدوانية الشرسة التي يواجه بها الإسلام من قِبَل الأعداء يَخلُص السيد إلى أنّ حالة العداء تعتبر حالة إيجابية في خلق دافع قويّ لبناء الأمّة، وفي تغذية مسيرة بنائها من خلال تحركات أعدائها، وهذا مما يدلّل على عظمة الإسلام الذي يُحوّل السلبية إلى إيجابية، مؤكداً على أنّ القرآن الكريم يدفع بالناس للاهتمام ببناء أنفسهم، والاهتمام بالجانب العلمي باعتباره قضية من القضايا الهامة في بناء الأمّة، والوصول بها إلى الأخذ بزمام العلوم التطبيقية المعاصرة في مختلف المجالات.

ويؤكد السيد بأنّ سبب انحطاط الأمّة هو جهلها بمنهجيّة القرآن الكريم، ونعم الله على عباده، من خلال ما سخره لهم في السموات والأرض فيقول: **(نرى أنفسنا في مثل هذا العصر منحطين في أسفل درك في عالم الصناعة، في عالم الإختراع، في عالم الإبداع، فنصبح نحن المسلمون جاهلين حتى باستخدام الآليات التي ينتجها الآخرون فنرى أنفسنا في الأخير كيف خضعنا لهم بل كيف انبهرنا بهم، بل كيف تنكرنا لديننا وحمَّلناه مسئولية تخلفنا.**

والواقع نحن الذين ظلمنا ديننا من البداية، نحن لم ننطلق على هداه فظلمناه في البداية، وظلمنا أنفسنا حتى عندما وحينما رأينا الآثار السيئة للمسيرة المغلوطة التي سرنا عليها نأتي من جديد لنحمِّل ديننا المسئولية، نأتي من جديد لنقبل ما يقول الآخرون في ديننا: [دين متخلف] [أفيون الشعوب] لازم أن تلحقوا بركاب الحضارة الغربية، ونلحق بركاب الآخرين، فنتثقف بثقافتهم، القرآن لم يعطنا شيئاً، الدين لم يعطنا شيئاً، فلننطلق وراء الآخرين.

فأصبحنا فعلاً، هيَّأنا أنفسنا، وهيَّأنا أولئك الذين صرفوا الآيات هذه إلى المجال الذي ليس من مسئوليتهم، إلى المجال الذي قد تكفل الله به ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ [الليل:١٢] **قد تكفل به ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾**[الأنعام: من الآية٥٧] **تكفل هو بأن يعرفنا بنفسه أن يعرفنا بكماله من خلال كتبه وأنبيائه،**

(١) مديح القرآن الدرس الأول.

تكفل هو بأن يشرِّع لنا من خلال كتبه وأنبيائه وورثة كتبه.. إذاً هذا الميدان مضمون، انطلق أنت في ميادين الحياة على وفق ما يرشدك إليه هذا الدين.

عندما تنكرنا لديننا أصبحنا فعلاً بيئة صالحة لتقبل الدعايات ضد الدين، بل أصبح الواحد منا يرى نفسه متحضراً بمقدار ما يتحلل من قيم دينه، بمقدار ما يتنكر لدينه وإلهه، فالقرآن لا شيء؛ ولهذا أصبح في المجتمع الإسلامي علمانيون كثير، علمانيون يتنكرون للدين، ويسخرون حتى من المرأة عندما تلبس الحجاب الإسلامي ويرون فيه مظهراً للتخلف. نقول لهم: لا تحمِّلوا الدين المسئولية، حملوا أولئك الذين نقلوا لكم الدين بشكل مغلوط، ارجعوا إلى القرآن أنتم.

والآخرون الذين أنتم منبهرون بهم هم من شهدوا لهذا القرآن، هم من تجلى على أيديهم من خلال ما أبدعوا إعجاز هذا القرآن. ارجعوا أنتم إلى أولئك الذين قدموا لكم الدين بشكل مغلوط، وشغَّلوا تفكيرهم في المجال الذي قد ضمن لهم، وصرفوه عن المجال الذي أريد أن يتحركوا فيه، أريد لهم من خلال دينهم هو أن يتحركوا فيه، ارجعوا إليهم فتنكروا لما قدموه لكم، وعودوا إلى القرآن من جديد لتعرفوا كيف أن القرآن كان باستطاعتنا لو مشينا على هديه، وعلى إرشاده أن نكون نحن الأمة السباقة حتى في مجال التصنيع، والاختراع، والإبداع في مختلف الفنون)[1].

مقوّمات النهوض لدى هذه الأمة

يعتبر السيد أنّ مقوّمات النهوض لدى هذه الأمّة تكمن في نعمتين ثنتين هما: النعمة الظاهرة على وجه هذه الأرض، وهي نعمة القرآن الكريم، ونعمة ما أنعم الله به من نعم على هذه الأمة من حيث موقعها الجغرافي المهمّ، وما أنعم الله به عليه من ثروات هائلة في باطنها هي مصدر ووقود تحرك هذا العالم، وقوته، ونهضته، وتطوّره، يقول السيد (رضوان الله عليه): **(الله سبحانه وتعالى أنعم علينا بموقع هام جداً من الناحية الجغرافية، من ناحية الثروات الهائلة التي نرقد عليها في باطن الأرض التي نحن فيها في الجزيرة العربية هذه ما ينبغي أن نكون نحن أضعف الناس، لا ينبغي أن نكون أول كافرين بهذه النعمة، نعمة على ظاهر الأرض القرآن الكريم، ونعمة في**

(١) دروس معرفة الله نعم الله الدرس الأول.

باطن الأرض، الثروات الهائلة، نعمة في الموقع بكله، ولهذا يتسابق الآخرون عليه، لأنّه موقع يعرفون بأنّ من يسيطر عليه يسيطر على العالم، الإسرائيليون الذين دولتهم ما تزال جديدة ولها فترة قصيرة عندهم طموح أن يهيمنوا على المنطقة هذه، لأنهم يعتقدون أن الهيمنة على المنطقة هذه يعني هيمنة على العالم بكله وهذه حقيقة باعتبار موقعه باعتبار ثرواته الهائلة)[1].

الجانب الإعلامي

وفي الجانب الإعلامي يأسف السيد أنّ العرب لم يستطيعوا أن يتقدّموا فيه، حتّى في مجال الصراع مع أعدائهم، واستغلال نقاط الضعف لديهم، فبالرغم من ضخامة ما يمتلكونه من أموال وثروات هائلة، ووسائل إعلامية، إلاّ أنّهم عجزوا عن مواجهة أعدائهم إعلامياً، كما عجزوا عن خلق رأي عالمي متعاطف مع فلسطين، أو رأي عام عربيّ يحمل العداء تجاه إسرائيل فيقول: **(وأقول وأؤكد إنها غبية فعلا وعاجزة فعلاً عن أن تواجه اليهود حتى في المجال الإعلامي وحده، كم يملك العرب من محطات التلفزيون والقنوات الفضائية؟ هل استطاعوا أن يخلقوا رأياً عالمياً مضاداً لإسرائيل؟ لا.**

معروف عن اليهود والنصارى أنهم متباغضون فيما بينهم، وأن النصارى يتهمون اليهود بقتل المسيح، وأن النصارى حملوا العداء لليهود - كما نعاديهم نحن - فترة طويلة من الزمن، هل استطاع مثقفو هذه الأمة العربية، هل استطاع الإعلام العربي أن يغذي العداء داخل النصارى واليهود؟ أو يصنع رأياً عالمياً مضاداً لإسرائيل؟ أو أن يصنع رأياً عالمياً متعاطفاً مع فلسطين؟ أو حتى أن يصنع رأياً عالمياً عربياً يحمل عقدة العداء لإسرائيل؟ لم يحصل كل ذلك؛ وهم في نفس الوقت يقولون أن اليهود هم الذين يصنعون الرأي العالمي داخل بلدان أوروبا وأمريكا وآسيا وغيرها، هم الذين يصنعون الرأي العام العالمي داخل تلك البلدان. أين جاءت أموال العرب؟ أين جاءت محطاتهم التلفزيونية؟ أين جاءت قنواتهم الفضائية؟ أين صحفهم؟ أين الصحفيون؟ المئات من الصحفيين منهم؟ أين مراكزهم الإسلامية؟ أين وأين؟. كلهم عجزوا أمام اليهود)[2].

---

(١) سورة البقرة الدرس الرابع من دروس رمضان.

(٢) محاضرة يوم القدس العالمي.

لقد احتوت دروس، ومحاضرات الشهيد القائد: (رضوان الله عليه)، وتضمّنت الخطط، والبرامج، والرّؤى الحكيمة في سبيل بناء الأمة تربوياً وثقافياً، واجتماعياً، وسياسياً، وعلمياً، وحضارياً، وأمنياً، وعسكرياً، وإقتصادياً وقدم المنهجية القرآنية الشاملة، والرؤية الإسلامية الصحيحة في عملية بناء الأمة، وهيكلتها على أسس صحيحة وقواعد محكمة، في شتى الجوانب، وكلّ المجالات.

مواجهة المشاريع الأمريكية والإسرائيلية

قاد السيد/ حسين بدر الدين الحوثي (رضوان الله عليه) أعظم مشروع ديني، ووطني في مواجهة مشاريع الفتنة، والهيمنة الأمريكية، والإسرائيلية، وكشف وفضح محاولة خلط الأوراق، وتبني الصراع والجهاد تحت عناوين عائمة، ومصطلحاتٍ مطاطيّة، بذريعة ما يسمّى [الحرب على القاعدة، والإرهاب]. كشف كلّ ذلك وفق خطوات محكمة، وترتيبات دقيقة، وبأرقى الطّرق، والوسائل، والأساليب السلميّة والحضاريّة، ورَفضَ رفضاً قاطعاً أن يسكت، أو يقبل بالخنوع والمساومة، من أجل تحقيق أيّ مكاسب شخصيّة وذاتية، وقدّم منهجية عالمية تمثّل الحلّ، والمخرج لأبناء العالم قاطبة، بعيداً عن كلّ عناوين الإقصاء، والتكفير، والتفسيق، والتعسّف، واستمر الشهيد القائد (رضوان الله عليه) يذكّر النّاس بالقرآن الكريم، ويقدّم الرؤى التي تنقذ الأمّة، وتهديها سواء السبيل، وفي مداخلةٍ له مع قناة أبو ظبي أثناء الحرب الأولى يقول: **(نحن نذكّرّ الناس، والتذكير ليس معناه مجرّد أن تَذكر أنّ هناك عدوّ فقط، بل يجب أن تكون هناك رؤية تقدّم للناس، رؤية عملية ليتحركوا فيها)**.

ويضيف (رضوان الله عليه) : **(على هذا الأساس كان أمامنا قضيتان: رفع الشعار [الله أكبر، الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النّصر للإسلام] والقضية الثانية: مقاطعة البضائع الأمريكية والإسرائيلية، والحثّ عليها كواجب)**.

وتحمّل السيد (رضوان الله عليه) عناء القيام بواجبه الديني والإسلامي على أوسع نطاق، بكلّ جدارة واقتدار، وقدّم الرؤية الصحيحة للصراع مع إسرائيل واليهود، وكان يرى ويعتقد

بأنّ التثقف بثقافة القرآن الكريم، ورفع الشعار، ومقاطعة البضائع الأمريكية والإسرائيلية، أهمّ عمل تقوم به الأمة في هذه المرحلة، وأنّه الموقف الصحيح، والسلاح المؤثر الذي بإمكان الكل أن يعملوه يقول(رضوان الله عليه): **(رفع الشعار، والمقاطعة الإقتصادية، تعتبر من الجهاد في سبيل الله، ولها أثرها المهمّ فعلاً، بل قد يكون هذا الجهاد أشدّ على الأمريكيين ممّا لو كنّا عصابات نتلقّى لهم ونقتلهم فعلاً، أنا أعتقد هذا، أنّ أثره عليهم أشد، يؤثر عليهم بشكل كبير من الناحية المعنوية والنفسية، بالشكل الذي لم يستطيعوا أن يواجهوه بأيّ مقولة من مقولاتهم، على مدى سنتين لم يستطيعوا أن يقولوا: إرهابيين نهائياً، لم يستطيعوا أن يوقفوه بأيّ طريقة أبداً، ولا استطاعوا أن يلصقوا به شيئاً يعتبر ذريعة، وفي نفس الوقت يعرفون أنه يضربهم ضربات نفسية ومعنوية رهيبة)**[1].

وحرص على شرح هذا الموقف وتبيينه بكل الوسائل الممكنة، كما في مقابلاته مع بعض وسائل التلفزة الإعلامية، والإذاعية، والصحفيّة، ولقاءاته، ومراسلاته، مع ما يسمى بلجان الوساطة، وكذلك الرسالة التي أرسلها للرئيس السابق/ على عبدالله صالح قبيل الحرب الأولى، وبيانه الأول الذي أصدره أثناء الحرب الأولى على منطقة «مران».

التأهيل الإلهي

كان السّيد (رضوان الله عليه) على إضطلاع شديد، ودراية كاملة بالعلوم المعاصرة، وخاض المعترك السياسي بكل نزاهة، وشرف، من خلال تأسيس حزب الحقّ أوّلاً، والفوز بمقعد في مجلس النواب في العام ١٩٩٣م، كما كان له علاقة واسعة بعلماء، ومثقفين، وشخصيات سياسية، في الداخل والخارج، وانفتح على العالم المعاصر، وتوجه إلى جمهورية السودان العربية، لمواصلة مشواره العلمي، والأكاديمي لتحضير الماجستير، والدكتوراه في علوم القرآن الكريم.

وقد حباه الله بالكثير من الصفات الإيمانية، والمؤهلات التي أفرزت أعظم مشروع عالمي

(١) سورة المائدة الدرس الثاني والعشرون من دروس رمضان.

قدّمه السيد (رضوان الله عليه) في العصر الحديث، وكان يدرك هذا الشيء بنفسه، وهو على ثقة، ويقين من صحة، وعظمة المشروع القرآني الذي يتحرك عليه حيث يقول (رضوان الله عليه): **(ولأننا فعلاً، وليس ادعاء شيء لأنفسنا، لا نجد في الساحة عملاً بالشكل المطلوب لإنقاذ الناس من الضلال، هل تسمعون من التلفزيون شيئاً؟ هل تسمعون من الإذاعات شيئاً؟ أو حركة أخرى؟ هناك حركات أخرى إمّا حركة علمية منزوية على نفسها داخل مركز، أو مسجد فقط، أو حركة علمية تعمل في جانب، وتخرّب في جانب آخر)**[1].

وكان يؤكد على ضرورة الإستمرار في هذا العمل الصالح مهما كان هناك من مشاكل ومعاناة، معتبراً أنّ هذا يعتبر شيئاً طبيعياً في مسيرة العمل والتحرّك فيقول: **(نحن بحمد الله. ربما. قد تأهلنا إلى أن يكون لنا عمل يكون له أثره في مجال هداية الناس، وإنقاذ الناس، ولن ننطلق في حديثنا إلى التحامل على أحد من الآخرين من أبناء هذه الطائفة لا عالم ولا متعلم ولا مدرسة، ولا شيء.**

همنا هو: أن نعمل في إصلاح الناس، ولا نبالي إذا كان هناك من يعارض؛ لأننا كما عودنا أنفسنا على أن لا نبالي بمن يعارضنا، فكم قد حصل في الماضي وإلى الآن معارضة طويلة ومستمرة لم نكن نكترث بها. هذا شيء طبيعي قد يحصل لأي إنسان ينطلق في عمل أن يلقى من يعارضه سواء وأنت في طريق الحق أو في طريق الباطل ستلقى من يعارضك، تلقى من يشاققك، تلقى من يتكلم عليك، تلقى من يشوه عملك، من يعمل على الحط من مقدار عملك، بل قد تلقى من يكفرك أو يفسقك، أو.. كم من العبارات تنطلق!)[2].

وكان رضوان الله عليه مطمئناً إلى أنّ العمل الذي قدّمه هو العمل المنسجم مع فطرة الناس، والعمل الذي تتطلبه الظروف، ظروف المرحلة بكلّها، على مستوى اليمن، وعلى مستوى الأمّة بكلّها فيقول: **(ومن جهة أخرى نطمئنّ إلى أنّ عملنا قد كان إن شاء الله – بتوفيق الله – أنّ عملنا هو بتوفيق الله، وأنّ عملنا هو العمل الذي تتطلبه الظروف، ظروف الأمة، وظروف اليمن، ظروفنا كمسلمين، وواقع ديننا، وواقع أمتنا، أليس هذا هو ما يمكن أن نكتشفه؟ فهل اكتشفنا أننا**

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس العاشر.

(٢) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس العاشر.

أخطأنا – كما يقول الآخرون – أم اكتشفنا أننا بحمد الله على صواب ونحن نعمل هذا العمل؟ إذاً هذا هو مايزيدنا يقيناً، وهذا فيما أعتقد – هي من البشارات التي قال الله فيها عن أوليائه: ﴿هُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾[يونس:من الآية ٦٣] البشارات تأتي أحياناً بشكل ضمانة لك في أعمالك أنها أعمال صحيحة، وأنها أعمال مستقيمة، وأنها الأعمال التي تتطلبها المشكلة، ويتطلبها الزمن، ويتطلبها الواقع.

أليس الإنسان يرتاح إذا اكتشف أنه مصيب، إذا اكتشف نفسه أنه محق؟ الإنسان يرتاح، كما يتألم إذا اكتشف نفسه أنه أخطأ، مع أن الأخطاء في مجال الأعمال الدينية أشد خطورة من الأخطاء في مجال أعمال الدنيا، عندما تكتشف نفسك أنك [بذرت الذُرَةَ] قبل وقتها فقدمتها للطير، أليس الإنسان يتألم أنه يخطئ، أو أنك قطفت [قاتك] وليس السوق مربحاً، أليس الإنسان يتأسف؟ فإذا ما صادف أن أحدنا قطف [قاته] وصادف سوقاً مربحاً، وحصل على مبالغ كبيرة أليس يفرح؟.

في أعمال الدين، في الأعمال التي هي لله رضى أنت تنطلق فيها على أساس رضى الله سبحانه وتعالى، أن تحظى برضاه، تفرح كثيراً عندما ترى بأن عملك صواباً، وأن تحركك في موقعه، وفي وقته ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[يونس: من الآية ٥٨] وقال أيضاً: ﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾[الروم: ١ – ٥] هو يتحدث عن المؤمنين بأنهم يفرحون متى ما حققوا شيئاً فيه لله رضى، ويفرحون متى ما اكتشفوا أنفسهم أنهم يسيرون على طريق هي طريق الله، ويفرحون عندما يكتشفون أنفسهم أنهم استطاعوا أن يضربوا أعداء الله، هكذا المؤمنون يفرحون.

إذا كنت لا تفرح بأي إنجازٍ تعمله من الأعمال الصالحة، وأنت في ميدان المواجهة مع أعداء الله فإن ذلك يعني أن العمل الذي تتحرك فيه ليس ذو أهمية لديك فنتائجه ليست مهمة بالشكل الذي يجعلك تفرح وترتاح ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بنصر الله﴾[الروم:٤] ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[يونس:٥٨]، الشيء السيئ هو أن يكتشف الناس أنفسهم كل فترة أنهم فعلاً قصروا، وأنهم فعلاً فاتتهم الفرصة، وأنهم فعلاً أخطأوا، وأنهم.. وأنهم.

أن يعيش الناس أعمارهم حسرات هذا هو الشيء الذي ينافي الإيمان، هذا هو الشيء الذي هو من نتائج الإهمال والتقصير، هو الشيء الذي يجنيه المقصرون، واللامباليون [آبو هاه، والله إن كان.. لو كان.. لو

كان.. لو كان] ألم يعرض الله عبارة: (لو كان) هي عبارة حسرة وندم، يقولها المقصرون؟ ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾[البقرة: من الآية١٦٧] **﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾**[الزمر: من الآية٥٨] **لو.. لو.. هي تكررت كثيراً في القرآن، منطق من؟. منطق المقصرين، لكن من يعملون، ويتجهون في سبيل الله بأعمالهم هم حتى ولو افترض الأمر أنهم أخطأوا في موقف معين، أو في يوم معين، أو في حركة معينة فإنهم أيضاً من سيستفيدون من أخطائهم، لكن أولئك المقصرين هم عادة لا يستفيدون من أخطائهم؛ لأن المقصر هو من يضيع الفرص، «وإضاعة الفرصة غصة» كما قال الإمام علي** (عليه السلام)، **«والفرصة تمر مر السحاب» كما قال هو أيضاً.**

المهملون، المتخاذلون، المقصرون هم عادة يفوتهم أن يتداركوا تقصيرهم في كثير من الحالات، لكن من هم ينطلقون في الأعمال سيكتشفون أنهم أصابوا فيفرحوا، وقد يكتشفون أنهم أخطأوا في موقف معين، أو في قرار معين، هم أيضاً من سيستفيدون من خطأهم، ما هي أسبابه؟ منشأه؟ نتائجه؟ فيصححون وضعيتهم من جديد، يستفيدون من أخطائهم.. وهكذا المؤمنون يستفيدون حتى أيضاً من أعدائهم)[1].

لقد عمل الشهيد القائد على ربط الناس بالله، وشدّهم إليه، وقدّم للأمة منهجاً قرآنياً يتوارثه الناس جيلاً بعد جيل حتى يتحقق وعد الله المنشود لعباده بالنصر، والتمكين في الأرض، لتكون كلمته هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، والله غالبٌ على أمره، ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون.

وجاهد (رضوان الله عليه)، على كلّ المستويات الثقافيّة، والإعلاميّة، والسياسيّة، والعسكريّة، وواجه تكالب العدوان، والطغيان، بصدرٍ رحب، وإرادة لا تقهر، وعزيمة لا تلين، يستقي منه الأحرار، والثوار، والكرماء، والأعزاء، دروسهم كلّ حين، وعُرف بالشجاعة، والكرم، والصدق، والنزاهة، والإستشعار العالي للمسؤولية، والثقة المطلقة بالله سبحانه وتعالى، والمبادرة، والمسارعة، واتخاذ القرارات الحكيمة في السّلم، والحرب، والعلاقة الحميمة بالقرآن الكريم، والإقتران به، وبذل الجهد لرفع الظلم عن كاهل الأمّة في كل مكان، كما عرف بكلّ صفات البرّ، والخير، والإحسان، والتقوى، والعمل الجاد ليلاً، ونهاراً على تصحيح كلّ الرؤى، والمفاهيم.

(١) محاضرة خطر دخول أمريكا اليمن.

المحـــــور الثاني

كيف نهتدي بالقرآن الكريم

كيف نهتدي بالقرآن الكريم

يعتبر المشروع الذي قدّمه السّيد حسين "رضوان الله عليه" للأمّة مشروعاً قرآنياً في الأساس، يعتمد على القرآن الكريم ككتاب للحياة تهتدي به الأمّة في كلّ مجالات حياتها، وتسير وفق توجيهاته الحكيمة، وبالرغم من أنّه كتابٌ صغيرٌ جدّاً في حجمه إلاّ أنّه يعتبر الكتاب الشامل الذي لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها، وتناول كلّ جوانب الحياة العامّة والخاصّة، وكما قال الله: ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾[الأنعام:٣٨]، وقد اشتملت الدّروس والمحاضرات للشّهيد القائد على الرؤية القرآنية الشّاملة، وقدّمها للأمّة بشكلٍ متكامل، لذا أنّ مسيرة أنصارالله هي مسيرة قرآنية شاملة تجاوزت كلّ الأطر المذهبيّة، والطائفيّة، والمناطقيّة، والحزبيّة، تحمل رسالة عالميّة هي رسالة القرآن الكريم، التي تعتبر امتداداً حقيقياً لهدى الله، ولرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله وسلم)، ويعتبر السّيد أنّ القرآن الكريم هو المنهج الذي من سار عليه واتبّعه ستكون كلّ خطواته، وتوجّهاته، وقراراته صحيحة فيقول: **(ما دمت تتحرك في إطار القرآن فكل شيء يأتي من عندك سيكون صحيحا عندما تقول به تصدق، تعمل به تريد الأجر من الله يحصل لك أجر، تحكم به تعدل)**[1].

ويؤكّد السّيد أنّ القرآن الكريم هو القناة الوحيدة، والمصدر الوحيد لتلقي البيّنات التي يجب أن نهتدي بها في هذا العصر فيقول: **(القرآن الكريم هو فعلا القناة التي يجب أن نتلقى منها البينات التي يجب أن نهتدي بها في هذا العصر)**[2].

القرآن الكريم كتابٌ عمليّ

يعتبر القرآن الكريم كتاباً عملياً، ولكي نهتدي به لا بدّ أن نتعامل معه بروحٍ عمليّة، ونفوسٍ متحرّكة فهو ليس كتاباً للتلاوة، والترانيم، والأجر، والثّواب فقط، بل هو كتاب عملٍ وحركة،

(١) سورة المائدة الدرس الثالث.

(٢) سورة المائدة الدرس الثالث.

وحكمةٍ، وبصيرة يهدي في واقع الحياة، وواقع النّفوس يقول السيد: **(القرآن كتاب عملي ليس فقط للترانيم كتاب عملي للحياة وللنفوس تهتدى وتتحرك على أساسه، كل شيء فيه مهم فهو يوجه حتى بأساليبه)**[1].

ويضيف السّيد أنّه يجب علينا أن نهتدي بالقرآن الكريم، وأن نقف مواقفه، وأن نكون أقوياء بقوّة القرآن، ونتحرّك في الحياة بأساليبه: **(يجب أن نهتدي بهدى الله، وأن نقف موقف القرآن، وأن ننطلق بأساليب القرآن، وأن نكون أقوياء بقوة القرآن، والا فسنكون نحن من يتجنى على حكمة الله، وعدله، وحكمته)**[2].

وكلّ ما هدانا الله إليه في القرآن الكريم هو وحده المنهج الصحيح الذي لا يمكن أن تستقيم حياة البشر وتنتظم إلاّ به يقول السيد: **(كل ما هدانا إليه في كتابه الكريم حتى لولم يكن وراءه جنه لكان هو وحده المنهج الصحيح الذي لا تستقيم حياة البشر إلاّ به)**[3].

ويعتبر القرآن الكريم هو كتاب الحياة الوحيد الذي نهتدي به في كلّ شؤون حياتنا، ومن خلاله نستطيع أن نتعرّف على الواقع بكلّ تفاصيله، ووقائعه، وأحداثه، ونعرف من خلاله وبه الحياة بكلّها يقول السيد: **(القرآن الكريم هو وحده اذا ما حاولت أن تهتدي به ستعرف نفسك من خلاله كتاب عملي تعرف نفسك من خلاله، وتعرف أيضاً الآخرين من خلاله، وتعرف الفنون الأخرى من خلاله، وتعرف الحياه كلها من خلاله، وتعرف إلهك بالشكل الذي يليق بك كعبد له أن تعرفه به، تتجلى لك الأمور، تتجلى لك المواقف)**[4].

القرآن يبني الأمّة السبّاقة في كلّ المجالات

التّخلّف الشّديد، والتراجع الرّهيب الذي تعاني منه الأمّة هو بسبب أنّها لم تهتد بالقرآن الكريم، ولم تعتمد عليه ككتاب حياة، فضّلت وتاهت، وتراجعت، وضعفت، بل تنكّرت

(١) سورة المائدة الدرس الثالث.
(٢) سورة المائدة الدرس الثالث.
(٣) دروس معرفة الله الثقة بالله الدرس الأول.
(٤) دروس معرفه الله نعم الله الدرس الثاني.

الأمّة للقرآن للكريم وللدّين، وأصبح هناك الكثير من العلمانيّين الذين يرون أنّ القرآن الكريم والدّين لا يصلح للحياة، بينما لو اهتدت الأمّة بالقرآن، وسارت وفق توجيهاته وتعليماته لكانت هي الأمّة السبّاقة والرّائدة، والمتقدّمة في هذا العالم في مختلف فنون ومجالات الحياة يقول السيد: **(عندما تنكرنا لديننا أصبحنا فعلاً بيئة صالحة لتقبل الدعايات ضد الدين، بل أصبح الواحد منا يرى نفسه متحضراً بمقدار ما يتحلل من قيم دينه، بمقدار ما يتنكر لدينه وإلهه، فالقرآن لا شيء؛ ولهذا أصبح في المجتمع الإسلامي علمانيون كثير، علمانيون يتنكرون للدين، ويسخرون حتى من المرأة عندما تلبس الحجاب الإسلامي ويرون فيه مظهراً للتخلف. نقول لهم: لا تحمِّلوا الدين المسئولية، حملوا أولئك الذين نقلوا لكم الدين بشكل مغلوط، ارجعوا إلى القرآن أنتم.**

والآخرون الذين أنتم منبهرون بهم هم من شهدوا لهذا القرآن، هم من تجلى على أيديهم من خلال ما أبدعوا إعجاز هذا القرآن. ارجعوا أنتم إلى أولئك الذين قدموا لكم الدين بشكل مغلوط، وشغَّلوا تفكيرهم في المجال الذي قد ضمن لهم، وصرفوه عن المجال الذي أريد أن يتحركوا فيه، أريد لهم من خلال دينهم هو أن يتحركوا فيه، ارجعوا إليهم فتنكروا لما قدموه لكم، وعودوا إلى القرآن من جديد لتعرفوا كيف أنّ القرآن كان بإستطاعتنا لو مشينا على هديه وعلى إرشاده أن نكون نحن الأمة السباقة حتى في مجال التصنيع، والإختراع، والإبداع في مختلف الفنون..)[1].

بل عمل القرآن الكريم على أن يدفع بالمسلمين للسّبق الحضاري، والعلمي من دافعٍ عقائديّ وإيمانيّ، قبل منطلقات، ودوافع الحاجة، والظّروف الذي انطلق من خلالها الغربيّون اليوم يقول السيد: **(القرآن الكريم عمل على أن يدفع بالمسلمين نحو أن يسبقوا الأمم الأخرى في مجال الإبداع، والإختراع، والتصنيع من منطلق عقائدي ودافع عقائدي قبل دافع الحاجة التي أنطلق على أساسها الغربيون الحاجة والفضول هذا شيء، لكن القرآن أراد أن ننطلق في ما نفهم، أن ننطلق باعتبار هذا عبادة، بدافع عبادي (تفكروا) (يتفكرون) والتفكر ما هو؟ دراسة الأشياء، فهمها، متى ما فهمنا هذه العناصر في هذه الأرض فبطابع الفضول الموجود لدى الإنسان سنحاول أن نجرب كيف سيكون إذا أضفنا هذا إلى هذا، بعد أن عرفنا طبيعة هذا العنصر وطبيعة هذا العنصر، كيف إذا أضفنا هذا إلى هذا بنسب معينة زائد نسبة من هذا ماذا سيحصل؟ قد يحصل كذا فتأتي التجارب)**[2].

(١) دروس معرفة الله نعم الله الدرس الثاني.

(٢) دروس معرفة الله نعم الله الدرس الثاني.

القرآن يطمْئِنُ من يسيرون عليه

يؤكّد السّيد أنّ من يتحرّكون بحركة القرآن الكريم، ويسيرون على هداه، واتّباع تعاليمه، وإرشاداته في الحياة يطمئنهم بصحة أعمالهم، ومواقفهم، ويبشّرهم بتحقق النجّاحات في مسيرتهم العمليّة، وبأنّ الله معهم، بينما من لا يسيرون على القرآن الكريم يتخبطون، ويتيهون، ويعيشون في حالة من الشّكّ، والتّأرجح ،والإرتياب، وتكون كلّ نتائج أعمالهم، وتحرّكاتهم سيئة، وعاقبتها وخيمة يقول السيد: **(ويقول سبحانه:﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾**[النحل٨٩] **المُسلِّمين أنفسهم لله، المسلّمين أنفسهم لله، بشرى، لاحظ كلمة: بشرى، هي تتنافى مع مسألة النظرة المعتمة إلى الدين، بشرى في الحياة نفسها، والقرآن الكريم ذكر أمثلة للبشرى هذه.**

عندما يكون الناس ينطلقون في حركة قرآنية وعلى هدي الله يجدون أشياء كثيرة تطمئنهم جدا، ويرتاحون لها جدا، بشارات بنجاحات في أعمالهم، بشارات بأنّ مواقفهم صحيحة، بأن حركتهم ثابته، بشارات بأنّ الله معهم مثلما ذكَّر بالمطر في بدر، مثلما ذكَّر بالرياح في الأحزاب، مثلما ذكَّر بالملائكة في بدر، مثلما ذكَّر بكذا .. أليست من هذه بشرى؟ بشرى هنا في الدنيا، وتبشير بالعاقبة، بالجزاء العظيم في الآخرة بالجنة ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾[يونس٦٤].

لكن الذي لا يمشي على هداه، يكون كل مرة والتطمت عليه، كل مرة وعرف أنه تورط، أنه قلعب على نفسه، أنه غلط، وهكذا، فتكون النتيجة شؤم، تكون نتيجة أموره في الأخير تطلع شؤم، تسيئه، تسوء وجهه، مقابل البشرى، هنا هو يقول لك بشرى)[1].

ويعتبر القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي ينبغي أن نسير على توجيهاته وتعاليمه، ونتعلّمه، ونعلّمه، ونتثقّف به، وهو الكتاب الواسع الأفق الذي سيرتقي بنا، وبمداركنا لأنّه لا يوجد ما هو أرقى وأكمل من القرآن الكريم يقول السيد: **(القرآن هو الذي يجب أن نتحرك على أساسه، ونهدي به، ونهتدي به، ونرشد به، ونتثقف به، وهل بالإمكان أن تفترض أنه ما يزال هناك شيء أكمل منه؟ لا، لا يعد ذلك ممكناً. إذا كان يوجد شيء هناك، في مسيرة الحياة، في متغيراتها، هو مصدر هداية فلن تهتدي به إلا من خلال رؤية قرآنية، فيكون امتداداً للهدى القرآني، امتداداً لهدى**

(١) مديح القرآن الدرس الأول.

الله في القرآن الكريم)[1] .

ويرى السّيد "رضوان الله عليه" أنّنا الآن في مرحلة يجب أن لّا نكون مضغوطين فيها بأيّ شيء، ولا بأيّ أطر، فينبغي أن يكون لدينا حرص وتوجه للإهتداء، والتثقف بالقرآن الكريم، لأنّه من سيوسّع من نظرتنا فيقول: **(نحن الآن في وقت ذهنية ما هي مضغوط عليها بهذا الشكل، وقت أن يكون لدينا حرص على أن نتثقف ثقافة إسلامية، قرآنية، نظرة قرآنية، ثقافة قرآنية، موقف قرآني، والقرآن هو يعلمك كيف تكون نظرتك وأين حدود نظرتك)**[2].

القرآن عميق في إتجاه واحد

يعتبر القرآن الكريم عميقاً جداً لا يستطيع أحدٌ أن يحيط بسعة علومه، ومعارفه، ولكنّه عميقٌ في إتجاه واحد، فمهما بلغ عمقه، وسعة معارفه إلاّ أنّه يعطي رؤيةً واحدةً وشاملةً يقول السيد: **(القرآن ما يتلون مع كل مزاج يقول لك يحتمل ويحتمل هو عميق، عميق في إتجاه واحد، في إتجاه واحد شامل، لا يوجد أنه ممكن يتأقلم معك ويتأقلم معي غير صحيح هذا، ممكن يعطيك وجه ويعطيني وجه، يعطيك رأي ويعطيني رأيا معاكس، غير صحيح هذا أبدا)**[3].

ويؤكّد السّيد على بطلان مقولة أنّ القرآن "حمّال أوجه" لأنّ هذا يتنافى مع قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ**﴾[هود١]، ويعتبر السّيد أنّ هذا من التّثقيف الذي يضرب الهدى، والنّور داخل القرآن الكريم، ويؤدّي إلى الإختلاف والتناقض فيقول: **(ألم يضربوا هم القرآن في الأخير؟ طلّعوه ظنيات، طلعوه حمّال أوجه، طلعوه ممكن يتأقلم مع هذا، ويتأقلم مع هذا! هذا غير صحيح، إن الله قال فيه: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾[هود١] آيات محكمة، هل هذا من الإحكام؟ أنه يتأقلم مع كل واحد، ويعطي كل واحد معنى يخالف المعنى الآخر؟ لا يصح هذا، ولا من صح أن يكون تفصيل، ولا بيان، ولا هدى، ولا نور، وكان هذا هو الاختلاف، والتناقض، لو كان سيعطي كل واحد وجه، ويتمشى مع كل واحد، وجوه متناقضة، آراء مختلفة، وجوه متباينة، ويقول لك: هذه كلها، القرآن حمّال أوجه)**[4].

---

(١) مديح القرآن الدرس الأول.
(٢) مديح القرآن الدرس الثاني.
(٣) مديح القرآن الدرس الثاني.
(٤) مديح القرآن الدرس الثاني.

ويضيف السّيد أنّ هذا التثقيف الأصولي المغلوط هو مما ساهم في ضرب الثّقة بالقرآن الكريم فيقول: **(أليس هنا يوجد تثقيف يضرب الثقة بالقرآن؟ هذا تثقيف يضرب الثقة بالقرآن يقول لك: سيطلع معنى الآية كذا، وغيره ممكن يطلع لك معنى آخر!. وضرب القرآن على يد من؟ على يد أصحاب أصول الفقه، على يد أصحاب أصول الفقه طلعوا القرآن بالشكل هذا)**[1].

ويؤكّد السّيد أنّه لا بديل عن القرآن الكريم، ولا غنىً للأمّة عنه فيقول: **(لن تجد شيئا يمكن أن يكون بديلا، أو يغني عن القرآن، لا تجد شيئا على الإطلاق)**[2].

ويبيّن السّيد أنّ الأمّة الّتي لا تسير على القرآن، هي أمّة معرّضة للضّلال، والضّياع، والإختراق، بينما من يسيرون على القرآن لا يأتيهم الباطل أبداً، ولا يجدون أيّ مجالٍ للتّأثير عليهم، لا في نفوسهم، ولا في واقع حياتهم، بل يكون في الباطل نفسه ما يعزز ثقتهم، ومعرفتهم بالحقّ الذي يسيرون عليه يقول السيد: (﴿**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[فصلت٤٢] **لا يوجد فيه منفذ للباطل على الإطلاق، لا يتطرق إليه الباطل، لا أن يكون شاهداً على باطل، ولا أن يُلحق به باطل، ويُفرض عليه باطل، فيُضَّمن معانيه ويضَّمن ما يدل عليه.**

هنا كل ما يأتي من كلام حول القرآن هو بالشكل الذي يجعل الناس الذين يسيرون على حركة القرآن بهذا الشكل، فأي باطل ما يستطيع أن ينال منهم، إذا أنت تتثقف بثقافة القرآن، ومعرفتك معرفة القرآن، ورؤيتك رؤية القرآن، ما كل ما حولك باطل؟ أي باطل في حينه ما عاد يمكن ينال منك، ما يمكن يؤثر عليك نهائياً، بل أي باطل يبدي برأسه عليك سترى فيه شاهداً على أنك على حق، يكون بهذا الشكل، تكون القضية بهذا الشكل، لا يعد هناك باطل إلا يفيدك أنت رغماً عنه، الباري جعل القضية بهذا الشكل: أن الباطل يفيد الحق رغماً عنه، ويكون في نفسه شهادة على أن الحق حق، وأنه هو باطل رغماً عنه.

---

(١) مديح القرآن الدرس الثاني.

(٢) مديح القرآن الدرس الثالث.

فإذا الإنسان لا يسير على القرآن يدخل الباطل من بين يديه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته ومن كل مكان يدخل له، في نفسيته وفي واقعه. ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فُصِّلَت:٤٢] حميد: من الحمد من المجد. ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾!! البعض يقرؤها دون أن يكون لها أي أهمية عنده.

هذه الآية هامة جداً: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فُصِّلَت:٤٢] هنا يقول لك: امشوا عليه تصبحون أنتم بالشكل الذي لا يستطيع الباطل يتطرق إليكم، لا في نفوسكم، ولا في واقع حياتكم نهائياً. وفعلاً تجد إلى ما يهدي إليه في بقية الأشياء أنه بالشكل الذي لا يعد يرى الباطل له مكاناً في الدنيا هذه، لا يعد يرى له مكان؛ ولهذا كان تثقيفه يقوم للمؤمنين على أساس السبق، المبادرة، العمل على أساس الاحتمالات المستقبلية)[1].

والأمّة الآن، وفي هذه اللّحظات، والظّروف الحرجة، والصّعبة في واقعها وظروفها هي أحوج ما تكون للعودة الجادّة والصادقة إلى القرآن الكريم كما يوضّح السّيد فيقول: **(الناس الآن أحوج ما يكونون إلى القرآن في الزمن هذا بالذات)**[2].

والقرآن الكريم هو البرهان القاطع على كلّ ما هو صواب وحق، وهو الكتاب الواسع الذي لا حدود لسعة علومه، ومعارفه في إطار ومسار واحد، ويفتح أبواباً واسعةً جدّاً للهداية الشاملة، فهو تبيانٌ لكلّ شيء، وبرهانٌ على كلّ شيء يقول السيد: (**﴿قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾**[النساء:١٧٤] **كلمة برهان أحياناً تأتي بعبارة مفردة، ما يقول برهان على كذا، وأحياناً ما يقول تبياناً ويجعلها مثلاً قضية خاصة، ما هو يقول: تبياناً لكل شيء؟ هنا أيضاً برهان لكل شيء، برهان على كل شيء؛ لأن كل شيء لا يخرج عن كونه صح أو خطأ، عن كونه هدى أو ضلال، عن كونه حق أو باطل، لا يخرج شيء عن كونه هكذا.**

فالقرآن يعتبر برهان على كل ما هو صواب، وكل ما هو حق، وكل ما هو هدى بطريقة مباشرة، وبطريقة يهدي إلى قضية تهدي إلى ألف قضية في إطارها)[3].

---

(١) مديح القرآن الدرس الثالث.

(٢) مديح القرآن الدرس الرابع.

(٣) مديح القرآن الدرس الرابع.

القرآن أوسع من الزمن

يعتبر القرآن الكريم أوسع من الزّمن، فهو كتابٌ واسعٌ جدّاً لا حدود زمنيّة، ومكانيّة له، ولا لعلومه، ومعارفه فيصبح منتهياً، أو عاطلاً عن العمل، ولا يمكن أن يسبقه، ويتجاوزه الزّمن، بل هو كتابٌ يسبق الزّمن حقيقة، ويواكب الحياة البشريّة بكلّ سعتها وزمنها، وكأنّه جديدٌ دائماً في كلّ زمنٍ وعصر يقول السيد: **(القرآن طري دائماً، لكن لا يعرف طراوته .وإلا بيطلع غُبيب، يطلع غُبيب له ألف ومدري كم سنة جالس. إلا من يتحركون على أساسه، من يتحركون على أساسه يجدونه طرياً دائماً، يجدونه يهدي دائماً، يجدونه يتحرك دائماً. طيب نصه، نفس النص هو قديم، أليس النص قديم حقه من يوم نزل؟ له ألف وأربعمائة سنة نفس النص من يوم نزوله؟ لكن القرآن نفسه، يقدم نفسه وكأن الآية نزلت الآن، في حركة الحياة، فيما يهدي إليه، فيما يهدي إليه، وكأنه جديد دائماً.**

يعني ما موضوع جِدَّته مرتبط بالجانب البلاغي في النص، في النص نفسه، ليس لهذا فقط، فيما يهدي إليه، فيما يكشفه، فيما يرشد إليه، فمن يقرأه بتفهم يهديه إلى أن يكون عنده فهم لمعانيه سيكون هو من يفهم بلاغته، ويفهم فصاحته)[1] .

والقرآن الكريم هو كتاب الهداية الوحيد الذي لا بديل، ولا غنى عنه، والأمّة التي لا تهتدي بالقرآن هي أمّة لن تهتدي أبداً كما يقول السيد: **(الناس اذا أصبحوا لم يعودوا يهتدون بالقران فليس هاك شيء آخر على الإطلاق يمكن أن يهتدوا به نهائيا)**[2] .

ومن السّنن الثابتة في القرآن الكريم أنّ الله لا يوجّه بشيء، ويأمر بشيء إلاّ ويهدي إلى الطرق والأسس التي يقوم عليها، وتؤدّي إليه يقول السيد: **(لأنّ هذه سنة في القرآن الكريم أن الله لا يهدي إلى شيء أو يأمر بشيء إلا ويهدي إلى الطريقة التي يقوم عليها وتؤدي إليه الأسس التي يقوم عليها، الطريقة التي تؤدي إليه هو لا يقول كذا ثم يتركك لوحدك، التوحد ما هو، وكيف يكون،**

(١) مديح القرآن الدرس الرابع.
(٢) مديح القرآن الدرس الرابع.

ما أسسه؟ ما الذي يجعل الأمة قريبة من أن تتوحد، رسمها في القرآن الكريم بشكل كامل)[1] .

ويقول السّيد عند قول الله سبحانه تعالى: ﴿كِتَـابٌ أُحْكِمَـتْ آيَاتُـهُ﴾[هود١] أنّه حكيمٌ في وقائعه، وحقائقه، ومعانيه، فكلّ ما مضى الزمن تجد القرآن الكريم أوسع منه وأشمل، مؤكداً أنّه لا توجد آية في القرآن الكريم إلاّ وهي ترسم منهجاً عملياً في الحياة فيقول: **(أحكمت ليس معناها أنها مشدودة بصواميل، أشياء من هذه حكيمه جدا جدا تعطي معاني واسعة، ومعاني واقعية، وحقائق هامة مع الزمن كل ما مشى الزمن تجده ما يزال القرآن أكثر منه ما يزال القرآن أكثر منه وأكثر مما يتطلبه الزمن هذا، أكثر مما يتطلبه الزمن نفسه، هذه الآية نفسها هي أيضا ترسم لنا منهجاً، ما تجد في القرآن آية إلا ولها علاقة بموضوع المنهجية، أي السلوك الذي تسلكه أنت وأنت تتحدث مع الآخرين، أو تدعو الآخرين، أو تناظر)**[2] .

ويؤكّد السّيد أنّه كلّ ما مرّ الزّمن ومضى، وكلّما تعاقبت العصور، واتّسعت شؤون الحياة، كلّما اتّضح القرآن، وفهم بشكلٍ أدقّ، وأفضل، وأوسع، فيتناول كلّ شيء على أفضل وأرقى مستوى يقول السيد: **(في الأزمنة هذه يأتي مثلاً مجموعة قانونيين، خبراء في القانون، أو منظرين ويعملون مثلاً دستوراً معيناً، أو قانوناً معيناً، عندما تمر عليه مثلاً ثلاثون سنة، أربعون سنة، يعتبر قد هو قديم، وقد هو بحاجة إلى تغييرات كثيرة، ثلاثون سنة، أربعون سنة، قد ظهر أنه لم يعد متناسباً مع الزمن هذا، بعد ثلاثين سنة، أربعين سنة، تغييرات كثيرة داخله، ما بالك مئات السنيين تمر على القرآن وتجده كلما مشى الزمن كلما اتضح بشكل أفضل وأفضل، وأفضل، كلما تفهمه بشكل أفضل، وكأنه يتناول كل شيء، وكأنه يتناول كل شيء على أرقى، على أرقى مستوى.**

قد تترسخ القضية لدينا: [أن القرآن مسكين الله، والدين هذا مسكين الله عوينه ندافع عنه احنا] أليست هكذا تترسخ؟ لا...، القضية أرفع من هذا، أنك أنت، أنت الذي بحاجة إليه، ما هو في فضلك، حقيقة، أنت ملزم أن تسير عليه، أنت محتاج إليه كمنهج في الحياة، أنت محتاج إليه أمام أي

(١) مديح القرآن الدرس الرابع.
(٢) مديح القرآن الدرس الخامس.

إشكالية تواجهك، عدو، أي إشكالية كانت أنت بحاجة إلى هدي الله، أنت بحاجة إلى القرآن)[1].

بل لا يوجد أيّ حدود وعوائق أمام القرآن الكريم، وسعته، وغزارته على الإطلاق، فهو كتابٌ للحياة، وللبشريّة بكلّها، وواقع البشريّة اليوم بكلّه يشهد على أنّها بأمس الحاجة للقرآن الكريم يقول السيد: **(القرآن لا يوجد أمامه حدود يجب أن تنظر نظرته وتعرف أنه هو نزل وما هناك أمامه حدود لا يوجد أمامه حدود على الإطلاق هو للحياة كلها للبشرية كلها، كلما ترى صور من صور البشرية في أي بلد من البلدان خارج حدودك تراها بأنها في واقعها تشهد على حاجتها إلى القرآن الكريم، وإلى هديه، وأنها تقدم فيما هي عليه من خطأ في مسيرتها شاهداً على بطلان الأسس التي تتحرك عليها، منهجيتها الثقافية، ونظمها التي تسير عليها)**[2].

ويؤكّد السّيد أنّ القرآن الكريم لا يتأطّر بحدود، وزمن، وجغرافيا معيّنة، بل نظرته، وحدوده واسعة، وشاملة للحياة، وللكون، وللبشريّة بكلّها يقول السيد: **(القرآن هو نفسه يعتبر هنا هو الذي يفسر نفسه له، هو الذي يقدم نفسه له، هو الذي يفتح أبواب علومه له.. تدبر، تأمل، والقرآن هو يقدم نفسه لك، ولكن أيضاً على هذا الأساس؛ لأن مفاتيح معرفته هي مرتبطة بهذا الجانب بمعرفة الله، وبتحمل مسؤولية في الحياة تحت أنصار الله، أنصاراً لله، هذا في الحياة، وتنظر نظرة القرآن، لو تقصر نظرتك عن القرآن تحجب عن نفسك علوماً كثيرة جداً.**

نظرة القرآن نظرة للحياة كلها، نظرة للكون كله، أليس هكذا؟ لا تأتي تحجمه أنت بنفسيتك الضعيفة مثلاً، أو حتى جغرافيتك. لاحظ الآن كيف اتحجمت المسؤولية بالجغرافيا عندنا، اليمني مثلاً يرى نفسه وكأنه غير مسؤول عن واحد من [عَلْبٌ] وكذاك، وعن واحد من [سقطرة] وكذاك! أليست هكذا؟)[3].

ويضيف السّيد أنّ القرآن الكريم يقدّم لنا المنهجيّة الصحيحة للحياة، والنّظام الصحيح فيها في كلّ مختلف المجالات التربويّة، والمعنويّة، والسياسيّة، والإقتصاديّة ...الخ بشكلٍ متكاملٍ، وصحيح فيقول: **(لأنه من خلال القرآن الكريم تفهم ما هي المنهجية الصحيحة في الحياة، والنظام**

(١) مديح القرآن الدرس الخامس.
(٢) مديح القرآن الدرس الخامس.
(٣) مديح القرآن الدرس الخامس.

الصحيح في الحياة، وتجد أن القرآن هو يقدم في الجانب التربوي، في الجانب المعنوي، في الجانب السياسي، في الجانب الإقتصادي، في جوانب كثيرة جداً .. كامل في كل جانب، وكل الجوانب مع بعضها بعض تشكل تكامل، لا يوجد تناقض هنا أو هنا نهائياً، ولا هذا الموضوع ينقض هذا الموضوع)[1] .

كيف نهتدي بالقرآن الكريم؟

لا بد أن نعرف كيف نهتدي بالقرآن الكريم، وعلى يد من نتعلّمه، وممن نأخذه، وإذا لم نعرف ذلك فسيأتي من المضلّين من يقدّم لنا القرآن الكريم بشكلٍ مغلوط، ويستخدمه وسيلة للضّلال كما حصل وهو حاصل لدى المسلمين اليوم، ومن الأسس المهمّة والضّامنة في فهم القرآن الكريم والإهتداء به أن نعرف أنّ للقرآن الكريم ورثة، وحملة، وقرناء، وأعلاماً، يصطفيهم ويختارهم الله سبحانه وتعالى لهداية الأمّة، يقول السيد: **(من أمثلة هذه أنني إذا لم اهتد بالقرآن لأعرف أسس الهداية، ومصادر الهداية، إذا لم يكن عندي قابلية لهذه فسأكون في نفس الوقت قابل لأن أضل من أعلام ضلال، يقدم لي القرآن ضلال، هذا ممكن. ألست تجد كثيراً من أهل الباطل، كثيراً من أهل العقائد الباطلة، يحاول يقدم نصوصاً من القرآن؟ يقدم نصوصاً من القرآن، يحاول يقدم أحاديث مكذوبة على النبي، أنت تقبله من منطلق ماذا؟ أن الله قد قال في القرآن:﴿وَمَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[الحشر ٧] أليسوا يستخدمون هذه؟.**

يقول لك هذه أحاديث عن رسول الله، وهي عندنا صحيحة. يقولون لك هكذا، وأنت عليك أن تقبل؛ لأن الله قال:﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[الحشر ٧] ألم يطلع لك الآية بالشكل الذي تشدك إلى ضلال فيصبح القرآن اذا لم تعرف من أين تأخذه؟ وعلى يد من تهتدي به؟ وممن تقبله؟ فسيقدمه الأخرون وسيلة للإضلال، يقول لك: الله يأمر بالفحشاء، يأمر بالمعاصي، هو يحمل الإنسان على المعصية، هو يقضي بالمعصية، ويقدر المنكرات! وأشياء من هذه.. ثم أليس هو في الأخير يقدم لك آيات؟ يقدم آيات.

---

(١) مديح القرآن الدرس الخامس.

طيب من أين جاءت المشكلة بالنسبة لك؟ أنك ما قبلت هدي القرآن في ماذا؟ في إلى من تتجه، وممن تقبل الهدى، يأتي ليقول لك: الله قال:﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾[الرعد٢٧] ﴿وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ﴾ [البقرة٢٥٣] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[الإنسان٣٠] ويخليك تعتقد باطلاً في الله عن طريق ماذا؟ تقديمه للقرآن.

هذه واحدة من أمثلة هذه.. فإذا أنا لم أُقبل على هداه، إذا لم أُقبل على هداه، وهداه ليس فقط تفصيليات بالنسبة لكل شخص. هو يهدي إلى أسس هي مصدر هداية، يهدي إلى أعلام، مثلما قال الإمام الهادي: (القرآن يدل على العترة، والعترة تدل على القرآن))[1] .

وقد هدى الله في القرآن الكريم نفسه إلى قضيّة الأعلام والهداة، الذين يهدون الأمّة بالكتب التي يُنزّلها الله إليهم، وهؤلاء الهداة في المقام الأول هم أنبياءُ الله ورسله، ومن بعدهم ورثتهم الذين يسيرون في الأمّة بسيرتهم وطريقتهم، وقد هدى الله وأرشد في القرآن الكريم إلى قضيّة المنهج الذي تسير عليه الأمّة، والقدوة الذي يهدي الأمّة بهذا المنهج يقول السيد: **(وأنه يرشد إلى منهج وقدوة، أليس كذلك؟ يرشد إلى كتاب ينزل من عنده، ورسول يصطفيه من عباده، رسول هو خاتم النبيين، فلا بد أن يكون هناك أعلام للأمة من بعده يسيرون بسيرته، وليكن في المسألة كفاية؛ لأن يكون من جهة الله وهو يرى أن فيها الكفاية للأمة، وورثة من أهل بيت نبيه، هم لا يرقون بالطبع إلى درجة أنبياء، إنما هم ورثة لنبيه يسيرون بسيرته يهدون الأمة بهديه، يكونون هم أعلام دينه وأعلام هديه، تلتف الأمة حولهم)**[2] .

ويؤكّد السّيد أنّ من الآليات المهمّة في فهم القرآن الكريم والإهتداء به هو أن نعرف أنّ القرآن الكريم كتابٌ متحرك فنتحرّك بحركته، ومن يتحرّك على أساس القرآن الكريم سيجد أثر وبركة القرآن في نفسه، وموارده، ومصادره كما يقول السيد: **(عندما تتحرك على أساس القرآن ترى عجائب القرآن نفسه في مواردك ومصادرك، يعني في كل حركتك، أليست هذه من أهم الآليات؟ إذا هي تقدم هناك آلية يقول لك: اقرأ علوم الآلة، اقرأ، اقرأ وستفهم القرآن!.. من**

(١) مديح القرآن الدرس السادس.

(٢) سورة آل عمران الدرس الأول.

الآليات الهامة هو أن تعرف أن القرآن متحرك، فتتحرك بحركة القرآن، وهنا ستفهم من القرآن، تفهم أشياء كثيرة جداً، هذه هي من الآليات)[1].

ومن الأسس المهمّة في الهداية، والإهتداء بالقرآن الكريم هو أن نعرف أنّ القرآن الكريم ليس كتاباً منفصلاً عن الله سبحانه وتعالى، ولا بديلاً عنه، بل هو كتابٌ من أسسه المهمّة أنّه يشدّنا ويهدينا إلى الله سبحانه وتعالى، ويربطنا به، فيتدخّل الله ويهدينا به ومن خلاله، يقول السيد: **(أنّ من أسس القرآن هو الشد إلى الله، والهدى إلى الله، لا تفهم على الإطلاق أن القرآن ممكن أن يكون بديلاً عن الله، تتحرك تقول: قد معنا منهج مرسوم، وعلى أساسه قد، قد... وما عاد لك علاقة بالله! من أسسه الهامة، أنه يشدك إلى الله، هذه واحدة، والله يتدخل هو يهدي به، ومن خلاله يهدي هو، ما يزال يهدي هو)**[2].

وفي سورة آل عمران الدرس الثاني يؤكّد السّيد أنّ الله لم يجعل شيئاً بديلاً عنه في علاقتنا به سبحانه وتعالى، ولا حتّى القرآن الكريم ليس بديلاً عن الله، بل أكثر ما فيه، ومن أكثر مقاصده أنّه يشدّنا ويهدينا إلى الله، وتعتبر العلاقة القويّة بالله هي مفتاح الإهتداء بالقرآن الكريم، والقرآن الكريم هو باب معرفة الله سبحانه وتعالى، وإذا لم نكن مشدودين إلى الله، ولم تكن علاقتنا به قويّة فلا يمكن أن نهتدي بالقرآن يقول السيد: **(وصلنا أمس إلى أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل شيئاً بديلاً عنه في علاقتنا به، وحتى القرآن الكريم ليس بديلاً عن الله إطلاقاً، بل هو من أكثر ما فيه، وأكثر مقاصده، وأكثر ما يدور حوله هو أن يشدك نحو الله.**

الله ليس كأي رئيس دولة، أو رئيس مجلس نواب يعمل كتاب قانون فنحن نتداول هذا الكتاب ولا نبحث عمن صدر منه، ولا يهمنا أمره، ما هذا الذي يحصل بالنسبة لدساتير الدنيا؟ دستور يصدر، أنت تراه وهو ليس فيه ما يشدك نحو من صاغه، وأنت في نفس الوقت ليس في ذهنك شيء بالنسبة لمن صاغه، ربما قد مات، ربما قد نفي، ربما في أي حالة، ربما حتى لو ظلم هو لا يهمك أمره.

لكن القرآن الكريم هو كل ما فيه يشدك نحو الله، فتعيش حالة العلاقة القوية بالله، الشعور

(١) مديح القرآن الدرس السادس.

(٢) مديح القرآن الدرس السادس.

بالحب لله، بالتقديس لله، بالتعظيم لله، بالالتجاء إليه في كل أمورك، في مقام الهداية تحتاج إليه هو، حتى في مجال أن تعرف كتابه.

﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً﴾[الأنفال: من الآية٢٩] **ألم يتحدث القرآن عن التنوير، والنور، والفرقان، التي يجعلها تأتي منه؟ ليس هناك شيء بديلاً عن الله إطلاقاً، فأن تأتي للقرآن الكريم هو، هو، وليس في ذهنك الله سبحانه وتعالى، العلاقة القوية بالله، الثقة القوية بالله؛ فإن القرآن في الأخير لا تستفيد منه)**[1].

ويضيف السّيد أنّ من طرق الإهتداء بالقرآن أن لا ندخل إليه كمعلّمين، ومفسّرين من خلال قواعد وعلوم معيّنة تعلّمناها، بل ندخل إليه بروحيّة ونفسيّة طُلاّب الهداية، والعلم، والمعرفة، لأنّه هو الكتاب المهيمن، وكتاب الهداية فيقول: **(لا تدخل للقرآن كمعلم للقرآن عندما تدخل وعندك قواعد معينه تريد تحكمها عليه أنت هنا تدخل بروحية أنك أنت تأتي تأقلم القرآن وتريد تعلم القرآن كيف يكون هو)** [2].

ومن الأسس المهمّة في معرفة القرآن والإهتداء به أن نعرف أنّه كتابٌ عمليٌّ مرتبطٌ بالحياة وأحداثها، فلا نفصله عن الواقع، والظّروف، والأحداث لأنّها كلّها مرتبطة ومتّصلة به، وهو كتابٌ يفهم من خلال العمل، والحركة، والأحداث، ومن خلال الإستجابة لله سبحانه وتعالى، والجهاد في سبيله، وتعتبر حركة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هي من التبيين والتطبيق للقرآن الكريم يقول السيد: **(لأنه هكذا القرآن مربوط بالحياة وبالحركة، والأحداث لها دخل كبير في الإستفادة منه، والجهاد في سبيل الله، نصر دين الله، الإستجابة لله هي تكون بهذا الشكل لها دخل كبير في ماذا؟ في الإستفادة منه وفي تبيينه، ولهذا نقول بالنسبة لحركة رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **حركته هي من التبيين، حركته هي تطبيق، لا تتصور أن باستطاعة رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **هو أن يجلس في مسجده ويبين القرآن كلمة كلمة، ويبين معانيه، بل هو نصه**

(١) سورة آل عمران الدرس الثاني سلسلة دروس رمضان.

(٢) مديح القرآن الدرس السادس.

تنزل عليه مرتبا، أو منجما .كما يقولون .على مدى ثلاثة وعشرين سنة، مرتبط بالحركة، وبالحياة)[1] .

ومن الأسس المهمّة أيضا في الإهتداء بالقرآن الكريم أن نعرف أنه كتابٌ للهداية، والإرشاد، والتعليم، وأنّه كتابٌ للحياة، وليس كتاباً للأحكام التشريعيّة والفقهيّة فقط يقول السيد: **(وهذه مهمة القرآن الكريم هداية من الله لعباده، إرشاد من الله لعباده، ويجب أن ننظر إلى القرآن بهذا المعنى ما نقول آيات تشريع، آيات أحكام، أحكام شرعية أشياء من هذه)**[2].

ويضيف السّيد أنّ مهمة القرآن الكريم هي هداية الناس في كلّ شئون، وجوانب، ومجالات حياتهم في كلّ الأزمنة، وكلّ العصور، وتعتبر كلّ الجوانب الأخرى التشريعيّة والعبادية هي وسائلُ عمليّة، وتربويّة، وترويضيّة في كيف تكون الأمّة مهتدية، يقول السيد: **(القرآن هو كتاب هداية، يهدي الناس إلى صراط مستقيم، إرشاد لهم، إرشاد واسع بسعة الحياة كلها، وكل شئونها، وكل مجالاتها، والأزمنة كلها على تعاقبها إلى يوم الدين.**

اعتبره كتاباً واسعاً أعظم من سعة الحياة، لا تأت تؤطره في ذهنك بخمسمائة آية، مثلما يعملون! يعني العلم كله، والدين كله في إطار خمسمائة آية!! وآلاف الآيات ماذا ستعملون بها؟! فهو كتاب هداية في كل مجالات الحياة، في كل شئون الحياة، وأنت سترى في الأخير، ترى بأن نفس العبادات هذه هي واحدة من وسائل الهداية هي فقط وسائل عملية للهداية، وسائل تربوية، وسائل ترويضية، والعبادات، المعاملات، كثير من أحكامها تجدها تصب في هذا الجانب: في كيف تكون الأمة هذه مهتدية)[3].

المناهج والأساليب في القرآن الكريم

موضوع المناهج والأساليب من المواضيع التي هدانا الله إليها في القرآن الكريم، فنعرف من خلاله المناهج، والطّرق، والأساليب، ويعتبر القرآن الكريم أهمّ منهج للتنميّة البشريّة، وتطوير

(١) مديح القرآن الدرس السادس.
(٢) محاضرة القرآن كتاب هداية الدرس السابع.
(٣) مديح القرآن الدرس السابع.

القدرات، والوسائل، والأساليب الذاتيّة، لأنّه حتّى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كانت مناهجه، وأساليبه، وطرقه من خلال القرآن الكريم، وكان يطوّر أساليبه، ومعارفه من خلاله، والقرآن الكريم يقدّم الطّرق، والوسائل، والمناهج، والأساليب الشّاملة، لهذا لم تأت عباراته بشكل نصوص، ومواد دستوريّة، وقانونيّة يقول السيد: **(فيجب أن نفهم أنّ القرآن نفسه هو أيضا وسيلة للنبي أن يهتدي به أن يهتدي به هو، ويعرف منهجية من خلال القرآن، ويعرف أساليب من خلال القرآن، ويعرف طرقاً من خلال القرآن فيتطور أسلوبه هو، ومعارفه هو، وتتنوع لديه الطرق فيعرف من خلال تقييمه للموضوع هنا، يوجد تقييم للبشر، ألم يبدأ يقيِّم المتقين والكافرين والمنافقين؟ ثم هنا جاء بما يعتبر طرقاً ومناهج وأساليب في خطاب الآخرين، في محاولة جذب الآخرين إلى عبادة الله والدفع بهم إلى أن يطلعوا على القرآن الكريم ويتفهموا من خلاله ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[يونس:٢] ما ظهر الموضوع - مثلاً - أمام المرتابين، أمام كذا أن النبي نفسه قال: كذا.. كذا، أو برز هو يقول: كذا.. كذا؛ لأن الكل ملائكة الله وأنبياء الله يكونون هم بحاجة إلى الإهتداء بكتبه.**

عندما يصطفي من الملائكة رسلا ويصطفي من الناس رسلا، لا يوجد أحد يمكن أن يكون إلى درجة ما يحتاج إلى الإهتداء بالله، والإهتداء بنفس المهمة التي هو يتحرك لأدائها، إهتداء بنفس الكتاب الذي هو يتحرك لتبليغه؛ لأن من عظمة كتب الله وبالذات القرآن الكريم: أنه لا يأتي عبارات تقرأ على الناس، بنود معينة: مادة واحد، مادة اثنين.. إلى آخره. هو في نفسه يربيك أنت ويربي الآخرين، يوجهك أنت، يقدم لك مناهج وأساليب وطرق و... أعني: واسع بشكل رهيب في مجال الطريقة التي أنت تسلكها لتعلم الناس ماذا هدى الله وشرع الله)[1].

ويرى السيد أن كل مفردة في القرآن الكريم في الوقت الذي تقدم فيه تشريعاً معيناً، هي تقدم منهجا معينا في الحياة أيضاً فيقول: **(نحن نقول بأنّ كل مفردة في القرآن الكريم في نفس الوقت الذي تقدم تشريعا معينا هي ترسم منهجا معينا في نفس الوقت)**[2].

ويؤكد السيد أنّه لا بد أن نرجع للقرآن الكريم في قضية معرفة وتعلم المناهج، والطرق،

(١) سورة البقرة الدرس الثالث.

(٢) سورة النساء الدرس السابع عشر.

والأساليب، فنستوحي منه المنهجية والرؤية والأساليب الصحيحة في عملنا كما يقول السيد: **(عندما نرجع إلى قضية منهج نحن قلنا: نستوحي منهجية في عملنا من خلال القرآن الكريم من خلال أسلوبه من خلال ترتيبه للقضايا تعطي منهجية للناس، عندما يعملون عندما يتحركون، هنا يقدم القضية تبيينا متكامل)**[1].

ويؤكّد السّيد أنّ القرآن الكريم يرسم المناهج، والخطط العمليّة الشّاملة في الحياة لأيّ حركة، ومع أيّ وضعيّة بشكل متكامل، فمهما تغيّرت، وتنوّعت الوضعيّات، والظّروف، والمتغيرات سواءً على المستوى الشخصيّ والفرديّ، أو تعدّدت ،وتنوّعت على المستوى الجماعيّ، والإجتماعيّ، والسّياسيّ، والقبليّ، تجد القرآن الكريم يرسم، ويضع المنهجيّة لكلّ ذلك يقول السيد: **(إذا عرفنا من خلال هذه الآيات إلى الآن فيما تعطيه للناس من توعية في مجال منهج وأسلوب في عملهم أشياء واسعة جداً، وأنها أشياء هامة، كنا نقول في موضوع منهج، الذي يسمى منهج دعوة أو منهج حركة، أو منهج عمل، هي قضية في القرآن متكاملة مع مختلف الوضعيات، أنت الآن لو تأتي مثلاً أنت تحاول تضع منهج دعوة، أو خطة عمل في حركتك تجعلها فقط لوضعية أمامك معينة، القرآن الكريم يعطي منهجاً متكاملاً لمختلف الوضعيات ومختلف الحالات، وأنه في الواقع في مسيرة عمل الناس أنك تلقى أو تصادف في حركتك عدة وضعيات، عدة وضعيات لأشخاص، عدة وضعيات [لِقُبُل] عدة وضعيات لمجتمعات في الزمن الواحد في السنة الواحدة، ما بالك مع تغيرات الزمن نفسه، فيما يخلق من تغيرات في وضعية الناس وفهمهم وتوجههم)**[2].

وهنا يوضّح السّيد أنّ من هم منظّرون للحركات الإسلاميّة يركزّون على قضيّة رسم المناهج، والخطط، والأساليب العمليّة، والحركيّة، والدّعويّة، وهذا شيءٌ طبيعيٌّ لأيّ حركة أن يكون لها منهجٌ وخطة، لكن المؤسف أنّه لا يوجد التفاتة للقرآن الكريم، ولما قدّمه من مناهج، وطرق، وأساليب شاملة، فنعود إليه، ونعتمد عليه، ونهتدي به في وضع الخطط والمشاريع، فتكون خططنا، ومشاريعنا، ومناهجنا، وأساليبنا قرآنيّة، فنتحرّك بحركة، ومناهج،

(١) سورة البقرة الدرس الرابع من دروس رمضان.

(٢) سورة البقرة الدرس الرابع من دروس رمضان.

وأساليب، وطرق القرآن الكريم يقول السّيد: **(تجد الكثير - مثلاً - ممن هم منظِّرون لحركات يركزون جداً على موضوع أن يرسموا منهجاً! هذه هي قضية، أنه لا بد لأي مسيرة أن يكون لها منهج، أي حركة يكون لها خطة ومنهج، لكن ليس هناك إلتفات بالشكل المطلوب بالشكل الكامل إلى موضوع أن القرآن الكريم القرآن الكريم يعطي منهجا متكاملا ، منهجا عمليا لمن يدعو، لمن يخطب، لمن يعلم، لمن يتحرك في أي مجال من المجالات منهجا متكاملا، تلاحظ أنه يعطينا منهجا لا يجعل شيئا على حساب شيء في الوقت الذي يعطي أهمية لقضية يذكر بقضايا أخرى وإن كانت تبدو عادية ، لأنه عادة في وحدة الدين وتشابك التشريع بعضه ببعض تكون الأشياء التي تبدو عادية لها قيمتها أيضا في الموضوع، أنت عندما تذكر الناس فأنت لا تقدم فقط قضية واحدة تذكر، أو يكونون مجموعة ناس هم يذكرون ويتحركون في التوجيه يكونون هم مجموعهم أو مجمل عملهم يتضمن الموضوع بشكل كامل، بشكل كامل، بل مناسب جداً أنه يتناول الشخص الواحد أعني: وإن كان مثلاً قد تطغى على ذهنيتنا بعض القضايا يمكن أن تعطي قضية معينة أهمية كبرى وتقدمها؛ لأن هذه القضية ملحوظة في القرآن يعطي أهمية لقضية معينة وفي نفس الوقت يتناول قضايا أخرى مثلاً هي هامة بالإمكان تناولها)**[1].

هدى الله يبني الحضارات

هدى الله سبحانه وتعالى هو بالشكل الذي يبني الحضارات، ويعمر الحياة على أرقى مستوى، ويهتمّ ببناء، وتطوير العلوم، والمعارف الّتي ترتقي بالإنسان، وبالواقع، وقد اهتمّ القرآن الكريم ببناء الأمّة، والإرتقاء بها حضاريّاً، وعلميّاً في كلّ مختلف مجالات الحياة وبشكلٍ راقٍ جداً، ولو ركّزت الأمّة على الإهتداء به لوصلت واهتدت إلى أرقى العلوم، وأنفعها للبشريّة، ولكانت هي الأمّة السّباقة في المجال العلميّ، والمعرفيّ، والحضاريّ، لكنّ الإعراض عن هدى الله يمثّل خسارةً كبيرةً للبشريّة، ويؤدّي لضياع العلوم التي تبني الحضارة، وترتقي بالحياة، ويفقد الناس بسبب إعراضهم عن هدى الله الكثير من هذه العلوم، والأسرار العجيبة التي أودعها الله في هذا الكون، وسخّرها لهم في باطن وظاهر السموات والأرض، يقول السيد:

(١) سورة البقرة الدرس الرابع من دروس رمضان.

(لاحظ أيضاً من الخسارة الكبيرة عندما لا يسير الناس على هدي الله أنهم يضيعون العلوم التي تبني حضارة بالنسبة لهم، التي تبني الحياة بالنسبة لهم، التي تمكنهم من تسخير كثير من مظاهر هذه الحياة من المخلوقات، من الأسرار العجيبة في هذا الكون، في جوانب عمارة الدنيا في جوانب الخير، بناء حضارة - كما يقولون - فعلاً تجد هذه حصلت عند المسلمين! كان القرآن بالشكل الذي فعلا يهدي هذه الأمة لو اهتدت به إلى أن تصل إلى علوم أرقى مما وصل إليه الغربيون، في نفس الوقت يقدمونها خيرا للأمة وللبشرية في الوقت الذي قدمها الغربيون في الأخير شراً، شراً للبشرية نتيجة ماذا؟ عدم الإهتداء بهدي الله)[1].

يؤكّد السّيد أنّه فيما مضى كانت هناك علوم مهمّة تعتبر من مقوّمات الحضارة، وبناء الحياة، كما كان لدى ذي القرنين، ونبيّ الله سليمان، وغيرهم، ولا تزال معالم، وبقايا، وآثار هذه الحضارات قائمة إلى اليوم، ويبيّن السّيد أنّ منشأ هذه العلوم المهمّة هو من عند الله سبحانه وتعالى، وممّا تضمّنه هدى الله، ويؤكّد أنّ هذه العلوم والحضارات المهمة إنّما تحطّمت وتدمّرت على أيدي من أعرضوا عن هدى الله، لأنّ العلوم هذه لا بدّ أن يترافق معها هدي الله ليحفظها، وينمّيها، ويعطيها أهميّتها، وفاعليّتها الإيجابيّة، ويرشد لاستخدامها، وتوظيفها بالشكل النافع، والمفيد للحياة، والبشريّة، مالم فإنّها في الأخير ستتلاشى، وتضيع، وتتحطّم، ويخسرها البشر، وتتحوّل إلى وبالٍ، وخسرانٍ عليهم، ويؤكّد السّيد أنّ علوم، ووسائل الحضارة القائمة اليوم مهدّدة بالضّياع، والدّمار، والتّلاشي على أيدي الغرب واليهود، لأنّ الشيء الوحيد الذي يشكّل ضمانة لبقاء العلوم ،والمعارف، والحضارات هو هدى الله سبحانه وتعالى يقول السيد: **(ربما كان مع الأولين أشياء هي تعتبر مقومات هامة للحضارة ولهذا قال عن ذي القرنين: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾**[الكهف: من الآية ٨٤] **كان لديه وسائل استطاع أن يرحل إلى الشرق والغرب، إلى شرق المعمورة هذه، وغرب المعمورة هذه، وبطريقة كان هو في نفس الوقت شخصاً نافذاً مثلما تقول ومعروف في الشرق، ومعروف في الوسط في الشمال عند الذين بنى عندهم سداً ومعروف في الغرب؟ بمعنى أنها ليست فقط قد تكون رحلة واحدة، أسباب معينة لا أدري ماذا**

(١) سورة البقرة الدرس الخامس.

كان يوجد، لكن هكذا الإنسان في الأخير ينطلق يحطم حضاراته التي قد يكون منشؤها من عند الله بشكل معين، علوم معينة، علم من الكتاب، أو علوم هندسية يدمرها لأنه يصل في استخدامها إلى أنه يصبح لديه اهتمامات غير صحيحة!.

مثل الأمريكيين الآن وتوجههم هم واليهود، كيف توجههم؟ استغلال هذا العلم بكله، هذه النتائج المهمة جداً من أعمال المبدعين والمخترعين ربما كان بعضهم يسهرون كثيراً، وبعضهم يكون ضحية تجربته متجهين لاستغلالها بالشكل الذي يحطمها فعلاً، ويؤدي إلى تحطيمها وخسارة كثير من العلوم سواء بأن يقال: إذاً هذا الشيء لا يستخدم نهائياً أليسوا متجهين إلى موضوع [الذرة] و[المفاعلات] بأنه هذا لا يستخدم نهائياً! فيؤدي في الأخير إلى هذا، لأنهم لا يسيرون على هدي الله ويستفيدون من العلوم، وتتسع معارفهم بشكل صحيح ويعمرون الحياة، لأن عمارة الحياة قضية هي غاية من استخلاف الإنسان؛ لأنه من خلال عمارتها تتجلى، تتجلى قدره الله، وحكمته، وتدبيره، وعلمه، ورحمته، وملكه وألوهيته، إلى آخره، متجهون إلى تحطيم الحضارة، تحطيم العلوم مثلما حطموها هم من قبل، هم حطموا هم وأضاعوا العلوم السابقة، وهم الآن بتصرفاتهم متجهين وبالشكل الذي تضيع الحضارة القائمة نفسها! هذه تمثل شاهداً، لأنه أحياناً يحصل عند البعض نظرة بأنه: نترك الدين هذا ونتجه لنلحق بركاب الآخرين! الآخرون الآن هم يضربون لك مثلاً، وماضيهم ضربه مثلاً أضاعوا علوماً في الماضي هامة، عرض في القرآن مظهراً من مظاهر استخدامها الإيجابي: قضية إيصال عرش بلقيس إلى فلسطين في لحظة، وترى في واقع الحياة لا يزال آثار لتلك العلوم، أهرام مصر وغيرها من الأشياء التي ما استطاعوا يفسرونها إلى حد الآن تفسيراً مقبولاً أبداً.

تراهم الآن متجهين لضرب العلوم لتعرف بأن هؤلاء قدموا من أنفسهم مثلاً أنه أي بيئة قد يحصل فيها علوم على هذا النحو هي تفتقر إلى هدى الله لتحفظ هذا العلم نفسه، لتحفظ هذه العلوم، ولتتوجه هذه العلوم إلى بناء الحياة، وإلى بناء الإنسان بشكل صحيح، وأنهم هم يبرهنون على أنهم لافتقادهم هدى الله متجهون لضرب العلوم هم، وإنهاء الحياة هم، ثم يستأنفون من جديد!.

كم قد يقتل من الخبراء عندما تأتي حروب؟ عندما تأتي حروب كم يقتل من خبراء، وعلماء،

وتدمر مصانع ومعامل وأشياء كثيرة هي تعيق الأمة، تعيقها. عندما تبدأ تستأنف من جديد معناه أشبه شيء بالعودة من مرحلة ما فوق الصفر، إذا كانت بلد ما زال معها خبرات سابقة.

إذاً فهذا يؤكد بأنه ليست المسألة على هذا النحو حتى نقول: إذاً ماذا عمل لنا ديننا؟ نقول: افهم الآن هذا القرآن الكريم كيف أنك ترى الآخرين أنهم بحاجة إليه وأنهم متجهون إلى أن يحطموا أنفسهم ويحطموا العلم، ويحولوا العلم إلى إضرار بالناس، وضرب للبشر يبرهنون على أنه لا بد من أن يترافق مع العلم هدى الله ليحتضن العلم، لينمي العلم، ويوسعه، ويجعل له قيمة)[1].

ويؤكّد السّيد أنّ القرآن الكريم يهدي ويرشد إلى قضايا تدفع بالإنسان لأن تتوسّع، وتتعدّد علومه، ومعارفه، وعندما تسير الأمّة على أساس هدى الله سبحانه وتعالى فإنّها تحصل على علوم ومعارف كثيرة جداً، وتتحوّل هذه العلوم والمعارف باعتبار الغايات والمقاصد إلى طاعة وعبادة لله سبحانه وتعالى، وتشكل خيراً ونفعاً للبشريّة يقول السيد: **(لكن في الدنيا تأتي أشياء كثيرة منها - وهذه القضية ملموسة من خلال القرآن الكريم - أنه يهدي إلى قضايا تدفع بالإنسان إلى أن تتوسع معارفه وينال العلوم المتعددة، وتتطور بالنسبة للمجتمع الذي يسير على هدي الله، يتطور هو فتتسع حاجته إلى علوم متعددة فيحصل على علوم كثيرة جداً، العمل فيها وتوظيفها ونتائجها كلها تمثل طاعة، تمثل طاعة.**

لأنه فعلاً في الأخير الإنسان عندما يسير على هدي الله وأمة تسير على هدي الله تتحول كل أعمالها باعتبار الغايات والمقاصد كلها تكون خيّرة، ونتائج خيّرة، تتحول كلها إلى ماذا؟ إلى طاعة إلى عبادة)[2].

ويؤكّد السيد أنّ هدى الله هو الطريق الصحيح لنيل العلوم والمعارف الواسعة، وإلى بناء الحضارات التي تعمر بها الحياة على أرقى مستوى فيقول: **(هدى الله هو الطريق الصحيح إلى بناء الحضارات، إلى الحصول على المعارف الواسعة التي يبني بها الأنسان الحياه على**

(١) سورة البقرة الدرس الخامس.

(٢) سورة البقرة الدرس الخامس.

أرقى مستوى)[1].

ويضيف السيد أنّ الإعراض والإنصراف عن هدى الله هو سبب رئيسيّ في تحطّم الحضارات وضياعها، ويمثّل خسارة كبيرة جدّا للأمّة، ويجعلها بالشكل الذي لا تستفيد بالشكل المطلوب ممّا سُخّر لها من العلوم، والمعارف، والموارد، بل تسعى لتوظيفها وتسخيرها في أشياء وحاجات معيّنة تكون ضارّةً بالبشريّة يقول السيد: **(لأنّه هكذا الإنصراف عن هدى الله هو الذي يحطم الحضارات في الأخير، هو الذي يجعل الإنسان على الرغم من عظم ما يقدم إليه من علوم ينظر إليها نظرة لا تكون ذات قيمة، وفي نفس الوقت إذا يريد يسخرها يسخر منها الشي الذي يلبي مطالب معينة وحاجات معينة هي تافهة)**[2].

الحضارة معرضة للإنهيار على أيدي اليهود

يؤكّد السّيد أنّ القرآن الكريم قدّم نموذجاً عن بني إسرائيل، وخسارتهم الكبيرة في مختلف المجالات، بسبب انصرافهم وإعراضهم عن هدى الله، ويؤكّد أنّ الأمّة التي تعرض عن هدى الله تخسر خساراتٍ كبيرةٍ جدّاً، وتجلب الخسارة للأمم الأخرى يقول السيد: **(ما تناولته الآيات السابقة التي سمعناها بالأمس حول بني إسرائيل قدمت فعلاً صورة فظيعة جداً في مختلف المجالات عمن لا يهتدون بهدي الله عمن يعرضون عن هدي الله، وكانت فعلاً صورة مقززة، صورة تشمئز منها النفوس، وكيف أن الأمة عندما تعرض عن هدى الله تخسر خسارات كبيرة جدا، وتجلب الخسارات أيضا على الأمم الأخرى)**[3].

ويضيف السّيد أنّه كان لدى بني إسرائيل فيما مضى حضارة وعلوم راقية جداً، من أبرزها ما كان عليه الواقع العلميّ، والحضاريّ في دولة نبي الله سليمان (عليه السلام)، وآثار حضاريّة راقيّة تدلُّ على إمتلاك وسائل علميّة متطوّرة جداً هي ممّا سخره الله لعباده، ويبيّن السّيد كيف

(١) سورة البقرة الدرس الخامس.
(٢) سورة البقرة الدرس الخامس.
(٣) سورة البقرة الدرس السادس.

أنّ هذه الحضارة الراقية، والتّقدّم العلميّ الكبير تعرّض للإنهيار، والتلاشي، واستُغلّ استغلالاً سيئاً جداً، وهابطاً، ومنحطاً، بسبب انحطاط اليهود، وانصرافهم عن هدىٰ الله سبحانه وتعالىٰ يقول السيد: **(ذكر أيضاً قضية ما تزال ظاهرة فيهم إلىٰ حد الآن: كيف أنه علىٰ أيديهم، وبسبب انحطاطهم الذي فقدوا به الإهتمام بالقضايا الكبيرة، الإهتمام بعمارة الدنيا علىٰ أساس هدي الله، هذا الإنحطاط الذي تصل إليه النفوس المعرضة عن هدي الله عندما تصبح لا تقدر للشيء مهما كان مهماً أي قيمة، حضارة معينة كانت يبدو - والله أعلم - كانت حضارة راقية - كما قلنا - من مظاهرها ما كان عليه نبي الله سليمان، وما كان عليه منهم من المقربين لديه من حاشيته، ومن كبار دولته: أنه يبدو أنه كان هناك في ذلك العصر علوم راقية، وتبدو مظاهرها - كما قلنا بالأمس - ما تزال في مصر، وقد يكون من مظاهرها ما هو في اليمن أيضاً، أشياء عندما تتأمل فيها ترىٰ بأنها بعيدة أن تكون من عمل الإنسان بطاقته الطبيعية، وخبراته الطبيعية، أنه يبدو أنه كان هناك علوم تسخر بها أشياء كثيرة من مخلوقات الله سبحانه وتعالىٰ تعتبر أسباباً لإنتاج أشياء لا ينالها الإنسان هو بطاقاته المحدودة، من أبرز ما حصل في تلك الحضارة، ومن مظاهر ذلك العلم ما حكاه الله سبحانه وتعالىٰ في قصة [عرش بلقيس] كيف أن الذي عنده علم من الكتاب قال: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[النمل: من الآية٤٠) قضية علمية هذه ليس معناها أنه مسألة دعاء معين، فيما يبدو - والله أعلم - ليست القضية قضية دعاء؛ عنده علم من الكتاب، تسخير أشياء معينة كما قلنا بأن مجمل ما يتحرك فيه الإنسان مهما تطورت العلوم لا تخرج عن مجرد استخدام لأسباب طبيعية الله سبحانه وتعالىٰ هو الذي جعلها في هذا الكون، محيط هذه الأرض، في السماوات والأرض وما بينهما، لكن لاحظ كيف اليهود عندما انحطوا انحطاطاً رهيباً جداً كان الذي يهمهم من تلك العلوم، ومن تلك الحضارة الهامة: هو أن يتعلموا ما يفرقون به بين المرء وزوجه! فأضاعوا العلوم الأخرىٰ، أضاعوا علوماً ابتنت عليها حضارة لهم هم في عهد سليمان كلها في الأخير تلاشت، خلاصة ما تبقىٰ لديهم هي [علوم الشعوذة] - مثلما يقولون - وما زال هذا لديهم إلىٰ الآن)**[1].

(١) سورة البقرة الدرس السادس.

ويبيّن السّيد أنّ اليهود حطّموا حضارةً قائمةً لديهم، وأضاعوا علوماً مهمةً جداً بسبب أنّهم لم يهتدوا بهدى الله سبحانه وتعالى، ويؤكّد السّيد أنّ هذه السياسة لا زالت قائمة لدى اليهود إلى الآن، وأنّ الحضارة والعلوم الحديثة الّتي تحققت الآن بسبب الثّورة الصناعيّة، وتحقّق الإزدهار العلميّ، والتّقدّم الحضاريّ معرضةٌ للإنهيار والتحطّم على أيديهم من جديد، وأنّهم يسوقون الدّول التي امتلكت حضارةً عالية، وعلوماً متقدّمة إلى الإنهيار، والخسارة الحضاريّة، والعلمية الرهيبة، من أجل تحقيق أطماعهم وأهدافهم في السيطرة والهيمنة على العالم، ويؤكّد السّيد أنّ أيّ أمة مهما تطوّرت، وتقدّمت، وامتلكت من علوم وحضارة هي معرضة للإنهيار، والتّلاشي إذا لم تسير وفق هدى الله سبحانه وتعالى، لأنّ هدى الله يعتبر من أهمّ الضّمانات لبقاء العلوم، والحضارات، واستمرارها يقول السيد: **(إذاً وجدناهم بسبب أنهم لم يهتدوا بهدي الله حطموا حضارة قائمة، وأضاعوا علوماً هامة جداً، هذه الحالة ما تزال قائمة فيهم إلى الآن ما تزال إلى الآن الفكرة التي ما يزالون عليها هي تلك التي حكاها عنهم كانت كل هدفهم من علوم معينة: يفرقون بين المرء وزوجه. الآن العلوم الحديثة، هذه الحضارة الحديثة هذه أيضاً معرضة للنكسة على أيديهم هم فعلاً، الآن بعد الثورة الصناعية، وبعد ازدهار العلم حاولوا أن يتغلغلوا في داخل البلدان التي ازدهرت مثل: بريطانيا، في فرنسا، في أمريكا، أمريكا بالذات قد تكون أمريكا من أبرز البلدان الآن في مجال العلوم بل سمعنا في الفترة القريبة: بأنها ربما قد تكون تجاوزت أوروبا بما يساوي أربعين سنة، بالنسبة لأمريكا، الحضارة، العلم الذي عليه أمريكا، وبلدان أوروبا، والعالم كله معرض أيضاً للإنهيار على أيديهم، هم لديهم اهتمامات معينة اهتمامات هي أيضاً لا يبالون من أجلها أن يتحطم كل شيء فينطلقون بنفس الفكرة: التفريق تجدهم مثلاً الآن يفرقون بين الإنسان ودينه، بين الإنسان وربه، بين المسلم وكتابه، يفرقون بين الأمم، يجزؤونها، يفرقون ما بين الحاكم وشعبه، أليست سياسة بارزة الآن؟ قضية بارزة الآن: موضوع التفريق ما بين الدولة والشعب، بغض النظر أن تكون دولة مستقيمة، أو دولة غير مستقيمة أعني: سياستهم بالنسبة لإيران كسياستهم بالنسبة للسعودية تماماً مع الفارق الكبير ما بين النظام في السعودية والنظام في إيران، التفريق ما بين الشعب والحاكم.**

يسوقون العالم الآن يسوقون تلك البلدان التي امتلكت حضارة عالية، واحتضنت علوماً مهمة يسوقونها إلى ماذا؟ إلى حالة قد تؤدي فعلاً إلى خسارة علمية رهيبة، إلى خسارة حضارية رهيبة، هم يرون بأنه ليس بإمكانهم أن يحكموا العالم - لديهم مطمع معين: أن يسيطروا على العالم - إلا بعد أن يدخلوا العالم في صراعات رهيبة جداً بالطبع تكون في نتيجتها ضرب مصالح، المفاعلات، المعامل، الخبراء، علماء، مدارس، جامعات كلها تضرب، إذاً فهم كانوا وراء تحطيم الحضارات السابقة، وضياع العلوم السابقة والآن هم في الطريق لنفس ما عملوه في الماضي كما قلنا بالأمس بأن هذه تدل، مجمل ما قدمه الله سبحانه وتعالى، وما ذكره عن بني إسرائيل، بما فيها النقطة هذه: أن أي أمة تصل في علومها إلى درجة عالية هي معرضة للتلاشي بسبب ماذا؟ أنها ليست مهتدية بهدي الله، أن هدى الله سبحانه وتعالى هو من أهم الضمانات لبقاء العلوم الهامة، من أهم الضمانات التي تبنى عليها الحضارات وتدوم وتستمر)[1].

ويضيف السّيد أنّ العالم كلّه يضجُّ الآن من اليهود، وأنّهم أصبحوا يُشكّلون مصدر قلقٍ، وتهديدٍ حقيقيّ للعلوم، والحضارة في العالم كلّه، ويبيّن السّيد أنّ هذه الأمم الّتي لديها هذه العلوم المهمّة هي بأمس الحاجة لهدى الله فيما يتعلق بنظامها السياسيّ، والإقتصاديّ، وحركتها بشكلٍ عام، وهذا يعطينا ثقة بأنّ هدى الله، ودينه المتمثّل في القرآن الكريم، والإسلام هو من أهمّ ما تحتاج إليه البشريّة بشكل عام، لتستقيم في كلّ شئون حياتها، وليبقى العلم ثابتاً، ومستمراً، ومزدهراً يقول السيد: **(إذاً فما نراه اليوم بالنسبة لليهود ليس جديداً في الواقع، وكثير من المحللين يذكرون بأنه الآن أمريكا هي معرضة للإنهيار هي، بخبراتها العالية، بعلومها، بكل ما عندها معرضة للإنهيار على يد من؟ على يد اليهود فضلاً عن باقي الأمم؛ ولهذا ترى كيف أصبح الكثير يضجون منهم الآن، العالم الآن يضج من اليهود، في مؤتمر القمة الإسلامية سمعنا الوزير الماليزي عندما تحدث عن اليهود، وحصل تأييد له من أطراف كثيرة؛ ضجة من المناطق التي لليهود نفوذ فيها وهيمنة مباشرة عليها كثير من الكتابات حتى كتابات هنا في اليمن أذكر في بحث جميل في مجلة**

(١) سورة البقرة الدرس السادس.

من مجلات الجيش يذكر خطورة السياسة الإسرائيلية وخطط اليهود على أمريكا نفسها، تؤدي إلى تحطيم أمريكا نفسها.

إذاً مثلما قلنا بالأمس لا يتصور الإنسان... لأنه ربما قد يكون من حسن حظنا نحن في الزمن هذا أن رأينا البلدان التي احتضنت العلم: هي معرضة للانهيار وبالشكل الذي ترى فعلاً بأن تلك الأمم كانت بحاجة إلى هدي الله، تهتدي بهدي الله: فيما يتعلق بنظامها السياسي، فيما يتعلق باقتصادها، فيما يتعلق بحركتها بشكل عام، فهذا مثل مهم جداً نستطيع نحن عندما نتحدث مع الآخرين، أو نسمع من آخرين ممن يحاولون أن يعتبروا هذا الدين، أو يعتبروا الدين بشكل عام يؤدي إلى تخلف الشعوب والأمم وإلى التأخر، والمفروض نترك هذه الأشياء، ونلحق بركاب الآخرين! أنت لاحظ الآخرين إذا لديك فكرة وفهم، الآخرون معرضون لنكسة رهيبة، وخسارة للبشرية فيما لديهم من علوم، ما السبب في ذلك؟ بالتأكيد هم كانوا بحاجة إلى شيء يشكل ضمانة بالنسبة لهذه الحضارة، وهذه العلوم هو ماذا؟ هو هدي الله، إذاً فهذا يعطينا ثقة بأن هدي الله سبحانه وتعالى المتمثل في القرآن الكريم، دينه المتمثل في الإسلام بشكل عام هو من أهم ما تحتاج إليه البشرية بشكل عام لتستقيم في كل شؤونها، وليبقى ثابتاً ومتنامياً ومثمراً)[1].

ويوضّح السّيد أنّ الحضارة، والعلوم هي بحاجة إلى هدى الله الذي يشكل ضامناً لأن تبقى منتجة بشكلٍ مستمر لكلّ ما يشكل خيراً للبشريّة، ويبيّن السّيد أنّ اليهود يُشكّلون مصدر شرٍ على البشريّة بكلّها، وعلى مختلف الدّيانات، والجنسيّات، والبلدان فيقول: **(إذاً ألم تكن تلك الحضارة أو تلك العلوم بحاجة إلى شيء يشكل ضمانة لبقائها يشكل ضمانة لأن تبقى مستمرة تنتج إنتاج خير للناس؟ الآن البشر كلهم يصيحون بأنه احتمال تحصل حروب رهيبة، يعني كلهم الآن يصيحون من نتاج العلم أليس من نتاج العلم وما توصل إليه الآخرون في علومهم؟ أصبح الآن يمثل شراً كبيراً من الذي جعل المسألة بهذا الشكل؟ هم هؤلاء أهل الكتاب اليهود بالذات الذين كانوا على هذا النحو.**

(١) سورة البقرة الدرس السادس.

إذاً فمعنى هذه لو يفهم الكل بما فيهم الأمريكيون أنفسهم بما فيهم الأوروبيون بأن اليهود يشكلون خطورة على البشرية بكلها الخطورة على البشر جميعاً على اختلاف دياناتهم على اختلاف جنسياتهم وبلدانهم)[1].

ويؤكّد السّيد أنّ القرآن الكريم قام على أساس تقديم رؤية تربويّة، ومنهجيّة للأمّة تجعلها على مستوى عالٍ من الوعي، واليقظة، والنّهضة بالشكل الذي يجعلها تستبق الأحداث، وبعيدةً عن تلقّي الضّربات المتكرّرة التي لا تستطيع الأمّة أن تعمل معها شيئاً فيقول: **(إنّ الإسلام، إنّ القرآن الكريم قام على أساس أن يقدم للمسلمين تربية، تربية على مستوى عال جدا يستبقون بها الأحداث، يستبقون بها الأحداث فلا يكونون عرضة لأن يضربوا ضربات متكررة حتى يصحو، ومتى ما صحا وجد نفسه في وضعية لا يستطيع أو لا يتمكن أن يعمل شيئا)**[2].

ويوضّح السّيد أنّ الأمّة وقعت في خسارةٍ كبيرةٍ جدّاً عندما لم تهتد، ولم تعمل بالقرآن الكريم، وأنّنا في هذا العصر، وهذه المرحلة ضحيةً للتقصير، والإنحراف الثقافي الذي حصل في مسيرة من سبقونا من المسلمين سنةً وشيعة، بسبب ابتعادهم عن القرآن الكريم فيقول: **(إذاً ألم تكن خسارة كبيرة جداً عندما لم نعمل بالقرآن ألم نصبح نحن الضحية نحن الجيل هذا نفسه؟ أصبحنا الضحية أصبحت الأمة الجيل هذا من الأمة هو الضحية لتقصير السابقين لانحراف ثقافة السابقين في معظمها في معظمها فعلاً سنة وشيعة تتمثل كلها في ماذا؟في أنهم ابتعدوا عن القرآن)**[3].

ويؤكّد السّيد أنّ بناء الأمم وتطوّرها، ورقيّها، أو تحطمها، وضياعها كلّه مبنيٌّ على مستوى تعاملها، واعتمادها، واتّباعها للقرآن الكريم فيقول: **(تبنى أمم أو تحطم أمم بسبب الإعتماد على القرآن أو الإعراض عنه)**[4].

---

(١) سورة البقرة الدرس السادس.
(٢) سورة البقرة الدرس السادس.
(٣) سورة البقرة الدرس السادس.
(٤) سورة البقرة الدرس السادس.

ويوضّح السّيد هنا سعة، وشُموليّة، وإحاطة القرآن الكريم أمام تناوله لكلّ الأحداث، فمثلاً أمام معركة أحد نجده أحاط بها من كلّ الجوانب، وقدّم فيها الكثير من الدّروس، والعلوم الّتي لا يستطيع أيّ خبراء، وباحثين عسكريّين، وسياسيّين، وقانونيّون أن يصلوا إلى شيء من هذا، وهذا الشيء من عظمة القرآن الكريم، وهداه، وبيّناته، وعلومه، ومعارفه، ونوره، وبصائره الّتي يقدّمها للنّاس فيقول: **(كم ذكر من أشياء كثيرة جدا حول [معركة أحد] وكيف يأتي يتعرض لموضوع المعركة هذه، كم قدم من دروس وأحاط بالقضية من كل جوانبها، لا يستطيع خبراء عسكريون ولا قانونيون ولا سياسيون على الإطلاق أن يصلوا إلى شيء من هذا؛ ولهذا قال عنه: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾**[الإسراء:٨٨] **ولو كانوا متعاونين كلهم لا يستطيعون؛ لهذا كانت خسارة كبيرة جداً على الأمة أن تبتعد عن القرآن يعطيها نور يعطيها معرفة يعطيها علم يحصل عندها شبه إحاطة بالقضايا من خلاله بالشكل الذي لا يمكن أن تحصل عليه من أي كلية أو أي جامعة على الإطلاق أو من أي جهة من الجهات مهما كانت خبراتها)**[1].

ويرى السّيد أنّه لا يمكن لأيّ أمّة من الأمم أن تحصل على خبرات، ولا خبراء من أيّ جهة على الإطلاق مهما كانت، بالشكل الذي يمكن أن تحصل عليه من خلال القرآن الكريم، مبيّناً كم هي خسارة الأمّة هذه، وهي تعيش في أسوأ وضعيّة، والقرآن الكريم موجودٌ بين يديها فيقول: **(لا يمكن لأمة أن يحصل لها على الإطلاق لا خبرات ولا خبراء ولا أي شيء يكون مقاربا للقرآن هذا على الإطلاق، إنه خسارة كبيرة أن تكون الأمة هذه تراها في وضعية سيئة ووضعية جهل مفرط، والقرآن بين أيديهم)**[2].

ويؤكّد السّيد أنّ المسلمين لو اهتدوا بالقرآن الكريم، وكانوا هم مصدر الحضارة، والعلوم، والمعارف، والتّقدّم لاستطاعوا أن يبنوا الحياة، ويعمروها بشكلٍ أفضل، وأرقى ممّا هي عليه الآن، وبأفضل ممّا توصل إليه وقدّمه الغربيّون، وبشكلٍ صحيحٍ، وسليم لا يحمل أيّ أضرارٍ

(١) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

(٢) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

على الحياة، والبشريّة فيقول: (حتى في مجال البيئة ربما كان باستطاعة المسلمين أن يتوصلوا إلى أكثر مما توصل إليه الغربيون فينتجوا الأشياء الكثيرة التي هي نفسها لا تؤثر على البيئة، أو لو كان فيها ما يؤثر على البيئة لدفعهم تقواهم وصلاحهم وخشيتهم من الله إلى أن يحترموا هذا الإنسان فيحاولوا أن يعدلوا إلى المواد الأخرى التي هي أكبر حفاظاً على سلامة البيئة وإن كانت التي تلوث البيئة أقل تكلفة؛ لأنه هنا سيقال إنني في مقام مسئولية لا أريد أن أضر بعباد الله، ولكن ما الذي حصل على أيدي الغربيين؟ أليسوا هم من لوثوا البيئة؟ أليسوا هم من يحدثنا بأن البيئة قد تلوثت بشكل رهيب على أيدي من؟ على أيديهم هم؛ لأنهم انطلقوا عندما هم اخترعوا فسبقونا سبقونا فأصبحوا هم القوم الذين يتفكرون، لكن نفوسهم لم تكن صالحة، فما الذي حصل؟ لوثوا البيئة، ولم يرعوا حرمة الإنسان، ولم يحافظوا على سلامة الإنسان، المهم هو أن ينتج بأقل تكلفة فتأتي النفايات النووية وتأتي نفايات أخرى كثيرة جداً فيتحدثون عنها وهي تهدد العالم.. لكن ماذا كان سيحصل لو أن من بأيديهم هذه الأشياء هذه الآليات ومن هم سادة الإنتاج لو كانوا مؤمنين لكانوا يراعون سلامة الإنسان والحفاظ على البيئة فيعدلون إلى الأشياء التي فيها سلامة البيئة وإن كانت أكثر تكلفة.

تجد الله سبحانه وتعالى كيف أنه فيما خلقه وفيما صنعه كيف كانت سنن هذه الحياة كلها قائمة على الحفاظ على البيئة.. ترى مثلاً مخلفات الحيوانات أليست هي مما يساعد على تخصيب التربة؟ تتلاشى تلقائياً ثم تتحول من جديد إلى فوائد للتربة، لكن حاول أن تغير زيت سيارة عند مزرعة ما الذي سيحصل؟ تسكب هناك الزيوت أليست نفايات السيارات ستترك أثرها فتحرق المزرعة وتتلفها؟ لأن المؤمنين حينها سينطلقون ليتخلقوا بأخلاق الله سبحانه وتعالى فيكونون حريصين على أن يحافظوا على البيئة فهم من كان سيعمر الحياة ويعمر النفوس ويتجلى على أيديهم المعرفة الواسعة لله تعالى، فما الذي حصل؟ عندما أصبح الإنتاج بأيدي الآخرين وكان الآخرون هم المبدعون وهم المخترعون وهم من طوروا علوم الصناعات وطوروا الصناعات وغيرها، ما الذي حصل؟ جاء اليهود ليستخدموا الثورة الصناعية فاستغلوها في الجانب الثقافي أن يقدموا للمسلمين بأن عليكم أن تتخلوا عن دينكم حتى تكونوا كمثلنا فتلحقوا بركابنا، استغلوها أيضاً

في الجانب الاقتصادي فملأوا الدنيا ربا، استغلوا الاقتصاد السياسي في الهيمنة على الشعوب واستنزاف ثرواتها.

أليس اليهود هم الذين استفادوا من الثورة الصناعية؟ أليسوا هم من مسخ وجه العالم؟ لو كان المؤمنون هم من سبقوا لقُدِّم العالم بشكل آخر)[1].

ويؤكّد السّيد أنّ كلّ ما وصلت إليه الأمم من علوم، ومعارف حضاريّة، وعلميّة هي من نعم الله سبحانه وتعالى، وممّا سخّره لعباده، وأنّ هذه العلوم، والمعارف تترك أثراً كبيراً في مجال معرفة الله، وتذكّر نعمه، وطاعته، والخشية منه بالشكل الذي يشكل ضمانةً في تسيير كلّ هذه العلوم في المجال الذي يريده الله سبحانه وتعالى، وفي عمارة الأرض وإصلاحها، ولا يشكل أيّ ضررٍ، أو شرٍ، وخطرٍ على البشريّة، والحياة يقول السيد: **(من هنا نعرف أهمية أن يذكِّرنا الله وأن يطلب منا أن نتذكر نعمه العظيمة علينا؛ لأن لها علاقة كبيرة بنا، باعتبار أنها هي الآليات التي بها نطيع وبها نعصي، فمتى ما تذكَّرنا أنها نعمة منه فإن هذا سيوجد في أنفسنا حياء من الله، أن نتوقف عما طلب منا فيها، أو أن ننطلق لاستخدامها في معاصيه.**

من الأشياء التي يظهر بتذكر أن ما بين أيدينا هو من نعمة الله علينا كونها من مفردات هذا العالم الذي نحن خلفاء لله فيه، لاحظ كم سيظهر من أثر كبير لتذكر نعمة الله، أنت عندما تتقلب داخل مفردات وأجزاء هذا العالم فتصنِّع وتنتج وتبدع وتعمر .. وأشياء كثيرة، إذا ما كنت متذكراً بأنها من نعمة الله، إذا ما كان الناس متذكرين بأن هذه الأشياء هي من نعمة الله عليهم فإنهم سيخشون من الله وسيستحيون من الله أن تستخدم في معاصيه، أو أن تستخدم في الإضرار بالآخرين من عباده، عندما انطلق الغربيون في التصنيع، وباستخدام المنتجات المتعددة في مختلف المجالات، ألسنا نرى ما أكثر ما تستغل في الإفساد في الأرض، وفي إفساد عباد الله وفي ظلم الناس؟ لو كانوا هم ممن يتذكر بأن ما بين أيديهم من طاقة، ما بين أيديهم من آليات، ما بين أيديهم من إمكانيات هي نعمة من الله عليهم، نعمة، يتذكرون هذه: أنها نعمة لاستحوا من الله أن تستخدم فيما

(١) دروس معرفة الله نعم الله الدرس الثاني.

هو إفساد لعباده وإبعاد لعباده عن طاعته وعبادته، فيصبح حينئذٍ تذكر أنها نعمة من الله يشكل ضمانة في تسيير كل هذه المسخرات في المجال الذي يريد الله سبحانه وتعالى، في عمارة الأرض بالصلاح)[1].

عظمة القرآن الكريم

لا يوجد ما هو أعظم من كتاب الله القرآن الكريم على الإطلاق، فقد تضمّنت آياته من البيّنات، والهدى الشيء الواسع، والكثير الذي يغطّي الحياة البشريّة بكلّها، ويغطّي السموات والأرض، فهو كتابٌ يهتدي به الجنّ، والإنس، والملائكة، وتعمر الحياة على أساسه، وهو كتابٌ للدّنيا والآخرة، وبالرّغم من أنّه كتاب صغير في حجمه، إلاّ أنّه لا حدود لسعته، فهو بحرٌ لا يدرك قعره، ويترك أثره، وبركاته في كلّ جوانب، ومجالات الحياة يقول السيد: **(تجد من عظمة القرآن الكريم، والقضية العجيبة فيه رغم أنه مجلد واحد كتاب واحد يغطي الحياة كتاب هو للسماوات والأرض، وللدنيا والآخرة، والصفحة الواحدة فيه كم تجد فيها من علوم، ولهذا الإمام علي يتحدث عن انبهاره هو بالقرآن فيذكر بأنه [بحر لا يدرك قعره وعيون لا ينضبها الماتحون، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلَق على كثرة الترداد] لا تجد هذه في أي كتابات أخرى لأي إنسان مهما كان مهما كانت قدراته البلاغية، ومهما كانت سعة تجاربه في الحياة أن يصل إلى ما يداني هذا المستوى، قد يكون كمثل - بالنسبة للبشر - أعلى الإمام علي** (صلوات الله عليه) **بعد رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **عندما تأتي إلى فقرات من كلامه تجد فيه فعلاً من هذا الزخم في المعلومات؛ لكن ذلك إنما هو أثر للقرآن الكريم، أثر من آثار القرآن الكريم في نفسية الإمام علي، في شخصيته، أثر من آثار الإهتداء به في مظاهر الحياة، وقد تجد تلك الحالة التي كان يتمتع بها الإمام علي، والصفة الهامة مفقودة عند الكثير منا على الرغم من توفر الكتابات ما أعتقد أن الإمام علياً كان لديه مكتبة، ولا دولاب واحد يكون فيه مجموعة كتب، وتجده شخصاً لديه معلومات واسعة جداً، ولديه رؤية تقييمية للحياة وللناس بشكل عجيب.**

(١) دروس معرفة الله نعم الله الدرس الثالث.

هذه الحالة مفقودة لدينا ونحن من لدينا مكتبات: علوم في السياسة، والإجتماع، والإقتصاد، والفقه، والحديث، والأصول، والتفسير....، وكم؟! صفر، لا نملك شيئاً حقيقة، لا نملك شيئاً، ليس لدينا ما يصح أن يقال له شيء بالنسبة لما ينبغي أن يكون الناس عليه، ولهذا كانت خسارة كبيرة جداً جاءت هذه الآية تنص عليها عندما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[البقرة:١٢١] **العبارة هذه ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُون﴾**[(١)].

ويدعو السّيد إلى ضرورة الإهتمام بالقرآن الكريم، باعتباره كتاباً عمليّاً على أرقى مستوى، وفيه التبيان لكلّ شيء، والهدى الشامل الذي يفتح الآفاق، والأبواب الواسعة للعلم، والمعرفة فيقول: **(إذاً هو كتاب علمي على أرقى مستوى لكن لمن يفهم، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾**[البقرة:١٢١] **فعلاً، هذا الذي حصل بالنسبة للأمة هذه، كان واقعهم نظرة انحطت جداً بالنسبة للقرآن الكريم إلى الآن قد تلمسها مثلما نقول أكثر من مرة إن هناك من يقول: فقط! فيرى أن القرآن غير كافي إذا قلنا يكفي هذا، العلوم الأخرى لا يوجد حاجة لها، هي شكلت عوائق بيننا وبين القرآن الكريم، هي جعلت أعمارنا معرضة للضياع، وأجيالنا معرضة للضياع، المواهب المتعددة معرضة للضياع، الأمة بشكل عام معرضة للضياع نهتم بالقرآن هو الذي يعطي الناس المعارف الواسعة جدا، ويفتح لهم أبواب المعرفة، ويعطيهم التوجهات والمسئوليات التي هي كفيلة بأن يتوسعوا في معارفهم)**[(٢)].

ويبيّن السّيد أنّ مما يهدي إليه القرآن الكريم أنّه يعطي إهتماماً بترتيب الأولويّات في أعمال الناس، وتختلف هذه الأولويّات باختلاف الأزمنة، والوضعيات، ونوع، وطبيعة الصّراع الذي يعيشه الناس، فيرتّب القرآن الكريم، وينظّم هذه الأولويّات بحسب أهميّتها، وبحسب الوضعيّات فيقول: **(لأنّ مما يهدي إليه القرآن الكريم موضوع الأولويات في أعمال الناس هذا الموضوع أهم من هذا، وتختلف الأولويات بإختلاف الأزمنة، بإختلاف نوعية الصراع الذي الناس**

(١) سورة البقرة الدرس السابع.

(٢) سورة البقرة الدرس السابع.

فيه، بإختلاف وضعية الجيل الذي أنت تعيش فيه، فإذا كانت القضية تتطلب أن يبذلوا الكل جهوداً كبيرة في مقام نصر الله في مجال مواجهة أعداء الله الذين لديهم وسائل متعددة إذاً لا يوجد هنا أولوية لبناء مسجد، قد يكون بناء المسجد مثلاً يؤدي إلى بذل أموال طائلة جداً ليست الصلاة في أن تكون مقبولة مرتبطة بالمسجد بل قد يكون مصلون في المسجد ولو كان في المسجد الحرام لا تقبل صلاتهم ولو كان في المسجد الحرام، الذي يصلي في الصحراء وبتوجه صحيح في عمل في سبيل الله تكون صلاته مقبولة)[1].

ويعتبر السّيد أنّ القرآن الكريم من أعظم نعم الهداية، ومن أعظم النّعم الّتي أنعم الله بها على المسلمين باعتباره لا زال موجوداً بين أيديهم، وكلّهم متفقون عليه، وهي نعمةٌ لا تضاهيها أيّ نعمة أخرى على الإطلاق فيقول: **(إذاً يجب أن تفهم عظم نعمة الهداية، نعمة أن الله أرسل رسولا هو محمد** (صلوات الله عليه وعلى آله)**، وأنزل عليه هذا الكتاب وهو هذا القرآن نعمة كبيرة جدا لأنه ما يزال بين أيدينا، وما نزال كلنا متفقين عليه، كل المسلمين متفقون عليه، هي نعمة كبيرة لا يساويها نعمه، لا يساويها نعمة من كل النعيم)**[2].

وفي موضوع الصّيام يبيّن السّيد أنّ هناك تلازماً ما بين الصّيام وما بين القرآن الكريم، لأنّ القيام بالدّين على أساس القرآن الكريم يحتاج من الإنسان إلى أن تكون لديه قوّة إرادة، وكبح لشهوات نفسه، وقدرة على الصّبر، والتّحمّل، ويبيّن السيد أنّ أهمية وعظمة القرآن الكريم تكمن في أهميّة، وعظمة ما تضمّنه من الهدى، والبيّنات الّتي هي الغاية من إنزاله فيقول: **(بمناسبة نزول القرآن في شهر رمضان أصبح شهر رمضان شهراً مقدساً وشهراً عظيماً، وهذه الأهمية أهمية القرآن الكريم هي تتمثل في أهمية وعظمة البينات والهدى التي هي مضامين وهي الغاية من إنزاله، والبينات والهدى هي في الأخير لمن؟ للناس، فيدل على الحاجة الماسة، الحاجة الملحة بالنسبة للناس، حاجتهم إلى هذه البينات، وهذا الهدى، أن تكون الفريضة التي فرضت في هذا الشهر العظيم هي الصيام، وهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن، يدل على أن هناك علاقة ما بين الصيام، وما بين القرآن الكريم**

(١) سورة البقرة الدرس السابع.

(٢) سورة البقرة الدرس الثامن.

من حيث أن ما في القرآن الكريم من البينات والهدى، أن الالتزام بهذه البينات والهدى، أن القيام بالدين على أساس هذا القرآن العظيم يحتاج من الإنسان إلى أن تكون لديه قوة إرادة، وكبح لشهوات نفسه، وترويض لنفسه على الصبر، وعلى التحمل)[1].

ويبيّن السّيد أنّ التنوّع، والتراتبيّة في آيات القرآن الكريم، والتّشابك، والتّرابط في تقديمه للمواضيع، يدلُّ على عظمة القرآن الكريم، وأنّه قُدّم فعلاً على أرقى مستوى في إخراجه وأساليبه، لأنّه يراعي طبيعة النّفس البشريّة لدى الناس، ويعتبر السّيد أنّ من عظمة، ومعجزة هذا القرآن الكريم، أنّه جعل العرب يتقبّلون هذا التّشريع، وحَوّلهم إلى أمّة منتظمة راقية بالرّغم من حالة البداوة الّتي كانت تسيطر عليهم، وتطغى على حياتهم، ونقلهم نقلةً رهيبةً جداً، وحَوّلهم إلى مجتمعٍ منتظم لديه ضوابط، وحدود معيّنة يؤمن ويلتزم بها، لكنّنا نلحظ الآن عندما عُزل أسلوب القرآن الكريم في تقديم التّوجيهات، والتشريعات، وقُدّمت أشياءً بديلةً عنه ظهرت إختلالاتٌ رهيبةٌ جدّاً في واقع المسلمين اليوم يقول السيد: **(نجد في ترتيب آيات القرآن الكريم الشيء العجيب، والشيء المهم في نفس الوقت، تارة يتحدث عن الجهاد، وتارة يتحدث عن الإنفاق، وتارة يتحدث عن أشياء في مجال الهداية، توجيهات تربوية معينة، وأحياناً يتناول تشريعات معينه فيما يتعلق بالطلاق، فيما يتعلق بأشياء نهى عنها، كشرب الخمر، وغير ذلك.**

هذه تعطي نظرة هامة جداً وهو: أن التشريع مترابط، أن الأشياء لها علاقة ببعضها بعض، كل تشريعات الله سبحانه وتعالى، ما كانت تشريعات على هذا النحو تتعلق بمعاملات فيما بين الناس، أو تتعلق بقضايا النكاح، أو الطلاق، وكل المنهيات عنها وكل ما كانت توجيهات كلها مترابطة، وكل واحدة منها لها أثر فيما يتعلق بالمجموع، لهذا كان القرآن على أرقى مستوى وكل آية في مكانها عندما تنظر إلى ما قبلها وما بعدها، وإلى الموضوع بشكل عام، الذي جاءت في سياقه ترى لها أهميتها بشكل كبير، فهذا الأسلوب القرآني فيما يتعلق بالجانب الفقهي، الجانب الفقهي بالمصطلح المعروف [الفقه] الذي يعني: عبادات، ومعاملات، أسلوبه هو أفضل أسلوب من أسلوب الفصل

(١) سورة البقرة الدرس التاسع.

بين الأشياء، لأنه فيما بعد أصبح الفقه في حد ذاته عبارة عن فن مستقل تقدم فيه مسائل فيما يتعلق بالعبادات، والمعاملات مسرودة سرداً قانونياً، صياغة أشبه شيء بالصياغة القانونية، لكن الأسلوب القرآني يُلحظ بأنه هناك شيء هام جداً هي نفسية الإنسان، نفسية الإنسان، ولهذا قلنا: أنه من معجزة القرآن الكريم، أنه استطاع أن يجعل العرب يتقبلون هذا التشريع، وهم أمة من البداية ليست أمة متحضرة، وليست أمة تألف أشياء تعتبر حدوداً وضوابطاً وتقنيناً من هذا النوع، ما كانوا آلفين لهذه، وهي عملية كبيرة في الواقع، تعني: نقلة من حالة اللاإلتزام بشيء تقريباً، مجتمع ليس آلف لأن يكون لديه ضوابط وحدود، وأشياء معينة أشياء - ما تسمى - قانونية، ثم ينقل نقلة إلى مرحلة إلتزام بحدود وضوابط، وتشريعات محددة، أن هذه تعتبر معجزة - حقيقة - للقرآن.

لكن أنظر إلى الأسلوب الذي قدم فيه القرآن تلك التشريعات، لم يقدمها بمعزل عن مشاعر الإنسان نفسه عن الأسلوب الذي يلامس نفسية الإنسان حتى يتقبل تلك التشريعات بمختلف أنواعها، تجدهم مثلاً فيما يتعلق بالمواريث نقلة حصلت لديهم لم تكن مألوفة، فيما يتعلق بطعامهم، بشرابهم، مثلاً الخمر، الخمر كان شيئاً يألفونه، والخمر هو مادة متى ما أدمن الإنسان عليها يعتبر الإنتقال إلى أن يتركها قضية فيها نوع من الصعوبة، ومع هذا استطاع القرآن الكريم أن يجعل العرب يصلون إلى هذه المرحلة، إلى مرحلة الإلتزام! كيف؟ هل لمجرد تقديم الأشياء، ولمجرد فقط الوعيد على الأشياء؟ ما نزال نحن المتأخرين، هناك وعيد على الأشياء لكن لم نستطع أن نجعل الأشياء ذات أهمية في نفوسنا، ونلتزم بها، تجد كثيراً من العرب في بلادهم - مثلاً - الخمر منتشر بشكل كبير، أشياء أخرى تعتبر تعدي لحدود الله، منتشرة بشكل كبير! على الرغم من انتشار القرآن الكريم! لكن لما عزل أسلوب القرآن، عزل القرآن أصلاً جانباً، وأصبح كتاباً يتلى لمجرد التلاوة تقريباً، وقدمت الأشياء الأخرى هي البديل عنه، وهي التي تقدم للناس، سواء بشكل تفسير، أو بشكل أحاديث، أو بشكل كتب متخصصة للمسائل التي هي مسائل عبادات، ومعاملات، والأشياء المنهي عنها، والأشياء المحرمة، والأشياء المباحة. أعداد كبيرة من المجلدات لم تستطع أن تصنع ما صنع القرآن بالعرب في تلك المرحلة! لأنه نقلهم نقلة كبيرة جداً.

هنا تجد هذا الدمج ما بين مختلف الأشياء داخل آيات القرآن الكريم تبين لك: أن هذا القرآن الكريم - إذا صحت العبارة - أخرج على أرقى مستوى، ليس الإخراج الصحيح هو: أن يكون هناك

في الموضوع الفلاني باب مستقل، وفصل، ثم باب يختص بموضوع الصلاة، باب يختص بموضوع النكاح، باب يختص بموضوع الطلاق، وهكذا كما أصبح معروفاً، وكما قدم على أنه إخراج جيد، وهو الإخراج الجيد؟ من الناحية الفنية بالنسبة لشكل الكتاب ممكن، لكن بالنسبة للنفوس، بالنسبة للنفوس الإخراج الجيد، الإخراج الراقي هو هذا الإخراج القرآني الذي قدم الأشياء مدموجة مع بعضها بعض)[1].

ويبيّن السّيد أنّ من عظمة القرآن الكريم سعة إحاطته بالمواضيع، وشموليّته لمختلف القضايا، وتقديمها على أرقى مستوى، وبالرّغم من أنّه عميقٌ جدّاً، وبحرٌ لا يدرك قعره، إلاّ أنّه يعطي عطاءً واسعاً لا حدود له، فنستفيد منه عند تلاوته، وعند تدبّر وتفهم آياته، وبشكلٍ دائمٍ، ومتجددٍ، ومستمر، ونجده كتابَ عملٍ، وحياةٍ، وحركة يقول السيد: **(عندما يتأمل الإنسان بالنسبة للقرآن الكريم يجد - فعلاً - أنه كتاب شامل، يتميز عن أي كتاب آخر مما تبذل الأعمار والأوقات والجهود في سبيلها. هنا يتناول القرآن الكريم كل شيء، كل شيء فتجد فيه التذكير بالله سبحانه وتعالى، والتذكير باليوم الآخر، تجد فيه الإرشادات في كافة المجالات، تجد فيه التشريعات في كل المجالات، تجد فيه الترغيب والترهيب على أعلى مستوى، تجد فيه الحديث عن معرفة الله على أعلى مستوى، تجد فيه كل الإرشادات على أعلى مستوى، كما قال الله فيه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾**[الإسراء: من الآية] **فعندما يكون هناك اهتمام بالقرآن الكريم، إجلال للقرآن الكريم، إيمان بأنه - فعلاً - كتاب شامل يستفيد الإنسان منه في كل شيء، لم يجعله الله سبحانه كتاباً معقداً غامضاً على الرغم من أنه «بحر لا يدرك قعره» يستفيد كل إنسان منه ولو من خلال أن يسمع تلاوته، عندما نسمع التلاوة ألسنا نستفيد أشياء كثيرة ونفهم أشياء كثيرة من خلال تلاوته؟ ما نفهمه من خلال التلاوة شيء كثير وهام جداً، إضافة إلى ما يمكن أن نفهمه أيضاً بطريقة أخرى زيادة تبيين للآيات نفسها، لهذا وصف الله آياته بأنها: آيات بينات، فيها بيان يكفي، يكفي من مجرد تلاوته، وما يحصل من خلال السماع لتلاوته يكون - أيضاً - أسساً لفهم أكثر، وتقبل أكثر لما يأتي من تبيين من داخل آياته، ومن عمقه كما قال الإمام علي** (عليه السلام) **عنه: «إنه بحر لا يدرك قعره».**

---

(١) سورة البقرة الدرس العاشر.

نحن نذكر دائماً بأن كلما نقوم به هو عملية إستيحاء من خلال آيات الله من خلال آيات القرآن الكريم لا يعني أن ما نقدمه هو كل ما يمكن أن تعطيه الآيات، لو نجلس مع القرآن الكريم كل شهر، كل شهر وكل ما انتهينا منه عدنا إليه لما نفدت فوائده، لما نفدت إرشاداته وهداياته!.

وكما نذكر أكثر من مرة: بأن القرآن يكون بهذا الشكل بالنسبة لمن؟ لمن يفهمونه بأنه كتاب حركة، كتاب حياة، كتاب عمل، كتاب عمل حتى فيما يتعلق بما نسميه: [فقه] بما نسميه أحكاماً معينة، تجد بأنه لا يكون حديثه أشبه شيء يكون عبارة عن إصدار فتوى في الموضوع، بل هو فقه يعطي الحكم في القضية، ويبين الطريقة لتغيير القضية في كيف يعمل الناس ليغيروا المنكر المعين)[1].

ويؤكّد السّيد بأنّه كان الشيء المطلوب والمفترض أن يكون القرآن الكريم هو وحده الكتاب الذي يتحرك في هذه الحياة، ويعتمد عليه النّاس، ويتّبعوه، ويهتدوا به في كلّ المجالات لأنّه كتاب يسع الحياة بكلّها، ولأنّه بعيدٌ عن الإختراق، والشُّبه فيقول: **(ولهذا نحن نقول إنه يبدو أن القرآن الشيء الأساسي أنه كان هو المطلوب أن يكون هو وحده الكتاب الذي يتحرك في الأرض هو وحده الكتاب الذي يتحرك في الأرض في كل المجالات ترغيب وترهيب وفقه وغيره هو كتاب يسع الحياه بكلها ولأنه هو عباراته بعيده عن أي مدخل لأنه ﴿أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**[الفرقان: من الآية ٦] **قضية هامة فعندما يقول إنه للناس تجد أن القضية ملحوظة أنه ممكن أن يكون فعلاً للناس إذا مشى هو يمشي هو في مقدمة المسلمين أما أن يأتوا في الأخير يقدموا أشياءهم من عندهم في الأخير ترى كم يجمع الأعداء من داخل تراث المسلمين الآخر كتب عباراتها غير لائقة في معظمها كم يقدمون من شبه على الإسلام نفسه يشتغلون بها ضد المسلمين)**[2].

ويبيّن السّيد أنّ من عظمة القرآن الكريم إحاطته الشاملة بكلّ قضية يتناولها ويقدّمها، بحيث يحيط بها من كلّ الإتّجاهات، ويتناول كلّ ما له علاقة بها، بالشكل الذي لا يستطيع أن يصل إليه فكر الإنسان مهما كان ذكاؤه، وقدرته، وخبرته السّياسيّة، والعسكريّة، لهذا يعتبر

(١) دروس رمضان الدرس الثاني عشر.

(٢) سورة آل عمران الدرس الثالث عشر.

وجوده بين أيدينا من أعظم نعم الله علينا يقول السيد: **(فتلاحظ كيف القرآن يتناول كل ما له علاقه بالقضية، وهذا الشيء لا يمكن يصل إليه فكر الإنسان فيكون محيطا بكل ملابسات القضية، لا يعلم إلا الله سبحانه وتعالى، لهذا إنها نعمة كبيرة جداً علينا أن يكون القرآن موجوداً نعمة كبيرة جداً؛ لأنه لا يستطيع الإنسان هو مهما كانت خبرته السياسية والعسكرية أن يصل إلى أن يعرف محيط القضية بكلها وكل ملابساتها)**[1].

ومن عظمة القرآن الكريم أنّ كلّ مشاريعه، وتوجهاته كلّها إيمانية وعمليّة، وكلّها مشاريع ناجحة تضمن النجاح، والنصر لمن يسيرون على توجيهاته، ويتبعونه يقول السيد: **(مع أنّ القرآن يقدم المشاريع كلها إيمانية وتوجيهات للمؤمنين، مشاريع ناجحة، مشاريع كبيرة، مشاريع نصر)**[2].

ترابط القرآن الكريم

القرآن الكريم كتاب مترابط ببعضه البعض لا يقبل التجزئة، ولم يُقدّم بطريقة مجزأة، أو مبوّبة على طريقة التبويب المعروف في كتب الفقه والحديث وغيرها، بل تُقدّم المواضيع فيه بشكل مترابط، ومتعدّد، ومتنوّع، وكلّ قضية لها علاقة بالأخرى، ونحن بحاجة إلى أن نستوعب هذه المواضيع، وتترسّخ في أذهاننا، لأنّه لا يكفي أن نعرف موضوعاً واحداً فقط، بل نحتاج إلى المعرفة بكلّ هذه المواضيع على هذا النحو الذي يقدّمه القرآن الكريم، يقول السيد: **(القرآن الكريم مواضيعه مترابطة، وأنت تحتاج إلى أن تكون هذه المواضيع بمجملها في ذهنيتك، لا يكفي موضوع واحد منها أن تعرفه، تحتاج إلى معرفة هذه المواضيع على هذا النحو الذي قدم في القرآن الكريم)**[3].

لهذا لا يصحّ أن نتعامل مع القرآن الكريم بطريقة مجزأةٍ، ومقسّمة، ومبوّبة كما هي عليه الكتب، والمؤلّفات الأخرى، فالقرآن الكريم تجده يتناول مواضيع متعدّدة، ومتنوعة في

(١) محاضرة آل عمران الدرس السادس عشر.
(٢) سورة النساء الدرس العشرون.
(٣) سورة الأنعام الدرس الرابع والعشرون.

الصّفحة الواحدة، والسّورة الواحدة، لكنّها كلّها تصبّ في قالبٍ واحد، وموضوعٍ واحد، هو النّفس والحياة يقول السيد: **(إذاً لا نرى بأنه من المناسب أن نتناول كل سورة ونقول هذه السورة هي تتناول موضوع كذا وكذا، ثم نأتي إلى سورة أخرى ونقول هذه تتناول موضوع كذا وكذا، لأنك تجد داخل هذه السور مواضيع متعددة، وتجدها في الأخير هي تصب في موضوع واحد، والقرآن كله يصب في موضوع واحد هو النفس، هو هذه الحياه)**[1].

ويؤكّد السّيد أنّ القرآن الكريم جديرٌ بأن يعتمد الناس عليه، ويهتدوا به لأنّه يقدّم القضايا والمواضيع بشكل واضح، ومتكامل، ويعتبر عطاؤه العطاء المتجدّد، والمستمر في حركة النّاس في الحياة، ويقدّم المواضيع بشكل مترابط، فنجد الموضوع داخل السّورة مرتبطاً ببقية المواضيع داخل السّورة نفسها، ومواضيع السّورة مرتبطة ببقية المواضيع في السّور الأخرى، فيُقدّم المواضيع، والقضايا برؤية مترابطة مع بعضها البعض، وتأتي المواضيع المتنوّعة والمتعدّدة داخل القرآن الكريم الفقهيّة، والتشريعيّة، والإيمانيّة، والعباديّة، والأخلاقيّة وإلى آخره، تأتي داخل المواضيع الكبرى كالجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والصّلاة، والزّكاة، والحجّ، والإنفاق وإلى آخره، كلّها تأتي ممتزجه مع بعض، ويؤكّد السّيد أنّ النّظرة الجزئية، أو المُجزأة للقرآن الكريم هي نظرة أصوليّة سيئة، وسلبية تتنافى مع شموليّة القرآن الكريم، ومناهجه، يقول السيد: **(إذاً رأينا كيف أن الناس عندما يعتمدون على القرآن أليس بالشكل الذي يعتبر جديراً بأن يعتمد الناس عليه، ويهتدوا به؟ يقدم الأشياء بشكل واضح، وبشكل متكامل، كم ذكر عن بني إسرائيل! شخصهم بشكل كامل، إضافة إلى ما سيأتي في بقية السور، أحياناً يتناول في أي سورة من السور الكبيرة، يتناول ولو بجزء من المواضيع الأخرى الكبيرة خارج الموضوع الخاص الذي تعطيه السورة أولوية؛ ليبقى الموضوع في ذهنيتك مرتبطاً، تبقى الأمور مرتبطة، مثلما نقول الآن، الآن قرأنا سور تناولت في مواضيعها الرئيسية، ولا نستطيع أن نقول - وهو فعلاً - أن نقول: أننا استوعبنا كلما يمكن أن تعطيه هذه السور أبداً، هذه السور لا يمكن أن نقول: أننا استوعبنا كلما يمكن أن تعطيه، لو نرجع إليها مرة ثانية، ونرجع مرة ثالثة، وشهر بعد شهر، وفي حركة الناس في الحياة، تجدها نهراً - كما قال الإمام علي - نهراً يتدفق، لا ينضب على الإطلاق، فعندما ندخل في**

(١) سورة الأنعام الدرس الرابع والعشرون.

هذه السورة، موضوع هذه السورة هو موضوع مرتبط بالمواضيع السابقة، والمواضيع السابقة مرتبطة ببقية المواضيع في السور الأخرى، وهكذا، ليس هناك تجزئة في القرآن، حتى لاحظ كيف يقدم الأحكام التشريعية التي هي محط اهتمام الناس، الأحكام التشريعية تلك، الفقهية، فهو يقدمها في داخل المواضيع الكبرى، ويشبكها بشكل ممتزج مع كل المواضيع، هكذا تجد، وكما نقول دائما: نحن نريد من خلال أن نعرف هدى الله سبحانه وتعالى الذي يأتي في نفس الوقت يهدي بتبيين، ويهدي في إعطاء منهج، منهج لحركة الناس في سبيل أن يكونوا قوامين بالقسط، في سبيل أن يكونوا مصلحين في أرضه، في سبيل أن يكونوا مصلحين لعباده، هذه النظرة الشاملة، تقدم القضية برؤية مترابطة مع بعضها بعض، تعني فعلاً بأن ما حصل في ثقافتنا من رؤية تجزيئية، ومنبعها: أصول الفقه، الرؤية التجزيئية، النظرة إلى كل قضية بخصوصها، وإلى كل قضية لوحدها، ويرى هذه القضية لوحدها، وتلك لوحدها، وتلك لوحدها في معظم ما قدم، أن هذه تعتبر نظرة سيئة وسلبية بشكل كبير، النظرة التجزيئية هي النظرة التي قدمها منطق أصول الفقه، بينما تجد القرآن الكريم كيف منطقه؟ كيف أسلوبه؟ أليس هو يعطيك الرؤية الشاملة، ويقدم القضايا أمامك مترابطة، أنت عندما ترى عنواناً كبيراً مثلاً جهاد في سبيل الله، أليس هذا عنواناً كبيراً؟ لاحظ كيف يرفقه بعناوين كثيرة، ومواضيع أخرى كثيرة جداً جداً، تجعل هذه القضية عندك في الأخير قضية تشتاق إليها، وليس أنك تبحث كيف تتخلص منها)[1].

ويؤكّد السّيد أنّ اتجاه القرآن الكريم واحد، ويتناول مختلف المواضيع في نفس الإتجاه الواحد بشكل مترابط ينسجم مع فطرة الإنسان في العلم، والمعرفة، لأنّ الإنسان يحتاج للمعرفة الشّاملة بمختلف القضايا، ويؤكّد السّيد أنّ هذا الترابط، والتشابك الموضوعي، والمنهجي داخل كلّ سور، وآيات القرآن الكريم من حكمة الله سبحانه وتعالى بحيث لا تستطيع أيّ جهة أن تتحكّم فيه، أو تفصل النّاس عن بعض أجزائه، ومواضيعه يقول السيد: **(القرآن كله إتجاهه واحد، وتتناول صوره مختلف المواضيع، لم يأتي على طريقة التبويب لكل موضوع باب خاص، لأن المواضيع مترابطة، والقضايا مترابطة، والإنسان بحاجة إلى معرفة شاملة لمختلف القضايا، وقد يكون من حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون القرآن على هذا النحو، ولما يعلم بأن كل إنسان من**

(١) سورة الأنعام الدرس الرابع والعشرون.

عباده بحاجة إلى أن تقدم له هذه المعارف جملة، وليكون بالشكل الذي لا يمكن لأي جهة أن تتحكم فيه، أو تفصل الناس عن أبواب معينة أو أجزاء معينة منه، أو فصول معينة منه، لو كان مفصلاً، يعني - مثلاً - لو أن القرآن جاء: [باب التوحيد] بعده [باب الصلاة] [باب الطهارة] باب بعد باب بعد باب إلى أن يصل [باب الجهاد] لربما كان هذا الباب مما تمنع قراءة سوره، أو مما لا يسمح بطباعته، فيأتي هذا القرآن العظيم هكذا مدمج)[1].

ويُقدّم السّيد نموذجاً لهذا الترابط الموضوعيّ داخل سُور القرآن الكريم، لأنّه كتاب حكيم بكلّ ما تعنيه الكلمة، ولا يستطيع أحدٌ اختراقه على الإطلاق فيقول: **(وأنت تقرأ سورة البقرة ترى فيها بني إسرائيل، وجهاد، وصلاه، وإنفاق، وصيام، ونكاح، وطلاق، وأشياء من هذه .... إلي آخره، تدخل سورة آل عمران نفس الشيء تدخل سورة النساء، المائدة، وهكذا القرآن حكيم بكل ما تعنيه الكلمة ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾**[فصلت: من الآية٤٢] **ليس معهم مدخل عليه على الإطلاق)**[2].

ويضيف السّيد أنّ القرآن الكريم يُقدّم المواضيع بشكلٍ متكاملٍ، ومُتنوّع، ومُتكرّر حتّى يجعل لدى الإنسان معرفة، وإحاطة شاملة بمختلف القضايا، وهذا الأسلوب له تأثير نفسيّ، ومعنويّ، ووجدانيّ، وتربويّ على الإنسان فتبقى مشاعره، وذهنيّته متشبّعة، ومزدحمة بكلّ هذه المواضيع، ويحصل على المعرفة الشّاملة، والكاملة بالدّين، فيندفع للعمل والتّحرّك فيها بشكلٍ متكاملٍ على أساس الأولويّات الّتي يقدّمها القرآن الكريم، ويترك أثرها في النّفوس يقول السيد: **(سورة المائدة] قد سمعنا منها آيات، وتجد فيها حديثاً في نفس الوقت عن بني إسرائيل، إضافة إلى أحكام أخرى فيما يتعلق بمأكولات، ومشروبات، ونكاح، وأشياء من هذه، لماذا يأتي هذا الموضوع متكرراً؟؛ لأن الإنسان يحتاج إلى أن يكون ذهنه مستحضراً للأشياء هذه كلها؛ لأنها مترابطة، فلا يكون ذهنك متجهاً إلى ما يسمى: [فقه] وأنت ناسي قضايا الأعداء، هذا الذي حصل بالنسبة لنا كمسلمين فعلاً، عندما فصلت الأشياء وقدمت فنون، الفقه اعتبر هناك كتب مستقلة لوحده، وكتب أصبحت طويلة عريضة، مجلدات بمئات المجلدات، وإذا قد الإنسان منشغل فيها،**

(١) سورة المائدة الدرس الحادي والعشرون.

(٢) سورة المائدة الدرس الحادي والعشرون.

وذهنه يسيطر عليه أقوال أصحابها، والترجيحات داخلها، ونسي القضايا الأخرى، هنا يذكر لك قضية فقهية على ما نفهم في الزمن هذا، أو حسب مصطلحاتنا، وهو في نفس الوقت يأتي لك بحديث يذكر لك أعداء، منافقين، يهود، نصارى، مشركين، أو بعنوان آخر أهل الكتاب مثلاً، من كل الفئات؛ ليبقى الإنسان هكذا ذهنه، ذهنه يستوعب، وذهنه واسع، ومداركه واسعة، لا يجلس ذهنه فقط مشغولاً بموضوع معين، هذه قضية لمست فعلاً، منهم من يتحول إلى نحوي بحت وغارق في النحو ووجوه النحو وأشياء من هذه، ومنهم من يتحول إلى فقيه مستغرق ذهنه ومسيطر على مشاعره وكل تفكيره قضايا أحكام شرعية فقهية، وناسين قضايا أخرى هامة جداً، هي أساس في أن يكون لهذه اللغة التي أنت تسهر على أن تعرف أحكام مفرداتها، سواء باعتبار الصيغة، أو باعتبار النطق، أو هذا الفقه الذي أنت تسهر لمعرفة أحكامه، قد تصبح في الأخير تموت بين يديك، إذا كنت تجهل القضايا الأخرى، قضايا إقامة الدين؛ لأن الفقه معناه: أن يفقه الناس هذا الدين، هذا هو الفقه، كتاب الفقه هو القرآن، كتاب الفقه بكل ما تعنيه الكلمة، وبمعناها العربي القرآني يعني: فهم الدين بشكل عام، بدءاً من معرفة الله سبحانه وتعالى، لا يعتقد واحد بأنه هنا يحصل تكرير لمجرد التكرير، التكرير له أهمية كبيرة في تأثيره في النفس، وأهمية من الناحية التربوية، أن تجلس أنت تستعرض، مشاعرك مليئة بهذه المعلومات التي تراها مترابطة، واهتمامك بها يكون اهتماماً بها جميعاً، وليس ببعضها دون بعض، يكون اهتمامك بها أيضاً على أساس أولويات، على حسب ما تتركه تربية القرآن من أثر في نفسية الإنسان في النظر إلى القضايا، هذه هامة، وهذه أهم، هذه هامة اليوم وغداً هي أهم، وهكذا)[1].

التّمسّك بالقرآن

يؤكّد السيد أنّ هذه المرحلة هي مرحلة التّمسّك بالقرآن الكريم، والعمل والاهتداء به، ومهما كانت الظّروف، والتّهديدات فلن يستطيع أحدٌ أن يضرّنا ما دمنا متمسّكين بالقرآن الكريم، ولن تلحق بنا أيّ خسارة على الإطلاق، لا في ثقافتنا، ولا في إيماننا، ولن يستطيع أحدٌ أن يتناول القرآن الكريم بطريقة قاسية، لكنّ الخطر ممكن أن يأتي عن طريقنا نحن عندما نكون قابلين، ومهيّئين لأن نُفصل عن القرآن الكريم يقول السيد: (**ولهذا نحن في مرحلة فعلاً**

(١) سورة المائدة الدرس الواحد والعشرون.

ونقول من زمان بأنه يجب علينا أن نتمسك بالقرآن وليعمل ما يريد الآخرون أن يعملوا لن يضرونا ما دمنا متمسكين بالقرآن، ولن ينقصوا علينا شيئاً يعتبر خسارة علينا في ثقافتنا أو في إيماننا على الإطلاق، والقرآن هو بالشكل الذي يتهيب الكل فعلاً أن يتناولوه بطريقة قاسية، أن يجمعوه مثلاً ويحرقوه، لكن لن يتناولوه - مثلما قلنا سابقاً - إلا عن طريقنا نحن، أن يفصلونا عنه، وأن تحرف معانيه أمامنا من قبل ناس منا نحن، أما هم فكانوا يتهيبون أمام الكتب التي تنزل عليهم أن يمسوها هي، نفس الكتاب الذي أنزل على موسى، نفس الكتاب الذي أنزل على عيسى أن يمسوه هو بتحريف، كانوا يتركونه على جنب، تبدونها، كما قال الله عنهم، وتخفون كثيرا ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾[الأنعام من الآية: ٩١] **وسيأتي من خلال هذه الآية حديث حول، ما كنتم تخفون من الكتاب، لكن ممكن أن نُضرَب نحن بأن نفصل نحن عن القرآن عن طريقنا نحن، من داخل أبناء الأمة هذه، سواء ممن هم يتحركون برغبة أو برهبة، بغباء أو بطمع للحصول على مصالح معينة)** سورة المائدة الدرس الواحد والعشرون.

ويضيف السّيد أنّ الإرتباط والتمسّك بالقرآن الكريم يمثل سلاحاً مهماً جداً بيد المؤمنين، فيتحرّكون به، وعلى أساسه، وفي نفس الوقت لا يسمحون لأحد أن يقف أمام القرآن الكريم، ويحاول أن يبعدهم، أو يفصلهم عنه يقول السيد: (**وهكذا، ارتباطنا بالقرآن، ارتباطنا بالقرآن يشكل فعلاً سلاحاً هاماً جداً للمسلمين، سلاحاً هاماً جداً للمؤمنين، ارتباطهم به، أن يقولوا مثلاً في موضوع الخطابة: اعملوا ما تريدون، فنحن لن نخطب إلا بالقرآن، هل يمكن أي جهة تقول: [لا، ولا القرآن] لا يمكن؛ لأن له مكانة في نفوس الناس، وأي جهة تقول: [أبداً، ولا القرآن]؟! أبعدوا ما تريدون، ولا تتعبوا أنفسكم بأنكم تبحثون عن خطباء وكتب معينة، ومراجع معينة وأشياء من هذه، مستعدين ما نقدم ولا خطبة واحدة إلا من القرآن، والقرآن لا يمكن أن نسمح لأحد أن يقف أمامه ليسكتنا عنه على الإطلاق، هذه القضية لا بد منها، لا يمكن لهم أن يقولوا: [لا بأس القرآن لكن الفصل الأخير منه، باب الجهاد فقط مثلاً أو الجزء المختص بتاريخ بني إسرائيل منه فقط]. وأنت تقرأ [سورة البقرة] ترى فيها بني إسرائيل، وجهاد، وصلاة، وإنفاق، وصيام، ونكاح، وطلاق، وأشياء من هذه.. إلى آخره، تدخل [سورة آل عمران] نفس الشيء تدخل [سورة النساء]، [المائدة] وهكذا القرآن حكيم بكل ما تعنيه الكلمة، ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ**

خَلْفِهِ﴾[فصلت: من الآية٤٢] **ليس معهم مدخل عليه على الإطلاق، إنما تحصل مداخل علينا نحن، على الإنسان نفسه)** سورة المائدة الدرس الواحد والعشرون.

ويضيف السّيد أنّ الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يعتبر القرآن الكريم سلاحاً مهماً بيده، فيتحرّك به في كل قضاياه، ومواقفه، ويواجه به كلّ الظّروف، والتّحدّيات، لأنّ القرآن الكريم يعتبر عصمةً، وسلاحاً فعّالاً بيد من يهتدون به، ويتحرّكون على أساسه، وهو كتابٌ مباركٌ في عطائه، وأثره وتوجيهاته، ويعتبر الإعتصام به قضيّة مقبولة لدى جميع المسلمين يقول السيد: (**ولهذا كان الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **يعتبر القرآن سلاحاً، سلاحاً فعلاً، حتى في قضايا كثيرة لا تعتقد بأن الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **كان يقرأ كتب بني إسرائيل، أو يحاول يرد عليهم من داخل كتبهم، وأشياء من هذه، من القرآن، وسيأتي آيات مما سمعناها حول هذا الموضوع، فالقرآن يعتبر عصمة، ويعتبر سلاحاً، وهو مبارك، والتوجيهات منه مباركة، الاعتصام به قضية مقبولة عند المسلمين جميعاً، كل المسلمين، ممكن أن يقولوا: [لا، أما القرآن لسنا مستعدين] إلا إذا كان مثلاً في بعض بلدان، أو في وضعية معينة عن طريق علماء سوء، فعلاً أو خطباء سوء، أو أمة غير واعية لا تفهم وضعية الحكومات الآن، فمتى ما جاء شيء من جهة الوزارة الفلانية قالوا: [قانون، دولة، أوامر دولة]**) سورة المائدة الدرس الواحد والعشرون.

ويؤكّد السّيد أنّ القرآن الكريم كلّه من أوّله إلى آخرة مبنيٌ أساساً، وقائمٌ على أساس أن تكون هناك دولة قرآنيّة، وأمّة قرآنيّة بكلّ ما تعنيه الكلمة، تكون هي المعنيّة بإقامة القسط، والعدل في الحياة، وتطبيق الأحكام، والتوجيهات الإلهية فيقول: (**القرآن كله مبني من أوله إلى آخره، مبني على أن هناك دولة قرآنية، أن هناك أمة قرآنية، تقيم القسط، هي المعنية هي بتقييم القضية، وفي نفس الوقت بإجراء الحكم الإلهي**) سورة المائدة الدرس الثاني والعشرون.

ويؤكّد السّيد أيضاً على أنّ القرآن الكريم يعمل، ويتّجه من خلال توجيهاته، وتعليماته، وهداه، وبيّناته ليبني الأمة بناءً صحيحاً فتكون أمةً قويّة، وحكيمة، وزاكية فيقول: (**ترى كيف أنّ القرآن هو متجه ليبني الأمة بناء صحيحا، أمة نفوس أفرادها نفوس زاكية، تطلع أمة زاكية،**

أمة حكيمة، وقوية) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

التدبر للقرآن الكريم

يؤكّد السّيد على ضرورة، وأهميّة التدبر للقرآن الكريم، وتفهّمه، واستيعابه، واستشعار عظمته، وشموليّته، وسعته، وهذه دعوة من الله لتأمّل القرآن الكريم، وتدبره حتّى لمن نفوسهم مريضة، ففي سورة النساء الدرس الثامن عشر من دروس رمضان عند قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[النساء:٨٢] يتحدث السيد عن هذه الآية فيقول: **(هذه الآية من الآيات العظيمة في القرآن نفسه تجد على سعة المواضيع التي تناولها واسع جداً جداً، وتجد ليس فيه اختلاف على الإطلاق ولا من النوع الذي يكون اختلاف على مسافات بعيدة، قد تكون القضيتان يبدو وكأنهما متفقتان أمامك وبعد كم مسافة، لكن تختلف في أثرها هناك على بعد، هذه لا وجود لها في القرآن على الإطلاق، وفي القرآن ما يدلهم على أنه من عند الله والرسول أمامهم يعرفون أنه رسول الله، فلماذا هم على هذا النحو؟ يحكي عنهم ما تعتبر نفسياتهم وكأنهم لا يفقهون حديثاً، ألم يقل هكذا عنهم؟ ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾**[النساء: من الآية٨٢] **ليفقهوا، أليست هذه دعوة حتى لمن هم نفوس مريضة، أو منافقون ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ أن يتدبروه؟ ليس معناه يأتي ليفسره تفسيرا هذا موضوع ثاني اقرأه بتأمل تجد وهو يتحدث عن الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **يعطي لهذا الرجل قيمة عظيمة وإنه إنسان حكيم وأنه يسير بهدى الله حينها ترجع إلى نفسك تقول: إذاً سأطيعه، أطيعه؛ لأن الله لا يمكن أن يصطفيه ويختاره ويكون بالشكل الذي يكون أحمقاً؛ لأن الله رحيم وحكيم وعليم لا يمكن أن يختار لنا شخصا أحمقا، فهنا سينطلق، لكن إذا ما هناك تدبّر فستكون نفسية الإنسان هناك بعيدة)** سورة النساء الدرس الثامن عشر.

وعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[النساء: من الآية٨٢] يوضّح السّيد سعة شموليّة القرآن الكريم ككتابٍ واحدٍ يتناول كلّ شيءٍ من الماضي، والحاضر، والمستقبل، كتاب للحياة الدّنيا، وللحياة الآخرة، ومع هذا لا يوجد فيه أيّ اختلاف،

أو تناقض، أو تعارض على الأطلاق، لا في نصوصه، ولا في معانيه، ولا في غاياته، وأهدافه العميقة والبعيدة فيقول: **(تجد اختلافا كثيراً في كتاب يتناول موضوعاً واحداً مما يكتبه الناس، وهو يتناول موضوعاً واحداً، ما بالك عندما يكون هناك كتاب يتناول مواضيع الحياة بكلها، يقدم لك الحياة بكلها حتى ماضيها، كتاب عن الحياة هذه، والحياة الآخرة، عن الماضي والحاضر والمستقبل، واسع جداً جداً، ومع هذا لا ترى فيه اختلافاً على الإطلاق، والإختلاف لا يتوقف فقط على المخالفة في النص؛ لأن عندنا قاعدة أساسها حديث من رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **«ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما خالف كتاب الله فليس مني» ليس المخالفة معناها فقط المخالفة النصية الواضحة، هذا شيء، تأتي مخالفة هناك على بعد؛ ولهذا قضية العرض على القرآن قد يكون كثير من الناس ليس بإمكانه إلا أن يعرض ما يعتبر واضحاً في الصورة مثل حديث: [شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي] و[من قال لا إله إلا الله دخل الجنة] وأشياء من هذه قريبة أمامك، ترى نصها معارضا للنصوص الواضحة أمامك، أحياناً تكون قضايا لا تظهر بأنها مخالفة للقرآن إلا على عمق، على بُعد، بعد ما تعرف أن القرآن الكريم هو كتاب عميق، في نفس الوقت تجد بأن ليس هناك اختلاف داخله، إلى أعمق عمق إلى قعره - مثلما يقولون - إذا يوجد قعر هناك لا يوجد اختلاف في هذه كلها)**[1].

ويبيّن السّيد أنّ الرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يهدي الأمّة، ويبلغ عن ربّه على أساس القرآن الكريم، وفهمه الشّامل والعميق له، لهذا لا يمكن أن يأتي من عنده أيّ توجيهات تكون مخالفة للقرآن لا في المعنى، ولا في المضمون، ولا في الغاية، ولا في الهدف، ولو على بعد زمنيّ كبير فيقول: **(رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **وهو مبلغ عن الله وهادي على أساس كتاب الله، لا يمكن أن يأتي من عنده توجيه للناس وهو بالشكل الذي يخالف القرآن حتى على هذا البعد وعلى هذا العمق لا يمكن على الإطلاق، لاحظ في كثير من كتب الترغيب والترهيب هناك روايات هم يقولون عنها بأنها باهر وعادية تصلح الناس وستجعلهم بعيدين عن المعصية، وأشياء**

(١) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

من هذه، لا يلمسون بأنها تخالف القرآن هناك، وبعضها قريب ليس على بعد كم أمتار في العمق، بعضها فعلاً تكون قريبة إذا هناك تأمل لظهرت مخالفة للقرآن)[1].

ويبيّن السّيد أنّ ميدان القرآن الكريم هو الإنسان، والحياة، وأنّ للقرآن الكريم منهجٌ تربويٌّ ورؤية، ومقاصد، وأهداف يقوم عليها في بناء النّفوس، والمجتمعات، ويوضّح السّيد أنّ ما بين أيدينا من روايات، وأحاديث مما قد تعطي أثراً نفسياً، أو منهجياً مخالفاً لرؤية ومنهجية القرآن الكريم فإنها تعتبر مخالفة له، وليست من الرّسول ولم يقلها، وأحياناً قد تكون صحيحه لكن في قضيّة محدودة، وموضوع معيّن فقط، باعتبار الظّروف والوضّعيات بحيث لا يندرج النّص على شموليّته في الحياة، يوضّح السّيد هذا الموضوع فيقول: **(عندما تعرف ميدان القرآن، ميدان القرآن: الإنسان، والحياة. هذه الميادين فإذا كان هناك توجيه معين فاعرف بأن القرآن نفسه هو له رؤية، هو يريد أن يبني الإنسان على نحو معين، نفسيته يبنيها على نحو معين، فله مقاصد وأهداف بالنسبة لنفسيات الناس أعني: عنده منهج تربوي، إذاً فعندما يكون هذا الذي هو رواية وتراها مخالفة هناك، أعني: تعطي أثرا في النفس آخر يتبين أنه مخالف لما يريده القرآن، هذا يعتبر مخالفا وهذا لا يمكن أن يكون صحيحا عن رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **يكون صحيحا عنه كتوجيه عام، إما أنه قد لا يكون صحيحاً نهائياً أو قد يكون صحيحاً لكن قد يكون في قضية محدودة، أو أمام شخص معين، في حالة معينة فقط، مثل ذلك الذي قال له: عظني يا رسول الله، قال: «لا تغضب» ألم يقل له هكذا: «لا تغضب». وقال لواحد بعد أن شكا عنده موضوع والديه أو أحدهم قال: «ارجع ففيهما فجاهد» هذا خطاب خاص.**

وعندما يقول هذا، هو يعرف الشخص هذا ويعرف طبيعته عندما يقول له: «لا تغضب». وهذا الشخص هو يعرف وضعيته ويعرف وضعية والديه عندما يقول له: «ارجع ففيهما فجاهد» وإذا بهم في الأخير قد هم يريدون: ارجع ففيهما فجاهد، وأبوه صحيح ومعه أولاد كثيرون غيره، وعنده أنه يجاهد لأنه يجلس عند أبيه أو عند أمه! لا يمكن هذا، هذه أيضاً هي تعتبر مقياسا هاما جداً ودقيقا

(١) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

يختلف عن مقاييس أصول الفقه في موضوع التفريع والتشريع الذي يسمونه تفريعات وقضايا مستجدات وأشياء من هذه، أحياناً قد تنطلق تفرع على قضية معينة ولا تدري وتكون النتيجة أنك تطلّع هناك حكماً وإذا هو مخالف لقضية أساسية في القرآن؛ ولهذا كان يظهر في حركة أهل البيت في الماضي كان يظهر فيهم أعلام ويتحركون ولا تدري واشتغلت تلك المسائل التي قد طلعها المفرعون، قد صارت مطبات أمام إقامة دين الله، تفهم أنه في دين الله لا يمكن يأتي تشريع أبداً يبدو متناقضاً أو معارضاً أو يشكل عائقا أمام تشريع آخر على الإطلاق، وإلا لكان هذا ماذا؟ مظهر من مظاهر الإختلاف)[1].

وهنا يوضّح السّيد أنّ موضوع الإختلاف ليس مرتبطاً باختلاف وتعارض النصوص فقط، بل في الرؤى، والمضامين، والأثر النفسيّ، والتربويّ، مبيناً أنّ ما يتناوله القرآن الكريم لا يخرج عن رحمة الله بعباده، وعلمه، وحكمته، وقدرته فيقول: **(ليس الإختلاف فقط في موضوع ما فيه اختلاف في نصه بل في مضامينه في رؤاه، فيما يتركه هناك في النفوس، لا يحصل اختلاف على الإطلاق، يقول لك تأتي تقرأ مجموعة من قواعد أصول الفقه ثم تنطلق تفرع وتشرع، في الأخير يضعون مطبات كبيرة، تجد القرآن يتحرك في أكثر من اتجاه وبشكل عجيب أي تراه في منطقه يراعي أن الله رحيم، مبني على أن الله رحيم وعلى أن الله حكيم وعلى أن الله بكل شيء عليم، وعلى أن الله غالب على أمره، وأنه على كل شيء قدير، وأنه هو الذي خلق الإنسان ولهذا قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾**[الملك: من الآية١٤] **﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**[الفرقان: من الآية٦] **وأنه غني تجده في كل مضامينه كلها، لا تجد وكأن قضية معينة تبدو تختلف مع أنه رحيم، أو قضية معينة يظهر فيها تتنافى مع أنه حكيم أو مع أنه غني أو مع أنه يعلم الغيب والشهادة، لا يوجد كلها مصاديق يصدق بعضه بعضا، كما قال الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **في حديث روي عنه، يقدم القضايا بشكل لا يمكن أن تصل إليها ذهنية أحد)**[2].

وهنا يضرب السّيد مثالاً على تحرّك الأمريكيّين الذي يقوم على التّخطيط، والخبرات، والتّنظيم الدّقيق، والدّراسات، وكيف أنّهم يفشلون، ويخفقون في الأخير لأنّه لا يوجد لديهم

(١) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

(٢) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

سعة القرآن الكريم، وشموليّته، وإحاطته بالقضايا من مختلف جوانبها فيقول: **(لاحظ الأمريكيين وهم متجهون إلى احتلال الناس، احتلال البلدان أليسوا يبدأون يدرسون قضايا ويضعون خططاً ويفكرون، وخطط بعضها تستمر سنين يدرسونها ويطورونها ويعدلونها وأشياء من هذه، وما تدري واكتشف عندهم أخطاء كبيرة تعيقهم في مسيرتهم أخطاء كبيرة جداً؛ لأنها كانت قضايا ليسوا محيطين بها ولن يستطيعوا أن يحيطوا بها من كل جهة، لاحظ كيف هم الآن هناك في العراق محرجين إن حاولوا أن يكون هناك أمن معنى هذا لازم حكومة، يعني يقوم في العراق دولة وهم لا يريدون هذا، وإن جاء قلاقل داخلها بهذا الشكل فسيكون معناه برهنة على أنهم لم يحققوا للناس ما يدعون أنهم يريدون تحقيقه من تغيير أنظمة ويكون هناك وضع مستتب وأمن مستقر إلى غيره، وضعية الآن محرجة فعلاً لا يحبون حصول أمن؛ لأنه سيأتي طلبات دستور وحكومة وانتخابات وأشياء من هذه وهم معهم نوايا أخرى، وأن يكون بهذا الشكل وضع مقلق جداً لهم؛ لهذا يحاولون كيف يصرفون الأشياء يحرفونها يقول لك: بقايا نظام ويقول: هناك أناس دخيلين من سوريا ومن السعودية، من أفراد آخرين؛ لأن لا يحصل عند الشعوب الأخرى فكرة تحول دون قابلية أمريكا لتحررهم كما تقول، معناه أمريكا بعدها وضع قلق على طول لا يكون هناك استقرار أمني، الناس سيفهمون هذه، يحاولون يوحون للناس، لا، هذا ليس من جهة العراقيين هذا من جهة الآخرين دول تتدخل، أليسوا يحاولون يركزون على هذه؟ ولن يحاولوا أن يكون هناك أمن؛ لأنه إحراج لهم)**[1].

ويضيف السّيد أنّ هذا التّحرّك الأمريكيّ الذي يقوم على أساس المعلومات، والتّخطيط، والدّراسة، والبّحث يفشل في الأخير، لأنّه لا يمكن لأمّة مهما كان لديها من خبرات، وخبراء، وإمكانات، وقدرات أن تحصل على شيء مقاربٍ للقرآن الكريم فيقول: **(إذاً فتحركوا بكل قواتهم بعد التخطيط وبعد هذه الأشياء وإذا هم في وضعية حرجة، فيحاولون أن يحملوا المسئولية أطراف أخرى، أن إيران تتدخل أن السعودية تتدخل وسوريا وتنظيم القاعدة وبقايا النظام السابق، في**

(١) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

الأخير يعملون مع الشعوب الأخرى بهذه الحجة: أنهم يتدخلون لا يريدون للعراق أن يكون هناك مستقراً، أعني: أنهم أمة يقيمون أعمالهم على أساس تخطيط وتنظير، معهم منظرين سياسيين معهم مخططين مهندسين يسمونهم في السياسة ومعهم خبراء ومعلومات كثيرة عن المجتمعات عن الدول عن النفسيات لكن تراهم يخفقون، لا يمكن لأمة أن يحصل لها على الإطلاق لا خبرات ولا خبراء ولا أي شيء يكون مقاربا للقرآن هذا على الإطلاق، إنه خسارة كبيرة أن تكون الأمة هذه تراها في وضعية سيئة ووضعية جهل مفرط، والقرآن بين أيديهم)[1].

يجب أن نثق بالقرآن الكريم

في الدّرس السّابع والعشرون والدّرس الثّامن والعشرون من دروس رمضان (سورة الأعراف) يبيّن السّيد ويوضّح الطريقة الّتي يجب أن نسير عليها في تعاطينا وتعاملنا مع القرآن الكريم، والّتي يجب أن تقوم وتبتني على أساس الثّقة التّامّة، والقناعة المطلقة بالقرآن الكريم باعتبار كلّ ما بين أيدينا من موروثات، ورؤى، ونظريّات، كلّها قد جُرّبت وأخفقت، وباعتبار أنّ أمامنا فرصة سانحة، وظروف متاحة ومتوفرة للعمل بالقرآن الكريم، وكلّ تجارب الحياة وظروفها أثبتت فعلاً أنّه لا حلّ ممكن للأمّة إلاّ بالعودة الجادّة والصادقة لكتاب الله، والإهتداء والتثقف به، فيقول: **(إذاً فالقضية التي هي مطلوب بالنسبة لنا جميعاً بأنه كيف نثق فعلاً بالمسألة على هذا النحو! نقول: كل ما بين أيدينا قد جرب، كل ما بين أيدينا من طرق أخرى قد جربت، وأخفقت، ولم تترك إلا آثاراً سيئة، كتب تفسير، وحديث، وأصول فقه، وعلم كلام، وكتب ترغيب وترهيب، والأشياء هذه كلها، مذاهب متعددة جربت، نظريات أخرى جربت، اشتراكية، علمانية، ليبرالية، رأسمالية، الأشياء هذه كلها جربت وأخفقت، أليست كلها جربت وأخفقت؟ إذاً قد نكون نحن ربما من أكثر الناس إمكانية أن نقدم القرآن للآخرين، أول شيء بالنسبة لنا ليس لدينا عوائق كبيرة، ليس لدينا عوائق كبيرة بحيث أنه مثلاً تجعلنا نؤقلم القرآن على أساس رؤى سابقة لدينا، أعتقد هذه قد تكون موجودة عند الآخرين تقريباً، عند الطوائف**

(١) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

الأخرى إشكالية، لكن في حركة الحياة في المرحلة هذه، هناك ما يجعلهم يكتشف لهم ما هم عليه بأنه لم يعد يقدم حلاً، أما عندما يحصل مثلاً هجمة ثقافية، مليئة بالشبه، ربما قد تخليهم فعلاً يتنكرون لأشياء كثيرة، فيكون الشيء الوحيد المقبول هو القرآن، هو القرآن.

نحن قد تكون جريمة كبيرة بالنسبة لنا إذا لم نقتنع بالقرآن مِن صِدِّق، والله أعلم كم بقي من عمر الدنيا، لا أحد يدري كم في أعمارنا، وكم في عمر الدنيا هذه بكلها، لماذا لا نحاول نتمسك بالقرآن من صدق، ولا نعتمد على أي تثقيف آخر سواه، مهما كان، وهنا ألم يقدم لنا بشكل لم يعد بعده إلا هل ينتظرون إلا أن يأتي الله أو الملائكة، أو يأتي بعض آيات ربك، هل ينتظرون إلا تأويله، يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل.. يعني آيات كافية، ومعنى كافية، في كل ما تناولته)[1].

مقوّمات النّهوض بالقرآن

هناك مقوّمات كبيرة، وفرص متاحة أمامنا وفي متناولنا للنهوض بالقرآن الكريم والعمل به، خاصّة في هذه المرحلة الّتي تساقطت فيها كلّ الرؤى والنّظريات البديلة، واعراضنا عن القرآن الكريم في حدّ ذاته يعتبر جريمة كبيرة لن تمرّ دون عقاب ومؤاخذة إلهيّة شديدة، يقول السّيد: **(هذه القضية يجب أن ننطلق منها بصدق، عندما يقول واحد: لكن بقي، وبقي...! لا يوجد، فقط أنت ما زلت مرجوجاً، أو يكون واحد فقط قد دخل برأس رجله، ورجل ما زالت متشبث بطريقة سابقة، فعندما نتحرك على هذا النحو فعلاً قد لا يكون ربما فيما أعرف في المنطقة العربية هذه نفسها لا يوجد ربما طائفة، ولا شعب عنده فرصة يتحرك على أساس القرآن مثلما عند الناس هنا في اليمن، فعلاً مقومات كثيرة ليست متوفرة في أي شعب آخر، فقد تكون خسارة كبيرة جداً علينا في المقدمة إذا ما تحركنا على أساس القرآن، إذا لم نقدم القرآن للناس، نقدمه على أعلى مستوى، أول شيء نلتزم نحن، عندما نقول: نقدم؛ لنعرف كيف هداه، ثم كيف نتحرك على أساسه ونحن نقدمه للآخرين، وتجد الآخرين فعلاً الآن لم تعد الديمقراطية جذابة لديهم،**

(١) سورة الأعراف الدرس السابع والعشرون من دروس رمضان.

هل أحد ممكن يقاتل من أجل الديمقراطية الآن؟ من يمكن أن يقاتل من أجلها؟ ولا أحد، أعتقد لا جيش، ولا شعب في أي بلد عربي الآن، اتضح لنا أنهم قد ملُّوا منها، بقي القرآن، والقرآن عندما يقدم قُبِل الإسلام نفسه، يُقّبل الإسلام؛ لأن الإسلام قد شوه حقيقة؛ ولهذا نقول: إنه شيء مؤسف أننا لا نسمع في وسائل الإعلام، لا تسمع أنهم يحاولون يقدمون حلولاً أخرى، وتحليلات كثيرة، لا يوجد تقديم بأن الإسلام يمثل حلاً! لا يوجد كلام حول القرآن نفسه!.

لو قال بعض: القرآن.. فسيقدمه بطريقته التي هو عليها، يقدمه وعنده رؤى أخرى يحكِّمها على القرآن، وقدم القرآن لا شيء، لا يقدم للناس شيئاً)[1].

وتبدأ أولى خطوات العمل بالقرآن الكريم مع أنفسنا بحيث نكون أمّة منضبطة لا مجال داخلها وفي وسطها للإنفلات والعشوائية، أمّة فعلاً تقدّم الشّهادة على عظمة دين الله، وهداه، وبيّناته فتشكّل نموذجاً حقيقيّاً في الواقع العملي يشهد على عظمة هذا الدين، وقدرته على صناعة المتغيّرات الحيويّة والإيجابيّة التي تصبّ في صالح حركة الأمّة، والنّهوض بها، فنقدّم هذا الدّين بجماله وجاذبيّته قولاً، وسلوكاً، وعملاً، وممارسة في واقع الحياة، حتّى نحظى بتأييد الله، وعونه، ونصره، وتوفيقه، مهما كان حجم العمل المضاد، والشائعات، والدعايات، والتهديدات، يقول السّيد: **(كما نقول: نفهم بأن الله هو حي قيوم، وهذه قضية أساسية، وأن القرآن الكريم هو كتاب حي قيوم لا ينفصل عن قيومية الله سبحانه وتعالى، الله يقول في القرآن: أنه على كل شيء شهيد، نعرف كيف نهتدي به، وكيف نسير عليه، وكيف نقدمه للآخرين، وكيف يجعل الناس من أنفسهم نموذجاً صحيحاً، مهما أمكن، وبعون الله، يستعين الناس بالله، دعاء ورجوع إلى الله كيف نكون مثلما قال في آية أخرى: ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾**[النساء: من الآية١٣٥] **قضية شهداء أن هذا الشيء عظيم، يبدأ من عملنا مع الناس الذين هم مننا زيود، وأمام الأعداء أنفسهم نحن نقول عن الأمريكيين: أن معهم عناصر تتحرك، وتعمل استبيان للناس، يجب من يسيرون على القرآن أن يقدموا أنفسهم نموذجاً لأمة منضبطة تماماً، أمة عندها رؤية واضحة، أمة ليست تحركاتها**

(١) سورة الأعراف الدرس السابع والعشرون من دروس رمضان.

عشوائية، ولا كل واحد يمشي على هواه، ولا كل واحد [شوره من قرنه] مثلما نقول.

نحن نقول: هذه من الناحية العملية مهمة جداً، يعملون استبيان، نحن أمام فئة كلما وجدوا الناس أقوياء كلما ضعفوا هم أمامهم، كلما ضعفوا هم، لا تتصور أن الأمريكيين معناه عندما يرون الناس أقوياء، ومنضبطين، ومصرين على ما هم عليه، وعندهم صمود أنهم لن يضعفوا، لاحظ مظهر السجن هذا، كل أسبوع يعتبر إيجابي كبير بالنسبة للناس، في تأثيره على نفوس الأعداء، على الأمريكيين، والإسرائيليين أنفسهم، أمام أمة صامدة، ومثلما قلنا سابقاً: نحن في مرحلة يجب أن نقدم، وليس على أساس أنه عنوان حزب، أو عندنا قيادة محنكة، أو عندنا شخصيات محنكة، قرآن، هذا دين الله؛ لأنه هي القضية الغائبة، البلاد العربية ملان محنكين، وملان مفكرين، وقادة، لكن الشيء الغائب هو ماذا؟ أن يلمسوا أثر دين الله، أثر القرآن، وكيف يكون الناس الذين يهتدون بهداه، هذه القضية أساسية ننطلق فيها.

ولا تأتي الشهادة لله إلا عندما يكون الناس يتحركون في سبيله، وبطريقة معلنة، في سبيله، أننا نهتدي بهداه، نسير على كتابه، لاحظ كيف تكون النتائج؟ عندما يكون الناس بهذا الشكل يكونون محط تأييد إلهي، محط عون إلهي، وفعلاً الناس، الأمة هذه بأمس الحاجة إلى القرآن، لكن من يقدم لها القرآن؟ هذه المشكلة هنا، أنا لا أتصور أن هناك طائفة أخرى، افهموا هذه -على معرفتنا بالطوائف - ما أتصور أن هناك طائفة أخرى يمكن أن يأتي من داخلها ممن هو متمسك فعلاً بما هو سائد في طائفته، يقدم القرآن بشكل إيجابي، أحياناً بعض الطوائف لا يمكن شخص منها يجرؤ على أن ينقد نفسه، وينقد مجتمعه، وينقد طائفته، هذا نادر، بعضهم قد ينقد في مجال وما زال هو [مخربط] في مجال آخر، نحن لدينا إمكانية ننقد الآخرين جميعاً، ننقد ما كنا متشبثين به من أشياء اتضح بأنها مخالفة لكتاب الله داخلنا كزيدية، داخلنا كشيعة، مع الاثنى عشرية، مع طوائف السنة، مجتمعات أخرى، محمد حسين فضل الله نفسه عندما نقد أشياء معينة عملوا عليه ثورة ثقافية، وحملة دعائية رهيبة.

بعض الناس قد يكون فعلاً يتأثر، نحن قلنا من البداية يجب أننا نوطن أنفسنا على هذه، وأنها قضية أساسية فيمن قال الله عنهم: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾(المائدة: من الآية٥٤) لأنه قال بعد: ﴿وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾(المائدة: من الآية٥٤) أنه لو يقولون ما يقولون، خليهم يعملون فتاوى، يعملون بيانات، يعملون ما يعملون، طريقة لن يتزحزح الناس منها نهائياً، وهذه هي

طريقة القرآن نفسه، كيف قدم في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)**؟ كانوا يقولون: ساحر، كذاب، مجنون، مفتري على الله، أساطير الأولين، أشياء كثيرة جداً، ولم يبال بها، واتجه في طريقه ونجح**[1].

كيف نقدّم القرآن الكريم؟

وفي هذا الدّرس الّذي يعتبر من الدروس الأخيرة للسّيد "رضوان الله عليه" يبيّن فيه أهميّة وعظمة ما قدّمه القرآن الكريم من هدىً وبيّنات واسعة وشاملة من (سورة البقرة) إلى (سورة الأعراف) فقط، موضحاً أنّ الطريقة التي يجب أن يقدّم بها ومن خلالها القرآن الكريم هي الطريقة العمليّة الّتي تعطي الناس أملاً وثقةً بالقرآن الكريم، وتقدّم لهم الرّؤية الصحيحة، والبنّاءة، والعمليّة في عمليّة بناء الأمّة والنّهوض بها، حتّى لا تبقى الدعوة للعودة إلى القرآن الكريم دعوة عائمة وضبابيّة كما هو المألوف في دعوة الحركات والمذاهب، ويؤكّد السّيد على أهميّة وضرورة التّسليم المطلق لله سبحانه وتعالى، والقناعة بالطاعة والإمتثال، لأنّ التسليم لله هو باب الحصول على العلوم والمعارف الواسعة، مبيّناً أنّ من رحمة الله بعباده أنّه يصطفي لهم أعلاماً يهدونهم بالقرآن الكريم فيقول: **(الاهتداء بالقرآن - كما نقول - يجب أن نقدمه للناس بالشكل الذي يعطيهم أملاً، يعني كيف رؤية الإسلام في بناء الأمة، هذه قضية، كيف رؤية القرآن في بناء الأمة، تبدأ مننا نحن، عندما نقدمه في أوساطنا، لا تبقى عبارة: [كتاب وسنة] مثلما هو سائد، أليس هو السائد في المجتمع [كتاب وسنة]؟ لكن قد هم عارفين أن كل واحد يرجع إلى الكتاب يأخذ منه الذي على كيفه وخرج ولم يقدم شيئاً، والآخرين مثله، قد ملوا الكلمة هذه، كيف تقدم رؤية يفهم الناس فعلاً بأنها رؤية بنّاءة للأمة، تمثل حلاً أمام الخطورة الكبيرة التي تواجههم.**

القضية هي تحتاج إلى تسليم، مثلما ذكر الله في كثير من الآيات السابقة، ونحن ما قد قرأنا إلاّ إلى سورة [الأعراف] فقط، كم يوجد داخل كتاب الله بشكل كبير موضوع التسليم لله، والتسليم لله

(١) سورة الأعراف الدرس السابع والعشرون من دروس رمضان.

بمعنى أنه يخليك تنضبط، وتعرف كيف تسير على هداه، وإذا ما تزال عند نفس واحد هو يريد يقدم نفسه هو شخصياً، يريد.. يريد.. يريد يكون هو الذي يعرف هو، هو الذي لازم هو بطريقته، وأنه عبقري، وأنه.. وأنه، هذا الذي عانت منه الأمة إلى الآن، هذه الفكرة هي التي عانت منها الأمة إلى الآن، والدنيا ملان مجتهدين [ومفنقلين] وعباقرة، وما عملوا شيئاً، ولم يقدموا للأمة أي حل نهائياً.

قدم الموضوع أنه بالشكل الذي يعطي الناس معارف واسعة، ليس معناه أنه بشكل يجعل الأمة ناس جهلة، تعطيهم معارف واسعة، وحكمة، وتزكية للنفوس في إطار بناء صحيح، أليست هذه رؤية القرآن نفسه؟ فعلاً. فعندما يأتي واحد هو يرى أنه ما استطاع أن يقدم القرآن تماماً، ويفهم منه تماماً مثلاً، مثل فلان، أو فلان، يفهم بأن القضية ليست على أساس أنه هو لا قيمة له عند الله، أنه من أجلك، ومن أجل هذا، ومن أجل الآخرين الله يعمل الطريقة هذه، يصطفي نبي، اصطفى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؛ ليكون على أعلى مستوى؛ ليقدم ما عنده من مؤهلات، وما عنده من علم ومعرفة كلها للناس، أليس هكذا؟.

نحن نقول: إن القضية أن نسلم أنفسنا لله، نحصل على المعرفة، على العلم، على نفوس زاكية، إذا برز الإنسان بنفسه سيخسر علماً كثيراً، ومعارف واسعة، ستفوتك معارف كثيرة جداً عندما تنفرد بنفسك؛ لأن الله هو أعلم بك من نفسك، وهو الذي يؤتي العلم هو، أنت تريد أنت من جهة نفسك تحصل على علم من جهة نفسك فيما يتعلق بموضوع الهداية والثقافة، بدل أن تخسر من هو محيط بكل شيء علماً ومن قال لنبيه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾(طه: من الآية ١١٤) أليس رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) إنسان اصطفاه الله، وأكمله، ويعلمه بأن عليه أن يتوجه إلى الله؛ ليحصل على العلم من عنده هو ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾.

وأعتقد في هذا الكفاية لحد الآن - لأن الكثير ربما قد يسافرون الصباح - أنه قد اتضح لنا من خلال الذي قد قرأناه من القرآن، وهي سور محدودة من [البقرة] إلى أول سورة [الأعراف] وما يزال نسبة بسيطة من القرآن، ألم يتضح لنا عظمة القرآن؟ اتضح لنا فيها سعة ما يتناوله، اتضح لنا

فيها أنه ملامس لواقع نفوس الناس، وحياة الناس، أنه كتاب حياة، اتضح لنا فيها بأنه لم يقدم كدستور مفصول عمن قدمه كما هو شأن الدساتير التي تصاغ في الدنيا، قد تقرأ أي دستور من الدساتير ولا تدري من هو الذي كتبه، من الذي صاغه! اعرف ما هناك ارتباط بشخصه، هو يقدم قوانين، مواد، مادة كذا، مادة كذا، إلى آخره.

القرآن ألم نلمس بأن فيه الله بشكل واسع؟ يعني: اسمه في داخله بشكل واسع، توجيهاته، وليس مشابهاً للدساتير والقوانين، ماذا يعني هذا؟ أن الذي أسماؤه داخل القرآن هو الحي القيوم، يعني: أن القرآن غير مفصول عنه على الإطلاق، غير مفصول عنه نهائياً، إذا فهمنا القضية هذه، وحاول الإنسان أن يدعو الله في بقية هذا الشهر، ندعو الله أن يهدينا، أن يبصرنا، أن يرشدنا بكتابه، أن يعيننا على أن نهتدي بكتابه، أن يعيننا على أن نقدم كتابه للآخرين يهتدون به، هذا هام جداً في بقية الشهر هذا؛ لأنه من أحسن الأوقات للدعاء، وليهتدي الإنسان هو نفسه، ونحن نقول: هي قضية أساسية فيما بينه وبين الله، يعني: إفهم بأن باستطاعتك أن تعمل هذه، ليس على أساس أنك منتظر ماذا يمكن أن يأتي من كلام، ثم بعد تنظر، هل تقطع مع الله فيما بينك وبينه، التزام بأن تسير على هداه، وتسلم نفسك له، هذه القضية بإمكان واحد يبدأها حتى من بعدما يسمع [الفاتحة].

إذا كان على هذا النحو يمكن فعلاً أن يحصل على هدى، ويهتدي، إذا جلس هكذا ما زال مرجح، ما زال منتظر يعين كيف... لما ينجح الموضوع، في الأخير ربما ينجح الموضوع ولا يهتدي، ثم عندما ينجح القرآن، وقد قدم لك بطريقة هامة، ما هو الذي أنت ما زلت منتظراً أنك تهتدي به ولم يعد بإمكانك أن تهتدي به؟ ربما فعلاً قد لا يعد يهتدي الإنسان، تكون القضية من البداية يستطيع الإنسان بأنه يقطع مع الله، والتزام ويطلب منه أن يعينه، أنه سيهتدي بهداه، ويسير على كتابه، على ما هداه إليه كتابه)[1].

كيف نقرأ القرآن؟

هناك طريقة رسمها الله سبحانه وتعالى في التّعاطي والتّعامل مع القرآن الكريم من حيث القراءة للآيات، ومن حيث التّدبر والتأمل فيها حتّى يتمكّن النّاس من الإهتداء الصحيح

(١) سورة الأعراف الدرس السابع والعشرون من دروس ومضان.

بالقرآن الكريم، فمن حيث القراءة والتلاوة للقرآن لها ضوابط ومحدّدات مهمّة جدّاً، فليس أيّ تالٍ، أو مقرئ للقرآن الكريم تكون قراءته وتلاوته مفيدة، فالإنسان من حيث قراءته هو للقرآن الكريم بتأمّل وتدبّر يحصل على معرفة واسعة، ويفهم أشياء كثيرة، وهناك أمور، ومعارف أخرى يحصل عليها الإنسان من خلال قرناء القرآن، وورثته الحقيقيّين الذين أوكل الله سبحانه وتعالى إليهم مهمّة قراءته وتلاوته على النّاس فيحصلون على الهدى الواسع، وتتحقّق لهم المعرفة الشّاملة التي يهتدون ويتحركون بها في الحياة، يقول السّيد: **(تدلنا هذه الآيات التي سمعناها، قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ﴾**(الأعراف: من الآية٢٠٤) **فالإنسان إذا استمع إلى القرآن الكريم يجد أنه كتاب يفهم منه الكثير، أليس كذلك؟ يفهم منه الكثير وهو كما قال الله فيه: كتاب مبارك، أثره في النفوس أثر عظيم، أثره في النفوس مبارك، أثره في الحياة مبارك.**

هذه الآية تعني: بأن كتاب الله سبحانه وتعالى فيه الهدى الكامل، هذه الآية هي شبيهة بالآيات الأخرى التي تقول بالنسبة للقرآن الكريم: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾(الأنعام: من الآية١٥٥) **هي تعني: أن هذا الكتاب شامل، وكامل، وآيات واضحات، وبينات واضحات، وبلاغ مبين. مطلوب من الإنسان أن يستمع، أن يتبع، كما نقول أكثر من مرة: أن هذه الآيات تعني: أن موضوع الهدى هو جاهز، هو جاهز، والإنسان عليه أن يستمع، وعليه أن يتبع. لكن هنا قال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ﴾ والخلاف حول من يقرأ، مطلوب بالنسبة للإنسان هو عندما يقرأ، عندما يقرأ القرآن أن يتدبر، وأن يتذكر، كما قال الله في آيات أخرى، لكن بالنسبة للقرآن الكريم، موضوعه واسع جداً، أوسع مما يمكن أن تتناوله أنت فردياً، من أشياء تفهمها من ظاهر آياته، هناك كما هي سنة من سنن الله تعالى أنه ينزل كتبه إلى رسله، ثم بعد الرسل يورث كتبه من يصطفيه من عباده، ليتلوها على الناس، ليقرأها على الناس.**

الله قال عن رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله): **﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾**(النمل: من الآية٩٢) **أي أن يتلو القرآن، مع أنه إنسان أمي، وهناك قراء آخرين من أصحابه، هم قراء للقرآن، ويعرفون القرآن، باعتباره بلغتهم العربية، لكن لازم أن يتلوه النبي** (صلوات الله عليه وعلى آله) **عليهم، كثيراً من هذه الصيغ التي تأتي بعبارة: المبني لما لم يسم فاعله، مبني للمفعول - كما يقولون - قُرِئ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾**(الجمعة: من الآية٩)، **﴿وَإِذَا قُرِئَ﴾ لا تعني بأن الفعل**

مبني للمجهول، نحن نقول: هذا من الصيغ النحوية التي تعتبر غير صحيحة أن يقال دائماً: مبني للمجهول، لا، مبني للمعلوم، إيكال على ما هو معلوم، وأنه سبحانه وتعالى يجعل من يقرأ، من يتلو، وفي موضوع الجمعة هو الذي يحدد كيف تكون الجمعة، وهو الذي يجعل من ينادي للجمعة، فإذا قال: ﴿إِذَا نُودِيَ﴾ ليس معناه أطرف مكبر، أو أطرف واحد يقرأ القرآن)[1].

تلاوة الشّيخ المنشاوي للقرآن الكريم

يشيد السّيد بتلاوة المقرئ "محمد صدّيق المنشاوي" للقرآن الكريم من حيث الجانب الفنّي للتلاوة التي تتناسب وتتناسق مع القرآن الكريم فيحصل الإنسان من خلالها على هدى، ويستطيع معها التّأمل والتّدبر للقرآن الكريم، باعتبارها تلاوة شجيّة تلامس معاني القرآن الكريم، وهداه، وبيّناته، لأنّ معظم المقرئين للقرآن من الوهابيّين تكون تلاوتهم تلاوة مشوّهة للقرآن الكريم حقيقة، ويعتبر السّيد أنّه من النعم الكبيرة علينا في هذا الزمن أن يكون هناك من يتلو القرآن بهذه الطريقة الشجيّة والمفيدة، فيقول: **(نحن نقول بالنسبة لتلاوة كثير من هؤلاء [الوهابيين]، تلاوتهم تشوه القرآن، ومثل هذه التلاوة التي نسمعها، تلاوة [المنشاوي] تلاوة جميلة، تلاوة شجية، يعني: كأنها تلامس معاني القرآن، تلاوة ليست بصوت غير مقبول، وليست مطولة، ونعمة كبيرة علينا، نعمة كبيرة في هذا الزمن أن يكون بإمكان الإنسان أن يستمع تلاوة القرآن بشكل جيد؛ لأنه قد يكون الكثير منا ليس لديهم أصوات جيدة، إذا قرأ القرآن سيشوهه، أعتقد أنه على أساس ما أعرف أنا، أنا نفسي عندما أستمع تلاوته يعجبني أحسن من لو تلوت أنا، أسمع تلاوته، وأتأمل على ضوء تلاوته، في موضوع الصوت هو يكفي، يقدمه بشكل جميل، وصوت شجي)**[2].

هدى الله واضح وبيّن

من القواعد المهمّة، والأسس الثّابتة في فهم القرآن الكريم والإهتداء به أن تكون لدينا قناعة

(١) سورة الأعراف الدرس الثامن والعشرون من دروس رمضان.

(٢) سورة الأعراف الدرس الثامن والعشرون من دروس رمضان.

تامّة أنّ بيّناته كاملة وواضحة كما تبيّن في ما سبق، وأنّ ما على الإنسان إلاّ أن يهيئ نفسه للإستماع والإتباع فقط، لأنّ منطق الإستنباط الذي ساد في ثقافتنا، وقدّم على أساس أنّ على الإنسان أن يقرأ قواعد، وأصول، وآليات معيّنة حتّى يتمكّن من الإستنباط، والبحث داخل آيات القرآن الكريم غير صحيح على الإطلاق، فآلية الفهم الصحيح للقرآن والإهتداء به تأتي عبر القراءة والإستماع بتأمّل وتدبّر، وعن طريق الأعلام الذين يصطفيهم الله سبحانه وتعالى، وجعلهم قرناء وورثة لكتابه القرآن الكريم، وهذه هي سنّة ثابتة من سنن الله في الإهتداء، يقول السّيد: **(هكذا يتكرر في القرآن الكريم موضوع، نحن نقول في كثير من آيات الله: أن هذه القضية هامة داخل القرآن الكريم، أن الله يقول للناس: إن بيناته كاملة، وواضحة؛ فليتبعوا، وليستمعوا، ليست بحاجة إلى أن يبحثوا، يستنبطوا، يبحثون لهم عن آليات، ثم يستنبطون! ما معنى البحث والاستنباط، والأشياء داخله، ما هو المنطق الذي ساد فيما بعد في ثقافتنا العلمية؟ تقرأ من أجل تستطيع أن تستنبط! تقرأ أشياء أخرى - مثلاً - أصول فقه، من أجل أنك تستنبط! هنا يقول: الموضوع قدم بالشكل الذي لا يحتاج منك أي عناء سوى أن تتبع، تستمع وتتبع.**

فهذه تعتبر قاعدة هامة، وكما هو واضح أيضاً داخل القرآن الكريم، وقد تحدثنا بالأمس حول بعض الآيات: أن هذه سنة من سنن الله سبحانه وتعالى، أنه يقدم هداه كاملاً، وبيّن، يقول في القرآن الكريم: بأنه كتاب مبين، يسمي فقراته هذه آيات بينات، يأتي الخطأ فقط من جانب أن لا يفهم الإنسان كيف موضوع الهدى من أساسه، هذا الهدى الذي قدم للبشر على أي أساس هو، ولهذا يأتي الخطأ أن كل واحد عنده أنه هو، هو، يفهم كل ما داخل هذا القرآن، والقضية من أساسها هي ليست بهذا الشكل، الله سبحانه وتعالى كما قال في آيات أخرى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾(السجدة: من الآية١٣)، و﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾(الرعد: من الآية٣١) وعبارات من هذه، لكن موضوع الهدى هذا هو قدم على أساس بناء أمة؛ ليكونوا جميعاً قوامين بالقسط.

عندما تتصور بناء أمة معناه: أن الإنسان، كل واحد يعتبر لبنة في بناء، لبنة في بناء، سيفهم من ظاهر القرآن الكريم أشياء كثيرة جداً تساعده على أن يلتزم، في نفس الوقت عليه أن يعرف أن

مهمة البناء، بناء هذا الكيان، مهمة إقامة هذا الدين، عندما يكون الإنسان هو عبارة عن لبنة في بناء، لإقامة الدين معنى هذا أنها مهمة كبيرة جداً، فيجب أن تعرف بأن هناك مواضيع كثيرة أخرى هي مبنية على هذا الأساس، على أساس ماذا؟ أنها تقدم بالشكل الذي لا بد أن يكونوا أمة واحدة، أن يكونوا كياناً واحداً، أن يكونوا كتلة واحدة)[1].

خطورة التّعاطي الفردي مع القرآن الكريم

الطريقة الصحيحة في التعاطي مع القرآن الكريم هي تقوم على أساس العمل والتّحرك الجماعي به، لأنّ النّظرة الفرديّة في التّعاطي والتّعامل مع القرآن الكريم هي الّتي ضربت القرآن الكريم في واقع نفوسنا، وفي واقع حياتنا، وجعلت الكثير، والنّسبة الواسعة من هداه وبيّناته خارج نطاق دائرة اهتماماتنا وأعمالنا، ومن يتعاطى مع القرآن الكريم بطريقته الفرديّة فإنّه لن يحصل على الهدى الواسع والشّامل، وغاية ما يحصل عليه هو القليل من المعارف والهدى، وتبقى القضايا الرئيسية والكبيرة التي تتعلق بإقامة الدّين، وبناء الأمّة خارج نطاق الإهتمام، وخارج نطاق القدرة، يقول السّيد: **(لأن الكثير من الهدى الذي في القرآن الكريم، عندما ينظر الإنسان فردياً هو، ألست قد ترى أشياء كثيرة جداً منه خارج دائرتك أنت؟ فعلاً، أي بالنظر إليك أنت كشخص، وأنت تفترض بتكليفك الخاص أنت، تقول صلاة ممكن صلاة أصلي مقبولة، صيام ممكن أؤدي الصيام هنا أستطيع من الصباح إلى الليل، ذكر الله ممكن أذكر الله، زكاة ممكن أؤدي، أشياء هذه محدودة، أليست تعتبر محدودة؟ لكن تجد المساحة الواسعة في الدين، تجدها قضية جماعية، خطاب جماعي، مهام جماعية، هذه المهام الجماعية عندما تأتي أنت بنظرتك الفردية إليها سترى بأن هذا مبني على أنه إذا كان هناك استطاعة، وفي الأخير تقول: أنا لست مستطيعاً، وهذا الذي حصل، الذي حصل عند الناس، عندما ترسخت النظرة الفردية، لم يبق لديهم ما يتناولونه إلاّ الأشياء الفردية، تراهم مصلين، وصائمين، وحاجين، ومزكين، ومتصدقين، الأشياء الأخرى وهي المساحة الواسعة يبدي عليها ورآها وقال: هذا يمكن كذا... مثل: ﴿كُونُوا أَنْصَارَ**

(١) سورة الأعراف الدرس الثامن والعشرون من دروس رمضان.

اللَّهِ﴾(الصف: من الآية١٤) **﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾**(آل عمران: من الآية١٠٤) **﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾**(النساء: من الآية١٣٥) **﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾**(الحج: من الآية٧٨) **﴿قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾**(آل عمران: من الآية١٦٧) **أليس هو يراها خطاباً لأمة، وبدا عليها.. و قال: [هذا فيما إذا كان واحد مستطيع، وليس باستطاعتي أنا، ورجع.. ورجع.. ورجع..].**

لهذا ترىٰ في الأخير أن الذي قعد عنه الناس يمثل نسبة كبيرة جداً من الدين، بسبب هذه النظرة الفردية، إلىٰ درجة أن الأشياء الأخرىٰ لم يعد لها قيمة في واقعنا، وكما نقول أكثر من مرة: بأن الله يذكّرنا بأن الأعمال هنا في الدنيا، تستطيع أن تعرف أن الأعمال مقبولة، ولها قيمة، أو أنها محبطة، يربط بين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، يقول هناك: ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾(العنكبوت: من الآية٢٧) **فنظرنا إلينا وإذا نحن ملايين مصلين، وملايين يحجون، وملايين يصومون، وكم يشترون من مسابح يسبحون، أسواق تكون في المدينة، وفي مكة يشترونها في [الشوالات] مسابح، ولكن هذه الأمة رأينا واقعها بالشكل الذي يبدو أن كل هذه الأعمال قد فرغت من محتواها، ولم تعد ذات قيمة بالنسبة لواقعها، إذا لم تعد ذات قيمة بالنسبة لواقع الحياة فاعلم بأنها ليست ذات قيمة عند الله؛ لأنه هو الذي وعد أنه إذا كانت الأعمال متكاملة، ومقبولة، سيجعل لها أثرها هنا، وأثرها في الآخرة، فإذا لم نلمس لها أثرها هنا يعني ماذا؟ أنها ليست مقبولة، ليست أداء للدين كما أمر.**

إذاً فتجد أنه فعلاً بسبب النظرة الفردية التي رسخها أصول الفقه، جعلت كل إنسان يبدي علىٰ الدين واختار الأشياء التي يمكن يأخذها، واعتزل له هناك، وبقية الأشياء يقول: [لا نستطيع، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ما يلزمنا] وأشياء من هذه)[1].

القرآن كتاب عمل جماعي

القرآن الكريم هو كتاب عمل جماعي، وجاء الخطاب فيه للمؤمنين بصيغة الجمع، لهذا لا تحصل الأمّة علىٰ القدرة التّنفيذيّة للقيام به، وتطبيقه، والعمل به، والإهتداء به، إلاّ بالطريقة

(١) سورة الأعراف الدرس الثامن والعشرون من دروس رمضان.

الجماعيّة، لأنّ الكثير من توجيهاته وقضاياه العمليّة الحيّة والمتحركة يتوقف القيام والنهوض بها على العمل الجماعي، كالجهاد في سبيل الله، والتّوحد، والدّعوة إلى الخير، وبناء الأمّة، واقامة الدّولة القرآنيّة التي تقوم بالعدل والقسط، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وغيرها من القضايا العمليّة الكبيرة لا يستطيع الفرد لوحده القيام بها وتنفيذها، بل إنّ القضايا الفردية، والتكاليف الشرعية الفردية، كالصّلاة، والصّيام، والزكاة، والحجّ، وغيرها لا تكون ذات قيمة، وأثر، وفاعليّة إلاّ بالقضايا الكبيرة المرتبطة بالعمل الجماعي في ظلّ أمّة واحدة ومتوحّدة، يقول السّيد: **(إذاً فنفهم جميعاً أن النسبة الكبيرة من الدين هي خطابات جماعية لأمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾(البقرة: من الآية١٠٤) وتجدها فعلاً بالشكل الذي لا يمكن لشخص أن يقوم بها، بمعنى أنه يجب أن تكون أنت ضمن أمة يتحركون في أداء هذه الأشياء التي لا يستطيع أن يقوم بها شخص واحد، حينها ستقبل الأعمال الفردية منك، ستقبل الأعمال الفردية من الناس، بل بدت القضية بشكل آخر، بشكل أنه حتى لو هناك خطايا، أو أشياء، أن الله سيغفرها لمن هم مجاهدون في سبيله، لمن هم متحركون لإقامة القسط، لمن هم يعملون على إعلاء كلمته.**

بل رأينا تلك العبادات من أبرزها وأهمها الصلاة، ألم يجعلها بالشكل الذي كيفما أمكن وأنت في ميدان العمل لإعلاء كلمة الله؟ لم يقل: توقفوا، اتركوهم هناك يعملون ما يريدون وابدئوا صلوا ركعات كاملة، بأذكارها كاملة، ولو يحصل ما يحصل! هو قال هناك: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً﴾(البقرة: من الآية٢٣٩)، هذه الصلاة التي هي كما نراها في القرآن في كثير من المواقع، وهي من أهم العبادات فعلاً لكن هذا مما يعتبر مثلاً واضحاً لنا، عندما تجد العبادة الهامة، وهي الصلاة في حالة العمل لإقامة الدين أديها على الحالة، إذا لم يمكنك أن تصلي وأنت على ظهر الفرس، كما كان في الماضي، أنت في ميدان الجهاد، حضر وقت الصلاة وأنت لا تتمكن فعلاً من أن تصلي أربع ركعات، أو ثلاث ركعات في الأرض فصل على الحالة، وأنت تقاتل، وكبر، واقرأ ما تيسر، وسبح، وهي صحيحة.

ماذا يعني هذا في الأخير؟ يعني بأنه لو قلنا: [لا، نترك هذا المجال، الجهاد في سبيل الله، العمل لإعلاء كلمة الله، ونصلي، نترك ما دام أنه قد يؤدي الموضوع إلى أنه لا يعد يلحق له إلا قراءة هكذا خطف، لا يتمكن حتى من أن يسجد، لم يعد هذا عمل صالح قد هذا قلة خير، اتركونا نتركّع، وما لنا دخل!!] تركّعنا سنين، أليس الناس متركّعين سنين، ومبنين مساجد، ومليئة بالمصلين؟ وجدنا ليس لها قيمة.

كانت تلك الصلاة التي هي خطف فوق ظهور الخيل، وفي ميدان الجهاد رجالاً، أو ركباناً، تعتبر ذات قيمة كبيرة، وليس فيها لا سجود ولا ركوع، وإنما فقط الحاصل، ذات قيمة كبيرة أفضل من الركعات التي نصليها طويلة، وسجود، ويمتد واحد، ويسبح حتى يشبع، ويقوم ويقعد، ويضيف نوافل؛ لأن هذه ليس لها قيمة، والموضوع الآخر معطل، العمل لإعلاء كلمة الله)[1].

القرآن الكريم يعمل ليبني أمّة

موضوع الهدى في القرآن الكريم يبتني أساساً على أساس بناء أمّة متكاملة، وقد قدّم القرآن الكريم الرّؤية المتكاملة لبناء أمّة واحدة ومتوحّدة، وتعتبر هذه هي الغاية منه، والهدف الرّئيسي الذي يسعى إليه القرآن الكريم، والقرآن الكريم في خطابه، ووسائله، وأساليبه، وتوجيهاته جاء بشكل جماعي، ممّا يعني أنّ فهمه واستيعابه متوقف على العمل الجماعي، والأمّة الواحدة، لأنّه كتاب عمل، وحركة، وحيويّة، وإلاّ فإنّ النسبة الواسعة منه ستبقى مجمّدة، وغير ممكن ولا متوفر القيام والنّهوض بها، وقد قدّم القرآن الكريم من النّاحية الهيكليّة والتّربويّة الخطّة الوافية، والرّؤية الشّاملة لبناء الأمّة، والخلاصة أنّ الإنسان لا يستطيع ولا يتمكن من الإهتداء والعمل التّطبيقي والتّنفيذي بالقرآن الكريم بمفرده، ويأتي على رأس بناء الأمّة موضوع القيادة الموكل إليها بناء وتنظيم الأمّة الّتي تتمكّن من العمل والتّحرك بالقرآن الكريم، وهنا يوضّح السّيد "رضوان الله عليه" هذا الموضوع بطريقة مفصّلة فيقول: **(فعندما نفهم فعلاً بأن الهدى هكذا من جهة الله سبحانه وتعالى، في خطاب، في مساحة واسعة من الخطاب جماعي، ومعلوم عند البشر بفطرتهم عندما يقول: ﴿وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ﴾**(آل عمران: من الآية١٠٤)، **﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾**(النساء: من الآية١٣٥) **أليس معناه: أن يبنوا أنفسهم على أفضل طريقة، ككيان لأمة، ومعلوم عند البدو من البشر، عند البدائيين من البشر، كيف يجب أن يكونوا أمة، ومع هذا تناول القرآن الكريم تعليمات وافية، وخطة وافية، وكاملة في بناء أمة، من الناحية الهيكلية، ومن الناحية**

(١) سورة الأعراف الدرس الثامن والعشرون من دروس رمضان.

التربوية، قدمها بشكل كامل.

إذاً فلتفهم بأن موضوع الهدى هو مبني على هذا، غير طبيعي أن يقال بأن بالإمكان أن تتناول أنت كل شيء في القرآن؛ لأنك ترى معلوماً أمامك تراه أن كثيراً منها، وإن كنت مؤمناً بها لا تستطيع أن تقوم بها أنت؛ لأنها منوطة بالأمة، إذاً أنت من ضمن أمة يعنيّ يجب أن يكون الموضوع مرتبطاً بمن؟ بمن هو على رأس تلك الأمة التي تبني نفسها على ما أمر الله في كتابه: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ و﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾.

وجدنا في أيام الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) مع أن القرآن نزل بلغة العرب، وهم عرب، ونزل بلغتهم، ألم يكن موضوع الهداية، موضوع هدايتهم، تعليمهم، تزكيتهم، تربيتهم متوقفة على النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ هل أمكن أن يقول كل شخص منهم: هذا كتاب عربي، وبلغتي، وسوف آخذ منه، وأفهمه من غير هذا، ومن غير هذا؟ لا يمكن، إذاً فإذا لم يفهم هذا، أو هذا، أو هذا، لم يفهم من القرآن إلاّ أشياء معينة، وأشياء أخرى لم يفهمها فيرجع إلى نفسه، ويقول: يكفي، هذا القرآن هو هذا الذي قد فهمناه، فمنه ما فهمناه يمكن نؤديه، وأشياء فهمناها نتركها مكانها.

عندما انطلقوا فعلاً داخل، في مسيرتنا الثقافية قدموا فكرة: أن الله كيف يمكن يخاطب الإنسان بالقرآن ثم لا يفهمه، أليس هكذا؟ معنى هذا أن كل إنسان يستطيع أن يفهم القرآن كاملاً، هذه جاءت من عند المعتزلة، لكن لو تسأل أي واحد منهم، اتفقنا، هذا القرآن أمامك وأمامي، فهمنا منه، أو افترض أننا فهمناه، فهمنا منه أشياء يمكن أن أؤديها فردياً، كيف سيكون العمل بالنسبة للأشياء الكثيرة جداً التي داخله ونراها خطاباً جماعياً، ولا يمكن أن يؤديها إلا أمة؟.

إذاً فكيف الموضوع هنا؟ لمن هذا الموضوع موكول؟ أليس معناه أنه لا بد من أمة، الأمة أليس معناها أن تبنى بناء، وأن تربى تربية؟ إذاً نقول: لا بد أن تكون هذه القضية، إما أن تؤدي إلى أنه فعلاً فهمنا القرآن، لكن فهمنا أن ٧٠٪ منه يجلس على جنب، أليس هكذا؟ هذا يعتبر غلط، ألا يعتبر غلط؟ بالتأكيد، فهمنا أنه لا بد من أمة، وأن هذا القرآن في منطقه، في أسلوبه، كتاب عملي، وليس كتاباً يمكن تقرأه هكذا كما تقرأ كتاب مجموع فتاوى، أو مجموع قصص، أو أشياء من هذه، كتاب عملي.

نقول: إذاً هنا القرآن الكريم يخاطبنا، وأنا وأنت الأفراد الذين نقول أننا فهمنا القرآن يخاطبنا

ضمن أمة، إذاً لا بد أن هناك طريقة لبناء الأمة، ولا بد أن يكون النسبة الكبيرة موكلة إلى من هو موكول إليه توجيه أمة، وتربية أمة؛ لبنائها بهذا الشكل على أساس القرآن.

القضية برزت بالنسبة لمن قالوا هذا الكلام بشكل واقعي، أصبح ملموساً، ورأيناهم فعلاً فشلوا، مثلاً كل واحد عنده أن بإمكانه أن يعرف القرآن، يفهم القرآن، إذاً أنت فهمت القرآن، وهذا فهم القرآن، وذلك فهم القرآن، لكن ماذا قدمتم بعد؟! الذين ادعوا أنهم فهموا القرآن، والإنسان يستطيع أن يفهم القرآن هو كاملاً! سلمنا أنت فهمته، لكن ماذا قدمتم بعد، تراهم صفوفاً مجتهدين، ممن يدعون أنهم يفهمون القرآن كاملاً، ماذا قدموا؟ هل قدموا القرآن؟ هل استطاعوا أن يقدموه؟ وهل استطاعوا أن يبنوا الأمة على أساس القرآن؟ هل استطاعوا أن يهدوا الناس على أساس القرآن؟ هل استطاعوا أن يبنوا أمة قائمة بالقسط؟ بل العكس الذي رأيناه فعلاً، قدموا مفاهيم مغلوطة، جعلت الناس يقعدون عن أن يكونوا قوامين بالقسط، ويتفرقون عن أن يكونوا أمة واحدة تدعوا إلى الخير، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، أليس هذا الذي حصل؟.

إذاً فمسألة الهدى هي مبنية على أساس الغاية التي يريدها الله سبحانه وتعالى من وراء هذا القرآن بالنسبة للناس، وكما نقول أكثر من مرة: أنه يجب أن تفهم عندما نسمع الله يقول: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ أن تنظر إلى القرآن أنه كل توجيهاته، وكل أحكامه، وكل تعاليمه مبنية على بناء أمة، وخطاب لأمة، حتى في منطقه، في أسلوبه، أليس هو يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾(الصف: من الآية١٤) أليس يخاطب أمة؟ عندما يخاطب أمة على هذا النحو ليس معناه أن كل واحد سيأخذ نصيبه من الأمر مثلما حصل بعد، الذي حصل بعد يأتي واحد يقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾(الصف: من الآية١٤)، هو يعرف أنها خطاب جماعي، ويعتبر أن الجماعة تكون مكونة من أفراد هو واحد منهم، نظر لقسمه من كونوا ووجد بأنه ماذا؟ لا يستطيع أن يكون إذاً فما يلزم! هذا الذي حصل فعلاً؛ ولهذا تجد أنه كثير ممن قرأوا على أساس الثقافة هذه التي نشكو منها دائماً يعرفون أن هذه خطابات جماعية، لكن قد ترسخت لديه النظرة الفردية، وأصبح التكليف لديه يعني ماذا؟ تكليف فردي، الخطاب أن يأخذ ما يخصه من الموضوع، فإذا رأى نفسه بأنه لا يستطيع أن يقوم بنصيبه قال: [إذاً ما يلزم]! أليس هذا في الأخير أدى إلى تجميد القرآن الكريم؟.

أدى قراءة اللغة العربية نفسها، وهم قرئوا اللغة العربية، وفي اللغة العربية يعرف الإنسان الخطاب الجماعي، والخطاب الفردي، أليسوا يعتبرون أن واو الجماعة يعني خطاباً جماعياً ﴿كُونُوا﴾ ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ أما هذه فقد كلمة أمة تعني الجماعة بنفس الصيغة، ومع هذا كان للنظرة الفردية أثرها الكبير في أنه ينظر إلى الخطاب الجماعي، ويرى واحد نفسه واحداً من الجماعة، أخذ نصيبه، ورأى بأنه لا يستطيع، وتركها مكانها، والثاني مثله، وتركوا كل شيء مكانه)[1].

طرق الاهتداء بالقرآن الكريم

هناك طرق رسمها وبيّنها الله سبحانه وتعالى تمكّننا من تحقيق الإهتداء الكامل بالقرآن الكريم، ونستطيع معها ومن خلالها العمل بالقرآن، وتطبيق كلّ آية من آياته في واقع الحياة، فنحن كأفراد نستطيع من خلال القراءة بتأمّل وتدبر للقرآن الكريم أن نفهم أشياء كثيرة، ومن خلال قرناء القرآن وورثته نفهم ما تبقى من هداه، وآياته، وبيّانته، وهذه من نعمة الله علينا، ورحمته بنا أن يجعل من يبيّن لنا القرآن الكريم، وهذه هي سنّة الله في الهداية والتبين مع عباده، فيبتني الواقع، وتبتني النفوس، وتبتني المجتمعات، وتصلح الحياة على أساس القرآن الكريم، وهذا هو الهدف الرّئيسي للقرآن الكريم، أن يكون له أثره في واقع الحياة والنّفوس، وما يقدّم من خلال ورثة القرآن الكريم لا يكون مخالفاً، ولا مباينا لما يفهمه الإنسان المتأمّل والمتدبّر للقرآن مهما كانت القضيّة عميقة وبعيدة إلاّ أنها كلّها تسير في اتجاه واحد، يقول السّيد: **(الشيء الذي يجب أن يفهمه الإنسان أنه هكذا القضية: نحن كأفراد نفهم من القرآن أشياء كثيرة، ونفهم من القرآن أنه خطاب لنا جميعاً، وسنظل في إشكالية كيف نعمل حتى نكون بالشكل الذي نؤدي ما أوجب الله علينا في هذه الخطابات، وما وجهنا إليه، أليس هذا يعتبر سؤالاً؟ إذاً، فنعمة من الله؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾**(الليل:١٢)، **﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾**(القيامة:١٧) **نعمة من الله أن يجعل وهي سنته من يبين لنا القرآن الباقي، إذاً فهل فات علينا شيء؟ هل يعتبر الإنسان أنه فات عليه شيء؟ إذاً نقول: بإمكاننا أن نفهم القرآن لكن بالطريقة هذه، ما نفهم على سبيل التذكر والتدبر،**

(١) سورة الأعراف الدرس الثامن والعشرون من دروس رمضان.

وما نفهم عن طريق قرناء القرآن، هنا سنعرف من القرآن الكثير، وسنعرف كيف نبتني على أساس القرآن، وسنعرف كيف نكون قوامين بالقسط على أساس القرآن، وسنعرف كيف نكون أمة تدعو إلى الخير - إلى آخر الآية - على أساس القرآن.

أليست هذه هي الفكرة الصحيحة؟ هذه هي الفكرة الصحيحة، فالذين يقولون بالنظرة الفردية لا فهموا هم كل القرآن على ما يقولون، ووجدوا أمامهم أشياء كثيرة، في الأخير يتخلص منها، ويعزلها على جنب، وفاتهم ما كان يمكن أن يفهموه، وأن يكونوا عليه؛ لأن من قيمة القرآن بالنسبة لك أن يصلح واقع لديك، تبتني نفسك على أساسه، يبتني مجتمعك على أساسه، وهذا هو الهدف، هدف رئيسي للقرآن، ليس مجرد فقط أشياء، معلومات داخل أوراق، أن يكون له أثر هناك في واقع الحياة، فاتهم هذا الشيء تماماً، فاعتبر أنه فاتهم أكثر الدين، وأن هذه طريقة تؤدي بالإنسان إلى أن يفوته معرفة أكثر الدين، وإلى أن يفوته معرفة كيف يقدم للأمة ما يبنيها، كيف يقدم للأمة ما يعتبر فعلاً مبرراً لها أمام الله سبحانه وتعالى، وينجيها من غضبه في الدنيا وفي الآخرة.

هنا قال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(الأعراف:٢٠٤)، ولأنها قضية هي تمشي في اتجاه واحد، وقلنا بهذا الكلام سابقاً، أن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾(القمر: من الآية١٧)، ما هذه واحدة؟ إذاً عندما نسمع آيات من القرآن الكريم، وبإنصات، وتدبّر، وتأمل ستعرف من ظاهرها الكثير، الشيء الذي يقدم لك من غيرك سيكون أيضاً كثير لكن ماذا؟ وفي نفس المجال، لن ترى شيئاً يقدم لك خلاف ظاهر الآيات الذي يحصل لديك بتذكرك الطبيعي، وتدبرك من ظاهر الآيات، معنى هذا يزداد الإنسان معرفة؛ ولهذا كان القرآن الكريم ينزل بلغة العرب، ويفهمون ما يفهمون، وأيضاً يأتي الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يقول عنه: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾(البقرة: من الآية١٢٩).

التعليم من جهة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) مهما كان واسعاً دائماً يكون في نفس الاتجاه، لن تقدم أشياء متناقضة، لن يكون ظاهر القرآن متناقضاً مع ما يقدم من قرناء القرآن، مهما كانت القضية ذات عمق، فيعتبر ما يفهم الإنسان من ظاهر سماعه للتلاوة يعتبر ماذا؟ يعتبر أساساً يجعله

يقبل ما يقدم له، ولن تكون القضية متباينة إلا إذا كان من يقدمون القرآن ليسوا من قرناء القرآن، عندما نقول: قرناء القرآن لا يعني فقط أن يكون أي واحد من أهل البيت؛ لأنه وإن كانوا من أهل البيت قد يكون الكثير منهم ليسوا قرناء قرآن، أن يكون هو بخصوصه، كل واحد يدعي أنه بخصوصه قرين قرآن، قرين قرآن.. إلى آخره)[1].

ورثة القرآن الكريم

ويبرز في موضوع وطرق الإهتداء بالقرآن الكريم قضيّة الورثة والأعلام الذين يصطفيهم الله لعباده كورثة للقرآن يهدون النّاس به تكون مهمّتهم مهمّة واسعة بالنسبة لكتاب الله، وبالنسبة لعباد الله أيضاً، يقول السّيد: **(إن الله كما قال في القرآن نفسه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾**(فاطر: من الآية٣٢) **أنه هو يورث، يورث من داخل بني إسرائيل، يورث من داخل آل محمد، ويعتبر مهمة آل محمد كدائرة - مثلما قلنا لكم سابقاً - مهمة أخرىٰ في موضوع وراثة الكتاب. بنوا إسرائيل مهمتهم كدائرة مهمة أخرىٰ أيضاً بالنسبة لكتب الله، ونحن نقول: إنها عبارة عن دوائر، وتبين من خلال الآية السابقة التي قال الله فيها: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾**(آل عمران: من الآية٣٣) **أليست هذه دائرة واسعة؟ ﴿وَآلَ عِمْرَانَ﴾**(آل عمران: من الآية٣٣) **أليس آل عمران داخل؟ آل عمران: مريم وأمها وأبوها، تصطفىٰ تلك الدائرة؛ ليأتي من داخلها علَم للأمة، وفي المقدمة بنوا إسرائيل، أليس هذا واضحاً في الموضوع؟)**[2].

أهمية الإستماع والتلاوة للقرآن الكريم

الإستماع والتّلاوة بشكل دائم ومستمر للقرآن الكريم بتأمّل وتدبر قضيّة أساسيّة في فهم القرآن الكريم، وفي معرفة من يقدّم القرآن الكريم بشكل صحيح، وهذه الطريقة تشكّل ضمانة للنّاس في الفهم والإستيعاب الصحيح لهدىٰ الله، وتحول بينهم وبين الوقوع في الإنحراف الثقافي الذي قد يُقدّم به القرآن الكريم لأهداف وأغراض متعدّدة منحرفة وضالة تتنافىٰ مع ظاهر القرآن الكريم، يقول السّيد: **(لهذا يأتي الإنسان يسمع أحياناً أشياء ستراها متنافية مع ظاهر القرآن،**

(١) سورة الأعراف الدرس الثامن والعشرون من دروس رمضان.

(٢) سورة الأعراف الدرس الثامن والعشرون من دروس رمضان.

متى ما جاء آخرون يقدمون، بعضهم يقدمونه بتحريف متعمد من أجل مثلاً تأقلم مع أهداف سلطة معينة، وبعضهم بسبب ماذا؟ بسبب انحراف ثقافي قائم لديه، يجعله ينظر نظرة معكوسة فيقدم الأشياء بشكل تبدو في الأخير متباينة مع ظاهر القرآن.

فلِتَكون القضية مضمونة بالنسبة للناس أنه بالنسبة للناس لا بد أن يقرؤوا القرآن، وأن يتلوا القرآن، وأن يتعودوا على تلاوة القرآن باستمرار، هذه قضية تعتبر أساسية في ماذا؟ في أنهم يفهمون أشياء كثيرة، وأساسية؛ ليعرفوا من هو الذي يمكن يقدم القرآن بشكل صحيح؛ لأنك عندما تكون هكذا ليس عندك فهم أنت، هذا الفهم الأول، تسمع واحد هناك يتكلم حول آية قد فعلاً يكون يقدمها بطريقة غلط، وتقبل، لو أنك إنسان كنت مثلاً متعود على تلاوة القرآن، وتفهُّمه، وتدبُّره، لعرفت أن هذا ربما معاكس لظاهر آيات سمعتها أنت، وتلوتها أنت.

هذه تشكل ضمانة بالنسبة للناس، وفي نفس الوقت فعلاً نقول سابقاً: بأنه بالنسبة للناس لا غنى لهم عن أن يستمعوا القرآن، لا غنى لهم عن أن يقرؤوا القرآن، أو يستمعوه على الأقل، إذا الإنسان ما هو قارئ، لا يستطيع أن يتلوه، أن يستمعه؛ لأن هذه القضية أساسية، وقضية أساسية في البركة، فالإنسان الذي يرشد الناس بالقرآن، سيكون لإرشاده بركة، الناس الذين يتعودون على تلاوة القرآن يحصل لهم بركة، إذا كانوا بعيدين عن القرآن، ومن يقدمه يقدم لهم أشياء بعيدة عن القرآن أصبحوا جميعاً في ضلال بعيد، ضلال مبين)[1].

هدى الله يقدّم بطريقة متكاملة

يقدّم هدى الله بطريقة متكاملة وشاملة تستوعب كلّ فئات البشر، وكلّ الوضعيّات على اختلافها، وتعدّدها، وتنوّعها، فيتناول كلّ الوضعيّات، وكلّ الفئات، وكلّ التّركيبات العشائريّة، والإجتماعيّة، والقبليّة، والنّظاميّة الدّوليّة، فيصل هداه وبيّناته إلى الجميع، كما أنّه يتناول الأمم والمجتمعات التي كذّبت، وكفرت بكتب ربّها ورسله، والأمم والمجتمعات الّتي استجابت كعنوان، أو استجابت بصورة مبدئيّة، وكيف كان مصيرهم، وكيف تجلّت مظاهر رحمة الله داخلهم، وسعة ملكه وتدبيره، لأنّ هدى الله ليس مجرّد إيمان فقط، بل هو قضايا

(١) سورة الأعراف الدّرس الثّامن والعشرون من دروس رمضان.

عمليّة تبتني عليها الحياة، والنّفوس، والمجتمعات، وهذا ممّا اختصّ به هدى الله، لأنّه مرتبط بالله الحيّ القيّوم المدبّر لشؤون السموات والأرض، ومن هو على كلّ شيءٍ قدير، وحول هذه الآيات الّتي وردت حول هذا الموضوع في سورة الأعراف يقول السّيد (رضوان الله عليه): **(هنا في هذه الآيات، فيها كلام كثير حول بني إسرائيل، وفي الآيات السابقة عُرض فيها كيف يكون هدى الله سبحانه وتعالى على يد أنبيائه بالنسبة للأمم، تلك الأمم التي تنتهي المسالة فيها إلى ماذا؟ أن تكذب فتضرب، إذاً هذه قضية.**

القضية الثانية: أمة تستجيب لكن يحصل داخلها أشياء كثيرة، تجد أيضاً كيف هدى الله داخل أمة تستجيب كعنوان، مثلما كان بنو إسرائيل بالنسبة لموسى، ومثلما العرب والمسلمون الآن بالنسبة لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)**، كيف أيضاً يأتي الهدى داخل أمة من الأمم التي استجابت استجابة مبدئية – كما يقولون – ليعرف الإنسان هنا قدرة الله سبحانه وتعالى، ورحمته الواسعة، قدرته العظيمة في أنه يقدم هدى لمختلف الفئات من البشر، مَنهم هناك مشركين ضالين، بشركهم، بعقائد باطلة، وتركيبتهم الاجتماعية على هذا النحو العشائري، أو تركيبتهم الاجتماعية تركيبة دولة مثل فرعون والمصريين في أيامه، كيف يكون هدى الله، يصل إلى الدرجة التي يتبين لهم فعلاً أن هذا هو الحق، وكيف تكون نهايتهم عندما يكذبون.**

ثم تجد أيضاً كيف يكون هداه، ووعده ووعيده داخل أمة استجابت مبدئياً، بالنسبة للبشر – حتى يعرف الإنسان أن هذه قضية يختص بها الله سبحانه وتعالى – بالنسبة للبشر قد تجد إنساناً مثلاً عنده قدرة قانونية – كما يقولون – قدرة في مجال التقنين، وصياغة التشريعات، لكن قدرته تكون في اتجاه واحد، لا يستطيع أن يصيغ لأمم متعددة، لفئات متباينة في تركيبتها الاجتماعية، قد تكون أيضاً متباينة باعتبار بيئتها، تركيبتها الاجتماعية، وبيئتها تخلق تبايناً أيضاً بالنسبة للنفوس، فتراه وهو يشرّع، لكن يشرّع وفق النظرية الديمقراطية مثلاً، لو يأتي إلى مجتمع آخر ليس حول الديمقراطية لا يستطيع أن يشرّع له، لا يستطيع أن يقدم له توجيهات.

تجد الله سبحانه وتعالى هكذا؛ لأنه على كل شيء قدير، يقدم هداه بالشكل المتكامل لكل فئات البشر، وتجد في الأخير كيف ستكون عقوبة من يكذبون كأمة، مثلما حصل لقوم نوح، وعاد

وثمود، والأمم السابقة، وكيف من يحصل من داخلهم التكذيب من داخل الأمة الفلانية، وتجد في نفس الوقت مظاهر رحمة الله هنا وهنا، مظاهر رحمته، جاء في الأسلوب السابق عن الأنبياء، وهو يحكي أسلوب الأنبياء أليس أسلوباً لطيفاً، وناس صدور فسيحة لديهم، صدورهم فسيحة، يقول لهم الآخرون: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ﴾(الأعراف: من الآية٦١) آخر يقول: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾(الأعراف:٦٧ - ٦٨)، أليس هذا يعني أنه إنسان ناصح أمين، وصدره فسيح، يواجه حتى الكلام القاسي منهم، لا يجعله بالشكل الذي يجعله ينفر منهم، يواجهه بمنطق لين، هنا مظهر من مظاهر رحمة الله إلى آخر درجة.

تجد نفس الشيء بالنسبة للأمم داخلها، الأمم التي تستجيب مبدئياً، وكيف يأتي كثير من مظاهر رحمته داخلها، ومن أبرز الأشياء التي قدمت في الموضوع ما حصل مع بني إسرائيل؛ لتعرف هنا كيف هداه متكامل، ثم كيف رحمته واسعة كما قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾(الأعراف: من الآية١٥٦) ثم في نفس الوقت كيف بطشه شديد، وانتقامه شديد.

ثم تعرف أيضاً بالنسبة لهداه أنه ليس فقط مجرد إيمان، بنوا إسرائيل آمنوا بموسى، وآمنوا بالتوراة، ولم يقل: يكفي؛ لأنها قضية عملية تقوم عليها الحياة، تبنى عليها النفوس، وتبنى عليها الأمة، ما كان عقابهم لمجرد أنهم ليسوا مؤمنين، أو لأنهم ليسوا مؤمنين بموسى أنه نبي، هم مؤمنون بأنه نبي، أو لأن التوراة، أنهم ليسوا مؤمنين بأنها من عند الله، هم مؤمنون بأنها من عند الله، كانت العقوبة لأنهم لم يلتزموا؛ لنعرف في الأخير أن هدى الله سبحانه وتعالى يأتي من جانب مَلك هو الله، يأتي من عنده باعتباره مَلك، والمَلك معناه ماذا؟ يدبر ويوجه بالشكل الذي تقوم عليه حياة الناس، وتبنى عليه نفوسهم، ومجتمعاتهم، لم يأت عبارة عن خطبة مكتوبة من عند واحد في مسجد يوعظ فقط، فقط إنما يلقي موعظة، هذا خطاب من عند ملك السماوات والأرض؛ ولهذا تأتي هذه العبارة داخل كلام كثير حول الهدى، حول التشريع في سور القرآن الكريم)[1].

(١) سورة الأعراف الدرس الثامن والعشرون من دروس رمضان.

إعجاز القرآن الكريم

يقدّم موضوع إعجاز القرآن الكريم في كتب الأصول، والتفسير، وعلوم القرآن على أنّه مرتبط بالجانب البلاغي، فيعتبرونه معجزاً من النّاحية الفنيّة والشّكليّة، فيقولون بأنّه معجز من ناحية البلاغة والفصاحة، وهذه رؤية ضيّقة وقاصرة جدّاً لا يتوقف عليها موضوع اعجاز القرآن الكريم فقط، بل يتجاوزها إلى ما هو أهمّ، وأشمل، وأعظم في كونه حكيم، كتاب أحكمت آياته، وفي منهجه، وطريقته، ونظامه الرّاقي في الحياة، وهنا يقدّم السّيد رؤية جميلة جدّاً حول موضوع إعجاز القرآن الكريم، يبيّن فيها أنّ اعجاز القرآن الكريم واسع وشامل يتجاوز مسألة البلاغة والفصاحة إلى جوانب وقضايا عميقة ترتبط بالقرآن الكريم، فالجانب البلاغي مرتبط بالمعنى، وليس بشكل المفردة، ولا بطول النّص وقصره، وعلى هذا يكون اعجاز القرآن الكريم مرتبط بعمق معانيه وسعتها، إضافة إلى الجوانب الأخرى التربويّة، والثقافيّة، والسّياسيّة، والإقتصاديّة، والإداريّة، والتنظيميّة، وغيرها من القضايا المرتبطة بالرؤية، والمنهجيّة، والنّظام، ممّا جعل القرآن الكريم معجزا في كلّ عصر، وكلّ زمان، وأمام كلّ الوضعيّات، وقد ظهر عجز كلّ الخبراء، والمنظرين، والمختصين عن الإتيان بمثله في كلّ الأزمنة والعصور، وحول هذا الموضوع يتحدّث السيّد فيقول: **(وموضوع أن القرآن معجز ليس الموضوع مرتبطاً بالنص اللغوي فقط، عندما يفهم واحد بأن معنى: ﴿لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ في جانب الفصاحة مثلاً، الفصاحة! الموضوع أوسع من هذا بكثير، جانب بلاغته، وفي كونه بليغ.. الجانب البلاغي مرتبط بالمعنى.. أليست البلاغة مرتبطة بالمعنى؟ ليست مرتبطة بشكلية المفردة، أو بطول النص، أو بقصره، فالكلام يعتبر بليغاً في كونه يؤدي المعنى بشكل كامل، وبشكل جميل، وفي قالب جميل، ويعبر عن المعنى من جميع جوانبه، هذا يعتبر بليغاً عند العرب.**

موضوع أن القرآن مثلاً معجز ليس فقط مرتبطًا بالنص من ناحية الفصاحة والبلاغة، بل في جوانب أخرى، هناك ناس آخرين ليسوا عرباً نهائياً، وترى عندهم خبرات أخرى، مثلاً عندهم خبرات اقتصادية، قانونية، تربوية، أشياء كثيرة من هذه، تنظير فيما يتعلق بوضع أنظمة، سيعرف أي إنسان لديه اهتمام في مجال من المجالات أن القرآن فوقه، وعندما يأتي واحد يضع مثلاً نظرية

معينة يجد سلبيات فيها، يجد القرآن فوق هذا، يجد القرآن هو يقدم الطريقة على أحسن ما يمكن.

عندما يقولون: أنه قد كفى أنه أعجز أولئك، وهم سيقولون لنا بأنهم قد عجزوا، والآخرين سيعلمون بأنهم قد عجزوا.. هو معجز في أي زمان، الإنس والجن في أي زمان.

نجد مثلاً موضوع فصاحة وبلاغة، من الناحية الفنية، الجانب الفني فيه، فبالتأكيد لا نحن ولا المعاصرين من أمم أخرى يمتلكون القدرة الفنية في التعبير، أو في إدراك الجانب البلاغي، يكون عندهم قدرة على ماذا؟ قدرة في مجال البلاغة، أليس هذا معلوماً؟.

لا يوجد لدينا نحن قدرة العرب الأوائل في جانب البلاغة؛ ولكن الموضوع أوسع من هذا، قدمت القضية للناس لما فهموا أن الموضوع فقط مرتبط بالجانب الفني فيه، جانب البلاغة: أنه عجز أولئك الأولون، وعجزهم قد هو يكفينا، والأخبار بأنهم عجزوا قد هو يكفينا، ويكفي!. لكنه ما زال معجزاً للبشر جميعاً، الإنس والجن، لا يوجد حتى مسألة الفصحاء أو البلغاء، الإنس والجن.

وبلاغة القرآن الكريم، عندما تأتي تقرأ قصيدة شعرية، ألست ستراها جميلة؟ أليس هناك قصائد شعرية جميلة، لكن فيما تتناوله، في عمق الأشياء، في واقعيتها، في سعتها، هذا شيء ثاني يختص به القرآن.

السورة مثلاً قد يكون لها مثلاً موضوع رئيسي، فيها موضوع رئيسي، هذا الموضوع هو واقعي، قضايا حقائق واقعية، تجد السورة مثلاً تخدم هذا الموضوع من أولها إلى آخرها، وعندما تخدمه هي تشخِّص أي حالة نفسية عند الإنسان، أي تفكير لديه، أي تساؤلات لديه، فيكون فيها من البداية ما يزيح كل تساؤلات لديه فيتقبل الموضوع ويصبح الموضوع عنده مقبولاً.

لاحظ مثلاً سورة [فاطر] سورة فاطر من المواضيع الرئيسية فيها: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾(فاطر ٣٢) موضوع الاصطفاء على هذا النحو، تجد السورة من أولها إلى آخرها تخدم الموضوع بشكل رهيب، وبشكل عجيب، في كل ما يطلع من تساؤلات حول الموضوع.

فالقضية هي في الذهنية قضية تفاوت، أليست قضية تفاوت؟ يبدأ لك بالتفاوت من أول

السورة إلى آخرها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾(فاطر ١) أليس هذا أول شيء؟ وهكذا منزَل، مَنزِل، تصل إلى عند: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾(فاطر ٢٧).

تجد السورة تقدم لك أن هذه سنة إلهية، سنة إلهية، وأنه أحياناً المهام نفسها تتطلب تفاوت على هذا النحو، كما أن الملائكة هم رسل، ولديهم مهام متفاوتة، فالمهمة تفرض أن تكون على نحو معين، تكون لائقاً بأداء المهمة ﴿رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ هناك ملائكة معهم من أربعة أجنحة، وملائكة معهم من ثلاثة، أو تقول ثلاثة وثلاثة، وهناك ملائكة معهم من اثنين أجنحة، أليس هذا نفسه تفاوت؟ وهكذا يمشي في الموضوع بشكل واضح.

نأتي إلى الموضوع في نفس السورة، أو المواضيع الرئيسية فيها، تجد السورة تخدم الموضوع من أولها إلى آخرها، تخدمه من أولها إلى آخرها. تطلع لك كلمة: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بالنسبة لهذا الموضوع الرئيسي أن معناه هام جداً، يعني أن الله سبحانه وتعالى لا يأتي فقط يعمل مثلما يعمل الآخرون، أو أنه يساير تقاليد لدى البشر قائمة! لا، هو مبدع وفاطر، هو فاطر، هو مبدع للأشياء.

هو لا يقلد! رأى العرب يعملوا شيخ، وهو قال: سنعمل لنا شيخ! رآهم يعملوا بيت مَشِيّخ، فقال: ونحن سنصطفي بيت ونقول كذا... لا، هي مسألة من جهة نفسه، وهو عادة ليس مقلد، هو فاطر، فطر السماوات والأرض هذه بكلها، فهل سيقلدك في حاجة بسيطة من هذه؟! وهكذا... إلى آخر السورة.

ترجع للجوانب التربوية التي ما يزال البشر منظِّرين فيها، وباحثين في كيف المنهج الذي يطلع الإنسان بالشكل المطلوب، فلاسفة متفلسفين، ومنظرين منظرين، تربويين، علماء نفس، كلهم مطننين، هؤلاء نفوسهم، هؤلاء لو يأتوا يستعرضون، يستعرضون واقع الإنسان، وواقع الحياة، وما مرت به أعمالهم، ما مرت به نظرياتهم مثلاً من معوقات، وما رأوا من النتائج، ويرجع إلى القرآن، يجد القرآن يقدم القضية بشكل على أجمل وأفضل وأحسن.

هنا تلمس بأنه كلام فوق كل شيء، وكونه فوق يعني ليس من داخلنا، يعني ما حصل القرآن من عندنا، ليس من عند بشر، ولا من عند مخلوق على الإطلاق، لو هو من عند مخلوق من المخلوقين لا فتضح إلى الآن.

ولاحظ كيف يفتضح المفسر، المفسر للقرآن نفسه، الذي فسر لك قبل ألف سنة، تجد الآن بأن الكثير من تفسيراته ليست معقولة، ولاهي مقبولة. ناس في الأخير يقولون: لأن هذا المفسر كان في زمن لا يوجد عندهم إلا الفهم هذا، يأتي الواقع يأتي بأشياء يتجلى من خلاله ما يبرهن على أن المعنى الصحيح لهذه الآية مثلاً هو كذا، أو أن المفسر لم يأت إلا بواحد من معانيها، أو بجزء محدود من معنى واسع لها .. أليس هكذا يتجلى؟ يتجلى، يتجاوزنا القرآن، يتجاوز الناس!.

تفسر أنت في القرن الثالث، ما يأتي القرن الخامس إلا وقد أنت هناك وراء، تفسر في القرن الخامس ما يأتي القرن السادس أو السابع إلا وقد أنت هناك! تفاسير في تفاسيرك يتركها هناك وراء! وهو تجده يستوعب الحياة، يستوعب الحياة، كلما تأتي من أشياء هي تشهد له، كلما يأتي من أشياء هو شاهد عليها من قبل ما تأتي، من قبل أن تأتي هو عنده شهادة، وعنده ما يرشد إليها من قبل أن تأتي.

لا يستطيعون على الإطلاق، لو اجتمعت الإنس والجن في أي زمن، فصحاؤهم، منظروهم، تربويوهم، بلغاؤهم، عباقرتهم ... الخ، ما يستطيعون أبداً أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

إلا أنهم يجلسون في الأخير يتحدثون في هذا الموضوع، دائماً في موضوع أنه الجانب البلاغي، أي الجانب الفني فيه، الجانب الفني فيه، في الأخير يقولون: إذاً فقد أعجز أولئك، فكونه أعجزهم قد بلغنا خبرهم أنهم عجزوا ولو أنهم عملوا شيئاً لنقل؛ لتوفر الدواعي إلى نقله. إذاً ما هناك شيء، إذاً هم عجزوا. وتجلس، وكلما يقول لك واحد شيء عن القرآن تقول: [يا خبير أولئك قد عجزوا.. الخ].

تحدى به الآن، حتى جانب الفصاحة قل له: اعمل لك معهد، وتلك اللغة العربية أمامك، بقواعدها، بأساليبها، علِّمهم يكونون عرباً، علمهم يكونون كذا.. ويقوموا يشتغلوا. هل تستطيعون أن تأتوا بمثله؟ لن يستطيعوا. لاستطاعوا أن يعملوا هذه لو المسألة هكذا. أليست قضية قريبة؟ حتى في هذا الجانب أليسوا يعملون معاهد أبحاث في موضوع الدين، يعني فيما بين

المسلمين من تراث ديني؟ ليس الدين نفسه، يجب أن تفهم أن الدين نفسه لا يمكن على الإطلاق أن يزيف، لكن فيما بين المسلمين أنفسهم من تراث ديني محسوب دين يقولون: هذه نشغلها وهم يكونون هم عارفين أن ما هي دين. في هذا الموضوع تعمل معاهد، وأبحاث وسنين طويلة.

لو أن القضية يعني مثلاً حتى في هذا، في جانب البلاغة أنه لو يعملون لهم معهد ويدرِّسوا أشخاص، ويعلمونهم اللغة العربية، ويقرؤون أدب اللغة هذه فيصبحوا بلغاء، ويقوموا يشتغلوا. قل لهم يعملوا معهد من هذا؛ لأنه خلِّيه يأخذ له عشر سنين، عشر سنين ممكن، عشرين سنة حتى، وطلعوا لك خمسة، ستة أشخاص بلغاء، ويقولون لهم يصلحوا مثل القرآن، أليسوا سيعملون هذه؟.

لكن لا يستطيعون، ولا يتوقف على هذا الجانب الفني أبداً؛ لأنه مما أظهر فيه، في كونه معجز، في كونه حكيم بشكل لا أحد يستطيع أن يأتي بمثله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ﴾(النساء٨٢) بلغاء أو غير بلغاء كيفما كانوا ﴿لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾. هذه واحدة من مظاهر أنه فوق، فوق كل ما هو سوى الله، فوق المخلوقين جميعاً ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾. إذاً فهذا هو جانب أعظم من الجانب الفني في النص، أليس أعظم منه؟.

طيب كونه محكم فيما يتناوله على الرغم من سعته، واسع جداً جداً، ومحكم، ولا تجد شيئاً منه إلا وهو يخدم الشيء الآخر، ما تجد تناقض: هذا يناقض هذا، يكون هذا يمشي في اتجاه، وهذا يمشي في اتجاه، وبعد مسافة ألف كيلو يتناقضون هناك، ويتعارضون. هذه لا تحصل، ما تحصل على الإطلاق، وهذا هو الجانب المهم، يعني الجانب المعجز.

لاحظ عندما يقوم من يشتغلون في الدين نفسه، مثلاً يلاحظ أن الجانب، جانب الترغيب والترهيب في القرآن جانب. مثلما نقول. من المواضيع التي ركز عليها.. فقام يشتغل ترغيب وترهيب، ألم يحصل هذا؟ اشتغلوا ترغيب وترهيب، وفي الأخير تلاحظ أن ما قدموه أن غايته هناك على بعد مسافة تقرب أو تبعد، يختلف مع القرآن على بعد مسافة يختلف مع بعضه بعض في نفس الكتاب حقه!. تقرأ كتاباً من هذه تجد أن كلامه هنا يؤدي إلى خلق حالة نفسية عند الإنسان

تختلف عما يؤدي إليه كلامه في موضوع آخر، عندما يلتقي في نقطة معينة، يحصل اختلاف، يحصل تعارض، يحصل تباين!.

هذا هو من الجوانب المهمة فيه: ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾(هود١) أحكمت ليس معناها أنها مشدودة، بصواميل، وأشياء من هذه.. حكيمة جداً جداً، تعطي معاني واسعة، ومعاني واقعية، وحقائق هامة مع الزمن، كلما مشى الزمن تجده ما يزال القرآن أكثر منه، ما يزال القرآن أكثر منه، وأكثر مما يتطلبه الزمن هذا! أكثر مما يتطلبه الزمن نفسه. هذه الآية نفسها هي أيضاً ترسم لنا منهجاً، ما تجد في القرآن آية إلا ولها علاقة بموضوع المنهجية، أي السلوك الذي تسلكه أنت وأنت تتحدث مع الآخرين، أو تدعوا الآخرين، أو تناظر. هنا يقول له: قل، يقدم القرآن سلاحاً. القرآن هو سلاح يحمي الرسول نفسه، هو سلاح يحمي نفسه، بحيث أنه يهزم الجانب الذي يتعلل، يدعي ادعاءات بأنه أساطير الأولين، وأنه مفترى، وأنه سحر، وأنه أشياء من هذه. هذا وسيلة من الوسائل: ﴿قُلْ لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ يعني خلّ اما أنتم، أربعة، خمسة من المشركين من يأتون بعبارات من هذه.

أليس هذا تحدياً؟ أليس هو هذا يستخدم القرآن؟ يقدم القرآن؟ القرآن هو نفسه يكمم أفواهكم، ويلجمكم، وأنتم أعجز من أن تأتوا بشيء من مثله، ولو اجتمعت الجن والإنس كلهم لكانوا عاجزين عن أن يأتوا بشيء من مثله، ولو تعاونوا كلهم، ﴿ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ في مؤتمر عالمي أنهم يقومون كلهم، يد واحدة، وموقف واحد، يعملون مثل القرآن، ما استطاعوا أبداً.

بـ﴿مثله﴾ فما بالك بمعارض له.. يأتي بمثله، يعني في الاتجاه نفسه، مثلاً هو عنده رؤية صحيحة، أو عنده فكرة أنه يقدم رؤية صحيحة للبشر، يقدم منهجاً للبشر، ما بالك أن يأتي بشيء آخر فيبدوا هو الصحيح، ويضرب منهجية القرآن، فهذا أبعد، هذا أبعد. يعني مثلاً تقول: القرآن يقدم منهجاً للحياة، أليس منهجاً للحياة؟ طيب أنتم ترون أنفسكم مخلصين، مخلصين للبشرية، وتريدون أن تقدموا منهجاً للحياة، لا تستطيعون على الإطلاق أن تأتوا بمثله. أليست هذه درجة؟.

الدرجة الثانية: أنه أنتم تفندوا هذا. طيب أنتم لا تستطيعون أن تأتوا بشيء يبدو يجعل هذا

القرآن لا شيء، وتقدموا أنتم شيئاً يعتبر أحسن منه، لا يمكن على الإطلاق. هذا أيضاً أبعد. إذا ما تستطيع أن تأتي بمثله وبمنهجية صحيحة بإخلاص فلن تستطيع أن تجعل منهجية أخرى مغايرة له هي أحسن منه أنت أعجز في هذا.

في الأزمنة هذه يأتي مثلاً مجموعة قانونيين، خبراء في القانون، أو منظرين ويعملون مثلاً دستوراً معيناً، أو قانوناً معيناً، عندما تمر عليه مثلاً ثلاثون سنة، أربعون سنة، يعتبر قد هو قديم، وقد هو بحاجة إلى تغييرات كثيرة، ثلاثون سنة، أربعون سنة، قد ظهر أنه لم يعد متناسباً مع الزمن هذا، بعد ثلاثين سنة، أربعين سنة، تغييرات كثيرة داخله، ما بالك مئات السنيين تمر على القرآن وتجده كلما مشى الزمن كلما اتضح بشكل أفضل وأفضل، وأفضل، كلما تفهمه بشكل أفضل، وكأنه يتناول كل شيء، وكأنه يتناول كل شيء على أرقى، على أرقى مستوى.

قد تترسخ القضية لدينا: [أن القرآن مسكين الله، والدين هذا مسكين الله عوينه ندافع عنه احنا] أليست هكذا تترسخ؟ لا...، القضية أرفع من هذا، أنك أنت، أنت الذي بحاجة إليه، ما هو في فضلك، حقيقة، أنت ملزم أن تسير عليه، أنت محتاج إليه كمنهج في الحياة، أنت محتاج إليه أمام أي إشكالية تواجهك، عدو، أي إشكالية كانت أنت بحاجة إلى هدي الله، أنت بحاجة إلى القرآن.

لو يسلك الناس الطريقة هذه، هي التي ستصدم نفوس الآخرين، خليهم يتمشكلوا مع الباري. هنا يقول لنبيه، عندما يقولون بأن هذا القرآن أساطير، افتراء، أشياء من هذه.. ما هو بيأتي مثل هذا في الزمن هذا؟.

إذا حصل مثل هذا نأتي نغطي المصحف هناك، ونقول: نريد ندافع عنه، مسكين الله، ويأتي يبرز هو كإنسان، كإنسان، يبرز هو كإنسان بتفكيره، بعقليته، بنظرته كإنسان. هنا يقول له: القرآن هو سلاح لك أنت، أنت قل لهم: أنا عندي القرآن هذا، ما أعجبكم هاتوا مثله، ما أعجبكم انقضوه، ما أعجبكم ردوا عليه، هذا من عند الله.

خليهم يبحصوا مع القرآن، سيعجزون فعلاً، أليس الأولون عجزوا؟ والآخرين سيعجزون.

لكن الذي يحصل أنه يقفل القرآن على جنب، وبرز هو وما قد فهم القرآن نفسه! وضعف أمامهم، وضعف. هذا المنهج، منهج ترك لمدى سنين طويلة، لمئات السنيين!.

استخدام القرآن، استخدام الإسلام كسلاح، افهم بأنه هو الذي يدافع عنك أنت، ما أنت الذي تأتي تتصدق عليه تدافع عنه، هو يدافع عنك أنت؛ ولهذا يأتي بعبارات: اتبعوا، أليس هكذا: اتبعوا؟ اهتدوا، سيروا على هذا. فقط ما بلا هذا. عندما تسيروا عليه، سيبرز مدافع عنكم، سيبرز مدافع عنكم فعلاً. وفي جوانب الدعايات هذه، أو جوانب النقد للإسلام، ردهم يتمشكلوا مع القرآن، ما تغرق معهم في جوانب فلسفية.

عندما يتحدث مثلاً عن ميراث المرأة، لماذا المرأة ما معها إلا نصف! قل: هذا شرع الله في كتابه، القرآن الكريم هو نزل من عنده إلينا، وقال فيه كذا.. إذا عندكم أنه غلط ردوا عليه، فنِّدوه، هاتوا مثله، وعندكم أجهزة كمبيوتر، وعندكم إمكانيات كبيرة. تستطيعون، يعني من ناحية الآليات تستطيعون أكثر مما كان الأولون، لديكم آليات أكثر مما عند الأولين من آليات، وعندكم خبرات، وأمامكم رصيد من الزمن مليء بالنظريات، ملي بالأشياء الكثيرة، هاتوا مثله!.

ولهذا نقول بأنه يقول لنبيه: ﴿قُلْ﴾ ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ (البقرة٢٣) أليس هكذا؟ ﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ إن كنتم صادقين بأنه سحر، وأنه... هاتوا مثله، وخليه في الأخير يلتجم هناك، يكمم فمه. لكن تبرز أنت..؛ ولأن الأغلبية سيبرز وما هو فاهم للقرآن، أولاً ما هو فاهم منهجية القرآن، ولا فاهم لطريقة القرآن، أليس هذا كبرياء؟ تجد إلى من هو يفهم القرآن تماماً، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) يفهم القرآن، وأعلم الناس بالقرآن نفسه الله يقول له استخدم هذا القرآن هو نفسه سلاح تحداهم به هو، قل لهم: ﴿لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾(الإسراء٨٨) [خلي اما أنتم فما انتم شي]،﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾.

وفي الأخير تجعلهم يطننون مع القرآن، ويهندسون مع القرآن، ويقفون مع القرآن، ولو هم يستطيعون لعملوا ذلك من قبل أن تدخل معهم في نقاش وفي صراع، من قبل. في الأخير يترتب على هذه هز للقرآن في النفوس، إذا انطلق الإنسان هو ما يسير على المنهجية هذه مع الأطراف المعاندة وضعف هو، قدم القرآن؛ القرآن والموضوع كله ضعيف عند الأتباع نفوسهم، يهز الموضوع في نفسياتهم هم!.

فهنا عندما يقول: ﴿فأتوا بمثله﴾ رأى الأتباع نفوسهم أن أولئك عجزوا اشتدوا أكثر. أليسوا يشتدون أكثر؟ هذا سلاح رهيب جداً أغمده المسلمون بناء على النظرية حق المعتزلة والأشاعرة أنه ينطلق هو يترك القرآن على جنب وينطلق هو! فشلوا وفشَّلونا، وأضاعوا أسلحة هامة جداً هي هذه، هذه المنهجية في القرآن، وتكررت أكثر من مرة.

لهذا نقول: أنه مهم جداً، مهم جداً أن يكون عند الناس آلية للإحصائيات، إحصائيات ومعلومات، عندما طرحت الإشتراكية كنظرية، وحصل لها دولة، وعممت كنظام، ماذا ترتب عليها؟ كيف كانت نتائجها في الحياة؟ الشيوعية كذلك، الرؤية الأمريكية الغربية هذه للحياة، وحركتهم على أساسها، وكيف نتائجها، الأنظمة: ديمقراطية، جمهورية، ملكية، سلطانية، بكل أنواعها، ماذا وراءها؟ مجتمع يعيش على نمط معين من الحياة، ومفاهيم معينة من الحياة، كيف أصبحت؟ كيف أصبح واقعه؟.

هذه الإحصائيات مهمة جداً، مهمة جداً أن يعرفها الناس؛ لأنك عندما تدخل مثلاً في محاورة مع طرف آخر تستطيع قبل أن تصل إلى موضوعك أنت تفنده هو من واقعه، وتبطل ما عنده مما عنده، تبطل ما عنده مما تجلى في واقع حياته هو، مثلما نحن نعمل هذه، ألسنا نعمل هذه؟ بالنسبة لنا داخلنا، مما لدينا من واقع يتجلى بطلان أشياء مما لدينا مما قدمت باسم آلية للدين، أو حسبت على الدين وليست منه، أليست هكذا؟.

ولهذا هي منهج أيضاً: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(فصلت٥٣). ولهذا هم يخافون جداً أن يأتي نموذج قرآني في الحياة، عارفين هم، الدين الإسلامي احتمال يكون صحيحاً ولو بنسبة ٧٠٪، يخافون، عارفين أنه ممكن يقدم نموذجاً للحياة هاماً، إذا قدم نموذجاً للحياة هاماً هو محسوب للإسلام ضرب كل ما عندهم؛ لأنهم يقدمون أنفسهم بأن ما لديهم هو الأفضل، رؤيتهم الأفضل، فلسفتهم الأفضل، طريقتهم في الحياة الأفضل، وهكذا.. وإلا فهم عارفين أين الأفضل.

بعدما قامت إيران كدولة إسلامية هاجموها مهاجمة رهيبة، ليس فقط لقضية مصالح، أو أشياء من هذه في المنطقة، أن لا تظهر كنموذج جيد يحسب للإسلام، أي معنى هذا يشهد على أن

الإسلام هذا قادر على قيادة الحياة. كما يقولون، قادر على بناء الحياة، أن رجال الدين في الإسلام قادرين على قيادة الأمة، على بناء الحياة، تتجلى الحياة في هذا المجتمع أفضل من الحياة في المجتمع الغربي، سيضرب ما لديهم؛ لذا يحاولون أنه لا يحصل هذا، هم يخافون من أثر القرآن في الحياة، يخافون من أثره، أن لا يأتي شيء هكذا يسير - ولو بنسبة محدودة - على منهجيته فيتجلى جيد محسوب للقرآن .. أي أنهم عارفين أنه قادر على أن يضربهم في هذا الجانب من واقع الحياة نفسها.

فعندما يقول: ﴿بمثله﴾ دائماً كلمة بمثله، بمثله هي تحمل على ماذا؟ على الجانب البلاغي، الجانب الفني، أليس هكذا؟ قل له: خلاص، لا أنت، ولا أنا، مازلنا عرباً، لكن نحن وأنت ربما لدينا قدرة في موضوع نظام للحياة أكثر مما كان لدى العربي الأول، وأنتم أصحاب حضارة، وأنتم كذا.. طيب هات منهجاً للحياة مثل هذا، ولو انجليزي، خلي عنك أن أقول لك: عربي فصيح، هات منهج للحياة مثل هذا القرآن، في واقعيته، في سعته، في صدقه، في حقائقه. لا تستطيع أبداً، لا تستطيع أبداً، لو لم يكن نصاً عربياً، لو لم يكن نصاً عربياً! اكتبه انجليزي، انجليزي.

ما هي البلاغة عندنا؟ لا يوجد إلا بلاغة تعجز، يعني عندك كفاءات بلاغية ستعجز. طيب أنت عندك قدرات تنظيرية ستعجز، أنت عندك مثلاً قدرات تربوية، رؤى تربوية ستعجز، والميدان لتجليات العجز هي الحياة هذه، تجليات العجز هي في هذه الحياة، في الأخير ينكبه الواقع، ينكبه الزمن، ينكبه كذا..

ولهذا نقول: لا يأتي مثلاً عندنا مجلس النواب بعد أربع سنين، ست سنين، ويدخلون ويستعملون القوانين مما قد مشت ويعدلونها من جديد! وهكذا، وهكذا. مع أنهم يخرجون من المجلس ما قد استكملوا تعديلات القوانين الأولة!.

[عندما نقول] الذين كانوا فصحاء وبلغاء عجزوا ذاك اليوم، وقد ظهر لنا أنهم قد عجزوا إذاً فقد هي حجة عليكم أنتم الذين في هذا الزمن. هذه ليست مقنعة، لا يقتنع بها الإنسان، بهذه نهائياً، ولا هو منطق هذا، ما هو منطق. لو يأتي يقل لي هو بمنطق على هذا النحو ما أنا مصدق له هو، يكون عنده عجزوا الناس ذاك اليوم، ما استطاعوا يعملوا مثله، ونحن نقول لكم أنهم عجزوا؛ لأننا الذين ننقل لهم الخبر، أنهم عجزوا، أليس هكذا؟.

ونقول لهم: لو كانوا جاءوا بمثله لكان ينقل.. نقول لهم: أنتم تواطأتم جميعاً، ما تركتموه يمشي، أليس بالإمكان أن نقول هكذا؟ ناس جاءوا بمثله، ما رضيتم تتركوه يمشي؛ ولهذا لما كانت هذه ثغرة رجعوا قالوا أصحابنا لو كان .. لنقل لكثرة الدواعي إلى نقله، بل ربما نقل أكثر من القرآن، بل كذا.. الخ...

أليست حَنْبَة! وقعوا في حَنْبَة؟ يا أخي ﴿مثله﴾ في أي زمان، ومكان، وتفهم ماذا يعني مثله، بكل ما في رأسك، وبكل ما لديك من مؤهلات، بمثله. لكونه نظام للحياة، نظام للحياة، ومنهج لبناء الإنسان، وبناء الحياة على أرقى مستوى ... ما يستطيعوا أن يأتوا بمثله على الإطلاق؛ لهذا فهي نقطة ضعف لدينا، أن يكون واحد فاهم فقط يعني في الجانب البلاغي، ثم في الأخير تلجم فيما بعد.

لا، إفهم القرآن أنت، يتفهم الناس القرآن هم، ويتفهمون كيف كان واقع الحياة بالنسبة للآخرين، هذه القضية هامة، يتفهمون واقع الحياة التي نحن عليها، والتي عليها الآخرون، أصحاب نظريات كثيرة، وفلسفات كثيرة، وثقافات كثيرة، كيف أصبح واقع حياتهم.

هذه قضية تعطي ثقة قوية جداً بالقرآن، وتجعلك فاهم إذا ما قلت للآخرين: هات لي انجليزي، أو فارسي، وليس بالنص العربي، منهج للحياة مثل هذا المنهج الذي قدمه القرآن الكريم، وتعال أنا وأنت نستعرض واقع ما لديك. تستطيع تفند واقع ما لديه قبل أن تدخلوا في موضوع القرآن، تفند ما لديه من خلال تجليات آثاره في الحياة)[1].

(١) مديح القرآن الدرس الخامس.

المحـــــور الثالث

- معرفة السُّنّة من خلال القرآن
- معرفة اللُّغة من خلال القرآن

معرفة السُّنّة من خلال القرآن

هناك لغطٌ وإختلافٌ كبيرٌ حول مفهوم سُنّة الرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، حول النّص، وحول المضمون، حول السُنّة نفسها في ماهيّتها وتعريفها؟، وطرق الإهتداء إلى معرفتها؟، ومعرفة ما صحّ منها؟، وقد قدّم السّيد "رضوان الله عليه" في الدّروس والمحاضرات الرّؤية الصحيحة لمعرفة السُنّة من خلال القرآن الكريم، مبيّناً أنّ القرآن الكريم يعتبر الطريق الوحيد، والصحيح لمعرفة الرّسول والرّسالة، ومن ذلك وبكلّ تأكيد الحديث النبويّ الشريف، ووضّح السّيد أنّ حديث العرض على القرآن الكريم هو القاعدة والمنهجيّة الّتي نسير عليها في تعاطينا مع الحديث النبوي الشريف، لأنّ ما من شكّ في أنّ الحديث قد تعرّض للتّحريف، والتزييف في نصوصه، ومضامينه، ومعانيه، وما من شكّ في أنّه قد رُويَ، ونُقلَ عن رسول الله ما لم يقله، وكذب عليه بشكلٍ كبيرٍ جدّاً، ويبيّن السّيد أنّ من يتأمل ويتدبّر في القرآن الكريم، ويتأمّل ويتدبّر في الأحداث في هذه الحياة سيعرف الحقائق، ولا يمكن أن ينطليَ عليه الباطل، أو يقع فيه، يقول السّيد في محاضرة "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى" ما نصه: **(كيف تستطيع أنت أن تعرف أن هذا الشيء من عند الله، أو أنه ليس من عند الله؟ مثلا في القرآن الكريم وهي قاعدة ثابتة عند أهل البيت أنه كتاب يجب أن يعرض عليه أي شيء ينسب إلى الله سواء كان حديثا قدسيا، أو ينسب إلى رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله)**، أما من يتدبر القرآن الكريم، من يتأمله؛ لأن القرآن حقائق، هو من يكتشف أن ذلك الذي نسب إلى الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **وإن قال المحدث الفلاني أن سنده صحيح وأنه رواه الثقة عن الثقة ستقطع بأنه ليس من عند رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله)**، أو لسنا نسمع حديث [شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي] أنه حديث صحيح، ويكتبوه بالذهب أو بالنحاس بخط كبير فوق باب من أبواب روضة النبي** (صلوات الله عليه وعلى آله) **فالكثير من الناس؛ لأنه في أوله قال رسول الله؛ أو عن رسول الله؛ بطبيعة الحال أنه مسلم ومؤمن برسول الله ومصدق سيقول: إذاً هذا**

قاله رسول الله، نفق عنده. لماذا انطلى عليه هذا الباطل؟ لأنه لم يعرف الحقائق داخل القرآن الكريم التي تجعل مثل ذلك الحديث مثل تلك العقيدة لا يمكن أن تكون منسوبة إلى النبي، لا يمكن أن تكون منه أبداً.

الإنسان المؤمن إذا لم يربِّ نفسه من خلال تلاوة القرآن الكريم أن يتأمل كتاب الله، ويتدبر الأحداث في هذه الدنيا فهو من سينطلي عليه الباطل، سواء باطل قدم ونسب إلى الله، أو قدم ونسب إلى رسوله، أو قدم بشكل براق. والشيء المعروف في هذا الزمن أنه اختلفت الوضعية عما كان عليه الخلفاء السابقون الملوك والسلاطين في الزمان الأول هم كانوا يحتاجون إلى أن يقدموا الشيء للناس على أنه من دين الله لينفق وليقبله الناس؛ لأن الناس كانوا ما يزالون حديثي عهد بالنبوة، والشخص قيمته هو باعتبار ما يضاف إليه من مقام ديني؛ من مقام ديني، ولهذا كانوا يحتاجون إلى أن يختلقوا الأحاديث فضائل ينسبونها إلى فلان وفلان وفلان ليقدموه في ثوب رجل دين رجل الفضائل رجل الكمال فباسم الدين يمشي عند الآخرين ويقبله الآخرون)[1].

عرض السُّنّة على القرآن الكريم

ويؤكّد السّيد أنّ المنهجيّة القرآنيّة في معرفة شخصيّة الرّسول وما نسب إليه، هي الطريقة الوحيدة التي يُعتمد عليها في ذلك، وهي المنهجيّة التّي سار عليها أهل البيت عليهم السلام، وأنّ ما كان مخالفاً للقرآن فليس بصحيحٍ على الإطلاق، وليس من رسول الله، ولم يقله، لأنّه لا يمكن أن يصدر من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لا في حركته، ولا في أقواله ما يمكن أن يتعارض مع القرآن الكريم، أو يخالفه، وحتّى لا يضلّ النّاس ويضيعوا في متاهات الكذب والإفتراء فإنّ عليهم الإعتماد على هذه الطريقة والرؤية القرآنية، طريقة العرض على كتاب الله، لأنّها تعتبر قاعدةً، ومقياساً مهمّاً، وأساسيّاً في معرفة صحّة ما روي عن الرسول، يقول السيد: **(ما كان مخالف للقرآن فليس من رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله)**، ما كان مخالف للقرآن فليس منه، حديث العرض عندنا قاعدة ومقياس، ليس فقط أقول هذا صحيح أو ما هو صحيح، قاعدة ومقياس، إذا كان الحديث مخالف للقرآن الكريم فليس من رسول الله** (صلوات الله عليه

(١) محاضرة ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى.

وعلى آله) **وهذا شيء نقطع به؛ لأنه ما يمكن أن يأتي هو بشيء مخالف، وهو يفهم القرآن.**

رسول الله لا تتصور بأنه كان عبارة عن مفتي أو عبارة عن قاضي، يبلغ ويتصرف تصرفات هي مخالفة للقرآن، ولو عن بعد، هو يعرف، هو كانت حركته تربوية، وليست فقط مجرد يعلمك أحكام معينة، حركته كلها تربوية، وهو يعرف أن يقول شيء معين أنه قد يكون مخالفاً لماذا؟ لأهداف ومقاصد القرآن ولو البعيدة، ما يمكن أن يحصل منه هذا)[1].

الإمام علي يجسّد التّطبيق الحقيقي للدّين

يعتبر الإمام علي (عليه السلام) هو الضّامن الحقيقي لمعرفة تفاصيل حركة الرّسول وعبادته، باعتباره وارث القرآن الكريم وقرينه، وقرين الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ويعتبر هو من يجسّد التّطبيق الحقيقيّ لهذا الدّين، وهداه، وبيّناته، ويشكّل ضمانةً حقيقيّةً للأمّة من بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، لأنّ الإمام علي كان يجسّد حركة وعبادة النّبي في إطار التّبيين للقرآن الكريم، وليس رقماً آخراً، وبديلاً عن الرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ولو تمسّك النّاس بالإمام عليّ عليه السلام، واتبعوه من بعد رسول الله لما غاب، وجهل التطبيق الحقيقيّ للرّسول والرسالة عن الكثّير من النّاس فعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ**﴾[النحل:٨٩] يقول السيد: **(هل الأشياء التي في حياة النبي فقط؟ لكل شيء في مسيرة الحياة.**

عندما يقول لك مثلاً: لا بأس تبيانا لكل شيء، لكن ما وجدناه ذكر الصلاة بالتفصيل كم ركعاتها! ما هو قد يقول هكذا؟ نقول له: اترك القضية على جنب، تعال معي ننظر إلى الانطلاقة الأخرى التي لم تقم على أساس هدي القرآن، أليس رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **صلّى؟ تعال قل لي كيف قدمها المسلمون هذه الصلاة، يوم انطلقوا هم، ألم يقدموها لنا مشكّل؟ ناس يرفع، وناس يضم هنا، وناس يضم هنا، وناس يعمل كذا، وناس يعمل كذا، و ... أليست منوعة؟.**

الآذان حتى الآذان منوَّع، ألم يصبح التطبيق الذي عمله الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)

(١) محاضرة الشعار سلاح وموقف.

ضائعاً؟ أصبح ضائعاً؟ فعلاً ضاع من خلال ما بين أيدي المسلمين، وكل فئة قدمت نموذج معين، أليس معنى هذا أنه في المجموع جهل التطبيق الحقيقي، الممارسة الحقيقية للدين الذي أداها بما فيها أذانه، الآذان نفسه ناس يقول: الصلاة خير من النوم، وناس يكبر أربع مرات، وناس يقولون: حي على خير العمل.. طيب وهو كان يؤذن.

لكن هداية القرآن هي كانت بالشكل، وما تزال بالشكل الذي لا يصبح شيء من هذا التطبيق محط إشكال، ولا غائب، لو تمسكوا بالإمام علي مثلاً، والأمة سارت بمسيرة الإمام علي، أليس الإمام علي يعرف كيف كان يصلي رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ ما سيكون أداء الإمام علي لصلاته، وصيامه، وحجه، وكل عباداته، وكل مواقفه، هي نفس التطبيق الذي قام به الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)؟، إذاً ما سيكون موقف الإمام علي هو تبيان واضح للتطبيق؟ فتكون الأمة تمشي على طريقة واحدة، وما هناك إشكالية، ولا خبصه؟ ومن التبيان، من التبيان أنه يهدي إلى العَلَم الذي هو أعلم بالمسيرة التي كان عليها النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) فتسير الأمة على منهج واحد، وطريقة واحدة، وما هناك اختلافات، ولا هناك شيء، وهي نفس الصلاة، ونفس الحج، ونفس العبادات، ونفس المواقف، أليست الصورة ستكون أبين من الصورة التي نحن عليها الآن؟ الصورة عن الدين يوم طبقه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أليست الصورة ستكون عن هذا الطريق أبين، وأوضح من الصورة التي عليها المسلمون الآن؟ ناس يكبر كذا، وناس يصلي كذا، وناس يصوم إلى وقت كذا، ويبدأ من كذا، والحج..الخ.

أليس هناك اختلافات في كل قضية؟ أي: المسألة من حيث هي ليست بيِّنة! أليس معناها هكذا؟ وإذا كان الآذان الذي كان يؤذن به كل يوم عدة مرات جهراً لم يعد بيِّناً عند المسلمين، ناس يقول: الله أكبر أربع مرات، وناس يحذفون حي على خير العمل، وناس يأتي بالتثويب بدل، وناس يقولون: حي على خير العمل! وهو أذان واحد.

أي: أن من التبيين القرآني، ما يهدي إليه القرآن بالنسبة لأعلام دين الله؛ فيكونون هم وسيلة تبيين، هم أنفسهم، ولن يكونوا عبارة عن رقم ثاني، نحن نقول لكم من أمس ما هناك رقم ثاني،

تبيين في إطار القرآن الكريم.

عندما يقول لك: لكن كم عدد ركعات كذا؟ قل: يا أخي القرآن في تبيينه يرشد إلى علي، وعلي سيبين لك الصلاة التي صلاها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **وانتهى الموضوع. أليس هذا بيان؟ لكن ما مشينا على هذا البيان، ما الذي حصل؟ ألم يحصل اختلاف؟ وحصل تضييع للتطبيق؟ ضاع التطبيق الذي قام به رسول الله في حياته في وسط الغاغة هذه)**[1].

ما كان يتكلّم به الرّسول كلّه يدور حول القرآن الكريم

يبيّن السّيد أنّ كلّ ما كان يتكلّم به الرسول، وهو يخطب، ويعلم كلّه يدور حول القرآن الكريم، وتثقيف الأمة به، وتبين معانيه، ومقاصده، وأنّه لم يكن يقدّم شيئاً آخراً غير القرآن الكريم، أو بديلاً عنه، لهذا كان الموضوع متعلقاً بفهم خطاب النبيّ وحديثه، وفهم مقاصده، وغاياته، ومعانيه، ولم يكن المطلوب هو حفظ هذه النّصوص، ولا كتابتها، أو تدوينها، يقول السّيد: **(وفي الأخير ترجع في هذا، هذا أصل ترجع إلى ما يسمى: السنّة .مثلما قلنا قبل أمس . موضوع السنة، أن السنة هي هذه الأحاديث، هذه الروايات، هذه الكتب : البخاري، ومسلم، وكذا، وكذا.. هذه هي السنة!! وأنت ملزم بهذه كما أنت ملزم بالقرآن، نقول: المسألة لو كانت بالشكل هذا: أن رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **عندما كان يتحدث مع الناس هو يعتبر كلامه نصوص كنصوص القرآن يجب أن تدون للأمة؛ لكان هو أول من يجب عليه أن يقوم بهذه المهمة، فمتى ما تكلم يُلزِم هناك من يكتب عنه، ثم بعد أن تنتهي الكتابة يجب بأن يحفظ الموضوع كما حفظ القرآن.**

فكيف تفترض لي أمرين، قضيتين، أنت تقدمها كمنهجين، وترفض عندما أقول لك: القرآن هو حكم؟ يرفضون هذه، بل في تثقيفهم في الأخير يقول لك: القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن! أليسوا هكذا يقولون؟ خاصة أصحاب جامعة الإيمان، هذا التيار حقهم، يعني: لدادة بشكل رهيب على السنة، السنة، السنة يعني: هذه الأحاديث، الأحاديث هذه.

(١) مديح القرآن الدرس الأول.

فأول ما ترد عليه لو كانت القضية على هذا النحو من بدايتها، والمطلوب الإلزام بها نصياً على هذا النحو لوجب أن تكون محفوظة كما حفظ القرآن، وإلا فوجوب علي عندما أقول لك: لماذا احتاج كلام الله إلى أن يحفظ؟ أما كلام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) فليس بحاجة إلى أن يحفظ! أين أحكم كلام الله، أو كلام رسوله؟.

ألم يكن كلام رسول الله هو أحوج إلى أن يحفظ؟ وهو الذي يمكن أن يتطرق إليه الخلل؟ لأن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لا يملك أن يكون لديه من الحكمة في كلامه كما هو موجود من الحكمة في كلام الله، مثلما تقول لا يملك رسول الله ما يملكه الله من أن يكون كلامه حكيماً بحيث لا يتطرق إليه الخلل على الإطلاق؟.

هذا الذي جعل كتابه حكيماً هو أيضاً قال: إنه حفظه، فلماذا تقدم لي رقماً آخر ليس محفوظاً؟ وتقدم لي القضية ورسول الله وكأنه عندما كان يخطب كأنه يقرأ سورة، معلوم بأن الرسول عندما كان يخطب يختلف عن كونه يقرأ سورة، أليس هذا معلوماً؟ السورة يكتبها هو نصوصاً تكتب، نصوص تحفظ كتابة، وتخلد هكذا، تحفظ، وتكتب، أما ما يتكلم به هو فهو يقصد المعاني، الخطاب المعروف. عندما تقوم خطيباً في الناس في يوم الجمعة تخطب، ماذا تريد من خطابك؟ هل تريد أن الناس يحفظون نص خطابك، أو أنك توصل معاني لهم؟.

فعندما كان يخطب رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) هو ليوصل إليهم معاني، ليس على أساس أنه ليكونوا مثل الصحفيين، عندما يكونون في مؤتمر صحفي كل واحد بدفتره، ومكتِّب؛ ليكتبوا نصوصه، لو كانت المسألة على هذا النحو لوجب عليه أن يكتبها هو، أو يكلف من يكتبها ثم يجب أن تكون محفوظة كالقرآن الكريم.

لكن ما كان يخطب به رسول الله، ما كان يتكلم به هو يدور حول القرآن نفسه، ويقدم القرآن بشكل توجيهات، معاني، هذا هو أسلوبه، وهذا هو الأسلوب الذي عليه الناس، عندما يأتي واحد يرشد الناس، عندما يأتي واحد يخطب للجمعة، ماذا يهدف إليه؟ المعاني، إيصال المعاني، أليس المقصود إيصال المعاني؟.

طيب: هذه المعاني نفسها قد يكون فيها نصوص، فتلاحظ يوجد نصوص معينة، نصوص معينة زيادة حجة على الناس، زيادة حجة على الناس مثلاً أن يحفظ حديث الثقلين، حديث الغدير مثلاً، حديث المنزلة، مجموعة أحاديث مما قالها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)**، أليست سائرة في الأمة؟ أما نفس الموضوع بأصله، عندما كان يخطب، خلي علي بن أبي طالب ما يحفظ نصاً واحداً لفظاً، ما يحفظ ولا نصاً واحداً لفظاً، لكن هو يحفظ المعنى، والمضمون، ويحفظ المقاصد، ويعرف ماذا يريد. ما هو سيتحرك على ما يريد النبي تماماً؟ فيكون هو من حفظ السنة، ولو لم يحفظ نصاً واحدا بلفظه، أنت عندما تخطب في الناس يوم الجمعة، هل أنت ستلقاهم، وتقول كيف أنت حفظت الخطبة؟ أو أنك تريد أن يتفهم الناس معاني ما تقول لهم. ما أعتقد أن هناك خطيب يخطب ويكون هدفه هو أن يحفظ الناس نص الخطبة، وإلا كان هناك طريقة ممكن يصورها، ويعطي كل واحد نسخة. أليست هذه أقرب، ولا يخطب ولا شيء. تكون يوم الجمعة تصور لك على عدد المصلين من الخطبة حقك، ووزعها، وتقول له يقيم الصلاة وبس، ألم تكن هذه هي أقر؟)**[1].

الرّسول نهى عن تدوين وكتابة كلامه

من المعلوم لدى الجميع أنّ الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) نهى عن كتابة كلامه، وتدوين حديثه، وأنّه لم يبدأ تدوين ما يسمّى بالحديث إلاّ في بداية القرن الهجري الثاني، وهذا يعتبر حرصاً من الرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله) على سدّ ثغرة قد تستغلّ مستقبلاً للكذب والتدليس لتشويه الإسلام، وتزيفه، وتحريفه، وللكذب على رسول الله، ولهذا نجد علماء اللّغة لا يستشهدون بالحديث لأنّه إنّما روي ونقل بالمعنى وليس بالنص، وفي الحقيقة أنّ التدوين يخلّد الكذب والباطل، ويفتح ثغرةً كبيرةً على الإسلام والمسلمين، وهذا ما حصل من بعد، لأنّ التّدوين لم يخلّد النّص نفسه وإنما المعنى، وهذا فتح باباً كبيراً للكذب والتّدليس، وهذا معروف لدى خاصّة وعامّة المسلمين، فنجدهم يقولون في علم الحديث فلان مدلّس، وفلان

(١) مديح القرآن الدرس الثاني.

كذّاب، ويقولون أحاديث وروايات موضوعة، وهكذا، لهذا لا يصحّ في المنهجيّة الثقافية التعليميّة، والتربويّة أن نعتمد في الإرشاد، والحديث، والتّخاطب مع النّاس على تكرار الرّوايات، والأحاديث عليهم، لأنّ هذا يؤدّي لترويضهم على قبول أيّ حديث وأيّ رواية، بل يجب أن نعتمد على تذكيرهم وتثقيفهم بالقرآن الكريم، لأنّ المسألة مضبوطة وليست مفتوحة، وفي الحقيقة أنّ القرآن الكريم هو من يضبط المسألة تماماً، وكذلك الإمام علي (عليه السلام) كما سبق وأن بيّناه، يقول السّيد: **(كل كلام حول موضوع السنة، ويدافعون باستماتة عندما تقول أنه لازم أن تعرض على القرآن، لازم ما خالف القرآن نرفضه، يقولون: أبداً؛ لأن موضوع السنة هذه التي يسمونها السنة، موضوع يمكن داخله يلعبوا لعبة رهيبة، وكذب كثير: حدثنا فلان عن فلان عن فلان قال قال رسول الله .. كذبة يطلعها، ورسول الله بعيداً عنها.**

أليس معناه أن هناك ثغرة، لو أن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **كان يريد هذه الطريقة معناه أنه هو الذي فتح ثغرة هو، ونعتقد أنه صحيح فعلاً أنه نهى عن كتابة الأحاديث، عن كتابة كلامه، وهذه القضية معروفة، أن هذا الحديث ما بدأ تدوينه إلا من بداية القرن الثاني؛ ولهذا من يكتبون في اللغة العربية لا يستشهدون بالأحاديث؛ لأنها إنما رويت بالمعنى؛ لأن هناك فترة ما رويت فيها أحاديث، يعني: ما دونت، ما كتبت نهائياً، ما بدأ التدوين إلا متأخراً عندما بدأ التدوين كانت الروايات بالمعنى، كانت الروايات هكذا بالمعنى.**

طيب: مشكلة التدوين إذا لم يكن هناك حفظ هو أن التدوين يخلد الكذب، والضلال، فيجعله قضية يمكن أن تتوارث، بينما أن لا يكون هناك من هذا الشيء الكذب يتبخر، ينتهي، أساطير ما تحفظ، لكن هنا عن طريق التدوين غير المحكم سطروا لنا فخلدوا كذباً، وباطلاً، وضلالاً إلى الآن، إلى الآن ما يزال، كيف هم يطلعون السنة تصبح أعظم من القرآن. وعندما يقولون: السنة، يعني: ما لديهم من رصيد أحاديث، وفي الأخير ما يفترض أن تحفظ كما يحفظ القرآن! والقرآن هنا يكرر في كثير من آياته ما يدل على أنه محفوظ، أن الله اعتنى بحفظه، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر ٩] **أليست هذه عبارة مكررة مؤكدة؟.**

ولهذا نقول: في منهجية الناس الثقافية، وأنت ترشد، وأنت تعلِّم، وهي طريقة نحن نسير عليها اعتقد وقد تكون هذه ملموسة في عملنا، نتجنب الروايات بشكل واضح، الأحاديث أليست نسبة بسيطة جداً داخل ما قلناه؟ لا تأت.يا أخي.على الناس تخطب: وقال قال رسول الله، وروي عن رسول الله أنه قال، وحدثنا فلان عن فلان أنه قال قال .. أنت هنا ترسخ عند الناس قابلية طريقة، سيأتي من يقرأ عليهم بالأسلوب هذا كذباً على رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله).

اربط الناس بالقرآن، اربط الناس عندما تخطب، عندما ترشد، عندما تتحدث، اربطهم بالقرآن، وبعد أن تصح لديهم الطريقة فيفهمون أن المسألة مضبوطة، ليست مفتوحة، من أين يتلقون، ممكن تأتي بحديث من طريقة، من داخل الطريقة التي قد هي مضبوطة عند الناس، وقد هم فاهمين بأنه ما يتلقى حديثا من أين ما جاء، كنا نرى المساجد في صنعاء، يخطب على هؤلاء الناس، مجاميع من الأمة : حدثنا فلان، عن فلان، قال قال رسول الله، وروي أن رسول الله قال قال ... هنا هو يرسخ أمام المجاميع من الناس ماذا؟ الأحاديث، منطق الأحاديث، تقبل الروايات. ما هو يرسخ تقبل الروايات؟.

يأتي آخر بروايات باطلة، يقول: حدثنا فلان عن فلان عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله، ويطلع لك حديثاً باطلاً، وهم قد صاروا متعودين على تقبل الروايات، هذه طريقة خاطئة.

الله يقول لرسوله: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾[الأنعام٧٠] ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾ أليس هكذا يقول؟ يقول له: أنت ذكر بالقرآن، أنذر بالقرآن، وخلال توجيهك الناس إلى القرآن، وأنت تتحدث عن الهداية، عن سنن الله في الهداية، في الأخير يعرفون أين الطريقة، في الأخير قدم لهم هذه الطريقة إذا هناك نصوص، وقد تكون قليلة النصوص؛ لأن الإمام علي ألم يكن شخصاً يهتم؟ وهذه هي القضية الصحيحة ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[الحاقة١٢] يعي تماماً ما يقول رسول الله، يعي تماماً ما يريد، يعي تماماً ما يقصد، فعندما يتحرك على هذا الأساس، ما هو أنه يأتي يحفظ العبارة، يحفظها لفظاً، لفظاً، لفظاً هكذا، ثم في الأخير يكتبها، ويطلع له كتاب أحاديث.

أبو هريرة مثلما قلنا سابقاً: هذا كان عاملاً لمعاوية، أليسوا يحكون عنه أنه ملان أحاديث، ما

يفهم السنة، ما يعرف ماذا قال رسول الله، ما يعرف ماذا يعني، ما يعرف ماذا يقصد، إنما مثلما تأتي تكتِّب، لكن الإمام علي هو الذي يعرف، هو الذي يفهم، وهذا هو الضابط الحقيقي؛ ولأنه في الواقع؛ لأنه في الواقع أن القضية هي كلها مرتبطة بالقرآن ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾[يونس١٥] أليس هكذا؟ ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾[الأحزاب٢] وليس أنه هو نفسه رقماً آخر، رقماً جديدا يأتي بأشياء جديدة.

فعندما يأتي أشياء. مثلما قلنا سابقاً. عندما يأتي أشياء من الشرائع مثلاً محددة، أليس بالتأكيد الإمام علي سيفهمها، ومن يوكل إليهم أمر الأمة سيفهمونها، هداية الأمة، نقل الدين بالتطبيق إلى الأمة؟ سيفهمونها، ويفهمون محتواها، ويعلمون الناس بها.

ما هو يأتي يجمع لي أحاديث ثم يقدمها في الأخير في ذهنية الطالب بأنها أهم من القرآن، وهذا الذي عليه أهل السنة، وخاصة الوهابية، وبزيادة في الزمان هذا المتأخر، ركزوا جداً على هذا الجانب.

جامعة الإيمان في صنعاء معها ملزمة في هذا الموضوع، كلام سيء يقول فيها: القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن!! بالعبارات هذه؛ ليشدك إلى الأحاديث، والروايات، ويخليك بمعزل عن النص القرآني، عن القرآن.

وإذا قد أنت هناك حول روايات سيعمل ما يريد معك، وقد عمل الأولون، قد عملوا كمِّن كذبة، وكمّن افتراء على الله، وهو قدمها أن هذه حدثنا، وقال قال رسول الله، ولو هو كلام مخالف للقرآن! هذه سنة، هذا بيان للقرآن)[1].

الحديث لم يدوّن إلاّ في بداية القرن الثاني للهجرة

تعتبر هذه الطريقة وحدها هي الطريقة الصحيحة، لأنّه لا يوجد توثيق حرفي بالنّص لما قاله الرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ولم يأت التّدوين إلاّ متأخراً، ونُقلت الرّوايات في غالبها بالمعنى فقط، لهذا لا يعتمد عليها، ولا يستشهد بها في اللّغة العربيّة، لأنّها لم ترو بالنّص، يقول السيد: **(الحديث ما بدأ تدوينه إلا من بداية القرن الثاني، ولهذا من يكتبون في اللغة العربية لا**

(١) مديح القرآن الدرس الثاني.

يستشهدون بالأحاديث، لأنها إنما رويت بالمعنى، لأن هناك فترة ما رويت فيها أحاديث، يعني ما دونت، ما كتبت نهائيا، ما بدأ التدوين إلا متأخرا، عندما بدأ التدوين كانت الروايات بالمعنى، كانت الروايات هكذا بالمعنى)[1].

لا يوجد تفسيرٌ للقرآن كاملاً عن الرّسول

وبما أنّه لا يوجد توثيق حرفيّ بالنّص لما قاله الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ولم ترو الرّوايات إلاّ بالمعنى، يوضح السّيد أنّه لا يوجد تفسيرٌ للقرآن عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بالنّص كاملاً يمكن أن يُعتمد عليه، أو يعتبر مبيّناً له، لأنّ البيان لا يصحّ أن يكون معارضاً للمبيّن، إلاّ أنّ حركة الرسول، وسيرته في الحياة هي المفسّر الحقيقيّ للقرآن، يقول السيد: **(البيان يقول لك، البيان لا يجوز أن يعارض. مثلما قال الوالد في الرد عليهم. البيان لا يجوز أن يكون معارضاً للمبيَّن، هذا ما يسمى تفسير، ولا يسمى بيان، تقول لي؛ لأنها بيان، وتبين.**

هذه المسألة نفوسهم هم عجزوا فيها، عندما يقولون: لأن السنة مبينة للقرآن، طيب، قلنا: هاتوا تفسيراً للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **للقرآن. جاء محاولة في الموضوع [الدر المنثور في التفسير بالمأثور] مثلاً أليس هذا للسيوطي؟ تجد التي هي تفسير قليل جداً جداً عن رسول الله، وروايات متعارضة فيها، من عند الفاتحة، روايات متعارضة فيها، ثم في الأخير يعود إلى الضحاك، وابن عباس، ومن تلك الروايات حقهم، زعم أنه تفسير بالمأثور.**

لا يوجد تفسير عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)**، لا يوجد تفسير عن رسول الله إلا أقل قليل، كتفسير للنص، هذه تعني كذا، بالطريقة التفسيرية المعروفة. لكن هو في حركته كله تفسير وتبيين، وتوجيهاته كلها تفسير، وتبيين.**

وهذه هي الطريقة المطلوبة، وليس أن يقول: يريد يفسر له عبس، عبس معناها كذا: قطَّب وجهه، لا يوجد روايات عن رسول الله في هذا، هل يوجد شيء؟ وهكذا على الطريقة هذه ما تحصل، عجزوا هم عن أن يأتوا بتفسير مأثور فرجعوا إلى تفاسير للضحاك، وابن عباس،

(١) مديح القرآن الدرس الثاني.

وعكرمة، وزعطان، وفلتان.. و.. و.. ما هناك شيء)[1].

سنّة الرّسول هي طريقته في حركته الرّسالية

يؤكّد السّيد أنّ الرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هو مبينٌ للقرآن الكريم من خلال حركته في الحياة، وتجسيده للقرآن الكريم في الواقع، وفي حركته لأداء وتبليغ الرسالة، لأنّ البيان يأتي من خلال الكلام، ومن خلال الأحداث، ومن خلال المواقف، ومن خلال الحركة، ومن خلال أشياء كثيرة جداً بما فيها إرشادات، وتعاليم الرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ويبيّن السّيد أنّ سنّة النّبيّ هي حركته في الحياة، وفي أداء تبليغ الرّسالة وتطبيقها، وهذا هو المعنى الحقيقيّ الّذي يتطابق مع المعني اللّغوي للسُّنّة، لأنّ السُّنّة في اللّغة معناها العادة والطريقة، ولا يقال لقول الشّخص وحديثه سُنّه، فلا يقال مثلاً لما صدر، وروي عن شعراء العرب من نصوص أدبيّة سُنّة، فلا يقال سنُّة الأصمعيّ، ولا سُنّة زهير، ولا غيرهم من شعراء العرب، كذلك لا يقال لمن يكتب، أو يقول، أو يتحدث، أو يخطب سُنّة فلان، بل تبقى الأقوال هي هي أقوال ومأثورات، لا تسمّى سُنّة على الإطلاق، وبهذا يبيّن السّيد لنا من خلال الدّروس والمحاضرات الرّؤية الصحيحة لمعرفة السُّنّة من خلال القرآن الكريم، وهذا هو ما يسمّى الآن بالسّيرة، والتي كان يجب كما سيأتي أن تقرأ وتدرّس بطريقة تحليليّة، لأنّ الرّسول في الأوّل والأخير لم يأت بشيء آخر غير القرآن، أو بديلا عنه وإنّما هو مبينٌ وموضحٌ للقرآن للكريم، ويظهر ذلك من خلال سيرته، وتبيينه، وطريقته، ويوضّح السّيد أنّ بيان القرآن لا يكون عن طريق التّفسير والمأثور، وإنّما من خلال التّبيين العملي، والمواقف، والحركة العامّة للرّسول في الحياة التي تقوم على أساس توجيهات القرآن الكريم، وإرشاداته، يقول السّيد: **(طيب رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **عندما يقولون هو مفسر، أو هو مبين! بالتأكيد هو مبين. أليس هذا الشيء ما فيه شك؟ لكن هات لي أحاديث تفسير، تفسير، يفسر لك آية، آية، لا يوجد، ما لقيوا شيء هم، قليل جداً، التفسير بالمأثور، ما هو البيان؟ البيان ما يقتصر فقط على مجرد أن يقول: هذه**

(١) مديح القرآن الدرس الثاني.

الآية تعني كذا، البيان في حركته في الحياة، هو قرآن يتحرك، حركته كلها هي ماذا؟ تجسيد للقرآن، لما يهدي إليه القرآن.

فالبيان يأتي عن طريق الكلام، وعن طريق الحركة، وعن طريق أشياء كثيرة جداً، عن طريق مواقف يتبناها على نحو معين، مواقف يتبناها على نحو معين هو عبارة عن بيان؛ ولهذا أن بيانه هو حركته في أداء الرسالة يدخل ضمنها إرشاداته، إرشاداته هل كان يأتي يقوم يفسر لك السورة من أولها إلى آخرها بالتفسير المعروف: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾[الليل:١] إي الليل إذا غطى الأرض، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾[الليل:٢] أي جعلناه هكذا..لم يكن يقول هكذا .. يتحدث بما تعنيه والليل مثلاً إلى آخرها، أليس هكذا؟ هل كان خطابه عبارة عن تفسير على النمط المعروف؟ يفسر لك آية آية، هو ينطق بالقرآن، يبين للأمة ماذا يريد القرآن، وكيف يريد القرآن أن تكون، أليس هو هكذا عمله؟.

إذاً فسنته هي حركته في الحياة، وأسلوبه الذي كان يسير عليه في الحياة، وبيانه للقرآن هو هذا، من الذي كتب هذا؟ الجانب الكبير من البيان جانب غير مكتوب، ليس مكتوباً، بل لا يمكن أن يكتب ويحلل بالتحليل الكامل، لا يمكن، لا احد يستطيع. مثل هذا ممكن يكتب أين؟ في ذهنية الإمام علي، يكتب في ذهنيته، الشخص الذي يمكن يقوم بدور كهذا هو الإمام علي، ما هو يأتوا يقولوا سنته أبو هريرة الذي عنده ثلاثة آلاف حديث يقولون: هذا هو الذي علم بالسنة، السنة ليست هذه، والبيان ليس هذا؛ لأني أتحداك أن تأتي لي بتفسير من النبي بالمعنى الذي تريد، يفسر لك آية آية لكن وهو يخطب هو يبين القرآن، ماذا يعني يبين القرآن؟ يقدم ما يريد القرآن أن يفهمه الناس، هدى القرآن أن يقدمه للناس، حركته، مواقفه كلها تقوم على أساس توجيه القرآن الكريم)[1].

حركة الرّسول في بناء الأمّة

من خلال التأمّل في حركة الرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يتجلّى لنا سلوكه وطريقته في

(١) مديح القرآن الدرس الخامس.

بناء الأمّة، والّتي تظهر من خلال تركيزه على بعض القضايا التي يوليها إهتماماً خاصاً هو مما أرشد إليه القرآن الكريم، فيتجلّى لنا من خلال تحركه هذا أهدافه في بناء الأمة، يقول السيد: **(في الأخير ترى مثلاً من خلال سلوك معين من سلوكه يتجلى مبدأ معين هو مركز عليه تركيز كبير، هو مما أرشد إليه القرآن، يتجلى للأمة، هو يهدف إلى كذا، مثلما يتحرك لمواجهة الروم دون أن يستعين بأي طرف آخر، أن يكون في كل حروبه يتحرك ضد المشركين، وضد الروم دون أن يستعين بأطراف أخرى.**

إذاً هل هو إنسان نقول مثلاً أنه لم يكن عنده قدرة أنه يقيم علاقات مع دول أخرى، ويحاول يستعين بها؟ أو ماذا؟ أولم يكن يدري، أو كيف كان، لا، هذا إنسان يعتبر هذه قضية ضرورية لا بد منها: أن يبني أمة، أمة واثقة من نفسها، معتمده على نفسها، تكون بالشكل الذي يترسخ في ذهنيتها أن تعتمد على نفسها لتبني نفسها.

لو يفتح ثغره معها يشدها إلى آخرين معنى هذا يوجد عندها نقطة ضعف رهيبة، ما تبني نفسها، يبني علاقات واتفاقيات مع الآخرين، تعاون مشترك، دفاع مشترك، وتمد يدها للآخرين وتغفل نفسها..

لاحظ أليس هذا مبدأ هام جداً؟ مبدأ هام جداً أنه حتى لو كنا في حالة معاناة شديدة لن نستعين بأطراف أخرى على الإطلاق، يجب أن تتحرك نحن، نحن، كما عمل في تبوك، كما عمل في تبوك.

إذاً فهو وهو يتحرك على هذا الأساس، هو يبين، أليس هو يبين.. طيب هذا هو الجانب الذي لا يوجد فيه روايات، لا يوجد فيه روايات، لا يوجد فيه أحاديث: حدثني كذا أن رسول الله لم يعمل كذا؛ لأنه أراد كذا، كذا، كذا..الخ. لأن هذا الموضوع يريد تحليل، لا يوجد.. ممكن يروي لك أنه حشد الناس وكانوا ثلاثين الف، وساروا إلى تبوك، وتبوك تبعد عن المدينة وهي في تخوم الشام، وانتهى الموضوع. لكن لماذا كان هكذا في قيادته؟ لا يوجد فيها روايات.

طيب هذا هو الجانب المهم، والجانب الكبير، وهذا هو البيان، أين هو هذا؟ عند الإمام علي، الإمام علي هو الذي سيعرف، وهو مؤهل من جانب الله سبحانه وتعالى، ومؤهل لتربية رسول الله له، سيعرف حركة رسوله، فهو من سيعرف سنة رسول الله، وأن السنة ليست موضوع روايات،

وهو يعرف كيف كان يبين رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **القرآن، وما هو بيانه للقرآن، وما القضية قضية تفسير، يأتي يفسر له كذا..**

قلنا أنه عندما حاولوا أن يقولوا هكذا: الأولوية هي للتفسير بالمأثور، تفسير النبي، جاءوا بأحاديث، مجموعة بسيطة جداً، ما عاد لقيوا شيء، رجعوا لتفسير أولئك الناس، صحابة، وتابعين، وأصحاب تفاسير... رجعوا دوروا من عند بني إسرائيل!. فسنة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **هي طريقته في ماذا؟ في حركته الرسالية)**[1].

وفي قوله تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَه﴾[القيامة:١٩] يؤكّد السّيد أنّ بيان القرآن، وتبينه للناس مرتبطٌ بمن يختصّهم الله ببيانه، وأسراره، ولن يكون بيانه بطريقة تفسيريّة، وإنّما بطريقة عمليّة يقول السيد: **(ألم يكن بالإمكان أن يرفق به بيانه، فيعمل مجلدين آخرين؟ شرح بيان القرآن، هو سيبينه وعليه بيانه وبطريقته علينا بيانه هو، بيانه مرتبط بالحياة وبيانه مرتبط بمن يكمله، بمن يختصه كما يقول الإمام القاسم في أكثر من مقام يختصه ببيانه، وبيانه أيضا سواء على يد رسول الله، أو يد الإمام علي، أو أي شخص آخر لن يكون أبدا بطريقة تفسيرية، مثل: الزمخشري، أو الطبري، أو أي واحد ثاني، لن يكون بالطريقة هذه.هذا بيان محدود، هو يتعامل مع اللغة أساساً، أساساً هو يتعامل مع اللغة، النص ومعناه في اللغة، أليس هو يأتي يستعين بقواميس؟ لكن بيانه كهدى، بيانه مرتبط بحركة في الحياة، مرتبط باختصاص إلهي ﴿عَلَيْنَا بَيَانَه﴾ مثلما قال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾[الليل:١٢] ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيْلِ﴾[النحل:٩] يقول: هذه هي عَلَيَّ، لا تشغلوا أنفسكم أنتم بها، تنطلقون أنتم تتناولونها ستتيهون، وتضيعون.**

عندما انطلق الناس هم كل واحد يريد هو يبين لنفسه هو، ما أحد بحاجة أحد، ولا شيء، ينطلق هو هو، تمزقوا، وتفرقوا، وطلّعوا غرائب، وطلعوا ضلال رهيب، انعكس علينا. ألم ينعكس علينا؟ أصبحنا أمة قد النسبة إليها سُبَّة في العالم، عربي يعني مثلما قال أحمد مطر:

قال الصبي للحمار يا غبي

قال الحمار للصبي يا عربي!)[2].

---

(١) مديح القرآن الدرس الخامس.

(٢) مديح القرآن الدرس الخامس.

السُّنّة المعلومة تمثّل قواعدَ مشتركة للحوار

يؤكّد السّيد أنّ السُّنّة المعلومة عن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، المعتبرة لدى جميع المسلمين، التي لا خلاف فيها ممكن أن تشكل وتمثّل قواسم مشتركة، وقواعد عامّة، ومنطلقات، ومقاييس للحوار فيقول: **(لأن القرآن هو حاكم على ما قدموه هم من السنة أليس [حديث العرض] ينص على هذا؟ «فما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله» لأن كتاب الله هو المرجع نرجع إليه هو الكلمة السواء عندما تقول لي: وسنته! السنة التي - كما قال الإمام الهادي - السنة المعلومة لدى الجميع باعتبارها أيضا تمثل ماذا؟ قواعد عامة وتمثل ماذا؟ قواسم مشتركة يمكن أننا نعتبرها مقاييس للحوار وقواعد ننطلق منها للحوار هذا فيما لو...)**[1].

معرفة السُّنّة مرتبطٌ بمعرفة الرّسول

ووضّح السّيد أنّ الطريقة الصحيحة لمعرفة ما صدر عن الرسول مرتبطةٌ أساساً بمعرفة الرّسول نفسه، والعلاقة القويّة به، وأن يكون له في نفوسنا إجلال، وعظمة، واحترام، وتقدير، ومن خلال حسن علاقتنا، ومعرفتنا بالرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله) سننزّهه عن أيّ أحاديث، ومعتقداتٍ باطلة لا يمكن أن يقولها، أو أن تصدر منه، فيقول: **(فُصِل رسول الله، قسَموه، وتصبح المسألة في الأخير مجموعة كتب حديث، تطّلع في الأخير أصحابها هم الحاكمون عليها، هم المقدَسون لدى الأمة، تصبح هي البديل عن النبي** (صلوات الله عليه وعلى آله)**! ألم يحصل في هذه الكتب أحاديث نحن نقول وعلماؤنا يقولون: بأنه لا يمكن أن تصدر من رسول الله؟ ما الذي حصل؟ أنها جُعلت بديلاً عنه، ولم يلحظ جانبه، لم يلحظ مسألة العلاقة به، ولم يلحظ جانب التعرف عليه هو** (صلوات الله عليه وعلى آله)**، لم يلحظ جانب أن تترسخ له عظمة في نفوسنا، وإجلال، واحترام، وتقدير، الأمر الذي سيصل بنا إلى أن ننزهه من مثل هذا الحديث، أو هذه العقيدة، أن تكون صدرت منه.**

لكن إذا لم تكن لك علاقة قوية برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **وقالوا: هذا الحديث هو**

(١) سورة آل عمران الدرس الثالث عشر.

منه، وهذا الرجل الذي دوّن هذه الأحاديث هو فلان، وهو كذا، وهو.. وهو.. وهو، أئمة السنة، إمام في السنة، أعلم الأمة بالسنة، أنت تعمل بالحديث وإن كان فيما يترك في نفسك من اعتقاد، أو نظرة مما لا يمكن إطلاقاً أن ينسب إلى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)**؛ لأنك فُصِلت عن النبي، فُصِلت عنه فقدم لك بديلاً عنه، هذا البديل صنعه الآخرون، أمكن أن تنطلي عليك الخدعة، وتقول: خلاص: نحن متمسكون برسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **أي متمسكون بكتب حديث معينة، أو بأشخاص معينين جعلناهم هم أعلاماً للسنة، فأصبحوا هم بدائل عن النبي** (صلوات الله عليه وعلى آله)) سورة آل عمران الدرس الثاني.

الحكمة لا تعني السُّنّة

وعند قوله تعالى: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[الجمعة:٢] يؤكّد السّيد أنّ الحكمة هنا في هذه الآية لا تعني السُّنّة على الإطلاق كما يقول بعض المفسرين، وعلماء الحديث، ويوضّح أنّها تعني الحكمة في التعامل، والسّياسة، والإدارة، وكلّ أمور الحياة فيكون النّاس حكماء في رؤيتهم، ومواقفهم، وأعمالهم، وأنّ هذه هي مهمّة رئيسيّة، وأساسيّة من مهام الرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، فيقول: **(الكتاب هو القرآن الكريم، كرره مرتين في هذه الآية؛ لأنه هو المهمة الرئيسية للرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **هو أن يتلو الكتاب على الناس، يعلم الناس بهذا الكتاب، عمله كله يدور حول القرآن الكريم، يتلو عليهم الكتاب ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ التي هي القرآن الكريم ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الحكمة هنا ما هي؟ عادةً يقول بعض المفسرين السُنة، يسمونها السنة، الكتاب والحكمة قال: الكتاب والسنة، هذا غير صحيح، غير صحيح.**

الحكمة: أن تكون تصرفاتهم حكيمة، أن تكون مواقفهم حكيمة، أن تكون رؤيتهم حكيمة. الحكمة هي ماذا؟ هي تتجسد بشكل مواقف، بشكل رؤى، بشكل أعمال، هي تعكس وعياً صحيحاً، وعياً راقياً، تعكس زكاءً في النفس، تعكس عظمة لدى الإنسان، الحكمة في الأمور. ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾؛ لأن الله قال في آية أخرى لنساء النبي ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾[الأحزاب: من الآية٣٤] **هل معنى ذلك أنهن يقرأن أحاديث في البيوت؟ لا.**

القرآن الكريم اسم عام للقرآن الكريم: القرآن الكريم داخله آيات، كلمة (آيات القرآن) لا تعني فقط الفقرة من الكلام ما بين الرقم والرقم، ما بين الدائرة والدائرة، آياته حقائقه أعلامه فيما يتعلق بالحياة بصورة عامة، فيما يتعلق بالتشريعات بصورة عامة، فيما يتعلق بالهداية بشكل عام، آياته.

والقرآن الكريم فيه أشياء كثيرة تتجه نحو الإنسان لتمنحه الحكمة ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾[الاسراء: من الآية٣٩] **كما قال في سورة [الإسراء] بعد أن ذكر عدة وصايا الوصايا العشر يعددها ثم قال: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ كلمة (حكمة) في القرآن الكريم لا تعني سُنة إطلاقاً، لا تعني سُنة إطلاقاً، رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **مُهمتُه هو أن يعلم الناس هذا القرآن بما فيه من آيات وهي: أعلام وحقائق في كل مجال تتناوله)**[1].

التّمسُّك بالقرآن والعترة

وفي محاضرة مع الدّعاة إلى الله يُفنّد السّيد رواية "كتاب الله وسنتي" في مقابل الحديث الصحيح "كتاب الله وعترتي"، ويوضّح أنّ الحل في مقام الهداية هو التّمسُّك بالقرآن الكريم، وأهل البيت، كقيادة ومنهج، فيقول: **(لذلك بعض الناس قد يقول: لا، كتاب الله وسنتي! نقول: فعلاً في ميدان العمل، ميدان العمل التشريعي الكتاب والسنة، لكن كل هذا الكلام يدور حول الكتاب والسنة، تفرقنا حول الكتاب والسنة، تباينا حول الكتاب والسنة، كل يدعي أنه على الكتاب والسنة، وأنه يعمل بالكتاب والسنة، وهناك ناس يقولون: نحن على ما عليه السلف الصالح وهو يقول لك: شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي! ما هذا يحصل؟ يقول لك: نحن على ما عليه السلف الصالح)**[2].

ويوضّح السّيد المسألة أكثر فيبّين أنّ أهل البيت ليسوا مشرّعين، ولا الصحابة أيضاً فالتشريع هو في القرآن الكريم، وعلى يد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وأنّه في ميدان العمل التّشريعي يعتبر التّشريع حقيقة هو الكتاب والسُّنّة، لكن السُّنّة الّتي من الرّسول وقدّمها

(١) محاضرة الثقافة القرآنية.

(٢) محاضرة مع الدعاة إلى الله.

هو عمليّاً، وحركيّاً للنّاس كما سبق توضيحه فيقول: **(التشريع حقيقة هو تشريع الكتاب والسنة، أهل البيت، الصحابة، ليسوا مشرِّعين، ليسوا مشرعين لذا موضوع حديث الثقلين يختلف عن القضية التي هي معروفة عند المسلمين أساساً لا يحتاج أن يقول فيها الرسول شيئاً، لو أن الرسول** (صلى الله عليه وآله وسلم) **جاء بهذه العبارة في هذا المورد، في هذا المقام في حديث الثقلين وقال كتاب الله وسنتي لما جاء بجديد ولما وضع حلاً، أليس كذلك؟.**

هذه إشكالية قائمة، كتاب الله وسنتي لكن السنة هم مختلفون فيها، ولعبوا بها لعبة، إذاً من الذي على الكتاب والسنة نحن سنسأل؛ ليظهر لنا بأنه فعلاً نبحث عن ناس، والأمة كلها تبحث عن ناس، ما أطرف واحد منا سيقول: إذاً يا محمد من الذي سيكون على الكتاب والسنة، ألسنا سنسأل عن ناس؟ نريد يبين لنا من هم نمشي بعدهم؟ حتى لو قال رسول الله: كتاب الله وسنتي، أن أطرف سؤال يا يجي من عند أي واحد مننا يقول: والله أما هذه ما وضع فيها الرسول حلاً، لأننا كلنا بين ندعي من الذي على الكتاب والسنة، سنسأل عن ناس نشتي نمشي بعدهم)[1].

ومن خلال هذا الطّرح يتّضح لنا أنّه عندما يقول الرّسول "كتاب الله وعترتي" ليس المقام مقاماً تشريعيّاً، بل هو مقام هداية، وأعلام، وقيادة، وهذا المقام ليس مقام أن يقول فيه "كتاب الله وسنتي" على الإطلاق، لأنّ الله قد حسم المسألة من البداية عندما أمر في القرآن الكريم بطاعة واتّباع رسوله، وقرن طاعته سبحانه وتعالى بطاعة رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، يقول السيد: **(رسول الله وضع الحل من البداية، (كتاب الله وعترتي) أما قضية الكتاب والسنة [فقد بتَّه القرآن] من البداية، هل يحتاج أن يقول للمسلمين الكتاب والسنة، وهذا الموضوع قد بته القرآن من البداية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾**[الأنفال٢٠] **أليس هذا يعني أمر بطاعة الله وبطاعة رسوله، آيات داخل القرآن معروفة عند المسلمين من قبل، والآيات أقوى من الحديث، أن يأتي بحديث، في الأمر بالتمسك بسنة الرسول** (صلى الله عليه وآله وسلم) **والإقتداء به جاء بها القرآن نفسه ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾**[التغابن١٢] **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾**[الحشر٧] **أشياء آيات كثيرة جاء بها القرآن ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ﴾**[النساء٨٠].

وهنا عندما يتحدث عن طاعة الرسول ماذا يعني؟ أن نطيعه فيما أمر أي نطيعه في قوله، نلتزم بقوله،

(١) محاضرة مع الدعاة إلى الله.

وبفعله، ونعمل أيضاً بتقريره، أليست هذه السنة على ما يقولون هم؟)[1].

ويوضّح السّيد أنّ الرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله) قد حسم المسألة، ووضع الحلّ للأمّة عندما قال: "كتاب الله وعترتي"، وأنّ هذا هو صمّام أمان للتّشريع نفسه، وعصمة للأمّة من الضّلال والإنحراف، والتفرّق ،والإختلاف، فيقول: **(إذاً فالحل الذي تناوله الرسول** (صلى الله عليه وآله وسلم) **في حديث الثقلين هو الحل الذي سنسأله هو لو قال كتاب الله وسنتي، أو سنقول له هو حتى لو غادر الدنيا من دون أن يقول سنتي وترك المسألة على ما هي عليه، لماذا تغادر هذه الدنيا وأنت تعلم أن الأمة ستختلف، ولم ترشدنا إلى من نتبع؟ ألسنا سنقول من نتبع؟ أو سنقول ولم ترشدنا إلى ما نتبع، ما نتبع موجود القرآن مثلاً، لكن القرآن من جاء يفسره ومن جاء يقدمه بشكل آخر!.**

لاحظوا في المسألة هذه بالذات، أليس من نحن نعتقد بأنهم في عقائدهم مخالفين، مخالفون للقرآن نفسه، هم الذين يطبعونه وينشرونه، أليس كذلك؟ هم في نفس الوقت يدعون بأنهم هم الذين يفسرونه، وأنهم متمسكون به، وأنهم، وأنهم أليس هذا حاصل؟ ونحن نشاهد بأنه غير معقول، غير معقول، أن يكون القرآن أن تكون عقيدتك هذه مستوحاة من هذا القرآن، أن تكون عقيدتك هذه التي هي تقوم على نسبة القبائح إلى الله، وتجسيم الله وتشبيهه، هي مستوحاة من القرآن، عقيدتك بالشفاعة لأهل الكبائر لا يمكن أن تكون مستوحاة من القرآن، إذاً ما هو أنت، ما هو أنت المتمسك بالقرآن، سنسأل رسول الله من هم؟ من هم الذين يكون التمسك بهم والسير في طريقهم والوقوف في صفهم أمان من الضلال؟ القرآن والعترة، وسماهم الثقلين، وهذا الحديث يعرف في أوساط الأمة بحديث الثقلين وهو حديث صحيح عند السنة والشيعة، إلا أنهم يكتمونه كما كتم بنو إسرائيل الحق وهم يعلمون، هذا الذي حصل)[2].

(١) محاضرة مع الدعاة إلى الله.

(٢) محاضرة مع الدعاة إلى الله.

معرفة اللُّغة من خلال القرآن

القرآن الكريم بلسان عربي مبين

تعتبر اللّغة العربية شيئاً أساسيّاً ومهمّاً في معرفة القرآن الكريم وفهمه والإهتداء به، لأنّ ممّا أكّد عليه الله في القرآن الكريم أنّه أنزله بلسانٍ عربيّ مبين، وجعله قرآناً عربيّاً، أي بنفس اللّسان العربيّ، وبنفس لغة العرب، وبنفس طرق وأساليب اللّغة العربيّة، ومعرفتنا بنفس اللّغة العربيّة من خلال المعايشة، ومن خلال معرفة الأساليب العربيّة، والشّعر العربيّ، والتكرار يفيدنا في فهمنا، ومعرفتنا للقرآن الكريم، **يقول السيد: (قد تكون مدبراً عنه عندما لا تهتدي بالطريقة التي هو يرسمها لك لتهتدي به، منها قوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾**[يوسف٢] **هذه تكررت في أكثر من آية: التأكيد على كونه عربي، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾**[الشعراء١٩٥] **بلسان وليس فقط بمجرد الحروف أنه مثلاً بلغة أخرى، وإنما كتب بالحروف العربية. لا، بلسان، بنفس اللغة، بنفس النص، بنفس الأسلوب، بنفس الطريقة العربية.**

فعندما جاءوا يأخذون عناوين معينة، مثلاً عندما تلاحظ أصول الفقه، يوجد فيه عناوين هي عناوين أساساً هي من داخل أساليب اللغة، أمر ونهي، خصوص وعموم، إجمال وتبيين، إطلاق وتقييد، عناوين من هذه، أليست من أساليب اللغة؟ لكن فصلوها، أعطوها اصطلاحات أخرى، تعريفات أخرى، بحثوها بشكل آخر، ما عاد طلعت طبيعية هي، لو تركت هي في موضوعها، لو تركت ضمن مباحث اللغة، ومن أساليب اللغة، ستقرأ اللغة أنت، تقرأ الشعر العربي، تقرأ النصوص العربية، تقرأ الأدب العربي، فتعرف أنت كيف كان العربي يخاطب الآخر، كيف كانت أساليبهم في التخاطب، فتعرف أنت.

لأن الخصوص والعموم ليس حتى خاص باللغة العربية، هذه هي أشياء هي في كل لغة: خصوص عموم، إجمال تبيين، إطلاق تقييد، أمر ونهي. هذه الأشياء كلها في اللغات كلها، إنما أساليب اللغة العربية في هذه المواضيع كيف هي من خلال المعايشة، من خلال التكرير؟ استعمال

الشعر العربي مثلاً لنصوص أدبية من هذه تعرف روح اللغة، تعرف نَفَس اللغة، تعرف أساليب العربي وهو يخاطب العربي الآخر.

هذا يفيدك كثيراً عندما ترجع إلى القرآن الكريم، عندما ترجع إليه يفيدك كثيراً هذا الأسلوب، لكن تأتي بطريقة أخرى، آلية تتصور آلية ليست آلية صحيحة أن تدخل إلى القرآن بشكل مقلوب، ما يمكن يعطيك القرآن أي فائدة، ثم يطلعوا في الأخير هم يضربوا القرآن)[1].

وحول موضوع تعدّد اللّهجات الّتي يقولون أنّه نزل بها القرآن الكريم يؤكّد السّيد أنّه نزل بلغة واحدة، في حروفها، ونصّها، ومعانيها، وأساليبها، وطرقها، وروحها، ومضامينها، وهي اللّغة العربيّة المعروفة بلغة العرب، بل إنّ القرآن الكريم نفسه يؤكّد على مسألة أن تكون اللّغة العربيّة هي اللّغة العالميّة، لأنّه كتاب للعالمين يقول السيد: **(القرآن الكريم هو أبعد من مسألة أن يكون نزل بكم لهجات، يكون نزل بلهجات متعددة، لهجات داخله متعددة هذا بعيد جدا؛ لأنك تجد القرآن نفسه هو هذا يؤكد على مسألة أن تكون اللغة العربية هي اللغة العالمية، فهو لن يأتي يحاول يدون لك كم لهجات، لو كان سَيُدَوّن لهجات لدوّن أيضاً لغات أخرى؛ لأنه كتاب للعالمين.**

ألم تكن الحاجة ماسة إلى أن يكون أيضاً باللغة الإنجليزية، والفرنسية، والفارسية، وأشياء من هذه؟ فيكون نزل بسبع لغات، وليس بسبع لهجات عربية، يقول لك: يصح أن تقرأها على كذا، على لغة [هذيل]، ويصح أن تقرأها كذا على لغة [تميم]، ويصح أن تقرأها على لغة [قريش]! لا، لأن الذي هو من هذيل، والذي هو من تميم هو سيفهم المفردات بنزولها على لغة قريش أليس هو سيفهم؟ فهل يمكن أن القرآن يأتي ليراعي لهجته؟ أم أن الأولى إذا كانت المسألة بهذا الشكل أن يراعي لغات أخرى وهو للعالمين جميعاً، فيأتي أيضاً بصيغة انجليزية، بصيغة فارسية، بصيغة كذا. ألم يكن هذا هو الأحوج إليه لو كانت المسألة بهذا الشكل؟ لا، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[الشعراء١٩٥]؟ فإذا كان الهذيلي يستخدم [عتّى] بدل [حتى] مثلاً فهو يعرف حتى، فهي ضمن اللغة المعروفة لديه، المتداولة في بلده، في محيطه) [2].

(١) مديح القرآن الدرس الثاني.

(٢) مديح القرآن الدرس الثاني.

القرآن الكريم من أهمّ مراجع اللغة

وحول موضوع قراءة النّحو، والصّرف، والمعاني، والبيان يبيّن السّيد أنّ هذه العلوم الّتي نقرأها هي مجرّد قواعد فقط، وليست هي اللّغة العربيّة، لأنّ المطلوب هو أن نقرأ، وأن نعرف اللّغة العربيّة نفسها، ونمارس قراءتها، ونطّلع على نصوصها من شعر، ونثر، وأدب، حتّى نعرف تلقائياً أساليب اللّغة العربيّة، ونعرف أساليب الخطاب، والتّعبير عند العرب، لأنّ الشعر العربيّ يحتوي على كلّ قضايا العرب، ويشخّص لنا كلّ واقعهم، وأساليبهم، ويؤكّد السّيد أنّ القرآن الكريم يعتبر من أهمّ مراجع اللّغة العربيّة، ومصادرها، ومعرفتها فيقول: **(نحن أساساً لا نقرأ لغة عربية، عندما تأتي تقرأ النحو والصرف والمعاني والبيان فأنت لا تقرأ لغة عربية، أنت تقرأ قواعد.**

المطلوب أن تتعرف على اللغة نفسها، وأن تمارس قراءتها، والإطلاع على نصوصها، من شعر ونثر، حتى تعرف أنت تلقائياً أساليبها، أساليب العرب في خطابهم، وأساليب العرب في التعبير عن كل قضاياهم؛ لأن الشعر العربي يشتمل على قضايا العرب نفوسهم، لا توجد قضية ربما إلا وفيها شعر، كل قضاياهم، كل تفكيرهم، كل نظراتهم، هو داخله أساليب العرب في التخاطب، داخله الأساليب اللغوية نفسها، كذلك النثر.

القرآن أيضاً في هذا الموضوع يعتبر من أهم مراجع اللغة العربية، بل فيه ما يضرب بعض قواعد النحاة أنفسهم، ما يضرب بعض قواعد النحويين؛ لأن النحوي ما يجلس نحوي يلتزم بعمل استقراء أنه لماذا نصبوا هذه ولماذا رفعوا هذه، في كونه فاعل أو مفعول أو أشياء من هذه، لكن هو أيضاً يتطرق، هو أيضاً يتطرق إلى المعاني، يتحدث عن المعاني) [1].

ويضيف السّيد مؤكداً أنّ القرآن الكريم يعتبر من أهمّ مصادر، ومراجع اللّغة العربية، داعياً إلى ضرورة الإهتمام باللّغة العربيّة نفسها، ومعرفتها من خلال قراءة الشّعر، والنّثر العربيّ البليغ للشُّعراء العرب الأوائل، ومن خلال النّصوص العربيّة القديمة في المرحلة العربيّة الأولى، التي لم يكن قد حصل فيها إختلالٌ في اللّغة العربيّة، ونصوصها، يقول السيد: **(أعتقد أن القرآن نفسه هو من أهم المراجع اللغوية، من أهم مراجع اللغة العربية، تجد أحياناً في بعض المفردات،**

(١) مديح القرآن الدرس الرابع.

بعض المفردات تأتي تبحث في [القاموس]، تبحث في [لسان العرب]، تبحث في مراجع ما تجد الكلام الذي ترى أنه فعلاً ممكن تقول أنه هو المعنى لهذه المفردة، إلا بما يعطيها القرآن هو من معنى لها، ولو معنى إجمالي تفهم من خلالها.

فالقرآن هو مرجع من أهم مراجع اللغة، لازم اهتمام باللغة نفسها؛ لأنه ممكن أقرأ معاني وبيان، قواعد المعاني والبيان هي حول فصاحة وبلاغة، يتحدث عن أساليب، لكن ما تعايش نفس اللغة، ممكن تقرأها وما تطلع بليغ، بل يمكن تقرأها ولا تستطيع تقيم نص معين، أو تحلله إذا ما هناك معايشة للنص اللغوي نفسه.

أقرأ قواعد النحو أعرف كيف اللغة فيما يتعلق بالنطق بالحركات، هذا منصوب، وهذا مرفوع..الخ، فيما يتعلق بآخر الكلمة: إعراب وبناء، وشكل الإعراب فيها، سواء كان بشكل حركات، أو بشكل حروف علامات.

فاللغة العربية على هذا النحو ضرورية جداً، بل ضروري جداً أن الناس يحاولون من خلال قراءة الشعر، ومن خلال قراءة النثر، والنثر الذي يكون بليغاً، لا تقرأ لناس ليسوا بلغاء، إذا واحد قرأ لأشخاص ليسوا بلغاء، وكتّاب ليسوا بلغاء يتأثر بأسلوبهم، تقرأ نصوصاً بليغة للعرب يتحدثون في نفس الفترة التي ما كان قد حصل فيها خلل في استخدام الناس للغة العربية، هذا يعين على فهم القرآن الكريم) [1].

وفي سورة المائدة الدّرس العشرون يؤكّد السّيد أنّ القرآن الكريم يمثّل مرجعاً مهماً في توثيق أساليب اللّغة العربيّة التي نزل بها القرآن الكريم، وتوثيق نصوصها، وأحرفها، وهجائها باعتبارها اللّغة الّتي أراد الله لها أن تكون هي اللّغة العالميّة للنّاس جميعاً، لأنّ الناس مع توسّع حركتهم، واتّساع شؤون حياتهم يحتاجون للغة واحدة تكون هي اللّغة العالميّة، ولهذا حُفظ توثيق نصوصها، وحروفها، وطرقها، وأساليبها في القرآن الكريم ،يقول السيد: **(لهذا نقول: اللغة العربية القرآن الكريم يمثل مرجعاً مهماً في توثيق أساليبها في توثيق أساليب اللغة وعادة استعمالات الناس فيما يتعلق بأساليب اللغة بعضها لا يصل إليها الناس في استعمالهم اليومي، قد يصل مثلاً الأدباء والشعراء إلى استخدام**

(١) مديح القرآن الدرس الرابع.

الأساليب أكثر مما يستخدم الناس العاديين، لاحظ حتى في المفردات نفسها كم نسبة المفردات التي نستخدمها من اللغة؟ نسبة محدودة، الأديب الشاعر يستخدم مفردات أكثر كذلك أساليب من أساليب اللغة فيما يتعلق بالتقديم والتأخير والتعريف والتنكير والغيبة والخطاب وأشياء من هذه، والتنقل بين هذه أسلوب معروف قد يكون بعض الأساليب مثلاً غير ظاهر لكن قد يكون [من الأساليب التي كانت مستخدمة عند العرب وخاصة الأدباء والشعراء] فكيف بهذا الكتاب الذي هو للعالمين، اللغة تقدم على سعتها وأكثر ما يضمن التوثيق لسعة اللغة توثيق أساليب اللغة نفسها، نحن قلنا أيضاً في الحروف المقطعة [أ، ل، م] إلى آخره.. أنها أيضاً يستفاد منها توثيق هجاء الحرف العربي؛ لأن الله قد أراد أن تكون هذه اللغة هي اللغة العالمية؛ لأن الله جعل رسالة هذا القرآن عالمية، واصطفى للعالم لغة عالمية، هي أقوم لغة، أن يصطفيها الله سبحانه وتعالى ليس معناه أنه اختيار قومي أبداً، القرآن كما قال الله عنه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء: من الآية٩] ومما هدى إليه أن تكون اللغة العالمية هي اللغة العربية، أليس الآخرون بعد ما اتسع العالم وبعد ما اتسعت عوامل التواصل فيما بينهم احتاجوا إلى لغة عالمية؟ قدموا اللغة الإنجليزية كلغة عالمية، يعني أن العالم هو بحاجة إلى لغة عالمية واحدة، فهذا اختيار من الله، أن تكون هي اللغة العربية معناه إذاً فبالنسبة للقرآن الذي فيه هدى من الطبيعي أن يكون متضمناً ما يعتبر توثيقاً لأساليب هذه اللغة ولهجاء نسبة كبيرة من أحرفها)[1].

ويؤكّد السّيد على أنّ من أهمّ ما يجب أن نقرأه، ونتعلّمه، ونهتمّ به هو اللّغة العربيّة، لأنّها مهمة جدّاً في فهم القرآن الكريم، ومعرفته، وممّا يؤكّد عليه القرآن، ويدعو إليه هو معرفة اللغة العربية، وتقديمها بالشكل الصحيح، والقرآن الكريم يعتبر من أهم المراجع في معرفة نفس المادّة اللّغوية، وشعرها، ونثرها يقول السيد: **(نقول: ممكن نقرأ على أساس ما قدمه لنا القرآن أن نتناوله في الحياة هذه، فعندما يقول لك: ﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾**[يوسف: من الآية٢] **إذاً نهتم باللغة العربية، أليس هكذا؟ نهتم باللغة العربية، ونهتم بتقديمها بالشكل الصحيح، وليس فقط قراءة قواعد فقط، نقرأ نفس المادة اللغوية: شعر اللغة ونثرها، ومن أهم المراجع فيها القرآن.**

(١) سورة المائدة الدرس العشرون.

القرآن فعلاً يعطي للناس مجالات واسعة من التعليم، وكل ما نريد هو أن نترك الأشياء هذه التي أثبت الواقع أنها كانت خسارة على الأمة أن يتشبثوا بها، أشياء لا حاجة إليها نهائياً، أما إذا كانت أيضاً ضارة فعلاً فهي طامة كبرى)[1].

أهميّة اللّغة العربيّة في فهم القرآن الكريم

ويضيف السّيد أنّ معرفة اللّغة العربيّة نفسها التي عايشها العرب، وتحدّثوا وارتبطوا بها، مهمٌ جدّاً في معرفة القرآن الكريم، وفهمه، وتذوّقه، والاهتداء به، مبيّناً أنّ من انطلقوا ليفسّروا القرآن الكريم ممن هم أدباء، وعايشوا اللّغة العربيّة، ولديهم معرفة بها قدّموا القرآن الكريم بشكلٍ جميلٍ وجذّاب، مثل "السّيد قطب" في تفسيره (في ظلال القرآن) والسّيد "محمد حسين فضل الله" في تفسيره (من وحي القرآن)، يقول السيد: **(عندما يعرفون اللغة العربية التي عايشها العرب، وارتبطوا بها، وتحدثوا بها، وعرفوا قيمتها سيتذوقون القرآن الكريم، ويعرفون قيمته بشكل رهيب؛ ولهذا تجد أن من ينطلق يفسر ممن هم أدباء، انشغلوا باللغة على هذا النحو، يكون تفسيرهم جيد، يكون تفسيرهم ممتاز، تفسيرهم يعني يقدم القرآن بشكل جميل، بشكل مثلما يعمل سيد قطب في [ظلال القرآن]، هو أديب أساساً. لكن خلي نحوي يفسر، أو خلي فقيه، أو أصول فقهي، أي واحد من هؤلاء يفسر، يطلع لك القرآن لاشيء، هذا يطلعه بشكل جميل جداً.**

محمد حسين فضل الله أيضاً أديب، في تفسيره [من وحي القرآن] يكشف وجوها ممتازة وجذابة، والقرآن يقدمه بشكل عظيم، بشكل جذاب؛ لأنه عايش اللغة العربية في نصها، في النص العربي)[2].

ويدعو السّيد إلى ضرورة أن يكون في المراكز العلميّة والمدارس ملازم، وكتب تحتوي على مقطوعات شعريّة من دواوين الشّعر العربيّ القديم للشّعراء العرب القدامى، فنقرأها لنتعرّف على اللّغة العربيّة نفسها، وعلى الأساليب اللّغوية، لأنّها تعتبر مهمّة جداً في فهم القرآن الكريم، والاهتداء

(١) سورة الأنعام الدرس الرابع والعشرون.
(٢) مديح القرآن الدرس الرابع.

به، يقول السيد: **(ولهذا نقول: أنه ضروري جداً أن يكون في المراكز ملازم من هذا النوع، يقراها الطلاب، ونقراها جميعاً، تؤخذ مقطوعات شعرية من دواوين الشعر العربي، ويقرأها الطلاب، نتعود على اللغة؛ لتعرف اللغة نفسها عندما تقرأ قصيدة، والقصائد هذه فيها أساليب لغوية تعبر عن معاني، بل يكشف لك واقع المجتمع العربي، وكيف كانت حياتهم، كلها هذه مهمة بالنسبة لفهم القرآن الكريم، كلها مهمة بالنسبة للعودة إلى القرآن الكريم)**[1].

ويؤكّد السّيد أنّ قواعد اللّغة التي نقرأها في المدارس، والجامعات، والمساجد، والمراكز العلميّة فائدتها محدودة في معرفة اللّغة، ويبيّن السّيد أنّ معرفة اللّغة تكون من خلال معرفة أساليب وطرق العرب في التّخاطب، والتّعبير عن قضاياهم، وهذه لا تحصل إلاّ من خلال معرفة النّصوص العربيّة، والشّعر العربيّ، يقول السيد: **(اللغة العربية هامة، اللغة العربية هامة، واللغة العربية هي التي لا نقرؤها، لا نحن ولا الذين في المساجد، نحو، وصرف، ومعاني، وبيان، هي معرفة القواعد فقط، لازم تعرف اللغة نفسها، تقدم اللغة نفسها، ولكن عندما تقرأ القواعد هذه فائدتها في جوانب محدودة، لكن معرفة الأساليب بطريقة طبيعية، أساليب اللغة، نَفَس اللغة، طرق العرب في التخاطب فيما بينهم، لا بد من أن تعرف النص العربي على أساس تتعامل معه، عن طريق الشعر، وعن طريق نصوص عربية)**[2].

ويؤكّد السّيد أنّ معرفة اللّغة العربيّة نفسها مهمّ وضروريّ جداً في معرفتنا للقرآن، واستفادتنا منه، لأنّ القرآن الكريم كتاب عربيّ نزل بلسان ولغة العرب، فعندما نأتي لدراسة، ومعرفة اللّغة يجب أن نتعرّف على أصل اللغة نفسها، ونتعرّف على أساليب العرب، وكيفيّة تعاطيهم مع الكلام العربيّ نفسه في معانيه، وتذوّقه، لأنّ أساليب، وأجواء، ومشاعر الخطاب العربيّ ما تزال موجودة في لغتنا بشكل كبير، وإن اختلف التّعبير في المفردات، فيقول: **(القرآن هو عربي ﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾**[الزمر: من الآية٢٨] **﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾** [الشعراء:١٩٥] **نزل بلغتنا ونحن لا نزال عرباً، لا تزال أساليب الخطاب العربي أكثرها ما تزال قائمة، وإن اختلفت المفردات، التعبير**

(١) مديح القرآن الدرس الرابع.

(٢) مديح القرآن الدرس السادس.

بالمفردات لا تزال مشاعر وأجواء الخطاب قائمة بين الناس، بل ربما حتى عند غير العرب، الإنسان كإنسان له أسلوب في تخاطبه مع أبناء جنسه، قد يكون متقارب، قد يكون شبه واحد في مختلف اللغات وإن اختلفت المفردات.

فنحن سنهتم باللغة العربية، نهتم باللغة العربية، وعندما نهتم باللغة العربية نتعرف على أصل اللغة نفسها، نتعرف على أساليب العرب بشكل أكبر، نتعرف تَذَوّق العرب للكلام، ما هو الكلام الذي كانوا يعتبرونه راقياً، حتى نعرف لغة القرآن، وعندما نعرف لغة القرآن ستكون معرفتنا للقرآن أكثر واستفادتنا منه أكبر)[1].

اللّغة العربيّة محاربة من قبل اليهود والغربيّين

يؤكّد السّيد أنّ اللّغة العربيّة نفسها محاربة من قبل اليهود، ويعمدون إلى تمييع معانيها، ونصوصها، ويحاربون الشّعر العربيّ، ويوضّح السّيد أنّما يُقدّم في المدارس اللّغوية المتحرّرة من الوزن، والقافية، والبحور، ممّا يسمونه بالشّعر الحرّ، والعمودي يساهم في ضرب اللّغة نفسها فيقول: **(ولهذا فعلاً تجد أن اللغة العربية محاربة جداً من اليهود، حتى الشعر العربي يحاربونه، يحاربونه بطرق كثيرة تحت عنوان الحرية حتى في اللغة، الحرية من القيود هذه، قيود القافية، وقيود البحور والوزن، مثل الشعر العمودي الذي يسمونه الشعر الحر، شعر حر، متحرر من القافية، هذه ليست حريات)**[2].

ويضيف في نفس الدرس أنّ اللّغة العربيّة محاربة بشكل رهيب من قبل الغربيّين، ساعدهم على ذلك غياب الرّؤية والمنهجيّة الصحيحة عندنا في التعاطي مع اللّغة العربيّة، وتعلّمها، فيقول: **(تجد اللغة العربية محاربة بشكل رهيب جدا من جانب الغربيين بشكل رهيب، طيب ونحن أيضا نأتي عندما لا يوجد منهجية تقوم على أساس إختيار ورؤية صحيحة، اللغة العربية مربوطة عندنا بالنحو، النحو عندنا من أعقد الأشياء على الطلاب، يتصور اللغة العربية يعني النحو، والنحو قد بدا ثقيل، نقول النحو هو واحد من فنون معرفة قواعد اللغة في النطق، وإلا**

(١) محاضرة الثقافة القرآنية.

(٢) مديح القرآن الدرس الرابع.

فنحن أساساً ما قد عرفنا اللغة، اللغة تعال نقرأ نصوصها الشعر العربي، النثر العربي، مثل فقرات في [نهج البلاغة]، وترجع إلى القرآن الكريم أهم مرجع عربي، بل هو موثق يوثق أيضاً القرآن الكريم، فيه توثيق أيضاً للنصوص العربية)[1].

وفي محاضرة "الإسلام وثقافة الإتّباع" يبيّن السّيد أنّ الغرب يركّزون بشكل كبير على محاربتهم للقرآن الكريم، والرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وعلى اللّغة العربيّة، بينما لا يتعرّضون لأيّ فنون وعلوم أخرى، فيقول: **(تجدهم لأنهم يفهمون أكثر مما نفهم! حربهم تتركز على شيء واحد بشكل مكثف، ومركز ضد القرآن الكريم، وبعده شخصية الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله)**، وفي نفس الوقت اللغة العربية.**

هذه الثلاثة الأشياء التي يركزون على حربها: القرآن الكريم رقم واحد في الموضوع، لا يحاولون أن يحاربوا أشياء أخرى، مظاهر أخرى، مساجد كثيرة تبنى، أشياء كثيرة، علماء كثيرون مختلفون، يعتبرون هذا يساعد على خلق فرقة في أوساط الناس، مذاهب متعددة)[2].

ويبيّن السّيد أنّ هذا التوّجه الكبير لمحاربة اللّغة العربيّة يأتي لكونها هي لغة القرآن الكريم، وتمثّل شيئاً أساسيّاً في فهم ومعرفة القرآن، فتواجه اللغة العربية بحرب شعواء، ويسعون لإقصائها، وأن يعمّم بدلاً عنها اللّغة "الإنجليزية"، ليبعدونا عن فهم، ومعرفة القرآن الكريم، يقول السيد: **(لماذا يحاربون القرآن؟ لأنهم يعرفون أن القرآن الكريم هو وحده، هو وحده الذي يستطيع أن يبني أمة واحدة، هو الذي يستطيع أن يبني أمة قوية، وأن لغته اللغة العربية التي هي أساس من أسس فهمه يجب أن تحارب، يجب أن تقصى، أن تعمم بدلاً منها اللغة الانجليزية، أن نترك الشباب يشعرون بإعجاب، بعظمة، عندما يتعلمون اللغة الإنجليزية.**

حرب شعواء ضد اللغة العربية؛ لأنها لغة القرآن الكريم، وأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[الشعراء١٩٥] **﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾**[يوسف٢] **أكثر من ثلاث آيات تحدث الله عن القرآن أنه عربي، باللغة العربية، بلسان العرب)**[3].

---

(١) مديح القرآن الدرس الرابع.

(٢) محاضرة الإسلام وثقافة الإتباع.

(٣) محاضرة الإسلام وثقافة الإتباع.

المحـــــور الرابع

طاعة الله والرسول وأولي الأمر

يعتبر موضوع طاعة الله، وطاعة الرسول، وأولي الأمر من المؤمنين من أهمّ المواضيع الإيمانيّة الّتي لا يقبل الدّين إلاّ بها، لأنّ موضوع الدّين، والإيمان، والإسلام يتمثّل في التّسليم، والطّاعة، والإتّباع، وطاعة الرسول والخضوع لتوجيهاته، وتعاليمه هو خضوع، وطاعة لله عزّ وجل.

بينما تعتبر الطّاعة لأولي الأمر ملزمة أيضاً، ومن طاعة الله ورسوله، إلاّ أنّ الموضوع يبدو شائكاً نوعا ما، وتحيط به الكثير من التعقيدات الفقهيّة، والسّياسيّة، وأصبح محطّ إشكال ونقاش، وخلاف على المستوى الدّيني، وعلى المستوى السّياسيّ بشكل كبير جدّا في كلّ زمان ومكان، وهناك تلاعب في هذا الموضوع، موضوع طاعة "ولي الأمر" من السّابق، وفي هذه الفترة اللّاحقة، إلاّ أنّ خطره في هذه المرحلة أشدّ وأفدح، وقد بيّن السّيد الرّؤية القرآنيّة للموضوع، وقدّمها للأمّة في الدّروس والمحاضرات، وهذا ما سنتوقف معه وعنده قليلاً، فمن هم ولاة الأمر؟ ومن هُمْ الذين تجب طاعتهم؟

الدّور التنفيذي للرسول

في سورة النساء الدرس الثامن عشر من دروس رمضان عند قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾[النساء:٥٩] يقدّم السّيد الرّؤية القرآنيّة المحيطة بالموضوع، فيقول: (**أحسن مئالاً، أحسن عاقبة، أحسن واقعاً هنا في الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة، لاحظ هنا في الصورة هذه التي فيها كثير من التوجيهات كثير من التشريعات فيها أمر متكرر بطاعة الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **بشكل كبير في [سورة النساء] كم تجد من الآيات: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾؛ لأن الكثير من هذه التشريعات والكثير من التوجيهات هنا عملية، للرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **دور فيها كبير في**

المجال التنفيذي في المجال التوجيهي في أشياء كثيرة جداً في مجال التبيين، هنا يأمر بطاعته **وطاعة رسوله ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾**[1].

هنا يوضّح السّيد سعة الدّور المنوط بالرسول في موضوع تبليغ الرّسالة، الدور التوجيهي، والتبليغيّ، والعمليّ، والتنفيذيّ، وهذا الدّور أوسع من دور التبيين الذي يقدّمه الفقهيون والمفسّرون، لأنّ موضع التّشريع مرتبط بالجانب التنفيذي والعملي في غالبه، لهذا يتعدّى دور الرّسول مسألة كونه مبيّناً ومبلغاً فقط، إلى كونه منفذاً أيضاً لكثير من توجيهات التّشريع العامّة، وإنزالها على تفصيلاتها، ومواردها، يقول السيد: **(ثم تلاحظ هنا، عندما يقولون: أن دور الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **هو مبين، ويقدمون لك كلمة: يبين وكأنه يبين، أن يقول، أن يفسر، يقول لك: الصلاة هي خمس والفجر ركعتين والظهر أربع والعصر أربع، إلى آخره.. يوجد هنا أشياء كثيرة أخرى أشياء كثيرة جداً في موضوع أن ينفذها؛ لأن هناك توجيهات هي تعتبر توجيهات عامة توجيهات عامة في إنزالها على تفصيلاتها ومواردها، قضية يقوم بها الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **أو من يقوم مقامه ولهذا قال: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾**[النساء: من الآية٥٩][2].

ويوضّح السّيد أنّ دور الرسول ليس جانباً تنفيذيّاً بحتاً بالنسبة للرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في موضوع مسيرة الدّين، وحركته الشّاملة في الحياة، بل هي قضية مرتبطة بفهم الموضوع أو التوجيه القرآني، وفهم الواقع والعلاقة ما بين الواقع والتوجيه القرآني، لأنّ إنزال الدّين يشكّل ضمانة، وتربية للنّاس، ومنهجاً يعبر عن العدل والقسط في الحياة، وهذا أوسع من مسألة السّلطة التنفيذية في موضوع ولاية الرسول، أو أولي الأمر، يقول السيد: **(لكن ليست قضية تنفيذية بحتة، قد تجد أن الكثير من القوانين قد هي هناك واضحة عبارة عن مواد واضحة هم لا يقومون بها، ولا يطبقونها وهي قضايا واضحة سواء فقهية أو قانونية، أما هنا قضية الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **بأن يفهم القضية ويفهم الواقع ويعرف علاقة هذا الواقع بهذا التوجيه القرآني في هذا المقام أو هذا المقام قضية دقيقة، أعني: ليست فقط مجرد تنفيذ أشياء قد هي موجودة حرفياً بالتفصيل، وهذا مثلما قلنا بالأمس أنه فعلا عندما تقرأ القرآن الكريم تجد أنه بهذا**

(١) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

(٢) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

الشكل: أن دين الله سبحانه وتعالى عبارة عن مسيرة شاملة وواسعة تستوعب الحياة كلها خصوصاً فيما يشكل ضمانة، أن يكون هذا الدين على هذا النحو ويكون إنزاله تعبيرا عن ماذا؟ عن إقامة قسط عن الحكم بين الناس بالعدل، عن تربية الناس على أساس ما يريد الله أن يكونوا عليه، أنها قضية تحتاج إلى من؟ إلى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **ومن يقوم مقامه، من يقومون مقامه قضية أوسع بكثير من مسألة سلطة تنفيذية - التي يسمونها - سلطة تنفيذية سواء ما هو معروف الآن في أنظمة الدول أو ما قدم حتى داخل كتب الفقه بالنسبة لولاية الأمر، جعلوا ولاية الأمر معناها ماذا؟ مجرد سلطة تنفيذية، السلطة التنفيذية معناها: الأشياء التي حددت هناك، قد صارت مقننة واضحة مفصلة بنودها واضحة)**[1].

وهنا يؤكد السّيد سعة الموضع والقضية، وأنّ أولي الأمر قضية مرتبطة بهذا الدّور، ولها علاقة بالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، فيكون وليّ الأمر هو من يمثل امتداداً للرّسول، وهي قضية مرتبطة بالله سبحانه وتعالى في مسيرة دينه وتشريعه، وليست مسألة مفتوحة تخضع للإنتهازيّة، ولا تأتي عن طريق الإنتخابات بل هي قضية مرتبطة بالله سبحانه وتعالى، **يقول السيد: (لا، هنا قضية أوسع من هذه بكثير؛ فلهذا أمر بطاعته سبحانه وتعالى وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر منكم، أولي الأمر ليست قضية دعوة كل واحد يدعي أنه هو من أولي الأمر، أولي الأمر قضية هنا مرتبطة بالرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله)**، الرسول مرتبط بالله سبحانه وتعالى، وقضية لا تأتي عن طريق انتخابات ولا عن طريق شورى ولا عن أي طريق مما يقدم... قضية الله هو الذي يتولاها هو، هو الذي اصطفى الرسول، هو الذي سيصطفي هو أولي أمر، لم تترك القضية لكل واحد يدعي، معك خمسين حاكم في البلاد الإسلامية أو سبعة وخمسين حاكماً، وكل واحد يأخذ هذه الآية له، وتجدهم سواء كانوا فرادى أو مجتمعين لا يقيمون أي أمر، هل أقاموا أمر الأمة الآن؟ مع أن لديهم سلطة، لديهم جنود لديهم عتاد عسكري لديهم إمكانيات كبيرة، لكن ليست القضية تنتهي عند هذه، من يعرف كيف يعمل من يعرف كيف ينزل هذا**

(١) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

القرآن في واقع الأمة من يبني الأمة على أساس هدى الله في القرآن الكريم)[1].

ويوضّح السّيد أنّ الحكّام اليوم الذين لم يقيموا أمر الأمّة، ولا أمر الدّين، وليسوا امتدادًا لهذه الأمّة، ليسوا ولاة الأمر الذين هم امتدادٌ للرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وفشلهم وإخفاقهم واضح على أعلى المستويات ولدى الجميع فلماذا يدّعون الآن لأنفسهم الشّرعيّة الدّينيّة؟ يقول السيد: **(تجد كل واحد يدعي أنه تجب طاعته على أساس: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ﴾ لكن وجدناهم لا يقيمون الأشياء الواضحة ولا أعطوا الناس شيئاً لا وهم مجتمعون في القمم، قمة عربية، أو قمة إسلامية، ولا وهم فرادى، كل واحد في بلاده، هذا من التلاعب بكتاب الله حقيقةً، من التلاعب بكتاب الله، يكفيهم [لا يكون واحد راكب على جملين] يكفيهم الشرعية التي يدعونها، أليسوا هم يدعون شرعية ديمقراطية أو شرعية وراثة حكم مثلما في البلدان الديمقراطية أو بلدان أخرى، سلطنات أو ملكية، لا، أيضاً يريد يجعل لنفسه شرعية دينية وشرعية ديمقراطية!، إذا أنت تريد شرعية دينية فالشرعية الدينية لا تأتي وفق رؤيتي ولا وفق رؤيتك، ارجع إلى القرآن، نرجع إلى القرآن؛ ولهذا قال بعد: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾**[النساء: من الآية٥٩] **إذا كنا متنازعين فيما هي الشرعية الدينية ومن هو الذي يقال له: [ولي أمر] على أساس دين الله فيكون امتداداً لرسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **فنرجع إلى القرآن وإلا فيكفيك الشرعية الديمقراطية)**[2].

ويوضّح السّيد أنّ من يشكّل الضّمانة للدّين، ولحركته الصحيحة في الحياة، هم ورثة الكتاب الحقيقيون، وولاة الأمر الذين يختارهم الله ويكونون امتداداً لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، محذراً من خطورة التوّجه القائم لدى الحكّام الآن لإضفاء الشّرعيّة الدّينيّة على ولايتهم، وأنّ حركة التّثقيف الواسعة للأمّة الآن التي تقوم على وجوب طاعة هؤلاء الحكام، وكلٌ منهم يدّعي أنّه وليّ أمر لخطيرة جدّا لأنّها تأتي في سياق خدمة الأمريكيين لاستهداف الدّين والإسلام، يقول السيد: **(يجب أن نعرف أن الذي يشكل ضمانة للدين أن يسير بشكل**

(١) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

(٢) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

صحيح، يحتاج إلى ورثة لكتاب الله وألّا تتحطم الأشياء وينزل الدين بشكل [مقلوب] ويوجه الناس به توجيها تضليليا، والعجيب أنهم ما زالوا يحاولون يدعون هذه، أو يحاولون حث الناس على طاعة ولي الأمر مع أنهم يعرفون هم أن أمريكا الآن هي المتسلطة وهي النافذة مثلما قلنا سابقاً، قلنا: إنزال القضية هذه الآن، ومع أنه معلوم في الأنظمة العربية القائمة أنها غير محتاجة إلى ما يسمى بشرعية دينية، هي لا تقوم على هذه، أليست قائمة على أساس ديمقراطية أو وراثة ملك؟ فلماذا الآن يوجد حركة حول طاعة ولي الأمر، طاعة ولي الأمر، طاعة ولي الأمر الآن؟ ما قد احتاجها بعضهم من سنين إلا لأنها مرحلة، الأمريكيون يقدمون أنفسهم عبارة عن محررين وأنهم يزيحون الظلم ويزيحون الطغيان ويزيحون الجبروت، ما هكذا يعملون؟ فيحاولون أن يشغلوا الناس بأنه هكذا الدين؟ وكل حاكم من حكامكم الذين أنتم تكرهونهم وهم يظلمونكم وهم كذا، دينكم يأمركم بأن تطيعوهم، من أجل أن تقبل الأمريكي وتكفر بدينك أنت عندما يقدم لك دينك بأنه يأمرك بطاعة إنسان أنت تعتبره ظالما ويظلمك، والأمريكي يقدم نفسه لك عبارة عن محرر لك من الظلم والطغيان، كيف سيكون موقفك أنت؟ ألست ستعتبر الأمريكي وستعتبر الأطروحات الأمريكية أفضل من الإسلا؟!)[1].

ويبيّن السّيد أنّ هذا هو الهدف الحقيقي من إنزال هذه الثّقافة الآن، وتعميمها على النّاس، والتحرّك الكبير حولها، مع أنّها ثقافة يرفضها الدّين، والقرآن الكريم، بل لا يقبل بها أيّ شعب من الشّعوب، ولا أيّ أمّة من الأمم، ولا أيّ نظام من الأنظمة، يقول السيد: **(هذا هو الهدف من إنزالها الآن، مثلما قلنا من يوم ما بدأوا ينزلون ملازم من وزارة الأوقاف والإرشاد على أساس تعليم للخطباء والمرشدين، قلنا: هؤلاء ليسوا بحاجة إلى المنطق هذا، وهذا المنطق لا يقبله حتى الأمريكيون أنفسهم لا يقبله حتى الأوروبيون، لا يقبله لا يهودي ولا نصراني، أن يقول: أن تطيع الحاكم وإن قصم ظهرك وإن نهب مالك، هل هذا مقبول في الديمقراطية؟! هل هو مقبول عند أي أمة من الأمم؟ ليس مقبولاً، فلماذا ينزلونه باسم الدين؟! ليشوّهوا الدين بهذا.. أطع الحاكم وإن**

(١) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

قصم ظهرك [سيكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي..] هكذا يروون عن رسول الله كذبا عليه [لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال أطع الأمير وإن قصم ظهرك!!]، وهناك يقومون بمظاهرات ويعملون ثورات إذا كان الحاكم على هذا النحو)[1].

ويؤكّد السّيد على أنّ في هذا الموضوع يداً يهوديّة وأمريكيّة لتشويه الدّين، وضربه في واقع الحياة والبشر، وأنّ تقديم هذه الثقافة لهؤلاء النّاس ما هي إلّا من الكذب والافتراء على الله سبحانه وتعالى، يقول السيد: **(إذاً فهذه عملية تشويه من جانب اليهود أنفسهم من جانب الأمريكيين ليشوهوا الدين حتى يرى الناس أن الأمريكيين أفضل، ومن يتأمل القضية واضحة، أليسوا يقدمون تحريراً، إزالة الأنظمة الطاغوتية؟ ما هكذا يقولون؟ ويقدمون لك منطقا آخر [أطع الحاكم وإن قصم ظهرك وإن.. وإن..] إلى آخره، هل هذا مقبول ديمقراطياً؟ ليس مقبولاً ديمقراطياً، معلوم أنه ليس مقبولاً في الديمقراطية فهل يقبل في دين الله؟ إذا كان البشر أنفسهم لا يقبلون هم أن يشرعوا هذا الشيء، فيأتي نظام يوجب على الشعب أن يطيعه وإن قصم ظهره وإن أخذ ماله، فكيف نجيزه على الله؟! لا يوجد في أي نظام يجيز هذا ويقول للناس: أن عليهم أن يؤمنوا ويسمعوا ويطيعوا، وإن كان تعامله على هذا النحو، أعني: أن البشر أنفسهم يترفعون عن هذه في أنظمتهم في تقنينهم، أما من كذبوا على الله فيجيزون ذلك على الله سبحانه وتعالى، ولهذا قال في آية سابقاً: ﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُبِيناً﴾[النساء:٥٠])**[2].

ويوضّح السّيد أنّ هذه الآية هي من الآيات التّي يحاول الأعداء تشويهها، وتوظيفها توظيفاً سلبيّاً مؤكّداً أنّه لا يصدُق على أحد من هؤلاء الحكّام أن يكون وليّاً من ولاة أمر المسلمين، وهم يعملون لصالح ورضى أمريكا، ويحاولون أن يقودوا الأمّة لطاعة الأمريكيّين والإسرائيليّين بدلاً عن طاعة الله، ورسول، يقول السيد: **(إذاً فالآية هذه هي من الآيات التي يظلمونها فعلاً والتي يقدمون لها معاني تعتبر افتراءً على الله وفي نفس الوقت الآن هم يقدمونها بالشكل الذي ماذا؟ تجعلك تقبل الأمريكي! أولي الأمر أنفسهم الذين يسمون أنفسهم أولي الأمر، عندما**

(١) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

(٢) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

اجتمعوا في ماليزيا واجتمعوا قبل في الدوحة واجتمعوا في بيروت واجتمعوا في أماكن أخرى هل عملوا شيئاً للأمة، هل قدموا شيئاً؟ ولا شيء، لأنه لم يعد لهم أمر هم، نحن قلنا في ملزمة سابقة في [الثقافة القرآنية] الله قال هنا: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[النساء: من الآية٥٩] نتحدى أي واحد أنه يستطيع أن يبرهن أنه ما يزال من الأمة هذه فعلاً، يمثل الأمة هذه ويقف الموقف الذي تريده الأمة هذه، ويتحرك الحركة التي تكون لصالح الأمة هذه، كلهم الآن إملاءات أمريكية ما بين من يدعي بأنها ضغوط أو عمالة، أليسوا كلهم هناك؟ إذاً لم تعد موجودة كلمة: ﴿مِنكُم﴾ لم تعد صادقة عليهم كلهم، حقيقة ﴿مِنكُم﴾ هذه كان تستعمل أيام الخلفاء العباسيين والأمويين وكانت تنفق على الناس؛ لأن الحاكم كان ما يزال منهم ويرونه منهم لم يكن مثل الحاكم الآن، أما الآن فلم يعد هناك ولا ﴿مِنكُم﴾ لا هي صادقة كلمة: ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾ ولا صادقة ﴿مِنكُم﴾ لم يعد يأتي حتى على الأقل يشرح للناس واقعه، حتى يقول: هذه ضغوط وأنتم تفهمون الأمور هي هكذا تمشي علينا ونحاول جميعاً كيف نجعل مخرج، تأتي ضغوط أمريكية تأتي إملاءات أمريكية يقدمها للناس باعتبارها ماذا؟ سياسة حكيمة! ما هكذا يحصل، سياسة حكيمة وخطط هامة وأشياء من هذ؟)[1].

وهنا يوضّح السّيد أنّ هذه الآية لا تصدق أبداً على ولاة الأمر القائمين حاليّاً، وأنّهم لا يهتدون، ولا يعملون بالنّصوص الظّاهرة والصريحة في القرآن الكريم، ناهيك عمَّا يحتاج إلى معرفة بمناهجه، وأساليبه في النّهوض بالأمّة، وبنائها، فيقول: **(إذاً لم تعد كلمة: ﴿مِنكُم﴾ موجودة، لم تعد صادقة عليهم جميعاً؛ لأنه لو... أعني: هنا في كلمة: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ﴾ عندما ترى هذه السورة مليئة بالتشريعات، مليئة بالتوجيهات، مليئة بأشياء هامة جداً، وأنت ترى من يدعون بأنهم أولي أمر لا يعملون بظاهر القرآن بالنص الصريح فيه ما بالك بأن يعرف من داخله كيف يسيّر الأمة، وهنا جاء بآيات كثيرة حول موضوع بني إسرائيل، يبين كيف هم، تجد مواقفهم الآن مواقف من لا يقرأ هذه الآية يقول عن بني إسرائيل: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾[النساء:٥٣] يذكر أيضاً بأنهم يريدون أن تضلوا السبيل يذكر أشياء كثيرة تجد مواقفهم معهم مواقف من لا يعطي لهذه الآيات قيمتها وهي صريحة، مع أن الآية هذه هنا توحي إضافة إلى صريح القرآن الكريم فيما يتعلق بعمقه فيما يتعلق بفهمه فيما يتعلق بالإهتداء بأشياء**

(١) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

كثيرة داخله لإنزالها على الأمة لتربية الأمة على أساسها لبناء الأمة على أساسها)[1].

الرّد إلى الله والرسول

يقدّم السّيد الرّؤية القرآنية في موضوع النزاعات، والخلافات، وردّها إلى الله، ورسوله، وكيف تكون طريقة الرّد إلى الله، والرسول، لأنّ هدى الله يقوم أساساً على تربية الأمّة تربية واحدة، ونظام واحد، بعيداً عن أيّ خلافات، ونزاعات لكن فيما إذا حصل شيء من النزاع والخلاف فكيف يكون تعاملنا مع الموضوع؟ يقول السيد: (﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾[النساء: من الآية٥٩] **لأن هدى الله يقوم على أساس ألّا يكون هناك اختلاف، نظام لا يكون هناك اختلاف نهائياً ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ طرأ تنازع ﴿فِي شَيْءٍ﴾ فمن أول وهلة ردوا الموضوع إلى الله ورسوله، أقفلوا الباب تماماً ﴿فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ﴾**[النساء: من الآية٥٩] **يعني: ردوا أمره ردوا شأنه ﴿إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾**[النساء: من الآية٥٩] **أي: لستم بحاجة إلى أن تتنازعوا في شيء، لكن لو طرأ تنازع فردوا القضية بكلها إلى الله والرسول؛ لأن الحكم له سبحانه وتعالى، وتجد أنه يهدي وبالنسبة للرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **أعني: ليست القضية على ما تقدم بمعنى أن أرد أنا عندما نختلف أنا وأنت في شيء نأتي نرده إلى الكتاب ونرده إلى السنة، أليس هكذا يقدم الموضوع، الرد إلى الكتاب؟ ثم آتي أنا أطلع الكتاب وأحاول أؤقلم الكتاب معي، وأنت من عندك كذلك والآخر من عنده كذلك، فيما يتعلق بالكتاب، وفيما يتعلق بالسنة، ما هكذا يعملون؟ وكلهم يدعون أنهم يعملون هذه، وما يزال الإختلاف قائماً؟! لأن عملية الرد ليست على هذا النحو الذي يقدمونه هم، كل واحد من عنده، وكل واحد يدعي أنه يرد إلى الله والرسول، يرد إلى الكتاب والسنة، والإختلاف قائم؛ لأن هذه قدمت بأنها وسيلة تحسم الإختلاف تماماً فلو أن الطريقة التي يعملونها في الرد على مدى القرون هذه لو أن الطريقة الصحيحة هي التي يقومون بها لما كان هناك اختلاف)**[2].

وهنا يبيّن السّيد فشل هذه الطريقة الّتي قدّموها في الرّد إلى الله والرسول لأنّها لم تحسم موضوع الخلاف والتنازع، فيقول: (**ألم يقدمها هنا على أساس أنها تحسم الخلاف؟ فلماذا نجدهم مختلفين مع دعاوى أنهم يردون إلى الله والرسول؟ إلا أن عملية الرد ليست صحيحة وليست على**

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر.

(٢) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

الأساس الصحيح؛ ولهذا جاءت العبارة بشكل توحي بالتقليل، وكقضية فيما لو حصل تنازع اتركوا الموضوع بكله لله والرسول، ويأتي توكيد على هذه القضية بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[النساء: من الآية٥٩] **تؤمنون بالله وتعرفون أن الله بكل شيء عليم وأنه حيٌّ قيوم وأنه لا يأتي من جانبه تقصير على الإطلاق في موضوع الهداية وتخافون منه، والإيمان باليوم الآخر. ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾**[النساء: من الآية٥٩] **أحسن عاقبة من أن تظلوا متنازعين ومختلفين)**[1].

ويؤكّد السّيد هنا على ضرورة فهم موضوع طاعة أولي الأمر في هذه الآية، حتّى نكون بعيدين عن التّأثر الثّقافي بما يطرح من تحريف، وتضليل حول مفهوم هذه الآية، وحتّى يترسّخ في أنفسنا أنّ تربية القرآن، والإسلام تقوم على أساس أن تكون هذه الأمّة أمّة واحدة، وتحت قيادة واحدة، فيقول: **(هل الآية هذه مفهومة؟ لأنها من الآيات التي يشتغلون فيها، هذه الآيات التي يأتي فيها شغل، وتلمس يداً يهودية في الموضوع مثل: ﴿أُمَّةً وَسَطاً﴾**[البقرة: من الآية١٤٣] **ومثل: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾**[البقرة: من الآية٢٥٦] **ومثل: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾**[النساء: من الآية٥٩] **أليسوا شغالين في هذه؟ وتجد أن هنا ما يبين أن الدين قائم على أساس أمة واحدة وقيادة واحدة، عندما يقول: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾**[النساء: من الآية٥٩] **فعندما تأتي إلى سبعة وخمسين زعيماً سبعة وخمسين زعيماً وكل واحد يريد يشغل الآية هذه له، وجاء واحد ثاني يعمل انقلاب عليه وضربه وسماه طاغية وعدو الله، إلى آخره.. وقاموا يشغلون الآية له، وهكذا، أليس هذا تلاعب بالدين؟ مع أن الإسلام قدّم على أساس أن تكون هذه الأمة أمة واحدة)**[2].

ويوضّح السّيد من واقع الحياة الآن، وواقع الشّعوب، وواقع الحكّام ما يشهد على بطلان ما يقدّمونه من نظريّات، ودعاوى مخالفة لهدى الله، فيقول: **(ثم عندما تتأمل أيضاً الدعاوى عندما يكون كل زعيم يدعي في بلاده أو يدَّعون له سواء مثقفون أو علماء يدعون له أليسوا في نفس الوقت يشكون من التفرق؟ إذاً إذا كان الله هو الذي أوجب على كل شعب أن يطيع الشخص الذي يحكمه،**

(١) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

(٢) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

والكل يشهدون بأن هذا تفرق وأنه سبب لضعف الأمة، هل يمكن أن يكون هذا من دين الله؟ بأن تجد كل زعيم يقول العرب يجب أن يتوحدوا، وبعضهم قال: المفروض أن يكون هناك زعيم عربي واحد، ونحن مستعدون نتنازل لواحد من الزعماء مستعدون نتنازل له؟ ألم يقل هكذا؟ إذاً فمثل هذا ينقض دعوى كل شخص في بلاده، أعني: الذي ينتهي في الأخير إلى أن الله أوجب على سبعة وخمسين قُطْر أن يطيعوا كل واحد منهم الواحد الذي عندهم، وهكذا، يطلع لك سبعة وخمسين شخصاً، وإذا بالسبعة والخمسين كل واحد يشكي من التفرق الذي هم عليه وكأن الله هو الذي شرع التفرق الذي هم عليه وأمر الناس أن يطيعوهم على التفرق الذي هم عليه، وهم كلهم يصيحون من التفرق شعوب وزعماء، أليس هذا يعتبر - لو أنه صحيح - لاعتبر اختلاف في شرع الله، واعتبر تدبير غير حكيم لو أنه من عند الله؟)[1].

وعند قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ**﴾[النساء:٦٤] يبيّن السّيد أنّ هذا هو دور الرّسول الواسع في الحياة ليطاع في كلّ أوامره، وتوجيهاته، ونواهيه، فيقول: **(هذه القضية أساسية ﴿لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ فيكون حكمه هو الذي يسلم له الناس، بل هو الذي يتولى الحكم فيما بين الناس، هو الذي يبين للناس، هو الذي يرشد الناس ﴿لِيُطَاعَ﴾ بما تعنيه الكلمة، بكل ما تعنيه الكلمة، وليس عبارة عن خطيب وموعظ فقط! ليطاع فيما أمر ونهى وفيما قضى به ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً**﴾[النساء: من الآية٦٤] **فعلاً قد ظلموا أنفسهم بهذا الشيء عندما يتحاكمون إلى الطاغوت ويصدون عنك لكن بالإمكان إذا هم يريدون أن يغفر الله لهم أن يرجعوا إليك)**[2].

وعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾[النساء:٦٥] يؤكّد السّيد على في هذه الآية على أنّ مسيرة الدين مسيرة عمليّة مرتبطة بالحياة، وأنّ موضوع الدّين يهتمّ بكلّ شيء، وأنّ الرّسل ليسوا عبارة عن مرشدين، وخطباء، ووعاظ فقط، كما يحاول أن يقدّمهم، ويقدّم الدّين من يسعون لفصل الدّين عن

(١) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

(٢) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

الدّولة من العلمانيّين، فيقول: **(وإلا فلا يعتبرون مؤمنين، تعتبر فقط مجرد دعوى وزعم كما قال سابقاً، هذه تؤكد: أن مسيرة الدين هي مسيرة عملية، وأن الأمر كله لله، الأمر كله لله لا يكون يقدّم موضوع الرسل وموضوع الهدى وكأنهم فقط يوعظون والآخرين الذين يكونون هم في السلطة التنفيذية يحكمون! لا، هي مهمة واحدة يقدمها، مهمة واحدة، هذه النظرية التي يسمونها: [فصل الدين عن الدولة] نظرية العلمانيين: [هناك موعظين مرشدين ومدرسين وهناك حكام آخرين ولا علاقة للدين بالحياة] البعض يحاول يقدم الآيات: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾**[الغاشية: ٢١-٢٢] **﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ﴾**[المائدة: من الآية٩٩] **يقدمها على هذا النحو! لكن لا، الآية أن تكون على هذا النحو لها أثر كبير في مقامها، لا تعني: بأنه عبارة عن موعظ فقط، وعبارة عن مرشد فقط، [ومن حكم يحكم] ومن تولى الأمر يتولى، لا. فهذه ترد على من يحاول أن يقدم مفهوما خاطئا حول الآيات الأخرى؛ لأن الله يقول في أكثر من آية ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾**[النساء: من الآية٥٩] **ويقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾**[النساء: من الآية٦٤] **ويأتي بالآية هذه في إطار قضية ماذا؟ التحاكم، التقاضي، الرجوع إليه.**

﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ﴾[النساء: من الآية٦٥] **من داخل لا يكون في نفسه يعتبر أن النبي ظلمه أو تجاوز عليه في الحكم، قال: لا يكون في أنفسهم حرج ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾**[النساء: من الآية٦٥] **يعني: قبول في الواقع في نفس ما يقضي به في القضية وتسليم من الداخل، تسليم من داخل وخارج)**[1].

(١) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

التّولّي لله ولرسوله وللإمام علي

يركّز السّيد في الدّروس والمحاضرات على ضرورة التّولّي الصّادق لله سبحانه وتعالى، ولرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وللإمام علي (عليه السلام) باعتبار هذه الولاية مقوّمات وركائز أساسيّة في المعرفة، والهداية، والتّشريع، والتّدبير، والنّصر، والتّأييد، وبناء الأمّة.

التّولّي لله ورسوله

ولاية الله على عباده هي ولاية هداية، ورحمة، ورعاية، ويقدّمها القرآن الكريم بمختلف الأساليب عبارة عن رعاية شاملة، وكاملة تجاه جميع عباده، ومخلوقاته، يقول السيد: **(لهذا تجد القرآن الكريم عندما ترجع إليه يعبر عن ولاية الله سبحانه وتعالى لعباده بمختلف الأساليب، فهو وليهم يتلقون منه الهداية ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾**[البقرة: من الآية٢٥٧] **فهو وليهم يتلقون منه التأييد بالنصر ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾**[آل عمران: من الآية١٣] **هو وليهم وهو يدبر شؤونهم، هو وليهم وهو يرعاهم، تجد كلمة (ولي) في القرآن الكريم استخدمت بشكل كبير في مجال العلاقة فيما بين الله وبين الإنسان وبين عباده بالذات المسلمين لتعبر عن أن مصاديقها متعددة، وليست معانيها - كما يقول البعض - متعددة (مولى) تأتي بمعنى كذا وبمعنى كذا وبمعنى كذا!. كلمة (مولى) هي كلمة واسعة مصاديقها متعددة، مصاديقها متعددة في ميدان الهداية هو وليك يهديك، في ميدان المواجهة هو وليك ينصرك ويؤيدك)**[1].

وعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾[البقرة: من الآية٢٥٨] يبيّن السّيد كيف تكون ولاية الله في المجال العمليّ مرتبطة بالإيمان، ومرتبطة بالحالة النّفسيّة والوجدانيّة كشعور فطريّ ووجدانيّ يلازم الإنسان، ويبعث فيه حالة الاحتياج المطلق لله سبحانه وتعالى، فيقول: **(لاحظ كيف تكون ولاية الله في المجال العملي أعني: وهذا شيء طبيعي عند الناس إذا لم تكن أنت مؤمناً بهذا الشكل الذي تشعر بأن الله وليك أنت بحاجة إلى أن تتولاه، ما صح إيمانك، عندما يشعر الإنسان بأنه ليس في حالة وكأنه يحتاج إلى الله يمثل بالنسبة له ناصراً**

(١) سورة المائدة الدرس الثالث.

ومؤيداً ومعيناً ما صح إيمانه)[1].

ويبّين السّيد أنّ القرآن الكريم يقدّم ولاية الله على عباده ولاية رحمة، ورعاية، وهداية، وتربية يتجلّى كلّ ذلك من خلال واقع الحياة، والتأمّل في السّموات والأرض وما بينهما، كذلك من يعتبرون امتدادا له من أنبيائه ورسله، وأوليائه تتجلّى فيهم هذه الصّفات والمواصفات الإيمانيّة الرّاقية التي يستمدونها من الله سبحانه وتعالى فيقول: **(عندما تعود إلى القرآن الكريم ترى في سور كثيرة، في آيات كثيرة، وعندما تعود أيضاً إلى واقع الحياة، تتأمل في السماوات والأرض وما بينهما من خلق الله تجد أن ولاية الله سبحانه وتعالى هي ولاية رحمة، ولاية رعاية، ولاية تربية، ليست مجرد سلطة هكذا، سلطة قاسية، أوامر ونواهي فقط، ولاية رحمة بكل ما تعنيه الكلمة عندما تأتي إلى الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **وتتعرف عليه من خلال القرآن الكريم، ومن خلال ما نعلمه من سيرته** (صلوات الله عليه وعلى آله) **تجد أيضا أنه كان يجسد هذه الولاية ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**[التوبة: ١٢٨]. **عندما تأتي إلى ولاية الإمام علي نفس الشيء)**[2].

ويؤكّد السّيد أنّ ولاية الله لأمر عباده تتجلّى من خلال مظاهر ملكه على يد أوليائه الذين يمثلون امتداداً حقيقياً له، ومن لا يجسّدون ولاية الله، ولا يمثلون امتداداً لها فإنّهم سيتركون آثاراً سلبية في نفوس النّاس، وفي واقع الحياة، يقول السيد: **(انظر إلى ولاية الله سبحانه وتعالى لأمر عباده، واعرف أن ولايته هنا عن طريق رسوله، أو الذين آمنوا، إنما هي امتداد لولايته، ويجب إذا لم تكن على هذا النحو، فليست امتداداً لولايته، إذا لم يكن من يلي أمر الأمة يتعامل مع الناس بالشكل الذي يلمسه من خلال مظاهر ملك الله، مظاهر ولاية الله سبحانه وتعالى على عباده، معنى هذا ماذا؟ أنه لا يعتبر امتداداً لولاية الله أبداً، هو مفصول عن الله، وسيترك آثاراً سيئة في نفوس الناس، وفي واقع الحياة)**[3].

---

(١) سورة البقرة الدرس الحادي عشر.

(٢) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

(٣) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

تعتبر ولاية الرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هي امتدادٌ لولاية الله على عباده، ومقترنة به، حيث جعل الله سبحانه وتعالى طاعة رسوله هي طاعة له، لأنّها ولاية واحدة، وهذا يبيّن لنا معنى ولاية الله، وسلطان الله على عباده، كما يقول السيد: **(كلمة: رسول ذكرت كثيراً جداً في السورة هذه ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾**[النساء:٨٠] **هذه آية قاطعة تجعل طاعة الرسول طاعة لله؛ لأن الرسول يسير فيما هو طاعة لله ويهدي إلى الله ويبلغ عن الله، وتلاحظ هذه في الأخير تبين للإنسان كيف ما يسمى: ولاية الله، أو سلطان الله، الله سبحانه وتعالى أليس ملك السموات والأرض؟ ملك السموات والأرض أنه يجعل من عباده، فرسوله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **ولايته امتداد لولاية الله أو تجسيد لولاية الله على عباده عندما قال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾**[النساء: من الآية ٨٠]**)**[1].

ويوضّح السّيد على أنّ القرآن الكريم يؤكّد أنّه لا مخرج لهذه الأمّة من المخاطر الكبيرة التي تهدّدها إلاّ بالعودة الصّادقة والراشدة إلى ولاية الله، ورسوله، والإمام علي (عليه السلام) باعتبارها قضية أساسيّة في هذا الموضوع، لأنّ ولاية الله سبحانه وتعالى في هذه الأرض تتجلّى على يد نبيّ من أنبيائه، أو وليٍّ من أوليائه، فيقول: **(مثلما قلنا سابقاً في درس ربما قد يكون من أول الدروس في الموضوع، في [يوم القدس العالمي] اعتقد بأنه فعلاً أن القرآن يقدم القضية بالنسبة للأمة هذه أمام أعدائها، أمام هذا الخطر الكبير الذي يدهمها الآن لا مخرج لها على الإطلاق إلا العودة إلى هذه الآيات، إلى هذا القرآن، التولي لله ورسوله والذين آمنوا، وفي مقدمة المؤمنين علي بن أبي طالب، قضية أساسية.**

ولاية الله سبحانه وتعالى في هذه الأرض التي تتجلى على يد نبي من أنبيائه، أو ولي من أوليائه إنما هي إمتداد لولاية الله سبحانه وتعالى، إمتداد لولايته، إمتداد لسلطانه)[2].

وعند قوله سبحانه وتعالى **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾**[المائدة:٥٥] يوضّح السّيد أنّ ولاية الله على عباده هي ولاية واحدة ممتّدة عبر أنبيائه ورسله، وأوليائه إلى عباده، وأنّ ولاية الرسول، والإمام علي هي امتدادٌ لسلطان الله في الأرض فيقول: **(لأنها ولاية واحدة، ولاية**

(١) سورة النساء الدرس الثامن عشر.

(٢) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **هي امتداد لولاية الله، وولاية الإمام علي هي امتداد لولاية رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **باعتبار الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **ومن بعده الإمام علي امتداد لسلطان الله هنا في الأرض)**[1].

ويؤكّد السّيد على أنّ الأمّة بحاجة ماسّة لهذه القضيّة، حتّى تكون محصنة من تولي اليهود، والنّصارى، والظّالمين، ولكي تتمكن الأمّة من الاهتداء بالقرآن الكريم، وتكون على مستوى عالٍ في حياتها، وأدائها، ومواقفها لا بدّ لها من التّولّي الصحيح لله، ولرسوله، وللإمام علي، يقول السيد: **(الأمة بحاجة إلى تولي الله ورسوله، تولي المؤمنين في المقدمة الإمام علي من بعد رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **أن هذه القضية لا بد منها حتى تهتدي بالقرآن، وحتى تكون بعيدة جدا عن أي محاولة قد تكون بها قريبة من تولي اليهود والنصارى، وحتى تكون بشكل أخير على مستوى عالي، تعتبر حزب الله)**[2].

ويؤكّد السّيد على أنّه لن يرتفع لهذه الأمّة موقف، ولن تستطيع أن تنتشل نفسها ممّا هي فيه إلاّ بتولي الرسول، والإمام علي من بعده، الولاية التي تعتبر امتداداً حقيقيّا لله، يقول السيد: **(لن ترفع الأمة رأسها حتى ترفع يد علي، ويد رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله)**)** [3]

وفي ميدان المواجهة، والجهاد في سبيل الله يؤكّد السّيد أنّ الأمة لن تستطيع أن تحقّق النّصر، وأن تكون من حزب الله إذا لم تكن متولّية لله، ولرسوله، وللإمام علي فيقول: **(لن تكون من حزب الله سواء أنت ستنطلق للجهاد أو لا تنطلق للجهاد إذا لم تكن متول لله ورسوله وللإمام علي بن أبي طالب)** [4].

وفي مقام تأهيل الأمّة في مواجهة اليهود والنّصارى يبيّن السّيد أنّ القرآن الكريم ربط ربطاً شديداً بين ذلك، وبين تولي الإمام علي كما هو في الآيات الواردة في سورة المائدة، ويؤكّد السّيد

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.
(٢) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.
(٣) سورة آل عمران الدرس الرابع..
(٤) سورة المائدة الدرس الأول.

على أنّ ولاية الإمام علي (عليه السلام) ستحمي الأمّة من الإرتداد بعد إيمانها، وستحصّنها من تولّي اليهود، والنّصارى، فيقول: **(لاحظ الربط المهم، الربط الشديد بين قضية ولاية الإمام علي** (عليه السلام) **في مقام، وبين التأهيل للأمة في مواجهة اليهود والنصارى، مواجهة اليهود والنصارى في ميدان المواجهة، وتحصين القلوب أيضا من أن يصيبها مرض فتصبح ممن تولى اليهود والنصارى، أو تردد بعد إيمانها)**[1].

وتعتبر ولاية الله، ورسوله، والإمام علي هي الولاية التي تملأ القلوب إيماناً واعياً، وتحصّنها من أيّ اختراق في حاضرها ومستقبلها، وتحميها من الوقوع في وحل العمالة والارتزاق، يقول السّيد: **(ولاية الله ورسوله والإمام علي بن أبي طالب هي فعلا عندما تملأ القلب ستملأه إيمانا واعيا، ستحصن القلب من أن ينفذ إليه أي ذرة من ولاء لليهود والنصارى أو لأولياء اليهود والنصارى)**[2].

وفي هذا العصر بالذّات يؤكّد السّيد على أنّه يجب علينا أن نعمل على ترسيخ ولائنا لله سبحانه وتعالى، ولرسوله، وللإمام علي حتّى نستطيع أن نقف في مواجهة أعدائنا، ونحقّق النّصر الفعلي، ونكون من حزب الله، يقول السيد: **(يجب علينا في هذا العصر بالذات أن نرسخ جدا جدا ولاءنا لله تعالى ولرسوله وللإمام علي** (عليه السلام) **حتى نحصن أنفسنا، وحتى نكون جديرين بأن نكون حزب الله، وسنكون حزب الله فعلا)**[3].

وتبدأ الولاية الصّادقة لله من عند الولاية الصحيحة لأوليائه، الولاية التي تقودنا للتّولي الصّحيح والصّادق للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، والتّولّي للرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يقودنا للتّولّي الصّحيح والصّادق لله سبحانه وتعالى، يقول السيد: **(التولي للذين آمنوا توليا صادقا يجعلك فعلا بالشكل الذي أنت فيه متول للرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله)**، والرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **عن هذه القناة يجعلك بالشكل الصحيح الذي تكون عليه صادق الولاء لله سبحانه وتعالى)**[4].

---

(١) سورة المائدة الدرس الأول.
(٢) سورة المائدة الدرس الأول.
(٣) سورة المائدة الدرس الأول.
(٤) سورة المائدة الدرس الثاني.

تولي الإمام علي (عليه السلام)

تمثّل ولاية الإمام علي **(عليه السلام)** صمّام أمان للأمّة لتهتدي بالله، وبكتابه، وبرسوله، بل تعتبر ولايته شرطاً أساسيّاً في تأهيل الأمّة لتكون من حزب الله، وحاجة الأمّة لهذه الولاية هي حاجة ضروريّة مرتبط بها مستقبلها وعزّتها، وكرامتها، ودورها في الحياة، يقول السيد: **(ستحتاج الأمة إلى أن تتولى عليا وإن كان علي قد تحول إلى تراب في قبره، ستحتاج إلى أن تتولاه لتهتدي، لتسلم قلوبها، لتسلم في حياتها، تحتاج إلى أن تتولاه، لأن توليه شرط في تأهيل نفسها لتكون من حزب الله ما لم فلن يتحقق شيء)**[1].

وبدون ولاية الأمام علي (عليه السلام) التي هي شرطٌ أساسيّ في تولّي الله ورسوله، لن يتحقق لهذا الأمّة أي خير، ولن تستطيع أن تعمل شيئا في مواجهة الأعداء، والواقع يشهد بذلك في الضّدين والنقيضين معاً، فعند قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [المائدة: ٥٦] يقول السيد: **(الذين آمنوا هنا هو الإمام علي (عليه السلام)، بدون ولاية الإمام علي** (عليه السلام) **لن تتحقق هداية، ولن يتحقق للأمة ولأي جماعة وضعية تكون عليها جديرة بأن تسمى بحزب الله فتحظى بتأييد الله فتصبح هي حزبه الغالب)**[2].

وتعتبر ولاية الإمام عليّ (عليه السلام) هي بوابة الهداية والرّشد، والميل عنها يميناً، أو شمالاً، وتجاوزها يؤدي للانحراف الخطير، والخطورة البالغة على الأمّة، ونحن نرى آثار الانحراف عن تولّي الإمام علي (عليه السلام) ماثلة أمامنا في هذا العصر والزّمان، وقد تجلّت آثار هذا الانحراف على مدى تاريخ هذه الأمّة، يقول السيد: **(علي يمثل طريقا يمثل هديا، الميل عنه يمينا أو شمالا يشكل خطورة بالغة، هي نفسها التي تراها ماثلة آثارها أمام أعيننا في هذا العصر، وعندما تعود إلى كتب التاريخ ستراها ماثلة أمامك في كل عصر)**[3].

بل إنّ ولاية الإمام علي (عليه السلام) تفتح أمامنا آفاقاً واسعةً للاهتداء بالقرآن الكريم، والاهتداء بالرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، لأنّ الإمام علي يعتبر قرين القرآن كما قال

(١) سورة المائدة الدرس الثاني.
(٢) سورة المائدة الدرس الثاني.
(٣) سورة المائدة الدرس الثاني.

الرسول، وكما شهد به الواقع، يقول السيد: **(ولاية علي ستفتح أمامك آفاقا واسعة في مجال الهداية، ستفتح أمامك أبواب الهداية فتهتدي بالقرآن، وتهتدي بالرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **لأن علي مع القرآن والقرآن مع علي)**[1].

ويعتبر السّيد أنّ الإمام علي (عليه السلام) هو الرمز الواحد الذي برز من بين كلّ المسلمين، وأنّ حياة الإمام علي، وتاريخه النّاصع، ومواقفه الإيمانية هي الّتي أهلته لأن يحتلّ هذا المقام العظيم، فيقول: **(علي (عليه السلام) هو الرمز الواحد من بين كل تلك المجاميع الكثيرة التي كانت تقف أمام النبي** (صلوات الله عليه وعلى آله) **فبرز هو علما حتى أصبح كل شخص من أولئك ملزما بأن يتمسك بذلك العلم ويتولاه ويهتدي بهديه ويسير على نهجه)**[2].

وتعتبر ولاية الإمام علي هي الكفيلة بإبعادنا عن الإنزلاق في تولي أعلام ورموز وهميين ومزيفين يصنعهم ويقدمهم لنا الأعداء، حيث يقول السيد: **(إذا لم نتولَّ علياً (عليه السلام) ثم نمشي في الخط المرسوم لنا أن نتولى أعلامه سنصبح عرضة لأن يصنع لنا الآخرون أعلاما وهمية نتولاها)**[3].

ويعتبر السيد أنّ ولاية الإمام علي (عليه السلام) هي ولاية حتميّة على المسلمين، لأنّها مرتبطةٌ ارتباطاً وثيقاً بتولي الله، ورسوله، فيقول: **(الإمام الهادي هو يعتقد أن ولاية الإمام علي هي قضية واجبة على المسلمين، قد تكون القضية مختصة بالإمام علي أساسا، قد يكون بعده أئمة متأخرين قد لا تكون تعرفهم، قد لا تكون مسؤولا أمام الله بأنك لماذا لم تعرفهم، وتتولاهم بالتحديد)**[4].

وعندما زكّى الإمام علي (عليه السلام) بخاتمه وهو راكع يعتبر السّيد أنّ القرآن الكريم بتخليده لذلك الموقف وسط صفحات آياته وسوره، إنّما يعرض ويقدم لنا نفسيّة الإمام علي الحريصة على أمر الأمّة، فيهمّه أمر فقيرٍ من أبنائها، وأنّ من هو بهذه النفسيّة والروحيّة العالية

(١) سورة المائدة الدرس الثاني.
(٢) سورة المائدة الدرس الثاني.
(٣) سورة المائدة الدرس الثاني.
(٤) سورة المائدة الدرس الثاني.

يعتبر الجدير فعلا بولاية أمر الأمّة، فيقول: **(يعرض لنا القرآن نفسية الإمام علي في إهتمامه بالأمة، في حرصه على الأمة فيهمه أمر فقير لا يراه)**[1].

ومهما رأينا بيننا وبين الإمام علي من بعد زمني فإنّ ولايته هي الولاية المرتبطة بالله ورسوله قرب الزمن أم بعد، ومن خلال تمسّكنا بالقرآن الكريم، وثقتنا العالية به، ومن خلال تسليمنا لله سنرى فعلاً أهمية وضرورة الإيمان بولاية الإمام علي (عليه السلام)، يقول السيد: **(هذا ما يجعلنا فعلاً نثق بأنه متى ما سلمنا قلوبنا، متى ما سلمنا مشاعرنا لله سبحانه وتعالى وانطلقنا بثقة عالية إلى القرآن نتثقف به، سنعرف كل شيء، لأن القرآن تفصيل لكل شيء، وستكون إنساناً لا يمكن أن تُضل، إنساناً لا تُخدع، إنساناً تفهم الأحداث، تفهم أهمية الأحداث ما كان منها حقاً وما كان منها باطلاً، تفهم خطورة الأحداث التي بدت صغيرة عند الآخرين، يجب أن نلتف حول القرآن وأن نكون صادقين في ولاءنا للإمام علي وأن نعرف أهمية التولي للإمام علي** (عليه السلام) **وإن كنا نرى أن بيننا وبينه ألف وأربعمائة سنة)**[2].

ويبيّن السّيد أهمية تلك الترتيبات الحكيمة التي عملها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وسلم في أيام خيبر ليربط الأمّة من خلالها في ماضيها ومستقبلها بالإمام علي (عليه السلام) ، ولتفهم أنّها بحاجة للارتباط به في أيّ وضعية كانت فيها، يقول السيد: **(علي** (عليه السلام) **كما تحدثنا بالأمس حول عمل الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **في خيبر وقلنا أكثر من مرة بأن الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **كان في حركاته إنساناً واعياً على أرقى مستوى يعطي الهداية من كل حركة من حركاته، لمن؟ للأمة كلها، لم يكن فقط همه تلك المجاميع من البشر في عصره في سنوات معدودة محدودة من عمر هذه الأمة، كان ينظر إلى الأمة بكلها ليرسم لها طريق الهداية، ألم يكن الإمام علي (عليه السلام) في أيام خيبر مصاب بالرمد لا يبصر موضع قدميه وهناك من أعينهم مفتحة، هناك من أعينهم سليمة ليقول للأمة أنها بحاجة إلى علي حتى وإن بدت - باعتبار وضعيته - غير محتاجة إليه فليس صحيحاً)**[3].

---

(١) سورة المائدة الدرس الثاني.

(٢) سورة المائدة الدرس الثاني.

(٣) سورة المائدة الدرس الثاني.

ويعتبر السّيد أنّ صدق ولائنا للإمام علي هو مرتبط بحسن الاقتداء والإتّباع العمليّ الذي يجعلنا في مواقفنا، وإيماننا، ونظراتنا منسجمين مع القرآن الكريم فيقول: **(لن نكون من حزب الله الغالبين ما لم نكن على هذا النحو من الولاء لعلي (عليه السلام)، الولاء الصادق الولاء العملي الذي يجعلنا نستلهم من علي كيف نتحلى بأخلاق علي، كيف نتحلى بنظرة علي، بإهتمامات علي (عليه السلام)، وسنرى كيف سنكون في مواقفنا في إعتقاداتنا، في نظراتنا، في توجهنا منسجمين مع القرآن لأن علي مع القرآن، والقرآن مع علي)**[1].

ويبيّن السّيد أنّ الإمام علي لم يكن يذهل العقول بشجاعته، وبطولاته التي سجّلها القرآن، وحفظها التّاريخ فقط، وإنّما كان ينير العقول، والأفكار، والقلوب ببصيرته، وحكمته، وبلاغته الخارقة، وبما تركه القرآن الكريم والرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) فيه وفي نفسيته من أثرٍ إيمانيٍّ عظيم، فيقول: **(عل بطل بدر وأحد والأحزاب وحنين وخيبر، بطل صفين والجمل والنهروان، علي الذي لم يكن فقط يذهل العقول في ميادين الجهاد وإنما كان أيضا ينير الدروب بكلماته المباركة، بتوجيهاته النيرة، ببلاغته الخارقة، إنه ربيب محمد، وحليف وقرين القرآن)**[2].

ويوضّح السّيد بأنّ القرآن الكريم يؤكّد أنّ الأمّة لن تنتصر في مواجهة أهل الكتاب إلاّ بتوليها الصادق للإمام علي (عليه السلام) فيقول: **(إن القرآن الكريم يوحي أنه في ميدان المواجهة مع اليهود، مع أهل الكتاب لا تنتصر الأمة إلا بتولي علي بن أبي طالب، ولن تنتصر الأمة إلا تحت قيادة أبناء محمد وعلي بن أبي طالب صلوات الله عليهم)**[3].

ويؤكّد السّيد على أنّه لن ترتفع للأمّة راية إلاّ بالعودة إلى ما فعله النبّي في يوم الغدير عندما رفع يد الإمام علي (عليه السلام) عالية أمام المسلمين، كما هو معروف ومشهور في حديث الغدير، فيقول: **(الأمة لن ترفع كلمتها ولن ترفع رأسها إلا إذا عادت من جديد لترفع يد علي ومحمد كما رفعت يوم الغدير)**[4].

---

(١) سورة المائدة الدرس الثاني.
(٢) محاضرة الإرهاب والسلام.
(٣) محاضرة مسؤولية أهل البيت.
(٤) محاضرة خطورة المرحلة.

ويؤكّد السّيد على أنّ عظمة الإمام علي (عليه السلام) تكمن في اقترانه، وارتباطه، وتحرّكه في الحياة بحركة القرآن الكريم، فيقول: **(كان علي يتحرك بحركة القرآن، بل كان في حياته قرآنا ناطقا، وكذلك الأئمة الصادقون من أولاده ممن ساروا بسيرته)**[1].

ويعتبر السّيد أنّ الإمام علي (عليه السلام) هو مثال عال تحتذي وتقدي به الأمّة، وتستلهم منه الدّروس في كلّ مجالات حياتها، وفي كلّ ظروفها فيقول: **(تعرف على سيرة الإمام علي تجد كيف يعطيك، تستلهم منه أشياء كثيره من حياته الخاصة، من شجاعته، من حكمته، من علمه، من قدرته القيادية، من حنكته السياسية)**[2].

(١) محاضرة اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا.

(٢) سورة البقرة الدرس الرابع.

المحـــــور الخامس

- معرفة الرسول من خلال القرآن الكريم
- الرسول رسالة عالمية قابلة للتطبيق(١)
- الرسول رسالة عالمية قابلة للتطبيق(٢)

معرفة الرّسول من خلال القرآن الكريم

يعتبر القرآن الكريم هو المصدر الحقيقي لمعرفة الرّسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وكذلك معرفة جميع الأنبياء والمرسلين، لأنّ معظم ما قدّمته كتب السّيرة والحديث عن الرّسول قُدّم بشكل ناقص، وضعيف لا يعبّر عن حقيقة الرّسول، وشخصيّته، وعظمته، بل إنّ بعضه قُدّم بشكل يسيئ للرّسول، ويشوّه شخصيّته، ويستهدفه في أخلاقه، ومبادئه، وقيمه، وقد قدّم السّيد حسين بدرالدين الحوثي في الدّروس والمحاضرات الرّؤية المتكاملة والواضحة حول هذا الموضوع، مبيناً المنهجية القرآنية في معرفة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله).

القرآن الكريم أهمّ مصدر لمعرفة الرسول

يبيّن السّيد في الدروس والمحاضرات أنّ القرآن الكريم هو أهمّ مصدر لمعرفة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بشكل كامل وصحيح، ولأنّ الرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله) يعتبر رجلاً قرآنياً يتحرّك بحركة القرآن الكريم، ويحرّك الناس به، ويعرف مناهج القرآن الكريم ويتحرّك بها في النّاس فمن الطبيعي أن يكون القرآن الكريم هو المصدر الأهمّ في معرفته يقول السيد: **(الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **كان رجلا قرآنيا يعرف منهجية القرآن لا يخالفه، لا يتعداه ولا خطوة واحدة)**[1].

وكانت مهمّة الرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هي أن يعلّم النّاس القرآن الكريم، وينذرهم به، ويحرّكهم به بما فيه من آيات، وأعلام، وحقائق في كلّ المجالات، يقول السيد: **(رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **مهمته هو أن يعلم الناس هذا القرآن بما فيه من آيات وهي أعلام وحقائق في كل مجال تتناوله)**[2].

ويبيّن السّيد أنّ القرآن الكريم أهمّ مصدر في معرفة السيرة والتاريخ، لأنّه يربطك بالموضوع

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الثاني عشر.
(٢) محاضرة الثقافة القرآنية.

نفسه، ويحيط به من كلّ جوانبه، بدلاً عن تلك المعرفة المحدودة، والجزئية، والرقمية الّتي تقدّمها كتب، ومصادر التّاريخ، والسّيرة، والحديث لهذا يعتبر القرآن الكريم أهمّ مصدر في معرفة شخصيّة الرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ولأنّه يقدّم لك كلّ ما يتعلّق بنفسيّة، وروحيّة، ومشاعر الرّسول، يقول السيد: **(ننتقل إلى آية أخرى، وهي قول الله تعالى لنبيه** (صلوات الله عليه وعلى آله): ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾[الكهف:٦] **ماذا يعني: البخع؟ هو أن تقد بطنك بسلاح، هذا معنى البخع، يعني من شدة أساه، وأسفه، أن قومه ما رضيوا يهتدوا بهذا القرآن، ولا يستمعوا له، ولا يسيروا على هديه، من شدة أسفه.**

ماذا يعني هذا؟ يعني أن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **يعرف عظمة هذا القرآن، وهو إنسان رحيم بالناس، حريص على الناس، يحب للناس الخير إلى أقصى درجاته، حتى أولئك الأعداء الذين يواجهوه؛ لأنه عرف أنه رسول للعالمين، وما يزال الكثير من الناس معاندين، ومع هذا لشدة أسفه أنهم ما رضيوا يهتدوا يكاد أن يقتل نفسه لشدة أساه.**

لاحظوا كيف موقفنا نحن، ما هناك أحد ممكن أنه يدفعه أسفه إلى أنه يتعاون بأبسط شيء من أجل القرآن فضلاً عن أن يقتل نفسه، أو ينطلق في عمل من أجل إعلاء كلمة هذا القرآن.

﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾[الكهف:٦] **أي بهذا الكتاب** ﴿أَسَفاً﴾ **عليهم؛ ولهذا أنه يجب علينا – إذا كنا متأسين برسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **– أن ننطلق ولو بجزء، ونحن نحمل جزءاً من نفسيته، من اهتماماته، من إخلاصه، من حرصه، من صموده، من قوته.**

فهنا يكشف لك نفسية رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)**؛ ولهذا كما نقول: إن القرآن الكريم هو أهم مصدر لمعرفة سيرة النبي، القرآن يعرِّفك حتى على مشاعر النبي، ونفسية النبي** (صلوات الله عليه وعلى آله)**، ومواقفه. فهو يعتبر من أهم المصادر للتعرف على رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله).

القرآن الكريم أهم من كتب السير، كتب السير هي تتحدث عن أحداث تاريخية، أحداث، مثل: معركة كذا، كانت في يوم كذا، بتاريخ كذا، وأدت إلى كذا، في سنة كذا، و.. الخ)[1].

(١) محاضرة آيات من سورة الكهف.

وهنا يوضّح لنا السّيد كيف قدّم القرآن الكريم (الرّسول صلوات الله عليه وعلى آله) في موضوع ما يسمّى بالسيرة، حيث كانت صفة المبادرة والمسارعة من أبرز الصّفات الّتي تميّزت بها شخصيّته، وقيادته، كما هو واضح في غزوة تبوك الّتي قدّمها القرآن الكريم، وقدّم فيها جوانب مهمّة من شخصيّة، وقيادة الرّسول، لأنّ الرسول كان رجلاً قرآنياً يتحرّك بحركة، وروحيّة، وحيويّة القرآن الكريم، ويفهم أبعاده، ومقاصده، وغاياته، ومعانيه، وتوجيهاته، يقول السيد: **(فكان رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **كانت صفة المبادرة، المسارعة، من أبرز الصفات لديه، لا يوجد عنده تثاقل، ولا تردد، ولا ترجيحات، ولا [عسى ما بو خلة، عسى] كان لديه طبيعة المبادرة.**

في غزوة [تبوك] استخدم هذا الجانب، جانب المبادرة، وكان جانب المبادرة هذا هو الذي جعل الرومان - وهم أكثر قوة، وأكثر عدداً - يتراجعون، ويقررون عدم المواجهة مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)**؛ لأنه حرك الناس.**

عندما بلغه بأنهم قد تجمعوا في الشام، يريدون أن يهجموا على بلاد الإسلام حرك الأمة، والقرآن حركهم أيضاً بآيات ساخنة، يخرجون حتى وإن كانوا[في وقت شدة]، حتى عندما صادف وقت شدة، وقت قلة ثمر، أو الثمر ما قد حصل. ما قال ننتظر حتى ينضج التمر، والثمار تحصل حتى يكون لدينا قدرة أننا نمول نفوسنا، ونخرج.

لا بد أن يخرجوا، وبادر هو بالزحف، وانطلق إلى تبوك، وبين تبوك وبين المدينة حوالي [٧٥٠ كيلوا]! يعني: دخل هو إلى أقرب منطقة من المناطق في بلاد الشام، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **ومعه ثلاثين ألف، قد حشدهم من الناس جيد وفسل، هيا يخرجون.**

هكذا كانت سيرة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)**؛ لأن رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **كان رجلاً قرآنياً، رجل يتحرك بحركة القرآن، يجسد القرآن، يفهم معاني القرآن، وغايات القرآن، ومقاصده، وأساليبه، ومنهجه)**[1].

(١) محاضرة وسارعوا إلى مغفرة من ربكم.

ويؤكّد السّيد على أنّ القرآن الكريم هو أهمّ مصدر لمعرفة الرّسول، ولمعرفة جميع الأنبياء صلوات الله عليهم، ويوضّح السّيد أنّ المنهجيّة القرآنيّة تربطنا بشخصيّة الرّسول مباشرة، وتعرّفنا عليه بالشكل الذي لا يمكن أن نحصل عليه من أيّ مصادر أخرى، مبيّناً أنّ فهمنا، ومعرفتنا للنبي، مرتبط بفهمنا، ومعرفتنا للقرآن الكريم، يقول السيد: **(القرآن هو يعتبر أهم مصدر لمعرفة أنبياء الله ولمعرفة رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله)**، لأنك تفترض في البداية وهي قضية الناس مسلمين بها أن رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **كان رجلا قرآنيا يتحرك بالقرآن، فهمك للنبي** (صلوات الله عليه وعلى آله) **هو مرتبط بفهمك للقرآن عندما تفهم القرآن وتفهم كيف كانت حركته في موقف معين تجد أنه كيف كانت حركته هذه قرآنية يجسد فيها مبدأ قرآنيا يقوم فيها بدور تربوي قرآني عندما يتحدث عن غزوة تبوك أو أحد أو بدر أو غيرها ... أليست سيرته تبدو حركة؟ حركة قرآنية، ويجسد مبادئ وتوجيهات، ويقوم في نفس الوقت بأعمال تربوية للأمة، عندما يقرأ أحد السيرة الأخرى التي قدمت كأحداث تاريخية أليست عبارة عن أحداث تاريخية؟ لكن أنت لن تعرف النبي من خلالها، أو معرفة محدودة جدا، أحداث تاريخية، إرجع للقرآن الكريم ستفهم لماذا النبي ركز على أن تكون حركته بهذا الشكل؟ لماذا استخدم هذا الأسلوب؟ تجد أنه كان يركز على هذا الأسلوب باعتباره مبدأ هاما جدا يرسخه في ذهنية الأمة لتتربى عليه أو تسير في حركتها على أساسه، وهكذا أشياء كثيرة من هذا القبيل).**

ويضيف السّيد أنّ القرآن الكريم لا يعرّفنا بمجرد حركات، ومواقف الرّسول فقط، بطريقة جافّة، بل يكشف لك عن روحيّة الرسول، ومشاعره الدّاخلية، وشعوره الوجداني، وتفكيره تجاه الناس، والمجتمع، فيقول: **(القرآن ليس فقط يعرفك بمجرد حركات الرسول بل بمشاعر الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **يعرفك حتى تفهم تقريبا تفهم مشاعره وتفكيره، تفهم كيف كان نظرته للمجتمع الذي هو فيه تفهم كيف كان وهو على فراش الموت كيف كان في نظرته أنه مات متألما، مات متألما فعلا، أن الأمة هذه أنها ما استجابت بالشكل المطلوب ما تفهمت القضية بالشكل المطلوب، ما التزمت بالشكل المطلوب).**

ويؤكّد السّيد على أنّ الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) حرص من خلال القرآن الكريم على أن يربي الأمّة التربيّة القرآنيّة، الّتي تجعلها أمّة قويّة، وعزيزة، ومستقلة غير خاضعة، ولا خانعة لأحد، وقد قدّم لنا القرآن الكريم هذه الحركة التربويّة في سيرة الرّسول التي كان أبرزها ما عمله من ترتيبات، وتكتيكات حكيمة، وتربوية في غزوة تبوك، يقول السيد: **(الله سبحانه وتعالى أراد أن يعلمنا بأن دينه يستطيع أن يجعلنا أمة مستقلة، تقف على قدميها، عزيزة، رافعة رأسها، تقهر الأمم الأخرى، ما الذي يحصل الآن؟ أليس كل العرب يتجهون إلى أمريكا لتفكهم من إسرائيل؟ ولو أن أمريكا هي المحتلة وإسرائيل هناك للجأوا إلى إسرائيل تفكهم عن أمريكا! يلجأون إلى أمريكا وروسيا راعيتا السلام أن تفك فيهم من إسرائيل.**

النظرة القاصرة التي أراد الله أن يمسحها من أذهان العرب - لو تربوا على دينه، لو تربوا على نهج نبيه (صلوات الله عليه وعلى آله)**، لو عرفوا سيرته وهو في جهاده من بدر إلى آخر غزوة لم يلجأ إلى طرف آخر، لم يلجأ إلى الفرس، أو يلجأ إلى الروم، وهما القوتان التي كانت تمثل القوى العظمى في العالم في ذلك العصر لم يلجأ إلى الفرس ليساعدوه ضد الروم، ولا إلى الروم ليساعدوه ضد الفرس، ولا إلى الفرس ليساعدوه على قريش، ولا إلى الروم ليساعدوه على قريش، ربى الأمة تربية توحي لها بأن في استطاعتها أن تقف على قدميها وتقارع الأمم الأخرى.**

وكان أبرز مثال على هذا ما عمله هو في ترتيبات [غزوة تبوك]؛ لأنه كان رجلاً قرآنياً (صلوات الله عليه وعلى آله) **يتحرك بحركة القرآن، ويعرف ماذا يريد القرآن أن يصل بالأمة إليه في مناهجه التربوية وهو يربي نفوسهم كيف تكون كبيرة، كيف تكون معتزة بما بين يديها من هذا الدين العظيم فلا تحتاج إلى أي قوى أخرى)**[1].

ويؤكّد السّيد مجدداً على أنّ القرآن الكريم هو أهمّ مصدر لمعرفة الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ومعرفة سيرته، وشخصيتّه، وعظمته، ومن خلال القرآن الكريم نعرف كيف قدّم الله رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) في كلّ جوانب حياته، وشخصيّته، كقائد محنّك، ورجل قرآني

(١) سورة آل عمران الدرس الثاني.

على خلق عظيم، يهتدي، ويقتدي به النّاس في كلّ مجالاتهم، وشؤونهم، ونعرف من خلال القرآن الكريم شخصيّته العظيمة، وحنكته القياديّة في تعامله مع أصحابه، وجنوده في السّلم، والحرب، ونعرف كيف كان تعامله مع الجنود في حالات المخالفة، والعصيان، والهزيمة، كما حصل في غزوة أحد، وكيف تحرّك معهم بتوجيه مباشر من الله سبحانه وتعالى بشكل عظيم جداً يحسّسهم باللّطف، والأنس، والرّحمة، ويعالج مشاكلهم النّفسيّة، والمعنويّة، والتّربويّة، يقول السّيد: **(وفعلاً - كما نقول - أن القرآن الكريم هو أهم مصدر لمعرفة رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **معرفة سيرته معرفة شخصيته معرفة عظمته أو جوانب من عظمته، ما يمكن أن نعرفها بالنسبة له** (صلوات الله عليه وعلى آله) **وكذلك بالنسبة لأنبياء الله الآخرين، ونحن بحاجة ماسة إلى هذه القضية أيضاً، إلى معرفة الأنبياء وإلى معرفة رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **بالذات معرفة كافية.**

عرفنا كيف أنه كان قائداً لديه معرفة عالية ويعتمد عليه بشكل كبير في ميدان المواجهة ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: من الآية١٢١].

كذلك بالنسبة لنفسيته أخلاقه العالية سعة صدره التي تجعله يعرف كيف يتعامل مع الآخرين في الظروف الصعبة في الظروف التي عادة تؤدي إلى اختلاف بين الناس، اختلاف بين المجتمع اختلاف فيما بين القيادة والجنود ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩] **عندما نسمع توجيهات كهذه فيها ما هو حكاية عما هو عليه فعلاً ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾**[آل عمران: من الآية ١٥٩] **أو نسمع توجيهات له وتراها ذات قيمة عالية وهامة جداً، خاصة في وضعية كهذه التي مر بها المسلمون بعد معركة أحد ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾**[آل عمران:١٥٩] **وتجد داخل الآيات التي تذكر أحداث معركة أحد وتلك الهزيمة، كم ظهر فيها من كلمات ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾**[آل عمران: من الآية١٥٥] **﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾**[آل عمران: من الآية١٥٢] **وهكذا فيوجه رسوله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **أيضاً بأن**

يعفو عنهم ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾[آل عمران:من الآية ١٥٩].

العفو قد يكون التغاضي عن المؤاخذة التغاضي عن كثير من التأنيب والتوبيخ، العفو يختلف عن المغفرة ويكون له مجال خاص غير موضوع المغفرة، ولهذا يأتي في بعض الآيات يجمع بين العفو والمغفرة.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[آل عمران:من الآية ١٥٩] **واستغفر لهم بأن تطلب من الله المغفرة لهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾**[آل عمران:من الآية ١٥٩] **لأنه في حالة كهذه عندما يتجه لأن يشاورهم هذه فيها نوع من الأنس، أعني يلمسون بأنه ما تزال نظرته إليهم جيدة وما يزال قريباً منهم، الإنسان الذي تتجه لمشاورته يعني ماذا؟ أن نفسك قريبة منه؛ لأنه -عادة -الهزيمة تترك أثراً كبيراً في النفوس خاصة، وهم عندما انهزموا في أحد تركوا رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **في الميدان وكانت قضية كبيرة هذه، فكان هذا شيئاً طبيعياً أن يستحي كل شخص منهم ويخجل ويكون يحاول أن لا يراه رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **فإذا ما اتجه رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **إليهم وشاورهم وتحدث معهم يحسون بنوع من الأنس، فهذه لها أثر كبير في النفوس)** [1].

ويبيّن السّيد أنّ هذه التوجيهات القرآنية، والإنطلاقة المهمّة للرّسول في هذا الميدان، وهذه الظّروف تحمل دروساً تربويّة، وأخلاقيّة مهمّة جداً في ميدان العمل العسكري، وتربية الأفراد، والجنود، مؤكّداً على أنّ الرسول كان بمستوى هذه المسؤوليّة، وبمستوى هذه التوجيهات، يقول السيد: **(وعندما ينطلق رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **يتعامل على هذا النحو من منطلق معرفته للناس كبشر يعرف الناس كناس ويعرف الوضعية أنه ليس صحيحاً أو ليس أسلوباً صحيحاً أن يتجه إلى توبيخ ومقاطعة لهم ونفور منهم هذا سيزيد من ماذا؟ من ارتياح العدو؛ لأنه أوجد هزيمة جعلت هذا المجتمع يتفكك تماماً وكل إنسان هو وإن زل قد يكون قريباً إلا نوعيه منهم تحدث عنهم: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾**[آل عمران: من الآية١٥٤] **هذه نوعية ثانية لكن آخرين قد تكون أحياناً متى ما زلّ زلة كل واحد يعرف زلته، وكل واحد يكون لزلته أثر في نفسه وبالإمكان إذا ما تزال نفسيته صالحة يكون قابلاً لأن يوجه أكثر ويتفهم أكثر ويأخذ**

(١) سورة آل عمران الدرس السادس عشر من دروس رمضان.

دروساً وعبراً مما حدث فيكون فيما بعد على مستوى أفضل.

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[آل عمران: من الآية١٥٩] **(أي يقول هنا في توجيهات** ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[آل عمران: من الآية١٥٩] **توجيهات هامة جداً وبالتأكيد أن رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **كان على مستوى العمل بهذه التوجيهات)** [1].

الطريقة التحليليّة لمعرفة شخصيّة الرسول

قدّمت كتب السّير، والحديث، والتّاريخ شخصيّة الرّسول بشكل ناقص، بل في معظمها قدّمته بشكل مغلوط، ومسيئ جداً، بخلاف ما كان عليه في الواقع، وبخلاف ما قدّمه به القرآن الكريم، وكانت اهتمامات بعض كتّاب السّير، والتاريخ ناقصة جدّاً في التّعاطي الموضوعي، والتّربويّ مع شخصيّة الرّسول، لأنّها لم تكن من منطلقات المنهجيّة القرآنيّة، فبعضها غلب عليها الطّابع المذهبيّ، وبعضها الطّابع السّياسيّ، والبعض الآخر كتب بخلفيّة تاريخيّة، وكتابيّة، ورقميّة بحتة، حيث يؤكّد السّيد على أنّ الطريقة، والمنهجيّة الصحيحة لمعرفة شخصيّة الرّسول هي الطريقة الّتي تقوم على الدّراسة والتّحليل، لأنّ هذه الطريقة هي الّتي تعطي للتّاريخ، وللسّيرة الأثر والفاعلية في النّفوس والواقع، ويستفاد منها الدروس والعبر الكثيرة، ويستفاد منها في التّقييم، والتّخطيط أيضاً، وهذه هي الطريقة، والمنهجيّة القرآنيّة، يقول السيد: **(إذاً فهنا تعرف شخصية الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **قد تكون في كتب السير تاريخاً يعرض فقط أحداثاً معينة مؤرخة ونكتب فيها أرقاماً معينة، لكن التحليل لشخصيته قضية ثانية، التحليل لمنطلقاته في عمله في تكتيكه العسكري في اختياره للقادة في اختياره للموقع وأشياء من هذه لا تتناولها معظم السير فعلاً، وهي قضية هامة، أي ليس المطلوب فقط من السير أو من التاريخ أن نعرف متى وقعت الغزوة الفلانية وكم كان عدد المسلمين وكم كان عدد الكافرين وانتهى الموضوع، المطلوب أن نعرف كيف كان - بطريقة تحليلية - كيف كان**

(١) سورة آل عمران الدرس السادس عشر من دروس رمضان.

تفكير النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) **كيف كان تخطيطه كيف كانت مشاعره كيف كان تقييمه كيف كانت الوضعية بشكل عام، وضعية جانب المسلمين ووضعية الآخرين الكافرين الوضعية بشكل عام، وضعية العالم في ذلك الزمن بشكل عام حتى يكون التاريخ له أثر في النفوس ويعطي دروساً مهمة ويعطي عبرة وتعرف من خلاله النفسيات).**

لاحظ هنا في معركة [أحد] كم حصل من خلالها من غربلة، غربلة كما قال بعد: ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾[آل عمران: من الآية١٦٦ -١٦٧] **وسابقاً يقول: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾**[آل عمران: ١٤١] **﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾**[آل عمران: من الآية١٤٠] **﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾**[آل عمران: من الآية١٤٢].

وهكذا؛ لأن الأحداث مهمة جداً في غربلة النفوس، أعني مهمة حتى بالنسبة لك أنت شخصياً بالنسبة لأي واحد منا من خلال الأحداث قد يتلمس هو ما لديه من نقاط ضعف ما لديه من رؤى قد تكون غير صحيحة، فيصلح نفسيته هو ويحاول أن يصحح وضعيته إضافة إلى تقييم الناس لبعضهم بعض تقييم المجتمع وغربلته من خلال الأحداث لأن مستقبل الأمة، أي أمة تستفيد من الأحداث على هذا النحو تكون خططاً قائمة على معرفة خطط واعية قائمة على معرفة تعرف أن هذا الإنسان كذا وهذا كذا وهذا كذا وتلك القبيلة كذا وسكان تلك القرية كذا وهكذا تستطيع أن تعرف فتكون خططك بالشكل الذي لا يكون فيها أخطاء متكررة، قد توكل مهمة إلى شخص أو إلى مجموعة من الناس هم في الواقع غير جديرين بأن يقوموا بتلك المهمة وهكذا)[1].

أهمية معرفة الرسول

الأمّة بحاجة ماسّة وضروريّة لمعرفة الرسول من خلال هذه المنطلقات حتّى لا تضلّ، وتبق أمّة مهزومة تتجرّع النّكبات، والهزائم على طول تاريخها، ولو عرفت الأمّة فضل الله عليها، ونعمة هذا الرسول في ماضيها وحاضرها لما كانت ماضياً وحاضراً بهذا الشكل الذي هي عليها الآن، ومن المعروف أنّ النبيّ لم يُقدّم من خلال كتب السّير، والتّاريخ، والحديث حكيماً، ولا بصيراً، ولا خبيراً، بل للأسف الشّديد وكما أسلفنا قُدّم بطريقة ناقصة، وفي معظمها بطريقة

(١) سورة آل عمران الدرس السادس عشر من دروس رمضان.

مغلوطة، ومسيئة جداً، لهذا فقد قدّمه الله لنا في القرآن حكيماً، وقائداً عظيماً نستلهم منه الحكمة، والبصيرة، والخبرة، والمعرفة، وحتّى لا تتوقف معرفتنا للرّسول، وحسن تأسينا، واقتدائنا، وتأثّرنا به عند أرقام وأحداث معيّنة، علينا أن لاّ نربط حركته النبويّة، وسيرته، ومواقفه، وانتصاراته بالمعجزات فقط، بل علينا أن نعرف أنّ كلّ أعماله، وخطواته، ومواقفه تسير وفق ترتيبات دقيقة ومحكمة بشكلٍ عالٍ جداً، وإذا فهمنا هذه المسألة معنى هذا أنّ الأمة ستبقى مستفيدة من الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) على طول مسيرتها، وحركتها، وامتدادها، لأنّ المشكلة في هذه المسألة هي عندما أُبعد رسول الله عن أن يكون هو في شخصيّته ذكيّاً محنكاً، وحكيماً، وخبيراً، إضافة إلى سوء وفداحة ما قدمته به، وقالته عنه الرّوايات المكذوبة، والمدسوسة، وهنا يؤكّد السّيد على أنّ الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كان قائداً ذكياً، وحكيماً وبصيراً، وخبيراً بكلّ ما تعنيه الكلمة، يقول السيد: **(معرفة الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **قضية هامة - كما أسلفنا - في أن يعرف الناس فعلاً أنه نعمة عظيمة من الله ولهذا قال بعد: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾**[آل عمران: من الآية١٦٤] **وفي نفس الوقت يستوحي الناس من سيرته، يستلهمون من حركته كيف يتحركون وكيف يعملون.**

في نفس الوقت أيضاً لا يعتبر أن الأشياء كانت مجرد معجزات خارقة في كل الحركة الله سبحانه وتعالى هو على كل شيء قدير، ولكنه حكيم تكون الأشياء تسير وفق ترتيبات دقيقة، رسوله حكيم لم تكن أعماله عشوائية، أعماله تسير وفق ترتيبات دقيقة وخطط محكمة ورؤى صحيحة ومعرفة حقيقية؛ لأن الفارق فيما إذا كنا نتصور أن كل ما كان يحصل كان عبارة عن معجزات خارقة معجزات، معجزات إلى آخرها يقول الناس من بعد: [إذاً محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) **قد التحق بالله وما معنا شخص تأتي على يديه معجزات خارقة، خارقة... إلى آخره، إذاً ما نستطيع نعمل شيئا] عندما تعرف بأنه كانت تلك الحركة تقوم على خطط محكمة ورؤية حكيمة وترتيبات حكيمة وأنها مما هدى الله رسوله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **إليه ومن خلال القرآن الكريم، ولهذا ألم يقل في القرآن الكريم بأنه: كتاب حكيم ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾**[هود: من الآية١].

أن تكون الأشياء تمشي على الطريقة هذه، معناه ماذا؟ أنها قابلة للإستمرار قابلة أن يسير جيل آخر بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **وفق هدى الله وفق ما يؤتيهم الله من حكمة أو ما يأخذون من كتاب الله من حكمة وما يوفقهم الله إليه من حكمة في عملهم، ولو لم يكن رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **موجوداً بينهم لكنه موجود بماذا؟ بآثاره، إذا حاولنا أن نعرفه هو وليس فقط نعرف أنه قائد المعركة الفلانية بتاريخ كذا وعدد كذا.... إلى آخره،لا، تعرفه هو لتعرف كيف كان دقيقاً في عمله وكيف كان حكيماً في تعامله مع الأحداث وتعامله مع الناس وكيف كان أيضاً، كيف كانت نظرته إلى الناس بشكل عام بما فيهم الأعداء.**

لأنه فعلاً الذي حصل أنه أبعد الأنبياء عن قائمة أن يكونوا أشخاصاً يستلهم الناس من عملهم ما يفيدهم في حركتهم في مجال العمل لإعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله ترافقت عدة أشياء منها: روايات يتجلى من خلالها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **وكأنه إنسان عادي أو غبي وليس فقط عادي إنما لا يفهم شيئاً كما يحكون في غزوة [بدر] أعني: روايات فيما يتعلق بميدان الجهاد وحتى فيما يتعلق بحياته الخاصة وأشياء كثيرة قدموه وإذا فقط فلان يوجهه أنه يحجب نساءه وفلان يقول: لا، أحسن نكون هناك على النهر من أجل عندما نكون في مواجهة مع العدو نكون قريبين من الماء ونسبقهم إلى الماء! وأشياء من هذه يبدو شخصاً بسيطاً لا يعرف شيئاً!.**

هو كان شخصاً هاماً جداً حكيماً وقديراً ذكياً فاهماً، قائداً على أعلى مستوى للقيادة فعلاً، حتى أن الغربيين عندما حللوا شخصيته ومواقفه اعتبروه أنه أعظم قائد في التاريخ كما يحكى أنهم فعلاً اعتبروا أنجح وأعظم قائد في التاريخ محمد (صلوات الله عليه وعلى آله).

وكيف كان على الرغم من كفاءته العالية يتوكل على الله ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران: من الآية١٥٩] **)**[1].

إذاً من خلال هذا العرض والحديث القرآني يتبيّن لنا ضرورة، وأهميّة معرفة الرّسول من خلال القرآن الكريم، والترابط الوثيق والتلازم في المعرفة ما بين الرّسول والقرآن، والقرآن

(١) سورة آل عمران الدرس السادس عشر من دروس رمضان.

والرّسول، لأنّ فصل الرّسول عن القرآن الكريم خطيرٌ جدّاً، سيفصلنا عن الرّسول نفسه يقول السيد: **(نفس الشيء بالنسبة لرسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **هو هاديا إلى الله، أليس كذلك؟ هاديا إلى الله، فُصل الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **في ذهنية الأمة عن القرآن، وهو رجل قرآني بكل ما تعنيه الكلمة، فُصل عن القرآن، ثم قسموه هو فأخذوا جانباً من حياته، جانباً مما صدر عنه وسموه سنة، فأصبحت المسألة في الأخير: الله هناك، رسوله هناك! هناك بدائل نزلت: قرآن، وكتب حديث.**

ولاحظنا كيف أصبح الخطأ رهيباً جداً جداً في أوساطنا؛ لأننا فصلنا كتاب الله عن الله، وفصلنا رسول الله، جعلنا شيئاً سميناه سنته، ثم سنته جعلناها بديلاً عنه! لاحظوا في القرآن الكريم كم يتكرر [الله ورسوله، في طاعة الله ورسوله، إتباع الله ورسوله، استجابة لله ورسوله] ألم يتكرر كثيراً في القرآن بهذه العبارة: [الله ورسوله] أكثر من كلمة: [كتاب الله، أو كلمة سنة رسوله]، هل ورد شيء عن سنة رسول الله في القرآن الكريم؟) [1].

ويعتبر السّيد أنّ الرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله) في كلّ حركة من حركات حياته، وكلّ تصرف من تصرفاته يمثّل مصدر هداية للأمّة، حيث يقول: **(رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **في كل حركة من حركاته يعطي مؤشر هداية للأمة)**[2].

ويؤكّد السّيد على أنّ الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كان في حركته الرّسالية والعامّة في الحياة إنساناً واعياً على أرقى مستوى، يعطي ويقدّم الهداية للأمّة كلّها، فيقول: **(الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **كان في حركاته إنسانا واعيا على أرقى مستوى يعطي الهداية من كل حركة من حركاته لمن؟ للأمة كلها)** [3].

ويؤكّد السّيد على أنّ حركة الرسول ومواقفه، وأعماله لم تكن أعمالاً مرتبطة بعصره فقط،

(١) سورة آل عمران الدرس الثاني.
(٢) آل عمران الدرس الرابع.
(٣) سورة المائدة الدرس الثاني.

بل كان كلّ ما يعمله، وكلّ ما يؤكّد عليه، ويرسّخه من قضايا، كلّها مرتبطة بمستقبل ومسيرة الحياة إلى آخر أيّامها، لأنّه هو في نفسه كان مدركاً، وفاهماً، وواعياً بأنّه رسول للعالمين، يقول السيد: **(تفهم النبي بأنه كان في حركته في ذلك العصر، أعماله لم تكن فقط مرتبطة بعصره، في عصره ما كان يعمله من أعمال قام بها تعتبر هداية للناس إلى آخر أيام الدنيا، يكشف أشياء، ويؤكد على أشياء، ويرسخ أشياء، يعني هو كان نبي يفهم أنه نبي للعالمين إلى آخر أيام الدنيا، فكانت حركته يلحظ فيها امتداد رسالته، وتلاحظ أنها هذه لها نظائر في القرآن الكريم، لها نظائر هذه).**

تعامل النبيّ مع الغنائم

وفي سياق الدّروس والعبر الّتي عرضها وقدّمها القرآن الكريم من غزوة أحد يبيّن السّيد كيف كانت نفسيّة القائد وهو الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وكيف كان تعامله مع الغنائم بالشكل الذي يطمئن المسلمين، ولا يؤثّر على معنويّات المقاتلين، ويربّيهم التّربيّة الجهاديّة، والإيمانيّة للحاضر والمستقبل، يقول السيد: **(فيما يتعلق بالمواجهة التي حصلت في يوم [أحد] وما قبلها وما بعدها، والعادة أنها قد تحصل غنائم يغنمون عندما ينتصرون على العدو، هنا يوجد طمأنة للمسلمين أن يفهموا بأن الشخص الذي يقودهم ليس إنساناً ممن يحاول ﴿أن يَغلّ﴾ الغل معناه: الأخذ من الغنائم لنفسه بطريقة خفية، لهذا يقال بأنه كان هناك حالة معروفة يسمونها: [الصَفِيّ] من الغنائم بطريقة معروفة علناً، خصلة واحدة يأخذها على الرغم من أن أمر الغنائم إليه؛ لأن قضية الغنائم قضية المال قضية حساسة قضية مما يحصل فيها منفذ للشيطان ولأولياء الشيطان للتشكيك في موضوع المال، فهنا يطمئنهم بالنسبة له** (صلوات الله عليه وعلى آله) **وبالنسبة للأنبياء بشكل عام من قبله، أن أي نبي من الأنبياء لا يمكن ما ينبغي على الإطلاق، ولا يحصل من جانبه ﴿أن يَغلّ﴾).**

كذلك أيضاً في تربية القرآن الكريم للمؤمنين أنفسهم كيف يكونون، وكيف يتعاملون، يقول السيد: **(فيما فيما يتعلق بالمؤمنين أنفسهم بعد أن قال: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾**[آل عمران: من الآية ١٦١] **أن يعرفوا بأنه إذا كانت القضية خطيرة فيما لو وقعت من نبي من أنبياء الله فهي قضية خطيرة أن تحصل من أي إنسان أن يغل من الغنائم، يحاول أن يأخذ شيئاً**

خلسة يخبيه لنفسه من الغنائم فعندما تكون القضية على هذا النحو فعلاً ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾[آل عمران: من الآية١٦١] **لكن قيمتها من الناحية النفسية فيما يتعلق بالناس، الثقة، تعظم لديهم الثقة في هذا الشخص بحيث أنهم لا يكونون يرون أنفسهم في الأخير وكأنهم يقاتلون ويجمعون غنائم وهو يأخذ الجيد الجيد لنفسه ويخبيه يخفيه ويعود به إلى بيته، أليس هذا يؤدي إلى حالة من الوهن في النفوس؟ هم مطمئنون فهي قيادة ليست ممن يعطي للمال أي قيمة بحيث تصبح خائفاً بأنه قد يأخذ هذا أو هذا أو هذا لنفسه هذا على قراءة: ﴿يَغُلَّ﴾)**[1].

مقارنة عامّة

هنا ومن خلال هذه الدّروس والعبر الّتي قدمها القرآن الكريم من أحداث غزوة أحد، يوضّح السّيد المقارنة العامة بين المؤمنين، وبين الكافرين، والمنافقين، المقارنة بين أولياء الله، وبين أعداءه بشكل عام، وكيف تكون العاقبة؟ ولصالح من تكون؟ حتّى لا تهتزّ ثقة المؤمنين والمجاهدين بالله سبحانه وتعالى، وحتّى لا تتقلّب لديهم الموازين، ولأجل أن يكونوا على ثقة ويقين بأنّ الكفّة دائماً تسير لصالح أولياء الله مهما حصل من أحداث، ومتغيّرات، وحول هذه الآية ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾[آل عمران: من الآية١٦٢] يقول السيد: **(حالة مقارنة عامة أن يقيِّم المؤمنون أنفسهم في مقابلة الطرف الآخر الذي سخط الله عليه وهم أعداؤه من الكافرين والمنافقين واليهود والنصارى ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ يعتبر سواء، مستوياً مع من هو في الواقع قد باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ليطمئن الإنسان ويطمئن المؤمنون بأنهم في طريق يحظون فيها برضوان الله، وأنه لن تكون الحالة مستوية كحالة يعني فيما بينهم وبين منهم ماذا؟ من باءوا بسخط من الله، يعني: في إطار تدبير الله سبحانه وتعالى، وهذا ما لمس أخيراً كيف انتهت المسألة فيما بعد، على الرغم من أنه حصل هزيمة في أحد لكن كيف انتهت القضية في الأخير؟ ألم يكونوا من اتبعوا رضوان الله هم الأعلون في الأخير؟ وتلاشى كل أولئك الذين باءوا بسخط من الله والذين كان لهم انتصارات في بعض المواقع منها أحد، لكن في الأخير لم يكونوا سواء أبداً، أولئك ضاعوا وتلاشوا وقهروا وغلبوا ومن اتبعوا رضوان الله كانوا هم الأعلون وتحقق لهم النصر الأخير،**

(١) الدرس السادس عشر من دروس رمضان.

النصر النهائي في الصراع ألم يحصل هذا؟ على مستوى الجزيرة أولاً، دخلوا بعد فترة قصيرة مكة فاتحين وانتهى الموضوع تماماً بالنسبة للجزيرة، انتهى بقي حنين بعد الهزيمة التي حصلت في [حنين] حصل انتصارات المهم في الأخير انتهى أولئك الذين باءوا بسخط من الله وتلاشوا.

هذه مهمة، أن يعرف الإنسان بأنه في تدبير الله سبحانه وتعالى أن يعرف المؤمن أنه في تدبير الله لأن الله هو الذي إليه يرجع الأمر كله، وهو مدبر شؤون السموات والأرض من المهم أن يكونوا واثقين بأنه لن تكون الحالة مستوية لن تنتهي المسألة إلى أن يكون من باءوا بسخط من الله هم الأعلون على الإطلاق، بل تنتهي إلى هذه تعطي الناس طمأنة باعتبار لو حصل تقلبات أثناء حركتهم يكونون واثقين بأنهم في الأخير هم سينتصرون؛ لأن الآية هنا لا تذكر قضية حكم يقول لك: هل هم سواء الذين رضي الله عنهم والذين باءوا بسخطه؟ تقول: لا، يقوم عليها تدبير إلهي يقوم عليها طمأنة نفسية، وهم بحاجة إلى هذه بعد الهزيمة التي حصلت في أحد أن يفهموا بأن القضية لن تكون سواء، وستكون النهاية غير مستوية لن تكون في صالح من باءوا بسخط من الله على الإطلاق وكل الفئات ممن اتبع رضوان الله وممن باءوا بسخط من الله درجات نفس المؤمنين درجات متفاوتة الإنسان في نفسه يعيش في نفسه أحياناً حالات متفاوتة في نفسه هو ما بالك المجتمع بشكل عام المؤمنون متفاوتون فيما بينهم ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[آل عمران:١٦٣]) [1].

محاولة العدوُّ تأليب الجنود على القائد

من الدّروس المستفادة مما عرضه القرآن الكريم، وقدّمه عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في غزوة أحد، هو ما يسعى إليه العدوّ من محاولات جادّة لتأليب الشّارع، واثارة الجماهير والجنود ضدّ القائد، حيث قدّم لنا القرآن الكريم دروساً مهمةً جداً في هذا الجانب، حتى لا نكون ضحيةً للحرب الإعلاميّة، والأهداف الخطيرة للعدوّ، فعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ

(١) سورة آل عمران الدرس السادس عشر من دروس رمضان.

هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾[آل عمران:١٦٥-١٦٦] يقول السيد: (هنا عندما تأتي الآية هذه متوسطة، بعدما حصل لديهم من آثار أعني بعد ما حصل في نفوسهم أثناء مواجهتهم للعدو من آثار على نفوسهم سلبية، كما ذكرها في كثير من الآيات أبرز كثيراً من الآثار التي حصلت وحصل جروح وحصل قتل وحصل أشياء كثيرة، عادة الناس إذا لم يكونوا واعين إذا لم يكونوا فاهمين بالشكل المطلوب قد تتجه كل مشاعرهم السيئة إلى القائد [أن هذا هو الأساس هذا الذي كلف لنا لكل هذه الأشياء لو ما هذا لما وقعنا فيما وقعنا فيه] وهكذا فهو هنا ينبه المؤمنين بأنه على الرغم مما حصل لكم حصل قتل حصل جراحات حصل آثار نفسية فيما يتعلق ببعد الهزيمة أشياء كثيرة يجب أن تكونوا متذكرين وذاكرين أن الله قد مَنّ عليكم بنعمة كبيرة جداً هو ذلك القائد الذي يقودكم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وأن مهمته بالنسبة لكم هو أن يعلمكم الكتاب والحكمة ويزكيكم مهمة عظيمة جداً، تهون معها كل المصائب التي نالتكم من قتل وجراحات وآثار نفسية بعد الهزيمة.

فيما يتعلق بالعدو دائماً العدو يحاول أن يوجد هوة فيما بين القائد والجنود فيما بين الأمة وقيادتها، بأن يحاول أن يوحي لتلك الأمة بأن [لاحظوا كيف دخلنا في مصائب ومشاكل وأشياء من هذه كلها بسبب فلان بسبب فلان] إلى آخره، ظهرت هذه في أيام [الإمام الخميني] هجمة إعلامية من قبل الإعلام الغربي والعربي أيضاً، وكان هناك محطات موجهة إلى داخل إيران باللغة الفارسية محطات إذاعية وتلفزيونية وغيرها من وسائل الإعلام موجهة إلى الشعب الإيراني ليقولوا لهم [لاحظوا كيف أصبحتم.. أصبحتم في عزلة عن العالم وأصبحتم في مشاكل مع العالم وأصبحتم في حروب وتدمر كثير من مدنكم كلها بسبب الخميني] وهكذا يوجدون هوة فيما بين القائد وما بين المجتمع وتذمر من هذا القائد و محاولة للتمرد عليه، أو محاولة رفض لتوجيهاته هذه تمثل ضربة رهيبة للأمة تمثل ضربة رهيبة للأمة هذه الحالة إذا استطاع العدو أن ينجح فيها ولهذا كانت مهمة جداً أن يذكِّر المؤمنين لأنها قد تحصل مشاعر من هذه، بأن أعظم نعمة عليكم هو ذلك الرجل العظيم الذي مَنّ الله به عليكم ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[آل عمران:١٦٤] وكانوا فعلاً من قبل في

ضلال مبين، أمة تائهة، أمة ضائعة، أمة لا وزن لها.

لهذا جاءت هذه الآية متوسطة يذكر قبلها ما حصل من قتل وجروح وآثار نفسية ويأتي أيضاً بعدها ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾[آل عمران: من الآية١٦٥] بالنسبة للعدو يجب أن تنظروا إلى أنكم قد أثرتم في العدو هذه هي تعتبر حالة تساعدك على أن تتحمل العناء الذي أنت فيه أنه أيضاً العدو قد ناله كما نالنا أو أكثر سواء في تلك المعركة أو فيما سبق ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾[آل عمران: من الآية١٦٥] بالنسبة للعدو قد ناله من جانبكم مثل ما حصل عليكم مرتين ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾[آل عمران: من الآية١٦٥] ﴿أَنَّى هَذَا﴾ خطيرة في الأخير يقولون: [من فلان] أليست هكذا؟ ولهذا جاء بالآية الأولى قبلها ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: من الآية١٦٤] بحيث لا يعد هناك شيء أن يقولوا: [فلان] يتذكرون أنه نعمة عظيمة عليهم.

﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾[آل عمران: من الآية١٦٥] من أين أوتينا؟ ما السبب؟ كيف وقع علينا هذا الشيء؟ وكيف..؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾[آل عمران: من الآية١٦٥] لأنكم أنتم تنازعتم فشلتم عصيتم الرسول تنازعتم في الأمر من بعد ما أراكم ما تحبون، هو من عند أنفسكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران: من الآية١٦٥] يعني السبب الرئيسي هو من عندكم السبب الرئيسي لما نالكم هو من عند أنفسكم؛ ليحذروا في المستقبل وليعرفوا بأنه إذا ما حصل من جانبهم أخطاء، والأخطاء متفاوتة، هناك أخطاء تحصل عليها عقوبات، وقد يكون هناك أخطاء يحصل تدارك إلهي كما قال سابقاً: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[آل عمران: من الآية١٢٢] لكن تلك الأخطاء في الميدان غير طبيعية أن يحصل من بعد ما أراكم ما تحبون يحصل فشل وتنازع في الأمر وعصيان في الميدان قضية خطيرة جداً ليست سهلة فحصل ما حصل نتيجة لهذه الأخطاء الرهيبة لكن الأساس هو من عند أنفسكم.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾[آل عمران: من الآية١٦٦] هو أذن سبحانه وتعالى ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾[آل عمران: من الآية١٦٦] دون أن تقول: [كيف كان إذن الله كيف تمت؟ هل معناها علمه أو معناها دفعهم أو معناها أو معناها] بإذن الله والله سبحانه وتعالى هو من يحمد نفسه وينزه

نفسه هو الذي ينزه نفسه بإذنه فعلاً يعني ما حصل أن يضربكم المشركون فتحصل تلك النتيجة السيئة الله أذن بهذا، درس لما حصل وعقوبة لما حصل ومع هذا يتدارك المسألة بشكل كبير ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾[آل عمران: من الآية١٥٢] **﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾**[آل عمران: من الآية١٥٥] **وهكذا وعفو من جهة الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **واستغفار حتى لا تمشي النتيجة إلى الشيء الطبيعي لها وإلا قد تكون آثارها سيئة فعلاً.**

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٦٦] **يتبين المؤمنون ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾**[آل عمران: من الآية١٦٧] **يظهر المنافقون أولئك ﴿الَّذِينَ نَافَقوا وقِيلَ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا﴾**[آل عمران: من الآية١٦٧، ١٦٨] **هؤلاء المنافقون نوعية سيئة جداً ما كفاهم أنهم قعدوا بعد أن قيل لهم قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا إذا عندكم حرية على الأقل أن تدافعوا ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾**[آل عمران: من الآية١٦٧] **وما سكتوا في الأخير ما يزال يأتي من عندهم ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾**[آل عمران: من الآية١٦٨] **أليسوا في هذا يحاولون يظهرون بأنهم أشخاص حكماء ورؤيتهم حكيمة ويجعلون الآخرين يحزنون ويعتبرون أنفسهم وقعوا في غلطة كبيرة جداً أنهم ما كانوا كأولئك المنافقين أو ما استمعوا لأولئك المنافقين؟ ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾.**

﴿قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[آل عمران: من الآية١٦٨] **لأنه عندما يقول: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾** [آل عمران:من الآية١٦٨] **أليس هنا يقدم المسألة وكأنها حتمية من أين له علم ذلك! إذا أنتم ترون بأن آراءكم نتائجها حتمية إلى الدرجة هذه ﴿فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**[آل عمران: من الآية١٦٨] **في هذا المقام فقط الذي حصل كما قلنا أكثر من مرة ﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾**[آل عمران: من الآية١٦٧] **دافعوا عن وطنكم، دافعوا عن نفوسكم، لمن وجهت هذه؟ للمنافقين فقط أما المؤمنون فدائماً والمسلمون بشكل عام دائماً يقال لهم في سبيل الله.**

المنافقون هم فئة متذبذبة عادة، متذبذبة وفئة لا تهدأ ومن العجيب أنهم يكونون أقرب إلى العدو، الذي ماذا؟ لو دخل بلدهم لاستباحها كلها، لا يعرف أين بيت المنافق وبيت المؤمن

ولانتهك أعراضهم ونهب أموالهم، هل سيفرقون فيعرفون أين بيت المنافق؟ مع هذا يكون عنده ميل للعدو، هذا شيء سيء جداً، وغريب جداً من النفوس المنافقة، نفوس غريبة جداً، وضعيتها غريبة جداً ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾[آل عمران: من الآية١٦٧].

إذاً فهمنا من غزوة [أحد] تَبَيَّنَ منافقون، ووجه هجوماً على المنافقين؛ لأن المنافقين عندما تظهر لهم حركة، المفروض يكون هناك ما يقابَلون به مما يحطم معنوياتهم، ويظهر الناس أمامهم بأنهم لا يتأثرون بمقولاتهم ولا يتأثرون بتضليلهم ولا يتأثرون بتثبيطهم؛ لهذا قال هنا: ﴿قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: من الآية١٦٨] **لأنه عادة في حالات كهذه ينشط المنافقون في حالات صراع، ينشط المنافقون أما عندما تكون الكفة تميل لصالح العدو فينشطون أكثر)**[1].

كيف نتخاطب ونتعامل مع الرسول؟

علّمنا القرآن الكريم كيف يكون التّخاطب، والتعامل مع الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بأدب، واحترام، وتقدير، وتقديس، وقد جاء في سورة الحجرات سلسلة من الآيات التي تحذّر المسلمين من تجاوز الأدب في التخاطب، والتعامل مع النبيّ، وتنهى عن رفع الأصوات فوق صوته، ودعا الله المؤمنين إلى ضرورة تعزيره، وتوقيره كما جاء في سورة الأعراف، وهنا يؤكّد السّيد أنّ علينا أن نتعامل مع عظمة اسمه المقدّس باحترام، وتقدير، كما قدّمه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، حتّى يترسّخ في أنفسنا مبدأ كمال، وعظمة شخصية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، يقول السيد: **(تلاحظ، ألم يُعرض الأنبياء بأسمائهم في القرآن الكريم؟ [موسى، إبراهيم، نوح، عيسى] وهكذا إلا محمداً** (صلوات الله عليه وعلى آله) **فيُقدم في القرآن الكريم [رسوله، رسول الله، رسول، رسولنا]، أليست كلمة: [رسول] في حد ذاتها هي صفة عظيمة لمحمد** (صلوات الله عليه وعلى آله)**؟ كم جاءت كلمة: [محمد] في القرآن؟. في ثلاثة موارد ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾** [الأحزاب: من الآية ٤٠] **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ**

(١) سورة آل عمران الدرس السادس عشر من دروس رمضان.

﴿خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: من الآية ١٤٤] **في ثلاثة موارد ولأن المقام يتطلب أن يذكر باسمه فيها ليس فقط على طريق أنه كان بالإمكان أن يقول [محمد] أو أن يقول: [رسول] بل لأن المقام نفسه يتطلب في واقع الهداية أن يذكر باسمه فيها، ويأتي القرآن الكريم في الآيات الأخرى يقدم محمداً ليس باسمه، لم يقدم محمداً باسمه في المقامات المهمة مثل ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾**[النساء:٥٩] **﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾**[النساء:٨٠] **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾**[التوبة:١٢٨] **يأتي القرآن الكريم ينادي رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله): **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾.**

وكلمة [نبي] وكلمة [رسول] أليست تُقدم باعتبارها صفة عظيمة لمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله)**؟ أليست تنبئ عن كمال عظيم هو له أنه رسول لله؟ لأن الله هناك قد ذكر لنا هناك ما يبين لنا أن كون فلان رسول الله هو مقام عالي وعظيم جداً، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾** [الأنعام: من الآية ١٢٤] **حتى لا نفهم بأنه فقط يخاطبه بمجرد كونه موظف وباسم وظيفة معينة مثل [يا مدير، يا فندم] وأشياء من هذه، وإنما خاطبه بشيء هو كمال له، هو من كماله، فيقول: رسولاً، أن يكون فلان رسولاً له هو مقام عالي جداً، جداً، مرتبة عظيمة جداً ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾** [الحج: من الآية ٧٥] **اصطفاء، واصطفاء الله الذي يعلم بالكمال، وبمحيط دائرة الكمال بكلها سيكون اصطفاؤه على نحوٍ عالٍ جداً.**

أن يكون رسولاً له أن يكون نبياً له أليس هذا يدل على كماله؟ عندما تأتي إلى القرآن الكريم كم يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ حتى وهو يخاطب محمداً نفسه ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ لا يقول [يا محمد، يا محمد] على أساس أننا قد عرفنا أن محمداً هو رسول، بل يجب في خطابنا نحن أن لا نكثر من كلمة [محمد] إلا ونرفقها بكلمة [رسول الله] (صلوات الله عليه وعلى آله) **إلا في مقامات تستدعي ذلك، نستخدم كلمة (الرسول) كلمة [النبي] لندور في الإطار الذي يركز القرآن عليه ويجعله مهماً جداً.**

وكلمة [يا أيها الرسول، رسولي، رسولنا، الرسول] ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[النور:٥٤] **هل فقط مجرد عبارة يرددها أم أنه يريد من ورائها أن يترسخ في ذهنيتنا كمال هذا الشخص باعتباره رسول ونبي؟ غاب اسمه تحت تكرير كلمة [رسول ونبي]، استعرض في القرآن الكريم كم**

عُرضت هذه الكلمة العظيمة[رسول، رسول] وكلمة [نبي] تأتي كلمة محمد - تقريباً - في ثلاث أو أربع أماكن فقط.

وقد تجد في نفس السورة خطاب للنبي بأنه نبي ورسول أكثر بكثير من تلك الكلمة التي وردت بذكر اسمه فقط التي هي في [سورة الأحزاب]، وفي [سورة الفتح]، وفي [سورة محمد]، في داخل السورة نفسها يخاطبه كثيراً كثيراً باسم [نبي ورسول]، متى ما جاءت كلمة [محمد] في مقام معين لأن المقام يستدعيها فهي واحدة في مقابل عدد كبير من إطلاق كلمة رسول ونبي.

طيب، كلمة رسول وكلمة نبي، أليست تقدم محمداً بغير اسمه؟ ولأن كلمة رسول وكلمة نبي يعني ترسيخاً له في ذهنيتنا بكماله، حتى نفهم أن ارتباطنا به هو باعتباره رجلاً اصطفاه الله وأكمله واختاره فجعله رسولاً له.

في الجانب العاطفي نفسه أن أكرر هكذا: محمد، محمد.. هل تستطيع أن تخلق في نفسك ما يشدك نحوه أو عندما أتحدثت عنه بصفات كماله: رسول الله، هو رسول من عند الله، هو كذا، هو كذا هو كذا؟ ألست سأغيب اسمه وأنا أتحدث عن كماله؟ هو نبي الله، لكن عندما أقول لك: محمد، ومحمد، هو محمد، ومحمد هو.. محمد هل هذا سيعطيك شيئاً في ترسيخ عظمته في نفسك، وفي ترسيخ مبدأ الكمال، هذا المبدأ المهم؟.

حتى عندما يذكر الله سبحانه وتعالى بأنه مَنّ على المؤمنين بهذا النبي العظيم الذي نعلم أنه محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) أليس يقدمه بأنه رسول؟ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: من الآية ١٢٨] ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: من الآية ١٦٤]، وعندما يتحدث معه فيتحدث عن صفات أخرى، تأتي كلمة رسول في مقدمة الصفات المهمة له التي تدفعنا إلى أن نعتبره عظيماً وننشد إليه ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ رسول، وكلمة رسول هنا في إطلاقها على هذا النحو من [الإفراد والتنكير] يفيد التعظيم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] أين اسم [محمد] هنا؟. لو نقرأها من جديد: (لقد جاءكم محمد من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم)، لاحظ أليست ستهبط كثيراً في التعبير عن عظمة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله)؟.

إن (محمد) هو الاسم الذي سمته به أمه، أو سماه جده عبد المطلب، هو اسمه كاسم أي واحد منا يكون له اسم يختص به، اسم عَلَم، لكن ارجع إلى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أليست كلمة رسول تعطي شعوراً بكماله؟

إذاً أريد أن أرتبط بمبدأ كمال فأنظر إلى هذا من خلال كماله، أعظمه لكماله، أجلّه لكماله، أحبه فيترسخ في ذهنيتي رجلاً كاملاً، كاملاً، محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) **يترسخ في ذهنيتي أنه رسول الله، أنه نبي الله، أنه هادي للأمة ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾** [الفتح: ٨] **وهكذا.**

لاحظوا كيف عندما جاء من يتعامل مع رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **كمحمد، ومع كلمة: [رسول] أنه رسول من طرف القرية يأخذ مكتوباً ويسيره للآخرين ومع السلامة ثم مات.**

الوهابيون عندما انطلقوا هذا المنطلق فعملوا على أن لا تُخْلق لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **عظمة في النفوس كيف تَجَنَّوْا عليه، وكيف أصبحوا هم في أنفسهم أجلافاً غلاظاً قساة، ترى [المطوع] فعلا أليس المطوع هو الذي هو عادة رجل الدين الذي يجب أن تبرز على ملامحه سيماء الدين والتقوى والخلق الحسن واللطف واللين والبشاشة؛ لأنه يجب أن يتحلى بأخلاق يقتبسها من عند رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **الذي قال الله عنه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** [القلم: ٤]، **تجدهم هناك جفاة غلاظ قساة! مَن منكم رأى مطوُع ينشد إليه قلبه ويرتاح له كل من راحوا يعملوا هناك أو حجوا؟ تراه ترى ظلمة، ترى جفوة، ترى قسوة، ترى غلظة، ترى جفاء. أحيانا أرى فعلاً مطوعاً وأرى شخصاً آخر بدون ذقن ويبدو لي هذا إنساناً دَمْثاً لطيفاً عليه سيماء هدوء ورزانة لين، ترى أنك قريباً له، تراه طبيعي بالنسبة لك، وذلك المطوع تراه مظلماً في شكله، في كلامه، في حركاته.**

تراهم عند قبة رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **يحاولون أن لا يظهر في أوساط الزائرين له** (صلوات الله عليه وعلى آله) **ما يكشف عن تعظيمهم له، أصبح التعظيم في نظرهم شركاً، التعظيم الذي هو الغاية التي تراد من خلال ترسيخ مبدأ كمال هذا الرجل** (صلوات الله عليه وعلى

آله) أن نجِلّه أن نحترمه، أن نعظمه، أن نقدره، أن نذوب في ولاءنا له، يركلون الناس بأقدامهم، متى وقف شخص يريد أن يمسح ويقبل حجراً متصلة بتربة لها علاقة على بعد أمتار بجسد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، أليس هذا يعني أنه يحبه منشد إليه؟. هؤلاء بجفوتهم بغلظتهم بوحشيتهم عند قبره يركلون الناس بأقدامهم؛ لأنهم تربوا على ماذا؟ على مسح الشعور بأنه عظيم.

من هذا نعرف بدءاً من الله سبحانه وتعالى كيف قدم نفسه لنا، وارجعوا أنتم إلى الآيات التي تذكر صفات الله وملكه وكل الأسماء التي تدل على كماله المطلق سبحانه وتعالى، ثم كيف بالنسبة لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، تجد أن المسألة هي مسألة ترسيخ كمال، لما لترسيخ هذا المبدأ من أثر مهم في نفس كل إنسان وفي الأمة بكلها)[1].

(١) سورة المائدة الدرس الثاني من دروس رمضان.

الرّسول .. رسالة عالمية قابلة للتطبيق (١)

قدّمت بعض الطّروحات، والكتابات، والخطابات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودين الإسلام بطريقة مغلوطة، أطّرته بأطر قوميّة، وقزّمت دوره، وحجّمت رسالته التي جعلها الله الرسالة العالميّة الخاتمة، وهو الرسول العالميّ الخاتم، وقد أمره الله بالصّدع بهذا عالمياً في قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**....الخ﴾[الأعراف:١٥٨]، وقال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون**﴾[التوبة:٣٣]، وفي آية ﴿**وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُون**﴾[التوبة:٣٢]، وللأسف الشديد أنّ الخطاب القرآني الذي يُبرز سِعة حجم الرّسالة، ودور الرّسول لم يعد هو الرّؤية المعمول بها في السّاحة الإسلامية الثّقافيّة، والسّياسيّة اليوم، بل ترى كثيراً من مصادر، وكتب التّراث، والموروث الإسلاميّ الفكريّ، والفقهيّ تتعاطى مع الرّسول، والرّسالة بأفق ضيق، ودور محدود، وكأنّه نبيّ للعرب فقط، حتّى ساد هذا الخطاب، وأصبح هو الثقافة الّتي يعتمد عليه كثير من قادة الفكر، والسّياسة في مواجهة الصّراع الحضاريّ، أو ما يسمى (بحوار الحضارات أو الأديان).

بينما الخطاب القرآني هو الذي يعيّن وظيفة الرسول، ويحدّد دوره ورسالته، ولقد استطاع أهل الكتاب التغلغل وسط هذه الثقافة الزائفة لتقليص دور الرّسول والرّسالة، وفرض أنفسهم عالمياً، بل وصل الأمر إلى درجة انتزاعهم صكوك يشرعنها لهم من يجهل الخطاب القرآني، حتى يبدو وكأنّ القرآن أقرّهم على ما هم عليه، وبرزت مصطلحات فقهيّة مغلوطة تكرّست في الوسط الإسلامي المثقّف، وتدرّس في الجامعات، والمدارس المذهبيّة الإسلاميّة، كانت هي التي ضربت المفاهيم القرآنية.

ونحنُ في هذا البحث المتواضع نقدّم مناقشة موضوعيّة مختصرة، لدور الرّسول والرّسالة العالمي، وموقف أهل الكتاب (اليهود والنّصارى) من الرّسول والرّسالة، وقراءة الخطاب القرآني وأفقه الواسع، على ضوء ما قدّمه السّيد/ حسين بدرالدين الحوثي (رضوان الله عليه)، في

الدّروس والمحاضرات، وبالذّات ما ورد في سورة الأعراف الدّرس الثامن والعشرون من دروس رمضان، وكلّ ما سنستشهدُ به في هذا الموضوع من نصوص وكلام للشهيد القائد فهو منقول من الدرس الثامن والعشرين، والتنبيه هنا يغنينا عن الإشارة للمصدر بعد كلّ نصٍّ ومقطع نورده.

أولاً: عالميّة الرّسول

تعتبر شخصيّة الرّسول بالنسبة لرسالته أيضاً عالمية، لا تتأطّر بأيّ أطر قوميّة من حيث الموقع الجغرافي مثلاً، أو البيت، أو اللّغة، وقد أكّد (المُرسِل)، وهو الله سبحانه وتعالى أنّه أرسله عالميّاً فقال: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين**﴾[الأنبياء:١٠٧]، بمعنى أنّ وضع البشر، والعالم لا يستقيم وتصلح أموره إلاّ بهذا الرسول، وهذه الرّسالة، وكونها عالمية مقبولُ الإيمان بها يقيناً، وتصديقاً حتّى مع أهل الكتاب أنفسهم، لأنّ الرسول والرسالة امتدادٌ لكلّ رسل الله، ورسالاته السابقة، باعتبار ما جاء به مصدّقاً لما معهم، ولما بين أيديهم من الكتاب ممّا جاء به موسى، وعيسى، وجميع أنبياء الله ورسله، فكانت رسالته رحمةً من الله مهداةً للعالمين، ونحن نرى وضع العالم اليوم (الملخبط)، والفوضى العارمة، والفساد الظاهر، وسوء تردّي الوضع محلياً، واقليميّاً، ودولياً، وعالميّاً، ولا يمكن صلاحه، واستقامته إلاّ بالنّظام العالمي الإلهي، الذي تضمنته، وجمعته رسالة الرّسول (محمّد) (صلّى الله عليه وآله وسلم)، وقد جاء في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾[الأعراف:١٥٨]، وهذا كما يقول السّيد: **(إعلان صريح ليس فقط يستوحى من رسالته أنها رسالة عالمية هذا إشعار للناس بتبليغ من الله أنّ الله هو الذي يقول له أن يقول للناس بأنّه رسول إليهم جميعاً، فإن كان بنو إسرائيل يعتبرون أنفسهم من الناس فهو رسول إليهم كما هو رسول إلينا)**، وقد أكدّت هذه الآيات في سورة الأعراف على ضرورة الإيمان به من النّاس جميعاً، بأنّه عالميّ، ورسالته عالميّة، ولهذا جاء بعدها: ﴿**الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون**﴾[الأعراف:١٥٨].

أ. النبيّ الأميّ:

عرف عن النبيّ الأميّةُ فيما يتعلق بالقراءة والكتابة، وقال عنه القرآن الكريم: ﴿**النبيّ الأميّ**﴾، وكونه أُميّاً، أي لا يقرأ، ولا يكتب، لا يؤثّر على رسالته العالميّة، وليس صحيحاً ما يقوله البعض: بأنّه كان يكتب، بل هو أميّ فعلاً، لا يقرأ، ولا يكتب، كما يقول السّيد، وقولهم: كيف يمكن أن يكون نبياً لا يقرأ، ولا يكتب، والكتابة تعتبر فضيلة، وصفةً كماليّة؟ يجيب السّيد على هذا التساؤل بقوله: (**كونه أميّ هي صفة كماليّة بالنسبة لدوره هو، تعتبر آية، لا تعتبر سلبية بالنسبة له، وفي القرآن ما يؤكد هذا، ومعروف في المجتمع بأنّه لا يقرأ ولا يكتب**)، ويضيف السّيد: (**بل تجد بأنّ لها قيمة كبيرة كآية من آيات الله تبعد رسالته عن أيّ شبهة، كان يوجد مجتمع بني إسرائيل، كان هناك مجتمع يهود ونصارى، لو أنّه يكتب، ويقرأ، لقالوا ربّما أنّه درس هنا أوهناك**)، هذا من ناحية التأهيل العلمي فيما يتعلق بالقراءة، والكتابة، كما يقولون.

ب. الموقع والبيئة:

وأمّا من حيث المكان الجغرافي، والبيئة العربيّة، فيما يتعلق بالمولد، والنّشأة، وبيئة الرّسالة، فلا يعني هذا أنّه نبيّ العرب، كمّا يُقدّم اليوم ويتعامل معه، فالله يقول بأنّه رسوله للعالمين جميعاً، وهو من يحدّد الزّمان، والمكان، والدّور، والمهمّة، يقول السّيد: (**عندما نسمع هذه العبارة: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾**[الأعراف:١٥٨] **بمعنى أنّه رسول للبشر جميعاً، يجب أن تعرف موقع الأرض بالنسبة لله سبحانه وتعالى أنها ليست إلاّ جزءً من ملكه، الآن يقولون في هذا الزّمن بأنّ كواكب أخرى قريبة أكبر من الأرض، المريخ مثلها عدّة مرّات، هذا النّجم الذي نراه، هي ليست إلاّ كوكباً صغيراً، تعتبر الأرض هذه من الكواكب الصغيرة، عندما يقول: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[الأعراف:١٥٨]، النّاس أليس موقعهم هنا على الأرض؟ على الكوكب هذا الصغير؟ إذاً عند الكثير من النّاس يكون عنده أن يكون هذا الدين للنّاس جميعاً يعني: العالم هذا! يراها وحده كبيرة! الأرض في ملك الله قد تكون مثل قرية، أو أقلّ**) ويضيف: (**إرجع إلى كتب الجغرافيا الخرائط تجد كيف نسبة الأرض، ليست إلاّ نسبةً بسيطة**)، لذا ليس سعة الكون عائقاً أمام عالميّة

الرّسالة، بل إنّ الأمريكييّن، والإسرائيليّين لديهم توجّه، ومطامع للإستيلاء، والسّيطرة على العالم، يقول السّيد: **(نقول أكثر من مرّة: بأنّ الأمريكييّن الآن يرونها صغيرة الأرض، بنو إسرائيل كذلك عندهم أنّ بالإمكان أن (يدّيولوا) عليها كلّها، عندهم طمع بحيث أن رؤيتهم أكبر من الأرض)**، ويرى السّيد أنّ الخلل فينا نحن المسلمين، حيث لم تعد رؤيتنا قرآنيّة، إلى درجة لم نستسغ أن يكون نظام الإسلام عالمياً، مع أنّ التّرتيبات الإلهيّة تواكب مسيرة الرّسالة، وحركة الرّسول بحيث يكون هذا الدّين قابلاً لأن يكون نظاماً واحداً للعالم كلّه، وقابلاً لآن يعمّم وهذ ما سنتناوله في سياق الموضوع.

ويضيف السّيد: **(هنا يلفت نظر الإنسان بعبارة السموات والأرض، لتصغر عندك الأرض، عندما يقول: للعالمين، تكون أنت تتصوّر هذه أكبر شيء في العالم، الذي له ملك السموات والأرض، والكلّ عباده، هو الذي له الأمر والحكم فيهم، وفي نفس الوقت أيضاً السموات في ملكه)**.

جـ.لغة الرّسول والرّسالة:

تعتبر اللّغة العربيّة هي لسان الرّسول، والرّسالة التي نزل بها القرآن الكريم، و من حيث الوضع العربيّ، واللّغة العربيّة للرّسول والرّسالة، فلا يعني هذا أنّه يحمل عنواناً مناطقيّاً لأمّة معيّنة، حتّى في كونه عربيّاً، فهذا الإختيار لم يأت على أساس إعتبارات عرقيّة، أو قوميّة، بل الإختيار وقع على أرقى لغة قابلة لأن تكون عالميّة بعالميّة الرّسالة، يقول السّيد: **(عندما يقول هنا: للنّاس جميعاً الله يعلم بأنّ العالم بحاجة إلى لغةٍ واحدة، تكون لغةً عالميّة على الأقلّ، وإن كان هناك لهجات أخرى، وأنّ أرقى لغة، وأفضل لغة، وأسرع لغة قابلة للإنتشار هي اللّغة العربيّة، وأجمل لغة، وأقوم لغة، لم تختار على أساس قوميّ، باعتبارها أقوم لغة من اللّغات السائدة في البشر)**، وعلى هذا يكون الرّسول والرّسالة عالميين من جميع الجوانب، والإتجاهات، ونعرف أن اضمحلال اللّغة العربيّة سببه ضياع المسلمين، وابتعادهم عن الرّسول والرّسالة، ورؤية القرآن الكريم، وباعتبارها محاربةً من أعداء الرّسول والرّسالة، وأنّ اللّغات الأخرى المفروضة اليوم مرتبطة بحركة العالم الصناعيّة، والتّطور الحضاري، والعلميّ الذي حصل على يد أعداء الرّسول والرّسالة، عندما فرّط المسلمون في رسولهم، ورسالتهم، وفرض عليها واقع وطابع قومي.

ثانياً: عالميّة الرّسالة

رسالة الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم عالميّة بعالميّته، ورسالته هي القرآن الكريم، بل إنّ مسيرة الحياة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمسيرة الرّسول والرّسالة، وهذه صفة متلازمة لا يمكن صلاح الحياة العالميّة إلاّ بها، وقد تضمّن القرآن الكريم آيات صريحة، وواضحة تؤكّد عالميّة الرّسول والرّسالة، وأعطى مهمة الرّسول (الرّسالة) بعداً عالمياً إقليميّاً، ودوليّاً، بحيث لا يبقى أمام كلّ فئات النّاس إلاّ الإيمان بالرّسول والرّسالة، كما تقرّر الآيات القرآنيّة.

أ. (وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين) :

تقرّر هذه الآية بوضوح عالميّة الرّسول والرّسالة، والتأكيد واضح في قوله: ﴿**للعالمين**﴾ الذي قد يتجاوز عالم البشر إلى عوالم أخرى تشمل الجنّ والإنس كما وضحته آيات أخرى، وعندما يقول للعالمين فلا شكّ أنّه لا يقصد العرب لوحدهم، وإنّما كلّ شعوب العالم، كما سبق في قوله تعالى﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾[الأعراف:١٥٨]، مهما توسع العالم، وتكاثر سكانه، والخطاب القرآني العالميّ لا يرتبط بوضع جغرافيّ، وديمغرافيّ معيّن، ولأنّ الرّسول هو من الله ورسالته كذلك، فإنّ الله هو ربُّ العالمين، ورسوله ودينه للعالمين، ورسالة الرّسول هي الرّسالة الجامعة لكلّ الرّسل والرّسالات الإلهيّة السابقة، وقد بشر به كثير من الأنبياء والرّسالات، وبالذّات التوراة والإنجيل، وذكر فيها باسمه مكتوباً، كما ذكر الله في القرآن في قوله: ﴿**الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ**﴾[الأعراف:١٥٧]، كما سيتبيّن لا حقاً، فلا تعارض بين رسالته، ورسالة موسى، وعيسى، وجميع أنبياء الله، وموقف اليهود والنّصارى الكافر بالرّسول والرّسالة ليس على شيء، وليس أمام أهل الكتاب إلاّ الإيمان برسالة الرّسول وإلاّ فإنّ الكفر به، وبرسالته، هو كفر برسالة موسى وعيسى، ودور الرّسالة هو امتداد لمهمّة الرُّسل السّابقين ضمن سلسلة واحدة في عالم الرُّسل والرّسالة، ومهمّة هذه الرّسالة العالميّة هي الهدى، والحقّ، والرّحمة، وقد تضمّنت رسالة الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم توضيح دور الرُّسل السّابقين ومهام رسالاتهم.

ب. ليظهره على الدّين كله:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[التوبة:٣٣]، وفي آية ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾، توضح هذه الآية أنّ عالميّة الرّسول والرّسالة متواصلة إلى آخر أيام الدّنيا، وأنّها مبنيّة على أساس أنّها رسالة للعالمين، وأنّها في أساسها قابلةً للتطبيق في أن تكون للعالمين، وأنّ (المُرسِل) وهو الله، أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه، وظهور الدّين على كلّ الأديان وإن لم يتحقق بعد، إلا أنّه واقعٌ لا محالة، ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، مع أنّ ظهوره هو ظهور علوٍّ وغلبة، بحيث تكون له السّيادة، والقرار العالميّ، وظهور الدّين عالمياً الذي سيقع قريباً إن شاء الله هو ظهور للرّسول نفسه، وله اليد الأولى في عملية الظهور الموعود الّذي يعتبر ظهوراً له كما وعد الله سبحانه وتعالى، وكلمة ليظهره على الدّين كلّه ليست مرتبطة بواقع إقليمي معيّن من الأرض، وليس معها حدود معينة لا تتجاوزها، بل حدودها هذا العالم بكلّه كما يقول السّيد: **(ليس معها حدود حدودها العالم، لأنّ هذه رسالة عالمية)**، كما أنّها لا تخضع لضغوطات معيّنة، ولا يمكن أن تصطدم بشيء يعيق عمليّة ظهورها، وكلمة ليظهره تؤكّد قابليّة الرّسالة للتطبيق والظّهور، وهذا الوعد الإلهيّ يبعث الأمل العمليّ في نفوس المسلمين يقول السّيد: **(أليست هذه الآية مما يبعث الأمل في نفوس المسلمين)**، ويضيف: **(هذا كان مما يجب أن يكون محطّ أمل عند المسلمين، وليعلموا بأنّهم سيظهرون فعلاً في هذا العالم على الأديان كلّها)**، إذاً ليس هناك شيء مُحبط، ولا معيق في عمليّة ظهور الرّسالة والرّسول عالمياً، وهذا وعد إلهي قاطع، ومعناه أنّ الترتيبات الإلهيّة كلّها قائمة على أساس ظهور الدّين، وأنّ نصر الرّسالة سيكون عالمياً على كلّ أعدائها، مهما كانت الظّروف والتّحدّيات، وأنّ الله سيخلق من المتغيّرات ما يهيئ لظهور الرّسالة يقول السّيد: **(هو بالشكل الذي يبني أمّة، هو رسالة عالميّة، وهو بالشكل الذي قابل أن يكون رسالة عالميّة)**، ويضيف قائلاً: **(والوعود هذه كلّها مبنيّة على ماذا؟ على هذه الرؤية الواسعة، لا تقل بأنّه ربّما قد يكون فقط لإقليم معيّن من الأرض، وقد تكون الوعود الإلهية كلّها محصورة فقط فيما إذا تحرّك هذا الدّين في هذا الإقليم فقط، أما من خارج ربّما لا)**، ويؤكّد السّيد: (رضوان الله عليه) بأنّ كلّ الوعود الإلهية قابلة للتّطبيق وممكنه، لكنّ المشكلة أنّ نفسيات

المسلمين أصبحت كنفسيّات بني إسرائيل وأسوأ، عندما كتب الله لهم دخول الأرض المقدّسة ولم يثقوا بوعده، وما كتبه لهم، فيقول: **(كلمة ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[التوبة:٣٣] واضحة، يظهره على الدّين كلّه في الأرض هذه، ثمّ ﴿لَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ﴾[الحج:٤٠] ليس معها حدود حدودها العالم، لأنّ هذه رسالةً عالميّة، لا يمكن من ينصره تكون فقط في إقليم معيّن، من ينصره بهذا الشكل الواسع، لتكون رسالته عالمية، ما هو قابل للتحديد، لا يمكن أن يصحّ هنا أن أقول رسالته عالميّة، لكن وعده محصور، يجب أن تنظر إليها مثلما يقول هو في موضوع الرّسالة أنّها للعالمين)**.

جـ.الموروث الفكريّ وعالميّة الظّهور:

قد يصطدم البعض بما يراه معوّقات من وجهة نظره تحول دون إمكانية الظّهور العالميّ للرّسول والرّسالة فيصاب بالإحباط واليأس، سواءً ما كان منها ثقافات عالميّة، أو ما كان من التّراث، والموروث الفكريّ الإسلاميّ الذي خلق معوّقات في عالميّة الظهور، وهنا يركز السّيد على الثّقة بالوعد الإلهيّ، ويبيّن الطريقة الّتي تحول دون المعوّقات يقول: **(أن تكون رسالة للعالمين، وأنت تجد العالمين ثقافات كثيرة وأشياء كثيرة، يجب أن تثق بأنّ هذه الرّسالة هي بالشكل الذي يظهر على الكلّ)**، ويؤكّد أن الإستسلام للثّقافات الأخرى لن يجعل هناك إمكانيّة للظّهور، ولا في قرية واحدة، فيقول: **(إذا أنت تعود إلى الأشياء الأخرى، إلى الكتب الأخرى، ما معنى ليظهره، ليظهر كتب المذاهب هذه، في الفقه، والأصول، والأشياء هذه، وكتب التّرغيب والتّرهيب، أنّها هي التي ستظهر على الدّين كلّه، لن تستطيع أن تظهر ولا في إقليم واحد)**، ويرى السّيد أنّ الموروثات هي الّتي أطّرت الدّين في وضعيّة معيّنة، لذا يجب التخلّص من أيّ رؤية قاصرة تُقدَّم، وإلاّ فسيصطدم بها البعض ويحبط، فيقول: **(الأشياء الأخرى التي قدّمت في الفقه، في كتب الحديث، والتفسير، وأشياء من هذه، غير قابلة أن تكون مقبولة هنا فضلاً عن أن تظهر، ستصطدم بواقع، بسنن، مثلما اصطدمت داخل البلاد الإسلامية هنا)**، ويضرب مثلاً لذلك بما كان يعانيه بعض أئمة أهل البيت من المفاهيم، والنّظريات التي قُدّمت في كتب الفقه والأصول، يقول: **(في تاريخ أهل البيت، هنا في اليمن في إقليم واحد، كان يقوم بعض الأئمة واصطدم بمسائل فقهيّة وأصوليّة هنا داخل اليمن، ثم يحاول من جديد يبيّن بطلانها، وأنّها هي لا تشكل عوائق أمامه، رؤى فقهيّة أو مفاهيم عقائديّة معيّنة، أو قواعد أصوليّة، كان يصطدم بها في**

إقليم واحد في العالم).

د. وضعيّة الظّهور وسنّة الاستبدال:

تساؤلات عديدة قد تبرز عن كيفيّة الظّهور العالميّ للرّسول والرّسالة؟ في ظلّ هذا الوضع الإقليميّ، والدّوليّ المعقد؟ ووضعيّة المسلمين اليوم؟ وقد تبيّن من خلال ما سبق قابليّة الرّسالة للظّهور، والوعود الإلهيّة الصّارمة الّتي تبعث الأمل بحقيقة وعود الله، وتبيّن لنا ضرورة التخلّص من كلّ نظريّة تشكّل عائقاً، وتصنع العراقيل، في مسيرة الظّهور العالميّ، يُوضّح السّيد هنا وضعيّة معيّنة للظّهور، وسنة إلهيّة في الظّهور والإستبدال مرتبطة بحركة البشر، فيقول: **(وترجع إلى السّنة الإلهيّة في ظهور الأشياء، أنّها هنا في الأرض مربوطة بالبشر، ليس معنى ظهوره بأنّه سيجعل مثلاً من المصاحف ينزل على أمريكا وأوروبا، وتلك الدنيا بكلها)**، بل يتحقّق الظّهور بالعودة إلى منطق الدّين وسياسته يقول السّيد: **(ترجع إلى منطقه هو، منطق هذا الدّين أليس منطقه هنا منطق قيومية، منطق سيادة، منطق واقع يسود، وليس مجرّد كلام، أو مجرّد حجّة، ليظهره يسود، يكون هو الأعلى بسيادته على الأرض)**، ويضيف أنّ السّنة الإلهيّة مرتبطة بوضعية البشر فيقول: **(القضيّة هي مرتبطة بالبشر، بالتأكيد هي مرتبطة بالبشر، على حسب ما هو معروف من سنن الله سبحانه وتعالى)**، وتتضح الرؤية أكثر في قوله: **(فعندما يقول ليظهره على الدّين كلّه فلتفهم بأنّ الترتيبات الإلهيّة بالشكل الذي يرى واقعاً أنه ممكن أن يظهر، لا يقول ليظهره ثمّ يعمل أمامك صخرة مثل الجبل ملساء، وليس معك ما يمكنّك تطلع فوق هذه، ولا يعطي لك أيّ وسيلة هو لا يقدّم مستحيل، عندما قال: ﴿ليظهره﴾ أي ستكون ترتيباته بالشّكل الّذي يكون قابلاً لأن يظهره على الدّين كلّه)**.

إذاً وضعية العرب الآن غير قابله لإظهار الدّين بما هم عليه إطلاقاً، ما لم يغيّروا وضعيّتهم، ورؤيتهم، وثقافتهم، وهم أمام امتحان واختبار إلهي عملي، حتّى يظهر منهم فعلاً الإهتمام بهذا الدّين الموعود بالظّهور، يقول السّيد: **(بمعنى أنّه ربّما قد تكون القضيّة لا يحصل ظهور لنأس، والمطلوب أن يظهروا بدينه، إلاّ وقد عرض لهم شيء يظهر من خلاله اهتمامهم بدينه، تغفر به الخطيئات، وفي نفس الوقت يكونوا قابلين للظّهور، هو لن يأتي يقول مثلاً: يظهر العرب بما هم**

عليه الآن، يبدو مستحيلاً، لأنّ الوضعيّة التي هم عليها الآن ليست وضعيّة من يظهر على آخرين، وضعيّة من يُضْرَبُ بآخرين)، هنا نعرف السّنة الإلهيّة في الظّهور، وضرورة تغير الوضعيّة، فالعرب الّذين يفترض بهم أن يكونوا حملة هذا الدّين، والعاملين على تحقيق وعد الله بالظّهور العالميّ للرّسول والرّسالة هم في وضعيّة تحت، وضعيّة من يُضرب على يد الآخرين، يقول السّيد: **(عندما يقرأ واحد آية ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾**[الصف:٩] **لا تتصوّر بأنّ معنى يظهر بالنّوعية هذه من العرب، لأنّك تجد النّوعية هذه من العرب هي نوعيّة من يضربوا، هم مبدِّلين)**.

هـ . رؤية عمليّة للظّهور:

يقدّم السّيد هنا خطةً عملية للظّهور، هي رؤية القرآن الكريم، تتمثّل بضرورة التّغيير الثّقافي أوّلاً، مالم فلا يمكن أن يتحقّق الظّهور، وسيبقى النّاس في هبوط مستمرّ، لأنّ الظّهور مرتبط بالدّين الحقّ، كما قال الله في آية الظهور، ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ يقول السّيد: **(دينه أساسه كتابه، كتابه تجده في الأخير بشكل يعطي فعلاً صورة عن البشر، يشخّص البشر، تشريعه، حركته قابلة لئن تستوعب البشر، وتهذبهم، وتجعلهم يسيرون على نمط واحد)**، والظّهور مرتبط بالقرآن الكريم وثقافته، وهو التّغيير الثقافيّ الذي يجب أن نعود إليه، وباعتباره رسالة عالميّة قابلة للتّطبيق متحرّراً من أيّ عناوين مذهبيّة، وطائفية، وقوميّة، يقول السّيد: **(القرآن غير قابل لئن يصطدم بشيء أبداً، وقابل لئن يظهر على الأديان كلّها، وهو نفسه لا يحمل عنوان أمّة معيّنة حتّى في كونه عربيّ)**، وكونه عربياً هو قائم على جودة الإختيار كما سبق في عالمية الرّسول، ولسان الرّسالة، والرّسول العربيّ.

لا بدّ من تحرّك عمليّ في الميدان، يتطابق مع عالميّة الرّسول والرّسالة متحرّراً من كلّ الأطر المذهبيّة والقوميّة، وهذا يكون من خلال القرآن فقط، يقول السّيد: **(عندما تنطلق على أساس أيّ مذهب آخر لن تظهر، لا يُتوقّع على الإطلاق أن يظهر النّاس منطلقين على أساس أيّ مذهب آخر، إلاّ على القرآن، ولهذا قال هناك: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ - دين الحق- ﴿ليظهره﴾ يظهر دين الحقّ، الأشياء الأخرى لم تعد حقاً، لن تظهر أبداً، دينه الحقّ هو كتابه، وما فيه من سنن إلهية بالنسبة لحركة عباده، كيف يبتني عباده على أساسه)**.

لم يكتف السّيد بطرح الموضوع فقط، وإثرائه، ومناقشته، بل قدّم رؤية عمليّة في طريق الظّهور بالدّين، وعالميّة الرّسول، والرّسالة، وتَحرَّك في الميدان بحركة القرآن الكريم، متحرّراً من كلّ الأطر الضّيّقة، وقَدَّم عملاً عظيماً يُظهر مدى الإهتمام بهذا الدّين، وكان الشّعار هو الصرخة الأولى في هذ الطريق، وفق الثقافة القرآنيّة، يقول السّيد: **(إذاً عندما نتحرّك نحن في هذا الموضوع، وعلى أساس القرآن، لا يمكن للنّاس أن يقولوا: إنّهم يقرؤون، وليس لهم دخل، وربّما في الأخير يُظهر الباري الدّين، وسيظهره لهم، لازم عمل يتبيّن أنّهم مهتمّون بدين الله، أنهم مهتمّون بعباد الله)**، ويؤكّد السّيد: (رضوان الله عليه) أنّ العمل وفق ثقافة القرآن الكريم، ورفع الشعار يظهر منه الإهتمام بالدّين والغضب لله وفي سبيله، والإستعداد لبذل كلّ ما بالوسع من أجل هذا الدّين فيقول: **(في الأخير يأتي للنّاس – ربّما – عمل بسيط، ألا يعتبر عملنا هذا عملاً بسيطاً؟ شعار نعمله ويكون له أثر كبير، ويُظهر في نفس الوقت إهتمام النّاس بدين الله، يُظهر غضبهم على أعدائه، يُظهر أنّهم قابلين أن يعملوا ما بوسعهم من أجله)**، ويختم السّيد حديثه بضرب مثلاً من واقع بني اسرائيل عندما كتب الله لهم وأمرهم دخول المدينة، وفق خطة عمل تغفر لهم خطاياهم، لأنّه لم يكن ممكن دخولهم المدينة، وظهورهم، على ما هم عليه من خطايا، لا بدّ من قول كلمة (حطّة)، وكيف ظهروا متخاذلين، وقد وعدهم الله بالظّهور والغلبة، وقد ظهر عسكرياً إمكانية دخولهم، محذراً من خطورة التّراجع عن العمل فيقول: **(إذا لم يعمل الناس سيكونون مثل بني إسرائيل عندما يقول لهم أن يقولوا حطة، فبدلوا قولاً آخر)**.

الرسول .. رسالة عالمية قابلة للتطبيق (٢)

قدّمت بعض الأطروحات، والكتابات، والخطابات رسولَ الله (صلّى الله عليه وآله وسلم)، ودين الإسلام بطريقة مغلوطة، أطّرته بأطر قوميّة، وقزّمت دوره، وحجّمت رسالته التي جعلها الله الرسالة العالميّة الخاتمة، وهو الرّسول العالميّ الخاتم، وقد أمره الله بالصّدع بهذا عالمياً في قوله تعالى: **(قل يا أيّها النّاس إنّي رسول الله إليكم جميعاً....الخ)**، وقال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[الصف:٩]، وفي آية أخرى: ﴿**وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾، وللأسف الشّديد أنّ الخطاب القرآني الذي يبرز سِعَةَ حجم الرسالة، ودور الرسول لم يعد هو الرؤية المعمول بها في الساحة الإسلامية اليوم، بل ترى كثيراً من مصادر، وكتب التراث، والموروث الإسلامي تتعاطى مع الرسول، والرسالة بأفق ضيق، ودور محدود، وكأنّه نبيّ للعرب فقط، حتى ساد هذا الخطاب، وأصبح ثقافة إسلاميّة يعتمد عليه كثير من قادة الفكر، والسّياسة في مواجهة الصّراع الحضاري، أو ما يسمّى (بحوار الحضارات، أو الأديان)، بينما الخطاب القرآني هو الذي يعيّن وظيفة الرسول، ويحدّد دوره ورسالته.

لقد استطاع أهل الكتاب التغلغل وسط هذه الثقافة الزائفة لتقليص دور الرسول والرسالة، وفرض أنفسهم عالمياً، بل وصل الأمر إلى درجة انتزاعهم لصكوك يشرعنها لهم من يجهل الخطاب القرآني، حتى يبدو وكأنّ القرآن أقرّهم على ما هم عليه، وبرزت مصطلحات فقهيّة مغلوطة تكرّست في الوسط الإسلامي المثقّف، وتدرّس في الجامعات، والمدارس المذهبيّة الإسلاميّة، كانت هي التي ضربت المفاهيم القرآنية.

ونحن هنا نقدّم مناقشة موضوعيّة مختصرة، لدور الرّسول والرّسالة العالمي، وموقف أهل الكتاب (اليهود والنّصارى) من الرسول والرّسالة، وقراءة الخطاب القرآني وآفاقه الواسعة، على ضوء ما قدّمه الشهيد القائد السّيد/ حسين بدرالدين الحوثي (رضوان الله عليه)، في الدّروس

والمحاضرات، وبالذّات دروس من سورة الأعراف[1]، وننوّه إلى أنّه سبق تقديم وعرض القراءة الأولى بنفس عنوان البحث **"الرسول .. رسالة عالميّة قابلة للتطبيق"** في محورين رئيسين هما: **"عالميّة الرّسول وعالميّة الرّسالة"**، وهنا نستكمل بقية البحث في أربعة محاور رئيسية هي **"الثالث، والرابع، والخامس، والسادس"** والله الموفق والمعين.

ثالثاً: الخطاب القرآني لبني إسرائيل

على ضوء ما نناقشه في هذا البحث ممّا تناولناه في الموضوع السابق، وما سنتناوله في هذه الحلقة، وفي سياق هذه الآيات المباركة من سورة الأعراف من الآية (١٥٦) إلى آخر السّورة، نلحظ أنّ الخطاب الذي تناول الحديث عن بني إسرائيل هو خطاب موجّه للموجودين منهم في وقت نزول القرآن الكريم مباشرة، المعاصرين للرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ليتبيّن من خلاله أنّ النصوص الموثّقة لديهم الدّالة على نبوّته هم يعرفونها حقّ المعرفة، وموجودة لديهم في كتبهم، ومعرفتهم -بالرّسول، وصدق نبوّته، ورسالته حقّ ويقين لديهم- كما يعرفون أبناءهم، ونكرانهم إنّما هو جحود وكفر محض كما قال الله عنهم: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ**﴾[البقرة:١٤٦]، ورسالة الرّسول مصدّقة لما بين أيديهم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ**﴾[البقرة:٤١]، يعني ما كان ينبغي لكم مع معرفتكم به ويقينكم، وعلى ضوء ما بين أيديكم، ومعرفتكم بالسُّنن الإلهيّة أن تكونوا أوّل من يكفر بالرّسول ورسالته، بل كان المفروض أن تكونوا أنتم أوّل من يؤمن به ويتبعه، وفي هذا يقول السّيد (رضوان الله عليه): **(الخطاب للموجودين من بني إسرائيل، بالنسبة لنزول القرآن، ليس معناه أنه قال في ذلك الوقت فيما يبدو من الآيات هذه: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[الأعراف :١٥٧].

(١) سورة الأعراف دروس رمضان الدرس الثامن والعشرون.

ويضيف (رضوان الله عليه):

(الآية هذه تؤكّد بأنّ بني إسرائيل ملزمون بأن يؤمنوا برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)**، ويتّبعوه.. مع آيات كثيرة في هذا السّياق أنّ بني إسرائيل ليسوا حالة استثنائية عن البشر)**.

ويضيف قائلاً:

(هذه النّصوص القرآنية تؤكّد التوثيق النّصي لديهم لنبوّة الرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **وهذه النصوص لا زالت موجودة ليومنا هذا)**.

أ. سُنّة التّبشير بالأنبياء:

في السُّنة الإلهيّة أنّ كلّ نبيّ يبشّر بالّذي يليه، وبنو إسرائيل على معرفة بالسُّنن الإلهية باعتبارهم أصحاب خبرة دينيّة، ومعرفة تاريخيّة بسنن التّبشير بالأنبياء (صلوات الله عليهم) من خلال ثقافتهم وموروثهم الديني، وما بعث الله في أوساطهم من أنبياء ورسل مبشّرين ومنذرين، وقد حكى الله في القرآن الكريم تبشير نبيّ الله موسى بنبيّ الله عيسى (عليهما الصلاة والسلام)، وتبشير نبيّ الله (عيسى) برسول الله محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) في قوله تعالى في سورة الصّف: ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾[الصف:٦]، وكم جاء من نصوص توثيقيّة للرّسول والرّسالة في التّوراة والإنجيل، وفي هذا يقول السّيد (رضوان الله عليه): **(هذه القضيّة هم مؤمنون بها بأنّها سنّة، بأنّها سّنة إلهية؛ لأنّه في كتبهم هم، وفي تاريخهم هم يعرفون بأنّ النّبيّ المتأخّر يبشّر به النبيّ السّابق، أنّه في سلسلة النبوءات أنّ النّبيّ الفلانيّ يبشّر بأنّه سيأتي بعده نبيّ، وهذا يبشّر بمن يأتي بعده، وهؤلاء يبشّرون بمحمّد** (صلوات الله عليه وعلى آله))**.**

ب. توثيق نبوّة النبي:

وقوف أهل الكتاب موقفاً سيئاً من الرّسول والرّسالة هو موقف الكفر والجحود بالرّسول والرّسالة، بل تعاملوا مع الكتب الإلهيّة بطريقة خاضعة للأهواء، سيطر عليها الإنحراف والضّلال، وحرّفوا كلام الله سبحانه وتعالى وبدّلوه، فما كان موافقاً لأهوائهم وضلالهم،

وانحرافهم السّياسيّ والثّقافيّ أظهروه ونشروه، وما كان مخالفاً أخفوه، وحرّفوه، وبدّلوه، واحتكر الأحبار والرّهبان الضّالون منهم الكتب الإلهية، وعبثوا بها، وأخفوا منها الشيءَ الكثير، كما قال الله سبحانه وتعالى لهم: ﴿**تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا**﴾[الأنعام:٩١]، وكانوا يؤمنون ببعض، ويكفرون ببعض كما ذكر سبحانه وتعالى عنهم في القرآن الكريم، ومع كلّ هذه الأهواء والافتراءات بقيَتْ نصوص مكتوبة تُوثّق نبوّة الرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، في كتبهم ممّا يسمّونها بكتب "العهد القديم"، وكتب "العهد الحديث" لا زالت هناك نصوص مبشّرة بنبوّة الرّسول، لا تنطبق إلاّ عليه، يقول الشّهيد القائد (رضوان الله عليه):

(مع أنّه قدّم ما هم عليه مجموعة من الضّلال، والافتراءات، والأهواء، والله أعلم ما هي الأشياء التي ما زالت تعتبر صحيحة مخفيّة، هي نادرة عندهم، هنا يعطي توثيقاً: ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾[الأعراف:١٥٧] **فعلاً مكتوباً عندهم، بالنسبة لرسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله)**، أنّه سيبعث الله رسولاً كذا كذا.. يعطي علامات له، مثلما ذكر أنّ عيسى بشّر به على النحو الفلاني، ذكره في سورة أخرى: ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾**[الصف: من الآية٦].

جـ .نصوص في التوراة والإنجيل تبشّر برسول الله:

رغم جهدهم وسعيهم لطمس أيّ نص يوثّق لنبوّة الرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله) من داخل التوراة والإنجيل إلاّ أنّ بعض النّصوص بقيَتْ محفوظة، ولا زالت إلى يومنا هذا باعتراف كتّاب مسيحيّين ويهود، بحثوا في التّوراة والإنجيل، واصطدموا بنصوص مبشّرة بنبيّ يبعثه الله بعد عيسى (عليه الصلاة والسلام) لا تنطبق إلاّ على رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، يقول السيد (رضوان الله عليه):

(ما يقدّمونه الآن على أساس أنّه توراة أو إنجيل ترى ما تزال فيها عبارات – فعلاً – توحي بأنّها لا يمكن تنطبق إلاّ على محمّد (صلوات الله عليه وعلى آله)**)**.

وقد نُشرت كتابات لباحثين مسيحيّين، ومناظراتٌ تثبت اعترافهم بهذه النّصوص الّتي لا تنطبق إلاّ على رسول الله، وتوثّق لنبوّته توثيقاً حرفيّاً ووصفيّاً، يقول الشهيد القائد:

(هناك كاتب مسيحي كتب كتاباً جميلاً في هذا الموضوع، أصله كان لاهوتي، صاحب فلسفة لاهوتية وأسلم بعد، جمَّع كثيراً من الأشياء وجد بأنها لا تنطبق إلا على محمد بشهادة تاريخهم هم، وما زالت موجودة في كتبهم، قد يكونون حذفوا الأشياء الظاهرة مثل عبارات صريحة، وما يزال بعضها يقولون في كتب الأناجيل إنجيل يسمى إنجيل [برنابا] ما زال فيه ذكر رسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **والبشارة به بشكل كامل، يخفونه المسيحيون، ولا يعترفون به، إنجيل برنابا)**.

وأمام هذه النّصوص التوثيقيّة يتّجهون نحو تمحّل تأويلها بتعسّف ترفضه هذه النصوص، رغم أنّ ما هو موجود الآن يعتبر شيئاً قليلاً ممّا كان موجوداً في السّابق، لأنّهم مع مرور الوقت والزّمن اجتهدوا وجدّوا في حذف، وإخفاء، وتحريف أيّ نصّ يوثّق للرّسول والرّسالة.

رابعاً: موقف أهل الكتاب من الرّسول والرّسالة

تبيّن فيما سبق، ومن خلال القرآن الكريم وواقع أهل الكتاب أيّام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وتاريخهم الطّويل تصلّبهم وعنادهم في محاربة الرّسول والرّسالة، والصدّ عن سبيل الله سبحانه وتعالى، بدافع الحسد، والحقد على العرب، والغيظ الشديد، من بعد ما تبيّن لهم الحقّ، فتارةً يشكّكون في صدق نبوّة الرّسول، وأخرى يكفرون بها، ويصدّون عنها، وإخفاء النّصوص الموثّقة والشّاهدة للنبوّة والرّسالة، وتحريفها، وتارةً يفرّقون بين الله ورسله، ومرّةً يزعمون بأنّ هذا دين يخصّ العرب وحدهم، ويُلبسون الرّسالة اللّباس الجغرافي والمناطقيّ، بل إنّهم أوّل من طرح موضوع تعدّد "الدّيانات" كما هو واضح عنهم في القرآن الكريم، وما عليه واقعهم من ذلك اليوم إلى وقتنا هذا، وفي سياق موضوعنا هذا تبرز أهمّ سمات واقعهم فيما يلي:.

أ. الإنزواء والكفر بالرّسالة:

الحديث عن ديانة يهوديّة، وديانة نصرانيّة حديث باطل منبعه من عند بني إسرائيل، لتحجيم دور الرّسول والرّسالة، وانتزاع صكوك تشرعن لهم اعترافاً بصحة ما هم عليه من ضلال وانحراف، يعفيهم من الإيمان برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) ورسالته، وهي

الغلطة الثقافيّة الكبرى التي لا زال خطرها، وأثرها سارياً إلى اليوم، فكيف يمكن تسمية ما لديهم بدين، والاعتراف به كديانة سماويّة كما يقولون، ومجمل ما لديهم مجموعة من الضّلال، والانحراف، والأهواء، وهذا الخطاب القرآني لم يعترف لهم بشيء مما هم عليه حتّى يؤمنوا بالله وما أنزله كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ**﴾[المائدة:٦٨].

وفي بداية هذه الآيات التي نتحدث عنها من سورة الأعراف يقول الله سبحانه وتعالى وهو يتحدث عن بني إسرائيل: ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[الأعراف:١٥٧]، وفي هذا الموضوع يقول السّيد (رضوان الله عليه):

(يبيّن ما هم عليه: أنّه مجموعة من الضّلال، مجموعة من الأهواء، والتحريفات، هل يمكن يقرّهم عليها، كيف يمكن يقرّهم عليها، ولم يقرّهم على ما يعتبر شريعة؟! لو كانت الأشياء ما تزال صحيحة لديهم لكانوا ملزمين أن يؤمنوا بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله)**، يؤمنوا برسالته، ويتبّعوه، لو كانت الأشياء كلها صحيحة عندهم، ما بالك ومجموع ما لديهم أهواء، وتحريفات، وضلال).**

وفي هذا تبيين لخطأ وخطورة من يقول بإقرارهم على ما هم عليه، ولكي نعرف كيف نتعامل مع أهل الكتاب لا بدّ من معرفة واقعهم، وتاريخهم، والتّشخيص القرآني لهم، فالواقع يشهد بمعرفتهم بالرّسول والرّسالة، لكن حصل داخلهم تثقيفٌ رهيبٌ جدّاً، بالطريقة المغلوطة التي جعلتهم ينزوون، وينطوون على أنفسهم، وتقييم واقعهم بشكل صحيح لا يكون إلاّ وفق السُّنن الإلهيّة، والخطاب القرآني، ويبرز في الموضوع أيضاً ضرورة وأهميّة تقييم وتشخيص واقعنا حتّى نكون بالشكل الذي يشكل جاذبيّة لهذا الدّين، ويخلق وعياً، واندفاعاً قوياً نحو الإيمان بالرّسول والرّسالة، لأنّهم يرقبون مسيرة هذا الدّين، ويراهنون على فشل هذه الأمّة في حمل الرّسالة، ويسعون جاهدين ليكون ذلك كذلك، حتّى لا يكونوا هم الفاشلون لوحدهم، يقول الشهيد القائد (رضوان الله عليه):

(لهذا لا يوجد إقرار، هي ليست مسألة إقرار أبداً، هي حالة تدخل ضمن مظاهر رحمة الله بالنسبة لعباده، مثلاً إذا افترضنا بالنسبة لبني إسرائيل هم ناس يعرفون الرّسالة، ويعرفون عادةً

كيف تكون الكتب الإلهية، لكن داخلهم حصل تثقيف رهيب جداً، سيئ جداً جعلهم ينزوون على أنفسهم بشكل كبير، هم يحتاجون إلى أن تتجلى الأشياء هذه هنا في واقع الحياة بشكل أكبر، تتجلى بشكل أكبر، وأمة تبرز تمثل في سلوكياتها، في مواقفها جاذبية؛ ولهذا جاء في آخر سورة [الحديد] هناك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[الحديد: من الآية٢٩]).

ب. تأويل النّصوص وتحريفها:-

من أبرز ما عرف به أهل الكتاب الجرأة الشديدة في افتراء الكذب على الله سبحانه وتعالى، وتحريف كلامه المنزل على أنبيائه كما قال الله عنهم : ﴿**يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ**﴾[النساء:٤٦]، وكان تحريفهم لكلام الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، وكانوا يكتبون كتباً بأيديهم ويقولون إنّها كتب الله التي أنزلها عليهم كما قال سبحانه وتعالى عنهم: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ**﴾[البقرة:٧٩] ويقول عنهم أيضاً: ﴿**وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُون**﴾[آل عمران:٧٨].

ومع كلّ هذا التحريف، والتّبديل، والتّزييف لم يستطيعوا فعلاً أن يخفوا كلّ شيء، وكان التّدخل الإلهيّ في موضوع حفظ النّصوص بارزاً وواضحاً بما يفضحهم، ويكشف زيف ادّعائهم، وباطلهم، يقول السّيد (رضوان الله عليه):

(وتلك الكتب التي ما زالت وهي نفسها قد هي محرفة، وبقايا، وليست نفس التوراة، ولا نفس الإنجيل، لكن ما يزال هناك فقرات توحي بمحمّد (صلوات الله عليه وعلى آله)).

ويؤكد السّيد أنّ هذا يعتبر من مظاهر رحمة الله سبحانه وتعالى فيقول:

(هذه قضية نقول: من مظاهر أنّ الله غالب على أمره فعلاً، لا يستطيعون أن يخفوه نهائياً، لكن

هم يركنون على التأويلات، مثلما حصل داخل الأمّة هذه، أليس هناك أحاديث في «علي»، وعندهم نصّ الحديث يوحي أنّه أفضل من أبي بكر، لكنّهم أخيراً يركنون على تأويل معين، وبقي النص، وقد هم راكنين على التأويل كلما وصلوا إليه وهم يقرؤونه ركنوا على ذلك التأويل المعيّن، أنّ معناه كذا، وبقي النص، احتفظ).

ج. التفريق بين الله ورسله:

يسجّل القرآن الكريم على صفحاته المباركة أنّ الإيمان به مقترن ومتلازم معه الإيمان بأنبيائه ورسله، بل هم الهداة والدعاة إليه، يقول الله سبحانه وتعالى ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ**﴾[البقرة:٢٨٥]...الخ، ويتضمّن الإيمان برسله الإيمان بهم جميعاً، وعدم التّفريق بينهم، وقد تعامل أهل الكتاب مع رسل الله سبحانه وتعالى تعاملاً مخالفاً لكلّ ذلك، خاضعاً لأهوائهم وأمزجتهم، مبتدعين التفريق بين الله ورسله، والتفريق بين رسله، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا، أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾[النساء:١٥٠، ١٥١].

وقد سبق التوضيح أنّ مقولة الدّيانات هي من التفريق بين الله ورسله، وأنّ منبع هذه الثقافة هم بنو إسرائيل كما حكى الله عنهم في قوله: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ**﴾[البقرة:٩١].

وعند قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً**﴾ [الأعراف: من الآية١٥٨]، يقول السّيد (رضوان الله عليه):

(أليست هذه تؤكّد؛ ليفهم بنو إسرائيل بأنّه ليس محمّد (صلوات الله عليه وعلى آله) **نبيّ للعرب، وهم هناك لوحدهم، هو رسول إلى النّاس جميعاً، بل قالوا: هم من زمان، واستمروا عليها إلى الآن، وعمموها في أوساط المسلمين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾**[البقرة: من

الآية٩١]، **يقولون: محمّد نبيّكم، نبيّ العرب، ونحن نبيّنا فلان، أليس هذا من التفريق بين الله والرّسل، والتفريق بين رسله؟ قال عنهم: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً﴾**[النساء: من الآية١٥١] **في سورة [النساء]، يفرّقون بين الله ورسله، مثلما قال: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾**[النساء: من الآية١٥٠] **يفرّقون بين رسله، ويفرّقون بين الله ورسله، قال عنهم في الأخير: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً﴾**).

خامساً: دور الرّسول والرّسالة مع أهل الكتاب

أ. يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر:-

أهل الكتاب من اليهود والنصارى كغيرهم من سائر الناس ليسوا حالةً استثنائيةً في حركة الرّسول والرّسالة، بل إنّ القرآن الكريم يسجّل أنّ واقع بني إسرائيل مثقلٌ بالإصر، والأغلال جرّاء تماديهم في التعدّي على أوامر الله، ومخالفاتهم، وعصيانهم المتكرّر لرسل الله سبحانه وتعالى، وبالذّات بنو إسرائيل منهم، الذين كفروا وكذّبوا برسل الله، وقتلوا فريقاً منهم، كما قال الله سبحانه وتعالى: **﴿فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾**[البقرة:٨٧]، ومع هذا كانوا هم أوّل المستفيدين من الإيمان بالرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله وسلم) وطاعته واتباعه، فقد جاء ليرفع عنهم حالة الإصر، والأغلال، والعقوبات التي فرضتها عليهم عدالة الله سبحانه وتعالى.

يقول الله عزّ وجل في سياق هذه الآيات من سورة الأعراف موضحاً دور الرّسول مع بني إسرائيل: **﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾**[الأعراف:١٥٧].

فليس هناك ما يمنع، ويحول بينهم وبين الإيمان برسول الله، وهم يعرفون أنّه لا يستهدفهم، ولا يعاديهم أبداً، ولم يأت ليعذّبهم ويتسلّط عليهم، بل دوره الرّسالي النبويّ معهم قائمٌ على أساس هذه القيم والمبادئ التي يعرفونها، ويمثل رحمةً إلهيةً لهم، إضافةً إلى كونه يحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم كما ذكر الله سبحانه وتعالى، فبسبب ظلمهم وعصيانهم فرض الله عليهم نوعاً من التّشريعات القاسية كعقوبات اقتصادية، مثل عدوانهم في يوم السبت، وصدّهم عن سبيل الله، وأكلهم الربا، وأموال الناس بالباطل، وغيره كما في قوله تعالى:

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللهِ كَثِيرًا، وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾[النساء:١٦٠]، فكلّ هذه العقوبات كان سيضعها ويرفعها عنهم إيمانهم بالرّسول ورسالته، وطاعته واتباعه، وحول دور الرّسول مع اهل الكتاب يقول الشّهيد القائد (رضوان الله عليه): (﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[الأعراف: من الآية١٥٧]، **وهم يعرفون أنّ هذه هي سنّة الرّسل، أنّ رسالة الرّسل تكون هكذا: أمر بمعروف، ينهاهم عن المنكر، ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾**[الأعراف:١٥٧] **إذاً ما الذي يحول بينهم وبين أن يؤمنوا به، ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾**[الأعراف:١٥٧] **يحل لهم طيبات كانت محرّمة عليهم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾**[الأعراف:١٥٧] **كان هناك تشريعات ملزمين بأن يؤدّوها وإلاّ سيؤاخذون، وهي نفسها شرّعت نوع من العقوبة عليهم، إصر وأغلال**).

ب. يقصّ عليهم أكثر الذي هم فيه يختلفون:

اختلف بنو إسرائيل في كثير من الأمور بسبب التعليم، والتثقيف المغلوط الذي مورس طويلاً في تاريخهم الطويل، وبسبب التّحريف، والتّغيير، والتّبديل الّذي طال كتب الله، وشرائع أنبيائه ورسله في أوساطهم، إلى الدّرجة التي التبست فيها الأمور، وضاعت معها الكثير من الحقائق، وسط ركام الضّلال الهائل الذي سادهم وتغلّب عليهم، وهنا كان للرّسول والرّسالة الدّور الواضح، والصّريح، والوحيد في كشف هذه الحقائق الغائبة، يقصّ عليهم بالفصل والحقّ ما يختلفون فيه من الأمور، ويوضح السّيد (رضوان الله عليه) هذه القضية بقوله:

(**من الأخطاء الكبيرة، ممّا عند بني إسرائيل الآن أنّهم يقولون: أنّ هارون هو الذي صنع العجل، هارون نفسه، وينزّهون السامري، أشياء عجيبة؛ ولهذا قال الله في آية أخرى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾**[النمل:٧٦]، **أشياء كثيرة هم مختلفون فيها، وحقائق أضاعوها، قصص حق**).

جـ. الدّور المطلوب من بني إسرائيل:

بعد أن بيّن القرآن الكريم دور الرّسول والرّسالة مع بني إسرائيل المتمثّل في الرّحمة والرّعاية، انتقل الخطاب القرآني إلى الدّور المطلوب من بني إسرائيل تجاه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) فقال تعالى: ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[الأعراف: من الآية١٥٧].

إذاً كان الدّور المطلوب منهم أن يكونوا أوّل من آمن، وصدّق بالرّسول والرّسالة، فما لديهم من معرفة بالسُّنن الإلهيّة، والموروث الدّيني الذي يصدّق ويوثّق نبوءة الرّسول ورسالته، وتبشير الأنبياء المتكرّر في أوساطهم بالرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، يفترض بهم أن يكونوا من أكثر النّاس إيماناً، وتعظيماً، ونصرةً للرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، يقول السّيد (رضوان الله عليه):

(﴿**فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ**﴾[الأعراف: من الآية١٥٧]، **مع أنّ الواجب عليهم أن يكونوا بالمستوى هذا، مع أنّ الواجب على بني إسرائيل أن يؤمنوا برسول الله محمّد** (صلوات الله عليه وعلى آله)، **وأن يكونوا من أكثر النّاس تعظيماً له ونصرةً له، وإتباعاً له، وليس فقط مجرّد اعتراف، بل هم ملزمون هم** ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾) [الأعراف: من الآية١٥٧].

يعني ليس المطلوب منهم الاعتراف الضّمني فقط بالرّسول ورسالته، والتعايش معه وفق نظرة ومصطلح "التّعايش بين الأديان" هذا المصطلح ينسفه الخطاب القرآني تماماً، ويصطدم ويتعارض معه، وهذه قضيّة أساسيّة يجب أن تترسّخ في أذهاننا أنّ الرّسول والرّسالة هما عالميان للبشر جميعاً كما سبق في قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾[الأعراف:١٥٨]، وكما سبق وأن بحثناه في الحلقة الأولى من نفس البحث "الموضوع السابق" في محوريّ "عالميّة الرسول، وعالميّة الرسالة" لنعرف أنّ دعوات ومقولات التعايش بين الدّيانات ليست صحيحةً إطلاقاً، وأنّها من التّفريق بين الله ورسله، ومن الغريب والعجيب أنّ هناك من المثقّفين والكتّاب من يُنظِّر لهذه المصطلحات، ويذوب معها، ويتفانى في سبيل إقناعنا بضرورة

الاعتراف والإقرار بها تحت عنوان "التعايش والقبول بالآخر" باعتباره صاحب دين وشرعيّة إلهية، في الوقت الذي لم يستطيعوا أن ينتزعوا منهم اقراراً واعترافاً بنا كمسلمين يقبلون بنا، وبالتعايش معنا، وكلّ هذه "الدّعوات" سببها ومبعثها التّثقّف بغير ثقافة القرآن الكريم، والابتعاد عن كتاب الله سبحانه وتعالى، وهنا يرى "الشهيد القائد" أنّها قضيّة مهمّة وأساسيّة نحتاج لفهمها، واستيعابها خاصةً في هذه المرحلة بالذات فيقول: **(إذاً نفهم قضيّة أساسيّة، نحن بحاجة إلى هذا الفهم في المرحلة هذه؛ لأنهم الآن يقدّمون لك هذا دين لوحده، وذلك دين لوحده، والإسلام أقرّهم، هذا غير صحيح، لا يوجد إقرار، كيف إقرار وهو هنا يقول في أكثر من آية: أنّ عليهم أن يؤمنوا، ويوجب عليهم أن يؤمنوا، ويتّبعوا هذا القرآن، والرّسول محمد** (صلوات الله عليه وعلى آله))!.

سادساً: كيفيّة التّعامل مع أهل الكتاب؟

أهل الكتاب ليسوا حالةً استثنائيةً من البشر، ولا كما يقدّمون أنفسهم أنّهم عالم لوحدهم لهم رسالتهم، ودينهم، وأنبياؤهم، ونحن عالم لوحدنا، وسبق أنّ هذا من التّفريق بين الله ورسوله، ومن الثّقافات، والمفاهيم المغلوطة الّتي تسرّبت إلينا، وانتشرت فينا، وغزت تراثنا من خلالهم، وعلى أيديهم، ونتيجةً لكلّ ما حصل داخلهم، وفي أوساطهم من ضلال وانحراف، وتثقيف مغلوط نحتاج في التعامل معهم، إلى الحكمة والدّقة، والحذر الشّديد، والتزام المنهجيّة القرآنيّة في دعوتهم، وهدايتهم، وتجسيد النّموذج القرآني الصّحيح بعيداً عن كلّ الثّقافات المغلوطة، والمفاهيم المحرّفة، وفق ما هدانا وأرشدنا إليه القرآن الكريم.

أ. التزام المنهجيّة القرآنيّة:

أثبت الواقع فشل كلّ الدعوات والتّنظيرات الفكريّة، والفقهيّة، والأصوليّة في التّعامل مع أهل الكتاب من اليهود والنّصارى، والدّعوة موجهة لكلّ المؤصّلين، والمنظّرين، والفقهاء، والكتّاب، والمفكّرين لإعادة النّظر فيما بين أيديهم من مسلّمات فكريّة، وموروثات فقهيّة، وقواعد، أُصّل لها تخريجاً على أصول وقواعد لم تلتزم منهجيّة القرآن الكريم، ومسارات، ووسائل، وأساليب الرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله) حيث قدّمتهم، وتعاملت معهم كضرورة واقعيّة تمنحهم الاعتراف

والإقرار الشّرعي المصبوغ بصبغة دينيّة محرّفة ما أنزل الله بها من سلطان.

ومن خلال القراءة الصّحيحة لواقع أهل الكتاب وتاريخهم الّذي عرضه القرآن الكريم في صفحاته المشرقة، والّذي يرسم الخطوط والمسارات الصحيحة للتّعامل معهم على اعتبار ما بين أيديهم من موروث هو محرّف، ومزيّف، ومغيّر، ومبدّل لا يصحّ إقرارهم عليه، أثبت واقعنا العربيّ والإسلاميّ فشل تعاطينا معهم من هذا المنظار، والزّاوية، وما نعيشه من فشل وانحطاط حضاري، ومعرفيّ، وسياسيّ، وغيره، هو انعكاس لهذه الأصول، والقواعد، والنّظريّات، والتّخريجات، والإجتهادات المغلوطة، حتّى التّثقيف الدّيني للأسف الشديد انتهج منهجيّة لم تعتمد على القرآن الكريم، وقدّمتهم المصطلحات الفقهية "كذمّيّين" تُثبت لهم حقّ البقاء على ما هم عليه من ضلال وأهواء، الأمر الذي عطّل الدعوة لهم، والعمل القرآني في أوساطهم، ويعتبر المنهج القرآني هو المنهج الكفيل بوضع الحلول والمعالجات لكلّ هذه الإشكاليّات والسّلبيّات الّتي نتيه وسطها اليوم، يقول الشّهيد القائد (رضوان الله عليه):

(حالة رهيبة داخلهم، تثقيف مغلوط بشكل رهيب، يحتاج إلى مرحلة، مع استمرار الدّعوة لهم، مع بقائهم في ضمن مواثيق إذا لم يحصل التزام بها يضربون وراءها، كانوا يسمّونهم معاهدين، في صدر الإسلام كانوا يسمّون معاهدين، لا يسمون ذميّين، هذه كلمة من عند الفقهاء من بعد، وهذه من الغلطات التي تحصل دائماً أينما ذهبت يكون هناك غلطات).

وهذه هي المنهجيّة القرآنيّة التّي كانت كفيلة في القرن الأوّل الهجري بإظهار دين الله، وسيادته، لأنّها تعطي الأمّة الحقّ الإلهي في استمراريّة الدّعوة العالميّة إلى دين الله، والعمل به، وفق ضمانات ومعايير تكفل صهر الجميع في بوتقة الهدي القرآنيّ الواحد، وإنهاء حالة الصراع، والشّدّ، والجذب، بأسس وأساليب حكيمة، ومحكمة، عادلة منصفة، وتتّضح لنا الصّورة أكثر في قول السّيد (رضوان الله عليه): **(هم يسمّون معاهدين، على أساس أنّ الأمة هذه تتحرّك في الموضوع، وهؤلاء دعوة مستمرة لهم، وهكذا مع الزمن قليلاً قليلاً، وإذا حصل من جانبهم شيء يضربون، فيكونون في واقعهم في حالة لا تخلو من أمرين: إمّا أن يذوبوا في هذا المجتمع المسلم**

ويسلموا، أو سيأتي من عندهم على طبيعتهم تلك فيضربون).

إذاً التعاطي معهم بصيغة الإقرار لهم على ما هم عليه كأمّة وحدها لها دينها، وأنبياؤها، وكتبها، ونحن هناك أمّة لوحدها لها دينها، ونبيّها، وكتابها، وَلد عنه هذا الواقع الصّعب المصطدم بكلّ الحلول والمعالجات الّتي تراوح مكانها منذ أكثر من ألف عام، بل نقولها وللأسف الشديد أنّنا وقعنا في نفس ما وقع فيه بنو إسرائيل، وحول هذا الموضوع يقول السّيد (رضوان الله عليه):

(لا يوجد إقرار على الإطلاق إنّما فقط عندما ابتعدت هذه الأمّة نفسها، ابتعدت عن الدّين، أصبحت أسوأ منهم في كثير من أبنائها، أصبحوا أكثر سوءاً من بني إسرائيل، بقيت المسألة، وفي الأخير قدّموها في الفقه وكأنّها قضيّة ثابتة على طول التّاريخ، ليست ثابتة، ولا قدّمت قابلة للبقاء حتّى، ما قدّمت قابلة للبقاء، تجدها بطبيعتها لا تخلو من حالتين، وكانت قابلة لئن تنتهي هذه ولو في القرن الأول: إمّا أن يذوبوا، وإمّا أن ينتهوا يضربوا، هل في هذا إقرار؟ لا يوجد فيه إقرار، إقرارهم على ما هم عليه، ويبقون يهوداً بشكل دائم، أبداً، لكن حصل تفريط من جانب الأمّة هذه، ضيّعت الدّين، وترسّخت الأشياء هذه إلى اليوم، وكأنّ اليهود مقرّين على ما هم عليه).

ب. فقه أهل الكتاب والتّعامل معهم:

تحدّثنا عن الغلطات الفقهيّة الّتي خرّجت وأصّلت للقواعد الفقهيّة والأصوليّة للتّعامل مع أهل الكتاب من اليهود والنّصارى، وخطورة ما تضمّنته من مصطلحات وعبارات جمّدت العمل بالقرآن الكريم، تعطيهم حقّ البقاء على ما هم عليه، وأنتجت بعد دعاة التّعايش والقبول بالآخر، على ما هو عليه من باطل وضلال أدّى إلى فساد الحياة، وأسهم في ضياع الحقّ، والخير، والصّلاح يقول الشّهيد القائد (رضوان الله عليه):

(فقه أهل الكتاب هو هنا في القرآن، كتب الفقه قدّمت المسألة وكأنّها عبارة عن قضيّة قد هي مستمرّة وثابتة على طول التّاريخ، قد هم هناك أهل كتاب، وهناك نصارى، ونبقى نتعامل معهم هكذا دائماً دائماً، ونسيوا كلمة معاهدين، معاهد، هم لا يبقون هكذا إلاّ ماذا؟ يدخلون في عهد، العهد هذا يكون عليه شروط: لا يدعون إلى ما هم عليه، ما يبنون كنائس غير ما لديهم من قبل، لا

يدعوا إلى ممارساتهم هذه، لا يعملون أيّ شيء يخلّ بالقيم الإسلاميّة في المجتمع، وفي نفس الوقت يبقون باعتبار أعمالهم، مثلاً لا يظلمون، ولا أحد يأخذ حقوقهم، وأشياء من هذه).

مصطلحات القرآن الكريم تنضح بالحكمة، وتتّسم بالعدل، والإنصاف، ففي الوقت الذي يكون عليهم واجبات، لهم حقوق أيضاً وفق شروط معيّنة كما سبق ذكره، وهذا المصطلح "معاهدين" هو المصطلح الفقهيّ الّذي سمّاهم به القرآن الكريم، وهو يضمن إقفال المجال تماماً أمام المكر، والخبث اليهوديّ، ويضع الجميع أمام حقوق وواجبات لا تعدو حالتين الوفاء والإلتزام بها، ومع الوقت يذوبون وسط المجتمع المسلم، أو الإخلال والنقض، وبه يتعرّضون للضرب يقول السّيد (رضوان الله عليه):

(هذه القضيّة إذا أحد منهم يريد مثلاً يتحرّك ما هو سيحاول يلعب؟ يعمّم خمراً مثلاً، أو يحاول يبني كنائس، أو يحاول يحارب الدّين، هنا خالف العهد، فيضرب، بهذه الطريقة كان سينتهي اليهود في زمن قصير، إمّا ينتهون بأن يذوبوا في المجتمع المسلم ويُسلموا، أو أن يضربوا).

وهذه الطريقة هي الّتي عاملهم بها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وكذلك أهل البيت (عليهم السلام).

جـ. يهود اليمن وتعامل أهل البيت معهم:

النّموذج والجاذبيّة

شكّل تعامل أهل البيت (عليهم السلام) النّموذج الصّحيح لمنهجيّة القرآن الكريم، وسيرة الرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، فعندما تكون الدولة الإسلاميّة نموذجيّة قائمة على العدل، والحقّ، والقيم، والمبادئ الإسلاميّة تُطبّق في الواقع سلوكاً وممارسة، لا شكّ أنّها تخلق جاذبيّة، وانشداداً للدّين، وتمثّل شهادةً على عظمة الرّسول والرّسالة ينجذب وينشدّ لها الجميع، وهذا فعلاً ما حصل أيّام رسول الله "صلوات الله على وعلى آله"، وفي مراحل وفترات حكم جيّد من تاريخ، وسيرة أهل البيت "عليهم السلام"، وهنا يقول السّيد (رضوان الله عليه):

(هنا في اليمن أسلم كثير من اليهود في مراحل التّاريخ، مثلاً يأتي في مراحل حكم جيِّد، حكم جيِّد كان يسلم كثير منهم، كانوا ينجذبون إلى الإسلام ويسلمون).

فإضافةً إلى الخلل الفكريّ والثقافيّ الذي أصاب الثّقافة الإسلاميّة، وأفقدها المنهجيّة القرآنيّة، تبرز حالة أكثر سوءاً، وهي ضعف، وركاكة المسلمين، وتردّي أوضاعهم العامّة في الحياة، الّتي تسهم في تشويه صورة الإسلام الحقيقيّة، ووجهه الحضاريّ المشرق، الذي يبني الحياة، ويسعد الإنسان، فسوء وضع المسلمين، وإهمالهم، وتقصيرهم، وابتعادهم عن دينهم، وعدم فهمه، وتقديمه بالصّورة والشّكل الصحيح، يمثّل مادةً للدّعاية الإعلاميّة والسّياسيّة، الّتي يستغلّها العدوّ المتربّص في تشويه الصّورة الحقيقيّة لهذا الدّين، والتّنفير عنه، وهنا يقول الشّهيد القائد (رضوان الله عليه):

(أمّا الآن المسلمون وصلوا إلى حالة أسوأ منهم، قد هم طامعين هم أن يجذبوا الناس إليهم هم، يتّبعونهم، ويثقفونهم كيفما يريدون).

المحـــــور السادس

- الإصطفاء الإلهي وأعلام الهداية.
- الإمام علي صمام الأمان للدولة الإسلامية.
- مفهوم السلطة والولاية في الإسلام.
- كربلاء الأسباب والنتائج.

الإصطفاء الإلهيّ وأعلام الهداية

يعتبر هذا المصطلح القرآنيّ المهمّ من المصطلحات التي عمل السّيد (رضوان الله عليه) على إحياءها في الأمّة، وترسيخها في الذهنيّة، والحقيقة أنّ هذا المصطلح المهمّ كان قد تم تغييبه في الأمة، ومُسِحَ من الذهنية تماماً، فلم نعد نقرأه لا في مساجدنا، وحلقاتنا العلميّة، ولا يُدرّس في مدارسنا، ولا في جامعاتنا، وتم تغييبه من حياتنا الثقافية العامّة، مع أنّه مصطلح له أهميته البالغة جدّاً، والهداية بكلها مرتبطة به، وكذلك الأنبياء، والرّسل، والرّسالة، وإنزال الكتب، والاهتداء بالقرآن الكريم، وموضوع ولاية الأمر .. كلّ هذه القضايا المهمّة وغيرها مرتبطة بهذا المصطلح القرآنيّ العظيم، وقائمة عليه، وقد قدّم السّيد الرّؤية والمنهجيّة القرآنيّة لموضوع الاصطفاء والإختيار الإلهيّ، وحاجة الأمّة لأعلام الهدى، وهذا ما يجب أن نعمل على تفهمه، وترسيخه في أنفسنا، ونعمل على تثقيف الأمّة به.

الله هو من يصطفي القادة الأعلام

يبيّن السّيد أنّ الأمة تحتاج إلى أعلام يكونون قادة وهداة لها في الحياة، فترتبط بهم، وتتبعهم، وتتولاّهم، ويبيّن السّيد أنّ مسألة الأعلام ليست مسألة مفتوحة، فكل شخص يختار هو لنفسه أعلاماً على هواه، ورغباته، لأنّنا إذا لم نتّبع، ونتولّى أعلام الحق والهدى الذين يصطفيهم الله، ويختارهم فإنّنا سنقع في تولّي أعلامٍ للباطل والضّلال، فعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[المائدة:٥٥] يقول السّيد أنّ هذه الآية تقدّم منهجاً في الإختيار، والإصطفاء الإلهيّ للأعلام، فيوضّح السّيد أنّ ممّا نستفيده من هذه الآية هو: (**هو أن الأمة تحتاج إلى أعلام، ترتبط بهم - بهؤلاء الأعلام - هدايتها في دينها ودنياها، ولا بد أن يكون الله سبحانه وتعالى هو من يحدد، هو من يبين لنا من هم الأعلام من بعد نبيه** (صلوات الله عليه وعلى آله) **لنرتبط بهم، فمن خلالهم نهتدي، وعلى أيديهم نهتدي؛ لأن المسألة ليست مسألة مفتوحة، إذا لم يضع هو سبحانه وتعالى فالآخرون سيضعون، بل وضعوا على الرغم من أنه قد**

وضع، سيضع أهل الباطل أعلاماً؛ لأن الباطل يحتاج إلى أعلام، هل تعرفون هذا؟. تقريبا عندما تجد القنوات نفسها أو الأساليب من حيث هي كلها أساليب واحدة.. الباطل يحتاج إلى أعلام فلهذا يحتاج أهل الباطل إلى أن يركزوا أمامك شخصيات أو مجاميع فيكبرونها وينمقونها، وينفضون التراب عن خدودها لتبدو أمامك لماعة؛ لتنفق بضاعتهم فينفق الباطل فينفق الضلال من خلالهم)[1].

والحقيقة هي أنّه لا بدّ للإنسان من أعلام يتّبعهم، ويتولّاهم، والإنسان بطبيعته لا يمكن أن يبقى هكذا بدون قادة، ورموز يتولاّهم، ويتّبعهم سواءً للحقّ، أو للضّلال فللحقّ قادته وأعلامه، وللضّلال قادته وأعلامه، ومن يتهرّب من تولّي الإمام علي، واتّباعه كعلم للأمّة بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) تحت أيّ عنوان، وأيّ مبرر، وأيّ منطق يقوله، فإنّه سيقع في تولّي الشيطان، وأوليائه، يقول السيد: **(لا بد للإنسان من أعلام ومتى ما أنت حاولت أن تنصرف عن علي فإنك ستنصرف إلى عَلَمٍ آخر لا محالة، عندما تقول: [لا أنا لا أريد هذا ولا هذا] فأنت فعلاً ستنصرف في الأخير إلى الشيطان؛ لأنه آخر واحد، إذا تهربت عن علي بن أبي طالب وعندك [ما انا بحاجة لا علي ولا أبو بكر ولا عمر]، ما أنت رفضت علياً؟ رفضت حقاً فماذا بعد الحق إلا الضلال، إذا أنت فقط.. فقط أنت لم ترضَ بالضالين الصغار فهذا معناه أنك تريد الضال الكبير ترتبط به رأساً فقط ما هي إلا هذه، [لا أريد معاوية ولا أبا بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي] أنت اختصرت المسافة فقط، فكأنك تقول: أنا لا أريد أن أتعامل مع هؤلاء الصغار مباشرة أنا سأتعامل مع الكبير تقع في أحضان الكبير بكله ستجد الشيطان هناك في الأخير، هو في الآخر، في المضيق، تتهرب من هنا ولاّ ما يعجبك ذا ولا ما يعجبك ذا فأنت في طريقه ستلقاه ما معك إلا هو ليس بالإمكان أن يبقى الإنسان بدون أعلام يرتبط بهم)**[2].

وهذه الآية القرآنيّة تؤكّد أنّه لا يمكن للأمّة أن تهتدي إلاّ على يد الأعلام الذين يصطفيهم

(١) سورة المائدة الدرس الثاني.

(٢) سورة المائدة الدرس الثاني.

ويختارهم الله سبحانه وتعالى، وحاجة الأمّة للقادة الأعلام حاجة ضرورية في كلّ مناحي الحياة، بما فيها جانب الصّراع مع الأعداء، وتأهيل أنفسهم لأن يكونوا غالبين ومنتصرين في مواجهة أعدائهم، يقول السيد: **(نجد هذه الآيات نفسها تشهد بأنه لا يمكن أن تهتدي الأمة إلا على أيدي أعلام حتى تصبح بمستوى أن تكون حزب الله، أو أي مجموعة؛ ولهذا جاءت العبارة بلفظ ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ من يتولّ سواء الأمة بكلها أو مجاميع من الأمة تولياً صادقاً على هذا النحو العملي فسيجعلون أنفسهم حزب الله فعلاً، أنهم بحاجة إلى أن يكونوا حزب الله ويكونوا غالبين لا بد أن يرتبطوا بأعلام، فالهداية التي هي في واقع النفوس فتسلم النفوس من أن ترتد بعد إيمانها، من أن توالي أعداءها لا بد لها من الارتباط بأعلام تتولاهم، وهي تهتدي في ميدان المواجهة للآخرين لا بد أن ترتبط بأولئك الأعلام الذين وضعهم الله سبحانه وتعالى ووضعهم رسوله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **لنا من بعده أن نرتبط بهم حتى نهتدي في ميدان المواجهة؛ ولهذا قال هنا: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾)**[1].

مبدأ الكمال والإصطفاء الإلهي

الإنسان بنفسه ومفرده لا يستطيع أن يرسم لنفسه منهجاً للهداية في الحياة يسير عليه، ويعتقد أنّه من المهتدين، لأنّ الهداية مرتبطة بأعلام الهدى الذين يختارهم الله للأمّة، وموضوع الأعلام، والقدوات، والهداة هو مرتبط بالله سبحانه وتعالى، لأنّ قضية الأعلام تقوم على مبدأ الكمال، وإذا ارتبطنا بالله على أساس مبدأ الكمال فهو من سيختار لنا القادة والأعلام الكاملين، يقول السيد: **(فمن هنا نعرف كطلاب علم، ونعرف كمسلمين بصورة عامة أنه لا يمكن أن تتصور بأن بإستطاعتك أنت شخصياً أن ترسم لك منهجاً وتسميه هداية من جهة نفسك، وتنطلق عليه وتظن أنك ستهتدي إذا لم ترتبط بأعلام للهدى، لا بد من الارتباط بأعلام للهدى تتولاهم وتذوب في شخصياتهم.**

وهم بالطبع من يضعهم الله أعلاماً لأمته.. إنما يضعهم كاملين ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا

(١) سورة المائدة الدرس الثاني.

كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: من الآية ٦٨] **هو الذي يختار وليس لنا نحن أن نختار، هو الذي إذا آمنا بهذا المبدأ - مبدأ الكمال فارتبطنا بالله الكامل الكمال المطلق وارتبطنا برسوله الذي اصطفاه واختاره فأصبح كاملاً وارتبطنا على وفق هذا النهج بالكامل - فالله سبحانه وتعالى هو الذي سيقدم لنا الكامل بدأً من علي (عليه السلام))** [1].

مبدأ الكمال مبدأ مهمٌ جدّاً لا يخضع لأيّ مقاييس واعتبارات شخصيّة، بل هو مرتبط بالله الكامل، فإذا وثقنا بالله سبحانه وتعالى وبرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) فإنّ الله سبحانه وتعالى هو من سيضع لنا قادةً أعلاماً كاملين كما كان الإمام علي (عليه السلام)، يقول السيد: **(حتى مقاييس الكمال هي دقيقة جداً جداً، ليس حتى في صلاحيتي أنا أن أقول: إذاً الكمال هو كذا كذا كذا.. إلى آخره، سيأتي آخرون يقولون: لا، الكمال كذا هو كذا وكذا.. الخ، نثق بالله ونثق برسوله ثم نمشي على ما يهدينا إليه، والله سبحانه وتعالى هو من سيضع لأمته أعلاماً يختارهم ويؤهلهم ليكونوا جديرين بهداية الأمة وجديرين بقيادتها، ألم يكن علي (عليه السلام) هو الرمز الواحد من بين كل تلك المجاميع الكثيرة التي كانت تقف أمام النبي** (صلوات الله عليه وعلى آله) **فبرز هو علماً حتى أصبح كل شخص من أولئك ملزماً بأن يتمسك بذلك العَلَم ويتولاه ويهتدي بهديه ويسير على نهجه)** [2].

وعندما ترتبط مسألة الكمال بالله وتبقى بيده فإنّها هي من تعطي الضّمانة لنا في القادة الأعلام الهداة، وهذا المبدأ العظيم هو الذي عمل القرآن الكريم على ترسيخه في أنفسنا، وإذا لم نؤمن بهذه المسألة، ونعمل على ترسيخها في أنفسنا، فإنّه سيُقدّم لنا في الحياة قادةً وأعلاماً وهميّين، يقول السيد: **(هذه المسألة في حد ذاتها الإرتباط بمبدأ الكمال هو وحده الذي يعطي الضمانة بالنسبة لنا أن تبقى المسألة بيد الله سبحانه وتعالى، أن تبقى مسألة من هو الجدير بأن يهدينا، من هو الجدير بأن يَلِيَ أمرنا مرتبطة بالله سبحانه وتعالى كما قال الإمام الهادي (عليه السلام): (أن الله هو الذي يختار، هو الذي يؤهل).**

---

(١) سورة المائدة الدرس الثاني.

(٢) سورة المائدة الدرس الثاني.

[إذا لم نعمل على] مراعاة الارتباط بهذا المبدأ العظيم الذي عمل القرآن الكريم على ترسيخه في أذهاننا فسيُقدم لنا أشخاص كثيرين، ويُقدم رموز كثير وهميُّين لا يعتبرون كاملين ممن أختارهم الله سبحانه وتعالى، وليسوا جديرين باختياره)[1].

ويتحدّث السّيد عن النّظرية الزيديّة في موضوع الإمامة، والشّروط الّتي وضعوها في من يلي أمر الأمّة، مبيّنا أنّها شروط كمال، والكمال لا يمكن أن يتنافس النّاس في تحقيقه لأنفسهم، ويحاولون الحصول عليه، والوصول إليه من خلال القراءة، والاطلاع، والانضباط، والتقيُّد بضوابط معيّنة، أو من خلال أيّ وسائل أخرى، لأنّ الكمال هو من الله ومرتبط به، يقول السيد: **(عندما تتحدث الزيدية في كتبهم عن شروط الإمام أليسوا يضعوا شروط كمال؟ [أن يكون عالماً وأن يكون مدبراً وأن يكون سليماً وأن يكون سخياً وأن يكون شجاعاً يكون تقياً ورعاً زاهداً رحيماً بالأمة وعادلاً..] إلخ، ألم يضعوا شروط كمال؟ لماذا الكمال؟ ومن أين مصدر الكمال؟ لأن الكمال هو يأتي من قبل الله سبحانه وتعالى هو الذي يختار هو الذي يصطفي ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾** [فاطر: من الآية ٣٢] **الاصطفاء الإلهي يأتي دائماً في كل مقام يرتبط به سبحانه وتعالى بالنسبة لعباده.**

فإذا أصبحت المسألة لدينا هي على هذا النحو فمعنى ذلك أن هذا هو الضمان الذي يجعل القضية بيد الله، هو الذي يؤهل، هو الذي يكمل، هو الذي يختار، فإذا ما نسفنا مبدأ الكمال هذا بكله ظهر على السطح، الكثيرون، الكثيرون جداً)[2].

المعايير والمقاييس الإلهيّة

يتحدّث السّيد عن مصطلح الإمامة، هذا المصطلح القرآني المهمّ الذي تعرض للتشويه، والتزييف، والتّجريم، ووجه بحربٍ إعلاميّة ودعائية شرسة لضربه في نفوس الناس وثقافتهم، وتشويهه، مؤكّداً أنّ هذا من أهداف الصهيونيّة في محاربة المصطلحات القرآنيّة، حتّى يتمكّنوا من ضرب مبدأ الكمال، وليفتحوا المجال واسعاً أمام من يلي أمر الأمة، ويحكمها بعيداً عن أيّ

(١) سورة المائدة الدرس الثاني.

(٢) سورة المائدة الدرس الثاني.

اعتبارات، ومعايير، وشروط إلهيّة، يقول السيد: **(لاحظوا في قضية الإمامة، عندما يحاربون الإمامة هل تظنون بأنهم يحاربون اسم [إمامة] هذا واحد من مقاصد الصهيونية في محاربة العناوين والمفردات - مع أن كلمة إمام أطلقت في القرآن الكريم على البر والفاجر ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾** [القصص: من الآية ٤١] **وهناك ﴿أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾** [السجدة: من الآية ٢٤] **- هم حاربوا مبدأ كمال أن لا يترسخ في ذهنية الناس، لماذا؟ لأنه متى نسفنا هذا الكمال الذي لا بد منه فسنصل إلى أن نحكم الناس، سأصل أنا إلى أن أحكم الناس متى ما نسفت شروط الكمال، أليس هذا هو الذي حصل؟ ما هذا الذي يقدم في كل دساتير البلدان الإسلامية، لا يُشترط في زعيم البلد الفلاني إلا أن يكون من نفس الوطن، وأن يكون عمره كذا، وأن لا يكون قد صدر في حقه حكم شرعي يخل بالشرف ما لم يُرد إليه اعتباره، هذه هي الشروط فقط)**[1].

وعندما عملوا على ضرب مبدأ الكمال، أمكن ذلك من فسح المجال أمام أيّ انتهازيّ ليتمكّن من حكم الأمّة، وتولّي أمرها، وهو لا يتمتع بأيّ صفات، أو مؤهلات تؤهّله لذلك، يقول السيد: **(أليس الكثير سيكون على هذا النحو وإن كان من الشارع، وإن كان ممن لا يهمه إلا مصلحة نفسه، وإن كان ممن لا يعرف كيف يدير شئون أمة، بل ممن لا يعرف كيف يدير شئون أسرة.**

أليست الدساتير فتحت المجال أمامهم؟ وعن أي طريق؟ عن طريق نسف الكمال الذي لا بد منه، عندما يقولون: يجب أن يكون كذا وأن يكون كذا وأن يكون، أليست هذه معايير دينية معايير إلهية؟ لماذا تجعل المعايير إلهية؟ نربط المسألة بالله سبحانه وتعالى وهو الذي سيصنع هو الذي سيؤهل، هو الذي سيكمل هو الذي سيختار كما نص الإمام الهادي (عليه السلام))[2].

ويؤكّد السّيد على أهميّة التّمسّك بالرّؤية القرآنيّة الّتي قدّمها الإمام الهادي يحي بن الحسين بن القاسم الرّسيّ في مقدّمة كتابه الأحكام، الّتي حدّدت الصّفات، والشّروط، والمعايير الإلهيّة في من يلي أمر الأمة ويحكمها، وينتقد السّيد المعايير التي تأثرت بها الزيديّة مؤخراً في موضوع ولاية الأمر باعتبارها اشتراطاتٍ، ومعاييرَ ومقاييسَ مغلوطةً، وماديّة ضربت المعايير

(١) سورة المائدة الدرس الثاني.

(٢) سورة المائدة الدرس الثاني.

،والمقاييس الإلهيّة، يقول السّيد: **(بل تأثرت الزيدية نفسها عندما غابت عن المعايير التي وضعها الإمام الهادي باعتبارها معايير إلهية في بداية كتاب (الأحكام) فظهر لنا أئمة حتى داخل الزيدية ليسوا جديرين بأن يحكموا الأمة، وصُدروا في تاريخنا كأئمة من أهل البيت وليسوا كاملين ولا مؤهلين، فعلاً وهم لا زالوا كثيرين في سلسلة أئمة الزيدية في كتب تاريخنا لكن جاؤوا هم فيما بعد يجعلوا مقاييس مغلوطة للكمال هذا نفسه [أن يكون عالماً، ويعني أن يكون مجتهداً، ومعنى أن يكون مجتهداً أن يكون قد قرأ كذا كذا كذا إلخ].**

ألم تصبح المقاييس مادية في الأخير؟ بينما الإمام الهادي قدم نحو صفحة وهو يتحدث عن مواصفات من هو الأولى في ولاية أمر المسلمين، صفحة كاملة، وقال في الأخير: أن الله هو الذي يؤهل على النحو، إذا ما ارتبط الناس بالله من هذا المنطلق هو الذي سيؤهل لكن جئنا فيما بعد وقدمنا معايير مادية لنسف المعايير الإلهية فانحطينا فظهر لنا أئمة فعلاً كانوا ممن رسخ مبادئ الاختلاف داخل هذه الطائفة نفسها وبدلاً من أن يقدموا لنا علوم أهل البيت وحدهم أضافوا لنا ركاماً من علوم الطوائف التي هي طوائف ضالة فشغلوا أوقاتنا، وشغلوا بيوتنا بركام الكتب من هذا القبيل بدل أن ينتقوا لنا علوم القرآن الكريم وعلوم العترة الطاهرة، ركام من أقوال الآخرين تضيع عليك سنين من عمرك، تضيع حياتك تضيع وقتك تضيع الكثير من أعمالك)[1].

عندما نسفت هذه المعايير الإلهية في من يلي أمر الأمة، وقدّم الموضوع بصبغة سياسيّة بحتة، فتح الباب أمام من هبّ ودبّ ليكون وليّاً، وحاكماً للمسلمين، والتّاريخ والحاضر يشهد بخطورة هذه المسألة عندما انتزعت من يد الله لتكون بيد البشر، وبيد النّاس أنفسهم، كيف قدّمت لنا، وحكمنا أناس جاهلون، ومتخلّفون، وضالون، ويؤكّد السّيد أنّ القضيّة لا تستهدف أهل البيت فحسب بل هي استهداف لمبدأ الكمال نفسه في من يلي أمر الأمّة، وهو الشيء الذي الأمّة أحوج ما تكون إليه، ولا تستقيم ولايتها، وحياتها إلاّ به، يقول السّيد: **(ولنعرف أن المسألة هامة فعلاً أنها: إما أن تكون ضمانة تجعل القضية بيد الله، أو أن يكون نسفها يُبيح**

(١) سورة المائدة الدرس الثاني.

الواقع لتكون في متناول كل من هب ودب، أنه ما الذي يحصل؟ حتى لو قلنا ليس شرطاً أن يكون من يلي أمر الأمة من أهل البيت تعالوا إلى الشروط الأخرى ضعوها في الدستور لتكون هي شروط في من يلي أمر الأمة، لن يقبلوا هذا، أتظنون أن المسألة فقط هو محاربة لأن يكون الشخص من أهل البيت الذي يلي أمر الأمة ليس هذا فقط يحاربوا أن يكون كاملاً كمالاً إلهياً وفق معايير إلهية.

عندما تقول يجب أن يكون من يلي أمرنا عالماً بالدين، عالماً بالله، متقياً لله، رحيماً بالأمة، تقياً، ورعاً، زاهداً، أليست هذه المعايير قرآنية؟ حاول أن تضعها في قاعة مجلس النواب لأن تكون ضمن النص الدستوري في مواصفات من يلي أمر هذا البلد أو ذلك البلد لن تقبل بل تحارب) [1].

ويخاطب السيد أولئك الذين يحاربون مصطلح الإمامة، والذين هم مشغولون بمحاربة أهل البيت واستهدافهم، لماذا لا يعملون ببقية الشروط المعتبرة في من يلي أمر الأمة، ويعملون بها؟ موضّحاً أنّهم لا يريدون شيئاً من هذه الشّروط والمعايير، لأنّها لا تنطبق عليهم، ولن يسمح لهم اليهود والغرب بأن يعتبروها شروطاً دستوريّة، ولأنّ كلّ ما يهمّهم هو أن يحكموا الأمّة، ويتربعوا على عروش، وكراسي الحكم، والملك، والسّلطة، يقول السيد: **(أولئك الذين يحاربون الإمامة باعتبار إمامة أهل البيت نقول: تعالوا: خلاص أسكتوا إذا كنتم ترون بأن المشكلة هي مشكلة أهل البيت لكن قدموا للأمة أنه يجب أن يكون من يلي أمرها تتوفر فيه المعايير الإلهية الأخرى، لا، مشغولون بأن يحاربوا مسألة أهل البيت وهم في نفس الوقت يؤمنون ببقية الشروط فلماذا لا تقدموا الشروط الأخرى هي وإن سكتم عن أهل البيت، لأنكم تعرفون أن الآخرين لن يسمحوا إطلاقاً أن تكون هذه ضمن الشروط التي لا بد منها في من يلي أمر الأمة، لماذا؟ لأنها معايير إلهية، لا تتوفر إلا على يد الله سبحانه وتعالى ونحن لا نريد أن نربط المسألة بهذا النحو، نريد أن نحكم، أنا أريد أن يكون المجال أمامي مفتوحاً أحكم بدون شرط ولا قيد، عندما يقال: لا بد أن يكون عالماً أنا لست عالماً إذاً فكيف أحكم، إذاً ما هذا شرط جديد علي نصفر عليه، وهكذا وهكذا.. هذا الذي يحصل)** [2].

ويبيّن السّيد أنّ هذه الآية القرآنية تقدّم النّموذج، والرّؤية، والمنهجيّة القرآنيّة فيمن يلي أمر الأمة،

(١) سورة المائدة الدرس الثاني.

(٢) سورة المائدة الدرس الأول.

وأنّها عرضت الصّفات التي تعتبر نماذج لما بعدها من صفات الكمال، والمعايير الإلهيّة، يقول السيد: **(ولهذا نفس الآية هذه عندما تعرض معايير إلهية في المؤمن الذي نتولاه ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾**[المائدة٥٦] بعد أن قال: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾**[المائدة:٥٥] **وعادة ما يعرض القرآن صفتين أو ثلاثة هي نموذج يدل على ما وراءها؛ لأنه عرض مجمل نواحي شخصيته في صفتين تدلك على ما بعدها من صفات الكمال والمعايير الإلهية)**[1].

الإصطفاء في القرآن الكريم

وفي مديح القرآن الدّرس الخامس يبيّن السّيد السُّنّة الإلهيّة في موضوع الإصطفاء، وأنّ موضوع الإصطفاء من المواضيع الرئيسيّة في سورة فاطر، وأنّ السُّورة من أولها إلى آخرها جاءت لتوضّح وتبيّن موضوع الإصطفاء، وتجيب على كلّ ما يخطر من تساؤلات حول الموضوع، يقول السيد: **(لاحظ مثلاً سورة [فاطر] سورة فاطر من المواضيع الرئيسية فيها: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾**[فاطر٣٢] **موضوع الاصطفاء على هذا النحو، تجد السورة من أولها إلى آخرها تخدم الموضوع بشكل رهيب، وبشكل عجيب، في كل ما يطلع من تساؤلات حول الموضوع)**[2].

ويبيّن السّيد أنّ موضوع الإصطفاء يقوم على تعدّد الأدوار، والمهام، وتنوّعها، وتفاوتها كما بيّنته سُورة فاطر، يقول السيد: **(فالقضية هي في الذهنية قضية تفاوت، أليست قضية تفاوت؟ يبدأ لك بالتفاوت من أول السورة إلى آخرها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾**[فاطر١] **أليس هذا أول شيء؟ وهكذا منزّل، مَنْزِل، تصل إلى عند: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾**[فاطر٢٧].

تجد السورة تقدم لك أن هذه سنة إلهية، سنة إلهية، وأنه أحياناً المهام نفسها تتطلب تفاوت على

(١) سورة المائدة الدرس الثاني.

(٢) مديح القرآن الدرس الخامس.

هذا النحو، كما أن الملائكة هم رسل، ولديهم مهام متفاوتة، فالمهمة تفرض أن تكون على نحو معين، تكون لائقاً بأداء المهمة ﴿رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ هناك ملائكة معهم من أربعة أجنحة، وملائكة معهم من ثلاثة، أو تقول ثلاثة وثلاثة، وهناك ملائكة معهم من اثنين أجنحة، أليس هذا نفسه تفاوت؟. وهكذا يمشي في الموضوع بشكل واضح)[1].

وتقدّم هذه السُّورة المباركة موضوع الاصطفاء كاختصاص إلهيّ يأتي من جهة الله سبحانه وتعالى هو، وكيف جاءت هذه السُّورة من أوّلها إلى آخرها بالشّكل الّذي يخدم الموضوع، ويبيّنه للنّاس، وأنّ الله سبحانه وتعالى لا يقوم اصطفاؤه للأعلام والهداة من عباده على أساس التقليد والمحاكاة لأحد، بل هو الفاطر، والمبدع الذي يخلق ما يشاء، ويختار من جهة نفسه، يقول السيد: **(نأتي إلى الموضوع في نفس السورة، أو المواضيع الرئيسية فيها، تجد السورة تخدم الموضوع من أولها إلى آخرها، تخدمه من أولها إلى آخرها، تطلع لك كلمة: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[الأنعام:١٤] بالنسبة لهذا الموضوع الرئيسي أن معناه هام جداً، يعني أن الله سبحانه وتعالى لا يأتي فقط يعمل مثلما يعمل الآخرون، أو أنه يساير تقاليد لدى البشر قائمة، لا، هو مبدع وفاطر، هو فاطر، هو مبدع للأشياء.**

هو لا يقلد، رأى العرب يعملوا شيخ، وهو قال: سنعمل لنا شيخ! رآهم يعملوا بيت مَشِيخ، فقال: ونحن سنصطفي بيت ونقول كذا... لا، هي مسألة من جهة نفسه، وهو عادة ليس مقلد، هو فاطر، فطر السماوات والأرض هذه بكلها، فهل سيقلدك في حاجة بسيطة من هذه؟ وهكذا... إلى آخر السورة)[2].

الإصطفاء الإلهيّ يأتي من أجل النّاس ولمصلحتهم

وفي سُورة البقرة الدّرس العاشر من دروس رمضان عند قصّة طالوت وجالوت، يبيّن السّيد كيف تكون السُّنة الإلهيّة في الاصطفاء والاختيار، فعند قوله سبحانه وتعالى: **﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ﴾**[البقرة: من الآية٢٤٧]، يبيّن السّيد أنّ السُّنّة الإلهيّة في الإصطفاء تقوم على أساس علم الله واختياره بمن يصلح لقيادة النّاس

(١) مديح القرآن الدرس الخامس.

(٢) مديح القرآن الدرس الخامس.

وهدايتهم، وفق معايير إلهيّة دقيقة، يقول السيد: **(ليس من الأشخاص الذين هم ينتظرون أنه قد يكون ربما ذلك، أو ذاك، أو ذاك.. جاء شخص ليسوا متوقعين أن يكون هو..هو ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾**[البقرة: من الآية٢٤٧] **هؤلاء الملأ، والكلام من البداية مع الملأ، الملأ: يعني كبار الوجهاء، وكبار الناس، أي: ربما يكونون منتظرين أنه سيقول: أنت يا فلان، أو أنت. ألستم أنتم قلتم أنكم تريدون من جهة النبي نفسه، هو أن يبعث؟ إذاً فالله هو أعلم بمن يصلح للقيادة، أليس هو أعلم؟ قالوا هنا: ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾**[البقرة: من الآية٢٤٧]. **ليس لديه فلوس كثيرة، لاحظ هذه نظرة ثانية في تقييم مؤهلات القيادة، ما لديه فلوس.**

﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾[البقرة: من الآية٢٤٧]. **لكن ليس معناه الإصطفاء عليهم، اصطفاه على الملأ هؤلاء الذين قد يكون عند كل واحد منهم يتصور أنه سيعيّن قائداً من عند الله)**[1].

ويوضّح السّيد أنّ الاصطفاء والاختيار الإلهيّ يأتي من أجل النّاس ولمصلحتهم، وأنّ الاصطفاء لهم هم حتّى يهتدو، ويتوفّقوا في الحياة، وينتصروا، مبيّناً أنّ الله يؤتي ملكه من يشاء من عباده، وفق مواصفات، ومعايير إلهيّة تقوم على سعة علمه وتدبيره، وأنّ النّاس عندما يتجاوزون هذه المسألة، ويسيرون فيها وفق أهواءهم، واعتباراتهم الشّخصيّة والماديّة سيفشلون في الأخير، وتعود عليهم هذه الطريقة بنتائج كارثيّة لا يستطيعون ويقدرون على تحمّلها، فيقول السّيد عند هذه الآية :**(﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾. ثم لاحظ ﴿اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: اصطفاه عليكم لكم، أليس عليكم لكم في الواقع؟ لاحظ كيف انتهت الطريقة بشكل عجيب؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ في تأهيله لقيادتهم ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**[البقرة: من الآية٢٤٧]. **فإذا البشر يريدون أن يتحركوا على هداه، وفي سبيله هي هذه، يريدون هم عناوين ثانية، يتفقون هم وأنفسهم، عناوين أخرى وقادة آخرين هم يختارونهم وفق مواصفات أخرى، ونظرة أخرى من عندهم، هذا موضوع ثاني، يتفقون هم وأنفسهم والنتيجة هم سيرونها في الأخير.**

(١) سورة البقرة الدرس العاشر.

أما إذا أنتم تريدون طريق الله فهي هذه، الله يقول: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: من الآية٢٤٧]. **لا يقدّرون أنه لم يعد مع الله مجال إلا واحداً منهم، الملأ عندما يكونون اثنا عشر أو كمّا كانوا من كبارهم عندهم أن ما هناك غيرهم ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**[البقرة: من الآية٢٤٧] **يطلع واحد من هناك لماذا؟ لأنه من أجلهم هم، ولمصلحتهم هم، وحتى تكون العملية ناجحة وينتصرون في الأخير)**[1].

التسليم والطاعة لله

في سورة آل عمران الدّرس الثّالث عشر من دروس رمضان عند قوله سبحانه وتعالى: **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[آل عمران: الآيات من ٣١ - ٣٤] يبيّن السّيد أنّ الأمر كله لله في عباده، وأنّه يؤتي الملك من يشاء، وينزعه ممّن يشاء، وأنّ الذي يجب على النّاس أمام الاصطفاء والاختيار الإلهيّ هو أن يسلّموا لله التّسليم المطلق، مبيّناً أنّ الله قد جعل علامة، ومصداقيّة التّسليم له، هو الطّاعة والإتّباع الصّادق لرسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، فيقول: **(تقرر هذه الآيات كلها وكثير من أمثالها في القرآن الكريم مما قد سبق، وبقية السور أعني: هي تؤكد وتقرر قضية: أن الله سبحانه وتعالى هو الذي له الحكم والأمر في عباده، هو الذي خلق الخلق، هو الذي له ما في السموات وما في الأرض وهو على كل شيء قدير فهو يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، فدور الناس أو تنتهي القضية بالنسبة للناس إلى التسليم المطلق لأمر الله سبحانه وتعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾** تدَّعون أنكم تحبون الله **﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ هذا مؤشر وعلامة للتسليم لله سبحانه وتعالى، وليس كل واحد من عنده من هنا ومن هنا فاتبعوني ليحببكم الله)**[2].

التّسليم المطلق لله هو الّذي يقوم على الوعي، والإيمان، والخضوع، والإذعان لله، وأوامره،

(١) سورة البقرة الدرس العاشر.

(٢) سورة آل عمران الدرس الثالث عشر.

وتوجيهاته، بدون أيّ تكلف، أو تصنّع، أو شعور بمشقة على النّفس، وصعوبة في التقبّل للأوامر، والتّوجيهات الإلهيّة، يقول السيد: **(الله قد جعل علامة التسليم له ومصداقية حبه أن يتبعوا رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) ثم قال بعد: ﴿**قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ**﴾[آل عمران: من الآية ٣٢] **اتباع طاعة قد يكون الإتباع فيه نوع من الشعور بالقسرية بالكراهية بنوع من الثقل على النفس، لكن يجب أن يكون على هذا النحو: الإتباع لرسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **اتباع طاعة** ﴿**قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ**﴾[آل عمران: من الآية ٣٢] **هذا الرسول وإن لم يكن منكم، وإن لم يكن من بني إسرائيل، الله هو الذي له الحكم والأمر في عباده، يجب أن تسلموا له والقضية لم تخرج عن السنة الإلهية في موضوع الإصطفاء، في موضوع الإصطفاء** ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ..**﴾[آل عمران: من الآية ٣٣] **إلى آخر الآية، ومحمد** (صلوات الله عليه وعلى آله) **هو من آل إبراهيم اصطفاء ذرية بعضها من بعض، فهذا الرسول الذي أمرتم بطاعته والذي جعلت طاعته علامة لمحبتكم إن كنتم صادقين في دعواكم الحب لله هو نفسه أصطفي واختير؛ لأن هذه هي سنة إلهية** ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[آل عمران: الآية ٣٣] **فهو اصطفى رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **ليكون رسولاً للعالمين)**[1].

مفهوم الإصطفاء في القرآن الكريم

يبيّن لنا السّيد كيف يقوم ويكون الاصطفاء الإلهي، وكيف هي السُّنّة الإلهيّة في الموضوع، مبيّناً أنّ الاصطفاء يأتي بشكل دوائر، على مستوى الأسر، وعلى مستوى الأشخاص، فالله سبحانه وتعالى يصطفي أسراً بعينها، ثمّ يصطفي من داخلها أعلاماً لدينه ولعباده، هم الأنبياء والرسل، أو ورثتهم، وأنّ لكلّ دائرة من هذه الدّوائر دوراً ومهمّةً منوطةً بها، فللأسر أدوارهم، ومهامهم المهمّة جدّاً في موضوع الاصطفاء، وللرّسل، أو القادة الأعلام دورهم كذلك، وكلّ هذه الأدوار تقوم على مدى التّمسك بالكتّاب، وحمل الرّسالة، وأنّ الله اصطفاهم، واختارهم ليقوموا بحمل رسالة الدّين، وتجسيدها في سلوكهم وواقعهم، فيشكّلون نموذجاً

(١) سورة آل عمران الدرس الثالث عشر.

يقدّم الشّهادة على كمال الله، وعظمة دينه، ورقيّه، وجاذبيّته، وجماله، وروعته فينجذب، وينشدّ إليه الآخرون، يوضّح السّيد هذه المسألة من خلال القرآن الكريم، فيقول: **(هنا لاحظ في مسألة الإصطفاء كيف يأتي بالشكل الذي نحاول دائماً أن نتحدث به لنفهمه جميعاً قضية [الدوائر] اصطفى آدم ونوحاً، اصطفى آل إبراهيم وآل عمران، أليس آل عمران من آل إبراهيم؟ في الداخل؟ آل عمران أسرة عيسى، وسيأتي الحديث بالنسبة لمريم بنت عمران ونذر والدتها، اصطفى آل إبراهيم كدائرة يصطفي من داخلهم أنبياء، ويصطفي من داخلهم ورثة للكتاب لمن يصطفيه على هذا النحو دور، وللدائرة هذه دور هام جداً ودور هذا ودور هذا كله يتوقف على مدى التمسك بالكتاب، ويأتي التأكيد للكل أن يتمسكوا بالكتاب، اصطفاهم لحمل مسئولية: إقامة دين الله، أن يكونوا هم من يحرصون على أن يجسدوا قيم الدين ويمثلوه في سلوكياتهم في واقعهم في مجتمعهم حتى تظهر قيمة هذا الدين أمام الآخرين لينجذبوا إليه وتظهر عظمته في نفس الوقت كشهادة على أنه على أرقى مستوى وأن البشر لا يستطيعون على الإطلاق مهما حاولوا أن يقننوا لأنفسهم أو يضعوا مناهج ثقافية لأنفسهم لا يستطيعون أبداً أن يرتقوا إلى جزء مما يمكن أن يتحقق على طريق الإلتزام بهدى الله سبحانه وتعالى)**[1] .

ويؤكّد السّيد أنّ الاصطفاء والتّفضيل الإلهي هو عبارة عن مسؤوليّات، ومهام يتحمّلها، ويقوم بها من هو في مقام التّفضيل، والاصطفاء، سواءً على مستوى الأسر، أو على مستوى الأشخاص، لأنّ التّفضيل ليس عبارة عن مقامات، وأوسمة فقط، بل هو أولاً وأخيراً يعني التّحمل للمسؤولية، وأعبائها، والقيام، والنّهوض بها، وتجسيد قيمها، ومبادئها العظيمة فيقول: **(وكما نؤكد دائماً بأنه هكذا مسألة الإصطفاء، التفضيل هي كلها مسئوليات ومن اصطُفي سواء اصطفاء شخصي أو اصطفاء على مستوى دائرة معينة تجد الخطاب لهم دائماً أن يتمسكوا بالكتاب، يقول لرسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) ﴿**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ**﴾[الزخرف: من الآية ٤٣] ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾[هود: من الآية ١١٢] ﴿**فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا**

(١) سورة آل عمران الدرس الثالث عشر.

أُمِرْتَ﴾[الشورى: من الآية ١٥] **ويقول للكل: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾**[البقرة: من الآية ٦٣]**)** [١].

السُّنّة الإلهيّة في الاصطفاء هي تأتي من أجل النّاس أنفسهم، وتشكّل ضمانة لهم في حمل المسؤولية الدّينيّة، والقيام بها، وضمان استمرارها، وعدم انقطاعها، وأنّه بالرّغم ممّا قد يحصل من هنا أو هناك من أخطاء، وتجاوزات إلاّ أنّه يبقى المجال أمام القيام بالمهمّة، وحمل المسؤوليّة، والنّهوض بها في مجال هداية الناس وإنقاذهم قائما داخل الأسر، والدّوائر الّتي يصطفيها الله سبحانه وتعالى، وتكون هناك نماذج عالية يُقتدى بها، وهذا ممّا يعزّز الثّقة بالله سبحانه وتعالى وبدينه، يقول السيد: **(تجد هنا على الرغم مما ذكر داخل بني إسرائيل الصفحات السوداء القاتمة فعلاً في تاريخهم تجد كان هناك – سواء على مستوى أفراد أو أسر أحياناً قد يكونون قليلاً وأحياناً قد يكونون كثيراً – نماذج عالية، في قصة طالوت وجدنا نماذج عالية تلك المجاميع التي بقيت معه الذين يقول المفسرون: بأنهم ربما لا يتجاوزون ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر شخصاً قد كانوا نماذج عالية من داخل بني إسرائيل، آل عمران أسرة متميزة داخل بني إسرائيل داخل آل إبراهيم هذه لها قيمتها بالنسبة للناحية العقائدية من ناحية الأمل بأنه تلك الدائرة التي اصطفيت كما قال هنا: [آل إبراهيم] مهما وجدت داخلها من أشياء مهما وجدت لن تعدم داخلها من يكونون هداة كما قال الإمام زيد بن علي (صلوات الله عليه): «إن في أهل بيتي المخطئ والمصيب إلا أنه لا تكون هداة الأمة إلا منهم» وهذا يعزز الثقة بالله سبحانه وتعالى ويزيح من ذهنية أي شخص مسألة التصنيفات عندما يقول: [لاحظ كيف فيهم وفيهم وفيهم كيف يمكن يأمرنا باتباعهم] أو أشياء من هذه أليس البعض يقولون هكذا؟ [فيهم وفيهم وفيهم كيف نتبعهم وهم كذا وكذا] هو قال في آية أخرى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾**[فاطر: من الآية ٣٢]**)** [٢].

ويوضّح السّيد المسألة أكثر مع ما حصل في تاريخ بني إسرائيل، وبالرّغم من الصّورة القاتمة التي قدّمها الله عنهم في القرآن الكريم، إلاّ أنّه كان لا يزال داخلهم شخصيّات، وأسر، ونماذج متميّزة جدّاً، تشكّل ضمانة للرّسالة الإلهيّة وللدّين الإلهيّ، فيقول: **(ألسنا نجد هنا في داخل بني إسرائيل**

(١) سورة آل عمران الدرس الثالث عشر.

(٢) سورة آل عمران الدرس الثالث عشر.

شخصيات عالية على مستوى هداة وأتباع على درجة عالية من الإلتزام والمعرفة والحكمة والرؤية؟ لأن ما عرض علينا في قصة طالوت وجنوده تجد فئة متميزة بقوة إيمانها تجد عندها أيضاً رؤية صحيحة فهماً صحيحاً، هذه تعطي الإنسان أملاً بأنه مهما كانت مهما وصلت الحالة ما يزال ذلك الإصطفاء الإلهي قائماً، وكما قال الإمام زيد «إلا أنه لا تكون هداة الأمة إلا منهم»)[1].

ولهذا أمرنا نحن المسلمين بالإتّباع، والمودّة لأهل بيت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، بحيث نبقى مهيّئين نفسيّاً، ومعنويّاً لتقبّل الهداة الأعلام، لأنّه إذا لم يكن لدينا ميل نحوهم، ومودّة لهم، فمعنى هذا أنّنا لن نهتدي لمعرفة الأعلام الهداة منهم، الذين يصطفيهم ويختارهم الله، فيجب أن لاّ نقفل المجال نحن على أنفسنا أوّلاً، ونغلق باب الاصطفاء والاختيار الإلهيّ، وفهمنا ومعرفتنا للسُّنّة الإلهيّة في موضوع الاصطفاء تؤهلّنا لمعرفة المصطفيين والهداة، وهذا فضل من الله ونعمة، يقول السيد: **(لهذا أُمِرَ الناس فيما يتعلق بأهل البيت بمودتهم فيما تعنيه المودة تعني ميل إلى جانبهم نوع من الميل إلى جانبهم على أساس أنه أنت لديك ميل إلى هذه الدائرة وأنت في نفس الوقت تعرف كيف سنة الله داخل هذه الدائرة وكيف تتعامل مع هذه الدائرة مع دائرة أهل البيت، وهي نفسها القضية التي كان عليها بنو إسرائيل أي عندما يأتي في هذه الآية بكلمة: [اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم] وكل ما تقدم من أشياء تلك الصور القاتمة جداً أليست من داخل ناس من آل إبراهيم؟ ما يزال الإصطفاء قائماً في تلك المرحلة التاريخية الطويلة ولم يكن مثلاً ما هناك من صفحات سوداء بالشكل الذي يقفل الباب أمام أن يكون من داخلهم هداة وأن يكون داخلهم أسر متميزة وأتباع متميزون وشخصيات متميزة)**[2].

ويضيف السّيد في نفس الدّرس عند قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾[آل عمران: الآية ٤٢] أنّ هذا من المظاهر الدّالة على أن الأمر بيد الله سبحانه وتعالى، وأنّ الحكم والاختيار له، يقول السيد: **(هذا مظهر من مظاهر أن الحكم لله أن الإختيار لله أن الإصطفاء قضية يختص بها الله سبحانه وتعالى، وكم هناك في بني إسرائيل من**

(١) سورة آل عمران الدرس الثالث عشر.

(٢) سورة آل عمران الدرس الثالث عشر.

نساء وكم هناك من رجال وكم هناك من علماء في الكنائس والمعابد، وكم هناك من كبارات وموجودين كانوا، لكن لن يكون أحد منهم أباً لعيسى فضلاً عن أن يكون هو نبياً أليست هذه قضية؟ فإذا هم يجدون بأنه لماذا اصطُفي رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **نقول: هكذا تم الإصطفاء داخلكم على هذا النحو ألم يتم الإصطفاء داخلهم على هذا النحو؟)**[1].

ويؤكّد السّيد أنّ موضوع الاصطفاء لا يكون قضية مجهولة، ومباغتة لمن يصطفيهم، ويختارهم الله، لأنّ مؤهّلات، ومميّزات الاصطفاء الإلهيّ تكون بارزة، ومتميّزة داخل هذه الأسر، والدّوائر التي يصطفيها الله، فيقول: **(موضوع الإصطفاء نفسه أعني: أنك تلمس أسرة متميزة نفس الأسرة متميزة آل عمران هذه الأسرة التي من ذرية آل إبراهيم التي منها مريم ابنت عمران نفس الأسرة تلك متميزة أعني الأجواء داخلها صالحة للإصطفاء الفردي مريم لتكون أماً لنبي اصطفاه الله سبحانه وتعالى؛ لأن الإصطفاء لا تكون قضية مجهولة بالنسبة للمصطفين لا تكون قضية مجهولة، لذلك نحن نستبعد دائماً أن يكون الوحي نزل إلى رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **بتلك الصورة المفاجئة - مثلما يقولون - لا تكون القضية مجهولة أبداً لاحظ موسى بن عمران (صلوات الله عليه) ألم تُشْعَر أمه؟ ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾**[القصص: من الآية ٧])[2].

ويؤكّد السّيد على هذه القضية فيبيّن أنّ كلّ الدّلالات والمؤشّرات تكون قائمة حتّى لدى الناس أنفسهم بشكل عام، سواءٌ على مستوى الأسر المتميّزة، أو على مستوى التهيئة والتمهيد الإلهي، أو على مستوى الوضعيّة كما هو واضح في قضيّة وموضوع الصّديقة مريم ابنت عمران، ونبيّ الله عيسى، ونبي الله موسى عليهم السلام، يقول السيد: **(هل موسى مثلاً لم يكن يعرف بمهمته لا يعرف بأنه قد يكون منوطاً به دور هام جداً إلى أن تفاجئه النبوة في ذلك المكان؟ ذلك بداية القيام بالمهمة، رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **كذلك من قبل ولادته؛ لأن مسألة الإصطفاء تكون قضية يكون هناك تمهيد لها واسع وكبير، لا تأتي هكذا مفاجئة يظهر نبي ما يكون هناك تمهيد، يكون هناك حتى على مستوى الوضعية على مستوى وضعية المحيط محيطه بكله وضعية الأسرة نفسها هنا يقول: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ أليسوا يشعرون**

(١) سورة آل عمران الدرس الثالث عشر.

(٢) سورة آل عمران الدرس الثالث عشر.

بهذا؟ ﴿وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[1].

ويضيف السّيد في نفس الدرس أنّ الاصطفاء كما هو يأتي بشكل دوائر وأشخاص، فإنّه كذلك يكون بشكل مهام وأدوار، فهذا يكون له دور، وهذا يكون له دورٌ أوسع، وأنّ المسألة بكلّها تنتهي إلى ضرورة التّسليم المطلق لله سبحانه وتعالى، يقول السيد: **(نلحظ أيضاً في القضية هذه في مجمل القصَّة هذه زكريا، ويحيى بن زكريا، ومريم، وعيسى: أن الإصطفاء قد يكون أحياناً يكون اصطفاء لأدوار معينة يحيى بن زكريا نفسه نبي، ومصطفى اصطفاه الله له مهمة معينة له دور معين، أعني تنتهي المسألة بأنه يجب على الناس أن يكونوا مسلِّمين لأمر الله هذه قضية، مسلِّمين لأمر الله لا يضعون هم شروطاً أمام الله حدوداً لتدبير الله مثلما حصل من بعد في ثقافتنا أي تجد هنا يحيى بن زكريا، وتجد مريم، وتجد زكريا، وعيسى، أسرتين متقاربة، وفي نفس الوقت هناك نبي ومصدق بنبي سيأتي، هذا النبي له دور، وهذا النبي له دور أوسع)**[2].

أعلام الهدى الذين يصطفيهم الله

يوضّح السيد أن معرفة الحق، والاهتداء إليه يأتي عن طريق أعلام للدّين هم ممن يصطفيهم الله، ويختارهم، ويؤهلهم، ويكونون معروفين في النّاس بمواقفهم، وأعمالهم، وأخلاقهم، وسلوكهم، فيكون لهم في نفوسنا مكانة، واحترام، وحبّ، وتقدير فنكون بهذا مهيّئين لمعرفة الحق واتّباعه، يقول السيد: **(يأتي الحق عن طريق أعلام لهم مكانة في نفوسنا، أعلام نجلّهم، أعلام نحترمهم، أعلام ندين بحبهم، أعلام نعرف تاريخهم المشرق، أعلام نعرف كيف كانوا يجسدون القيم الصالحة، كيف كانوا رحماء بالأمة، من خلال انشدادي لهؤلاء الأعلام، وحبي لهم، وإجلالي لهم، أتحلى بما كانوا يتحلون به، أدين بما كانوا يدينون به، فمن هنا يأتي تقبل الحق)** [3].

ويؤكّد السّيد أنّ قضيّة أعلام الدّين هي قضيّة تأتي من قبل الله سبحانه وتعالى، بدءاً باصطفائه رسلاً من داخل الملائكة أنفسهم يقومون بمهمّة إيصال الدّين لمن يصطفيهم الله من البشر، ومن يصطفيهم الله من البشر يقومون بإيصاله للناس، فتأتي المسألة من قبل الله لرسله،

(١) سورة آل عمران الدرس الثالث عشر.
(٢) سورة آل عمران الدرس الثالث عشر.
(٣) سورة آل عمران الدرس الأول.

ورسله يبيّنون ويحدّدون لنا من هم الأعلام الذين نتولاّهم ونتّبعهم من بعدهم، لأنّ هدى الله ودينه هو للحياة بكلّها، وليس لظرف، أو زمن معيّن، يقول السيد: **(في مقام الدين، أعلام الدين هي قضية تأتي من قِبَل الله سبحانه وتعالى، أنه هو يبدأ يصطفي من داخل ملائكته رسلاً ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً﴾**[الحج: من الآية ٧٥] **ليقوم بالمهمة إلى من؟ إلى البشر، يصطفي من البشر رسلاً ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾** [الحج: من الآية ٧٥] **إذاً فهو هو الذي يحدد لنا من هم الأعلام الذين نتولاهم ونسير على هديهم ونتمسك بهم؛ لأن القضية دقيقة جداً، ومحكومة جداً، ومضبوطة جداً وهدي واحد، تميل كذا أو كذا تقع في ضلال، وليست القضية متروكة لك مثلما عندما تدخل إلى السوق فتسمع هذا يُرَوِّج وهذا يُرَوِّج، وهذا يتلطف لك، وذلك نقص لك ريالين فتتجه إليه، أو نَمَّق بضاعته وجعلها بادية أمامك أكثر فتتجه إليه.**

المسألة تأتي من قبل الله سبحانه وتعالى إلى رسوله، من قِبَل رسوله هو ليحدد للناس من هم الأعلام الذين يتمسكون بهديهم، وسيظلون بحاجة إلى التمسك بهديهم وتوليهم، وإن كان بينه وبينهم آلاف السنين؛ لأنه أليس هدي الله هو للحياة كلها؟)[1] .

ولأنّ قضيّة الأعلام قضيّة مهمّة جدّاً، ومرتبطة بالناس، ومواقفهم، وولائهم فإنّ اليهود والغرب يعرفون ويدركون أهميّة هذه المسألة، فيعملون الآن من خلال سيطرتهم على كلّ المناهج والوسائل التعليميّة، والتربويّة، والثقافيّة، والإعلاميّة، والسياسيّة على تزييف الوعي في نفوسنا، ويقدّمون ويصنعون لنا أعلاماً وهميّن لنتولاّهم ونتّبعهم بدلاً عن الأعلام الذين هم من قبل الله سبحانه وتعالي، يقول السيد: **(وهكذا رأينا كيف أنه في مناهجنا الدراسية، وعلى شاشات التلفزيون، وفي غيره من وسائل الإعلام، نرى أعلاما أخرى تقدم للأمة، ويتحدثون عنها كثيراً في المساجد، في المعاهد، في المراكز، في الجامعات، وفي كل مكان، هذه الأعلام عند من يفهم واقع الأمة الآن أن أمريكا، أن اليهود والنصارى يتحكمون تقريبا في كل شيء، في الجوانب الإعلامية، الثقافية، التربوية، الاقتصادية، السياسية، في الدول كلها يتحكمون فيها، ويتدخلون في**

(١) سورة المائدة الدرس الثاني.

كل صغيرة وكبيرة.

هم يعرفون أن تلك الأعلام لا تصنع شيئا؛ لأنه لو جسم في نفسك على أكبر ما يمكن لما كان باستطاعته أن يحركك، ليس فيه ما يحركك، إنما هي - كما يقال - : [نمور من ورق] فلنضع للشباب ولنضع للأجيال نموراً من ورق، أعلاماً وهمية لا تقدم ولا تؤخر، ولو تكرر اسمها آلاف السنين لن تعمل شيئا في النفوس؛ لأنه عندما تحاول أن تستيقظ وترجع إلى ذلك العلم لتستلهم منه شيئا تجده فارغا لا يمكن أن يكون فيه ما يدفعك)[1].

لكن عندما نلتفت للأعلام الهداة الذين هم من قبل الله سبحانه وتعالى، فإنّ هذه مسألة خطيرة جدّاً على اليهود والظّالمين، لأنّنا سنرتبط بأعلام قادة، وهداة، فيهم العلم، والحكمة، والبصيرة، والجهاد فنستلهم منهم كلّ هذه القيم، والمبادئ المهمّة، لهذا نراهم يعملون جاهدين لصرفنا، وإبعادنا عنهم، يقول السيد: **(لكن أعلاماً كالإمام علي (عليه السلام) كالحسن، والحسين، والزهراء، كزيد، والهادي، والقاسم، وغيرهم ممن هم على هذا النحو، هم الخطيرون في واقع الحياة، هم من لو التفت الإنسان، أو التفتت الأمة لتستلهم منهم شيئاً سترى ما يشدها، ترى ما يرفع معنوياتها، ترى المواقف المتعددة، ترى التضحية، ترى الاستبسال، ترى الشعور بعظمة الإسلام، ترى الاستهانة بالأنفس والأموال والأولاد في سبيل الإسلام)**[2].

نصر الدين وإنقاذ المستضعفين لا يكون إلاّ على يد أعلام الهدى

وهنا ومن خلال ما سبق، ومن خلال الرّؤية القرآنيّة، والسُّنّة الإلهيّة يتبيّن لنا أنّ نصر دين الله، وإعلاء كلمته، وانقاذ المستضعفين من عباده، لا يكون إلاّ على يد الأعلام الهداة الذين يصطفيهم ويختارهم الله، فيكون توليهم، واتّباعهم، وطاعتهم، امتداداً لولاية الله سبحانه وتعالى، ورسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، يقول السيد: **(إن نصر الإسلام، وإنقاذ المستضعفين من عباد الله لا يكون إلا على يد أعلام دين الله، وهذه سنة إلهية.**

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الثالث.

(٢) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الثالث.

يوم ظهر [أسامة] وكنا نرى الكثير من الناس يظنون فيه أنه سيكون منقذ الأمة كنا نقول: لا، لن يتحقق أبداً على يديه ذلك، إن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **قال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي» فلن يكون إنقاذ الأمة من الضلال الذي تعيشه إلا على يد عترة رسول الله الذين هم قرناء القرآن.**

كنا نقول ونجزم، ونحن لا نعلم الغيب ولكن من خلال فهمنا لمثل هذا الحديث، وللسنة الإلهية: أن إنقاذ عباده لا يكون إلا على أيدي الأعلام الذين اصطفاهم لنبوته أو وراثة كتابه) [1] .

(١) محاضرة محاضرة مسؤولية أهل البيت.

الإمام عليّ (عليه السلام) صمّام الأمان للدّولة الإسلامية

تطل علينا من كلّ عام ذكرى مهمّة جدّاً، هي ذكرى ولاية الإمام علي (عليه السلام) في يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة المبارك، اليوم الذي وقف فيه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وأوقف الحجيج في مكان يقال له (غدير خم) ما بين مكة والمدينة، وهو مفترق طرق الحجيج، ورصّت له أقتاب الإبل في صحراء قاحلة بحيث يراه الجميع في حرارة الشمس، ورمض الصحراء من وقت الظهيرة، ثمّ صعد وأصعد معه الإمام على (عليه السلام) وخطب في الحجيج جميعاً خطبته المشهورة (بخطبة الغدير) في حجّة الوداع السّنة العاشرة للهجرة، وأمسك بيده يدَ الإمام على ورفعها عالية حتّى رآها الجميع، وصاح بأعلى صوته ليسمعوه جميعاً أيضا، وقال: «يا أيّها النّاس إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه؟ اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله».

هذه الذكرى والمناسبة تمثّل أهمّ محطّة تاريخيّة وسياسيّة في تاريخ المسلمين، وعلى ضوئها يتحدّد المستقبل لهذه الأمّة، ومن خلالها نتعرّف على مستوى شخصيّة هذا الإمام العظيم والقائد الفذّ، الذي غفلت عنه الأمّة في أهم مراحلها التّاريخيّة والمفصليّة، بمعنى أنّه كيف لو تمسّكت الأمّة بهذه اليد التي رفعها رسول الله في يوم (شاهر ظاهر) كما يقولون؟ وكيف لو قدّر لهذا الإمام الإستقرار السّياسيّ في حياته من بعد رسول الله؟ كونه يمثل حركة الرّسالة، ونور النبوّة، ونهج الإسلام الرّاقي، ووجهه الحضاري الخالد بسلوكه القويم ومنهجه المستقيم، فعلاً لغيّر أشياء وأشياء، كما كان يقول هو عن نفسه: (لو استقرت قدماي في هذه المداحض لغيّرت أشياء وأشياء)، مفاهيم مغلوطة، وانحراف، وضلال رهيب كان قد علق بالأمّة، وتمكّن منها من بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واليوم لا زال بإمكان الأمّة قراءة حياة الإمام علي (عليه السلام) من جديد، ودراسة شخصيّته وأبعادها الرساليّة، والحركيّة، والسّياسيّة لاستلهام الدّروس الحيّة النابضة المتجدّدة، لتغير مسار الحياة الرّاكد، وواقعها المؤلم، ولتغير أشياء وأشياء كما كان يقول (عليه السلام) لا زالت مترسخة إلي يومنا هذا، أهمّها وفي مقدمتها واقع

المسلمين السّياسيّ اليوم، الذي يعتبر الإمام علي(عليه السلام) هو صمّام أمانه، كيف لا وقد اعتبر بعض الكتّاب، والباحثين التاريخيّين، والسّياسيّين أنّ الإمام على معجزة من معجزات الإسلام والنّبوّة، وسنحاول أن نتناول في هذا الموضوع المتواضع شيئاً من ذلك على ضوء ما قدّمه السّيد/ حسين بدر الدين (رضوان الله عليه) في دروسه ومحاضراته القرآنية، وهو قليل من كثير، ممّا تناوله السّيد حول موضوع الولاية، والنظام السياسي في الإسلام.

مفهوم الولاية في الإسلام (السلطة السياسية)

يدور الآن حديث واسع، وتساؤلات عديدة في السّاحة السّياسيّة اليمنيّة، وعلى مستوى الوطن العربيّ، والسّاحة العالميّة بشكل عام، سيّما في ظل المتغيّرات، والاعتبارات المحليّة، الإقليميّة، والدّوليّة، حول من يلي أمر الأمّة، ولأيّ نظام، واعتبار يخضع؟ هل يكون نظام رئاسي برلماني؟ أم رئاسي فقط؟ أم برلماني؟ وهل يكون ديمقراطي، أم شوروي، مدني فيدرالي؟ أو عسكري؟ إلى غير ذلك من التساؤلات، وتطرح في نفس الوقت تساؤلات عديدة عن مهام الولاية في الإسلام، ماهيّة النّظام السّياسي في الإسلام، فيما يتعلق بنظام هيكلة الدولة، ومهام السّلطة التنفيذيّة والتشريعيّة؟

أوّلاً: هذه التساؤلات أساساً غير صحيحة، لأنّه في واقع النّاس ليس هناك فصل ما بين سياسة واقتصاد، واجتماع، وثقافة، وتربية، ورعاية، وأشياء من هذه، بل لقد ترسّخت مفاهيم خاطئة عن مفهوم الولاية، والسّلطة في الإسلام، وكأنّ الموضوع متوقف على ما نسميه سلطة سياسيّة فقط، سلطة تنفيذيّة لأوامر، ونواهي جافة، وتسلّط، وقهر، وتجبر على ما هو عليه الواقع اليوم.

لكن في الحقيقة إنّما برزت هذه التساؤلات، وجاءت هذه المفاهيم، عندما برز في حياة الناس رؤساء، وملوك، وأمراء تزعّموا البشر، وحكموهم على مختلف مراحل التّاريخ، وإلى يومنا هذا، وهم لا يمتلكون أيّ رؤية، ولا قدرة فيما يتعلق بالرّعاية، والتربية، والتثقيف، لا يمتلكون من مهام السّلطة إلاّ القدرة التّنفيذيّة، ولا يجيدون إلاّ القهر، والتسلط، والحكم بقوّة الحديد والنار، والسّلطة لديهم هي الأمر، والنّهي، والسّجن، والقتل، والنّفي، ومصادرة الحقوق والحرّيّات، كما هو واقع المسلمين المعاش اليوم.

وترسّخت هذه المفاهيم المغلوطة لدى الفرق، والمذاهب الإسلاميّة، حتّى لدينا نحن الزيديّة كما يقول السيد/ حسين بدر الدين حيث قدّمت (ولاية الأمر) في كتب الفقه السّياسيّ، ومباحث السّياسة، والإمامة في الإسلام بشكل منقوص (رئاسة عامة)، وأصبحت مهام رئيس الدولة، أو ملك، أو خليفة المسلمين، أو إمامهم هي: **(تجييش الجيوش، وإعلان حالة الحرب والسلم، وجمع الزكاة، وإقامة الحدود، وتعيين ولاة وعزل آخرين، وانتهى الموضوع وبالله التوفيق)**، كما يقول السيد.

بينما هذه المهام بإمكان أيّ شخص تنفيذها، وممارستها دون أن يحتاج إلى الحنكة السّياسيّة، فهذا معاوية وهو نموذج للحكام اليوم قد استطاع أن يحكم الأمّة عشرين سنة على هذا النحو، ويرى السيد بأن معاوية لم يكن بالرجل الدّاهية، والمحنّك كما تقدّمه كتب السّير، والتاريخ، بل كان إنساناً منحطاً على كلّ المستويات، يقول السيد **(لم يكن معاوية يمثل شيء لأنه بالطريقة هذه تستطيع أن تحكم العالم كله)**، ويضرب لنا السيد مثلاً بما هو عليه الواقع اليوم، فيقول: **(الأمريكيون والإسرائيليون أنفسهم متجهون الآن لأن يحكموا العالم وفق هذه الطريقة والمنهج، لا يقدمون للعالم والحياة إلا الفساد والخراب والدمار)**.

وفي جانب الوصول إلى السّلطة، وممارسة الحكم على هذا الأساس، يقول السيد: **(فيما يتعلق بالجوانب الأخرى فبإمكان أي شخص أن يحكم سواء عبر الإنتخابات ضمن النظام (الديمقراطي) أو عبر الإنقلابات العسكرية أو عن طريق الوراثة، وتوريث السلطة في الأنظمة الأسرية (الملكية) فيصل إلى الحكم ويحكم ولو أربعين سنة ولكن لن يكون له أي أثر في تربية الأمة ونشئتها وبناءها بناء صحيحا)**.

كما هو عليه الحال في الدول العربية، وفي مقدّمتها دول الخليج التي يحكمها الملوك، والأمراء منذ عقود من الزّمن، وأوصلوها بهذه الطريقة، ووفق هذه المفاهيم إلى الحضيض، وتردّت الأمّة إلى أسفل سافلين.

ويرى السيد أنّ الإمام علي (عليه السلام) وفقاً لهذه الطريقة، والمنهجيّة المغلوطة، كان بإمكانه أن يخضع العالم لحكومته، فيقول: **(لقد كان بإمكان الإمام علي (عليه السلام) أن يخضع**

الجزيرة هذه ويخضع البلاد الإسلامية ويدير الأمور بأحسن مما عمل معاوية ومما هو حاصل الآن وفق هذه الرؤية والطريقة، بل أبسط شخص من أصحاب الإمام علي كان بإمكانه أن يعمل هذا).

الإمام علي صمام أمان للدولة الإسلامية

لقد كان معاوية نموذجاً، ومثالاً لسقوط الدّولة الإسلاميّة، بينما كان الإمام علي(عليه السلام) هو النّموذج الحيّ للدّولة الإسلاميّة العادلة، وما تتضمّنه مهام الولاية في الإسلام، وعندما نأتي لنقرأ ما تركه معاوية للأمّة، وما تركه الإمام علي، سنرى البون الشاسع، والفرق الواضح بين الضّدّين، عندما نقرأ نهج البلاغة المتضمّن خطب، ورسائل الإمام علي، وتوجيهاته للولاة الّذين عيّنهم نجد كيف يرسم، ويقدم مهام الولاية في الإسلام، وكيف ترك إرثاً حضاريّاً مهمّاً جدّاً حتّى فيما يتعلق بالوعي السّياسيّ، لقد ترك تراثاً حضارياً، ومنهجاً خالداً الأمّة أحوج ما تكون إليه في الوضع، والظّروف السّياسيّة الرّاهنة، مثل عهده إلى "مالك الأشتر النخعي" عندما ولاه مصر، نعرف كيف هي سياسة، وحكومة من يفهم السّلطة في الإسلام، ويفهم الدّين من حيث هو بالنسبة للإنسان، وما يتعلق بكرامته من منطلق ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾[الإسراء:٧٠]، فيوجّه المجتمع توجيهات تسمو به، وترتقي بنفسيته، ليصل إلى مستوى عالٍ جدّاً من الوعي، والفهم، والمعرفة، لأنّ مهمّة البشريّة في حركة هذا الدّين تحتاج إلى قيادة من هذا النّوع، وأن تربّى على هذا النّحو لتصل بهذا الدّين إلى الأمم الأخرى، على أساس حياة صحيحة، وبناء أمّة قويّة، وشعوب مقتدرة، لأنّ قضية ما يسمّى بالسّلطة التّنفيذيّة قد تمثل ما نسبته فقط ١٠٪ من مهام ولاية الأمر في الإسلام.

فيما تكون المهمّة الأساسيّة هي مهمّة التربية، والتعليم، والتثقيف، والهداية، كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿**وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾[الأعراف:١٨١]، ولهذا تعب الإمام علي، وعانى معاناة شديدة في هذا الموضوع، من هنا يجب أن نفهم أنّ علينا أن نكون واعين، وفاهمين لهذه القضيّة، لأنّ نصف الموضوع متوقف على فهم الإنسان نفسه لهذه القضيّة، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حركته الرّسالية، وكذلك الإمام علي (عليه السلام) يوجّهون النّاس على أساس أن يفهموا هم بأنفسهم، وينطلقوا، ويتحرّكوا من منطلق الوعي، والتّفاعل مع التّوجيهات، حتّى لا يكونوا من النّوعية الّتي لا تتحرّك، ولا تفهم إلا إذا سيقت بالعصا، ولا تعي، ولا تتأدّب إلاّ إذا ضربت بالسوط.

الآن ونحن نشاهد ونسمع ما يدور من لغط، وجدل سياسيّ حول الوضع السّياسيّ الرّاهن، أمامنا فرصة سانحة لأن نصحح نظرتنا، أولاً: فيما يتعلق بمفهوم السّلطة، والنّظام السّياسيّ في الإسلام، وهيكليّة الدّولة، لا بد أن تكون ولاية الأمر هي امتداد لولاية الله سبحانه وتعالى على عباده، وولاية رسول الله، وولاية الإمام علي التي هي ولاية رحمة في كل ما هدى الله عباده إليه، وشرّعه لهم، ويعتبر السّيد أنّ هذه الولاية هي الحصن الحصين للأمّة التي ستضمن لها الاستقلاليّة، والحرّيّة، وتحقّق لها العدل، والنّموّ، فيقول: **(ولاية الله ورسوله والإمام علي بن أبي طالب عندما تملأ القلب ستملؤه إيمانا واعيا، ستحصن القلب من أن ينفذ إليه أي ذرة من ولآء لليهود والنصارى)**.

عندما نتأمل في الواقع المعاصر اليوم العربي والإسلامي نرى العجب العجاب لدينا (٥٧) قائداً عربيّاً، وإسلاميّاً، تحتهم مليار ونصف المليار مسلم، وتحت أقدامهم منطقة استراتيجيّة مهمّة، وبين أيديهم ثروات هائلة جدّاً، الدول العربية لوحدها فقط تنتج ما يقارب (٢٢) مليون برميل من النّفط يوميّاً، هذا فيما يتعلق بالثّروة النفطية فقط، ناهيك عن بقية الثّروات المهمّة، كالثروة البحريّة، وموارد الإنتاج، والصّناعة، والزّراعة، والسياحة، والجمارك، والضّرائب، وهذا ما تنتجه الدول العربية فقط فكيف ببقية الدول الإسلامية، فأين تذهب هذه المبالغ اليوميّة والسنوية؟ أين يذهب بها الحكام العرب اليوم؟ ولمصلحة من؟ وفي بنوك من تذهب؟؟.

لا شك أنّها تذهب لحساب المصالح الأمريكيّة، والإسرائيليّة، والغربيّة فقط.

لقد كانت كلّ هذه الثّروة كفيلة بأن تجعل هذه الأمّة أقوى أمّة على وجه الأرض، وأنمى وأرقى دول العالم قاطبة، وفي الأخير نراهم لا شيء، ولا يجرؤون بكلمة واحدة، كلّ هذا عندما فقدت الأمّة أهم المقوّمات التربويّة، والتثقيفيّة، والتعليميّة في من يلي أمرها، وينهض بها، ويجعل منها أمّة مقتدرة، ومؤثرة في حركتها، وفاعليتها.

عندما فقدت الأمّة المقوّمات المهمّة للنّهوض التي كان يمثّلها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، ويمثّلها الإمام علي (عليه السلام)، وعندما لم تعد الأمّة على هذا النحو من فهمها الصحيح للسّلطة، والنّظام السّياسيّ في الإسلام ما الذي حصل؟ ضاعت الأمّة وتلاشت، وحكمها أشرارها، وحكمها اليهود والنصارى، وامتلكوا قرارها، وتحكّموا بمصيرها، وزمام

أمورها، وسيطروا على مقدّراتها، وهذا ما كان يصيح منه السّيد/ حسين بدرالدين، ويحذر من خطورته، عندما يقول: **(إن الأمة لأحوج ما تكون إلى أن تفهم ما هي ولاية الأمر في دينها، ما هي ولاية الأمر في إسلامها، ما هي ولاية الأمر في قرآنها، وإذا لم تفهم فسيفهمها الأمريكيون والإسرائيليون وعملاؤهم، ليقولوا لنا هكذا تكون ولاية الأمر، وهكذا يكون ولي الأمر، وستراه يهوديا أمامك يلي أمرك)**.

من هنا نعرف أهميّة ولاية الأمر في الإسلام، وندرك كم كانت خسارة الأمّة عندما فقدت شخص الإمام علي (عليه السلام) وابتعدت عنه، واستبدلت به آخرين غير جديرين، ولا مؤهلين لمواصلة مشوار النّبوّة، ووهجها المتألق، ورفضت منهجيّته العمليّة، والحركيّة في واقع الحياة، بل والأدهى من ذلك والأمر، عندما امتدت إليه يد إسلاميّة تكفيريّة لتقلته، وارتكبت أبشع جريمة سياسيّة في تاريخ الإسلام بحقه.

من هنا نعرف مدلول الحديث النّبويّ الشّريف القائل: «يا أيّها النّاس إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه.....الخ»، ونعرف ماذا تمثله من أهمية هذه المناسبة لعموم المسلمين جميعاً، مناسبة (عيد الغدير) السنويّة التي نحتفل بها كلّ عام، خاصة في هذه المرحلة الصعبة، والظروف، والتّحدّيات الرّاهنة الّتي يعانيها المسلمون جميعاً سنة وشيعة على السّواء، وبالذّات في هذا العصر الحاضر الذي تكشّفت فيه الحقائق على أرقى مستوى، وخرجت الأمّة من ولاية الله، ورسوله، والإمام على، إلى ولاية أمر من نوع آخر، ولاية أمر يهوديّة، ولاية أمر نصرانيّة، لأنّ الإمام علي كان يعيش القرآن في سلوكه ومواقفه وأعماله.

وبما أننا لا زلنا نعاني نفس الوضعية تلك، ونعيش نفس الظروف، فالخطوات الرّشيدة، والتّحرّك الصّحيح، والحكيم هو في العودة الجادة إلى ما قاله الرسول (صلوات الله عليه وآله) في الإمام عليّ في أيّام حياته، وما قاله في يوم الغدير بالذّات، والالتفاتة الصّادقة إلى ما تركه الإمام علي من إرث سياسيّ، وحضاري خالد، نستلهم منه الرّؤية، والمثالية في تصحيح وضعنا، واستعادة مقوّمات النّهوض الصحيح، فنحن عندما نعود إلى الإمام علي(عليه السلام) كما يقول السيد نعود **(لنستلهم منه الرؤى الحكيمة، والتوجهات الحكيمة في مختلف الميادين والمجالات)**.

مفهوم الولاية والسلطة في الإسلام

مما لا شكّ فيه أنّ موضوع الولاية والسلطة من أهمّ المواضيع السّاخنة على مستوى العالم والدنيا بكلها، والماضي والتاريخ حافل بالكثير والكثير من أمور السلطة، والسّياسة، والولاية، والصّراعات الدّامية على مختلف مراحل، وتاريخ البشريّة بما فيها تاريخ، وماضي، وحاضر هذه الأمّة، والعصر الحديث كذلك حافل بالمواقف، والأحداث، والمتغيّرات، والصّراعات السّياسيّة الدّامية حول موضوع ولاية الأمر، والسّلطة، أو الحكم، والرئاسة باختلاف وتعدّد الوضعيات.

الذي يهمنا في هذا الموضوع هو: ماهي الرّؤية الإسلاميّة، والقرآنيّة لموضوع السّلطة والولاية؟ وما هو مفهومها في الإسلام؟ وهل جعلها الإسلام قضية مفتوحة، أم لها حدود وضوابط؟ وهل أولاها القرآن والإسلام اهتماماً بالغاً، أم لا؟.

هذا هو ما سنوضّحه في هذا الموضوع من خلال الرّؤية القرآنيّة الّتي قدّمها الشّهيد القائد السّيد حسين بدر الدين الحوثي في سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون من دروس رمضان، إضافة إلى ما سبق وسيأتي توضيحه خلال هذه القراءة من خلال الدروس والمحاضرات (دروس من هدي القرآن الكريم).

ولاية الله ولاية رحمة"

ابتداءً يعتبر موضوع ولاية الأمر، والسّلطة السّياسيّة في الإسلام مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً ومتلازماً بمعرفة الله، وولايته على عباده، ولا يمكن فصل الموضوع عن بعضه على الإطلاق، سواءً كانت ولاية نبيّ، أو رسول من أنبياء الله ورسله، أو ولي من أوليائه فهي قضية مرتبطة بالله، وولايته، وسلطانه على عباده التي تتجلى هنا في الدّنيا على يد نبيّ من أنبيائه، أو وليّ من أوليائه، ممّن يمثّلون امتداداً حقيقيّاً لولاية الله، وسلطانه، وتعتبر ولاية الأمر في الإسلام الّتي تمثّل امتداداً حقيقيّاً لولاية الله سبحانه وتعالى هي ولاية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وولاية الإمام علي (عليه السلام) من بعده، يقول السيد: **(بعد أن جاء النهي المؤكد من الله**

سبحانه وتعالى للمؤمنين: أن لا يتخذوا اليهود والنصارى أولياء، وبعد أن أوضح خسارة من يسارعون فيهم، والسبب الذي يدفعهم إلى المسارعة أنه نتيجة مرض في قلوبهم، وبين ما يعطي أملاً للمؤمنين: أن الله سبحانه وتعالى سيستبدل بمن ارتدوا عن دينه، سيستبدل بهم غيرهم، من وصفهم بأوصاف عظيمة، هذه الأوصاف العظيمة ليست بمعزل عن هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾[المائدة: من الآية ٥٥] **بالإضافة إلى كونها توجيهاً للمؤمنين بشكل عام أنه لا يجوز أن تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ الذي يجب أن تتولوه فقط ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾**[المائدة: من الآية ٥٥].

وليكم الذي تعتصمون به، وتلجئون إليه، وتستنصرون به الله سبحانه وتعالى، هو من يجب أن تتولوه، وتكونوا معه وتتبعوه، وتطيعوه، ﴿وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[المائدة: من الآية ٥٥] **الآية هنا تبين بأن ولاية الله سبحانه وتعالى في هذه الأرض التي تتجلى على يد نبي من أنبيائه، أو ولي من أوليائه إنما هي امتداد لولايته سبحانه وتعالى، امتداد لولايته، امتداد لسلطانه، لهذا جاءت بعبارة واحدة ﴿وَلِيُّكُمُ﴾ ولم تأت بعبارة الجمع فيقول: أولياؤكم مثلاً، ﴿وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾**[المائدة: من الآية ٥٥]**؛ لأنها ولاية واحدة، ولاية رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **هي امتداد لولاية الله، ولاية الإمام علي هي امتداد لولاية رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله)**، باعتبار الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله)**، ومن بعده الإمام علي امتداد لسلطان الله هنا في الأرض)**[1].

وأبرز تجلّيات هذه الولاية في الإسلام، ومفهومها من خلال القرآن الكريم، ومن خلال التأمّل في السّموات والأرض وما بينهما، أنّها ولاية رحمة، وهداية، وتربية، ورعاية، وتكريم قبل أن تكون سلطة، وولاية تنفيذيّة، وهذه هي ولاية الله، ورسوله، والإمام علي الّتي يقدّمها القرآن الكريم، يقول السيد: **(هنا يعطينا فهماً بالنسبة للولاية في الإسلام، عندما نقول: السلطة في الإسلام كيف هي؟ عندما تعود إلى القرآن الكريم ترى في سور كثيرة، في آيات كثيرة، وعندما**

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

تعود أيضاً إلى واقع الحياة، تتأمل في السماوات والأرض وما بينهما من خلق الله تجد أن ولاية الله سبحانه وتعالى هي ولاية رحمة، ولاية رعاية، ولاية تربية، ليست مجرد سلطة هكذا، سلطة قاسية، أوامر ونواهي فقط، ولاية رحمة بكل ما تعنيه الكلمة، عندما تأتي إلى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **وتتعرف عليه من خلال القرآن الكريم، ومن خلال ما نعلمه من سيرته** (صلوات الله عليه وعلى آله) **تجد أيضا أنه كان يجسد هذه الولاية** ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨]. **عندما تأتي إلى ولاية الإمام علي نفس الشيء)**[1].

النّظام السّياسيّ في الإسلام

هذا هو المفهوم الحقيقيّ للولاية، والسّلطة في الإسلام، وهذا هو الشيء الغائب عن الحياة، والمفقود في حياة ووجود البشريّة، وهذه هي المهمّة الرئيسيّة، والمركزيّة للنّظام السّياسيّ، والولاية في الإسلام، لكن عندما غاب الولاة الحقيقيون الذين تعتبر ولايتهم امتداداً لولاية الله وسلطانة، وبرز ولاة أمر آخرون لا يجيدون هذه المهام الرئيسيّة، وبعيدون عن الهداية، والرّعاية، والرّحمة، والتربيّة ترسّخت لدينا مفاهيم أخرى خاطئة، ومغلوطة عن السّلطة، والولاية، وكأنّها تعني التّسلّط، والحكم بالقوّة، والقهر، والظّلم للنّاس، يقول السيد: **(إذاً فهذا هو مفهوم الولاية في الإسلام، وهذه هي مهام الولاية في الإسلام، ليست فقط سلطة تنفيذية، سلطة أوامر ونواهي جافة، وتجبر وتسلط وقهر، وأشياء من هذه.. أبداً؛ لأنه فعلاً يحصل تساؤلات كثيرة حول النظام السياسي في الإسلام، أو حول السلطة السياسية في الإسلام، وأشياء من هذه، هو أساساً السؤال من أصله غير صحيح؛ لأنه في واقع الناس ليس هناك فصل ما بين سياسة، واقتصاد، واجتماع، وثقافة، وتربية، ورعاية، وأشياء من هذه، ليس هناك فصل فيما بينها، من أين جاء ترسيخ السلطة وكأنها فقط ما نسميها: سلطة سياسية فقط، سلطة تنفيذية لأوامر ونواهي وتسلط فقط؟!.**

---

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

إنما جاءت عندما برز في الحياة هذه النوعية فعلاً، وعندما كان من يتزعمون البشر في مختلف مراحل التاريخ من النوعية التي لا تمتلك أي رؤية أخرى، ولا قدرة أخرى فيما يتعلق بالرعاية، والتربية، والتثقيف وغيرها، لا يمتلكون شيئاً، لا يمتلك إلا القهر والسلطة، أمر ونهي وسجن وقتل ونفي ومصادرة، وأشياء من هذه، هذا عمل يستطيع أي واحد يعمله، أليس أي واحد يستطيع أن يعمله؟ لا يحتاج حتى إلى حنكة سياسية - كما يقولون - معاوية استطاع أن يحكم الأمة عشرين سنة، ومعاوية لم يكن يمثل شيئاً؛ لأنك بالطريقة هذه تستطيع أن تحكم العالم، هذا بوش نفسه أليس متجهاً إلى أن يحكم العالم؟ وهو عندما تتأمل منطقه، ملامحه، حركاته تجد أنه إنسان غير طبيعي، وغير متزن، لكن ما أيسر السلطة، وما أسهلها عندما تكون على هذا النحو: أوامر ونواهي، الذي يقول لك: تمام، لا بأس، تعطيه كيفما أردت دون أن تلحظ حقوق الآخرين، والذي يرفض، سجن وقتل ونفي، وأشياء من هذه)[1].

ومن خلال المفهوم والرّؤية القرآنيّة للولاية في الإسلام، نعرف أنّ واقع البشريّة اليوم يختلف تماماً عن هذه الولاية الرّبانيّة القرآنيّة الّتي تبني الأمّة، وترتقي بها في كلّ مجالات الحياة، يقول السيد: **(إذاً الولاية في الإسلام، السلطة في الإسلام هي أرقى بكثير مما عليه واقع البشر، أرقى بكثير في مهام من يلي أمر الأمة، تجد أنه عندما تتأمل ولاية الله سبحانه وتعالى لشؤون عباده فولاية من يلي أمر الأمة هي امتداد لولاية الله، يجب أن يكون عنده رحمة، يجب أن يكون عارفاً كيف يربي الأمة، يجب أن يكون عارفاً كيف يبني الأمة، كيف يطور حياتها، كيف ينمي اقتصادها، كيف يزكي أنفسها، كيف يواجه أعداءها، أشياء واسعة جداً، جداً)**[2].

ولاية الرّسول

هذه الولاية هي التي تجلّت في رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وتجلّت على يديه، وبرزت في حياته، وسلوكه، وأخلاقه، وتعامله، وتجلّت وتجسّدت في شخصيّة الإمام علي (عليه السلام)، يقول السيد: **(تجد هذه ألم تكن هي أبرز الأشياء بالنسبة للرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله)

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

(٢) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

والإمام علي؟ ما الذي كان بارزاً بالنسبة لشخصيتهم كأولياء لأمر الأمة؟ هل كان البارز موضوع التسلط والقهر، أو هذا الجانب الآخر، جانب الرعاية والتعليم والتزكية؟ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾[البقرة من الآية: ١٢٩] **جانب تربيتهم؛ لينشئوا أمة على مستوى عالي، هذه المهمة هي التي كانت بارزة في شخصية الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **في ممارساته وسلوكه مع الناس الذين هو أولى بهم من أنفسهم ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾**[الأحزاب: من الآية: ٦] **ولهذا قال الله عنه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾**[التوبة من الآية: ١٢٨] **يعز عليه ويؤلمه أي مشقة تلحقكم، هذه صفة هامة جداً ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي مشقة تلحقكم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ بكل ما تعنيه الكلمة، حريص عليكم بأن تنشؤوا أمة مستقيمة، بأن تكونوا أمة قوية، بأن تنشؤوا رجالاً حكماء، أصحاب نفوس زاكية، أصحاب نفوس عالية، حريص ألا يلحقكم أي ضر مهما كان ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾)**[1].

الولاية في القرآن الكريم

يقدّم القرآن الكريم الولاية الشّاملة بدءاً من ولاية الله على عباده، وولاية أنبيائه، ورسله، وولاية أوليائه، على أنّها هي الولاية الّتي لها أثرها في بناء الأمّة، وتربيتها، والارتقاء بها، يقول السيد: **(إذاً عندما ترجع تتصفح القرآن الكريم بالنسبة لله سبحانه وتعالى أليس هذا ظاهراً، وليس فقط نقول: ملموس، ظاهر من خلال القرآن الكريم مظاهر رحمته، رأفته، رعايته، أنه فعلاً بالنسبة لعباده هم محط عناية كبيرة جداً تساوي ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ ما نمتلك عبارة بالنسبة لله نقول: هكذا، لكن مثلما قرأنا في الآية السابقة ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾**[المائدة من الآية: ٣٣] **وكثير من الآيات غيرها، هذه الجوانب الهامة جداً هي الجوانب التي يحتاج إليها الناس، وهذه هي الجوانب التي لا يمكن أطرف الناس أن يعملها، أما الجانب الآخر فبإمكان أي شخص يفوز بانتخابات، أو بانقلاب عسكري، أو عن طريق وراثة، أو بأي طريقة كان فيصل إلى الحكم، ويمارس الحكم، ويجلس ولو أربعين سنة، ولكن هل تجد له أثراً في تربية الأمة، رعايتها، تنشئتها، بناءها بناءً**

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

صحيحاً، لا تجد إلا العكس)[1].

والطريقة الصحيحة لمعرفة الولاية، والسّلطة في الإسلام تبدأ بمعرفة مهام الدّولة، والسلطة في الإسلام، والقرآن الكريم، قبل أن نتحدث عن مؤسسات الحكم، والسلطة، وطرقها، وآلياتها، يقول السيد: **(إذاً فقبل أن نتساءل عمَّا هو النظام السياسي في الإسلام كنظام هيكلية الدولة، اسأل عن مهام الدولة في الإسلام، مهام السلطة في الإسلام ما هي؟ هي هذه، وليس فقط: هل هو شخص واحد، أو مؤسسات؟ هل عن طريق انتخابات، أو عن طريق اختيار، أو عن طريق شورى أو.. أو.. إلى آخره، في المقدمة ما هي مهام الدولة في الإسلام؟)**[2].

ولاية الإمام علي

وقد تجلّت هذه الولاية التي هي امتدادٌ حقيقيٌّ لولاية الله، ورسوله على يد الإمام علي (عليه السلام)، الّذي حرص في أيام حياته، وولايته على أن يقدّم السُّلوك، والنّموذج الرّاقي لهذه الولاية، مهما كانت ظروفه، ومعاناته في الحياة، وترك للأمّة إرثاً عظيماً سلوكاً، وعملاً، وقولاً، وأخلاقاً، وقيماً، ومبادئاً تجسّد ولاية الله، ورسوله على النّاس، يقول السيد: **(الإمام علي (صلوات الله عليه) هل كان إنساناً ضعيفاً نفسياً؟ لم يكن ضعيفاً نفسياً على الإطلاق، كان قوياً، كان بإمكانه أن يخضع أهل العراق، ويخضع الجزيرة هذه، ويخضع كل البلاد الإسلامية، ويدير الأمور بشكل أقسى مما عمل معاوية، أليس هو يستطيع أن يعمل هذه؟ لكن اقرأ ما الذي ترك معاوية، وما الذي ترك الإمام علي، عندما تقرأ في نهج البلاغة تجد كيف ترك حتى فيما يتعلق بالوعي السياسي للناس، ترك تراثاً هاماً جداً، مثل عهده إلى مالك الأشتر، تجد نصوص خطبه وتوجيهاته - مع أنه قد يكون فقط قليل، ما وصل إلينا في نهج البلاغة قليل - كيف هو فعلاً عمل الإنسان الذي يفهم السلطة في الإسلام ما هي، يفهم الدين من حيث هو بالنسبة للإنسان ما هو دوره، أن الله كرم الإنسان ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾**[الإسراء من الآية: ٧٠] **فيجب أن يكون الحكم للناس بالشكل الذي**

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

(٢) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

يسمو بهم، يكون متناسباً مع تكريم الله لهم، وليس بالشكل الذي يحطهم، ويقهرهم، ويذل نفسياتهم؛ ولهذا أصبح جانب كبير من المسؤولية على نفس الأمة، على نفس الناس؛ لأن القضية هنا إضافة إلى خبرة إدارية، وخبرة تربوية، وتوجيهية بالنسبة لمن يلي أمرها لازم بالنسبة لها هي أن يكون لديها وعي، هو أن تعرف بأن من الأفضل لك أن تعيش في سلطة فيها مثل الإمام علي (صلوات الله عليه) لا تخاف أنه يمكن أن يظلمك، لا تخاف أنه بمجرد وشاية معينة إليه يمكن أن يسجنك، أو يقتلك، لا تخاف أن جواسيسه بعدك أينما ذهبت، لا تلمس أي خوف في نفسك، ولا أي شعور بقهر وإذلال ممن يحكمك، أليس هذا الذي يتناسب مع كرامة الإنسان؟)[1].

وعي النّاس بولاية الأمر

يتوقف تطبيق موضوع ولاية الأمر الإسلاميّة القرآنيّة الّتي تجسّد ولاية الله ورسوله، على مدى وعي النّاس أنفسهم بهذه المسألة، وتفاعلهم معها، واستيعابهم لها، فمهما كانت خبرات، وقدرات من يلي أمر الأمّة لا بد للنّاس أنفسهم أن يكونوا واعين بهذه المسألة، ومدركين لأهميّتها، حتّى يكونوا جديرين بولاة أمر يعبّرون عن ولاية الله على عباده، فيرفضون هم أيّ ولاية انتهازيّة، ومحرّفة، ويقفون، ويلتفون مع من يلي أمرهم، ممّن تعتبر ولايته امتداداً لولاية الله ورسوله، وهذا ما حرص الرّسول، ومن بعده الإمام علي أن يربّوا الأمّة عليه، يقول السيد: **(يجب أن تكون فاهماً أن على الإنسان نفسه أن يكون واعياً وفاهماً؛ لأنه فعلاً المسألة، أو تقول نصف الموضوع هو يتوقف على الناس؛ ولهذا كان الإمام علي والرسول من قبله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **يوجهون الناس يوجهونهم على أساس يفهمون هم، ينطلقون هم، يتحركون هم، لا يرضون لأنفسهم أن يكونوا من النوعية التي لا تتحرك إلا إذا سيقت بالعصا، لا تتأدب إلا إذا ضربت بالأسواط.**

الإمام علي تعب جداً في هذا الموضوع، وكان باستطاعته أن يمارس السلطة، واحد من جماعته وليس هو، واحد من جماعته باستطاعته أن يمارس السلطة بأرقى مما عمل معاوية، لكن معاوية ما

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

الذي ترك؟ ما الذي سمعنا عن سلطته عن إدارته لشؤون الأمة؟ وماذا عمل؟ سمعنا بقهر، بإذلال، بتدمير، بسفك للدماء، بتضليل رهيب للأمة، تحريف لقيم الدين، إذلال للأمة، ومن أخطر الأشياء على الأمة أن تذل بواسطة من يحكمها، لكن الأمة إذا لم تكن واعية، إذا لم تكن واعية فعلاً، تكون هي التي تعبر عن نفسها بأنها ليست جديرة إلا بمن يسوقها بالعصا، ويذلها ويقهرها)[1].

وقد بذل الإمام علي جهده مع الأمّة ليُفّهمها بأهميّة وخطورة المسألة، وعندما لم تقبل، ولم تتفاعل، ولم تستجيب أوكلها إلى الواقع الذي ذاقت آلامه، ومرارته من بعده، ولم يلجأ إلى محاولة قهر الأمة، وإذلالها، والتّسلّط عليها، وحكمها بالقوّة، لأنّ هذه الطريقة تحطّم الأمّة، وتدمّر مسؤوليتها الكبيرة في إقامة هذا الدّين، وحمل رسالته، يقول السيد: **(الإمام علي أوكل المسألة إلى الواقع بعد أن فهمهم، وبين لهم، ووضح لهم، ووجههم، وحذرهم من العواقب، ما قبلوا، ولم يرضوا أن يتحركوا، ويتفاعلوا بالشكل المطلوب، ذاقوا العاقبة من بعد، ألم يذوقوا الأمرَّين عندما تسلط عليهم بنو أمية من بعد؟ معاوية ومن بعده يزيد ومن بعده بنو أمية واحد بعد واحد، الأمة هذه مسؤوليتها كبيرة، الهدى الذي قدم إليها مهمته بالنسبة لبناء النفسية مهمة عالية جداً، يصل بالنفس إلى مستوى عالي جداً، مهمتها في حركة هذا الدين لإيصاله إلى الأمم الأخرى، تحتاج إلى أن تربى على هذا النوع، تحمل نفوساً كبيرة، نفوساً كريمة، نفوساً عزيزة، نفوساً أبية، لا يكون قد أذلها، وحطها القهر، قهر التسلط)**[2].

لأنّ لسّياسة حكم الأمّة بالقوّة، والقهر، والتّسلط أثراً سيئاً جدًّا على النّفوس، فتضعف الأمّة في حمل مسؤوليتها، والقيام بدورها، ومواجهة أعدائها، وهذا الأثر الخطير هو ما تركه الحكّام المتسلطون على نفوس أبناء شعوب هذه الأمّة، يقول السيد: **(لاحظ الآن عندما حكم العرب الكثير من حكامهم، الكثير منهم بسياسة القهر والتسلط، أنت هنا ضربت الأمة، لم تعد هذه الأمة صالحة لأن تدافع عن نفسها، ألفت القهر، ألفت الإذلال، ضعفت نفوسها، انهارت معنوياتها؛ لهذا يكون هناك أثر سيئ جداً، جداً للتسلط على الناس؛ لأنه يؤدي إلى قهر أنفسهم**

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

(٢) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

فيضعفون في مواجهة العدو، ويضعفون عن حمل الرسالة العظيمة هذه التي أوكلت إليهم) [1].

الرّؤية السّياسيّة للولاية في الإسلام

إذا هذه هي الرّؤية السّياسية في الإسلام، والقرآن الكريم، الّتي تقوم على أساس التكريم للإنسان، وتقوم على عوامل التربية، والهداية، والرّعاية، والرّحمة، يقول السيد: **(هذه القضية من أهم الأشياء، حتى نعرف هل للإسلام رؤية سياسية - كما يقولون - هل الإسلام فيه ولاية أمر، أو ليس فيه شيء؟ كيف نظرة الإسلام إلى هذه القضايا التي يتكالب عليها الناس، ويتسابق عليها الانتهازيون؟ لا يمكن أن تفهم القضية إلا أن تبدأ من عند الله سبحانه وتعالى فتعرف وهو يقول عن نفسه بأنه الملك، ألم يقل بأنه ملك؟ انظر إلى كيف ملكه هو، كيف ملكه، هل هو ملك تسلط وقهر وجبروت، أو ملك رعاية وتربية؟ وفي الأخير - فعلاً - لمن لا ينفع معهم أي شيء يضربهم، أليس هذا الذي نلمسه في القرآن بالنسبة لله سبحانه وتعالى؟)** [2].

وهذه هي الولاية لأمر الأمّة في الإسلام، الّتي تقوم على هذه الأسس، والقيم، والمبادئ المهمّة، ومن لم تكن ولايته قائمة على هذا الأساس في الحياة، ومع الناس، فلا يصحّ بأيّ حال من الأحوال أن يلي أمر الأمّة، ويجب أن ترفضه الأمّة، وترفض ولايته عليها، يقول السيد: **(انظر إلى ولاية الله سبحانه وتعالى لأمر عباده، واعرف أن ولايته هنا عن طريق رسوله، أو الذين آمنوا، إنما هي امتداد لولايته، ويجب إذا لم تكن على هذا النحو، فليست امتداداً لولايته، إذا لم يكن من يلي أمر الأمة يتعامل مع الناس بالشكل الذي يلمسه من خلال مظاهر ملك الله، مظاهر ولاية الله سبحانه وتعالى على عباده، معنى هذا ماذا؟ أنه لا يعتبر امتداداً لولاية الله أبداً، هو مفصول عن الله، وسيترك آثاراً سيئة في نفوس الناس، وفي واقع الحياة، حصل الخطأ الكبير حتى عندنا نحن الزيدية، عند الزيود، ما بالك بالآخرين الذين جعلوها جائزة، من قفز على كتف، وعلى كاهل هذه الأمة تجب طاعته، وإن قصم ظهرها، وإن لعب بأموالها، وإن داسها، تجب طاعته! أيضاً قدموا عندهم الفكرة هذه: ما هي ولاية الأمر؟ قالوا في الأخير هي: [رئاسة عامة] يجيش جيوشاً،**

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

(٢) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

ويعين ولاة، ويعزل ولاة، ويقيم حدوداً، ويستلم زكاة، وانتهى الموضوع) [1].

معنى ولاية الأمر في الإسلام

تعتبر ولاية الأمر في الإسلام واسعة وشاملة، وهي أرقى رؤية للحكم والسّلطة، حكم العالم بكلّه، والبشريّة بكلّها، ناهيك عن دولة من الدّول، أو إقليم من الأقاليم، الولاية الّتي تقوم على أساس تدبير الله، وملكه، وحاكميّته المطلقة على عباده، الولاية الّتي لها علاقة بالنّاس، والحياة، والدّين، وإقامته، يقول السيد: **(القضية أوسع من هذا بكثير، وإذا لم نفهم المسألة على هذا النحو، معنى هذا أننا جاهلون فعلاً بالله، وجاهلون بمثل هذه الآية نفسها ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ وليكم، أليست بعبارة مفردة ﴿اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ أي بالتأكيد أن ولاية رسوله وولاية الذين آمنوا - الذي هو الإمام علي ومن كان كمثل الإمام علي - تعتبر امتداداً لولاية الله، هنا ستعرف أهمية ولاية الأمر في الإسلام بالنسبة للأمة، وأهميتها بالنسبة للدين، وأهميتها بالنسبة لإقامة الدين، ليست القضية هل يجوز أن يكون من هؤلاء، أو هل يجوز أن يكون بشورى، أو يكون بانتخابات، أو أن يقفز بانقلاب عسكري، أو بأي طريقة كانت، ليست القضية حول هذا، هل يكون واحداً، أو عشرة، أو عشرين أو.. إن الإسلام لديه رؤية - إذا صحت العبارة - أن يحكم الأمة بكلها، البشر بكلهم، قدم رؤية أرقى رؤية لحكم العالم بكله فضلاً عن إقليم من الأقاليم)** [2].

وعلى هذا فإنّ الرّؤية القرآنيّة لولاية الأمر، والسّلطة في الإسلام، تقوم على أساس أنّها بيد الله سبحانه وتعالى، ومهما كان إخلاص من يلي أمر الأمّة، ويحكمها فإنّه لن يستطيع أن يرتقي بالأمة، ويقوم بالدّين إذا لم يكم مؤهلاً من قبل الله لهذه الولاية، ولهذه المهمّة العظيمة، يقول السيد: **(عندما يقول البعض: أبو بكر ماذا فيه من عيب؟ أليس البعض يقول هكذا؟ أبو بكر هو هذا سير جيشاً إلى الشام، وقاتلوا كذا، وأشياء من هذه، هذه كلها تكون نتيجة قصور في فهم ولاية الأمر في الإسلام ما هي، بالنسبة للأمة، أو بالنسبة للدين بكله ما هي، تراها قضية واسعة جداً،**

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

(٢) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

جداً؟ لا يستطيع مثل أبي بكر، ولا مثل عمر، ولا مثل عثمان أن ينجح فيها على الإطلاق، لا يستطيع حتى وإن حاول أن يُخلِص، ليست قضية تعود إلى أنه مخلص أو غير مخلص، وإن أخلص، وقد أوضح الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **للناس وضرب مثلاً يبين للناس بأن هؤلاء غير جديرين بقيادة الأمة عندما ولاهم في خيبر، أعطى الراية في يوم من الأيام أبا بكر رجع منهزماً أمام اليهود، أعطى الراية عمر فرجع منهزماً أيضاً من جديد أمام اليهود)** [1].

المهمّة العالميّة للدّين

ولأنّ لولاية الأمر والدّولة في الإسلام علاقة بأمر الدّين وإقامته، والتحرّك بحركته العالميّة، والجهاديّة في مواجهة كلّ الأعداء، والأخطار، والتّحدّيات، وكذلك في بناء الأمّة، والارتقاء بها إلى هذا المستوى الرفيع، فإنّ ولاية الأمر الإسلاميّة القرآنيّة تحتاج إلى قيادة عالية، ورفيعة بهذا المستوى، وبهذه المهمّة، يقول السيد: **(ثم تعود إلى هذا الدين وإذا هو يعطي هذه الأمة مهمة عالمية وكبيرة جداً، جداً حركة جهاد في العالم، إيصال هذا الدين إلى كل أنحاء العالم، أليس هذا بالتأكيد يتطلب قيادة عالية؟ فالذي انهزم أمام اليهود، وليس قبيلة عربية، ربما لو كانت قبيلة عربية الأمر أهون، لأن القبل العربية أقوياء، لكن اليهود هم أذلة، انهزم أمامهم، هذا يعطي مؤشراً واضحاً بأن مثل هذا ليس جديراً بقيادة أمة مجاهدة، وتربى على أساس أن تكون مجاهدة، وتحمل هذه الرسالة إلى العالم كله، نحن نعتبر بأنه تراجع الدين، وتراجعت الأمة تراجعاً كبيراً جداً، جداً من أيام أبي بكر إلى الآن)** [2].

وعلى هذا فإنّ الولاية والسّلطة في الإسلام أرقى بكثير مما تُقدم به، وما هي عليه اليوم، وما يدور حوله البحث، والنّقاش، والجدال في كيفيّتها، وهيكليّتها الإداريّة، والتّنظيميّة، والمؤسّسيّة، أو أيّ اعتبارات أخرى، ممّا يقدّم في مباحث، ورؤى الفقه السّياسيّ، والديمقراطي، وغيره، يقول السيد: **(لكن إذا أنت فاهم فقط أن ولاية الأمر فقط تعني: واحد يرتكز بجيش**

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

(٢) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

جيوشاً، أيّ واحد يستطيع يجيش جيوشاً، ويعين محافظين، ويزيل محافظين، أو أمراء، أو ولاة، على حسب منطق السلطة في أي زمن كان، أليس باستطاعة أي واحد، وباستطاعة أي واحد يقسم الأموال لهذا، وهذا، وهذا، باستطاعة أي واحد أنه يحاول يسترضي كبار العشائر، يعطيهم أموالاً كبيرة، والباقين في ستين داهية، أليس باستطاعة أي واحد يعمل هذه؟ أليست هذه مظاهر تتنافى مع ولاية الله؟.

إذاً فبالتأكيد أنه ليست قضية الولاية قضية فقط نختلف حول: هل واحد أو اثنين أو أن يكون واحد فقط، أو يكون هناك مؤسسات، أو تكون الطريقة هكذا، أو تكون الطريقة هكذا، حول ما يسمى نظام، أو هيكلية، حول المهام ما هي أولاً)[1].

ولاية الإمام علي في القرآن الكريم

قدّم القرآن الكريم ولاية الإمام علي بهذا الشّكل الذي يعتبر امتداداً حقيقياً لولاية الله ورسوله فعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[المائدة: ٥٥] **يتحدّث السّيد فيقول: (في كثير من المواضع يأتي بالكلام عن الصلاة والزكاة وكأنها نموذج للمجالين الرئيسين في العبادة - مثلما يقولون - عبادة روحية، وعبادة بدنية مالية. هذه الآية المشهور فيها أنها نزلت في الإمام علي (صلوات الله عليه) عندما تصدق بخاتمه وهو راكع، ومثلما قلنا في درس سابق: أن هذا فعلاً يعطي مؤشراً هاماً جداً، الإمام علي عندما دخل فقير يسأل ولم يعطه أحد أشر إليه بخاتمه ليأخذه)**[2].

وعندما قدّم القرآن الكريم موضوع ولاية الإمام علي من خلال تصدّقه بخاتمه وهو راكع لفقير في المسجد، فإنّ هذا يعتبر مؤشّراً مهمّاً على أنّ ولايته مرتبطة بالله ورسوله، وأنّها ولاية رحمة، وهداية، ولاية من يهمّه أمر الأمّة، ويهتم بالنّاس، ولو على مستوى فردٍ واحدٍ من أفرادها، وإذا لم تسير الأمّة على هذه الولاية فإنّ البديل سيكون هو التّولي للظّالمين، والتّولي

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

(٢) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

لليهود والنّصارى كما هو الواقع اليوم، يقول السيد: **(إذاً قضية الخاتم أليست تبدو قضية بسيطة؟ لكن ماذا تدل عليه؟ تدل على نفسية ثانية، نفسية تهتم بالناس، أليس هذا مؤشراً كبيراً؟ نفسية رحيمة، ونفسية تهتم بالناس، وليس يهتم كيف يأخذ حق الناس، يهتم بالناس، فأعطاه الخاتم، معناه: أن الأمة إذا لم تكن على هذا النحو: تتولى الله ورسوله وتتولى الذين آمنوا ستنهار، وفعلاً قد تصبح فيما بين واحد من اثنين: إما أن تكون متولية لليهود والنصارى، أو متولية للذين آمنوا، فعلاً أن المسألة تصل إلى هذا أعني: لا تلحظ في كثير مما يقدم في القرآن في أجواء تبدو وكأنها أجواء مقارنة إلا ومعنى هذا أنه إذا ما حصل تقصير هنا سيكون الطرف الآخر هو البديل، إذا حصل تقصير في تولينا لله ورسوله والذين آمنوا سيكون اليهود والنصارى هم البديل، أليس هذا واقع الآن؟ واقع)**[1].

هذه الآية الّتي قدّمت ولاية الله، ورسوله، والإمام علي (عليه السلام) في سياق الحديث عن خطورة التّولي لليهود والنصارى، هي آية نزلت في الإمام علي في قضيّة خاصّة، وموضوع خاص، لتدلّ على أنّ الأمّة في مواجهة اليهود والنّصارى تحتاج لولاية الله، ورسوله، والإمام علي على هذا النحو الذي يقدّمه القرآن الكريم، يقول السيد: **(هذه الآية هي نزلت في الإمام علي فعلاً، وقلنا في درس سابق: بأن الآية هي نفسها تشهد، وتدل على أنها نزلت في قضية خاصة، بداية نزولها قوله: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[المائدة:٥٥] لا يمكن أن نفسر راكعون بمعنى: مصلون، إذ كيف يمكن يقيمون الصلاة وهم مصلون، ويؤتون الزكاة وهم مصلون، هذا لا يصح في التعبير العادي فضلاً عن القرآن الذي أحكمت آياته، ولم يأت فيما نعرف كلمة: راكعون بمعنى: خاضعون، يأتي بكلمة: ساجد، ساجدين، أو قانتين، هذا الذي نعرفه من خلال القرآن، فالآية نفسها هي فعلاً تدل على أنها نزلت في قضية، في واقعة خاصة، لشخص خاص، في بداية نزولها، وما تزال، ولنعرف مثلاً لماذا أنه تأتي مثل هذه الآية في سياق الحديث عن بني إسرائيل، ويظهر من خلال الواقع: أن الأمة بحاجة إلى تولي الله ورسوله، وتولي المؤمنين في المقدمة الإمام**

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

علي من بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله))[1].

الإمام علي يشكّل نموذجاً للحاكم المسلم

التّولي للإمام علي (عليه السلام) قضية لا بدّ منها في القرآن الكريم لتهتدي الأمّة، وتكون بعيدة عن أيّ محاولة للتّأثير عليها، وسقوطها في مستنقع التّولي لأعداء الله، وحتّى تكون الأمّة جديرة بأن تكون من حزب الله الغالبون، والقرآن الكريم يقدّم الإمام علي كنموذج، ومثال للحاكم المسلم، الذي تمثّل ولايته تولياً لله، ورسوله، يقول السيد: **(أن هذه القضية لا بد منها حتى تهتدي بالقرآن، وحتى تكون بعيدة جداً عن أي محاولة قد تكون بها قريبة من تولي اليهود والنصارى، وحتى تكون بشكل أخير على مستوى عالي، تعتبر حزب الله، وحزب الله كما قال: ﴿هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ كما قال بعد في آخر الآية أنهم هم الغالبون؛ لأن الإمام علياً، وهذا هو منطق الإمام الهادي هو يعتقد أن ولاية الإمام علي هي قضية واجبة على المسلمين، قد تكون القضية مختصة بالإمام علي أساساً، قد يكون بعده أئمة متأخرين قد لا تكون تعرفهم، قد لا تكون مسؤولاً أمام الله بأنك لماذا لم تعرفهم، وتتولاهم بالتحديد، الإنسان يتولى المؤمنين بشكل عام، بشكل عام يتولى أولياء الله، ويدين الله بولايته لأوليائه، وحبه لأوليائه، لكن الإمام علياً هنا يشكل ضمانة، ويشكل نموذجاً يقدم، قدم كنموذج لكيف يجب أن تكون ولاية الأمة من بعد رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **إلى نهاية التاريخ)**[2].

والتّولي للإمام علي (عليه السلام) يقودنا للتّولي الصّادق لله ولرسوله، وللإيمان بكمال الله ومعرفته، ومعرفة هذا الدّين، وأهمّيته، وعظمته، يقول السيد: **(الإمام علي نفسه قدم لهذه الأمة نموذجاً فمن يكون متولياً للإمام علي فعلاً سيرى ولاية الأمر في الإسلام أنه يجب أن يكون من يلي أمر الأمة يتحلى بقيم، بروحية شبيهة بما لدى الإمام علي، أليس هذا حاصلاً لدى الشيعة؟ ألم تبق عند الشيعة هذه الرؤية؟ بقيت هذه الرؤية عند الشيعة لماذا؟ لأنهم متولين للإمام علي، من يكون**

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

(٢) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

متولياً للإمام علي يكون في نفس الوقت يدين ويعتقد - لأن هذا معنى ولايته - أن هذا الدين لم يترك القضية فراغ، ولم يتناول موضوع ولاية أمر الأمة، أن الإمام علياً هو أول شخص من بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، **عينه الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **يعني ماذا؟ أنك تدين بأنه ليس هناك فراغ على الإطلاق، وأن رسول الله مات وترك الأمة هكذا تبحث لها لمن ترى، أو من قفز فوق كاهلها فحياه الله)**[1].

وعندما فقدت الأمّة هذه الصّفات، والقيم، والمبادئ فيمن يلي أمرها، ويحكمها تجلّت الصّفات المعاكسة الآن في واقعها، فأصبحت في وضعيّة سيئة، وصعبة جدّاً، يقول السيد: **(تتجلى الصفات المعاكسة الآن، أليست تتجلى في واقع الأمة الآن عند من يلي أمر الأمة هذه؟ وعلى الرغم من أهمية هذا الزمن، وكثرة الإمكانيات فيه، والوسائل التي كانت تؤهلهم لأن يبنوا الأمة، لو كان هناك رحمة، وهناك رعاية، وهناك حرص، وهناك من هذه المواصفات العالية، ألن يكون واقع الأمة بشكل يختلف عما هي عليه الآن؟ إذاً ما الذي فقدت الأمة في من يلوا أمرها الآن على اختلاف بلدانهم؟ ما الذي فقدته؟ ألم تفقد صفات في هؤلاء؟ ألم تفقد صفات هي مرتبطة بالأمة هذه، مرتبطة بهذا الدين؟ هذا الذي فقدتها، لما كانوا فاقدين لها فقدتها الأمة، أصبحت الأمة في وضعية سيئة جداً، أليس هذا الذي هو معروف الآن؟)**[2].

أهميّة التّولي لله ولرسوله وللإمام علي في مواجهة اليهود

تعتبر القضايا كلّها عمليّة في الإسلام فليست مجرد اعتقادات ونظريات فقط، بل لها ارتباطها بالواقع العملي، وتأثيرها فيه، ويعتبر التّولي الصّادق لله، ولرسوله، وللإمام علي، على هذا الأساس الذي قدّمه القرآن الكريم له ارتباطٌ مباشرٌ بالصّراع مع أهل الكتاب، والمواجهة مع بني إسرائيل، لهذا تعتبر الأمّة الّتي تسير في طريق هذا التّولي هي الأمّة الّتي تؤهّل نفسها، ويؤهلها الله لتكون من حزب الله الغالب، يقول السيد: **(كما قلنا سابقاً بالنسبة لقول الله تعالى:**

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

(٢) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ...﴾[المائدة: ٥٤] **إلى آخر الآية، ألم يأت بصفات في هؤلاء؟ ثم يأتي بعدها: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ﴾**[المائدة: ٥٥] **بالتأكيد يجب أن يكون هؤلاء متولين لله ورسوله وللذين آمنوا والإمام علي في مقدمة الذين آمنوا بعد رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **قضية أساسية، وإلا فلن يهتدوا بالقرآن، ولن يحملوا تلك المقومات، والصفات الهامة، ولاحظوا أن القضايا كلها عملية في الإسلام، والولاية ليست فقط أن تحب له كما تحب لنفسك، وتكره له كما تكره لها، يجب على الأمة أن تتولى، المؤمنون يجب أن يتولوا الله ورسوله والذين آمنوا؛ لأن مهمتهم كبيرة، والخطورة عليهم كبيرة، متى ما تولوا الله ورسوله والذين آمنوا أصبحوا حزب الله؛ ولهذا قال بعد: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾**[المائدة: ٥٦] **يعني: فهؤلاء سيكونون حزب الله، وحزب الله هو الغالب لا شك في ذلك)**[1].

وعلى هذا الأساس يكون موضوع التّولي لله، ولرسوله، وللإمام علي مهمٌ جدّاً بالنسبة للأمّة، لأنّ مسؤوليتها كبيرة، والخطورة الّتي تهدّدها بالغة، لهذا يقدّم القرآن الكريم الرّؤى العمليّة للأمّة في مجالات الاهتداء، والصّراع، والنّصر، والغلبة، يقول السيد: **(أليس هذا يعني: بأنها قضية ضرورية بالنسبة للناس، بأن يكونوا غالبين في مواجهة هذا العدو الذي يشكل خطورة كبيرة عليهم؟ أليس الناس كلهم بحاجة إلى مثل هذه الآيات؟ هم الآن في حاجة إلى من ينقذهم من هذا العدو ما بالك بأن يغلبوا، كل العرب الآن حكوماتهم وشعوبهم، الأمة هذه كلها، المسلمون بحاجة الآن إلى من ينقذهم من أمريكا، تجلس محلها، وهم يجلسون محلهم، بينما هنا تجد في القرآن الكريم أنه يقدم ما يجعلهم إلى درجة أن يكونوا غالبين لهؤلاء الأعداء، إذاً أليست تعتبر خسارة كبيرة: أن لا يعودوا إلى القرآن الكريم، وأن لا يكونوا على ما يهدي إليه؟)**[2].

لماذا لم يُذكر الإمام علي بالاسم في هذه الآية؟

عندما يقدّم البعض هذا التّساؤل ويقول لماذا لم يذكر الإمام علي باسمه في هذه الآية؟ فلنفهم أنّ الموضوع ليس مجرد ذكر أسماء فقط، لأنّ القرآن الكريم يهتمّ ويركز على قضية رسم منهجيّة

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

(٢) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

في الحياة، وتقديم أسس ومبادئ ثابتة يتحرّك عليها النّاس، يقول السيد: **(عندما يقول واحد: أنه لماذا لم يذكر علياً؟! أليس البعض يقول هكذا؟ لماذا لم يذكره باسمه؟ القضية ليست بهذا الشكل، القرآن يقدم أسساً، مبادئ، مقاييس، مواصفات هي فوق مجرد اسم، فوق مجرد اسم، عندما يكون هذا الدين هو لهذه الحياة إلى آخر أيام الدنيا فهل معناه لازم أن يقدم قائمة بالأسماء: فلان بن فلان، وفلان بن فلان.. إلى آخره، ثم لا تدري إلا وكل واحد يسمي ابنه بذلك الاسم، ألم يحصل هذا عندما يقولون: أن المهدي سيكون اسمه: محمد بن عبد الله؟ جاء الكثير ليسموا أولادهم محمد بن عبد الله، محمد بن عبد الله على أساس ربما يكون المهدي، وهكذا)**[1].

لهذا تعتبر القضيّة الأساسيّة في القرآن الكريم هي أن يبيّن مواصفات ومقاييس من يلي أمر الأمّة، لأنّ المسألة أدقّ من مجرد تعيينات، وأسماء، وألقاب، وهذه الرّؤية والمنهجيّة هي أضمن للأمّة وأدقّ، لأنّ مسألة الأسماء قابلة للاختراق، والتّضليل، يقول السيد: **(إن القضية الأساسية هي: أن يبين كيف يجب أن يكون من يلي أمر الأمة، كيف يجب أن يكون، ثم إن المسألة هي أعلى من مجرد أن يكون اسمه فلان، أو فلان، هذه قضية مرتبطة بالله هو الذي يختار ويصطفي ويؤهل هو، لا يعطي قائمة معينة من الأسماء، هنا القضية متميزة في القرآن أدق من الأسماء فعلاً، القضية وفق رؤية القرآن متميزة أدق من الاسم، أما الاسم فممكن يطلعون لك عشرات الأسماء، وكل واحد يدعي بأنه هو فلان يقدم لك قائمة: فلان بن فلان، وفلان بن فلان، ألم يحصل ادعاءات للمهدوية على طول التاريخ هذا؟ من جاء واسمه محمد بن عبد الله قال: المهدي، وهكذا، وتكون الأمة منتظرة للاسم، منتظرين الاسم، أن يكون اسمه كذا، فيكون هذا متحرك بالاسم هذا، وذلك من هناك متحرك هو بالاسم هذا، قال ذلك: أنه المهدي، وذلك قال: لا بل هو، قال: أنا اسمي: محمد بن عبد الله، قال ذلك: وأنا اسمي: محمد بن عبد الله، أو أحمد عبد الله أو.. أسماء، أحمد، أو محمد كما يقولون!!)**[2].

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

(٢) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

المسألة تقوم على مبدأ التكامل

وتعتبر المسألة في القرآن الكريم تقوم على أساس مبدأ التّكامل الدقيق، فتكون القضيّة مرتبطة بمعرفة الله أوّلاً، ومعرفة كيف هي ولايته على عباده، وكيف تكون ولاية من هم امتداد لولايته، فتقدّم المسألة في القرآن الكريم بطريقة منهجيّة يرتبط بها تثقيف وتوعية للأمّة، يقول السيد: **(لا، المسألة قدمت بأدق من التسمية، مبدأ التكامل، وأن القضية مرتبطة بأن تعرف الله في المقدمة، تعرفه هو سبحانه وتعالى، ثم تعرف كيف ولايته التي هي عن طريق أحد ممن يصطفيهم من أنبيائه، ورسله، أو من أوليائه، كيف ستكون ولايتهم، وكيف يجب أن تكون ولايتهم، أنها امتداد لولايته، فتجد في القرآن تشخيص، تشخيص بأدق من الاسم، أدق من الاسم، هذه قضية تقدم للأمة كتثقيف، تثقف بالرؤية القرآنية، وستميز المسألة بأدق من التسمية، ولهذا نحن نقول: غير صحيح عندما يقول الإثنا عشرية: واحد، فلان ابن فلان، وواحد، فلان ابن فلان، قدموهم مسلسل، نجح عليهم المسلسل في نصف القرن الثالث إلى مائتين وخمسة وخمسين، في الأخير [يحنبوا] إلى الآن على مدى أكثر من ألف ومائة سنة)**[1].

وعلى هذا تبق المسألة مرتبطة بالله سبحانه وتعالى، فيكون هناك تميُّزاً واضحاً فيمن يلي أمر الأمّة، وفق هذه المنهجيّة القرآنيّة الّتي تخضع للاختيار والاصطفاء الإلهي، يقول السيد: **(أن يذكر الاسم مثلاً أليس الناس سيكونون بعد الاسم، منتظرين للاسم، وسيحصل تزييف عن طريق الأسماء، لكن هنا في القرآن قدمت المسألة فيما يتعلق بولاية الأمر، وفي منهم الذين يمكن أن يخلفوا رسول الله في أمته، قدمت بالشكل الذي لا يحصل التباس فيها على الإطلاق، ولا يحصل اختلاف؛ ولهذا كان الإمام الهادي يقول: «لن يشتبه اثنان» نهائياً عندما قالوا: [فإن كان ذلك عالم والثاني عالم وهذا كذا] في الأخير قال: «هذه مجاراة وإلا لن يلتبس اثنان في المسألة» لكن يكون تميزاً واضحاً، اختياراً إلهياً، اصطفاءً إلهياً، وليست مسألة تأهيلية، كل واحد من عنده، بالاسم، أو بالتأهيل، أو بشهادة جامعية، أو بشهادة أزهر، وأشياء من هذه، فيكونون متنافسين على من**

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

الأعلم، من الأورع، من الأزهد، من الأكبر من الأصغر وهكذا)[1].

ويقدّم السّيد مثالاً من القرآن الكريم في موضوع اصطفاء الله واختياره لعيسى بن مريم، وكيف قدّمه الله نبيّاً منذ الطفولة، في ظلّ مجتمع مليء بالكفاءات، والمؤهلات، والألقاب العلميّة، فيقول: **(لاحظ كيف ضرب مثلاً لبني إسرائيل أنفسهم، ومثل للأمة كلها، أليس عيسى بن مريم بعدما ولدته أمه ذهبت به إلى قومها طفلاً بين يديها، طفلاً، والكنائس مليئة بالحاخامات حقهم، وربما كل واحد منهم عنده أنه لو ينزل وحي من السماء لما نزل إلا عليه، والثاني مثله، وهكذا، يأتي طفل تقدمه أمه: أن هذا هو الذي سيكون رسولاً، سيكون رسولاً، وينتظرون حتى يكلم الناس كهلاً، كلمهم في المهد بقي طفلاً إلى أن أصبح شاباً، ثم أوحي إليه بتبليغ الرسالة، والنهوض بالرسالة)**[2].

ويؤكّد السّيد على أنّ القرآن الكريم قدّم موضوع ولاية الإمام علي عليه السّلام بما هو أدقّ من الاسم، ومع هذا فقد قدّمه الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بالاسم فاجتمع الشيئين الاسم والمواصفات، ومع هذا لم ينفع هذا التبين حتّى في من هم تلاميذ لرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) لأنّ المطلوب في الرّؤية والمنهجيّة القرآنيّة هو التّفهم، والاستيعاب للموضوع، والقضية، يقول السيد: **(ومع هذا وتطبيقاً لمثل هذه الآية التي ستأتي بعد، ... ألم يعلن بالاسم، وهل أفادهم الاسم بعد أن أعلنه يوم الغدير «فهذا علي مولاه» ألم يقل هكذا** (صلوات الله عليه وعلى آله)**؟: «فمن كنت مولاه فهذا.. » بالإشارة، أليس تعييناً وهو ممسك له بيده «علي» ألم يذكره باسمه «مولاه»، وفي الأخير يطلعوا بدلاً عنه واحد اسمه: أبو بكر، ألم يطلعوا شخصاً آخر باسم آخر؟ لأنهم لو فهموا المسألة بالشكل المطلوب، لو كانوا يتفهمون فعلاً، لو كانوا يتفهمون، ولذلك نقول: التفهم زيادة على مجرد قضية الإيمان، ويجب أن نفهم هذه، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ﴾**[النساء من الآية: ١٣٦] **أليس هذا إيمان داخل إيمان؟ لو كانوا متفهمين بالشكل المطلوب للمسألة بكلها، ولو**

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

(٢) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

عرفوا مسؤوليتهم في الالتزام أمام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **لما قبلوا غير علي على الإطلاق؛ لأن مواصفاته واضحة، كماله معروف، وبالتعيين أيضاً، فعندما يقول لك: لماذا لم يذكره هنا في القرآن، ذكره بأدق من الاسم، ثم انظر أنت هل نفع الاسم معهم؟ إذا لم ينفع الاسم مع أولئك الذين كانوا تلاميذ رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **هل سينفع الاسم من بعدهم؟)**[1].

قيادة الأمّة بيد الله

ومن خلال كلّ ما سبق يتبيّن لنا من خلال الرّؤية والمنهجيّة القرآنيّة أنّ موضوع إقامة دين الله، وقيادة الأمّة هي قضية بيد الله سبحانه وتعالى، والذي نحتاج إليه نحن هو أن نتفهم ونستوعب هذه القضية التي تشكل ضمانة للأمة في أهم موضوع لديها، وهو موضوع ولاية الأمر، يقول السيد: **(ولأن القضية هي بيد الله - كما قلنا أكثر من مرة - أن موضوع إقامة دين الله، موضوع قيادة الأمة، وتربيتها لتكون على مستوى عالي في النهوض بمسؤوليتها، أنها قضية تختص بالله، وأنها القضية التي لا يمكن للناس أن يختلفوا فيها إذا فهموها؛ لأن بقاءها بيد الله يشكل ضمانة للأمة، تبعدهم عن التزييف، تبعدهم عن الادعاءات الكثيرة، تبعدهم عن التضليل، تبعدهم عن القهر والتسلط والإذلال، تبقى القضية بيد الله، وهذه هي سنة الله، أنه هو الذي يصطفي ويختار ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾**[القصص من الآية: ٦٨] **﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾**[فاطر من الآية: ٣٢]**)**[2].

ولاية الأمر تقوم على موضوع الهداية

وهنا يبيّن السّيد أنّ موضوع ولاية الأمر في القرآن الكريم قضية تتركّز بشكلٍ أساسيٍّ على موضوع ومهام الهداية، والتّربية، والبناء للأمّة، وأنّ موضوع السّلطة التّنفيذيّة لا يمثّل إلاّ نسبة بسيطة جدّاً أمام هذه المهام والاختصاصات، فيقول: **(ولاحظ هنا في القرآن الكريم، ألم يقدم موضوع ولاية الأمر قضية تتركز بشكل أساسي على موضوع الكتاب، على موضوع الهداية، والتربية، وبناء الأمة، ليست الأشياء التي يسمونها الآن سلطة تنفيذية إلا جوانب قد تكون ربما لا تمثل إلا عشرة في المائة، قد لا تمثل فعلاً باعتبارها تنفيذية، إلا عشرة في المائة من مهام ولاية الأمر، في الإسلام، وأن هذا**

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

(٢) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

الجانب هو الجانب الذي سيخفق فيه أي شخص ليس ممن اختاره الله كائناً من كان، سواءً من داخل أهل البيت، أو من خارجهم، سيخفق فيه، الجانب الآخر هذا مهما كان، أما الجانب الثاني: السلطة التنفيذية فيمكن أي واحد [يديول] لكن في الأخير انظر كيف آثار هذه الديولة في تاريخ الأمة من ذلك الزمن إلى الآن، كيف أصبحت الأمة هذه!؟)[1].

ويؤكّد السّيد أنّه لا مخرج الآن للأمّة مما تعانيه، ومن الوضعيّة التّي تعيشها إلاّ بالعودة، والرّجوع، والتّفهم لهذا الموضوع في هذه الآيات، والتّولي لله، ورسوله، والإمام علي، فيقول: **(مثلما قلنا سابقاً في درس ربما قد يكون من أول الدروس في الموضوع، في [يوم القدس العالمي] اعتقد بأنه فعلاً أن القرآن يقدم القضية بالنسبة للأمة هذه أمام أعدائها، أمام هذا الخطر الكبير الذي يدهمها الآن لا مخرج لها على الإطلاق إلا العودة إلى هذه الآيات، إلى هذا القرآن، التولي لله ورسوله والذين آمنوا، وفي مقدمة المؤمنين علي بن أبي طالب، قضية أساسية...)**[2].

وعندما قُدّم موضوع ولاية الأمر عبارة عن مهام وسلطة تنفيذيّة أصبح الموضوع محطّ خلافات، وإشكالات، كبيرة، يقول السيد: **(في الأخير قدمت ولاية الأمر بشكل آخر فلم تعد تعني إلا السلطة التنفيذية، حتى أصبحت المسألة بأنه إذاً لم يعد معناها إلا ما يسمونه احتكار، أو استبداد، أو بأي عبارة، عندما قدمت ولاية الأمر بالشكل الذي يمكن أن يكون من أهل البيت أو من غير أهل البيت، ألم تقدم هكذا؟ وإذا لم يبرز موضوع أن يكون من أهل البيت إلا قضية شكلية، الآخرون رأوا بأنها ليست منطقية هذه، فقط أن يكون من هؤلاء لمجرد السلطة التنفيذية....)**[3].

وعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿**قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[البقرة من الآية: ١٢٤] يؤكّد السّيد أنّه لا ولاية ولا عهد من الله للظّالمين نهائيّاً كائناً من كان، فيقول: **(وإن كان من ذريته، وإن كان من آل إبراهيم، أو من آل محمد، لا ولاية له على الإطلاق، ولا يصح أن يعهد الله إليه نهائياً؛ لأنها قضية**

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.
(٢) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.
(٣) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

هامة جداً، وواسعة جداً، وليست بالشكل الذي يقول الإمامية: هيمنة على ذرات الكون، ويجب أن يعلم الغيب.. لا، على النحو القرآني، من يخلف رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **يجب أن يكون على هذا الأساس على النحو القرآني تماماً.**

يأتي بالآية هذه، ألم يأت بها ثم يذكر في نهايتها: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[المائدة: ٥٦] **في إطار الحديث عن بني إسرائيل من قبل الآية ومن بعدها)**[1].

أمام المسلمين فرصة لتصحيح وضعيتهم

أمام المسلمين الآن فرصة لتصحيح وضعيّتهم، والخروج من هذه الظّلمات التي يتخبّطون فيها، وهذه الفرصة هي من خلال العودة إلى هذا الموضوع في القرآن الكريم، خاصّة في هذه المرحلة والوضعيّة الصّعبة التي يعيشونها، وهذا يعتبر من أبرز مظاهر رحمة الله بعباده، يقول السيد: **(إذاً أليس هذا يعتبر من أبرز مظاهر رحمة الله بعباده؟ لكن هم الذين يظلمون أنفسهم هم، يعني: لا يزال أمام العرب، أمام المسلمين الآن أن يبحثوا كيف يسلمون شر هذا العدو الكبير، أليس لديهم هنا ما يجعلهم غالبين على العدو؟ لهذا قال بعد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً﴾**[المائدة من الآية: ٥٧] **إذا كان لدينكم قيمة لديكم فهؤلاء هم يتخذونه هزواً ولعباً، هل ينبغي أن تتخذوهم أولياء؟! ﴿مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ﴾**[المائدة من الآية: ٥٧] **لا تتخذوهم أولياء ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾**[المائدة من الآية: ٥٧] **أليس هذا تحذيراً من جديد بمعنى: أن الإنسان في أي مرحلة من هذه المراحل التي يبدو أمامه شيء كبير، وأمامه أشياء خطيرة)**[2].

الأمر الإلهيّ بإبلاغ ولاية الإمام علي

وعند قوله سبحانه وتعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ**

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

(٢) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[المائدة: ٦٧] يوضّح السّيد أنّ هذه الآية الّتي نزلت في الإمام علي في موضوع الولاية، نزلت وقد اكتملت أغلب الأشياء في مسيرة الدّين، لأنّها من آخر ما نزل على الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وجاءت هذه الآية بعبارات ساخنة لتربط موضوع إبلاغ وإعلان ولاية الإمام علي بموضع تبليغ رسالة الله بكلّها ،يقول السيد: **(هذه الآية أين هي؟ أليست في [سورة المائدة] وقد بلغ الرسالات؟ ألم يكن قد بلغ الرسالات بكلها؟ في هذه المرحلة قد عرف التوحيد لله، وعرفت العبادات، وعرف الجهاد، وعرفت تقريباً معظم الأشياء.**

هذه الآية نزلت.. يعني: المشهور فيما يتعلق بها أنها نزلت في شأن ولاية الإمام علي في [يوم الغدير] كما روى الإمام الهادي، فلما نزلت لم يستجز أن يتقدم خطوة على موقع نزولها؛ لأن عبارتها هنا عبارة هامة، عبارة قوية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة:٦٧] **إن لم تبلغ ما أنزل إليك من ربك، قضية معينة فكأنك لم تعمل شيئاً، فكأنك لم تبلغ شيئاً، أليس هذا يدل على أنها قضية هامة جداً)**[1].

وهذه الآية نفسها توضّح لنا أنّ الموضوع هو موضوع ولاية الأمر، فمن نفس الآية نعرف فعلا أنّها تعني هذه القضية، لأنّ القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته، يقول السيد: **(الآية هذه نفسها توضح لنا القضية ما هي؟ القرآن كتاب أحكمت آياته، من نفس الآيات تعرف أنها قضية لن تكون إلا القضية التي عادة الناس يتنافسون فيها، وتطلع إليها نفوس الكثير من الانتهازيين – على ما يسمونهم – قضية ولاية الأمر، بلغ التوحيد، أليس التوحيد لله أكبر قضية؟ بلغه، إذاً بالتأكيد ليست هذه قضية التوحيد هنا ﴿وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾**[المائدة:٦٧] **ألم يقل: والله يعصمك من الناس؟ ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِين ﴾**[المائدة:٦٧] **بلغ الصلاة، هل ما يزال يحتاج بالنسبة لتبليغ الصلاة إلى عبارات كهذه؟ بلغ الصيام، بلغ الزكاة، الحج، الجهاد، المواريث، الأحكام المتعددة في مختلف القضايا بلغها)** سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

ولاية الأمر تشكّل ضمانة لمسيرة الدّين

تعتبر هذه الآية صريحة في أهميّة موضوع الولاية، وأنّ الدّين بكلّه مرتبط بهذه القضية الّتي يعتبر إعلانها، والإبلاغ بها يشكّل ضمانة لمسيرة الدّين، وفاعليته، وقيام أمره، وإلاّ فإنه سيفرّغ من محتواه، ومضامينه، ويصبح ديناً شكليّاً إذا لم يبلّغ بها، يقول السيد: **(إذاً ما هي القضية المهمة التي يبدو وكأن الرسالة بكلها مرتبطة بها؟ يعني: إذا لم تكن قائمة فإن الرسالة هذه بكلها لا فاعلية لها، تفرغ من مضمونها، أن الرسالة بكلها تفرغ من مضمونها، عندما يقول: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾**[المائدة:٦٧] **ما هنا فكأنك لم تبلغ؟ أي: معناه أن ما بلغته يفرغ من معناه فكأنه لا معنى له، هذا يعني: أن ولاية أمر الأمة على أساس القرآن الكريم، ولاية أمر الأمة تشكل ضمانة أساسية لمسيرة الدين، واستقامة الدين، استقامة الدين، واستقامة الحياة بكلها، ما هي القضية الخطيرة التي نرى بأن الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **بحاجة إلى أن يقال له: ﴿وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾**[المائدة:٦٧] **بلغ التوحيد وفي ظروف قاسية، وكان يحتاج في نفس الوقت إلى حراسة وهو في مكة، وهو أيضاً في المدينة كان يحتاج إلى حراسة، بلغ كل الأشياء، لا نعلم بأن هناك قضية يبدو كان يتخوف من تبليغها، أو قضية قد يرى بأنها حساسة أن تبلغ على نحو حاسم تماماً يعني: يقفل المجالات تماماً أمام كل الموسوسين، والمتطلعين للاستيلاء على السلطة، على الخلافة من بعده)**[1].

وفي هذه المرحلة التي نزلت فيها هذه الآية، كانت مسيرة الدّين قد عمّت الجزيرة بكلّها، وقد قدّم النبيّ، وبيّن، وبلّغ ما أمر بتبليغه من أحكام، وعقائد، وشرائع هذا الدّين، ولم يبق أمامه إلاّ هذه القضيّة، قضيّة إعلان ولاية الأمر، يقول السيد: **(في هذه المرحلة هل كان هناك كافرون يخشاهم؟ هو لم يخشاهم وهو بينهم في مكة، لم يكن يخشاهم وهو في بداية مرحلة المدينة، نزول [سورة المائدة] كان قد أسلمت الجزيرة هذه، بعد الفتح، أسلمت اليمن، وأسلمت الجزيرة، وخصوصاً المنطقة هذه، أين هم الكافرون الذين قال بأنه: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ**

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

الْكَافِرِينَ﴾[المائدة:٦٧] **هل يمكن من النبي** (صلوات الله عليه وعلى آله) **أن يتخوف عن تبليغ شيء خوفاً من الكافرين؟ واضح ماذا قال في مكة عندما عرضت عليه قريش أشياء كثيرة، ألم يقل: (لو وضعوا الشمس في يمني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه) أليس هذا موقفاً قوياً؟ ألم يتآمروا عليه في نفس الوقت؟ تآمروا عليه ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ﴾**[الأنفال من الآية: ٣٠]**)**[1].

وهنا يؤكّد السّيد أنّ هذه القضيّة الّتي أمر النّبيّ بإبلاغها، وإعلانها هي قضية ولاية أمر الأمّة من بعده، وموضوع ولاية الإمام علي (عليه السلام)، القضيّة والموضوع الذي ارتبط به إبلاغ الرسالة بكلّها، يقول السيد: **(إذاً فهي قضية ولاية الأمر بالتأكيد؛ لأن القضية حساسة، وتجلى من بعد موته** (صلوات الله عليه وعلى آله) **أليست هي التي تجلى فيها لعبة، حصل أخذ ورد واجتماعات، وخلاف وشقاق، وأشياء من هذه، لم يختلفوا على صلاة، ولا على توحيد، ولا على زكاة، ولا حج، ولا شيء، ألم يكن أول ما اختلفوا عليه هذه القضية؟ قضية الولاية.**

أن يقال للرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **أن يبلغها على هذا النحو أليس هذا يدل أن القضية بالغة الأهمية، أنها قضية بالغة الأهمية، وأنه إذا لم يبلغ، ويعلن فيكون الناس عارفين جميعاً، يبلِّغ في الحج قبل أن يفترق الناس إلى بلدانهم، فكأنه فرغ هذه الرسالة من محتواها، ولم يبق للدين معناه، ولن يكون لهذا الدين أثره في الحياة إذا لم تبلغ هذه)**[2].

الإعلان الصّريح بأمر الولاية

ويوضّح السّيد أنّ الرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يدرك، ويعرف أهميّة الموضوع، وقد سبق منه أشياء كثيرة تبيّن للناس أنّ الإمام علي (عليه السلام) هو المؤهل لخلافته من خلال أحاديث معيّنة قالها، وترتيبات معيّنة عملها، لكن هنا يأتي التوجيه القرآني الحاسم بضرورة إعلان أمر الولاية بشكل واضح وصريح، يقول السيد: **(قد يكون الرسول** (صلوات الله

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

(٢) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

عليه وعلى آله) **فعلاً هو يعلم بالقضية، وعمل في البداية أشياء كثيرة، تبين للناس أن الإمام علياً هو الشخص الذي يؤهله من بعده، لم يكن يؤمر عليه أحداً، أحاديث كان يقولها مرة هنا ومرة هنا بالنسبة للإمام علي، لكن بقي الإعلان النهائي بشكل صريح على الأمة، ربما كان يفكر ما هو الأسلوب الأنسب؟ كيف يعمل، وأشياء من هذه، ليس إلى درجة أن يضعف، هو إنسان قوي، وإنسان لا يخشى أحداً إلا الله، لكن أحياناً قد يكون يتخوف في أشياء كيف تكون الطريقة المناسبة التي يمكن أن يبلغ الناس، ويفهموا ولا يكون هناك أي احتمالات أخرى، وهنا يأتي البلاغ من جهة الله سبحانه وتعالى بهذه العبارة الهامة: أن عليك أن تبلغ ﴿وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾**[المائدة:٦٧] **أليس هذا يوحي بأنه كان بالإمكان أن يتعرض لاغتيال، أو لاعتداء فعلاً؟ من أين، من الكافرين أو من أين؟ من داخل! ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾**[المائدة:٦٧] **الرافضين لما تبلغه، الرافضين لهذه القضية، لن يهتدوا إلى أن يضروك، لن يهتدوا، وفعلاً لم يهتدوا، لم يتوفقوا، إن قلنا أن الكافرين معناها: المشركين، فلا يوجد هناك مشركين في تلك الفترة، لا يوجد أحد، أسلموا كلهم)**[1].

ويبيّن السّيد أنّ الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) قد بيّن هذه القضية، وبلّغ أمر ولاية الإمام علي على أرقى مستوى، وعمل تلك التّرتيبات لإعلان الموضوع بما يتناسب مع سخونة وحرارة هذه الآية، وهذه التوجيه والأمر الإلهي، يقول السيد: **(فرسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **بلغها على أكمل صورة أعني: فهذا يبين لنا، عندما نقول: لازم أن نعرف شخصيته** (صلوات الله عليه وعلى آله) **كيف كان هو في نفسه؛ لأن ما قدم لنا بالنسبة للنبي** (صلوات الله عليه وعلى آله) **هو أنه إنسان صادق، أليست هكذا؟ وأهم شيء بالنسبة للنبوة أنه إنسان صادق، والمعجزة تشهد على أنه إنسان صادق، وصادق.. الخ، أبو ذر صادق، وعلي صادق، وعمار صادق، وناس كثيرون هم صادقون أما نفس الصدق، لكن الشخص الذي يفهم القضية، وكيف يتعامل معها بما يليق بأهميتها، هي القضية الهامة جداً، والواسعة جداً، لاحظ كيف بلغ هذه القضية على أعلى مستوى، ألم يبلغها على أعلى مستوى؟ أوقف الناس جميعاً، ومن تقدموا أرسل إليهم أن يرجعوا، وانتظر**

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

للمتأخرين، وفي وقت حرارة الشمس، وقت شمس حتى لا يقولون: لم يروه، هناك ضباب أو نحوه، شمس يقول أحد الرواة: [وإن أحدنا ليضع رداءه تحت قدميه وفوق رأسه] من حرارة الشمس وحرارة الرمضاء، يدل على ماذا؟ قضية هامة سيبلغهم، يوقفهم هنا في هذا المكان الذي ليس فيه ولا شجرة أو حجر، حتى لا يقولون: أنهم لم يروا النبي، فقط سمرات ثلاث التي وقف تحتها [طلح] من هذه أو [قرض] يسمونه، وقف تحتها ورصوا له أقتاب الإبل، أقتاب الإبل أليست تشهد بأنه بمحضر ناس؟ ما هناك أقتاب إبل إلا وهناك ناس كثير، ويطلع من فوق أقتاب الإبل، ويأخذ الإمام علياً معه، ويرفع يده بعد خطبة طويلة ويقول: «إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه» أليس هذا أعلى طريقة للتبليغ؛ لأن القضية هامة جداً، لاحظ أن المسألة كان هناك تآمر حولها، ولعبة، فعلى الرغم من حدة لهجة هذه الآية - إذا صحت العبارة - والاهتمام الكبير من جانب الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **في تبليغ ولاية الإمام علي تآمروا من جديد، وشاقوا، وفعلاً ركزوا شخصاً آخر، أليس هذا الذي حصل؟ لكن ما الذي بقي أن نفهم نحن، إذا لم نفهم أهمية ولاية الأمر في الإسلام فسنقول في الأخير: [ما هناك مشكلة وأبو بكر كان رجل باهر، وفلان كان باهر والمهم واحد] وأشياء من هذه، وهكذا من جاء باهر، باهر ولا تدري في الأخير إلا وقد أنت تحت [بوش] ثم في الأخير يقولون لك: وبوش باهر، أليست هكذا؟)**[1].

أهميّة ولاية الأمر في الإسلام

بالرّغم مما حصل من مخالفه ومعصية للرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، فإنّ علينا نحن أن نعي، وندرك، ونتفهّم أهميّة ولاية الأمر في الإسلام، وفي القرآن الكريم، وكيف نتعامل معها، لأنّها القضية والموضوع الرئيسي في حيويّة، واستقامة، وفاعلية شرائع، وأحكام، وتوجيهات، ومعتقدات هذا الدّين بكلّه، فإذا فقد موضوع ولاية الأمر فاعليّته، وأهميّته في نفوسنا وواقع حياتنا فإنّ كلّ أحكام، وشرائع، وفرائض هذا الدّين ستتعطّل في واقع الحياة والنفوس، وتصبح

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

مظاهر شكليّة لا تقدّم ولا تؤخّر، بل ستستغلّ الكثير من شرائع، وأحكام الدّين، والإسلام وتوظّف توظيفاً سلبيّاً، لأنّ ولاية الأمر هي الّتي تشكّل ضمانة حقيقيّة لحيويّة، واستقامة الدّين، والإسلام، والقرآن، ورسالة الله بكلّها، يقول السيد: **(أهمية ولاية الأمر في الإسلام أنها تشكل ضمانة لاستقامة الدين، وحيوية الدين، متى ما كان الدين قائماً، والدين حياً، تكون الأمة قائمة وحية، الأمة مربوطة بهذا الدين. إذاً فهي قضية هامة جداً، ليست قضية كيفما كان إذا لم تكن حاصلة، تصبح كثير من تشريعات الدين تستغل استغلالاً سيئاً بما فيها المساجد، بما فيها الصلاة، بما فيها منابر المساجد، بما فيها الحج، بما فيها الزكاة، بما فيها منطق القرآن، تقديم القرآن نفسه، فهي تشكل ضمانة ضرورية جداً جداً، لاستقامة الدين، ليس مثلما يقول الاثنا عشرية، عندما يقولون: إمام ثاني عشر غائب، غائب وحجة على عباد الله وهو غائب، لا يفهمون هم أهمية، وقيمة، وغاية ولاية الأمر في الإسلام، كيف تقول لي: ولي أمر للأمة، وحجة على الأمة وغائب مائة سنة، بعد مائة سنة، طلع لك إلى الآن ألف ومائة سنة، ولاية الأمر تشكل ضمانة، ضمانة دائمة، استقامة للدين، فتصبح الصلاة لها فاعليتها، المساجد لها فاعليتها، منابرها لها فاعليتها، الحج له فاعليته، الزكاة لها فاعليتها، القرآن له حيوته، وهكذا، إذا ما هناك شيء يموت الدين، وتموت الأمة، مثلما هو حاصل الآن وهناك [٥٧] ولي أمر، أليس هناك [٥٧] واحد الآن على هذه الأمة؟ وميتين هم والشعوب هذه، مثلما قال رئيس الوزراء الماليزي، كانت كلمته فعلاً كلمة مؤثرة، كيف مليار وثلاثمائة مليون مسلم، ويزعجهم حفنة من اليهود، يخاطب الذين يزعجون الناس دائماً عن طريق الخطباء، أن يدعوا الناس إلى وجوب طاعة ولي الأمر، لم يجرؤا أن يطلعوا أمر في قمة [منظمة المؤتمر الإسلامي] ولا أمر واحد يكون فيه قسوة، أو فيه ما يكون بالشكل الذي يردع أمريكا وإسرائيل، هل طلعوا أمراً واحداً؟! لهذا نرى الأمة ميتة، السبعة والخمسين، والمليار وثلاثمائة مليون مسلم، بل يقولون: هم أكثر إلى حوالي خمسمائة)**[1].

وفي الأخير يؤكّد السّيد (رضوان الله عليه) على مسؤوليّتنا الكبيرة في هذه الظّروف والمرحلة أن

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

نفهم ديننا، وعظمته، وتكامله، وأنّ الله سبحانه وتعالى قد جعله ديناً كاملاً لعباده لا تستقيم هذه الحياة إلاّ به، وأنّه لم يترك قضيةً أو موضوعاً ناقصاً، وننزّهه سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيرا، يقول السيد: **(نحن نقول: أننا في مرحلة يجب أن نفهم ديننا، حتى لا نأتي في الأخير ليقول لنا اليهود: [دينكم هذا لا يقدم أي حل وليس عنده أي رؤية، وهذا الدين لا يصلح] فنقول: والله صحيح، [الحقوا بركابنا لتتحضروا، اتركوا هذا الدين لم يعمل لكم شيئاً] نقول: والله صحيح. يجب أن نفهم ديننا؛ لأنه أول واجب علينا أن نفهمه بشكل صحيح من الناحية الإعتقادية أمام الله، أن ننزه الله أنه لم يكن عنده تقصير، وأن تشريعه لائق بجلاله، وعظمته، وملكه، وحكمته، وقدسيته. هذه قضية أساسية: أن تُفهم، حتى نعرف أننا أُتِينا من جهة أننا أعرضنا عن ديننا، فنضرب ونحن نقول مثلما قال يونس: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[الأنبياء من الآية: ٨٧] لا أن نقول في الأخير: الدين هذا هو ضلال، الدين هذا هو الذي ضيعنا، الدين هذا هو الذي لم يقدم لنا أي حل)**[1].

(١) سورة المائدة الدرس الثالث والعشرون.

كربلاء ... الأسباب والنتائج

لم تكن حادثة (كربلاء) أمراً عادياً، ولا حدثاً تاريخيّاً مضى وانقضى، بل كان لها ولا زال ارتباطها الفكريّ، والثّقافيّ، والعقائديّ بدين الإسلام الخالد، ومنهجه العظيم، وجذورها السّياسيّة مرتبطةٌ ارتباطاً وثيقاً بالرّسالة، وحركة الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يمكن بأيّ حالٍ من الأحوال فصلها عن ذلك، وقد حملت بين طيّاتها العبر والدروس الحيّة المتجدّدة لكلّ عصرٍ وزمان حتّى قيل: (كلّ أرضٍ كربلاء وكلّ يومٍ عاشوراء، وكلّ ثائرٍ حسين وكلّ طاغيةٍ يزيد)، بل لقد أسّست لمرحلة تاريخيّة مهمّة لا زال بريقها المتوهّج يشعّ ضياءً إلى اليوم، ويستلهم منها كلّ أحرار العالم معاني القيم المثلى، ودروس الحريّة والإباء، والثّورة على كلّ صور الإنحطاط، والظّلم، والجبروت، والطغيان، ولا زال صوت الحسين يدوّي، وكلماته الثّوريّة تنصبّ على رأس كلّ طاغية، وتُزلزل عرش كلّ جبار عنيد، ومنهلاً يستقي منه الأحرار، ونوراً يضيئ دروب الحريّة والكفاح، ومدرسة نتعلّم منها كيف ينتصر الدّم على السّيف؟، وقد قدّم السّيد (رضوان الله عليه) في محاضرته (دروس من وحي عاشوراء) عصارة فكره، وفهمه العميق للأحداث، وتبعاتها، وسبل الاستفادة منها، وأخذ الدروس والعبر بشكل لم يسبق له مثيل، ونحن في هذه القراءة المتواضعة نحاول الاستفادة منها قدر الإمكان، سيّما في هذه الظّروف الخطرة، والمرحلة الصّعبة من واقع الأمّة الإسلاميّة، لنتعرّف على الأسباب والنتائج الحقيقيّة الّتي قادت لمثل هذه الذكرى المؤلمة، ولا زالت قائمة إلى اليوم.

الأسباب والنّتائج

مهمٌ جدّاً أن نقف عند هذه الحادثة، لتّتضح لنا الرّؤية، وتكتمل الصورة أكثر، من حيث معرفة الأسباب، والنتائج، والعوامل الّتي أدّت إلى وقوع ذلك، وما يهمنا هنا هو معرفة هذه العوامل ودراستها من هذه الزّاوية بالذّات.

صحيح أنّ كربلاء تحمل بُعداً إنسانيّاً وعاطفيّاً في المقدّمة، لكنّ هذا قد يكون معروفاً،

ويتردّد على مسامعنا بكثرة، ونحن إذا تعاطينا مع هذه الحادثة عاطفيّاً فقط، لن ترتقى إلى كونها أكثر من مظلوميّة، والتّفاعل العاطفيّ لوحده قد يجمّد القضيّة عند حدث معيّن، وفترة زمنيّة محدّدة، وسنبقى نبكي ونذرف الدموع جيلاً بعد جيل، ونحن نعيش نفس تلك الوضعيّة الّتي عاشها قتلة الحسين، وعايشها المسلمون آنذاك، ونحمل نفس الرّوحيّة، لذا تبرز أهميّة معرفة الأسباب والعوامل، وقد تتلخص في قراءة سريعة حول ما يلي:

١ - الإنحراف الفكريّ والثقافي:

لم يكن الحسين (عليه السلام) مذنباً حتى عومل بكل تلك الوحشية المفرطة، ولا منحرفاً أو بعيداً عن البيت الإسلامي حتى ترتكب بحقه و(٢٢) من أهل بيته، ومجموعة من أصحابه هذه الجريمة النكراء، كما أنّه لم يطل العهد بالرّسالة والرّسول صلى الله عليه وآله وسلم، بل إنّ معظم قتلة الحسين ممن عايشوا رسول الله وسمعوا قوله: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)، (حسين مني وأنا من حسين)، ومنهم من رأى رسول الله وهو يقبل الحسين بن على ويحمله على ظهره، لكنه الإنحراف الفكري والضلال الذي تمكّن من الأمّة بعد رسول الله سريعاً، وهيّئأها لأن تكون ساحةً قابلةً للإجرام والمجرمين، يقول السيد: **(تلك الفاجعة كان المفترض أن لا يقع مثلها إلا في تلك العصور المظلمة، في عصر الجاهلية، في عصر الشرك، في عصر الظلمات، كان الشيء الطبيعي والمفترض لحادثة مثل هذه أن لا تكون في عصر الإسلام، وفي ساحة الإسلام، وعلى يد من يسمون أو يحسبون على الإسلام)**، ويضيف السيد متسائلاً: **(فما الذي حصل؟ لم نسمع في تاريخ الجاهلية بحادثة كهذه!. ما الذي جعل الساحة الإسلامية مسرحاً لمثل هذه المآسي؟ لمثل هذه الأحداث المفجعة؟ من الذي جعل من يسمون أنفسهم مسلمين، ويحسبون على الإسلام هم من ينفذّون مثل هذه الكارثة!؟ مثل تلك العملية المرعبة المفجعة!؟ وضد من؟ ضد من؟ هل ضد شخص ظل طيلة عمره كافراً يعبد الأصنام ويصد عن الدين؟ هل ضد رجل عاش حياته نفاقاً ومكراً وخداعاً وظلماً وجبروتاً؟ كان هذا هو المفترض لأمة كهذه، أن يكون لها موقف كهذا أمام أشخاص على هذا النحو: كفر، وشرك، وطغيان، وجبروت، وظلم، ونفاق)**.

علامات استفهام منطقيّة يطرحها السّيد "رضوان الله عليه" مليئة بالتّعجب، وهو فعلاً حدث يدعو للغرابة والاندهاش، أن يحدث كلّ هذا في ساحة الإسلام، وعلى يد أبناء الإسلام، وتحت غطاء إسلاميّ، وعنوان الخلافة الإسلاميّة، ويكون الضّحية هو ابن رسول الإسلام، وسيد شباب أهل الجنّة، ابن علي، وابن فاطمة الزهراء (عليه السلام)، علامات استفهام مهمّة لا بدّ من التوقّف عندها لدراسة التّاريخ دراسةً تحليليّةً توصل بالنتيجة إلى المعرفة العلميّة لحقائق التّاريخ، والحصول على الوعي والبصيرة.

خمسون سنة فقط منذ أن التحق رسول الله بالله عز وجل، وواقع أمته على هذا الحال المأساويّ المظلم، ما الذي جعل السّاحة مهيأة لأن يتساقط فيها العظماء الأخيار واحداً تلو آخر؟ بينما تربيتها الدّينيّة، وثقافتها الإسلاميّة الّتي نزل بها القرآن، ورباها عليها رسول الله، هي أن تلتفّ حول الصّادقين العظماء، وهيأها لأن يكونوا هم قادتها وزعماؤها، فإذا بالحسين يفاجأ بنفسه وحيداً يحاصره المسلمون ليقتلوه، ويمنعوا عنه حتّى شربة الماء، ويحاصرون النّساء، ويقتلون الأطفال، وهم يعرفونه حقّ المعرفة وهو القائل: (والله ما خرجت أشراً، ولا بطراً، وإنّما طلباً للإصلاح في أمّة جدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم)، ما الذي جعل سلوك الأمّة سلوكاً إجراميّاً؟، وتحكمها ثقافة الغاب، والجاهلية، والوحشية، والإجرام؟، هل كانت وليدة اللّحظة والصّدفة؟ أم نتيجة الضّلال، والانحراف، والانقلاب على الرّسالة، وتعاليم القرآن، وهدي الله الواضح؟ بكل حرقة وألم يجيب السّيد على كلّ هذه التساؤلات، وعلامات التعجب المذهلة، فيقول: **(حادثة كربلاء فاجعة كربلاء هل كانت وليدة يومها؟ هل كانت مجرد صدفة؟ هل كانت فلته؟ أم أنها كانت هي نتاج طبيعي لإنحراف حدث في مسيرة هذه الأمة، انحراف في ثقافة هذه الأمة، انحراف في تقديم الدين الإسلامي لهذه الأمة من اليوم الأول الذي فارق فيه الرسول (صلوات عليه وعلى آله) هذه الأمة للقاء ربه، إذا ما فهمنا أنّ حادثة كربلاء هي نتاج لذلك الإنحراف، حينئذ يمكننا أن نفهم أن تلك القضية هي محط دروس وعبر كثيرة لنا نحن من نعيش في هذا العصر المليء بالعشرات من أمثال يزيد وأسوأ من يزيد)** محاضرة دروس من وحي عاشوراء،

إذاً السّيد هنا يضع النّقاط على الحروف، ويعيش مع الحدث من كلّ جوانبه، والنّقطة الأولى هي دراسة الأسباب الأوليّة من بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الّتي

أدت لهذه الأحداث، ويقول في نفس المحاضرة **(نحن أيها الأخوة عندما نتحدث عن كربلاء لا نتحدث عنها فقط من الجانب العاطفي، الجانب العاطفي مثير لكن قد يجعل القضية تتجمد في عصرها، ويجعلنا نحن لا نستطيع أن نستلهم منها الدروس والعبر)**، وعندما نتحدّث عن كربلاء وما حدث فيها من مآسي كشفت عن وحشية أولئك الظالمين، وخشونة طباعهم، وخبث أنفسهم، يؤكّد السّيد على ضرورة أن يتلازم مع هذا الحديث دراسة هذه العوامل والأسباب التي صنعت مثل هذه الظّروف، لأنّها أسباب النّاس يعيشونها في كلّ عصر، يقول: **(نحن نعيش فيما أعتقد الأمة الإسلامية هي تعيش الحالة نفسها الأسباب نفسها التي هيأت الظروف لأن يسقط بين أيديها مثل علي والحسن والحسين وزيد ومحمد بن عبدالله النفس الزكية وغيرهم من عظماء أهل البيت الحالة نفسها واحدة)**، وإذا لم نعد لدراسة الأسباب الأولى لهذا الانحراف، يقول السيد: **(سنظل دائماً نئنّ ونتوجع من الأحداث ولا نهتدي لحل، ولا نعرف من الذي وراء ذلك، إذا لم نعد إلى دراسة أسباب الأشياء من أولها، نعود إلى دراسة الأسباب الأولى للأحداث حتى نعرف ما إذا كان هناك في واقعنا شيء من هذه الأسباب متوفرة، شيء من هذه الحالة التي أدت إلى تلك النتائج السيئة التي تعيش عليها الأمة)**.

العودة إلى البدايات الأولى للانحراف الذي حصل بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقراءة حادثة كربلاء في هذا السّياق نفسه، هي دراسة تاريخيّة موضوعيّة، وخطّه عمليّة ومنهجيّة يؤسّس لها السّيد في دراسة التّاريخ، وعلى هذا الأساس كان حديثه في محاضرة (دروس من وحي عاشوراء)، يقول السيد: **(لا ننظر إلى فاجعة كربلاء أنّها وليدة يومها، ونتحدث عن ابن زياد وحده، أو نتحدث عن يزيد وحده، إذا كنّا على هذا النحو، إذا لم ننظر دائماً إلى البدايات، ننظر إلى بدايات الإنحراف، ننظر إلى الأسباب الأولى، النظرة التي تجعلنا نرى كل تلك الأحداث المؤسفة، نرى كل هذا الواقع الذي تعيشه الأمة إنّما هو نتاج طبيعي لذلك الإنحراف، وإلاّ فسنعيش في ظلّ الأسباب نفسها، وسنكون نحن جزءاً من الأسباب التي جعلت الحسين صريعاً في كربلاء، وجعلت علياً قبله، والحسن قبله يسقطون شهداء)**، وعندما نعود لدراسة الأسباب الأولى ستكون النتيجة هي الوعي، والبصيرة بالأحداث السّابقة، والحاليّة،

والمستقبليّة، وما عليه واقعنا اليوم، وهذا ما يقصده السّيد بالذات حتّى لا نكون ضحية للضلال، والمضلين وهنا يقول: **(عندما نعود إلى الحديث من هنا هو من أجل أن نعرف ما الذي جعل الأمور أن تصل إلى هذه الدرجة فنرى الحسين صريعاً في كربلاء، إنّها الإنحرافات الأولى)**.

٢- حبّ السلطة:

عاملٌ مهمٌ جداً، وسببٌ رئيسيٌّ من أسباب المآسي والإجرام في التّاريخ الإسلامي، هو عامل حبّ السّلطة وعشقها، ومن يعشقون السّلطة، ويهوون المناصب هم من يوغلون في الدّماء والإجرام، والفساد والطّغيان، وهذا ما آلت إليه الأمور بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا ليس نبشاً لتراكمات الماضي، ولا تعصّباً وإساءةً لأحد، نحن بصدد دراسة لحقائق التّاريخ، ومسلّمات الأحداث، ولا يمكن أن نغمض أعيننا من جديد، ونقفز على الواقع، وحالة التردّي بعد رسول الله هي الحالة التي حذّر منها الرّسول نفسه، وحرص جداً على تأمين المستقبل الإسلاميّ من بعده، خشية الضلال على أمته، وممارستها الإجرام، وتمكّن الضلال ليحكمها من جديد، وهي الحالة التي حذّر منها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ**﴾[آل عمران: ١٤٤]، ولذا أنّ الإمام علي (عليه السلام) لم يقرّ ولاية معاوية على الشام ولا لدقيقة واحدة، خلافاً لمن سبقوه وقلّدوه حكم الشام، وكان أوّل قرار اتخذه هو عزل معاوية من ولاية الشّام، وقد أدّى هذا القرار إلى حروب الجمل، وصفين، والنّهروان، وأن يسقط الإمام على شهيداً بين يدي الله عز وجل، لأنّه يعرف خطورة الضلال وتمكّنه، ورأينا كيف آلت الأمور وما صارت إليه بعد موت رسول الله، وكيف عمل معاوية بالأمّة، وثبّت دعائم الحكم لولده يزيد من بعده، ولبني أمية، وعندما تمكّن معاوية بسبب البدايات الأولى، رأينا كيف استطاع أن يجيّش جيشاً لقتال الخليفة نفسه، أكثر عدداً، وأقوى عدّة من جيش الدّولة الإسلاميّة، ويجيّش آلاف المسلمين تحت لوائه، يقول السيد: **(لمّا أضلّها معاوية انطلقت تلك الأمة لتقف في صف الباطل، لتقف في وجه الحق، لتقف في وجه**

النور، لتقف في وجه العدالة، في وجه الخير)، ويضيف السّيد: **(إنّه الضلال وما أخطر الضلال، وما أسوأ آثار ونتائج وعواقب الضلال)**، ويرى السّيد أنّ هذه المصيبة هي التي لا زالت تعاني الأمة ويلاتها إلى اليوم، فيقول: **(وهل عانت الأمة من ذلك اليوم إلى الآن إلاّ من هذه النوعية من الحاكمين، هذه النوعية التي نراها ماثلة أمامنا على طول وعرض البلاد الإسلامية لما كانوا من هذا النوع الذي لم يتلقّ درساً من علي (عليه السلام) الذي كان قدوة يمكن أن يحتذي به من يصل إلى السلطة)**، لأنّ من يعشق السلطة، ويهوى المنصب ستكون الأمة ضحية على يديه، وهذه النّفوس الجشعة في المنصب والحكم هي من جعلت كل أرض كربلاء، وكل يوم عاشوراء، وعندما نعود إلى أسباب الانحراف الأوّل وعوامله سنعرف أنّ كلّ بليةٍ أصيبت بها الأمّة، وكلّ انحطاطٍ وصلت إليه، وكلّ كارثةٍ مرّت بها هذه الأمة بما فيها كربلاء، إنّما كانت نتاجاً طبيعياً لذلك الانحراف الأوّل الذي وقع بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يرى(السيد)، ويوضّح المسألة أكثر عندما يقول: **(لا تنظر إلى فاجعة كربلاء أنها وليدة يومها، من الذي حرك الجيوش لتواجه الحسين في كربلاء؟ من الذي أرسل ابن زياد إلى الكوفة ليغري زعماء العشائر بالأموال، ويرغّب ويرهب حتى يحولهم إلى جيش يتوجه لضرب الحسين بعد أن كانوا قد بايعوا الحسين، من هو؟ إنه يزيد)**، ويضيف السّيد: **(من الذي جعل يزيداً خليفةً على رقاب المسلمين؟ إنّه معاوية، من الذي جعل تلك الأمة تقبل مثل يزيد؟ من الذي جعل ليزيد سنداً قوياً وقاعدة قوية؟ إنّه معاوية، من الذي ولّى معاوية على الشام؟)**، وهكذا تكون المسألة على هذا التسلسل، وصولاً إلى الإنحراف الأوّل من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لذا لا يصحّ بأيّ حالٍ من الأحوال أن يحكم الناس من يعشقون السّلطة، ويحبّون المناصب.

٣- التفريط واللاّ مبالاة:

التفريط واللاّ مبالاة حالة ثالثة خطيرة ليست بأقلّ قبحاً من سابقاتها، التفريط نفسه الذي بدأ منذ اليوم الأول، وهم يسمعون توجيهات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم لا يتفاعلون معها، ولا يعطونها أهميتها، التفريط عامل الهدم الرّهيب الذي أوصل الأمّة إلى تلك

الكوارث الرهيبة من بعد رسول الله، وإلى يومنا هذا جيلاً بعد جيل، التفريط واللاّ مبالاة تلك الحالة التي سيطرت على أهل العراق، وحكم الإمام علي البليغة، ومواعظه القرآنية تتناثر عليهم كالدّرر، وهم ينظرون إليها كالبعر، هذا العامل الذي ساعد على تهيئة السّاحة الإسلاميّة لأن تكون مسرحاً للجرائم على طول، لا يأمن فيها المحقّون والصّادقون، بينما تحوّلت إلى ساحة يأمن فيها الظّلمة، والطغاة، والمجرمون، لذا تكون الجريمة مشتركة، لأنّ الباطل لا يسود بجهود أهل الباطل وإمكانياتهم فقط، يقول السيد: **(ورأينا أيضاً أيّها الأخوة كيف يكون الجانب الآخر وهو ما كنا نقوله أكثر من مرة: أنّ الجرائم ليست في العادة هي نتيجة عمل طرف واحد فقط، المجرمون من جهة، المضلون من جهة يجنون، والمفرّطون والمقصّرون والمتوانون واللا مبالون إباليون هم أيضاً يجنون من طرف آخر)**، ويضيف السيد فيقول: **(فالجريمة مشتركة، الجريمة مشتركة من أوّل يوم حصل الإنحراف بمسيرة هذه الأمة عن هدي القرآن وهدي رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **كيف يمكن أن يسمع الناس منطق الحق ثم نراهم في يوم من الأيام يقفون في وجه الحق، في صف الباطل، هذا هو الذي حصل بالنسبة لأهل العراق)**، إذاً أمامنا حالتان متماثلتان مجتمع العراق، ومجتمع الشام، مجتمع الشام الذي أضلّه معاوية، وحوله إلى قاعدة لإمارته، وخلافته، وخلافة ولده يزيد، وجعل منهم جيشاً قوياً يتحرّك لتحقيق أهدافه، وتثبيت دعائم حكمه وخلافته قاتل بهم الإمام علي (عليه السلام) وأبناءه، وأمامنا مجتمع العراق الذي عاش في أوساطهم الإمام علي (عليه السلام)، وانصبت عليهم كل حكمه، ومعارفه، وتوجيهاته، وهنا يطرح السّيد تساؤلاً في غاية الأهميّة، فيقول: **(فلماذا رأينا أهل العراق يقفون هم قبل أهل الشام في صف يزيد في مواجهة الحسين نفسه؟)** ويجيب على هذا التّساؤل قائلا: **(إنّه التفريط ليس فقط التفريط أمام الحدث، بل التفريط يوم تسمع التوجيهات فلا تعطيها أهميتها)**، ويضيف (رضوان الله عليه) قائلاً: **(التفريط.. التفريط إنّما هذا منبعه: يوم أن يسمع الناس الكلام، ويسمعون التوجيهات ويسمعون منطق الحق ثم لا يهتمون ولا يبالون، ولا يعطون كل قضية ما تستحقه من الأهمية)**، ويوضّح المسألة أكثر عندما يقول: **(ذلك التفريط هو الذي جعل أهل العراق قبل أهل الشام يصلون إلى كربلاء فيحاصرون الحسين (عليه السلام) وأهل بيته، وجعلهم**

قبل أهل الشام يوجهون النبال إلى صدره، وهم من عاش بينهم علي (عليه السلام) سنين يحدثهم ويعظهم ويرشدهم، لماذا؟ ما الذي أوصلهم إلى هذا الحد؟)، إذاً التفريط سبب مباشر في فاجعة كربلاء، ولا زال هو العامل الذي يهدّد كلّ مشاريع الإصلاح، والنّهوض، والتحرّر، وعندما يفرّط الإنسان فيما يسمع تأتيه البدائل المغلوطة إمّا من جهة نفسه فيحلّل التحليلات الخاطئة، ويضع للأمور حداً معيناً يظن أنها لا تتجاوزه، أو مِن أمثاله ممّن يفهمون فهماً مغلوطاً، ولا يعرفون عواقب الأمور، ويحذّر السّيد من سيطرة هذه الحالة على مشاعرنا فنكون ممّن يحمل تلك الرّوحيّة، وقد نجد أنفسنا في أسوأ من تلك الحالة التي عاشها العراقيّون حيث تعرّضوا لضربات شديدة بعد استشهاد الإمام الحسين، وكانوا ضحيّة لتفريطهم، وتخاذلهم في المقام الأول، ولم يكن العراقيون وحدهم هم ضحية التفريط واللاّ مبالاة، بل لقد حصل للبشر على امتداد التاريخ ضربات مؤلمة بسبب التفريط والتخاذل، وسيق الكثير ممن هم محسوبون على جانب الحق إلى ميادين نصر الباطل، ونحن في هذا الزمن قد نساق ليس جنوداً للمجرمين فحسب، بل قد نرى أنفسنا نساق جنوداً للأمريكيين والإسرائيليين، ونحن نرى الأحداث ماثلة أمامنا، والخطر يتفاقم ويتوسع يوماً بعد آخر، ونحن من لدينا الدّروس والعبر المتكرّرة عبر التاريخ، والرّصيد الضّخم، والكمّ الهائل من الأحداث الرّهيبة التي حصلت ولا زالت تحصل، ومع لومنا الشديد لهم، علينا أنّ نلوم أنفسنا، وإلاّ فسنكون أسوأ ممن خرج يقاتل الحسين، ووجّه سهامه ونباله إلى صدره، يقول السّيد رضوان الله عليه: **(إذا كان أولئك لتفريطهم هيأوا الساحة لأن يتولّى يزيد فأنت هنا لتفريطك ستهيئ الساحة لأن تحكمها أمريكا وتحكمها إسرائيل فيحكمها اليهود، أوليس اليهود أسوأ من يزيد؟ إنّ من يهيئ الساحة لتحكمها أمريكا، من يهيئ الساحة لتحكمها إسرائيل، من يهيئ الساحة لتحكمها ثقافة الملعونين من اليهود والنصارى بدل ثقافة القرآن هم أسوأ ممن شهروا سيوفهم في وجه الحسين)**.

المحـــــور السابع

- التربية الجهادية في القرآن الكريم.
- الجهاد في سبيل الله.
- الشهادة في سبيل الله.

التّربية الجهاديّة في القرآن الكريم

تحتاج الأمّة لأن تتربّى التربية الجهاديّة الّتي قدّمها القرآن الكريم، وعمل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) على تربية الأمّة عليها، لتكون أمّة مجاهدة تنطلق في سبيل الله، ولا يخيفها شيءٌ أبداً، وهذا ما جهلته الأمّة من بعده، وتم تغييبه من واقع حياتها، ومناهجها التربويّة، والتّعليميّة، والثّقافيّة حتّى نشأت وتربّت الأجيال على حبّ الحياة، والتّشبّث بها، والتفاني في سبيلها، كلّ ذلك بسبب غياب وتغييب الرّوح والتّربية الجهاديّة، وقد وقعت الأمّة ضحيّة للمناهج التّربويّة، والتّعليميّة، والدّينيّة، والثّقافيّة التي تجاهلت التربية الجهادية للأمّة، وقدّمت لها الكثير من الموروثات الفكريّة، والثّقافيّة، المغلوطة التي تركت أثراً سلبيّاً جدا في نفوس النّاس، وواقع الحياة، وقد عرض السّيد حسين بدر الدين الحوثي (رضوان الله عليه) الكثير من هذه الثقافات، والعقائد الباطلة والمغلوطة، التي كانت وراء ضرب نفوس أبناء هذه الأمّة، وتحطيم معنوياتهم، تلك الثقافة البديلة التي عزّزت عوامل الضّعف، والجبن، والخوف، والهزيمة في نفوس، ومعنويّات النّاس.

كما قدّم السّيد في الدّروس والمحاضرات الرّؤية والمنهجيّة القرآنية لتربية الأمّة التربية الجهاديّة التي تجعلهم يعشقون الشّهادة في سبيل الله، ويسترخصون البذل والعطاء في سبيله.

التخويف من الموت وعذاب القبر يخالف المنهجيّة القرآنية

لهذا رأينا في هذه القراءة المتواضعة في المشروع القرآني أن نتعرّض لشيء من هذا التّثقيف المغلوط الذي كان سبباً من أسباب ضرب وتحطيم معنويات النّاس، ومنها سياسة وثقافة التخويف بالموت، وعذاب القبر التي دأب عليها الكثير من النّاس، والعلماء، والدّعاة، والخطباء، والمرشدون، والمثقّفون، وما تركته من أثر سلبي وخطير على عمليّة البناء الجهادي للأمّة، وعلى روحيّتها، وتربيتها الجهادية، ومعنويّاتها القتاليّة، وحبّها للجهاد، والشّهادة، فعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**﴾ [السجدة:١١] يتحدّث السّيد عن خطورة التثقيف للأمّة بهذه

الثّقافة، وما تتركه من ضعف نفسيّ ومعنويّ في قلوب، ومعنويّات النّاس، فيقول: (**الموت هو الخطوة الأولى في الرجوع إلى الله في العالم الآخر**).

والموت نحن نجده هنا في القرآن الكريم وبمناسبة ذكره هنا ليس من الوسائل التي يأتي التخويف بها للناس، ليس من وسائل التخويف إطلاقا داخل القرآن الكريم؛ ولهذا لا تجد الحديث عن الموت إلا خاطفا وبسرعة ينتقل إلى اليوم الآخر؛ لأنه اليوم الشديد الأهوال، هو ما يجب أن تخافه، هو ما يكون الحديث عنه هو الذي يصنع الخوف في النفوس، هو الذي يملأ القلوب خوفا ورعبا، أما الموت نفسه إنما هو الخطوة الأولى، وهو قضية عادية، قضية عادية، هو بداية الرجوع إلى الله)[1].

لهذا يعتبر التخويف بالموت مخالفاً للرّؤية والمنهجيّة القرآنيّة، لأنّ ما يجب أن نخاف منه ونخشاه هو اليوم الآخر، والرّجوع إلى الله، وهذا يعطينا دافعاً قويّاً للاستعداد لليوم الآخر، والتّزوّد بالأعمال الصّالحة التي تقرّبنا إلى الله، ومن رضوانه، وفي مقدّمتها الجهاد، والشهادة في سبيل الله سبحانه وتعالى، وهذا ما ركّز عليه، وقدّمه القرآن الكريم يقول السيد: (**ليس هو في حد ذاته ما يجب أن يخيف باعتباره حدثا، ليكن خوفك هو من الرجوع إلى الله إلى اليوم الآخر، في اليوم الآخر يوم القيامة ألم يأت الكلام عن اليوم الآخر في القرآن مكرر جدا؟ بعض السور تكون من أولها إلى آخرها عن التخويف باليوم الآخر، هل ورد تخويف بالموت داخل القرآن الكريم؟ لم يرد**)[2].

ويبيّن السّيد فداحة هذا الخطأ الكبير الذي يقع فيه الخطباء، والدّعاة، والوعّاظ، نظراً لما يتركه من أثر سلبي في النفوس، وباعتباره يخالف المنهجيّة والرّؤية التّربويّة القرآنيّة في موضوع التّرغيب والتّرهيب، يقول السيد: (**ليعرف أولئك الذين يتحدثون مع الناس ويرشدون الناس أنهم كم يغلطون، كم يرتكبون من خطأ جسيم عندما يتحدثون مع الناس عن تخويفهم بالموت نفسه، ثم يذكرون لهم أهوال القبر وعذاب القبر وكلاما في النعش وكلاما طويلا، طويلا عريضا**

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الثاني عشر.

(٢) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الثاني عشر.

كله يحول الموت إلى شبح مخيف، أن هذا أسلوب يترك أثرا سيئا جداً جداً يتخالف مع منهجية القرآن، ويخالف ما يريد القرآن منا)[1].

ويوضّح السّيد أنّ التربيّة الجهاديّة للأمّة التي قدّمها القرآن الكريم تقوم على رفع المعنويّات، والجهوزيّة العالية نفسيّاً، ومعنويّاً، التّربيّة التي تدفع بالنّاس لحبّ الشّهادة والاستبسال فيتقافزون إلى ساحات وميدان المواجهة، لأنّهم لا يخافون من الموت، وهذا ما يعمله القادة العسكريّون في التّربيّة القتاليّة للجنود والأفراد، يقول السّيد: **(إنه الذي يربي هذه الأمة تربية جهادية، الذي يربيك لتكون مجاهدا، هل ينطلق ليخوفك من الموت نفسه، وهو يريد منك أن تستبسل وأن تبذل نفسك في سبيل الله!.. لا يمكن هذا حتى ولا لقائد عسكري أن يعمله.**

القائد العسكري وهو يعمل على رفع معنويات الجنود في ميدان المواجهة هل يأتي ليتحدث معهم عن القبر والنعش والأهوال، وهذه الأشياء الكثيرة؟ أم أنه يحدثهم حديثا يجعلهم يستهينون بقضية الموت، يجعلهم يتقافزون، وتستخدم حتى الحركات، وتستخدم حتى نغمات موسيقية معينة، وتستخدم حتى صرخات معينة، وأناشيد لها ألفاظها المعينة كلها تدفع بالإنسان إلى الاستبسال)[2].

ويوضّح السّيد أنّ التّخويف، والتّرهيب للنّاس بالموت، وعذاب القبر، يؤدّي إلى قتل معنويّات الناس، وتجميد روحيّتهم، وحركتهم الجهاديّة، فيتحوّلون إلى أناس ضعفاء وجبناء، يقول السّيد: **(لكن تعال جمع كتيبة تريد أن يجاهدوا ثم اقرأ عليهم من كتاب [تصفية القلوب] أو من أي كتاب آخر من كتب الترغيب والترهيب عن النعش والموت وسكرات الموت والقبر ثم انظر هل سيتحرك أحد منهم؟ ستبرد أعصابهم ستجَمِّد نفوسهم.**

الإنسان إذا تربى على الخوف من الموت وقيل له: إن الموت كذا وكذا، وعلى النعش كذا وكذا، والقبر مليء كذا وكذا إلى آخره يخاف مهما كان متركعاً مهما كان متعبدا ينشد إلى الحياة ويخاف

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الثاني عشر.

(٢) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الثاني عشر.

أن يواجه، أن يدخل في مواجهة لا يريد أن يموت؛ لأنه أصبح خائفا من شبح الموت)[1].

ويؤكّد السّيد أنّه لا وجود للتّخويف بالموت في القرآن الكريم، وأنّ الحديث عنه في القرآن الكريم جاء نادراً، وفي مقام الإشعار بأنّ للأعمار والحياة هذه نهاية، وباعتباره يمثل بداية العودة والانتقال للحياة الآخرة، ويؤكّد السّيد أنّ التّربيّة القرآنيّة هي الّتي تصنع الرّجال الأبطال، والشّجعان في ميادين الجهاد والقتال، وتصنع منهم رجالاً يخافون الله، ويخشونه، ويخافون عذابه، يقول السيد: **(التربية القرآنية هي التربية التي أخرجت ذلك الرجل الذي كان يقول: (والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه) لكنه كان وهو يتذكر اليوم الآخر، كان يتخشب جسمه خوفا من الله، وخوفاً من اليوم الآخر، وهكذا حكى عنهم في قضية إنفاقهم وإطعامهم اليتيم والمسكين والأسير ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾[الإنسان:١٠] ما قال موت ولا ما موت، الموت لا وجود له في القرآن الكريم إلا كحديث عن قضية هي أول خطوة إلى العالم الآخر، والقبر إنما هو غرفة كأي غرفة في بيتك.**

يقال: جنة ونار وباب إلى الجنة وطاقة إلى النار.. الجنة والنار لم تخلق بعد، الجنة والنار لم تخلق بعد كما قال الإمام الهادي نفسه أن الجنة لم تخلق بعد، منهجية مغلوطة تتحدث بها مع أمة وكمنهج)[2].

وهنا يبيّن السّيد أنّ هذا الأسلوب قد يستحسن أمام أشخاص معيّنين، وفي ظروف معيّنة، واستثنائيّة، لكن لا يصحّ تقديمه، واعتماده كمنهجيّة في التّثقيف، والتّرغيب، والتّرهيب، لأنّ اعتماد أسلوب التخويف بالموت والقبر يمثل جنايةً كبيرةً على النّاس والأمّة، ويبيّن السّيد عظمة ما تركته التّربيّة القرآنيّة في نفسيّة، وروحيّة الإمام عليّ بن أبي طالب، يقول السيد: **(قد يكون هذا أسلوباً فيما إذا استحسنه شخص معين أمام شخص معين أو مجموعة معينة وبشكل استثنائي مؤقت لا يصلح أن يكون منهجا، لا يصح أبداً أن يكون منهجاً، مع أن الكثير من التفاصيل التي يقولونها حول الموت، وحول النعش، وحول القبر، غير صحيحة، غير صحيحة من**

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الثاني عشر.

(٢) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الثاني عشر.

أساسها.

عندما آتي أنا وكمرشد وبنظريتي القاصرة، ونظرتي القاصرة أريد أن أطلع ناس أراهم يبكون وأراهم خائفين ويتجهون إلى الطاعات ونوع من الطاعات المعينة، ويبتعدون عن المعاصي فأقول هؤلاء أولياء الله، تستطيع أن تنتج ناس من هذه النوعية لكنك لو تدري كم جنيت عليهم، قد تراهم [أطياب] وتراهم فعلا يبتعدون عن المعاصي وترى مظهرهم مظهر أولياء الله لكنهم من النوعية التي لا تقدم ولا تؤخر.

ذلك الرجل الذي كان ينطلق في الميدان ميدان الجهاد بكل قوة وبكل هدوء.. ولا خوف ولا ذرة من الخوف في نفسه، هو من كان يقول: (والله لا أبالي أوقعت على الموت أو وقع الموت عليّ) (لأنا آنس بالموت من الطفل بثدي أمه)[1].

منهجيّة القرآن تقوم على التّخويف باليوم الآخر

تقوم منهجيّة القرآن الكريم في التّرهيب، والتّرغيب على التّخويف باليوم الآخر، والحديث عن الجنّة والنّار، وهذا هو ما امتلأت به صفحات القرآن الكريم، وهذا الأسلوب القرآنيّ هو الذي يصنع، ويزرع الخشية، والخوف من الله في قلوب النّاس، فتهون أمامهم التّضحية بأنفسهم في سبيل الله مقابل النّجاة من عذابه، والفوز برضوانه، يقول السيد: **(إذا كنت تريد أن تصنع خوفا في نفوس الناس، وخشية من الله، خوفاً وخشية إيجابية لا سلبية معها إطلاقاً، ركز على ما ركز عليه القرآن الكريم على اليوم الآخر على الحديث عن اليوم الآخر عن تفاصيله، عن أهواله، عن شدائده، عن النار، عن الجنة، وهذا هو ما ظهر جليا في القرآن الكريم أنه من أهم الوسائل لإيصال الخوف من الله والخشية من الله في قلوب الناس، حينها سترى أن تلك الأهوال الشديدة تلك النار الشديدة تهون عليك نفسك أن تبذلها ولو عدة مرات في الحياة وتسلم تلك الأهوال، تأمن أثناء تلك الأهوال، وتأمن من تلك النار الشديدة، وأن ذلك النعيم العظيم وذلك المقام الرفيع يجدر**

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الثاني عشر.

بك أن تستهين بنفسك فتبذلها عدة مرات في الحياة من أجل أن تصل إليه)[1].

ونحن نرى النّاس هنا في الحياة كيف يستهينون بأنفسهم، ويبذلون أرواحهم من أجل قطعة من الأرض، لأنّهم يرون أنّها تمثل قيمة كبيرة لديهم، لكن عندما نعود للقرآن الكريم، ونتثقّف بثقافته سنرى أنّ الجنّة ذات قيمة وأهمية كبيرة لدينا، تستحق منّا التّضحية بالمال، والنّفس، ولو عشرات المرات، وفي الجانب الآخر عندما نعرف اليوم الآخر، وأهواله، وشدائده، وسوء العذاب في نار جهنّم سترخص أمامنا التّضحية في سبيل الله مقابل النّجاة من النار، ومن عذاب الله، يقول السيد: **(أوليس الناس هنا في الدنيا يستهينون بأنفسهم على [مشرب] على قطعة أرض قطعة أرض مزروعة [بن أو قات] أو [عرصة] منزل.. مستعد أن يقاتل فيقتل، ويتهدد بأنه لا يمكن أن تدخل لها من طرف - كما يقول البعض - : [إلا على رقبتي هذه] أليس هذا استبسال؟؟ استبسال؛ لأنه يرى هذه القطعة جديرة بأن يبذل من أجلها نفسه.**

انظر إلى الجنة ستراها جديرة بأن تبذل من أجلها نفسك عدة مرات فتحيى من جديد ثم تقتل من جديد ولو في كل معركة.

هنا في الدنيا أليس الناس يخافون؟ وقد يكون بعض المواقف تخيف الإنسان فيواجهها ولو بأن يبذل نفسه من أجل أن يأمن ذلك الجانب، ستجد جهنم بالشكل الذي ترى أنه يجب عليك أن تبذل نفسك ولو عدة مرات من أجل أن تنجى من جهنم) [2].

المنهجيّة التّربويّة في القرآن الكريم

المنهجيّة التّربويّة في القرآن الكريم تقوم على تربية النّاس التّربية الجهاديّة، ودفعهم لبذل أموالهم، وأنفسهم في سبيل الله، وهذا ما لا يمكن أن يخالفه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، فيأتي ليخوّف النّاس من الموت، ومن عذاب القبر، وهو أعظم مجاهد في سبيل الله، ومن يعرف منهجيّة وتربية القرآن الكريم، يقول السيد: **(هذا هو أسلوب القرآن الحكيم؛ لأنه من**

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الثاني عشر.

(٢) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الثاني عشر.

الناحية التربوية من الناحية المنهجية تربوياً غير صحيح أن يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ [التوبة: من الآية١١١] **ثم ينطلق رسوله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **ليخوف الناس من الموت وهو أعظم مجاهد، وأعظم محرض على الجهاد بأسلوبه القوي بعباراته الجزلة بمعانيه الصحيحة، بتربيته المستقيمة.**

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **كان رجلاً قرآنياً يعرف منهجية القرآن لا يخالفه، لا يتعداه ولا خطوة واحدة، ثم يأتي ليخوف الناس من القبر ومن الموت ومن.. ومن..؟! حتى يجعلهم ينكمشون ويخافون، هل هذا منسجم مع التوجيهات للتضحية في القرآن؟. لا)**[1].

ويوضّح السّيد أنّ هذا المنهج التّربوي، والمعنوي هو الّذي يسير عليه النّاس وهم يواجهون المواقف، والصّعاب، والتّحديات في الحياة حتّى على مستوى أمورهم، وقضاياهم الشّخصيّة، وهو ما يعمله القادة العسكريّون، والمدرّبون وهم يعملون على رفع معنويّات الجيوش في المواجهات، يقول السيد: **(إذا كنت تريد أن تعرف المسألة جلياً فانظر إلى القادة العسكريين وهم يعملون على رفع معنويات الجيش أثناء المواجهة، اسمع البيانات العسكرية لتعرف كيف أننا نحن ونحن بشر أن هذه قضية مسلمة لدينا.**

أنت قد تقول لأولادك إذا ما كنت في خصومة مع آخرين تنطلق لتشجعهم على التضحية.. أليس كذلك؟ هل ستنطلق وأنت تتحدث عن خصومة حادة مع طرف آخر قد تصل إلى درجة المواجهة ثم تجمع أولادك في غرفة في بيتك وتحدثهم عن القبر وعن منكر ونكير، وعن النعش وعن كذا؟. هل يمكن هذا؟ لا يمكن.. [أنتم رجال وليست إلا ميتة].. أليس هكذا يقولون؟ يشجعهم على الاستبسال وعلى التضحية، من هو ذلك الأحمق الذي يمكن أن يعمل هذا مرة في حياته فيجمع أولاده ومعه خصم آخر ثم يحدثهم عن منكر ونكير، والقبر وضغطاته وأشياء كثيرة طويلة عريضة.

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الثاني عشر.

هل سيواجهون؟ أم سيأتي الصباح وكل واحد يبحث له عن مهرب ويقول: [يا خه الله غني سيعوضنا عن هذه، لا داعي أن يلقي واحد بنفسه من أجل هذه موت طويل عريض، ومقابر كذا، ونعش كذا، وشدائد، إلى آخره، لا أريدها فليأخذوها]) [1].

وإذا كان هذا هو الأسلوب الّذي يعمله النّاس، ويعرفه البشر، فكيف يمكن أن يحصل من قبل الله، أو من قبل رسول الله ما يخالف منهجيّة القرآن الكريم، ويضرب نفسيّات، ومعنويّات الناس، ولو على بعد آلاف السنين؟ هذا لا يمكن أن يحصل على الإطلاق من قبل رسول الله، وهو من يعرف حدود التّربيّة والمنهجيّة القرآنيّة، وهو مربّي الأمّة، ومعلّمها، وهاديها، يقول السيد: **(هل يمكن أن يحصل هكذا منا نحن الناس؟ فكيف يمكن أن يحصل ممن نزل القرآن الكريم؟ وهو الذي يعلم بخصائص النفس البشرية، وهو الذي يعلم السر في السماوات والأرض، هل يمكن أن يصدر من رسول الله؟ الله اصطفاه، الله أكمله، هو نفسه يتبع ما يوحى إليه، وهو يعرف هذا القرآن بأبعاده، بعمقه، بغاياته البعيدة، فهو لا يمكن أن يصدر منه كلمة واحدة، أو موقف واحد؛ لأنه معلم الأمة ومربي الأمة، أليس كذلك؟ وهادي للأمة، لا يمكن أن يحصل من جانبه شيء يتعارض مع منهجية القرآن ولو على بعد ألف كيلو، ولو على بعد هناك)** [2].

ليس في أسماء الملائكة منكر ونكير

المنهجيّة المغلوطة التي دأب عليها المرشدون، والخطباء في التّرغيب، والتّرهيب من التخويف بالموت، وعذاب القبر، تَبيّن لنا أنّها منهجيّة خاطئة تخالف تربية، ومنهجيّة القرآن الكريم، والرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، كذلك تلك التّفاصيل التي تعرض في كتب التّرغيب، والتّرهيب عن عذاب القبر، وأسماء ملكين من الملائكة باسم منكر ونكير، وغيرها من تلك التّفاصيل، يؤكّد السّيد أنّها مستبعدة، وغير صحيحة، فيقول: **(نحن في هذا الزمن بالذات مرشدون، معلمون، متى ما أحب إنسان أن يقال: [خطبة جميلة، أما هذه الناس بكوا منها] يبحث للأحاديث من داخل كتب الترغيب والترهيب، فيقدم الحديث الطويل العريض عن**

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الثاني عشر.

(٢) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الثاني عشر.

الموت والقبر.

القبر حفرة ترقد فيها، ويهال عليك التراب فيها، لا تشعر بشيء، لا تشعر بشيء، وبعض العلماء استنكر فعلا واستعبد وأنكر قضية [منكر ونكير]، أنه حتى ليس في أسماء الملائكة هذه الأسماء المزعجة الغير طبيعية [منكر ونكير]من أسماء الملائكة؟ لا، اسم المَلك خازن جهنم.. أليست جهنم أشد؟ اسمه مقبول [مالك] أي واحد منا قد يسمي ابنه بهذا الاسم الطبيعي مالك ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[الزخرف: من الآية٧٧] لماذا القبر يضع له ملكين واحد [منكر] وواحد [نكير]! هذا مما استبعده علماء - وهو فعلا مستبعد جدا - ومطرقة لا تستطيع أن تحملها [ربيعة ولا مضر] وأشياء من هذه، فتش عن الميت بعد أيام ستراه ما يزال جسمه على ما هو عليه وإن كان كافرا، هم يموتون في المستشفيات ويتركون في الثلاجات فلا تسمع شيئا) [1].

لا وجود لعذاب القبر في القرآن الكريم

لو كان عذاب القبر صحيحاً لعُرضت تفاصيله في القرآن الكريم، ولورد التّخويف منه، ومن عذابه في سوره وآياته، ولكنّ هذا الشيء لا وجود له في القرآن الكريم، وليس صحيحاً عن رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، لأنّه لا يمكن أن يخالف منهجيّة القرآن الكريم كما سبق، ولم يأت بشيء آخر غير القرآن، بل إنّ المتأمل، والباحث المدقّق سيكتشف أنّ هذه الموروثات هي من الثّقافة الدّخيلة، والمدسوسة على الإسلام الّتي جاءت عن طريق بني أميّة، ومن بعدهم، ليبرّروا لسياسة التّعذيب في السّجون، والتّحقيقات، ويضعفوا نفسيّات النّاس، ويرعبوهم، ويجبّنوهم، حتّى يضعفوا، ويجبنوا عن الثّورة عليهم، ومن خلال ما سبق يبيّن السّيد أنّ موضوع القبر شيء طبيعيّ جدّاً، وهو عبارة عن حفرة يرقد فيها الإنسان، ويدفن فيها الجسم ويوارى، ويتحوّل إلى رميم، إلى أن يأتي وعد الله بالبعث، والحشر، ولا وجود لشيء اسمه عذاب في القبر، وهنا يقول السيد: **(يقال للكفار.. أليس الكافر هو من هو جدير بأن يعذب في القبر ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾**[المؤمنون: من الآية١١٣]

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الثاني عشر.

والله ما يدري من يوم ما قبض ملك الموت روحه لما بعث بعد آلاف السنين، مرت كلا شيء.

﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس: من الآية٥٢] **أليسوا يقولون هكذا يوم القيامة ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾؟ لو كان القبر مزعجا لفرحوا أن يبعثوا، يسلموا الإزعاج داخله، سموه [مرقداً] وهم كافرون، ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ فيقال لهم: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾** [يس: من الآية٥٢] **أخرجوا الآن هذا هو اليوم الشديد، هناك سيقول الكافرون: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾**[القمر: من الآية٨] **ألم يقولوا للقبر مرقداً، وقالوا ليوم القيامة: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ يوم شديد يوم شديد الأهوال؟.**

ونحن بالعكس نتحدث عن القبر، وعن منكر ونكير، وعن الموت بتفاصيل كثيرة نجعله هو اليوم العسر، سيتشبث أحدنا بالحياة لا يريد أن يموت في سبيل الله، ولو كان في موته إعلاء كلمة الله في الدنيا كلها.

يقال: بأنه كان هناك أحد العباد كان إذا ذكر الموت عنده تنجس لكثرة ما تكرر على مسامعه، وقد يغلط الإنسان نفسه مع نفسه، يريد أن يوعظ نفسه، يبحث لتلك الكتب التي فيها الأخبار من هذا النوع)[1].

من خلال ما سبق عرضه يتبيّن لنا الخطأ الفادح في الأساليب والمناهج التربويّة والمنهجيّة التي نسير عليها في التّرغيب والتّرهيب مع أنفسنا، ومع النّاس، لأنّ التّرغيب والتّرهيب الحقيقيّ الذي ينسجم مع فطرة النّفس، وخصائصها، ويؤثّر فيها، هو التّرغيب والتّرهيب الذي جاء في القرآن الكريم، وهي تلك الآيات التي خوّفنا الله فيها من اليوم الآخر، وجهنّم، وعذاب الآخرة، تلك الآيات التي أنزلها من يعلم السرّ في السّموات والأرض، وهو أعلم بمن خلق، وما يؤثّر فيه، وفي أعماق نفسه، وما يرهبه ويرغّبه، يقول السيد: **(إرجع إلى القرآن الكريم، أنت تبحث عن الخشية من الله؟ ها هي في القرآن الكريم على أعلى درجاتها ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾** [الحشر: من الآية٢١] **أنت تريد الخوف من الله؟ وتريد تخاف من أعمالك، تخاف من عقوبة أعمالك إرجع إلى القرآن الكريم سترى عقوبات الأعمال ماثلة**

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الثاني عشر.

أمامك في الدنيا وفي الآخرة فتخاف، أما أن تخوف نفسك لتبتعد عن معاصي معينة سترى نفسك بعيدا عن أن تقوم بأعمال مهمة تركها هي المعصية الكبيرة، تركها هو الذي يجعل تلك الطاعات لا قيمة لها.

أليس هذا هو من الخطأ في التربية، ومن الخطأ في المنهجية مع أنفسنا أو مع الآخرين ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾[السجدة:١١] **وبسرعة ينتقل إلى اليوم الآخر ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ويتحدث عن تفاصيل اليوم الآخر، وعمّا سيلاقي أولئك الناس المستبعدون، وعمّا يلاقي المجرمون، الذين كانوا ناسين لهذا اليوم، عما يلاقونه في ذلك اليوم، هل تحدث عن الموت بكلمة أخرى [ثم على النعش تحملون، ثم منكر ونكير بمطارقهم تضربون، ثم في اللحود تضغطون.. ثم.. ثم.. هل هناك شيء؟؟) هل هناك كلمة واحدة في القرآن؟. لا)**[1].

التّربية القرآنيّة تدفع بالإنسان للتّضحية في سبيل الله

الأسلوب الصحيح في التّثقيف، والتّربية، والتّعليم هو في اتّباع المنهجيّة القرآنيّة الّتي ألغت الموت من قائمة المجاهدين في سبيل الله سبحانه وتعالى، وجاءت تلك الآيات في القرآن الكريم لتلغي الموت تماماً من حياة الشّهداء، هذه هي الثّقافة، والتّربية، والمنهجيّة القرآنيّة الّتي تدفع بالنّاس للاستبسال في سبيل الله، وبذل أرواحهم، وأنفسهم رخيصة في سبيله، فلا يمكن أن يأتي من قبل رسول الله ما يخالف منهجيّة وثقافة القرآن الكريم، وهو من عمل (صلوات الله عليه وعلى آله) على تربية الأمّة التّربية الجهاديّة، يقول السيد: **(لأنه ليس طبيعيا أن يريد منك أن تضحي بنفسك وهو يخوفك من الموت.. أليس هناك أحاديث بل قبل الأحاديث أليس هناك آيات الشهادة هي بالشكل الذي يجعلك تستهين بالموت؟ ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾**[البقرة: من الآية١٥٤] **ألغى قائمة الموت تماماً لا تسموهم أمواتاً ليس هناك موت، ألم يكن إلغاء الموت بالنسبة لهم من أجل ماذا؟ من أجل أن يندفعوا إلى الشهادة، أن يستبسلوا في سبيل الله.. ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾**[البقرة: من الآية١٥٤] **كذلك: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾** [آل

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الثاني عشر.

عمران:١٦٩].

لماذا حياة؟ لماذا يقول لا تسميه ميتاً؟ لماذا يقول لا تظن أنه حتى ميت؟ ألغي الموت بكله من قائمة المجاهدين.. بكله لماذا؟ لأنه حتى أن يبقى شبح الموت أو اسم الموت ماثلا أمامهم قد يكون غير منطقي وغير أسلوب بل سيلغى الموت بكله أمام المجاهدين، فلا هو من يموت، ولا هو من يصح أن يقول له الآخرون ميت، أليس كذلك؟ لا تحسبهم أمواتاً ولا تسميهم أمواتاً، هم أحياء وقولوا أحياء، هذا هو الأسلوب الصحيح، هل يمكن أن يأتي من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **كلام آخر يخوف الناس بالموت الذي ألغي داخل قائمة المجاهدين؟.**

المجاهد لن يموت كما يموت الآخرون، تنتقل روحه من بدلة لتعود إلى جسم آخر، فيكون جسمك هذا إنما هو شبيه بالبدلة التي أنت تحملها، الكوت والجنبية والثوب ألست تخلعها أحيانا وتعلقها وأنت تراها هناك ترى نفسك قبل ساعة، ثوبك وكوتك والجنبية والعصبة تطرحها وتلبس ثوبا آخر أشبه بهذه)[1].

ويبيّن السّيد الخطأ الفادح الذي جنته وتركته هذه الثقافة المنحرفة عن منهجية القرآن الكريم في نفوس الناس، فحوّلتهم إلى أناس ضعفاء، وجبناء، والشيء المعروف عن العرب أنّهم كانوا أبطالاً يستبسلون في ميادين القتال مع بعضهم البعض على أتفه الأشياء، وهم من كان يحرّكهم بيتٌ من الشّعر، أو قصيده، وينزّه السّيد الإسلام، والقرآن، والرسول، عن أن يكونوا هم وراء زرع حالة الجبن، والخوف، والضّعف الّتي مني بها العرب، والمسلمون فيما بعد، فيقول: **(فالإنسان لا يموت كما يموت الآخرون هذا إذا قتل في سبيل الله، وكان شهيدا في سبيل الله لماذا؟ لأن هذا هو الذي سيدفع بالإنسان إلى التضحية، أما أن أخوفه من الموت وأنا أريد أن يكون مجاهدا أن يخوف هذه الأمة العربية من الموت وهم من كانوا يستبسلون في ميادين القتال مع بعضهم بعض، فجاء الإسلام فحولهم جبناء! أليسوا الآن جبناء؟! من أين جبنوا؟ من أين جبنوا وقد كانوا هم سابقا كانت تحركهم قصيدة من الشعر، كان بيت من أبيات شاعرهم تحركهم للإستبسال فيقاتلون على عقال بعير، أو على فرس، أو على ناقة؟ هل الإسلام هو الذي جبنهم؟ أم الموعظون**

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الثاني عشر.

والمرشدون؟ أم المحرفون للدين؟ أم المقدمون للدين بصورة مغلوطة؟.

ألسنا الآن كعرب أجبن من أولئك البدو قبل الإسلام!! هل أن الإسلام هو الذي جنى علينا فأصبحنا جبناء أذلاء أم من قدموا الإسلام بشكل آخر لنا؟.

إنه فعلا عندما جئنا نتلقى الإسلام من آخرين قدموه بشكل مغلوط هو الذي ترك فينا هذا الأثر السيئ في كل المجالات)[1].

ويبيّن السّيد أنّ هذه الحالة التي منيت بها الأمّة مؤخراً جاءت بسبب هذه الثقافة المغلوطة، والمنهجيّة المنحرفة الّتي جاءتنا على أيدي من لا يفهمون القرآن ولا يفهمون الإسلام، ويبيّن السّيد أنّنا لو أخذنا ديننا من القرآن الكريم، ومن أهل البيت عليهم السلام، لفهمنا الإسلام والقرآن، وعرفنا مناهجه التربويّة، والنّفسيّة، والتّثقيفيّة، ولكنّا أمة عظيمة وقويّة، وكتلاً من الصّلب، تُدوّخ العالم بكلّه، يقول السيد: **(لو أخذنا الدين من القرآن الكريم ومن أهل بيت رسول الله لما عشنا أذلاء أبداً، ولا شعباً واحداً، ولو لم يكن العرب بكلهم إلا كشعب واحد من الشعوب الموجودة لكانوا هم من يقهرون العالم، ولكانوا هم من يوصلون هذا الدين إلى الأمة كلها، ومن كانوا يؤمنون بهذه الفكرة.**

الإمام الهادي نفسه كان يقول: (لو أن معي خمسمائة شخص مخلصين لدوخت بهم الأرض) خمسمائة شخص كان يقول.. يفهمون الإسلام بشكل جيد يقدم لهم الإسلام بشكله الصحيح، يفهمون القرآن ومناهجه التربوية وخطابه للنفس، خطابه للوجدان، خطابه للمشاعر، يثقون بالله الذي نزل القرآن لكانوا نوعية أخرى تدوخ العالم بكله ولكانوا كتلا من الحديد، كتلا من الصلب)[2].

التّخويف بالموت وعذاب القبر أسلوب غير صحيح

نظراً لخطورة هذه الثّقافة، والرّؤية، والمنهجيّة التّدميريّة على تربية الأمّة، ونفسيّات الناس، ولما تتركه من أثر سلبي وخطير على تربية الأمّة التربيّة الجهاديّة التي أراد الله ورسوله للأمّة أن

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الثاني عشر.

(٢) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الثاني عشر.

تتربّى وتسير عليها، فقد رأينا أن نتعرّض في هذه القراءة بشكل واضح ومفصّل لهذه المسألة، ونعرض الرّؤية القرآنيّة التي قدّمها السّيد حسين بدرالدين الحوثي لنصل فيها إلى قناعة أوّلاً، ولنعمل على تصحيح ثقافتنا، ورؤيتنا، ومنهجيّتنا الدّينيّة، والتّربويّة، والتّعليميّة على أساس هدى الله سبحانه وتعالى، ففي محاضرة "الشّعار سلاح وموقف" وُجّه للسّيد سؤال من أحد الحاضرين حول عذاب القبر، فإلى نص السّؤال والإجابة.

(هنا ورد سؤال من أحد الحاضرين حول عذاب القبر.

فأجاب السّيد بقوله:

القضية نقول: ما صحت ولا احنا أول من خالف فيها؛ لأن ما هناك حياة في القبر بكله، ما هناك حياة في القبر بكله، يعني مسألة أنه عذاب والاّ ما عذاب، ما هناك إعادة للحياة في القبر بكله، بحيث أنه يجي منكر ونكير يحاسبوك - على ما قالوا - إما يضربوك، والاّ يخلوك، والاّ يبشروك، ما هناك من القرآن الكريم ما يدل على هذه، ومعظم ما بيجي هي أحاديث معظمها من عند السنية أساسها من عند السنية حول المسألة هذه.

وأعتقد أن الإمام أحمد بن سليمان نفسه يستبعد القضية هذه، وقال: ربما قد يكون هذا الذي يسموه عذاب قبر أو كذا، عندما يبعث الإنسان يوم القيامة، إذا عاد به شيء في تلك اللحظة، أن يكون هناك عذاب في القبر، ما معناه أنه حياة تعود إلى الإنسان؟ يعود حي من جديد في القبر؟ هكذا يعود حي من جديد في القبر، ثم يموت بعد، ما هو سيموت ثاني مرة؟ القرآن الكريم يعد الموت والحياة ثنتين وثنتين ما هو سابر أن تضيف أنه يوجد حياة وموت في القبر.

الله حكى عمَّن قد ماتوا، يعني حكى عمَّن سيقولوا يوم القيامة: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾[غافر:١١] ما هي ثنتين وثنتين، تجد آيات أخرى تتحدث عن الثنتين هذه: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ﴾[البقرة:٢٨] الحياة هذه التي نحن فيها سبقها حالة العدم أو حالة قبل نفخ الروح في الإنسان في بطن أمه، هذه هي تسمى حالة موت، الموت عند العرب ما يعني فقط مجرد خروج روح، حالة اللاشيء، أو حالة العدم، أو حالة قبل أن تنفخ فيك الروح هي تعتبر

حالة موت.

مثل ما عبر عن النباتات التي تكون مثلاً يابسة هكذا مثل [الزيّل] ما هو بيسميها ميتة، ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾[الحج:من الآية ٥] **وسماها ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾**[الحديد: من الآية١٧] **هنا يقول لك: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ﴾**[البقرة: ٢٨] **هي هذه الحياة التي نحن فيها، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ الموت هذا ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ حياة البعث الذي يعني الرجوع إلى الله ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، ما قد هي أربع؟ ما هناك غيرها، إذا افترضنا إن عاد هناك حياة في القبر وموت من جديد يطلع لك ست: ثلاث موتات وثلاث حياة)**[1].

ويضيف السّيد في نفس المحاضرة أنّ هذه الرّؤية والثّقافة جاءت كسياسة من قبل الظّالمين ليقعدوا الأمّة، ويجمّدوا حركتها الجهاديّة، ويقتلوا روحيّتها الثّوريّة، فعملوا على تثقيف النّاس بهذه الثقافة المغلوطة في جانبين ومسارين، الجانب الأول: التخويف بالموت، ومن الموت، ومن القبر، وعذاب القبر، والجانب الآخر: التّزهيد في الدّنيا بتلك الرّؤية والثّقافة الّتي قدموها ليتمكنوا من نهب أموال الأمّة وخيراتها، والاستبداد والاستئثار بها، حتى تكرّست وترسّخت هذه الثقافة والرؤية في أوساط الناس، وكُتب فيها آلاف الكتب والمؤلفات، يقول السيد: **(المسألة من أساسها هي مشبوهة، قضية تهويل الموت، قضية التخويف من القبر وتهويل القبر، هي قضية مشبوهة من أساسها؛ لأنكم لاحظوا مثلاً الذين يحكمون الناس الطواغيت عندما يحكمون الناس لا تتصور أنه لا يخاف من الشعب، لا يخاف من الناس، يكونون حريصين على أنه يعملوا أي عمل من أجل يوقفوا الناس، لا يتحركوا؛ فقُدم الموت وتخويف من الموت وتهويل الموت وأشياء وأنت على النعش وأنت في القبر جعلوا القبر موحش، جعلوا الحالة هذه أن الإنسان سيمر بها تكون حالة موحشة جداً، بحيث أنه تجد من الناس تقاعس ما عاد فيهم انطلاقة أن يتحركوا؛ لأنه شيء تربى عليه، شيء تترسخ ذهنيتك عليه موحش، يعني يجعلك تحاول أن لا تمر به، مهما أمكن، ألا تمر به من مرة، يقّعدوا الناس عن النهوض، هذا في جانب يشتغلوا.**

(١) محاضرة الشعار سلاح وموقف.

يشتغلوا في جانب آخر، التزهيد ما يسمى التزهيد في الدنيا وعدم الإلتفات إلى أن مثلاً الظالمين أو الطواغيت أو الكفار وهم يسيطرون على الأموال ويحاولوا يستبدوا بأموال الأمة ما عادها قضية، تربى على إنك تزهد في الدنيا، وما هي إلا دنيا، وعندما ترى الظلمة الأموال بأيديهم ما عاد تكترث بها.

هي تربية تقوم على أساس تجميد الناس ما يتحركوا، ما عاد يتحركوا، ما عاد يحصل لديهم ما يثيرهم، عندما ترى الأموال وهم مسيطرين عليها ما عاد تثار أن هذه أموال الأمة، وأن الأمة يعيش الكثير منهم فقراء، وهم يبعثروا الأموال وينشروا بها الفساد، ويستخدموها ليسرفوا فيها، ما عاد تثار؛ لأن ما هي إلا دنيا، ما هي إلا دنيا، وقد أنت بتتربى على أن تكون زاهد في الدنيا إلى درجة أنك لا تهتم أن يحصل لك إلا ما يكفي يومك فقط، ما يكفيك ويسد رمقك فقط، هذا حصل في كتب الترغيب والترهيب والتزهيد بهذه الطريقة)[1].

التّرغيب والتّرهيب في القرآن الكريم

يؤكّد السّيد في نفس المحاضرة أنّ القرآن الكريم لم يتعرّض لمسألة التّخويف من الموت، ومن القبر، وعذاب القبر على الإطلاق، وإنّما جاء الحديث عنها في القرآن الكريم للتّذكير بأنّ هناك نهاية وغاية للحياة، وجاء هذا التّذكير في معظمه كخطاب للكفّار والمشركين، ليترتّب عليه ما سيحصل لهم في الآخرة، ويبيّن السّيد أنّ التّربية القرآنيّة جاءت لتخوّف الناس من اليوم الآخر، وأهواله، وشدائده، والتّخويف من النّار، وسوء العذاب في جهنّم، وأنّ التّربية القرآنيّة جاءت لتربّي النّاس على حبّ الجهاد والشّهادة في سبيل الله سبحانه وتعالى، يقول السيد: **(نحن نقول: القضية هذه من أساسها، قضية الموت قضية القبر، القرآن الكريم ما تعرض لها إطلاقاً بشكل يخوف بها إطلاقاً من مرة، يذّكر فقط أن هناك غاية، والناس عارفين أن هناك غاية، تذكير وتجد معظم التذكير كان يأتي أيضاً للكفار ليرتب عليه ما سيحصل لهم في الآخرة.**

فالقرآن الكريم قام الترغيب فيه والترهيب على التخويف من اليوم الآخر، التخويف من اليوم

(١) محاضرة الشعار سلاح وموقف.

الآخر هذا الشكل الكبير والمهم والخطير، ومن جهنم، الموت لا يتحدث عنه إلا وبسرعة ينتقل إلى ماذا؟ إلى اليوم الآخر، تجد تلك الآيات التي كلها ذكر فيها الموت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[آل عمران: ١٨٥] ما هذا حديث وبسرعة أنتقل إلى الآخرة.

إذاً ما هناك تخويف من مسألة الموت؛ لأن ما هو طبيعي أن يخوف من قضية الموت كحالة تمر بها، وهو هنا يأمرك أن تكون مجاهداً في سبيله، وهو يشجع على أن تكون مستبسلاً، بل في مجال التشجيع بأن يكون الناس مجاهدين في سبيل الله، ومستبسلين ألغى قضية الموت، ما هو ألغاها بالنسبة للشهداء؟.

ما هو طبيعي أنك تريد أن تربي أمة تكون مجاهدة تأتي لتخوفها من شبح الموت، هذا ما يمارسه حتى الإنسان، خلي عنك أحكم الحاكمين، عندما يختلف واحد هو وواحد آخر على أموال، وراح يكسر [مشربه]، ما هو يرجع يضوي إلى البيت يشجع أولاده يتحركوا ويشتري لهم بنادق [ويا الله يدافعوا على حقهم، ولو با يتنتف] ما هو بيقل كذا، أو هو يضوي عند أولاده ويقل لهم: منكر ونكير وموت ونعش وأشياء من هذا الكلام ،لا، هل هو يخوفهم أو يشجعهم؟ يشجعهم.

الجنود نفوسهم مثلا تحصل الجيوش لا يمكن يسمحوا لك كمرشد تدخل مثلا المعسكر في حالة صراع أو الجيش يعد لترتفع معنوياته القتالية، واستبساله وأشياء من هذه، وتجي تتحدث عن تلك الأحاديث حقت الموت التي تبرد أعصاب واحد، لا يمكن ذلك، ما هم يشجعوهم، التشجيع يحصل)[1].

ويوضّح السّيد كيف هي مناهج ووسائل القرآن الكريم التّربوية، في مجال التّرغيب والتّرهيب، وكيف تحدّث الله سبحانه وتعالى عن الجهاد، والمجاهدين، والشّهادة في سبيل الله سبحانه وتعالى، فعمل على رفع معنويّات المؤمنين، وتشجيعهم، ودفعهم للجهاد، والشّهادة، والاستبسال، يقول السيد: **(الله سبحانه وتعالى عندما يتحدث في القرآن الكريم حول الجهاد، حول المواجهة، يثني على من يبذلوا نفوسهم في سبيل الله، ما هو هكذا، القرآن الكريم هو له**

(١) محاضرة الشعار سلاح وموقف.

مناهج تربوية، ما هو فقط عبارة عن كلام، ما يمكن يكون فيه تناقض، أن يأتي مثلاً من خلال القرآن الكريم يرغب على الاستبسال في سبيله، وبذل النفس في سبيله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ﴾[البقرة: ٢٠٧] ما هو هكذا يقول؟ ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾[التوبة: ١١١] فعندما يكون هذا مطلب لله سبحانه وتعالى يريد أن يكون الناس إلى الدرجة هذه، فلا بد تربوياً أن لا يحصل ما يخلق أثر يعاكسه، من الناحية التربوية، تجد أنه في القرآن ما تحدث عن الموت بشكل مخيف إطلاقاً، أين هو التخويف بالموت؟ لا يوجد، تذكير باعتباره بداية الرجوع إلى الله، وارتهان الإنسان بأعماله إلى اليوم الآخر.

الشهداء ما هو ألغى الموت بالنسبة لهم؟ ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ﴾[البقرة: ١٥٤] لا تسموهم أموات، يعتبروا شهداء ﴿بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾.

شجع في مجال الاستبسال، في مجال الاستبسال أن يلغي مسألة الخوف من الموت، يقل لك: أنت الموت بالنسبة لك ملغي، أنت ستكون حي، بمجرد ما تخرج روحك من هذا الجسم تتحول إلى حي بكل ما تعنيه الكلمة في جسد آخر في عالم آخر، الله أعلم كيف سيكون ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠] بكل ما تعنيه الكلمة، حياة أفضل من هذه وفرح واستبشار أحسن مما يمكن أن يمر بك في الدنيا.

فعندما يجي يرغب بالحديث عن الحياة أنه سيمنحك حياة إن أنت بذلت نفسك سأعيدها لك من جديد، وتحيى من جديد، ولن تبقى في عالم اللا شيء ضائع، ستعيش حياً دائماً)[1].

سؤال عن الموت

وفي نفس المحاضرة سُئِلَ السّيد عن شريط قديم عبارة عن محاضرة لوالده السّيد العلاّمة المجاهد بدرالدين الحوثي (رحمه الله) يتحدّث فيه عن الموت، فأجاب السّيد ووضّح المسألة هذه، وقدّم المنهجيّة والرّؤية القرآنيّة حول موضوع الموت، وقد رأينا أن نذكرها، ونتعرّض لها، حتّى تتّضح لنا الرّؤية والصّورة أكثر، فإلى نص السؤال والجواب:

(١) محاضرة الشعار سلاح وموقف.

(هنا سئل عن الشريط الذي صدر من والده السيد المجاهد بدر الدين الحوثي (رحمة الله عليه) حول الموت فأجاب:

هناك شريط عمله الوالد ذاك اليوم وهو سار فيه على الطريقة المعروفة عند العلماء، ويمكن عالم من العلماء يعمل قضية وبعد فترة يظهر له أنها غير مناسبة أو كذا، الأحاديث حقته هي أحاديث من أمالي المرشد بالله، أمالي المرشد بالله هي أيضاً من الطبراني معظمها، بل تقريبا نسبة كبيرة جداً منها، فعمله في البداية وبعدين ما عاد وزع ولا عاد اشتغل في الموضوع؛ كمحاولة للتذكير شوية، للتخويف للناس شوية، على ما كان معروف عند العلماء، وجاري عليه عند العلماء؛ لهذا هو لا يعترض علينا في المسألة هذه.

لأن أول ما أثارنا حول هذا الموضوع عندما كان قد أصبح منهج في المراكز، أصبح منهج في المراكز والشباب بيجي الذي بيسموه المسؤول الروحي، وتخويف من الموت، ومن القبر، ومن الأشياء هذه، وبعضهم كان يسيروهم إلى المقبرة و.. يعني بشكل يجننه، يخليه يتخوف من هذا، هذه الطريقة غير صحيحة، أسلوب من الناحية التربوية ما هو صحيح خاصة بالنسبة للزيدية.

الزيدية بالذات هم طائفة مجاهدة في تاريخهم، الإمام علي وهو رأسهم يقول: (والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه) ما هو هكذا يقول؟ هل الإمام علي قليل خير، قلبه قاسي، لا يخاف من الموت! أصبح الخوف من الموت عبادة! أصبح عبادة، تكون خائف من الموت، أصبح يقدم لك كعبادة، يجلس يتخوف من الموت ومن شبح الموت وأهوال الموت، أصبح عبادة بينما الإمام علي يقول - ما كأنه شيء عنده من مرة - «والله لا أبالي أوقعت على الموت أو وقع الموت علي».

رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **لم يكن يربي الناس بالطريقة هذه، يحدثهم في الجهاد، ويحدثهم عن الموت وأهوال الموت والقبر وأشياء من هذه، هذه تبدو ما كانت موجودة بكلها، ما كأن لها أساس بكلها)**[1].

(١) محاضرة الشعار سلاح وموقف.

القبر جعله الله تكريماً للإنسان

الله سبحانه وتعالى هو الذي شرّع القبر، والرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله) هو الذي شرّع اللحد تكريماً، وإعزازاً، وصوناً للإنسان، وتمييزاً له عن بقية المخلوقات حتّى لا يهان، ويتحوّل إلى جيفة مرئيّة تأكلها الحيوانات، فشرّع الله القبر ليصون جثمان هذا الإنسان فقط، وإلاّ فليس هناك شيء اسمه عذاب القبر، ولا شيء من تلك التّفاصيل التي وردت عنه في كتب الترغيب والترهيب، يقول السيد: **(القبر نفسه الله جعله تكريم للإنسان، تكريم له، ماذا يعني تكريم له؟ أنه إذا مات يدفن فيه تحفظ جثته، لا يهان، لا يداس، لا تأكله الحيوانات؛ لهذا تجد كيف أصبح الدفن تقريباً سنة عند البشر جميعاً، على اختلاف أوطانهم ومذاهبهم ودياناتهم، تكريم للإنسان هو قال عنه وهو يعدد النعم على الإنسان: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ﴾**[عبس: ٢١-٢٢] **جعل إقبار الإنسان تكريم، هل تحدث عن أهوال القبر والا شيء؟ إطلاقاً ما هناك شيء.**

إذا القبور بعثرت يوم القيامة عندما تبعثر القبور ما بش كلام من هذا ولنفترض إذا كانت القضية صحيحة أن هناك هذه الأشياء عذاب قبر، أهوال، وحياة تقوم تدق براسك وترجع لك الحياة من جديد، وأشياء من هذه بعد ما يروحوا من على القبر، إذا كانت صحيحة هذه بنجي نستخدمها عبارة عن ماذا؟ عن وعظ للناس وتخويف للناس، وبعض الناس يستخدمها ولا يرجع إلى القرآن، يخوف بالقرآن وبأسلوب القرآن، وكأن عنده أن هذا الموضوع هو أجدى، وأكثر تأثيراً)[1].

ويوضّح السّيد أنّ من يعتمد على منهجيّة التّخويف من الموت والقبر في التّرغيب والتّرهيب للنّاس يعتبر متجاوزاً للمنهجيّة القرآنيّة، ومن الإساءة للظّن بالقرآن الكريم، لأنّه لا يوجد ما هو أبلغ موعظة، وأشدّ أثراً من القرآن الكريم في تذكير النّاس، وصنع الخوف من الله، والخشية لله سبحانه وتعالى يقول السيد: **(طيب أنت في هذه الحالة تسيء إلى نظرتك تسيء إلى القرآن الكريم، القرآن الكريم قال الله عنه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ**

(١) محاضرة الشعار سلاح وموقف.

خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[الحشر: ٢١] **أنت تريد انك ترى أن هناك من المواعظ ما يمكن أن يكون أكثر تأثيراً من القرآن، أنت هنا تسيء إلى القرآن، أنت هنا تعتبر يعني مثل ما تقول مخالف للقرآن، إذا كنت ترى أن هناك ما هو أكثر جدوائية للتأثير على الناس ووعظ الناس مما تناوله القرآن الكريم، فمعنى هذا أنك تخالف القرآن الكريم نفسه، ومعنى هذا بأن الله أهمل مما هو صحيح، مما يمكن أن يكون له تأثير كبير أهمله ولم يتناوله في كتابه مما كان يمكن أن يكون أكثر تأثيراً مما عرضه في القرآن نفسه، معنى هذا أن هناك من الهدى، هناك من الموعظة ما هو أبلغ من القرآن لم يتناوله القرآن.**

فيطلع لك تقصير من جانب الله، لكن لا، الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **يقول عن القرآن الكريم: «ومن أبتغى الهدى في غيره أضله الله» هدى كامل، نور كامل، ترغيب كامل، ترهيب كامل، موعظة كاملة، ما هناك أبلغ منه إطلاقاً)**[1].

ويحذر السّيد من اعتماد هذه السّياسة التّعليميّة والتّثقيفيّة كمنهج يعتمد عليه النّاس في تثقيفهم الدّيني، وتوعيتهم، وإرشادهم، لأنّها تبعدهم عن قضايا أساسيّة ورئيسيّة في دين الله، وفي مقدّمتها الجهاد، والإنفاق، والتّضحية في سبيل الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وموالاة أولياء الله، ومعاداة أعدائه، وهذا يخالف المنهجيّة القرآنيّة التي يقوم الحساب والعقاب فيها عند الله على القرآن الكريم، وكلّ ما ورد فيه، وتضمّنته آياته، وكما حكى الله في القرآن الكريم نفسه عندما يقول ﴿**أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ**﴾[المؤمنون:١٠٥] ﴿**أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ**﴾[غافر:٥٠] وغيرها من الآيات القرآنيّة التي تتحدّث أن الحساب والسؤال سيكون عن القرآن الكريم، وآياته، وعن الرّسل، يقول السيد: **(نحن نقول: إنه إذا كان يقدم كمنهج في المراكز أحياناً، هذا أسلوب غير صحيح، أسلوب ينشئ ناس لو أنت تجده بأنه ما بيعمل معاصي معينة أو كذا، تجده ما عنده إنطلاقة أن يكون مجاهداً في سبيل الله، أن يكون عنده استبسال في سبيل الله... خائف، خائف من شبح الموت، خائف من القبر، خائف من أشياء كثيرة، أصبحت الأشياء مزعجة عنده، وعندما تكون أشياء تتردد كثيراً على مسامعك تؤثر فيك تلقائياً حتى ولو أنت**

(١) محاضرة الشعار سلاح وموقف.

مؤمن، تؤثر فيك رغماً عنك، ولو أنت مؤمن، وهذه هي التي ماذا؟ جعلتنا نصّرح بالإستنكار للقضية هذه، وأن هذه ما هي صحيحة من أساسها.

عندما ترجع إلى الأحاديث هذه التي تحدثت عن القبر، ما هم قالوا أن هناك ملائكة، [واحد اسمه منكر وواحد نكير] ردها علماء سابقين قبلنا قال: هذا غير صحيح؛ لأن ملائكة الله ما يحملوا أسماء من هذا النوع، أسماء سيئة، [منكر ونكير] أساميهم طبيعية، أساميهم جميلة، حتى خازن جهنم اسمه مالك، ما اسمه مالك؟ وقد هو على أشد مكان، وأخوف مكان، خازن جهنم، والمسئول عن جهنم ملك من ملائكة الله اسمه مالك، ما هو اسم طبيعي؟ [منكر ونكير] قالوا هذه ما هي من أسماء ملائكة الله.

عندما يقول لك عن الحساب الذي يجي في القبر، لاحظ كيف الحساب، لا يتعرض لقضايا مهمة جداً ما يسأل عنها صاحب القبر، يسألوه عن هذه الأشياء العادية، التي يريدوا أننا نلبِّز فيها، هل هو يسأله عن الجهاد في سبيل الله؟ هل هو يسأله عن موالاة أعداء الله، وعن معاداة أولياء الله؟ هل هم يسألوه عن الإنفاق في سبيل الله؟ هل سألوه عن... يسألوه عن أشياء محددة فقط، فإذا كان تلك الأشياء قد توفرت عنده، خلاص أمن.

يساعد ما بيحصل من ماذا؟ من كلام من خارج، أن يشدوا الناس إلى عبادات محدودة، ويميتوها في نفوسهم، ويجنبوهم عن العبادات التي ماذا؟ لا يريد الظلمة أن ينطلق الناس فيها، جهاد في سبيل الله، غضب لله، معاداة لأعداء الله، أمر بمعروف، نهي عن منكر، هل هناك شيء في الحساب في القبر؟ هل كان يأمر بالمعروف ينهى عن المنكر؟، تأتي صلاته يأتي صيامه، ويأتي بعض الأشياء من هذه التي تعجبنا، التي نحن عليها الآن، صل وصوم وما لك حاجة، صل وصوم ومالك حاجة، وهكذا.

الحساب يكون حساب على أساس القرآن الكريم، حساب كامل، الحساب الكامل يأتي يوم القيامة، يأتي يوم القيامة، يعني ما هناك حساب هكذا: الإنسان يحاسب في قبره ثم يضرب على أشياء محدودة! أيضاً تجد أن الله يحكي عن من سيبعث يوم القيامة أنها حالة نوم ما ذكر أي شيء مزعج ﴿مَن بَعَثَنَا مِن

مَّرْقَدِنَا﴾[يس: ٥٢] ما هكذا سيقولون؟ ما ذكروا شيء مزعج)[1].

الواقع يثبت أنّه لا وجود لعذاب القبر

يثبت الواقع أنّه لا وجود لشيء اسمه عذاب في القبر، ونحن نراهم الآن يكتشفون مقابر جماعيّة، ولا نرى وجوداً لأيّ آثار تعذيب فيها وداخلها، ويحتجزون الآن كثير من الجثامين في الثّلاجات، ولا تمرّ بأي حالة من حالات العذاب، بل تتجلّى المسألة أكثر في رفات وجثث جنود اليهود والصّهاينة، الّتي نراهم يتبادلونها في المفاوضات، ولها عدد من السنين محتجزة، ولو كان هناك شيء من العذاب في القبر لكانت هي الأولى بالتّعذيب، يقول السيد: **(واقعاً تجد أنه ما هناك شيء، عندما يحصل حروب، حصلت حروب، واكتشفوا مثلاً ما يسمونها مقابر جماعية، أو متى اضطريت أن تحتجز رفات لناس آخرين، مثلما كان في لبنان يوم كان عندهم رفات لجنود إسرائيليين، أو المصريين كان عندهم رفات وأشياء من هذه، يردوها وتراها، هم يكتشفوا في مصر في صحراء سيناء، في أي مكان آثار ليهود جنود يهود مثلاً قتلوا هناك، ثم بعد ذلك يرفعوه يروا عظامه طبيعية، ما قد تعرض لأي دقة، ولا لأي شيء، وهو يهودي صاد عن دين الله.**

لو هناك عذاب قبر أو منكر ونكير لكان حصل في قبر هذا قبل أي واحد غيره، ما هناك شيء، المطرقة لا تحملها قبيلتين، يضربوه بها، مِن يتحول إلى رميم، يتلاشى من ضرب هذه، ناس في الثلاجات الآن ناس في الثلاجات، ما هو بيحصل؟)[2].

فلسفة العذاب في القرآن الكريم

يؤكّد السّيد أنّ قضية العذاب في القبر ليست صحيحة أصلاً، لأنّ المنهجيّة والرّؤية القرآنيّة تقوم على التّخويف بما هو معروف، وهذا من رحمة الله بعباده أن لاّ يتوعدهم، ويخوفهم بشيء إلاّ ويذكره لهم، ويبيّن لهم تفاصيله حتّى يردعهم عن الوقوع فيه، كما هو في القرآن الكريم، يقول السيد: **(القضية ما هي صحيحة، ليست صحيحة قضية عذاب، ومما يؤكد أنها غير صحيحة، أنك تجد أن الله سبحانه وتعالى لأنه رحيم، لا يتوعد الناس بشيء إلا ويذكره لهم، ويخوّفهم به، ويذكر**

(١) محاضرة الشعار سلاح وموقف.

(٢) محاضرة الشعار سلاح وموقف.

لهم تفاصيله، من أجل ماذا؟ أن يتجنبوا ما يمكن أن يوقعهم فيه، وهذه سنة ثابتة في القرآن الكريم، خوّف الناس أن يحصل لهم من العقوبات ما حصل للأمم الماضية: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[فصلت: ١٣] **ونحوها.**

يأتي العذاب من الأشياء التي يعرفها الناس، ما هو جعل جهنم نار، والنار نحن نعرفها، وهي في كل بيت، والآن في كل جيب في [الولاعة] الناس يعرفوا النار، جهنم تحدث عنها كثير في القرآن الكريم، وذكر تفاصيلها كاملة؛ ليخوفنا بها من أجل أن نجتنب الأعمال التي تؤدي بنا إلى دخولها؛ لأنه رحيم ما يجي يعمل أشياء يخبيها ما يبالي بك توقع فيها أو ما توقع، ما هو مثل ملوك الدنيا، هو رحيم، كل ما يمكن أن يكون عقوبة حذر منه، حتى الوعيد في الدنيا حذر منه الذل، الذلة، المسكنة، الخزي، مصائب كثيرة مما يحصل جدب وأشياء من هذه، ما هو ذكرها في القرآن وحذر، ورتبها على أعمال معينة، إذا الناس عملوا هذه الأعمال تحصل لهم من هذه؟.

عندما ذكر عن بني إسرائيل عندما قال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[البقرة: ٨٥] **الخزي معروف عندنا، الذلة معروفة، كلما توعد به الله هو يتوعد بالشيء الذي هو معروف، ويخوفنا به من أجل أن نجتنب الوقوع فيه، هذه هي التي يسمونها فلسفة العذاب في القرآن نفسه، ليست القضية بأنه يترك حاجة ولا يذكرها لك، متى ما وصلت أنت عنده)**[1].

لو كان عذاب القبر صحيحاً لذكره الله في القرآن الكريم

تلك التفاصيل الّتي عُرض بها عذاب القبر، وتلك الأحاديث المنسوبة إلى رسول الله عن عذاب القبر، تُقدّم عذاب القبر بشكل مخيف ومرعب جدّاً، حتّى أنّ النّاس أصبحوا يخشونه ويخافونه بشكل رهيب جدّاً، وأشدّ من خوفهم ممّا خوف الله به عباده في القرآن الكريم، هنا يبيّن السّيد أنّ المسألة لو كانت صحيحة لكانت قد ذكرت في القرآن الكريم، ولكان عذاب القبر ممّا خوف الله به عباده في القرآن الكريم، لكنّ الواقع يثبت أنّه شيء خرافيّ لا أساس، ولا

(١) محاضرة الشعار سلاح وموقف.

وجود، ولا ذكر له في القرآن الكريم، ولا في الواقع، وهذا ممّا يدلّل على بطلانه، وعدم صحته، يقول السيد: **(في القرآن نفسه كيف لا يمكن أن يذكر عذاب القبر، إذا كان عذاب القبر حقيقة، ما هو من يذكره؟ لأنه من الأولى أن يذكره، مثل ما ذكر في الآية هذه: ﴿خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾**[البقرة:٨٥] **ما هو ذكر خزي في الحياة الدنيا، كان المفروض أنه يذكر عذاب القبر؛ لأنه هو أول ما تمر به إذا أنت مجرم قبل عذاب الآخرة، مثلما ذكر الخزي في الدنيا، الذلة في الدنيا، المصائب في الدنيا، قبل العذاب في الآخرة.**

وتحصّل هنا أليست قفزة؟ خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب، ما هناك في الوسط شيء، ذكر شيء في الوسط؟ بالنسبة لبني إسرائيل وهم آمنوا ببعض وكفروا ببعض وأعمال سيئة، فلو كان صحيحاً لكان مما يخّوف الله به عباده، في القرآن الكريم نفسه، يخّوف به عباده؛ لأنه يقدم لك في الأحاديث هذه المنسوبة إلى رسول الله، بشكل مخيف جداً، إلى درجة أن البعض يستخدمه لوعظ الناس من أجل يراهم باردين يراهم خائفين، قد هو يراه أكثر إيجابية من القرآن، لو كان صحيح إن الله مِن يذكره في القرآن الكريم ويذّكر به، ما حصل شيء إطلاقاً)[1].

الرّوايات الّتي تتحدّث عن عذاب القبر

هنا وجه للسّيد سؤال مفاده أنّها وردت بعض الرّوايات عن أهل البيت تتحدّث عن عذاب القبر، فأجاب السّيد على هذا السؤال، ووضّح أنّ حديث العرض على القرآن الكريم يشمل كلّ ما روي عن رسول الله وعن أهل البيت، وأنّ المنهجيّة القرآنية هي الحاكمة على الناس جميعاً، وقد رأينا أيضاً أن نعرض نصّ السّؤال والجواب، حتّى نعرف المنهجيّة والتّربية القرآنيّة الّتي يجب أن نعتمد ونسير عليها، حتّى لا تشتبه علينا الكثير من المسائل، ونقع في الكثير من التّناقضات، ونخالف القرآن الكريم، فإلى نص السؤال والجواب:

(هنا سئل بأن أهل البيت تحدثوا عن عذاب القبر مثل الإمام علي (عليه السلام) فأجاب السيد:

بالنسبة لما روي عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **وقد هو ذاك الكبير، أن ما روي عن**

(١) محاضرة الشعار سلاح وموقف.

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **(فما أتاكم عني فاعرضوه على القرآن فإن وافقه فهو مني وأنا قلته وإن لم يوافقه فليس مني ولم أقله) إذا وافق القرآن فهو من رسول الله، وإذا كان مخالف للقرآن فليس منه.**

سنعرض ما يروى عن الإمام علي، الإمام علي مروي عنه في نهج البلاغة فقرة من هذه، أنه إذا انصرف عنه أهله أقعد في قبره، وأشياء من هذه، لكن إذا كان مطلوب أن تعرض ما روي عن رسول الله كذلك ما يروى عن الإمام علي، ما يروى عن الإمام زيد، ما يروى عن أي شخص آخر؛ لأن من كذب على رسول الله ممكن يكذب على الإمام علي وغيره، من غلط في الرواية عن رسول الله ممكن يغلط في الرواية عن الإمام علي وغيره، هي روايات، ما هي كلها روايات؟، بالنسبة للإمام زيد فما أذكر نص للإمام زيد يعني صريح في الموضوع حول هذه القضية.

طيب هذه قاعدة، أنه إذا كان هناك روي عن أحد من أئمة أهل البيت، روي، فنعرضه على القرآن فإذا كان غير منسجم مع القرآن فما هو من عنده، ما هو من عنده من مرة، كيف نعمل بحديث العرض فيما روي عن رسول الله، أما ما يروى عن أحد من أئمة أهل البيت نقول: لا!.

لأنه لاحظ هذه قضية يعني قضية عندما نقول في مسألة العرض على القرآن، تعال اعرض القضية على القرآن تجدها مخالفة للقرآن، مخالفة في منهجيته التربوية، وما المخالفة فقط أنه يخالف نص نص، ليست هذه، إنه شرط أن يخالف هذا النص نص آية، المخالفة حتى في المنهجية، في الغايات، في المقاصد.

لأن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **ما يمكن أن يأتي بشيء.. هو إنسان مربي ومعلم، ما كان إنسان قاضي أو مفتي.. هو مربي ومعلم، ويتحرك على أساس القرآن الكريم ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾[الأنعام: ٥٠] ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾[الأحزاب: ٢] أليس هكذا؟ هل يمكن أنه يعمل شيء في جانب تربوي في جانب أخلاقي يتعارض مع القرآن الكريم؟ ما يمكن، يتعارض مع منهجية القرآن الكريم، ومع مقاصد القرآن الكريم، لا يمكن أن يحصل.**

الأحاديث نفسها، نقول: أول شيء تجد أن معظم الأحاديث، أن معظمها قد أصبح هو المعروف

أنه من عند السنية، في كتب السنية، فما لاحظته داخل كتاب من كتب أهل البيت وما روي عن أحد فأعرضه على القرآن الكريم.

فعندما تجد القرآن الكريم يحكم بأن هذا غير منسجم معه، فاعتبره غير صحيح عن رسول الله؛ لأن رسول الله ما يمكن أن يأتي بشيء مخالف للقرآن، لا يمكن، ولا يعني لا يأتي بشيء مخالف نصاً.. عملياً حتى، أن يقدم شيء هو في الأخير يترك أثراً مخالفاً لما يريد القرآن أن يتركه من أثر في نفوس الناس، لا يمكن أن يحصل هذا.

هذه هي نفسها: الإختلاف والتناقض، ما الله قال عن القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾[النساء: ٨٢] اختلاف ليس فقط في النص أنك تأتي بنص يخالف نص، اختلاف فيما تُقدمه في غاياته، في مقاصده.

تجد القرآن الكريم ما لحظ هذه، لماذا ما لحظها؟! وإذا كنا نحن نراها بأنها مؤثرة، الموعظ الذي يسير ويأخذ له ويجمع له أحاديث من [تصفية القلوب]، و[إرشاد القلوب]، و[كنز الرشاد]، وأشياء من هذه و[الإعتبار وسلوة العارفين] ويقدمها، أليس هو يعتبرها أنها أكثر تأثيراً في الناس من القرآن الكريم؛ لأنهم احسب ما هم طايعين، ما هم منصتين!.

إنما فقط عنده نظرة هو، يريد يوصل الناس إلى الحالة هذه، يراهم باردين، يراهم مفجوعين، يراهم مبكين من الموت، مبكين من القبر، ويعتبر هذا إنجازاً كبيراً، ويعتبر أن هذا هو الأثر المطلوب، أن هذه هي خشية الله، يعتبر واحد أن هذه هي خشية الله، ليست هي.

ما كان مخالف للقرآن فليس من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، ما كان مخالف للقرآن فليس منه، حديث العرض عندنا قاعدة ومقياس، ليس فقط أقول: هذا صحيح أو ما هو صحيح، قاعدة ومقياس.. إذا كان الحديث مخالف للقرآن الكريم فليس من رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وهذا شيء نقطع به؛ لأنه ما يمكن أن يأتي هو بشيء مخالف، وهو يفهم القرآن.

رسول الله لا تتصور بأنه كان عبارة عن مفتي أو عبارة عن قاضي، يبلغ ويتصرف تصرفات هي مخالفة للقرآن، ولو عن بعد، هو يعرف، هو كانت حركته تربوية، وليست فقط مجرد يعلمك

أحكام معينة، حركته كلها تربوية، وهو يعرف أن يقول شيء معين أنه قد يكون مخالفاً لماذا؟ لأهداف ومقاصد القرآن ولو البعيدة، ما يمكن أن يحصل منه هذا)[1].

سؤال عن عذاب آل فرعون

وهنا ورد سؤال للسّيد عن العذاب الذي ذكره الله في القرآن الكريم لآل فرعون، فأجاب، ووضّح، وبيّن أن لاّ علاقة لهذا العذاب بعذاب القبر، ولم يُذكر هنا عذاب القبر أصلاً، وإنّما ذكر القرآن أنّ آل فرعون يعرضون على النّار، لأنّه لا يوجد قبور لفرعون وقومه الذين ذكرهم الله في القرآن الكريم، لأنّهم غرقوا في البحر، ويبيّن السّيد أنّ هذا قد يكون عذاباً معنويّاً أُختص به آل فرعون، لأنّه حصل من جانبهم ظلم وطغيان لا نظير له، والعرض على النار هو لا يعني الدّخول فيها، والعذاب بها، لأنّ هذا لا يكون إلاّ يوم القيامة كما ذكر القرآن الكريم، وأنّ هذا هو من التّعذيب المعنويّ، والنّفسي فقط، فإلى نصّ السّؤال والجواب:

(هنا سُئل السّيد عن قول الله سبحانه وتعالى بالنسبة لفرعون وقومه عندما قال الله: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾[غافر:٤٦] فأجاب السّيد:

آل فرعون أين هم؟ هل هم دفنوا؟ هل معهم قبور، أم أنهم غرقوا في البحر؟ هم غرقوا في البحر صحيح؟ وأكلتهم السمك وتلاشوا.

أرواحهم نفسها، أرواحهم قد يكون هناك تعذيب معنوي بالنسبة لأرواح آل فرعون، تعذيب معنوي، يعرضوا على النار، ما قال لك حتى جهنم، ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ عرض.

التعذيب المعنوي دائماً يشعرهم أن هذه هي غايتهم وهي مأواهم، ويوم القيامة يدخلوا، يدخل آل فرعون لا يوجد شيء قبور مع آل فرعون، ولا حصل شيء، هم في البحر غرقوا وأكلتهم السمك وتلاشوا في البحر، هل نقول إنه حصل هذا في قبور؟ لا يوجد.

آل فرعون بالنسبة لأرواحهم؛ لأنهم حصل طغيان بشكل يعني طغيان ربما ما حصل من أمة أخرى مثل ما حصل منهم، فيبقى لهم عذاب معنوي لأرواحهم، هذا الشيء ممكن.

---

(١) محاضرة الشعار سلاح وموقف.

العذاب المعنوي في عالم آخر بالنسبة للأرواح، هؤلاء يقولون لك أنك أنت عندما تموت تقوم في قبرك من جديد، تحيا من جديد، ويجي لك مثلاً عذاب من جديد، ويضربوك، ويفتح لك باب إلى جهنم، مع أن الإمام الهادي يقول نفس الجنة والنار ما قد خلقت بكلها، ما قد خلقت، فعندما يقول في آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾[غافر: ٤٦] العرض غير الدخول، غير التعذيب، العرض تعذيب معنوي، لأن الروح نفسها غير قابلة، نفس الروح غير قابلة للتعذيب، هو أمر معنوي، نفس الروح)[1].

(١) محاضرة الشعار سلاح وموقف.

الجهاد في سبيل الله

يعتبر الجهاد في سبيل الله من أهمّ القيم والمبادئ الّتي أحياها السّيد حسين بدرالدين الحوثي في الأمّة في هذا العصر، وقدّمه للأمة من خلال القرآن الكريم برؤية ومنهجيّة صحيحة، وثابتة، وسليمة لا شكّ فيها ولا ارتياب، سار في ذلك على ما سار عليه وانتهجه أنبياء الله العظام، والأئمة الهداة من آبائه الكرام، ولقد قدّم منهجاً قرآنيّاً في الجهاد والشّهادة في سبيل الله لا يوجد له مثيل في الدّنيا قاطبة، وقدّم الجهاد بمفهومه ومنظومته الشّاملة في الحياة روحيّاً، ونفسيّاً، ومعنويّاً، وتربويّاً، وثقافيّاً، وإعلاميّاً، وسياسيّاً، واقتصاديّاً، وأمنيّاً، وعسكريّاً مع مراعاة التراتبيّة والأولويّة بدءاً من جهاد الكلمة إلى جهاد السّيف في كلّ الميادين، ومع كلّ الفئات من منافقين، وعملاء، وكفّار، ومشركين، ويهود، ونصارى، وعاش السّيد "رضوان الله عليه" في حياته مجاهداً قولاً وعملاً حتّى لقيَ الله شهيداً محقّاً، وأصبح لهذه الدّعوة مئات الآلف من الأنصار رجالاً، ونساءً، وصغاراً، وكباراً من المجاهدين الأخيار، والشّهداء الأبرار، ولقد اشتملت الدّروس والمحاضرات على الرّؤية والمنهجيّة القرآنيّة الجهاديّة الشّاملة الّتي الأمّة في كلّ أقطار الدنيا أحوج ما تكون إليها، في مواجهة أحداث هذا العصر والزّمان.

المفهوم الشّامل للجهاد

مفهوم الجهاد في القرآن الكريم هو واسع وشامل بسعة وتعدّد مجالات الصّراع، فيشمل الكلمة، والقلم، والموقف، والسّلاح، وإلى آخره، ويعتبر الجهاد بالكلمة هو من الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وسلاحاً فعّالاً في ميدان المواجهة والصّراع مع الأعداء، وواجباً دينيّاً لا يكتمل الإيمان إلاّ به، ويعتبر السّيد أنّ للقلم دوراً مهماً جدّاً في استنهاض الأمّة، ومواجهة الأعداء، يقول السّيد: **(القلم يعتبر جهادا إذا كان هو يصدر خطوطا تؤدي إلى القتال فهو جهاد، أما إذا كان يصدر سطورا تجمد الأمة، وتخدع الأمة فيعتبر ماذا؟ يعتبر منافيا للجهاد، يعتبر حربا**

على كل ما تعنيه كلمة جهاد)[1].

والكلمة الجهاديّة لا بدّ أن تكون كلمة قويّة ترتقي بالنّاس إلى درجة القتال في سبيل الله، وتحيي في نفوس الأمّة الرّوح الجهاديّة، والقتاليّة، يقول السّيد: **(الكلمة نفسها إذا لم تأخذ بالبال أن تكون كلمة تحرك في مشاعر الأمة أن تصل بنفسها إلى درجة القتال لأعداء الله فهي كلمة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار)**[2].

ويعتبر مصطلح الجهاد في سبيل الله هو المصطلح القرآنيّ الّذي يجب أن يترسّخ ويعمّم في أوساط الأمّة، وتتربّى عليه في المساجد، والمدارس، والجامعات، والخطب، والمحاضرات، وفي هذه المرحلة يعتبر هذا المصطلح القرآنيّ محارباً بشدّة من قبل اليهود، والنّصارى، وعملائهم، ويسعون إلى إلغائه من ثقافة الأمّة، واستبداله بمصطلحات بديلة، ضيّقة، وهزليّة، يقول السيد: **(ألغيت كلمة الجهاد فحل محلها مناضل، مقاوم، حركة مقاومة، مناضلين، انتفاضة، ومن هذا النوع، ألم تغب كلمة الجهاد من أوساط المسلمين؟ على يد من غابت؟ على يد اليهود، هم الذين يفهمون كيف تترك المصطلحات القرآنية أثرها في النفوس فيعملون على إلغائها، يعملون على نسفها من التداول في أوساط المسلمين)**[3].

ويوضّح السّيد عظمة الألفاظ القرآنيّة، وجمالها، وهي تعبّر عن صفات المجاهدين في سبيل الله، فيقول: **(تجد الألفاظ هذه ما أجملها وهي تعبر عنهم تعبيراً يصورهم تصويراً أمامك، تتخيلهم ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾**[المائدة:٥٤] **جهاد، جهاد في سبيل الله ﴿وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾** [المائدة: من الآية٥٤] **فلأن هذا الميدان هو ميدان صراع متكامل يجاهدون بالكلمة، يجاهدون بالمال، يجاهدون بالقلم، يجاهدون بالسيف، يجاهدون بمختلف الأسلحة التي يمكن أن يحصلوا عليها، جهاد، يجاهدون جهاد بناء للأمة، وجهاد يهدم أعداء الله)**[4].

---

(١) سورة آل عمران الدرس الثاني.
(٢) سورة آل عمران الدرس الثاني.
(٣) سورة آل عمران الدرس الثاني.
(٤) سورة المائدة الدرس الأول.

ويبيّن السّيد أنّ معنى الجهاد في سبيل الله هو بذل الجهد في كلّ المجالات لإقامة دين الله، الجهاد بمفهومه الشّامل في مسيرة الحياة، وحركة الأمّة، الّذي يشمل القلم، ويشمل الكلمة، والموقف، والبذل، والعطاء، والسّلاح بمختلف أنواعه، وإعداد الأمّة نفسيّاً، ومعنويّاً، وتربويّاً، وثقافيّاً، وعسكريّاً، إلى آخر القائمة الشّاملة لكلّ مفهوم الجهاد وشموليّته، فيقول: **(الجهاد معناه: بذل الجهد في كل المجالات لإقامة دين الله، لم يعد يعتبر الموقف من العدو نفسه إلا موضوعاً من مواضيع إقامة دين الله الذي يبدأ من داخل الناس أنفسهم هم، استقامتهم فيما بينهم، ألم نتحدث عن هذا سابقاً؟ القضايا الأساسية لأمة تتحرك لأن تجاهد أن تقدم نفسها نموذجاً فعلاً في التعامل فيما بينهم، في صدقهم مع بعضهم بعض، في إخائهم، في تآلفهم، في قوتهم، في منطقهم، في حكمتهم. بمعنى: العمل لإقامة دين الله، هذا هو الجهاد في سبيله، يشمل الكلمة، ويشمل القلم، ويشمل أشياء كثيرة جداً، ويشمل السلاح بمختلف أنواعه، فالجهاد هو هذه القائمة الواسعة، تتحرك فيها لا تنظر إلى مجال دون مجال، لا تنظر إلى مجال الكلمة، وتنسى موضوع إعداد القوة، قوة السلاح؛ لأنك ستخسر، كلمتك تتبخر في الأخير، لا تركز فقط على موضوع إعداد السلاح دون أن تعرف القضايا الأخرى التي يجب أن تعدها، القضايا النفسية، والمعنوية، والتربوية، والثقافية.. إلى آخره، هذا هو الجهاد في سبيل الله، لا أن تقول الجهاد كذا، أو الجهاد كذا)**[1].

ويبيّن السّيد أنّ المجاهدين في سبيل الله ينطلقون من منطلق الحبّ لله، والتّضحية في سبيله، والإخلاص له، من منطلق القيم والمبادئ، والوعي الكبير، والاستشعار العالي للمسؤولية، لأنّ منطلقات الجهاد في سبيل الله هي قيم، ومبادئ، ومواقف محقّه وعادله، وليست منطلقات ماديّة، ولا دنيويّة، فيقول: **(لأنهم يحبون الله والله يحبهم، فهم يبتغون بجهادهم رضاه، ما أعظم أن ينطلق الإنسان في سبيل الله، وما أعظم أمه تنطلق للجهاد في سبيل الله حيث ستكون فيما بينها أقرب إلى أن يتحقق علي يديها النصر، أي ليسوا من أولئك الذين ينطلقون إذا كان هذا أو ذاك سيعطيهم بنادق وفلوس وطحين ومصروف وصرفة وأشياء من هذه. ما كانوا أيام الثورة يوم ملكي ويوم جمهوري؟ يسير لبندق من عند الملكية، ويقول ملكي، وراح في يوم ثاني ودخل بـ[زامل] للجمهورية وقال جمهوري وصرفوا لهم بنادق وفلوس، هؤلاء متعيشين، هؤلاء**

(١) سورة المائدة الدرس الثاني والعشرون من دروس رمضان.

يسمون مرتزقة، مرة هنا ومرة هنا. أما هؤلاء فهم يهمهم أن يجاهدوا في سبيل الله وعندما ينطلقون في الجهاد في سبيل الله ينطلقون بأموالهم وأنفسهم)[1].

وعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾[المائدة:٥٤] يوضّح السّيد صلابة، وقوّة عزيمة ونفوس المجاهدين، الذين لا يثنيهم شيء عن انطلاقتهم الجهاديّة، وتتبخّر كلّ المحاولات الرّامية لتثبيطهم، وثنيهم عن الجهاد في سبيل الله، فيقول: **(أيَّ لومة كانت، وأي لائم كان؛ ولأنهم هم أصبحوا إلى درجة أنهم لا يخافون ممن يمكن أن يحذرهم من القتل؛ لأنهم مجاهدون؛ ولهذا لم يأت ليقول ولا يخافون مثلاً من يهددهم بالقتل، أو من قد يقول قد تتعرضون للقتل أو أشياء من هذه؛ لأنهم هم مجاهدون والمجاهدون في سبيل الله هم يبحثون عن الشهادة، أن تخوفه بالقتل ستخوفه بماذا؟ ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ﴾ [التوبة: من الآية٥٢] تخوفه بالحسنى بالنصر، أو تخوفه بالحسنى بالشهادة، ليس هناك ما يمكن أن تخوفه به.**

يمكن أن يكون هناك لومة لائم من قريب من بعيد، من يقول له: [يا أخي ما عادك أحسن من فلان، هو ذا عندك من أولياء الله جالس أما أنت فبا تقوم تتحرك عادك أعلم منه عادك اما أنت كذا.. كذا] بيجي لوم كثير وبوسائل متعددة، هم ليسوا ممن يخافون لومة لائم. أما أنهم يخافون قتل، أو يخافون سجون أو يخافون أي شيء هم مجاهدون. هم أعزة مجاهدون فينطلقون برغبة، فأن تخوفه مما يرغب فيه فليس معقولاً، وليس منطقياً أن تخوفهم مما هم يرغبون فيه)[2].

ويبيّن السّيد أنّ الجهاد في سبيل الله فضل من الله ونعمة على عباده، واختصاص يؤتيه من يشاء ممّن هم مؤهلون لنيل فضل الله ورضوانه، فيحظون بفضل وشرف الجهاد في سبيل الله، فيصطفيهم الله، ويؤهلهم لهذا الفضل، لأنهم مؤهلون وجديرون بهذا الاختصاص، فيقول: **(ثم هل هؤلاء يعتبرون ناس حمقى أو تورطوا؟. لا. هم ممن حازوا الفضل، هم من أصبحوا وحدهم من حازوا هذا الشرف العظيم ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ ﴾[المائدة:٥٤] ما معنى فضل الله؟. فضل الله أن**

(١) سورة المائدة الدرس الأول.

(٢) سورة المائدة الدرس الأول.

يهيئهم هم أن يكونوا هم من يحظون بأن يكونوا على هذه الصفة، من يكونوا بدلاً عمن تقاعدوا وتوانوا وتخاذلوا. أليس هذا اصطفاء من جانب الله لهم؟. تفضيل من الله لهم أن اختارهم هم؟ أن اصطفاهم هم ليكونوا بدلاً عن أولئك المتقاعسين المتوانين المثبطين المتعرضين للارتداد؟ فهم هم مفلحون هم فائزون، وليسوا متورطين.

﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ ﴾[المائدة:٥٤] **وهو فضل من الله أن يكونوا هم من يقوم بهذه المهمة بهذه المسؤولية التي يعد القيام بها فضلاً من قبل الله سبحانه وتعالى** ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾[المائدة: من الآية٥٤] **عاد فيها يؤتيه من يشاء، وليست المسألة تكاد أن تكون مجرد اختيار من قبل الناس هنا أو هنا، بل قد يكون من قبل الله هو أن يرى أمة من الأمم أن يرى ناساً من الناس مؤهلين وجديرين بأن يؤتيهم ذلك الفضل وبأن يكونوا ممن يستحق هذا الفضل العظيم،** ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: من الآية٥٤].

الله واسع الفضل ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾ [النساء: من الآية٩٥] **ففضله واسع، فضله واسع وهو العليم بمن هو جدير بفضله، بمن هو جدير بأن يصطفيه لمثل هذه المهام التي يتقاعس عنها الكثير من الناس، وإن كانوا يحملون اسم الإيمان)**[1].

ويؤكّد السّيد على أنّ ميدان الجهاد في سبيل الله هو النّاس، والعمل على إنقاذهم، وتحريرهم، وهدايتهم، وأنّ المؤمن الحقيقي الذي تعظم علاقته بالله وتصدق، هو من ينطلق ليجاهد في سبيل الله في كلّ ميادين الجهاد، ويبذل جهده في العمل على إنقاذ المستضعفين من عباد الله وتحريرهم، فيقول: **(المؤمن يهمه قضية الآخرين إلى درجة أن يقاتل في سبيلهم كما حكى الله عن المؤمنين:** ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً﴾ [النساء:٧٥].

إن الله يريد من المؤمنين حتى أن يصلوا إلى درجة أن يقاتلوا لإنقاذ الآخرين، فكيف لا أبذل من مالي جزءاً بسيطاً قيمة شريط أو شريطين ليصل إلى الآخرين، كيف أبخل بالكلمة التي قد تنقذ

(١) سورة المائدة الدرس الأول.

شخصاً، كيف أبخل بالنصيحة كيف أبخل بالمشاركة في موقف يكون فيه إنقاذ للآخرين، المؤمن يهتم بكل شيء، وميدان اهتمامك كلما قويت علاقتك بالله، ميدان اهتمامك هو يتوجه إلى الناس، وإلى الحياة، أما الله سبحانه وتعالى فكلما تعززت علاقتك به لا يمكن أن يصل منك شيء إليه أو تعمل له شيئاً، هو سبحانه وتعالى ليس بحاجة إلى شيء منا، كلما ترسخ الإيمان في قلبك كلما تعززت علاقتك بالله فإن الميدان الذي يعكس إيمانك القوي وعلاقتك القوية بالله هو الناس، ميدان الحياة.

الجهاد في سبيل الله أين ميدانه؟ هل أن هناك جبلاً جعله الله وسماه سبيله، يمشي الناس يطلقون الرصاص على هذا الجبل؟ أو ميدان العمل في سبيل الله؟ والجهاد في سبيل الله هو الناس أنفسهم؛ أن تعمل لإنقاذهم لهدايتهم؟ فإذا ما أحسست في نفسك بقوة علاقة بالله فلا تظن أن هذا هو كل شيء، وأن هذا هو المطلوب: أن أرى نفسي أكرر ذكر الله سبحانه وتعالى، وأرى قلبي ممتلئاً بحب الله ثم أرتاح لهذه الحالة.

افهم هذه الحالة كل المطلوب من ورائها هو أن تنطلق في ميدان العمل لإنقاذ الآخرين، وهداية الآخرين، أين كان يتوجه إيمان رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)**؟ ألم يتجل كل ذلك في حرصه على الآخرين؟)**[1].

ويعتبر الجهاد في سبيل الله من كمال الإيمان، ومن مواصفات المؤمنين الصّادقين في إيمانهم، وعلى المؤمنين أن يعملوا بكلّ جدّ على تربية أنفسهم التّربية الجهاديّة الّتي يربّيهم عليها القرآن الكريم، ويوضّح السّيد أنّه لا يمكن للأمّة أن تتربّى التّربية الإيمانيّة الجهاديّة إلاّ على يد أهل بيت رسول الله المجاهدين، فيقول: **(فالذي اتضح جليا أن الكثير من حكام المسلمين بما فيهم حكام هذا العصر لا يمكن بواسطتهم ومن خلالهم أن يقوموا بتربية الأمة تربية إيمانية تترقى بهم في درجات كمال الإيمان، ونحن نجد أنفسنا، وكل واحد منكم شاهد على ذلك، بل ربما كل مواطن عربي في أي منطقة في البلاد العربية شاهد على ذلك.. أنه متى ما انطلق الناس ليربوا أنفسهم تربية إيمانية من خلال القرآن الكريم بما في ذلك الحديث عن الجهاد في سبيل الله، وعن مباينة أعداء الله،**

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس العاشر.

وعن إعداد أنفسهم للوقوف في وجوه أعداء الله كلهم يحس بخوف من سلاطينهم ومن زعمائهم.

أليس الجهاد في سبيل الله هو سنام الإسلام؟. كما قال الإمام علي (عليه السلام)، أليس الجهاد في سبيل الله هو شرط أساسي من شروط كمال الإيمان؟. هذا هو ما أضاعه سلاطين المسلمين في هذا العصر، وإلغاؤه هو ما كان ضمن مواثيق [منظمة المؤتمر الإسلامي] أن لا يكون هناك حديث عن الجهاد، وهم من استبدلوا كلمة: جهاد، بكلمة: نضال، ومناضل، ومقاومة، وانتفاضة، وعناوين أخرى من هذه المفردات التي تساعد على إلغاء كلمة: الجهاد التي هي كلمة قرآنية، كلمة إسلامية.

أي مؤمن يمكن أن يقول أو أي إنسان يمكنه أن يقول أن بإمكانه أن يكون مؤمنا دون أن يكون على أساس، دون أن يكون إيمانه على أساس مواصفات المؤمنين في القرآن الكريم، لا يستطيع أحد أن يدعي ذلك.

إذاً فهل هؤلاء يسعون إلى أن يربوا الأمة تربية إيمانية؟ لا. التربية الإيمانية لا تكون إلا في ظل أهل بيت رسول الله، لا تكون إلا على يدي أهل بيت رسول الله (صلوات الله عليه وعليهم)، هذا ما شهد به التاريخ، وارجعوا أنتم إلى التأريخ كله بدءاً من يوم [السقيفة] إلى الآن) [1].

ويؤكّد السّيد أنّ الجهاد في سبيل الله، والعمل الجادّ على نصر دين الله هو من أبواب العلم، والمعرفة، والحكمة، والنّور، والهدى، والبصيرة، فمن يعملوا ويتحرّكون في سبيل الله يحصلون على العلم والمعرفة، لأنّهم يحتاجون في مسيرتهم وحركتهم لأشياء كثيرة جدّاً، يدفعهم العمل والجهاد لنيلها، ويهديهم الله من خلال القرآن الكريم للحصول عليها، فيقول: **(ولهذا أن موضوع الجهاد في سبيل الله، حمل مسؤولية الدين هي وسيلة من وسائل المعرفة، باب من أبواب العلم، عندما تقحم نفسك في عمل في سبيل الله تجد بعد كم هناك عن مشاكل، وكم هناك من حاجة إلى حلول، وتجد مشكلة يتفرع منها مشاكل، وحل تجد له ذوق، تجد هناك حاجة ماسة إليه، هنا تزداد معرفة، تزداد هدى، لكن إذا أنت مقفِّل ذهنيتك ما هناك شيء، ما تهتم بشيء، وفي نفس الوقت تغلق على نفسك باب من أبواب المعرفة الواسعة الذي هو باب العلم حقيقة؛ لأن العلم بكل سعته،**

(١) محاضرة في ظلال دعاء مكارم الأخلاق الدرس الثاني.

بحكمته هي في القرآن، والقرآن ما يعطي إلا من يتحركون له، ما يعطي أحد لو كان كيفما كان، لو كان عبادة كيفما كان وهو يجلس محله لن يعطيه شيئاً، أشياء بسيطة سيعطيه، لكن مع حركته في سبيل الله، يعني حمل قضية الدين بكل ما تعني، نصر دين الله، إعلاء كلمة الله، إرشاد عباد الله، دفاع عن دين الله، هذا العنوان الكبير تتحرك فيه، في القرآن الكريم تلمس كم فيه من هدىٰ، كم فيه من نور، كم فيه من حكمة، كم فيه من معارف جمة؛ لأن الحياة هذه هي مطبوعة بالحركة، حركة علىٰ طول، لا يوجد وقفة فيها نهائياً)[1].

وعند قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾[البقرة:١٩٠] يبيّن السّيد أنّ من نعم الله علىٰ النّاس أن تُقدّم لهم قضية كبيرة يعملون فيها، وتستغرق ذهنيّاتهم، فيترفّعون عن الوقوع في الأمور والقضايا الهامشيّة، وتكون نظرتهم للحياة كبيرة وشاملة، وهذه القضيّة الكبيرة الّتي يجب أن يحملها النّاس هي قضيّة الجهاد في سبيل الله، والعمل علىٰ نصر دين الله، وهذه القضية هي تعتبر مهمّة جدّاً في مجال تحقيق معرفة الله، وتحقيق المعرفة الشّاملة بالحياة، فيقول: **(من نعمة الله علىٰ الناس ألا يكونوا في حالة فراغ يحول بينهم وبين المعرفة، يكونوا منشغلين بقضايا هامشية، الناس يقدم لهم قضية كبيرة قضية كبيرة في عنوانها: القتال في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله، العمل لإعلاء كلمة الله، هذه قضية مهمة جداً في مجال المعرفة، في مجال معرفة الله بالذات، هامة جداً، في مجال المعرفة في كثير من الأشياء التي يجب أن يعملها الناس فتبنىٰ الحياة بكلها، لا يعيش في حالة فراغ. إذا عاش الإنسان في حالة فراغ يكون في الأخير يكون بالشكل هذا: أسئلة هامشية اهتمام بقضايا لا تمثل شيئاً. إذا حمل الناس اهتماما كبيراً، وقضية كبيرة، استغرقت ذهنياتهم، استغرقت اهتمامهم، فترفعوا عن الأشياء التي لا تفيد في نفس الوقت، الأشياء الهامشية في الأسئلة، أو في الاهتمامات)** [2].

وعندما يذوب النّاس في العمل في سبيل الله، وتكون عندهم الجدّيّة والاهتمام بالجهاد، فإنّ لهذا أثره العظيم عليهم حتّىٰ فيما يتعلّق بقضاياهم الخاصّة، وله أثره الإيجابي علىٰ وحدتهم، ووحدة كلمتهم، وصلاح ذات بينهم، لأنّهم يكونون في حالة عظيمة من المودّة والأخوّة،

(١) مديح القرآن الدرس الثالث.

(٢) سورة البقرة الدرس التاسع من دروس رمضان.

والحرص الشّديد على حلّ كلّ مشاكلهم، ولأنّهم ذهنيّاً وعمليّاً مشغولون بقضيّة كبيرة تشغل بالهم، وتسيطر على مشاعرهم، هي قضيّة الجهاد في سبيل الله، يقول السّيد: **(عندما يكون الناس عندهم اهتمام فيما يتعلق بالعمل في سبيل الله ستجد أثر هذه عليهم، هم فيما يتعلق بقضاياهم الخاصة، فإذا حصل نزاع فيما بينهم يكونون قريبين إلى أن يحلوا مشكلتهم بسرعة. فإذا الناس في حالة فراغ، ليس عندهم أي اهتمام، سيجلسون يتشاجرون بعضهم عشر سنين وهم متشاجرون، طالع ونازل، أو كل يوم، أو كل أسبوع إلى المحكمة سنين، ومستعد يشاجر عمره، قضية قد تكون في الأخير لا تساوي ما يضيعه من وقت، الذي يشاجر عليه، لماذا؟ لأنه فارغ. فعندما يكون الناس فارغين يحدث في الواقع أنه يحصل فيما بينهم كثير من الخلاف والشقاق، فإذا بدت مشكلة، جلست مشكلة سنين، وتترك آثارها السيئة في وسطهم، تمزق صفهم، تفسد ذات بينهم. إذا هناك اهتمام بقضية كبيرة تبعد الناس عن الأشياء هذه التي تفسد ذات البين، وفي نفس الوقت إذا ما طرأت مشكلة يكونون قريبين لحلها، لأنهم مشغولون لا يريد أن تشغلهم القضية هذه، يقنع منك بيمين فقط، أو من أول جلسة، من أول جلسة أنت قدمت ما عندك، وهو قدم ما عنده، وحكم بينكم الحاكم، ومع السلامة، وتسيرون سواء في القضية الهامة التي هي مسؤولية عليكم جميعاً)**[1].

مقوّمات الجهاد في سبيل الله هما الجهاد بالمال، والجهاد بالنّفس، وقد قدّم القرآن الكريم قضيّة الجهاد في سبيل الله بالمال والنّفس قضيّتان مرتبطتان، وعمليّة واحدة لا يقوم الجهاد إلاّ بهما، يقول السّيد: **(هنا يلاحظ الإنسان أهمية الجهاد في سبيل الله، والإنفاق في سبيله بأنها قضيتان مرتبطتان، بل قدمها في آيات أخرى سماها جهاداً كلها** ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾[التوبة: من الآية٢٠]. **ألم يجعلها عملية واحدة جهاداً بالمال وبالنفس، جعل الإنفاق في سبيله عبارة عن جهاد، وجعل مقومات الجهاد هي هذه. جهاد بالنفس وبالمال)**[2].

ويؤكّد السّيد أنّ كلّ القضايا الّتي تناولها الدّين كلّها تعتبر وسائل عمليّة وتربويّة تهيّأ النّاس للجهاد في سبيل الله، تصبّ في خدمة الجهاد في سبيل الله، ونشر دينه، ومحاربة أعدائه، فيقول: **(الصلاة، الزكاة، الحج، الصيام، كلها في خدمة المبادئ المهمة التي ركز عليها القرآن والتي أعلاها الجهاد في**

(١) سورة البقرة الدرس التاسع من دروس رمضان.

(٢) سورة البقرة الدرس العاشر من دروس رمضان.

سبيله والعمل على نشر دينه، ومحاربه أعدائه)[1].

ويؤكّد السّيد أنّ الواقع الذي يفرضه القرآن الكريم على المسلمين في بنائهم وتربيتهم، هو أن يكونوا هم السّبّاقون إلى ميادين الجهاد، والقتال في سبيل الله، وأن يكونوا على أعلى مستوى من الاهتمام، والتحرّك في الأرض، لإعلاء كلمة الله، ونشر دينه، وهم من يجب أن ينطلقوا لنشر الإسلام في كلّ بقاع الدّنيا، وضرب الطّواغيت، والظّالمين، والمفسدين أينما وجدوا، فيقول: **(الواقع الذي يفرضه القرآن الكريم أن المسلمين حتى وإن لم يغزوا إلى بلادهم، وإن لم يصل فساد الآخرين إلى بلادهم هم مكلفون، هم ملزمون من جهة الله سبحانه وتعالى أن يهتموا على أعلى مستوى من الإهتمام أن يكونوا هم من يتحركون إلى الآخرين هم من ينطلقون ليصلوا بإسلامهم إلى أعماق أوروبا، ليصلوا بإسلامهم إلى أمريكا ليهدوا كل بناء للطواغيت في أي مكان من هذه الدنيا، هذا ما يفرضه القرآن الكريم، وهذا ما أهل القرآن الكريم هذه الأمة لأن تنهض به)**[2].

معركة المصطلحات

يبيّن السّيد أنّ الأمّة تخوض معركة شديدة مع أعدائها بما فيها معركة المصطلحات، وأنّ مصطلح الجهاد في سبيل الله يتعرّض لحرب شديدة من قبل أعداء الله، فيقول: **(علينا أن نتحدث عن كلمة الجهاد لأن كلمة الجهاد هي الآن محاربه بعينها، يوضع ويرسخ بدلا منه كلمة إرهاب)**[3].

ويعتبر مصطلح الجهاد المقدس، هو مصطلح قرآني يرتبط به وجود الأمّة بكلّها، وعزّتها، وكرامتها، وهويّتها، وتربط به حيوية الإسلام، والقرآن الكريم، لهذا يتعرّض لحرب شديدة من قبل الأمريكيّين واليهود، وهناك محاولات جادّة لإبعادنا عنه، وتشويهه، وضربه في واقع الحياة والنّفوس، واستبداله بكلمات ومصطلحات أخرى، يقول السيد: **(هذا الجهاد المقدس، هذا المصطلح القرآني الهام هذا المبدأ الذي ترتبط به عزة الأمة وكرامتها، وترتبط به حيوية القرآن والإسلام، يرتبط به وجود الأمة كلها وهويتها، ها هو يتعرض لأن يبدل، كما بدلنا نحن في واقعنا،**

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الحادي عشر.
(٢) محاضرة وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن.
(٣) محاضرة الإرهاب والسلام.

قعدنا وهم من يتحركون في البحار، وهاهم يحولون الجهاد إلى كلمة تصبح سبه نحن نرددها، ونحن نجعلها كلمة أمريكية تضفي الشرعية على أي ضربه أمريكية لأي جهة)[1].

ويوضّح السّيد أنّ الأمريكيين يسعون لتغييب مصطلح الجهاد من قاموس حياتنا، واستبداله بمصطلح الإرهاب، ويعملون بالشكل الذي يهيئ الساحة لأمريكا لضرب واستهداف من تريد، متى ما تريد، فيقول: **(تبدل كلمة جهاد بكلمة إرهاب ومن هو مجاهد فهو إرهابي، ومعنى أنه إرهابي أنه من قد وقع من جانبه ما يعطي أمريكا شرعية أن تضربه، ما يعطي عميلا من عملاء أمريكا شرعية أن يضربه، ونحن من نبارك تلك الضربة)**[2].

ويعتبر السّيد أنّ مصطلح الجهاد في سبيل الله هو من يعطينا شرعيّة العمل والتحرّك لإقامة دين الله، وإعلاء كلمته، وضرب أعدائه، فيقول: **(الجهاد الشرعية لنا نتحرك على أساسه في ضرب أولئك المفسدين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، هم في واقعهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله، وهم لا يدينون دين الحق)**[3].

ويبيّن السّيد أنّ كلمة إرهاب هي مصطلحٌ قرآنيٌّ يهدف لبناء الأمّة، وتربيتها التّربية الجهاديّة الّتي تمكّنها من إعداد وتجهيز القوّة بكلّ ما تستطيع، بما في ذلك الشّكليّات الّتي ستزرع الهزيمة في نفوس الأعداء، وترهبهم، فيقول: **(كلمة إرهاب في القرآن الكريم تعني أن على المسلمين أن يعدوا القوة بكل ما يستطيعون بل وأن يلحظوا حتى الشكليات وأن يلحظوا حتى المرابط التي هي في الأخير ستزرع الهزيمة في نفس العدو ترهبون به عدو الله وعدوكم)**[4].

وأمام الحرب الّتي يتعرض لها مصطلح وكلمة الجهاد يحثّ السّيد الجميع على ضرورة الحديث الدائم، والمستمر، والمتكرّر عن كلمة ومصطلح الجهاد في سبيل الله، حتّى يترسّخ في ذهنيّة الأمّة وواقعها، في مواجهة ما يتعرّض له من حرب شديدة من قبل أعداء الله، فيقول: **(إن علينا أيها الأخوة**

(١) محاضرة الإرهاب والسلام.
(٢) محاضرة الإرهاب والسلام.
(٣) محاضرة الإرهاب والسلام.
(٤) محاضرة الإرهاب والسلام.

أن نتحدث دائما عن الجهاد، حتى أولئك التي ليس لديهم أي روح جهادية عليهم أن يتحدثوا عن كلمة جهاد لأن كلمة جهاد في نفسها كلمة جهاد في معناها هي تتعرض لحرب)[1].

لقد تطوّرت الحرب الّتي نواجه بها كمسلمين، وتوسّعت جدّاً، وأصبحنا نحارب على كلّ المستويات، وفي كلّ الميادين، وفي كلّ القضايا، ووصلت نيران هذه الحرب إلينا كمسلمين، وإلى كلّ ما له علاقة بنا، وبديننا، وعن شموليّة هذه الحرب الّتي تشنّ على المسلمين، ويواجَهُون بها اليوم، يقول السّيد: **(أصبحنا نحن نحارب كأشخاص، وتحارب أرضنا كأرض، وتحارب أفكارنا كأفكار، بل أصبحت الحرب تصل إلى مفرداتنا، أصبحت الفاظنا حتى هي تحارب، كل شيء من قبل أعدائنا يتوجه إلى حربنا في كل شيء في ساحتنا إلينا شخصيا، إلى إقتصادنا، إلى ثقافتنا ، إلى أخلاقنا، إلى قيمنا)**[2].

ويحذّر السّيد من حالة الإهمال والتّراخي في مواجهة هذه الحرب الفكريّة والثّقافيّة الشّاملة الّتي نُواجه بها كمسلمين، وتُواجه بها ساحتنا الفكريّة والثّقافيّة، ويدعو السّيد إلى عدم السماح للأعداء من التّمكن من ضرب هذه المصطلحات والمفاهيم القرآنيّة الإسلاميّة، وتغييبها من قاموس حياتنا، فيقول: **(لا نسمح أن تتغير الأمور وأن تنعكس الحقائق إلى هذا الحد فتغيب كلمة جهاد القرآنية، وتغيب كلمة إرهاب القرآنية ليحل محلها كلمة إرهاب الأمريكية)**[3].

ويبيّن السّيد أنّ الأمريكيين يسعون لتعميم مصطلح الإرهاب بمعناه الأمريكيّ، ليستخدموه كمبرر في ضرب المسلمين، ويستخدموه في مواجهة كلّ من يواجه عدوانهم، وشرّهم، وضلالهم، فيقول: **(هذه الكلمة إرهاب تعني أن كل من يتحرك بل كل من يصيح تحت وطأة أقدام اليهود سيسمى إرهابي، أن كل من يصيح غضبا لله ولدينه، غضبا لكتابه، غضبا للمستضعفين من عباده ، الكل سيسمون إرهابيين)**[4].

---

(١) محاضرة الإرهاب والسلام.
(٢) محاضرة الإرهاب والسلام.
(٣) محاضرة الإرهاب والسلام.
(٤) محاضرة الإرهاب والسلام.

ويدعو السّيد الجميع للتحرّك الثّقافيّ، والتّوعويّ، والإعلاميّ، والسّياسيّ في أوساط النّاس، وفي السّاحة العامّة، حتّى لا تترسّخ كلمة إرهاب بمعناها الأمريكي في أذهان النّاس، فيقول: **(إن علينا أيها الأخوة أن نتحدث دائما حتى لا نترك كلمة إرهاب بمعناها الأمريكي أن تترسخ في بلادنا، أن تسيطر على أذهان الناس في بلادنا، أن تسبق إلى أذهان الناس، علينا أن نحارب أن تترسخ هذه الكلمة لأن وراء ترسخها ماذا؟ وراء ترسخها تضحية بالدين، وتضحية بالكرامة، وبالعزة وبكل شيء)**[1].

ويقدّم السّيد رؤية عمليّة لمواجهة هذا التحرّك الأمريكي الذي يهدف لضربنا في جذورنا، ومنابعنا، وهويتنا، وأصالتنا، رؤية تقوم على توعية النّاس بأنّ أمريكا واليهود هم من يصنعون الإرهاب للنّاس جميعاً، وهم من يسعون في الأرض فساداً، فيقول: **(عندما نسمع كلمة أنهم يريدون أن يتحركوا لمحاربه الإرهاب وجذور الإرهاب ومنابع الإرهاب فإن علينا أن نبادر دائما إلى الحديث عن الإرهاب ما هو؟ ونربطه دائما بأمريكا أن أمريكا هي التي تصنع الإرهاب للناس جميعا، وأن اليهود هم من يفسدون في الأرض، ومن يسعى في الأرض فسادا هو من يصح أن يقال له أنه إرهابي إرهابا غير مشروع)**[2].

ويحذّر السّيد من السّماح لتأثير الحرب الإعلاميّة، والفكريّة، والثّقافيّة الّتي تشنّها أمريكا، واليهود، والغرب أن تؤثّر في مصطلحاتنا ومفاهيمنا القرآنيّة، ويؤكّد على أنّ كلمة إرهاب هي مصطلح قرآنيّ مطلوب من المسلمين أن يصلوا إلى مستواه في مواجهة أعدائهم، فيقول: **(لا نسمح أبدا أن تتحول كلمة إرهاب القرآنية إلى سبه، وإلى كلمة لا يجوز لأحد أن ينطق بها، فلنقل دائما إن كلمة إرهاب كلمة قرآنية مطلوب من المسلمين أن يصلوا إلى مستواها، إن الله يقول وأعدوا لهم أي لأعداء الإسلام لأعدائكم لأعداء الله ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)**[3].

إذاً تعتبر هذه المعركة الثّقافيّة والتّوعويّة مع العدوّ معركة مهمّة جدّاً يجب أن نحقّق النّصر

(١) محاضرة الإرهاب والسلام.
(٢) محاضرة الإرهاب والسلام.
(٣) محاضرة الإرهاب والسلام.

فيها مهما كان الثّمن، لأنّها تعتبر هي الحرب الأولى الّتي يبدأ العدوّ بها في مواجهتنا أوّلاً قبل معركة الحديد والنّار، ولأنّنا إذا هزمنا في معركة الوعي، والفكر، والثّقافة، والسّياسة، والإعلام، فإنّنا سنهزم ونخسر في المواجهة العسكريّة، يقول السيد: **(نحن الآن في معركة مصطلحات، إذا سمحنا لهم أن ينتصروا فيها فإننا سنكون من نضرب ليس في معركة المصطلحات بل في معركة النار، إذا ما سمحنا لهم أن تنتصر مفاهيمهم، وتنتصر معانيهم لتترسخ في أوساط الناس)**[1].

ويجب أن نتحرّك في مواجهة هذه الحرب الشّاملة الّتي تشنّ علينا، وعلى ثقافتنا، وحتّى على مفردات لغتنا العربيّة ، ومفاهيمنا القرآنية، حتّى لا تنتصر المعاني، والأفكار، والثّقافات الأمريكيّة، والإسرائيليّة، والغربيّة، لأنّ هذا سيؤدّي إلى معاناة كبيرة، وخطر كبير على البشريّة، وظلم كبير للأمّة، وحتّى لا تتعرّض ثقافاتنا، ومفرداتنا، ومصطلحاتنا للتّحريف، والتّثقيف المغلوط، يقول السيد: **(نحن إذا نواجه بحرب في كل الميادين، حرب على مفاهيم مفرداتنا العربية، إذا لم نتحرك نحن قبل أن تترسخ هذه المفاهيم المغلوطة بمعانيها الأمريكية، بمعانيها الصهيونية، والذي سيكون من ورائها الشر، إذا لم نتحرك ستكون تضحيات الناس كبيرة، ستكون خسارة الناس كبيرة)**[2].

وكلّ ما تتحرّك أمريكا اليوم لمحاربته تحت عنوان وغطاء الإرهاب والإرهابيّين، فإنّها في الحقيقة إنّما تتحرّك، وتحشد معها كلّ العالم، وكلّ الإمكانات لمحاربة الجهاد بمفهومه، ومنظومته الشّاملة، الجهاد في الإسلام وفي القرآن الكريم، يقول السيد: **(الجهاد في الإسلام هو نفس الإرهاب الذي أمريكا تريد أن تقود العالم كله لمقاومته، الجهاد بالسيف، الجهاد بالكلمة، الجهاد بموقف، هذا كله، تجند كل إمكانياتها تحت مسمى أن هذا هو إرهاب)**[3].

ويعتبر السّيد أنّ التّربيّة الجهاديّة للأمّة هي من ستصنع الرّوح الزّاكية في كلّ أفراد المجتمع، وتجعل

(١) محاضرة الإرهاب والسلام.
(٢) محاضرة الإرهاب والسلام.
(٣) محاضرة الموالاة والمعاداة.

منهم عناصر خير وصلاح، وهي من تزرع كلّ القيم والمبادئ السّمية في قلوب ونفوس النّاس، و في الأمّة، والمجتمع، فيقول: **(التربية الجهادية هي من ستصنع الروح، هي من ستصنع الروح المهذبة، الروح الزاكية، الروح السامية، الروح التي تجعل صاحبها نورا في أي مكان كان، تجعل صاحبها عنصرا خيرا وفاعلا في أي مجتمع كان)**[1].

وما يطلبه القرآن الكريم من النّاس، ويصل بهم إليه في تربيتهم وهدايتهم، هو أن يصبحوا على درجة عالية من الاستعداد لبذل أنفسهم وأموالهم في سبيل الله، يقول السيد: **(القرآن الكريم يطلب منك أن تضحي بنفسك، الله يطلب منك أن تضحي بنفسك أن تضحي بمالك)**[2].

وهنا يوضّح السّيد أنّ لدى الأمريكيّين سياسة ثابتة، هي سياسة ضرب المسلم بالمسلم، وأنّ من لا يكون عنده الاستعداد لبذل ماله ونفسه في سبيل الله، فإنّه من سيضحّي بماله ونفسه في سبيل أمريكا وإسرائيل، فيقول: **(أنت إذا لم تبذل نفسك ومالك في مواجهة هؤلاء الأعداء فهم من سيسخروك أنت لتبذل نفسك ومالك في سبيلهم، في سبيلهم فعلا، وهم متجهين، هذه عندهم سياسة ثابته أن يضربوا المسلم بالمسلم، عندهم هذه السياسة أن يضربوا المسلم بالمسلم)**[3].

يجب أن يكون القتال تحت عنوان في سبيل الله

يقدّم السّيد رؤية قرآنيّة في ميدان الصّراع والقتال تقوم على أساس هدى الله، وأن يكون الصّراع تحت عنوان سبيله الله، ومن أجل دينه، فعند قوله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ**﴾[البقرة:١٩٠] يقول السيد: **(هذه قضيه هامة وقضية مؤكد عليها في القرآن الكريم بشكل كبير أن يكون الناس كل ما يدخلون في صراع أن يدخلوا فيه على أساس هدى الله، وليكن في سبيله، على الطريقة التي رسمها، ومن أجله، وله)**[4].

ويؤكّد السّيد على ضرورة أن تترسّخ هذه القضية لدينا فتكون انطلاقتنا هي تحت عنوان

(١) محاضرة في ظلال دعاء مكارم الأخلاق الدرس الثاني.
(٢) محاضرة الشعار سلاح وموقف.
(٣) محاضرة الشعار سلاح وموقف.
(٤) سورة البقرة الدرس التاسع.

القتال في سبيل الله، وأن تكون هذه هي قضيّة أساسيّة ورئيسية لدينا، حتّى ولو كان الإنسان يدافع عن بيته، أو أرضه، فلا بدّ أن يكون تحت عنوان القتال في سبيل الله، فيقول: **(قضية يجب أن تكون هي القضية الرئيسية حتى وأنت تدافع عن بيتك، أن القضية الأساسية أن يكون الناس مقاتلين في سبيل الله)**[1].

ويؤكّد السّيد على أنّ التربيّة الوطنيّة البحتة الّتي تقدّم للجيش وللنّاس بدت في الواقع غير مجدية في مواجهة أعداء الله، ورأينا الكثير ممّن يدّعون الوطنيّة، وحبّ الوطن، هم من أوّل من يخون ويبيع الأوطان، فلا بدّ أن تكون التّربية للجيش وللنّاس هي التّربية الدّينيّة القرآنيّة، فيقول: **(التربية للجيش تربية وطنية بحته، من أجل الوطن، من أجل الوطن، من أجل الوطن، هذه بدت المسألة بأن ليس لها قيمة في الواقع، وجدنا ممن يهتفون بها هم ممن يبيعون الأوطان فعلا، ممن يبيعون الأوطان)**[2].

ومن ينطلقون ويتربّون على هذه التّربية الجهاديّة الدّينيّة، تربية الجهاد والقتال في سبيل الله، هم من تعتبر الأوطان والأعراض غالية لديهم، ويحافظون عليها، ويصونونها فعلاً، يقول السيد: **(الناس الذين يتجهون في سبيل الله، ومن أجل الله، هم الناس الذين تعتبر الأوطان غالية لديهم، وتعتبر الأعراض عزيزة لديهم، وتعتبر الممتلكات هامة لديهم)**[3].

وفي سورة البقرة الدّرس العاشر عند قوله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيم**﴾[البقرة:٢٤٤] يبيّن السّيد أنّ القرآن الكريم يركّز على موضع أن يكون القتال في سبيل الله، وأن تكون النّوايا، والتّوجهات قائمة على أساس هذا العنوان، فيقول: **(لاحظ كم تكرر في سورة واحدة موضوع القتال في سبيل الله لأنها قضية هامة جدا، ثم التأكيد على أن يكون في سبيل الله، في سبيل الله هذه قضية يجب أن يكون الناس متأكدين منها، أن تكون نواياهم كلها وهم ينطلقون، أنه في سبيل الله، ومعنى في سبيل الله، أن يكون توجهك أنه لله، واستجابة لله، وفي سبيله،**

(١) سورة البقرة الدرس التاسع.
(٢) سورة البقرة الدرس التاسع.
(٣) سورة البقرة الدرس التاسع.

في نفس الطريق التي رسمها أن تسير عليها وأنت تقاتل هي تعني الموضوعين، هذه قضية هامة)[1].

وأمام من يأتي لاحتلال بلدك وأرضك يجب أن تواجهه تحت عنوان القتال في سبيل الله، فتكون نيّتك الجهاديّة، وعقيدتك القتاليّة هي لله، وفي سبيل الله، ومن أجل دين الله، فتنطلق من منطلق جهادي، ودافع ديني وقرآني، يقول السيد: **(من يأتي لإحتلال أرضك يجب أن تتوجه لقتاله في سبيل الله، وأن تتوجه في سبيل الله أي إرفع بنيتك، وارفع برأسك إلى الله لا تنزل تحت تقول من أجل الوطن، من أجل تربة الوطن، هذه نكسة، هذه النكسة خطيرة)**[2].

وقد وجّه الله المؤمنين وربّاهم على أن يكون توجّههم، وتحرّكهم، وانطلاقتهم في سبيل الله، ولا يستطيعون أن يحقّقوا نصراً في مواجهة أعدائهم، وهم ينطلقون تحت عناوين ومصطلحات أخرى، فكلّ العناوين والمصطلحات الأخرى لن تحرّر، ولا مقدّسات، ولن تحرّر أحد، ولن يحرّر النّاس، ويحرّر الأوطان إلاّ الجهاد في سبيل الله، وتحت هذا العنوان فقط، يقول السيد: **(المؤمنون يوجهون دائما، المسلمون بشكل عام أن يتحركوا في سبيل الله، وليعرفوا أنها لا تتحرر أوطانهم أبدا بعناوين أخرى إلا إذا انطلقوا في سبيل الله)**[3].

وفي قصّة طالوت وجالوت الّتي حصلت في بني إسرائيل يقدّم السّيد الرؤية القرآنيّة في هذا الموضوع، مؤكّداً أنّ هذه القصّة الّتي قدّمها الله في القرآن الكريم تبيّن لنا أهميّة أن يكون العمل والتّحرك في سبيل الله، فيقول: **(إذاً هذه القصة تبين لنا أهمية** ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[البقرة: من الآية ١٩٠]. **أعني: لا يستجيب الإنسان لأي عناوين أخرى نهائياً، أترك الآخرين يتفاعلون كيفما يتفاعلون، وترى عروضاً عسكرية من أجل الوطن، ويقبل بعضهم الوطن، أليس بعضهم يقبل الوطن؟ هذه ما منها شيء. كيف يمكن أن الله يقف معك، ويعينك، وأنت تؤثر التربة عليه! لا يصح هذا. أما هذا القتال في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله، هو في الأخير هو خير لكم، الخير أليس من الخير صيانة الأوطان والأعراض، والأموال، والممتلكات؟ أليست من الخير الذي يريده الناس؟ ألم تحقق هنا لبني إسرائيل.؟**

(١) سورة البقرة الدرس العاشر.
(٢) سورة البقرة الدرس العاشر.
(٣) سورة البقرة الدرس العاشر.

وتحقق لهم ملك عظيم؟)[1].

من نعمة الله على النّاس ألاّ يكونوا في حالة فراغ

من نعم الله الكبيرة على النّاس ألّا يعيشوا في حالة فراغ كما تَقدّم، لأنّها تعتبر حالة خطيرة عليهم تهبط بنفوسهم، ومعنويّاتهم، واهتماماتهم، ومشاريعهم فيكونون أمّة صغيرة تعيش في وحل ومستنقع القضايا الجزئيّة والهامشيّة الّتي لا تبني أمّة، ولا ترتقي بشعب، ولا تؤسّس لحضارة، ومعرفة، لهذا يقدّم الله للنّاس القضايا الكبيرة الّتي يتحرّكون، وينطلقون، ويشاركون فيها فتكبر نفسيّاتهم، واهتماماتهم، ويكبر واقعهم، يقول السيد: **(الإسلام بنى الإنسان على أساس أن يكون صاحب إهتمام بالقضايا الكبيرة، ومشارك فيها، ومشارك فيها، مشارك بيده، مشارك بنفسه، مشارك بماله، يكون في نفس الوقت شريكا في النتائج، يلمس الناس هم، ترتفع معنوياتهم، عندما يحققون إنتصارات هم)**[2].

وهذه تعتبر قضيّة مهمّة جدّاً من النّاحية التربويّة والنّفسيّة في مجال بناء الأمّة، والارتقاء بها، لأنّ الإنسان معها يحمل روحيّة ونفسيّة كبيرة جدّاً، وتكون اهتماماته كبيرة، فلا يتضاءل، ولا يتلاشى مهما كان حجم الصّراع كبيراً، يقول السّيد: **(وهذه القضية هامة من الناحية التربوية بالنسبة للأمة، فيما يتعلق بواقع الأمة في بنائها، بنائها النفسي، بالطريقة هذه يصبح الناس، يصبح الإنسان المؤمن صاحب نفس كبيرة، صاحب إهتمامات كبيرة، يرى نفسه في الصراع الكبير مع الأعداء مهما كان كبيرا، لا تكون نفسيته معرضه للتضاؤل والتلاشي)** [3].

ويؤكّد السّيد على أنّ الجهاد في سبيل الله يعتبر من أكبر وأعلى الخدمات للأمّة، لأنّه يهدف لإنقاذ الناس، ورفع الظلم عنهم، فيقول: **(الجهاد في سبيل الله هو في الواقع من أعلى الخدمات للأمة)**[4].

ويبيّن السّيد أنّ موضوع الجهاد في سبيل الله دائرة واسعة جدّاً، وتريد نظرة متكاملة

(١) سورة البقرة الدرس العاشر.
(٢) سورة البقرة الدرس التاسع.
(٣) سورة البقرة الدرس التاسع.
(٤) سورة البقرة الدرس التاسع.

وشاملة من الناس، لكلّ محيط هذا العنوان الكبير والعظيم، فيقول: **(موضوع الجهاد في سبيل الله دائرة واسعة جدا، وتريد نظرة متكاملة لكل محيط هذا العنوان العظيم)**[1].

الرّوحيّة الجهاديّة

يؤكّد السّيد على ضرورة أن تتربّى الأمّة والشّعوب التّربيّة الجهاديّة، وأن تحمل الرّوحيّة الجهاديّة، لأنّ موضوع الجهاد في سبيل الله ليس قضية اتّكاليّة، فيتّكل المجتمع والشّعب على جهة معيّنة تكون هي من تتحمّل المسؤوليّة لوحدها، لأنّ هذه الطريقة تعتبر منهكة للأمّة، فلا بدّ أن يكون المجتمع والشّعب نفسه مقتنعاً بالجهاد والمواجهة، حتّى يشكّل رافداً قويّاً للمجاهدين، يقول السّيد: **(يعتبر في موضوع الجهاد في سبيل الله، القتال بشكل عام وهي قضية معروفة عند الأمم، أن الشعب نفسه، أن المجتمع نفسه هو يشكل سندا كبيرا جدا، إذا كان هو راضي بالمواجهة، ويشجع على المواجهة، معنى هذا أن أمام العدو بحر لا ينفد من ماذا؟ ممن يرفدون المجاهدين، ممن يعملون على رفع معنوياتهم، ممن يساعدونهم، يعتبر فعلا من أهم الأشياء، قضية معروفة تقريبا عند الأمم كلها، قضية الشعب، ومساندة الشعب نفسه)**[2].

ويؤكّد السّيد على ضرورة أن تستمرّ حالة التّوعية الجهاديّة للأمّة والشّعوب، ويجب أن تكون قضيّة دائمة ومستمرّة لديهم، وقضيّة ثابتة أمام أيّ وضعيّة، وفي ظلّ أيّ دولة، يقول السيد: **(فيما يتعلق بالتوعية الجهادية، فيما يتعلق بتوجيه الإنسان على أساس القرآن، أن يكون لديه روح جهادية، ليست قضية جديدة، أو قضية غريبة، أو قضية فقط ترتبط بوقت من الأوقات، إنها تربية قرآنية دائمة يجب أن يكون المسلمون عليها دائما، دائما في أي وضعية كانوا، وفي ظل أي دولة كانوا)**[3].

ويجب أن تكون التّربية والتّوعية الجهاديّة مستمرة في وسط الأمّة، وحالة تثقيفيّة دائمة

(١) سورة البقرة الدرس العاشر.
(٢) سورة البقرة الدرس العاشر.
(٣) سورة البقرة الدرس العاشر.

لديها، ولدىٰ كل فرد من أفرادها، حتّىٰ لو كانت الأمّة تعيش في ظلّ دولة رسول الله (صلوات الله عليه وعلىٰ آله)، لأنّها أمّة لها أعداء، يقول السيد: **(في ظل دولة رسول الله** (صلوات الله عليه وعلىٰ آله) **يجب أن تكون عندك روح جهادية عالية، في ظل دولة الإمام علي، في ظل أي وضعية كانت، أنها روح دائما يجب أن تكون موجودة لدىٰ كل فرد في الأمة، لأن الأمة هذه لها أعداء)**[1].

خطورة التّراجع عن القتال في سبيل الله

عندما يتراجع الإنسان، أو الأمّة، أو المجتمع عن القتال في سبيل الله بدافع الخوف أو الحرص علىٰ الحياة، فإنّهم يعرّضون أعمارهم لأن تقصف سريعاً، ويكون مستقبلهم في خطر، يقول السيد: **(الناس الذين يتراجعون عن القتال في سبيل الله بدافع الخوف، والحرص علىٰ الحياة، يعرضون أعمارهم لأن تقصف سريعا)**[2].

ويعتبر التّراجع عن القتال في سبيل الله خطيراً جدّاً علىٰ النّاس في الحياة الدنيا، وفي الآخرة، يقول السيد: **(تعتبر خاسرا عندما تجبن عن القتال في سبيل الله، وأنك تعرض نفسك لأن يقصف عمرك فتخسر الحياة الأولىٰ والحياة الأخرىٰ)**[3].

ويقدّم القرآن الكريم الجهاد في سبيل الله كحالة ثابتة من أساسيّات وثوابت الإسلام، وحالة تربويّة ثابتة من البداية، قام عليها الإسلام من يومه الأوّل، أي أنّ التّربية الجهادية للأمّة هي من الأسس والثوابت المنهجيّة في الإسلام والقرآن الكريم، يقول السيد: **(كان الجهاد أساس من أساسيات الإسلام كحالة ثابتة، وحالة تربوية من البداية، وليس فقط حالة طارئة استثنائية)**[4].

ويؤكّد السّيد أنّ التّربية الجهاديةّ للأمّة لا ترتبط بالظّروف والأحداث فقط، بل يجب أن تكون حالة ثابتة ومستمرة لديها، فتكون التّربية الجهاديّة للأمّة من الأسس والثّوابت المهمّة

(١) سورة البقرة الدرس العاشر.
(٢) سورة البقرة الدرس العاشر.
(٣) سورة البقرة الدرس العاشر.
(٤) سورة البقرة الدرس الحادي عشر.

الرّاسخة، الّتي لا ترتبط بظروف استثنائية، وحالات زمنيّة معيّنة، فيقول: **(لا بد من تربية جهادية، وحركة جهادية، وهي قضية واسعة جدا من زمان، وليس فقط إذا... أي: أن تدعو عشرين سنة فإذا ظهر في سنة واحد وعشرين عدو ففي تلك السنة تحاول تربيهم تربية جهادية، هي مسألة تربوية من أول سنة، وليس من سنة واحد وعشرين)** [1].

مفهوم الصّراع

يقدّم السّيد الرّؤية القرآنيّة حول مفهوم الصّراع وشموليّته، الرّؤية القرآنية الشّاملة الّتي تستوعب الصّراع من كلّ جوانبه، وتفهمه بمفهومه الشّامل والواسع، في كلّ الميادين، وفي مختلف المجالات، لأنّ الصّراع اليوم أصبح صراعاً حضاريّاً، وشاملاً، وله وسائله، وأدواته، وأساليبه المتنوّعه، والمتعدّدة، بخلاف ما كانت عليه النّظرة العربيّة التّقليديّة سابقاً، والّتي لا زلنا نراها موجودة الآن لدى الكثير من النّاس، فيقول: **(نحن بنظرتنا العربية مثلا العرب قد يكونون فاهمين موضوع الصراع يعني ماذا؟ قتال، قتال، أليس هكذا؟ لكن يجب أن تفهم الطرف الآخر، العدو الذي يتحرك في مواجهتك يتحرك عندما يكون من النوعية هذه فاعرف بأنه يشتغل بوسائل أخرى متعددة، هذه هي حالة ضعف كبيرة فيه معظم الوسائل التي يشتغل بها هي عنده وسائل رئيسية أساسية وهي في نفس الوقت بالشكل الذي يمكن للناس أن يواجهوها أن يتحركوا في مواجهتها لكن عندما تأتي عند الناس يقولون: [ما معنا ولا معنا] العربي دائماً ينظر إلى موضوع السلاح فقط سلاح سواء سيف أو سلاح تفجيرات فقط. يقول لك هناك: هذا العدو نفسه خواف من المسألة هذه، يشتغل معك بطرق ثانية إذا نجحت أنت معه في الطرق الثانية هذه في مواجهته لن يصل إليك بالسلاح إذا استطاع الناس أن يفشلوا أعماله الأساسية فلن يبدي عليهم نهائيا)** [2].

ويبين السّيد أنّ الصّراع قد تطوّر من صراع عسكري تقليديّ فقط، إلى صراع حضاريّ، وتطوّرت مفاهيمه، وتعدّدت وسائله، وتنوّعت وظائفه بشكل كبير جدّاً، وشامل، وواسع بسعة وظائف ووسائل وأساليب الحياة، وهذا التّطور يتطلّب قيادة جديدة لأمّة فاهمة

(١) سورة البقرة الدرس الحادي عشر.

(٢) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

ومستوعبة لموضوع ومفهوم الصّراع وشموليّته، فيقول: **(كانت المواجهة عسكرية قبل خمسين سنة، أما الآن فقد أصبحت المواجهة حضارية، أصبحت المواجهة حضارية، لا بد أن تبرز قيادة تستطيع أن تبني الأمة من جديد)**[1].

ويؤكّد السّيد على ضرورة أن يكون للأمّة قيادة عالية تفهم الصّراع وشموليّته، وتَطوّر وسائله وأساليبه، قيادة تبني الأمّة بهذا المستوى الكبير الذي تتمكّن فيه من مواجهة أعدائها، وقهرهم، برؤية صحيحة وشاملة قادرة على النّهوض بالأمّة، والارتقاء بها، كما كان الإمام الخميني "رحمة الله عليه" ،فيقول: **(الإمام الخميني عندما نهض برؤية صحيحة، وعرف بأن هذه الأمة أصبحت في صراعها مع اليهود في صراع حضاري، صراع حضارات، لم يعد صراعاً عسكرياً أصبح صراع أمة، صراع حضارة، قال: لا بد لهذه الأمة أن تتجه نحو الاكتفاء الذاتي، لتعتمد على نفسها في مجال غذائها فتهتم بالزراعة تهتم بالتصنيع، في كل المجالات، تهتم بالتصنيع العسكري، تهتم بالتصنيع في مختلف الأشياء التي يحتاجها الناس لتكون بمستوى المواجهة، تهتم أن تنشئ جيلاً يعرف كيف ينظر إلى الغرب، يصيح بالعداء لأمريكا، بالعداء لإسرائيل يهتفون)**[2].

ويبيّن السّيد أنّ الصّراع تحوّل، أو تطوّر من صراع عسكريّ إلى صراع حضاريّ شامل على أيدي اليهود والنّصارى، فأصبحت الأمّة بحاجة إلى أن تتطوّر في صراعها مع الأعداء، وأن تنهض من جديد، لتكون بمستوى القدرة على المواجهة مع الأعداء، فيقول: **(هم الذين عطلوا البلاد الإسلامية من أن تنتج الخيرات من داخلها، فيحصل أبناؤها على الاكتفاء الذاتي في أغذيتهم، وفي ملابسهم، وفي غيرها. هم الذين أوصلوا المسألة وطوروا القضية من صراع عسكري إلى صراع حضاري يحتاج إلى أن تنهض الأمة من جديد، وتبني نفسها من جديد، حتى تكون بمستوى المواجهة للغرب، والمواجهة لربيبة الغرب إسرائيل)**[3].

وهنا يؤكّد السّيد على مسألة مهمّة جدّاً في جانب بناء الأمّة وتطوّرها، والارتقاء بها، وهي أن

(١) محاضرة يوم القدس العالمي.
(٢) محاضرة يوم القدس العالمي.
(٣) محاضرة يوم القدس العالمي.

تحمل الأمّة قضيّة العداوة لأعدائها، لأنّ هذه حالة لها إيجابيّتها في مجال النّهوض بالأمّة وتطوّرها، عندما تستشعر أنّ لها أعداء، فتعمل على بناء نفسها في مواجهتهم في كلّ المجالات، فيقول: **(حالة العداء لليهود عندما قال سبحانه وتعالى عن اليهود: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾[المائدة: من الآية٨٢] يريد منا أن نربي أنفسنا، وأن نربي أولادنا على أن يحملوا عداوة لأعداء الله لليهود والنصارى، أن يحملوا عداوة. العداوة في الإسلام إيجابية ومهمة، العداوة إيجابية ومهمة، إذا كنت تحمل عداء لأمريكا وإسرائيل، إذا كان الزعماء يحملون عداء، والمسلمون يحملون عداء حقيقياً فإنهم سيعدون العدة ليكونوا بمستوى المواجهة، أما إذا لم يكن هناك عداء حقيقياً فإنهم لن يعدوا أي شيء، ولن يكون لديهم أي مانع من أن يتعاملوا مع اليهود والنصارى على أعلى مستوى، حتى إلى درجة الاتفاقيات للدفاع المشترك، الاتفاقيات الاقتصادية وغيرها؛ لأنه ليس هناك أي عداء)**[1].

وعندما تعيش الأمّة هذه الحالة، وتستشعر أنّ لها أعداء فإنّها ستعمل بلا شكّ على إعداد العدّة، وتجهيز القوّة، وستعدّ نفسها للمواجهة الشّاملة مع أعدائها في مختلف المجالات، يقول السيد: **(أنت إذا لم تُكِنّ عداء لهذا أو لهذا لا تُعِد نفسك بمستوى المواجهة. فعندما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[الأنفال: من الآية٦٠] ألم يرسخ في نفوسنا أن أولئك أعداء، يريد منا أن نحمل هذه الكلمة، وأن نرسخ الشعور بالعداء؛ لأن ذلك هو الذي سيحملنا على إعداد القوة، وعندما تتجه الأمة لإعداد القوة ستعد نفسها للمواجهة في مختلف المجالات، في المجالات الاقتصادية، وفي مجال التجارة، في مجال التصنيع في مجال الزراعة، في مختلف المجالات، كما عمل الإمام الخميني في إيران عندما رسخ عداوة أمريكا وإسرائيل، عمل على أن يجعل إيران أمة قادرة على أن تكون بمستوى المواجهة للغرب، بأن تحصل على الاكتفاء الذاتي في المجال الغذائي والعسكري وغيره من المجالات، وفي المجال الثقافي وغيره)**[2].

وفي دروس رمضان سورة المائدة الدرّس الثّاني والعشرون عند قوله تعالى: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي

(١) محاضرة يوم القدس العالمي.

(٢) محاضرة يوم القدس العالمي.

سَبِيلِ اللَّهِ﴾[المائدة:٥٤] يوضّح السّيد أنّ مفهوم الجهاد أوسع وأشمل من موضوع القتال الذي قد يعني الجانب العسكري، بينما الجهاد يعبّر عن سعة الصّراع، وميادينه، وخاصّة في هذا الزّمن، فيقول: **(لماذا لم يقل: يقاتلون هنا؟ نقول فعلاً: أن الآية تتحدث عن هذا الزمن؛ لأن القرآن هو للناس وللحياة كلها، الجهاد يعبر عن حالة الصراع، وسعة الصراع وميدانه أوسع من كلمة: يقاتلون، أي سيتحرك في كل مجال يستطيع أن يتحرك فيه، ويقتضي العمل بإيجابية أن يكون مؤثراً على العدو فيتحرك فيه، بذل الجهد، سواءً في موضوع ثقافي، اقتصادي، عسكري، سياسي، إعلامي، في كل مجال يستطيع أن يتحرك فيه، حرب نفسية، والحرب النفسية من أبرز مظاهر الصراع في هذا الزمن، الحرب النفسية؛ ولهذا يقول: يجاهدون في سبيل الله، يعني: يبذلون جهداً في كل المجالات)**[1].

ويؤكّد السّيد على ضرورة معرفة مفهوم الصّراع وشموليّته من خلال القرآن الكريم، والذي يعتبر من أبرز أنواعه وأشدّه في هذا الزمن موضوع الحرب النفسيّة والمعنويّة الّتي يركزّ عليها الأعداء بشكل كبير جدّاً، فيقول: **(هذه من الأشياء الغريبة التي نقول هي أشياء مؤسفة فعلاً بالنسبة للعرب أنه لم نفهم أنواع الصراع من داخل القرآن، والقرآن أعطى فعلاً، نحن قرأنا في قصة معركة أحد كيف التركيز على الجانب النفسي والمعنوي، بمعنى أن الصراع لا يكون أمامك فقط مجرد سيف، هذه واحدة من وسائل الصراع التي يجب أن تكون نصب عينيك، لكن تعرف أن الصراع يتناول مختلف الأشياء النفسية والمعنوية، فالقرآن علمنا من قبل، لكن لا بد من القرآن حتى نعرف كيف الجهاد، ونعرف كيف عادة يحصل الصراع بين البشر، يقول لك: ننتظر حتى يأتي قتال)**[2].

ويضيف السّيد أنّ الأعداء يركزون على أساليب متعدّدة ومتنوّعة في الصّراع، إذا سمحنا لهم أن ينجحوا فيها فإنّهم سيتّجهون لقتالنا وضربنا فعلاً، ويدعوا السّيد إلى ضرورة تبنّي المواقف العمليّة والفعّالة في مواجهة الأعداء، واستخدام كافّة الوسائل والأساليب المؤثرة،

(١) سورة المائدة الدرس الثاني والعشرون.

(٢) سورة المائدة الدرس الثاني والعشرون.

فيقول: **(نقول: إن هؤلاء الأعداء هم يركزون على قضايا نستطيع أن نواجهها إذا مشت سيقاتلون، وسيضربون، إذا لم تمش لهم لن يضربوا، ولن يصلوا إلى الناس، كيف تقول: أنك منتظر، منتظر.. في الأخير متى ما حصل ستقول: أنا لا أملك إلا بندق ماذا سيعمل هذا البندق! الشيء المحتمل أن هذا النوع لن يتوفق، أن الكثير قد لا يتوفقون فعلاً، الإنسان الذي هو يعتبر مجاهداً يجب أن يبذل جهده في سبيل الله، ويعرف ماذا ينبغي أن يعمل، يعرف ماذا ينبغي أن يعمل فعلاً، وأعتقد فعلاً رفع الشعار، والمقاطعة الاقتصادية، تعتبر من الجهاد في سبيل الله، ولها أثرها المهم فعلاً، بل قد يكون هذا الجهاد اشد على الأمريكيين مما لو كنا عصابات نتلقى لهم ونقتلهم فعلاً، أنا أعتقد هذا: أن أثره عليهم أشد من هذا، يؤثر عليهم بشكل كبير من الناحية المعنوية والنفسية بالشكل الذي لا يستطيعون أن يواجهوه بأي مقولة من مقولاتهم، على مدى سنتين لم يستطيعوا أن يقولوا: إرهابيين نهائياً، لم يستطيعوا أن يوقفوه بأي طريقة أبداً، ولا استطاعوا أن يلصقوا به شيئاً يعتبر ذريعة، وفي نفس الوقت يعرفون أنه يضربهم ضربات نفسية ومعنوية رهيبة)**[1].

ويضيف السّيد أنّ العدوّ بالرّغم من امتلاكه لأفتك الأسلحة، إلاّ أنّه يسلك أوّلاً طرق ووسائل أخرى في الصّراع، وأنّ بأيدينا الكثير من وسائل القوّة، ووسائل التّأثير في مواجهة الأعداء، الّتي يجب أن نستخدمها ونفعّلها،فيقول: **(هذا هو الجهاد، والإنسان المسلم المؤمن يكون أمام عينه ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾**[الأنفال من الآية: ٦٠] **قد تكون قوة معنوية هي بيدك تؤثر جداً على العدو يجب أن تستخدمها، حرب نفسية، هو يستخدم حرباً نفسية هو، العدو الذي يمتلك أفتك الأسلحة يرى بأنه ليس مستغنياً بل مضطراً إلى أن يسلك الوسائل الأخرى في الحرب، الحرب الثقافية، الإعلامية، الحرب النفسية، أليس هذا شيئاً واضحاً؟ فكيف أصبحنا لم نعد نفهم حتى الصراع ما هو، أصبحنا لم نعد نفهم الجهاد ما هو!. بالتأكيد المجاهدون ليس عندهم فكرة.. - لأن البعض يحاول يقدم تفسيراً لمعنى الجهاد أن الجهاد بالكلمة هو الجهاد وفقط أو آخر يقول: الجهاد بالسيف هو الجهاد فقط! - لا، الجهاد ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾**[لأنفال: من الآية٦٠] **هنا قدم كل قوة بما فيها القوة المعنوية**

(١) دروس رمضان سورة المائدة الدرس الثاني والعشرون.

﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1].

ويعتبر السّيد أنّ الجهاد في سبيل الله هو شيء أساسي في إصلاح الأرض وعمارتها، واستقامتها، وقيامها، ونهوضها، وفي إصلاح النّاس، وإصلاح حياتهم، وحسن تدبير أوضاعهم، واستقامتهم، وتمكّنهم من القيام بمسؤولياتهم، والنّهوض بها، ويعتبر السّيد أن الجهاد دعامة الإحسان، وقاعدته الثّابتة، وأنّ المجاهدين هم المحسنون للأمّة، ولهذا سمّاهم الله بالمحسنين، لأنّهم يقدمون بجهادهم واستشهادهم أعظم وأرقة خدمة للأمّة، فيقول: **(الجهاد هو أساسي في ماذا؟ في إصلاح الأرض، في إصلاح الأمة، في إصلاح حياة الناس، ولهذا سما الله المجاهدين محسنين وفعلا بأعمالهم يقدمون إحسانا للبشر للآخرين)**[2].

(١) سورة المائدة الدرس الثاني والعشرون.

(٢) سورة المائدة الدرس الثاني والعشرون.

الشّهادة في سبيل الله

يعتبر موضوع الشهادة في سبيل الله من أهمّ المواضيع الّتي أحياها الشّهيد القائد السيد حسين بدرالدين الحوثي (رضوان الله عليه) في الأمّة، وفي نفوس النّاس، وكما سبق تبيينه في موضوعيّ الجهاد في سبيل الله، والتّربية الجهاديّة في القرآن الكريم، ذلك أنّ موضوع الشّهادة في سبيل الله متلازم مع موضوع الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، وهذان المبدآن العظيمان لا يقوم الإسلام، ولا تحيا الأمّة إلاّ بهما، وقد رغّب السّيد في موضوع الشّهادة وأحياها في وسط الأمّة بشكل منقطع النّظير، حتّى ترسّخت وتعمّمت في أوساط النّاس، وتربّى عليها مئات الآلاف من النّاس كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً على عشق الشّهادة، وحبّ التّضحية، والبذل، والعطاء في سبيل الله، وهناك اليوم عشرات الآلاف من الشّهداء والجرحى من حملة هذا المشروع القرآنيّ العظيم.

وكما كان السيد طيلة حياته مجاهداً في سبيل الله، وكان في مقدّمة المجاهدين، فإنّه كذلك (رضوان الله عليه) كان في مقدمّة الشّهداء الأبرار في سبيل الله، وجاد بنفسه وضحّى بها من أجل الله، ومن أجل الأمّة على ما سار عليه آباؤه وأجداده الأخيار من أعلام الحق والهدى، كالإمام علي، والإمام الحسن، والإمام الحسين، والإمام زيد سلام الله عليهم، فكان السبّاق للجهاد، والسّباق للشّهادة، وقدّم أعظم شهادة وبرهان على كمال الله وعظمته، وعظمة هذا الدّين مجاهداً وشهيداً، وربّى جيلاً وأمّة من عشّاق الجهاد والشّهادة في سبيل الله، وقد قدّم السّيد في الدّروس، والمحاضرات والواقع الرّؤية والمنهجيّة القرآنيّة عن الشّهادة في سبيل الله من خلال القرآن الكريم.

من الحكمة أن تقتل في سبيل الله

يؤكّد السيد أنّ من الحكمة ومن الخير الكبير للإنسان أن يقتل في سبيل الله، فيكون شهيداً عند الله سبحانه وتعالى، ففي سورة البقرة عند قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا**

﴿تَشْعُرُونَ﴾[البقرة:١٥٣-١٥٤] يوضّح السّيد أنّ الموقف الصحيح والحكيم بالنّسبة للإنسان، هو أن يستثمر موته، فيقتل في سبيل الله ليكون حيّاً يرزق عند الله في عالم الأحياء الشّهداء، يقول السّيد: **(لو تأتي إلى مسألة: أن تقتل في سبيل الله تجدها في الأخير تعتبر من الحكمة بالنسبة لك ومن الخير الكبير بالنسبة لك لأنه عندما ترى أنه في الأخير أنت ستموت، أليس كل إنسان سيموت، أليس من الأفضل لي أليس من الحكمة أن استثمر موتي أنت ستموت، ستموت أليس هذا موقفاً حكيماً؟ ليست قضية تعتبر مصيبة لأنه ما هو الجديد في القضية؟ هل هناك جديد في الموضوع؟ هل القتل في سبيل الله شيء أكثر من الموت؟ أو الإنسان إذا لم يقتل في سبيل الله فلن يموت؟ سيموت ولا تدري في نفس الوقت متى ستموت، إذاً فالموقف الحكيم والخير الكبير عندما تقتل في سبيل الله تعتبر أنت استثمرت موتك الذي لا بد منه ثم تكون في الواقع أفضل لك من أن تموت فتكون في عالم اللا شيء إلى يوم القيامة تكون أحياء، أحياء)**[1].

ويوضّح السّيد من خلال القرآن الكريم أنّ الشّهيد في سبيل الله يعتبر حيّاً يرزق عند الله منذ اللّحظة الأولى الّتي يفارق فيها الحياة، بل إنّ الشّهداء يبقون في حياة دائمة وأبديّة لا يذوقون الموت إلاّ الموتة الأولى، وأنّ الله في القرآن الكريم قد استثناهم من تلك الحالات الّتي يصيب فيها الموت كلّ من في السّموات والأرض، يوم ينفخ في الصّور، يقول السيد: **(ويبدو أن الشهداء يبقون أحياء من أول لحظة يفارق فيها هذه الحياة فيصبحون أحياء فعلاً، ففي آيات أخرى عندما يقول الله عن أحداث القيامة: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾**[الزمر: من الآية٦٨] **تبين أن هناك فئة أو شيئا من مخلوقاته حية لا تتأثر بتلك الأشياء مع أن الشهيد يموت اسما، اسما هكذا أنت تراه لكن في الواقع يصبح حياً فقط ألقى [بذلة] خلع البذلة التي عليه ذلك [البودي] الذي له هذا الهيكل وأصبح حياً ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾**[آل عمران: من الآية١٦٩] **لم يعد هناك موت بالنسبة لهم ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾**[الدخان:٥٦] **تأمل في كثير من الآيات التي تتحدث عن أحداث القيامة فيها حالة استثناء**

(١) سورة البقرة الدرس الثامن.

﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾[الزمر: من الآية٦٨])[1].

ويوضّح السّيد أنّ الله قدّم القضيّة في القرآن الكريم بأسلوب استعراضي جميل وجذاب يشوّق الإنسان لأن يبذل نفسه في سبيل الله، فيحظى بذلك المقام والوسام الرّفيع الذي لا يصحّ أن نسميهم فيه، وأن نقول لهم أمواتا، يقول السيد: **(هذه القضية قد تبدو في أول وهلة وكأنها كبيرة لكن قدم لها، وهذا أسلوب من أساليب التوجيه الإلهي والإرشاد الإلهي والتشريع الإلهي من المقدمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾[البقرة:١٥٣-١٥٤] لاحظ كيف يأتي الكثير منها بأسلوب استعراضي ما جاءت عبارة: اقتَلوا، اقتَلوا في سبيل الله، لا. يبين لك هنا القضية موقع هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله حتى تصبح أنت متشوقا؛ لها إيجابية فيما يتعلق في نفس أي إنسان أكثر من أن يقال: اقتَلوا أو يجب أن تقتَلوا في سبيل الله وستكونون أحياء ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾[البقرة: من الآية١٥٤] لا. هذا مقام رفيع لا تسموهم أمواتا، لا يصح أن تقولوا: مات فلان، إنهم أحياء بكل ما تعنيه الكلمة، ولكن لا تشعرون)**[2].

وعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[البقرة:١٥٥] يبيّن السّيد ما أجمل موقع هذه الآية في القرآن الكريم بعد أن يكون الإنسان قد فهم النّقطة الأولى، وهي الشّهادة في سبيل الله، فيكون من السّهل عليه أن يمرّ بأيّ شيء من هذه الأزمات، والظّروف، والمعاناة، وهذا الشيء يُفقد العدوّ قيمة الوسائل الّتي يستخدمها في تخويف النّاس، وحصارهم، وتجويعهم لأنّهم أصبحوا على استعداد عال يجعلهم مشتاقين للشّهادة، ومستعدّين للتّضحية والتّحمّل، ومهيئين للمعاناة في سبيل الله مهما كانت وبلغت، مع أنّ هذه القضية بكلها تبقى بيد الله سبحانه وتعالى، ويكون لها قيمتها الإيجابيّة في المقام العملي، يقول السيد: **(لاحظ ما أجمل موقع هذه الآية بعد أن يجعلك بالشكل**

(١) سورة البقرة الدرس الثامن.

(٢) سورة البقرة الدرس الثامن.

الذي تشتاق إلى أن تقتل في سبيل الله! هل ستبدو ثقيلة عليك أن تمر بأي شيء من هذه الأشياء المتعددة بعد: خوف أو جوع أو نقص في الأموال أو نقص في الأنفس؟ أنت مشتاق أن تقتل في سبيل الله هل هي مشكلة بالنسبة لك، جوع خوف نقص من الثمرات وأشياء من هذه، ستبدو أمامك هينة إذا كنت قد فهمت النقطة الأولى والمقام الرفيع لمن ضحوا بأنفسهم في سبيل الله ثم هذه تبدو بأنها قد تمر بالناس على حسب إرادة الله سبحانه وتعالى، هذه القضية لا نعلم كيف هل يمكن مع جيل معين أو في سنة معينة أو متى بالتحديد إنما يبدو أنها مشجعة باعتبارها ترويض ربما عندما تكون المسألة باعتبارها ترويض قد يكون الناس فيما إذا أخلصوا لله وتوجهوا إلى الله وعزموا على أن يضحوا في سبيله، ولو قتلوا في سبيله وأن يتحركوا في سبيل الله ولو قتلوا ربما، ربما - والله أعلم - قد تكون هذه الحالة بالشكل الذي قد لا تعد تحصل ابتلاءات من هذا النوع إلا ما كان في نفس الوقت - وهذه تبدو سنة إلهية - ابتلاءات في المقام العملي تكون إيجابية كبيرة في نفس العمل الذي أنت فيه تخدم القضية التي أنت تتحرك فيها)[1].

ويؤكّد السّيد أنّ هذه الحالات الّتي يمرّ بها النّاس في حالات الصّراع مع الأعداء، وهي غاية ما يمرّون به، يكون لها قيمتها العمليّة والإيجابيّة عندما تكون من جهة الله سبحانه وتعالى، فتعطي النّاس قوّة، وصبراً، وتجلّداً، وقدرةً على تحمّل الشّدائد والصّعاب وتجاوزها، يقول السيد: **(في مراحل الصراع مع أعداء الله يحصل حالة خوف، أليست طبيعية في الصراع عند البشر كبشر يحصل خوف ونقص من الأموال والأنفس والثمرات أليست هذه تحصل؟ لكن المؤمنين أنفسهم عندما يمرون بأشياء من هذه تعطيهم تجلدا تعطيهم صبرا، وعندما تكون هي من جهة الله سبحانه وتعالى تكون إيجابية أيضاً في نفس الوقت إيجابية، فيجب هنا أن تصبر، تصبر لتنجح في هذا الإبتلاء الإلهي الذي يعطيك في نفس الوقت تجلدا؛ لأن ما يمكن أن يحصل عليك وأنت في مواجهة العدو كمجتمع وكأفراد هي هذه: حالة خوف ونقص من الأموال والأنفس والثمرات)**[2].

(١) سورة البقرة الدرس الثامن.

(٢) سورة البقرة الدرس الثامن.

الصبر العمليّ يأتي بعده الفرج الإلهي

وعند قوله سبحانه وتعالى من نفس الآية: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[البقرة: من الآية١٥٥] يوضّح السّيد بأنّ الصّبر في سبيل الله هو الصّبر الوحيد الذي يأتي بعده الفرج والنّصر، والخطوة العمليّة الأولى نحو الفرج الإلهي، وهذا ما أكّد عليه، وبشّر به القرآن الكريم كلّ من يصبرون في سبيل الله، يقول السيد: **(بشر الصابرين، هذه الآية هذه العبارة تتكرر في القرآن الكريم بشكل كبير بأن الناس عندما يصبرون في سبيل الله فهناك بشارة هم موعودون بها هناك فرج إلهي ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا﴾[الصف: من الآية١٣] بعد ما ذكر الجنة والمغفرة وتكفير السيئات ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾[الصف: من الآية١٣] عادة الصبر الإلهي أن يصبر الإنسان في سبيل الله هو الصبر الوحيد الذي يأتي بعده فرج وإذا لم تصبر في سبيل الله فستصبر على قهر أعدائك على ظلمهم لك على استعبادهم لك على هتك عرضك، ويكون هذا الصبر لا لله ولا في سبيله ولا نهاية له وليس بعده فرج لا يحصل بعده فرج أبداً)**[1].

ويبيّن السّيد أهمية وفاعلية هذا الصّبر العمليّ في سبيل الله، وما يحقّقه من نتائج إيجابيّة وعظيمة للفرد، وللأسرة، وللأمّة، فيصبرون وهم في مواقع ومواقف العمل، والجهاد، والتّحرك فتكون معاناتهم معاناة في المقام العملي، وهم يضربون، ويواجهون، ويقهرون العدوّ، ويعتبر هذا الصّبر هو الأفضل في وقته، وقيمته، وغاياته، ونتائجه، يقول السيد: **(إذاً فالأفضل للإنسان هي نفس القضية الأولى أنت ستموت، أفضل لك أن تحاول أن تعمل في مجال لتحصل فيه أن تستشهد في سبيل الله وإلا ستموت، أليس هذا أفضل من أن تموت أفضل لك أن تصبر في سبيل الله من أن تصبر على الذلة والإهانة والقهر والعبودية والإستذلال وتسلط الأعداء، أفضل لي أن أسير أنا ويكون الأعداء هم الذين يصيحون مني، الذي أضرِب أفضل من أن أكون أنا الذي أضرَب والذي أقهر وأذل وأصيح أنا وكل أسرتي وكل الناس من حولي، أليس هذا أفضل لك تصبر في طريق أنت فيها الذي تضرب وتؤلم الآخر وتغيظ الآخر وتهزم الآخر؟ ولا أن تكون أنت الذي**

(١) سورة البقرة الدرس الثامن.

ماذا؟ الآخر العدو هو الذي يقتحم عليك بيتك هو الذي ينتهك عرضك هو الذي ينهب أموالك هو الذي يذلك ويقهرك، نحن نرى صورا من هذه موجودة في العراق وفي فلسطين مؤسفة جداً.

إذاً هل هناك جديد بالنسبة لك عندما تصبر في سبيل الله أو أنه أفضل، أفضل أن تصبر في سبيل الله هو الصبر الذي هو في مقام عزة ورفعة والآخر يصيح منك، وإلا ستصبر في وقت أنت الذي تصيح فقط والعدو لا يصيح منك أنت الذي تصيح أنت بيتك دمروه نهبوه دخلوا يربطونك أمام زوجتك ويقودونك إلى السجن ويعذبونك يهود أعداء من أشد الأعداء، ألست أنت الذي تصيح لوحدك؟ وأنت تصبر في سبيل الله أنت تجعل الآخرين يصيحون منك، إذاً ما معناه بأنه لا بد أن نمشي في سبيل الله ونصبر أننا إذا لم نكن على هذا النحو سنعيش في حالة استقرار وسعادة ولا هو حاصل علينا شيء؟ لا. ستجد أن هذه الحالة أفضل، أفضل بكثير في وقتها وفي غايتها وفي نتيجتها)[1].

ويضيف السّيد عند قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٦] أنّ هذه الروحيّة والمعنويّة لدى المجاهدين الصّابرين هي الّتي ترسّخ في ذهنيّتهم العبودية لله، وأنّهم مملوكون له، وراجعون إليه، وأنّ مصيرهم بيده، فيكون لها قيمتها وأثرها العظيم في نفوسهم ومشاعرهم، يقول السيد: **(هذه الخلاصة هي هذه، نحن لله فشيء في سبيله ليس هو مشكلة علينا في سبيله نحن له ونحن سننتهي في مسيرتنا بأن نرجع إليه، هذه العبارة جميلة جداً و ترسخ في ذهنيتك بأنك مملوك لله وأنت له وسترجع إليه، إذاً لم يكن هناك جديد بالنسبة لك نهائياً، أن نقول إن الآخرين أوقعوك في قضية هم يمكن أن يميتوك إذا تحركت في سبيل الله، معناه إذا ما تحركت ستخلَّد، وأنهم سيعذبونك، لكن إذا أنت لم تتحرك في سبيل الله فلن ينالك شيء؟ لا. إذاً فنحن لله ونحن راجعون إليه فما يأتي ونحن في سبيله هو مما يجعل له أثره الكبير في مقام الرجوع إليه ويوم نرجع إليه)**[2].

ويضيف السّيد عند قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ

(١) سورة البقرة الدرس الثامن.

(٢) سورة القرة الدرس الثامن.

﴿الْمُهْتَدُونَ﴾[البقرة:١٥٧] أنّ هؤلاء المجاهدون الصّابرون يحظون بصلوات من ربّهم، ورحمة، وهداية فيكونون هم محطّ رعاية الله في حركتهم ومسيرتهم الجهاديّة والعمليّة، مما يهيئهم ويساعدهم على القيام بمسؤوليتهم، وأداء مهامهم، فيمنحهم الله المجد والعزّة، والنّصر والرّفعة، ويهديهم الله لسبيل الحق، والطريقة الصحيحة، والغايات العظيمة في الحياة الدّنيا وفي الآخرة، يقول السيد: **(لاحظ العبارة هنا أن تأتي العبارة هذه بشكل صلوات، صلوات تعني الرعاية التي هي رعاية لمن هم في أداء مسؤولية، رعاية تسهل لهم النهوض بمسؤوليتهم مثل كلمة: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) عندما نؤمر أن نصلي على محمد وعلى آل محمد نحن ندعو الله أن يمنحهم ما يهيئ لهم النهوض بمسؤوليتهم فيمنحهم من الرفعة والعزة والتمكين ما يمكنهم من أن ينهضوا بالمسؤولية الملقاة على كواهلهم ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾[البقرة:١٥٧] الصلوات هي تفيد الرعاية يمنحهم مجدا يمنحهم رفعة يمنحهم عزة، تختلف كلمة صلوات عن أي شيء آخر، ورحمة يرحمهم في مسيرتهم، ورحمة الله مظاهرها كثيرة جداً في حياة الناس.**

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[البقرة:١٥٧] **هم المهتدون لسبيل الحق، هم المهتدون للطريقة الصحيحة هم المهتدون إلى ما يؤدي إلى الغايات العظيمة في الدنيا والغاية العظيمة في الآخرة وهي ماذا؟ الجنة ورضوان الله سبحانه وتعالى لا يجوز أن الناس يتساهلون يكون يتذكر الإنسان يتذكر دائماً لا يخاف، واحدة مما يجعل الإنسان يخاف عندما لا ينظر إلا إلى اتجاه واحد يكون عنده أن هذه الطريقة مليئة بالمشاكل والمصائب والسجون وأشياء من هذه وقد يقتل واحد، لكن تذكر الطريقة الثانية تذكر أنك قد تعاني معاناة شديدة ليست في سبيل الله ولا وراءها أي غاية جميلة بالنسبة لك، إذاً يجب أن نتذكر هذه الحالة ليعرف الإنسان أو ليصل إلى مسألة: أن لا يخشى إلا الله هذه نفسها من العوامل المساعدة على أن تقف موقف الحق على أن تكون حالتك النفسية حالة حق وصواب، ألم يقل هناك ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أليس من الحق ومن الصواب أن تكون على هذا النحو؟: أن لا تخشى غير الله)**[1].

(١) سورة البقرة الدرس الثامن.

ويضيف السّيد موضحاً كيف يقدّم الله هذه المسألة في القرآن الكريم، بالشكل الذي يرغّب الإنسان ويدفعه للشّهادة والصّبر في سبيل الله، فينطلق الإنسان في عمله، وصبره، وجهاده قويّاً لا يخشى إلاّ الله سبحانه وتعالى، ولا يخاف أحداً إلاّ الله، وهذا يبيّن لنا السّنة الإلهيّة في الهداية الّتي تسّهل أمامنا الوصول إلى الحقّ، وإلى الغايات العظيمة في الدّنيا والآخرة، وترغّبنا فيه، يقول السيد: **(لاحظ كيف قدم لك المسألة هنا بالشكل العظيم جداً، يدفع بك في الأخير إلى أن ترى فعلاً أنها قضية أفضل لي ألّا أخشى إلا الله؛ لأني عندما أقتل سأقتل في سبيل الله سأكون حيًّا، حيًّا في الجنة تتنعم من بعد ما تفارق اللحظة الأولى لتلقى الحياة هذه، أليست هذه الطريقة نفسها من عند ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾**[البقرة: من الآية١٥٤] إلى قوله في الأخير: **﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾**[البقرة: من الآية١٥٧] **تجعلك بالشكل الذي تشجعك على أن تكون لديك حالة الحق وهو أن لا تخشى إلا الله ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾**[المائدة: من الآية٤٤] **تبين لك السنة الإلهية بأن الله عندما يوجه إلى حق عندما يأمر بحق هو يعمل الأشياء الكثيرة التي تسهل عليك الوصول إلى ذلك الحق، فعندما يكون مطلوب منك، وهي قضية أساسية وقضية هامة أن يكون الإنسان هكذا لا يخشى إلا الله فانظر كيف عمل هنا بشكل يجعلك فعلاً لا تعد ترى بأنه صحيح أن تخشى غير الله وأنه خطأ أن تخشى غير الله؛ لأنه ما هي غاية أن يعمل بي غير الله؟ هو أن أقتل، أليس هكذا؟ هو أن يحصل نقص من جانبه علي أموال ثمرات يحصل شيء من الخوف أشياء من هذه كلها هذه فيما يتعلق بالقتل، بعده حياة في مقام رفيع أو تقع أشياء من هذه وراءها ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾. إذاً عندما يرجع واحد في الأخير يخشى غير الله يعتبر نفسه مخطئا هو في حالة غلط هو في حالة خطأ هو في حالة [دبور] كما نقول نحن، دبور)**[1].

الإنسان المؤمن يزداد إيماناً مع الشّدائد

وفي محاضرة "معنى التّسبيح" يبيّن السّيد كيف أنّ الإنسان المؤمن يزداد إيماناً مع الشّدائد، ويستفيد من أحداث ودروس الحياة، وخاصّة في الشّدائد والصّراعات فيزداد إيماناً، وقوّة، وحكمة، وبصيرة، وثقة بالله سبحانه وتعالى، فلا يبالي ولا يهتزّ، ولا يضعف، ولا يشكّ، ولا يرتاب مهما كان حجم التحدّيات والصّعاب، بل تزيده الأحداث مرونة، وصبراً، وتجلّداً،

(١) سورة البقرة الدرس الثامن.

فتعظم علاقته وثقته بالله، وقدرته واستعداده للتّضحية مهما كانت النّتائج، يقول السيد: **(الإنسان المؤمن، الإنسان المؤمن يزداد إيماناً مع الشدائد: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾** [آل عمران:١٧٣]؛ **لأن الحياة كل أحداثها دروس، كل أحداثها آيات تزيدك إيماناً، كما تزداد إيماناً بآيات القرآن الكريم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾**[الأنفال: من الآية٢] **كذلك المؤمن يزداد إيماناً من كل الأحداث في الحياة، يزداد بصيرة، كم هو الفارق بين من يسيئون الظن عندما تحصل أحداث، وبين من يزدادون إيماناً؟ وهي في نفس الأحداث، أليس الفارق كبيراً جداً؟.**

لماذا هذا ساء ظنه، وضعف إيمانه، وتزلزل وتردد وشك وارتاب؟ وهذا ازداد يقيناً وازداد بصيرة وازداد إيماناً؟! هذا علاقته بالله قوية، تصديقه بالله سبحانه وتعالى، وثقته بالله قوية، تنزيهه لله تنزيه مترسخ في أعماق نفسه، يسيطر على كامل مشاعره فلا يمكن أن يسيء الظن بالله مهما كانت الأحوال، حتى ولو رأى نفسه في يوم من الأيام وقد جثم على صدره [شمر بن ذي الجوشن] ليحتز رأسه كالإمام الحسين صلوات الله عليه)[1].

ويضرب لنا السّيد مثالاً بحادثة كربلاء، الّتي كانت حادثة مؤلمة جدّاً، ومع هذا رأينا كيف كانت معنويّات ونفسية الإمام الحسين وهو يواجه هذه الشّدائد، تلك الروحيّة والنفسيّة الّتي تدلّ على كمال وعيه، ويقينه، وثقته بالله، لأنّ المؤمن يكون همّه رضى الله، فينطلق في تلك الأعمال الّتي تحقق له رضى الله، مهما كانت النّتائج، يقول السّيد: **(حادثة كربلاء ألم تكن حادثة مؤلمة جداً؟ كانت كلمات الإمام الحسين فيها تدل على قوة إيمانه، كمال وعيه، كمال يقينه، بصيرته، كان همه من وراء كل ذلك أن يكون لله فيه رضى، ما دام وفيه رضى لك فلا يهمني ما حصل، وهذه هي نفسية المؤمن، نفسية المؤمن هو أن ينطلق في أعماله يريد من ورائها كلها رضى الله.**

رضى الله هو الغاية.. وإن وضع له أهدافاً مرحلية، وداخلية، هي ليست كل شيء لديه، ليست كل شيء لديه، فإذا لم يتحقق ذلك شك وارتاب، أن يجندوا أنفسهم لمعركة ما مع أعداء الله ثم ينهزمون، أو يرون أنفسهم مضطرين إلى أن يتصالحوا صلحاً مؤقتاً، فيرجعون بنفوس مرتابة

(١) محاضرة معنى التسبيح.

لماذا؟ ألم نسمع أن الله تعالى قال: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج: من الآية ٤٠] **لماذا، لماذا؟**[1].

المؤمن ينشد نصر القضيّة الّتي يضحّي من أجلها

المؤمن يكون هدفه وهمّه هو أن يحقق رضوان الله في حياته، وأن ينصر القضيّة الّتي يؤمن بها، ويضحّي من أجلها، فيبذل نفسه وماله في سبيل الله، وهو مستعدّ لأن يضحّي بنفسه في سبيل الله فيكون شهيداً عند الله من أجل دينه وقضيته المحقّة الّتي يتحرّك ويضحّي من أجلها فيكون دمه الذي يبذله، وروحه الّتي يضحّي بها هي الوسيلة المهمّة لتحقيق النّصر، يقول السيد: **(المؤمن هدفه هو أن يحصل على رضى الله، وأن يكسب رضى الله، وأن يكون في أعماله ما يحقق رضى الله، وأن النصر الذي يريده، النصر الذي ينشده هو نصر القضية التي يتحرك من أجلها، هي تلك القضية التي تتطلب منه أن يبذل نفسه وماله، فإذا كان مطلوب منك أن تبذل نفسك ومالك فهل ذلك يعني بالنسبة لك نصراً مادياً شخصياً؟ الذي يبذل ماله ونفسه فيقتل في سبيل الله، هل حصل نصر مادي له شخصي؟ هو انتصر للقضية، هو حصل على الغاية التي ينشدها، حتى وإن كان صريعاً فوق الرمضاء، ألم يصبح شهيداً؟ حظي بتلك الكرامة العظيمة التي وعد الله بها الشهداء، دمه ودم أمثاله، روحه وروح أمثاله، أليست هي الوسيلة المهمة لتحقيق النصر للقضية؟)**[2].

ويضيف السّيد أنّ المؤمن لا ينظر إلى نفسه، ولا يسعى لتحقيق النّصر الشّخصي لنفسه، ولمواقفه، وأهدافه الخاصّة، بل تكون نظرته ورؤيته كبيرة جدّاً، وقضيّته الّتي يجاهد ويضحّي من أجلها هي قضيّة الدّين بكله، والعمل لإعلاء كلمة الله ونصر دينه، وتكون مسيرته هي المسيرة الطويلة الّتي سيتحقّق لها النّصر عاجلاً أم آجلاً فتكون روحيّته مشدودة نحو الله، وثقته عظيمة بنصر الله، سواء على يديه، أو على يد المجاهدين من وراءه، يقول السيد: **(المؤمن لا ينظر إلى نفسه، النصر الشخصي، المقصد الشخصي، قضيته الخاصة، خِطته المعينة، موقفه الخاص، المسيرة هي المسيرة الطويلة: العمل على إعلاء كلمة الله، النصر لدين الله، في هذه المرة أو في المرة الثانية**

(١) محاضرة معنى التسبيح.

(٢) محاضرة معنى التسبيح.

أو في المرة الثالثة، إن لم يكن على يديك أنت فقد يكون على يد آخرين ممن هيأتهم أنت، وهكذا.. حتى تنتصر، ولا بد أن يتحقق النصر)[1].

ويؤكّد السّيد أنّ الشّهيد منتصرٌ عندما يسقط صريعاً في سبيل الله، لأنّه بذل ماله ونفسه في سبيل الله، وعمل ما يجب عليه أن يعمله، ولأنّه لا بدّ في مسيرة الدّين والقرآن الكريم أن يسقط شهداء في سبيل الله ولو على مستوى عظيم وكبير، وأنّ هذه التّضحيات هي الّتي تثمر نصراً، وعزّاً، وكرامة، فالمؤمن في مسيرته الجهاديّة لا يتراجع، ولا يضعف أبداً مهما حصل من تضحيات، ومهما سقط من شهداء، بل يستمرّ في حركته وجهاده حتّى يحقق الله إحدى الحسنيين إمّا النّصر وإمّا الشّهادة، لأنّ من يضطرب، ويضعف، ويهتزّ في الشّدائد، والحروب، والصّراعات هم ضعفاء الإيمان، وعديمو الثّقة بالله سبحانه وتعالى، يقول السيد: **(وأنت منتصر أيضاً عندما تسقط شهيداً في سبيل الله، أنت منتصر أيضاً، أنت عملت ما عليك أن تعمله فبذلت نفسك ومالك في سبيل الله، فأن يرى المسلمون، أو يرى المؤمنون بعضهم صرعى في ميادين الجهاد، كما حصل في يوم أحد، ألم يتألم رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **عندما رأى حمزة صريعاً؟ وصرع كثير من المجاهدين، ولكن هل توقف بعدها؟ لم يتوقف أبداً، وإن كانت تلك خسارة أن يفقد أشخاصا مهمّين كحمزة لكنه نصر للمسيرة، نصر لحركة الرسالة بكلها.. ولا بد في هذه المسيرة أن يسقط شهداء، وإن كانوا على أرفع مستوى، مثل هذا النوع كحمزة سيد الشهداء.**

المهم أننا نريد أن نقول: أنه في حالات الشدائد، في حالات الشدائد وهي الحالات التي يضطرب فيها ضعفاء الإيمان، يضطرب فيها من يفقدون نسبة كبيرة من استشعار تنزيه الله سبحانه وتعالى، الذي يعني تنزيهه عن أن يخلف وعده وهو القائل: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج:٤٠])[2].

(١) محاضرة معنى التسبيح.

(٢) محاضرة معنى التسبيح.

عوامل النّصر

يؤكّد السّيد على ضرورة أن يعمل النّاس على توفير عوامل النصر الّتي تتمثّل في شيئين اثنين هما: أوّلاً: أن يكونوا على مستوى عال من الوعي، والإيمان، والثّقة المطلقة بالله سبحانه وتعالى، ويتمتّعون بالروحيّة، والمعنويّات الجهاديّة والقتاليّة العالية الّتي ربّاهم عليها القرآن الكريم، وثانياً: أن يعملوا على توفير ما يستطيعون توفيره من الوسائل الماديّة، ومتطلّبات ومستلزمات الجهاد الّتي يقدرون على توفيرها، وإذا توفّرت هذه العوامل لدى فئة من النّاس فإنّهم سيحققون الإنتصارات الكبيرة فعلاً، يقول السيد: **(وفعلاً لو تتوفر عوامل النصر لدى فئة، تكون على المستوى المطلوب، ويوفرون أيضاً من الأسباب المادية ما يمكن أن يوفروه، لا شك أن هؤلاء سيحققون نصراً كبيراً)**[1].

ويوضح السّيد أنّ تحقيق النّصر لا يعني أن لاّ تحصل معاناة وشدائد في سبيل الله، ولا يحصل شهداء من المجاهدين وتضحيات، فهذا شيء لا بدّ منه في الجهاد، لكنّ المجاهد الواعي هو من تكون نفسه ومعنويّاته قويّة وعالية، ومستعدّ لتحمّل كلّ الشّدائد في سبيل الله، هو من يكون فاهماً للصّراع، وظروف وطبيعة، ومتطلّبات ميادين الجهاد، كما كان عمّار بن ياسر "رحمة الله عليه"، يقول السّيد: **(ولا يعني النصر: هو أن لا يتعبوا، أن لا يستشهد منهم البعض أو الكثير، ولا يعني النصر هو أن لا يحصل لهم من جانب العدو مضايقات كثيرة، ولا يعني النصر: هو أن لا يحصل منهم سجناء.. إنهم مجاهدون، والمجاهد هو مستعد لماذا؟ أن يتحمل كل الشدائد في سبيل الإنتصار للقضية التي من أجلها انطلق مجاهداً، وهو دين الله.**

عمار بن ياسر في أيام صفين كان يقول: والله لو بلغوا بنا سعفات هجر – أو عبارة تشبه هذه، قرى يشير إليها في البحرين – لعلمنا أننا على الحق وهم على الباطل، يقول: لو هزمنا معاوية وجيشه حتى يصلوا بنا البحرين لما ارتبنا أبداً في أنهم على باطل وأننا على حق.. إنسان واعي، إنسان فاهم، يعرف طبيعة الصراع، يعرف ميادين الجهاد التي تتطلب من هذا النوع، يحصل فيها حالات كر وفر، يحصل

(١) محاضرة معنى التسبيح.

حالات تداول في الأيام فيما بين الناس، يحصل كذا يحصل كذا)[1].

المجاهد في سبيل الله يكون مستعدّاً للتّضحية ولتحمّل كلّ الشّدائد

يوضّح السّيد أنّ المجاهد في سبيل الله ينطلق على أساس فهم ووعي صحيح للجهاد في سبيل الله، فيكون مستعداً لتحمّل الشّدائد، وواثقاً بالله، وفاهماً لمعنى نصره وتأييده، فلا تهمّه نفسه، ولا يبحث عن النّصر الشّخصي لذاته، ولو تطلّب الأمر أن يبذل نفسه شهيداً في سبيل الله، فإنّه لا يتردّد، ولا يتراجع، بل يجاهد من أجل الله وفي سبيله، فيكون همّه نصر القضيّة الّتي يتحرّك ويجاهد من أجلها، وأنّ المجاهد هو من تذوب وتتلاشى شخصيتّه، وكلّ الماديّات أمامه في سبيل الله، يقول السيد: **(فهو لا ينطلق على أساس فهم قاصر للمسألة، أن يفهم قول الله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ إذاً سيتحرك وبالتالي فلن يلاقي أي صعوبة، وأن معنى تأييد الله هو إمداد غيبي له بحيث لا يلاقي أي عناء، ليس هذا هو الفهم المطلوب، وأنت واثق من المسيرة التي تسير عليها أنها مسيرة حق، والمواقف التي تتحرك فيها أنها مواقف حق، هذا شيء مهم، ثم ثق، وعندما تثق هل تثق بنصرك شخصياً؟ يجب أن تلغى، وإلا فسيكون من ينظرون إلى أنفسهم شخصياً، أن يتحقق لهم شخصياً كل تلك الوعود فهم من قد يضطربون عند أول شدة يواجهونها.**

انظر لماذا تتحرك؟ هل أنت تتحرك في سبيل الله؟ ألم تكن هذه العبارة هي التي تكررت في القرآن الكريم بعد كلمة: ﴿يُجَاهِدُونَ ، جَاهَدُواْ، جَاهِدُواْ؟ فِي سَبِيلِ اللهِ ، في الله﴾ هذه هي الغاية، هو الهدف الذي من أجله أتحرك، أنا أتحرك في سبيل الله، وأن التحرك في هذا الميدان هو يتطلب مني أن أصل إلى استعداد بأن أبذل نفسي ومالي، أليس معنى ذلك إلغاء النظرة الشخصية والمكسب الشخصي؟ أن أتحرك في هذا الميدان لأحقق النصر لدين الله، والعمل لإعلاء كلمته وإن كان ذلك بماذا؟ ببذل نفسي ومالي، أليس معناها التلاشي؟ التلاشي المادي بالنسبة لي؟ وجودي، جسدي، وماديات أموالي، ما المعنى هكذا؟)[2].

(١) محاضرة معنى التسبيح.

(٢) محاضرة معنى التسبيح.

ويبيّن السّيد أنّ من تذوب شخصيّته ونفسيته في الله وفي سبيله هو من يحقّق النّصر، ويتحقّق له حتّى النّصر الشّخصي لنفسه، عندما يسقط شهيداً في سبيل الله، فيكون قد عمل ما يجب عليه أن يعمله في سبيل الله، ويكتب شهيداً عند الله فيكون قد تحقّق له النصرانِ، النّصر الشّخصي بالشّهادة في سبيل الله، ويتحقّق النّصر للقضيّة الّتي يجاهد من أجلها على أعلى مستوى، يقول السيد: **(إذاً فليس هناك مجال للتفكير في النصر الشخصي، كل شخص ينطلق على أساس أنه يريد أن يتحقق له النصر الشخصي، لا. ربما قد يكون مكتوب لك أن تكون من الشهداء، هذا هو النصر الشخصي، النصر الشخصي بالنسبة لك حتى لو لم تكتمل المسيرة، أو جُبن الآخرون من ورائك، أما أنت فقد حققت النصر، قمت بالعمل الذي يراد منك أن تقوم به، وبذلت كل ما بإمكانك أن تبذله، فأنت قد نصرت القضية على أعلى مستوى، وتحقق لك النصر، أوليس نصراً عظيماً أن تكتب عند الله من الشهداء الذين قال عنهم: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[آل عمران:١٦٩ - ١٧٠] **أليس هذا هو نصر؟)**[1].

على المؤمن أن يجعل حياته ومماته لله

وفي محاضرة (محياي ومماتي لله) يبيّن السّيد أنّ المؤمن هو من أمر أن يجعل حياته ومماته لله وفي سبيل الله، ولا يتحقّق له ذلك إلاّ من خلال أن يجنّد نفسه للجهاد في سبيل الله، ويسعى لطلب الشّهادة في سبيل الله، وهذا الشّعور الذي يعيشه الإنسان المؤمن، وهذه الروحية هي من الصّفات الملازمة للمؤمنين، كما بيّن الله في القرآن الكريم، فالإنسان المؤمن هو من نذر حياته ومماته لله، وهو من يسعى لنيل الشّهادة في سبيل الله، والمؤمنون هم من يَعرِضون أنفسهم للبيع من الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن للمؤمنين أن يكونوا ممّن يعلون كلمة الله، وينصرون دينه، ويكونون من أنصاره، إلاّ إذا كان لديهم هذا الشّعور، وهذه الروحيّة، فينذرون حياتهم ومماتهم لله وفي سبيله، يقول السيد: **(أمرت أن يكون مماتي لله أن يكون موت الإنسان لله هو عندما يجند نفسه لله سبحانه وتعالى، عندما يطلب الشهادة في سبيل الله، عندما يستعد للشهادة في سبيل الله،**

(١) محاضرة معنى التسبيح.

عندما يكون موطنا لنفسه أن يموت في سبيل الله..

لا أتصور معنى آخر يمكن أن يحقق للإنسان أن يكون موته لله إلا على هذا النحو وليس فقط أن يكون مستعدا، بل يسعى لأن يكون موته في سبيل الله، بأن يحظى بالشهادة في سبيل الله، وهذه هي صفة القرآن الكريم جعلها من الصفات اللازمة للمؤمنين أن لديهم هذا الشعور هو الشعور نفسه الذي نتهرب منه، هو الشعور نفسه الذي قد ينصحنا حتى بعض المتدينين به [بطِّل ما لك حاجة إمش على شغلك وعملك...] إلى آخره.

بينما القرآن الكريم الله سبحانه وتعالى يصف عباده المؤمنين بأنهم هم من يعرضون أنفسهم للبيع من الله عندما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[التوبة: من الآية ١١١] **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾**[البقرة: من الآية ٢٠٧] **وهذه الآية: ﴿إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**[الأنعام: ١٦٢] **أليس هذا يعني: أن المؤمنين هم دائماً يحملون هذا الشعور، هو: أنهم ينذرون حياتهم لله وأن يموتوا في سبيله.**

ولا يمكن للمؤمنين أن يعلوا كلمة الله، ولا أن يكونوا أنصاراً لله، ولا أن يكونوا بشكل أمة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ما لم يكن لديها هذا الشعور هو: أنهم نذروا حياتهم وموتهم لله، هو أنهم يريدون أن يموتوا في سبيل الله)[1].

ويضيف السّيد في نفس الدرس أنّ على المؤمنين أن يقتدوا برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) في مجال العمل في سبيل الله، وبذل أنفسهم في سبيل الله، وبذل جهدهم على أعلى مستوى في ميادين الجهاد والعمل في سبيل الله، وأن من لا يبذل حياته ومماته في سبيل الله سيفقد الكثير من الأعمال المهمّة التي يجب أن يقوم بها، وسيفقد أهمّ صفة من صفات أولياء الله المؤمنين، وهي أن يبيعوا أنفسهم من الله، وينذروا حياتهم وموتهم في سبيله، كما وضّح الله في القرآن الكريم، يقول السيد: **(الإنسان الذي يعلم أنه يجب عليه أن يقتدي برسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **يجب أن يقتدي به في كل هذه الأشياء التي أمر بها رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله)

(١) محاضرة محياي ومماتي.

ولو قلنا كما قد يقول البعض: بأن هناك أشياء تختص بالنبي، لكن أما في ميادين العمل فقد يختص بالنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) **هو أن يبذل جهده على أعلى مستوى، على أعلى مستوى، لكن ذلك لا يعني: بأن الآخرين ليس أمامهم أن يبذلوا جهودهم على أعلى مستوى.**

فما أمر به رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **نحن أُمرِنا بأن نقتدي به، فما هو في مجال العمل في سبيل الله لا نجد أن هناك خصوصيات للرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **في مجال العمل في سبيله إلا خصوصية - إن صحت العبارة - التكليف على أرقى مستوى، أن يبذل جهده على أعلى ما يمكن في سبيل الله.**

ولكن الآخرين من الناس لا زال المجال مفتوحاً أمامهم بأن يقتدوا به على أعلى درجة ممكنة، فنحن هنا في قوله تعالى: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام: من الآية١٦٢] **وهو يقول لرسوله أن يقول هكذا وأنه أمر بهذا، فلو قلنا بأن المسألة لسنا أو ليس مطلوباً منا أن نقتدي به فيها، فننذر حياتنا لله، وننذر موتنا لله سترى ماذا سيحصل! أنه أنت إذا لم تكن ناذراً لحياتك لله ولم تكن ناذراً لموتك لله فإنك ستبتعد عن أشياء كثيرة جداً جداً من الأعمال التي يجب عليك أن تؤديها، وأنك أيضاً ستفقد صفة من الصفات التي فرضها القرآن الكريم كصفة لازمة لأولياء الله هي: أنهم باعوا أنفسهم من الله)**[1].

ويؤكّد السّيد أنّ هذه الصّفة ليست من المسائل الّتي اُختصّ بها رسول الله فقط دون سواه من المؤمنين، بل هي صفة مطلوب من كلّ المؤمنين أن يصلوا إليها، وأن يتحلّوا بها، وأن يسعوا لتحقيقها، فالمؤمن هو من يبذل حياته ومماته في سبيل الله، وهو من يبيع نفسه من الله أوّلاً، فيجاهد ويعاني، ويبذل مهجته لله وفي سبيله، يقول السيد: **(فلو أنها مسألة مختصة بالرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **لما ذكرها في مقام آخر من الصفات التي أثنى على عباده المؤمنين بالتحلي بها ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾** [التوبة:١١١].

(١) محاضرة محياي ومماتي لله.

كذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[البقرة:٢٠٧] **لاحظوا كيف هذه الآية تؤكد أن المسألة هي أيضاً من الرحمة والرأفة التي مَنَّ الله بها على عباده ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ باع نفسه من الله ليقتل في سبيله، ليعاني في سبيله، ليتعب في سبيله، ليبذل مهجته في سبيله قال بعدها: ﴿وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ هو رؤوف بهم إلى درجة أنه فتح أمامهم أن يستثمروا موتهم)** [1].

ويبين السيد أن هذا من الرأفة والرحمة من الله بعباده أن فتح لهم المجال ليبيعوا أنفسهم في سبيله، وينذروا حياتهم له، ويستثمرون موتهم في سبيله، وابتغاء مرضاته، ومن رحمة الله ورأفته أن فتح بابا للمؤمنين لينالوا رضوانه، ويحظوا بالنعيم الدائم، والسعادة الأبدية في الجنة، إضافة إلى ما يتجلى من رحمة الله في الدنيا بعباده المؤمنين المجاهدين الذين باعوا أنفسهم منه يقول السيد: **(ما معنى رؤوف بهم؟ أنه يعني: حصل هذا منهم وهو لا يريده منهم وإنما هكذا غامروا بأنفسهم وإلا فهو رؤوف بهم لا يريد أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه من شراء أنفسهم منه وبيع أنفسهم ابتغاء مرضاته؟!.**

إن الرأفة والرحمة بالإنسان تتحقق بأن الله يفتح أمامه مجالات واسعة ومتعددة ليحصل على القرب منه، ليحظى بالقرب منه، ليحظى برضوانه، ليحظى بالنعيم الدائم في الجنة، ليحظى بالسعادة الأبدية في الجنة، هذه هي الرحمة، إضافة إلى مظاهر الرحمة في الدنيا التي تتحقق للإنسان في هذه الدنيا وهي كثيرة جداً.

فالمسألة إذاً مما لا يمكن أن نقول بأنها مما هي مختصة بالرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **فإذاً فما دام أن الرسول قد أمر فنحن كذلك مأمورون بأن ننذر حياتنا لله، وننذر مماتنا لله، وحينئذ بعد هذه الآية كل من يحاول معك أن يقعدك عن عمل أن يخوفك أن يثبطك فافهم بأنه يعمل على أن يحول بينك وبين أن تؤدي هذا الأمر الإلهي الذي هو شرف عظيم لك، ونعمة عظيمة عليك أن تنذر موتك لله، أن تنذر حياتك أولاً وتنذر موتك ثانياً لله سبحانه وتعالى، وما أكثر ما**

(١) محاضرة محياي ومماتي لله.

يحصل هذا)[1] .

ويبيّن السّيد أنّ المسألة خطيرة جدّاً في هذا الزّمن وخاصّة على الشباب، فمن لم يكن بهذا المستوى، ويجنّد نفسه، وينذر حياته ومماته في سبيل الله ومن أجل الله فإنّه من ستكون حياته، ويجنّد نفسه، ويكون مماته في سبيل أمريكا، ومن أجل أمريكا واسرائيل وعملاءهم، بأيّ شكل كان، وبأيّ طريقة كانت، يقول السيد: **(مثلاً في هذا الزمن والكثير منكم شباب فيما أعتقد إذا نظرنا إلى أمثال لكم في معسكرات في مناطق أخرى مشى بهم الحال وسوء الحظ إلى أن تنذر حياتهم - سواء رضوا أو لم يرضوا تنذر حياتهم في سبيل من؟ في سبيل أمريكا، في سبيل إسرائيل.**

والبشر الآن.. الشباب الآن.. أنتم الشباب بالذات أمام مرحلة فيما أعتقد: إما أن يكون الإنسان قد رسم لنفسه أن تكون حياته وموته لله، وإلا فستكون حياته وموته من أجل أمريكا، هذه القضية الشباب مقبلون عليها، ستكون ممن ينذر حياته لأمريكا وأنت في معسكر فتكلف أن تخرج ضمن حملة على منطقة معينة يقال: فيها إرهابيون، أو تكون أنت معلم ممن يجمد الناس، ويهدئ الناس، ويثبط الناس، ألست هنا تعمل لمصلحة أمريكا؟ أو تكون أيضاً ولست معلماً وأنت إنسان عادي ينطلق من فمك كلمة مع هذا، وكلمة مع ذاك: [بطل ما لنا حاجة با تكلفوا علينا لاحظ ما حصل في أفغانستان!] أليس هذا العمل الذي يؤدي بالناس إلى القعود إلى الخنوع، أليس خدمة للأعداء؟ فتكون أنت قد نذرت حياتك في سبيل أمريكا، وستموت في سبيل أمريكا، يكون موتك خدمة لأمريكا لأنه لم يكن موتك مؤثراً عليها)[2] .

وفي هذه المرحلة الخطيرة الّتي بلغ الصراع فيها ذروته، وتعدّدت فيها التجاذبات والإستقطابات، يبيّن السّيد أنّ المسألة خطيرة جدّاً، نحتاج فيها إلى أن نتفهّم أهمّية وخطورة هذه المسألة، فنعرف المنهج والصراط الذي نسير عليه في بيعنا لأنفسنا من الله، وبذلنا لأرواحنا في سبيله، حتّى لا نكون جنودا ننطلق ونتحرّك في خدمة أمريكا واسرائيل، وخاصّة أنّ لديهم القدرة الكبيرة على تثقيف النّاس بالشكل الذي يخدمهم، ويجعل النّاس يندفعون وينطلقون

(١) محاضرة محياي ومماتي لله.

(٢) محاضرة محياي ومماتي لله.

كجنود لهم، وفي سبيلهم سواء شعروا أم لم يشعروا، والواقع الآن يشهد بهذا، فنحن نرى عشرات بل مئات الآلف ممّن ينطلقون، ويضحون، ويبيعون أنفسهم من أمريكا واسرائيل، في اليمن، وفي سوريا، وفي العراق تحت راية ومظلّة تلك الحركات الّتي أنشأتها أمريكا واسرائيل، كالقاعدة، وداعش، وغيرهم من العملاء، سواء بشكل أنظمة، أو حركات وكيانات، وجماعات، يقول السيد: **(فالإنسان إذا لم يتفهم من الآن ونحن في مقتبل هذه المرحلة والكثير منكم في مقتبل العمر لا زالوا شبابا طلابا، اليهود عندهم قدرة أن يثقفوا الناس وأن يعملوا الأشياء الكثيرة حتى يجعلوا الناس ينذرون حياتهم لهم، فالجندي يتحرك بغضب وشراسة، ويضرب بيت أخ مسلم له.. يقتل.. يدمر.. ينهب، وهو في نفس الوقت، - سواء فهم أو لم يفهم - إنما يخدم أمريكا.**

وهكذا تصبح قضية؛ لأن المجال فيها واسع يمكن للمعلم، يمكن للمرشد، يمكن للوجيه، يمكن للتاجر يمكن حتى التاجر نفسه سيخرج من أمواله مبالغ كبيرة خدمة لأمريكا.

والله سبحانه وتعالى يريد منا - لأنه رحيم بنا - أن نفهم بأنه يجب أن ننذر حياتنا له، فمتى ما نذرت حياتك لله خاصة وأنت تعرف النهج الذي تسير عليه وتعرف الصراط المستقيم الذي يجسد ما أنت عليه من أنك قد نذرت حياتك لله سبحانه وتعالى وحينئذ لن تسير على طريق آخر، لن تجعل حياتك في خدمة الطغيان لن تجعل حياتك في خدمة أعداء الله سبحانه وتعالى)[1].

ويبيّن السّيد أنّ من ينذر حياته لله، ويتّخذ القرار بأن يجعل موته في سبيل الله، هو من سينطلق في ميادين الجهاد في سبيل الله، والعمل على إعلاء كلمة الله، ونصر دينه، لأنّه قد باع نفسه من الله، ولم يعد خائفاً من الموت، ولا متشبّثا بالحياة، فمن القرارات الحكيمة في مسيرة الإنسان أن يستثمر موته، وينذره في سبيل الله، يقول السيد **(إذا كنت أيضاً قد نذرت موتك لله فأنت من سينطلق في سبيل إعلاء كلمة الله في نصر دين الله في دفع أعداء الله في محاربة أعداء الله؛ لأنك لم يعد لديك خوف من الموت، أنت قد اتخذت لنفسك قراراً أن تستثمر موتك، وأنك قد**

(١) محاضرة محياي ومماتي لله.

نذرت موتك لله.

وهذه القضية إذا تأملها الإنسان سيرى بأنها قضية من الحماقة أن لا تحصل لدى أي إنسان منا، من الحماقة أن لا يكون أي مؤمن قد نذر موته لله لماذا؟ لأن الموت قضية لا بد منها أليس كذلك؟ الموت قضية لا بد منها، وستموت إما بالموت الطبيعي أو تموت على يد أعداء الله إذا كان الأمر على هذا النحو فقد يكون الخوف لدى بعض الناس ليس لتصوير الألم، ليس لاستشعار أن هناك ألم، وإنما لاستشعار أنه يريد أن يبقى حيا، يتشبث بالحياة، يحس بالحياة، لا يريد أن يدخل في غيبوبة مطلقة)[1].

الله قد منح الشّهيد الحياة الأبديّة

يبيّن السّيد أنّ الله سبحانه وتعالى قد منح الشّهيد الحياة الأبديّة منذ أن تفارق روحه جسده، كما قال الله وبين في القرآن الكريم، فمن كان يخاف من الموت فعلاً، ومن يريد ألّا يموت، عليه أن يبذل نفسه في سبيل الله، ويسعى لنيل الشّهادة في سبيل الله، فيكون حيّاً يرزق عند الله سبحانه وتعالى، يقول السيد: **(فالمسألة إذاً: الله سبحانه وتعالى قد منح الشهيد الحياة الأبدية منذ أن تفارق روحه جسده عندما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾** [آل عمران:١٦٩].

إذاً فالخسارة الحقيقة هي: أن يكون الإنسان متهرباً من الحياة الأبدية، إذا كنت تخاف من الموت؛ فإن المفترض منك هو أن تكون ممن يحرص على أن يكون حياً فلا يدخل في غيبوبة مطلقة من بعد أن تفارق روحه جسده، ستكون حياً)[2].

ويخلص السّيد إلى قضية وخلاصة مهمّة وهي أن نجعل حياتنا، ومماتنا، وصلاتنا، ونسكنا لله وفي سبيله، وهذه هي طريق الجنّة الّتي رسمها الله لعباده، والّتي أمرنا أن تقتدي فيها برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وسلم، ومن يسلك طريقة أخرى غير هذه الطريقة الّتي

(١) محاضرة محياي ومماتي لله.
(٢) محاضرة محياي ومماتي لله.

توصله إلى الله، وإلى الجنة، فلا فائدة من حياته، ولا من موته، ولا من صلاته، ولا علمه، ولا عبادته، يقول السيد: **(من هذا نخلص إلى قضية باعتبارنا طلاب علم، وأن طالب العلم إذا لم يكن يريد من وراء طلب العلم هو أن يكون على هذا النحو: أن تكون صلاته وأن يكون نسكه وأن تكون حياته وأن يكون موته لله رب العالمين فلا فائدة في علمه، لا فائدة في حياته، لا فائدة من موته، لا فائدة في عبادته.**

أنت كطالب علم يجب أن تضع هذا نصب عينيك: لماذا أريد أن أطلب العلم؟ أنا أريد أن تكون عبادتي لله، وأن تكون حياتي لله، وأن يكون مماتي لله، علم آخر يصرفك عن هذا فليس العلم الذي هو عبادة لله، ليس العلم الذي تفرش الملائكة أجنحتها لطالبه، ليس العلم الذي من سلكه سلك طريقاً إلى الجنة.. هذه طريق الجنة التي أُمرَ بها الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **الذي أمرنا بأن نقتدي به، وأن نقتفي آثاره، وأن نسير على نهجه، ونسير بسيرته، ونتحلى بأخلاقه، هذه قضية)**[1].

وفي مديح القرآن الدّرس السّابع يؤكّد السّيد أنّ الشّهداء هم من ربحوا حياتهم، وربحوا موتهم في هذه التّجارة الرابحة مع الله سبحانه وتعالى، فيعيشون في حياة دائمة عند الله كلها رزق، وفرح، واستبشار، وسعادة دائمة بكلّ ما تعنيه الكلمة، يقول السيد: **(معروف بالنسبة للشهداء؟ ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ﴾**[آل عمران١٦٩] **لماذا؟ لأنه بذل روحه، الله ما يريد أن يكون أحد خاسر معه، يعيد له روحه، ويكون مرتاح في حياة أفضل من الحياة التي فارقها، في فرح، ورزق، مثلما قال في الآية: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ﴾**[آل عمران١٧٠] **هنا رزق، وفرح، واستبشار، بكل ما تعنيه الكلمة)**[2].

وفي سورة آل عمران الدرس السّادس عشر من دروس رمضان يبيّن السّيد أنّ من النّعم الكبيرة على الإنسان، أن فتح الله له باب الجهاد في سبيل الله، فيستثمر الإنسان موته ويجعله في سبيل الله، فيحظى بمقام الشّهادة، ويكون في موت الإنسان فضل عظيم، ودرجة رفيعة له،

(١) محاضرة محياي ومماتي لله.

(٢) مديح القرآن الدرس السابع.

ويبيّن السّيد بأنّ الشّهداء ليسوا أمواتاً، ولا يصحّ أن نسمّيهم أمواتاً، لأنّهم هم من يقهرون الموت حقيقة، يقول السيد: **(هنا يبين بالنسبة للناس بشكل عام بعد الحديث عن الجهاد وعن قتلى في سبيل الله وعن جرحى وأشياء من هذه، بأن يفهم كل إنسان بأنه سيموت، لتعرف بعد بأنه نعمة عظيمة كبيرة عليك أن يفتح لك باب جهاد في سبيل الله فتستغل موتك، تستثمر موتك فتحظى بالشهادة، وإلا كل واحد سيموت وإذا أنت ستموت لا شك، فأين أفضل لك تموت هكذا، أو يكون موتك له فائدة بالنسبة لك، أليس أفضل للإنسان أن يكون موته يكون فيه فضل عظيم ودرجة رفيعة له؟ بل يقهر الموت نفسه؛ لأن الشهيد عندما يقول الله: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾**[البقرة: من الآية ١٥٤] **لا تسموهم أمواتاً، وليسوا بأموات إنما هي نقله بسرعة أليس هؤلاء استطاعوا أن يقهروا الموت وأن لا يكونوا أمواتاً؟)**[1].

الشّهداء أحياء عند ربهم لا يموتون

ويضيف السّيد عند قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: من الآية ١٦٩ - ١٧١] مبيّناً أنّ هذه الآية تبيّن عظمة وفضل الشّهادة، ومقام وفضل الشّهداء، فلا يصحّ أن نحسبهم أو أن نقول لهم أمواتٌ، بل هم أحياءٌ عند الله في حياة حقيقيّة، يرزقون، ويستبشرون بهذه الصّفات، الّتي تدلّ على الحياة الحقيقيّة الكاملة، الّتي لا يوجد فيها خوف ولا حزن، بل فرح، وأمن، واستبشار بإخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم بعد، وهم لا زالوا في نفس طريق الجهاد والشّهادة، يقول السيد: **(في هذا يتبين عظمة الشهادة، وفضل الشهادة في سبيل الله، الذين قتلوا في سبيل الله؛ لأنهم في الواقع والمنافقون يقولون: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾**[آل عمران: من الآية١٦٨] **هؤلاء الذين تقولون ما قتلوا هم حظوا بفضل عظيم ومقام رفيع، درجة عالية.**

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ﴾[آل عمران: من الآية١٦٩] **هم أحياء ما**

(١) سورة آل عمران الدرس السادس عشر.

يقال لهم أموات ولا تظن بأنهم ماتوا، هم أحياء بما تعنيه الكلمة عند ربهم، الله أعلم في أي مكان، في الجنة، أو في كوكب آخر الله أعلم أين، المهم أنهم في مكان، وبالطبع عندما يقول: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[آل عمران: من الآية١٦٩] **أنه مكان رفيع، ومكان يعني قد تكون الجنة أو شيء كالجنة، إذا قلنا الجنة قد خلقت أو ما خلقت كما يقول البعض، ﴿يُرْزَقُونَ﴾**[آل عمران: من الآية١٦٩] **على ما يبدو أنها حياة كاملة، حياة حقيقية، يرزقون، ﴿فَرِحِيْنَ﴾**[آل عمران: من الآية١٧٠] **﴿وَيَسْتَبْشِرُوْنَ﴾**[آل عمران: من الآية١٧٠] **أليست هذه عبارات تدل على الحياة الحقيقية؟ أيضاً مستبشرين بالنسبة لمن بعدهم من الناس المؤمنين الذين يجاهدون في نفس الطريق التي هم استشهدوا فيها أنهم ناس ﴿أَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُوْنَ﴾**[آل عمران: من الآية١٧٠] **لا يُخاف عليهم ولا حزن عليهم من أي طرف كان، أنها طريقة فيما لو حصل على أحد منهم، فيما لو حدث أن يقتل، أنه ماذا؟ سيلحق بهم وينال هذه الدرجة العظيمة عندما يقتل في سبيل الله)**[1].

ويؤكّد السّيد أنّ هذه الآية جاءت بعد حديث عن المنافقين الذين يُلقون بالقول الذي يتلوّم على الشّهداء الذين قتلوا في سبيل الله، فجاءت هذه الآية لتفنّد بطلان رؤيتهم ومقولتهم، وتعطينا منهجاً في التّعامل مع المنافقين الذين يثبّطون عن الشّهادة والقتال في سبيل الله، أو من ينطلق ليثبّط عن الشّهادة، ولو من منطلق النّصيحة، يقول السيد: **(أن تكون هذه الآية في مقام بعد الحديث عن المنافقين ﴿لَوْ أَطَاعُوْنَا مَا قُتِلُوْا﴾**[آل عمران: من الآية ١٦٨] **أليس فيها تفنيد لرؤيتهم هم؟ تفنيد لرؤيتهم؛ لأنه عندما تقول: [أنه مَا مِنّ قُتِلُوا] لكن لاحظ القتلى أين هم، إذاً فأنت عندما تعتبر أن رؤيتك صحيحة، وكان أفضل لهم أن لا يقتلوا معناه عندك أنت أن الأفضل لهم أن لا ينالوا هذه الدرجة الرفيعة، هذه الحياة الأبدية عند الله، يرزقون، فرحين، مستبشرين، إذاً معناه أنه لا قيمة لكلامه ويجب أن يواجه بمثل هذا في أي ظرف يكون الناس فيه يواجه المنافقون بكلام شبيه بهذا بما تضمنته هذه الآية وغيرها من الآيات عندما يقول: [أترك وليس لك دخل ما بلاّ، و... و... و... إلى آخره] تقول له في الأخير: فيما لو وقع عليَّ شيء من هذا، فيما لو قتلت في سبيل الله، أليست فضيلة عظيمة ودرجة عالية؟ إذاً فأنت تحاول أن تحول بيني وبين ما هو فضل عظيم وبين ما هو حياة ليس فيه موت على الإطلاق إلا مجرد الإنتقال، الإنتقال فقط قد يكون لحظات.**

فهل يمكن أن يكون ناصحاً أو يكون رأيه صحيحاً وصائباً من تكون توجيهاته تحول بين الإنسان

(١) سورة آل عمران الدرس السادس عشر.

وبين مقام رفيع وفضل عظيم؟ أبداً، لا يمكن أن يسمى ناصحاً وإن كان هو ناصح في نفس الوقت لكن منطقه ليس منطق الناصح ولا يعرف كيف ينصح، قد يصدر مثلاً من قريب لك يوجهك تترك وأشياء من هذه، لكن يجب أن تفهم بأن ما يقوله هو وإن كان من واقع النصيحة، لكنه في الواقع لا يعرف النصيحة، لو يعرف هذا الفضل العظيم - إذا كان ناصحاً لك - المفروض بأن يدفعك إلى أن تناله، أما إذا كان منافقاً توبخه توبيخاً)[1] .

ويضيف السّيد عند قوله تعالى: ﴿**يَسْتَبْشِرُوْنَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيْعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ**﴾[آل عمران: الآية ١٧١] أنّ القرآن يؤكّد أنّ الشّهيد قد حصل على حياة أرقى وأفضل من هذه الحياة الدّنيا، وأنّ الشهيد في نعمة عظيمة حيث قد ضمن مستقبله، وعرف أنّه من أهل الجنّة، فأمن من عذاب الله، ومن جهنّم، وهذه في حدّ ذاتها من أعظم النّعم الّتي لا ينالها ويحصل عليها إلا الشّهداء فقط، يقول السيد: **(إذاً بدل الحياة حصل لهم حياة أفضل، وبدل هذه الحياة على الأرض حياة في عالم آخر أرقى وأفضل، ويكفي أن فيها الأمن يكفي الإنسان الأمن أن يعرف بأن مصيره أصبح مصيراً مضموناً، أنه من أهل الجنة ولا خوف عليه ولا حزن هذه في حد ذاتها تعتبر نعمة كبيرة جداً؛ لأن الإنسان في الأرض هنا يكون قلقاً يعني ما يعرف كيف قد تكون نهايته، ما عنده ضمانة مؤكدة تماماً، بأنه إلى الجنة وإن كان في طريقها، لا يعرف كيف تكون النهاية بالنسبة له، أما الشهيد فهو حيّ وقد عرف أنه من أهل الجنة وفي نفس الوقت هو في جنة، الجنة الحقيقية، أو جنة أخرى، لم يعد هناك موت بالنسبة له، ولم يعد هناك قلق بالنسبة له على الإطلاق هذه الحالة لوحدها تعتبر نعمة كبيرة جداً أنه قد أمن عذاب الله قد أمن جهنم، قد أمن من سوء الحساب قد أصبح يقطع بأنه من أهل الجنة)**[2] .

من ينطلقون في سبيل الله لا يخسرون أبداً

يبيّن السّيد أنّ من ينطلقون ويتحرّكون في سبيل الله لا يخسرون أبداً، وأنّ الخسارة الحقيقيّة هي أن يهان الإنسان، وتتعرّض حياته للتّدمير والتّعذيب، وأن يضحّي، وأن يقتل، وهو لم

(١) سورة آل عمران الدرس السادس عشر.

(٢) سورة آل عمران الدرس السادس عشر.

يعمل شيئاً في سبيل الله، وفي مواجهة أعداء الله، فيقع في الخسارة الحقيقيّة في الدّنيا والآخرة، يقول السيد: **(إن الخسارة هي أن يكسر عظام الإنسان على أيدي اليهود وهو بعد لم يعمل ضدهم شيئا، هذه هي الخسارة، إن الخسارة هي أن يدمر بيتك على أيدي أعداء الله وأنت ممن كنت لا تعمل ضدهم شيئا، هذه هي الخسارة، حينها سيكون كل ما نالك عقوبة، والعقوبة لا أجر عليها، لا أجر معها، أليست هذه هي الخسارة الحقيقية؟ لكن ليحصل مثل هذا، أو أكثر منه، أو أقل منه في سبيل الله لن يكون خسارة؛ لأنه يكتب لك عمل صالح، مضاعف الأجر عند الله ثم وبناء على هذه القاعدة الإلهية أنه لو وصل الأمر إلى أن تضحي بنفسك ألم تنفق نفسك حينئذ في سبيل الله؟ يقول لك: لن تخسر أبدا حتى روحك وستعود حيا، ألم يقض بهذا للشهداء؟ ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾**[البقرة:١٥٤]، **﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾**[آل عمران:١٦٩]**)**[1].

ويؤكّد السّيد أنّ من يبذلون أنفسهم فيقتلون في سبيل الله لا يخسرون مع الله أبداً، بل إنّ الله سبحانه وتعالى يكرّم الشّهيد في سبيل الله فيعيد إليه روحه مباشرة، فيعيش حيّاً بكلّ مشاعره، يرزق، ويفرح، ويستبشر، لأنّه بذل نفسه وضحّى بها في سبيل الله ومن أجله، وأنّ الخسارة الحقيقيّة هي خسارة من يتهرّبون من الجهاد والشهادة في سبيل الله، فيؤدّي بهم واقعهم إلى أن يخسروا أنفسهم يوم القيامة، ويؤكّد السّيد أنّ من يتهرّبون ويخافون من الموت، فيحرصون على حياتهم، وأعمارهم، وسلامتهم هم من يموتون حقيقة، ويضيعون في التّراب، أمّا الشّهداء فهم أحياءٌ عند ربّهم يرزقون، فيقول: **(لأنك من بذلت نفسك في سبيله، وعلى أنه لا خسارة في التعامل معه سيعيد لك روحك، وتعيش حيا ترزق بكامل مشاعرك، وتفرح، وتستبشر بما أنت عليه، وبمسيرة الآخرين ممن يسيرون على نهجك، أنهم يسيرون على طريق حق، وعلى صراط مستقيم، وأن من سيلحق بعدك من إخوانك سينال ما نلته أنت من التعظيم، ومن الحياة في ذلك العالم، حياة مليئة بالفرح والسرور، هل هناك خسارة؟.**

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الخامس.

بل أليس الناس يموتون؟ هذه هي الخسارة أن تموت ثم لا يكون في موتك إيجابية بالنسبة لك، ليس في موتك أي استثمار لك، وهذه هي الخسارة الحقيقية، هكذا يعلمنا الله بأن كل من ينطلق في سبيله لن يخسر أبدا، وأن الخسارة هي خسارة أولئك الذين قد يكون واقعهم يؤدي بهم إلى أن يخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ومن يهربون من الموت في الدنيا، هم من يموتون حقيقة، هم من يضيعون في التربة حقيقة، أما الشهداء فإنهم لا يموتون، أوليس كذلك؟.

فكل من يخاف من الموت هو الخاسر، هو الذي يريد أن يموت، هو من سيكون موته لا قيمة له، إذا كنت تكره الموت فحاول أن تجاهد في سبيل الله، وأن تقتل شهيدا في سبيله)[1].

ويؤكّد السّيد أنّ كلّ ما يقعد النّاس عن الجهاد، والعمل، والشّهادة في سبيل الله، هي المفاهيم والثقافات المغلوطة البعيدة عن القرآن الكريم، ورؤيته ومنهجيّته الجهاديّة والتّربويّة، فتراهم يتهرّبون عن الجهاد والشهادة في سبيل الله، ويبحثون عن الحيل والمبرّرات، يقول السيد: **(وكلما يقعد الناس عن العمل في سبيل الله إنما هي مفاهيم مغلوطة، كلها وضعية غلط، وكله فهم غلط حتى من يرى أن هناك ما يبرر له قعوده عن أن يجاهد أعداء الله؛ لأنه عالم اكتشف على أساس قواعد [أصول الفقه] أن بإمكاني أن لا يجب هذا الواجب عليّ، وأن يكون تعاملي مع الله محدودا، أستطيع أن أبحث عن الحيل التي تخلصني من أن يجب هذا الواجب عليّ، أليس هو سيموت؟)**[2].

من الحماقة أن يتهرّب الإنسان من الشّهادة في سبيل الله

وينصح السّيد كلّ من يتهرّبون عن الجهاد والشّهادة في سبيل الله، ويبحثون عن مبرّرات القعود والتّنصل، أن يستغلّوا الفرصة، فيستثمرون موتهم ويجعلونه لله وفي سبيله، ليحظوا بهذه الكرامة والفضل العظيم، كرامة وفضل الإستشهاد والشّهادة في سبيل الله، مبيّناً أنّ ما يدفعهم للبحث عن حيل ومبررات القعود هو حبّ الحياة، والخوف من الموت، يقول السيد: **(لماذا تهرب عن هذه الكرامة العظيمة، وربما قد تكون أنت من قد عشت في الدنيا عشرات السنين**

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الخامس.

(٢) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الخامس.

ومتعت بما متعت في الدنيا، حاول أن تستثمر موتك، لا تبحث عن الحيل، لا تبحث عن المبررات، إنك من يجب لمثله أن ينطلق ليحظى بهذه الكرامة؛ لأن - في العادة - الإنسان لا يبحث عن المبررات وعن الحيل ليقعد، أو لينطلق ليصنف أعمال الآخرين بأنها أعمال حمقاء، أو أنها باطلة كله: الخوف من الموت، هل أنت تخاف من الموت؟ هل أنت تكره الموت؟ حاول أن تعيش حيا، حاول أن تكون ممن قال الله لنا ومنعنا عن أن نسميهم أمواتا، الموت ملغي من قائمتهم ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾[البقرة:١٥٤] **ليسوا أمواتا إنهم أحياء ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾ ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾**[آل عمران:١٦٩].

ويبيّن السّيد أنّ الحماقة، والخسارة الكبيرة في الدّنيا والآخرة، هي أن يبحث الإنسان عن مبرّرات القعود، ويتهرّب من الجهاد والشهادة في سبيل الله، فيخسر حياته ويموت فعلاً الموت الّذي لا قيمة له، ولا فائدة منه، وأمامه فرصة استثنائيّة في الحياة، فرصة أن يستثمر موته فينطلق مجاهداً، وشهيداً في سبيل الله، فلا يموت حقيقة، وإنّما يرتقي إلى حياة أفضل، ومقام رفيع عند الله، فيبقى حيّاً الحياة الحقيقيّة الّتي ملؤها السّعادة، والفرح، والسّرور، والإستبشار، والنّعيم الدّائم، يقول السيد: **(إن الحماقة هي هذه، وهذه هي الخسارة: أن يتهرب الإنسان عن الربح العظيم في الدنيا وفي الآخرة، يتهرب عن الحياة، أليس الشهيد حيا؟ أنت تتهرب عن الحياة خوفا من الموت، وهذا من أغرب الأشياء، أنا أخاف من الموت فلا يدري الإنسان وإذا به قد وقع في الموت الحقيقي، الغيبوبة المطلقة إلى يوم الدين، أما الشهيد فهي لحظة، قد تكون لحظة ربما قد لا تكون إلا دقائق معدودة، وقد لا يكون فعلاً هناك فاصل، فهو حي، وحياة يراها أفضل من الحياة التي كان فيها)**[1].

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الخامس.

المحـــــور الثّامن

- المشروع الوحدويّ القرآني.
- الوسطيّة في الإسلام.

المشروع الوحدويّ القرآني

موضوع الوحدة الإسلاميّة، أو التّوحد، من أهمّ المواضيع السّاخنة في هذه المرحلة من تاريخ الأمّة الإسلاميّة الّتي يتكالب عليها فيها الأعداء من كلّ حدبٍ وصوب، من الدّاخل، ومن والخارج، لأنّ الأمّة قد وصلت إلى أسوأ حالات التّفرق، والشّتات، والخلاف، والاختلاف، وفي هذه المرحلة الحرجة والخطيرة بات لدى الجميع قناعة تامّة أنّ سوء هذا الوضع الذي تمرّ به الأمّة المسلمة هو بسبب تفرّقها وتمزّقها، وبات لدى الجميع قناعة راسخة بضرورة الوحدة والتّوحد، وأنهّ لا حلّ، ولا مخرج، ولا فرج، إلاّ إذا توحدّت الأمّة، واجتمعت كلمتها، واجتمع أمرها، وتوحدّ قرارها، وموقفها، وكلّ جماعة، وحركة، ومذهب، وطائفة، وكلّ داعية، وعالم، ومرجع، وقائد، ومفكّر، وزعيم، وملك، كلّهم ينادون بالوحدة، ويدعون إليها، ويقدّمون الخطط، والتّنظيرات، والمشاريع الوحدويّة للأمّة، وشُكّلت الإطارات والكيانات الكبيرة والصّغيرة الّتي تعنى بشؤون توحيد الأمّة، ومحاولة التّقريب فيما بينها على كلّ المستويات الدّينيّة، والسّياسيّة، إلا أنّ العجيب أنّهم جميعاً فشلوا، وأخفقوا، ولم يستطيعوا تقديم المشروع النّاجح للوحدة، وعجزوا حتّى عن التّقريب بين الأمّة على المستوى المذهبي، والمستوى السّياسي، والمستوى الحزبي، والمستوى القومي، بل لم يستطيعوا تقديم النّموذج المصغّر للوحدة والتّوحد، وظهروا عاجزين بشكل رهيب جدّاً، وكلّ ما مرّت مرحلة والأمّة تتردّى إلى أسوء حالاتها ووضعيّتها، وقدّ تفرّد السّيد حسين بدرالدين الحوثي "رضوان الله عليه" بتقديم الرّؤية العمليّة، والمنهجيّة القرآنيّة الشّاملة للوحدة والتّوحد من خلال القرآن الكريم، وقدّم أعظم مشروع وحدوي قرآني ناجح وقابل للتّطبيق، في خضّم هذه الأحداث، والمعطيات، والتّناقضات، وقدّم النّموذج العمليّ لذلك، النّموذج الواقعيّ، القابل للتّطور، والتّوسع، والإرتقاء.

الأمر بالتّوحد جاء بعد الحديث عن خطورة أهل الكتاب

جاء الأمر الإلهيّ بالاعتصام بحبل الله، وعدم التفرّق والاختلاف بعد الحديث القرآني عن خطورة الطاعة والتولي لفريق من أهل الكتاب من اليهود والنّصارى، وأنّ طاعتهم تؤدّي بالنّاس للكفر بعد الإيمان، وهذا الخطاب والتّحذير القرآني يدلّل على أهميّة وخطورة الموضوع

في مواجهة أهل الكتاب أوّلاً، ويؤكّد ثانياً على أنّهم هم من يسعون لتفريق وتمزيق الأمّة، وقد تحدّث السّيد (رضوان الله عليه) في الدّروس والمحاضرات عن أهميّة وضرورة الوحدة والاعتصام، وقدّم في سورة آل عمران الدرس الرابع عشر من دروس رمضان الرؤّية العمليّة للوحدة والتّوحد من خلال القرآن الكريم، فعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[آل عمران: الآية ١٠١] يبيّن السّيد أنّ كتاب الله ورسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) هما من يبعدان عن الوقوع في هذه الحالة، ويشكلان لنا الضّمانة عن الارتداد بعد الايمان، فيقول: **(هذه الآية تعني أن آيات الله** ﴿**وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ**﴾[آل عمران: من الآية ١٠١] **فيها ما يجعلكم بعيدين كل البعد عن أن تكفروا تعتبر حالة غريبة وحالة سيئة جداً أن يحصل من جانبكم كفر وأنتم تتلى عليكم آيات الله ما معنى الآية بأنه معناها ماذا؟ أن هذا لا يحصل منكم، إنما أنه فيما لو حصل منكم طاعة لهم وهم هكذا: يريدون أن يردوكم بعد إيمانكم كافرين، فإن كفركم هذا وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله تعتبر قضية كبيرة جداً وقضية غريبة جداً؛ لأن في آيات الله ما يجعل الإنسان بعيداً كل البعد عن أن يكفر عن أن يتأثر بأي تضليل أو خداع من جانب بني إسرائيل.**

﴿**وَفِيكُمْ رَسُولُهُ**﴾[آل عمران: من الآية ١٠١] **هذه الآية مما تشهد بعظمة رسوله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **عظمته وذكائه وفطنته وفهمه ومعرفته لليهود ومعرفته للناس ومعرفته لتضليلهم وخداعهم كيف يكون وقدرته على أن يبين للناس ما يجعلهم بعيدين عن الكفر، القضية هذه نفسها شاهدة بأنه الشيئين لا بد منهما وفق السنة الإلهية: كتاب الله الذي تمثل آياته، ورسوله كعلم [كتاب وعلم] فإن كان هناك رسوله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **ما يزال حياً وإلا فورثة الكتاب من بعده)**[1].

(١) الدرس الرابع عشر من دروس رمضان سورة آل عمران.

أهل الكتاب يسعون لإضلال الأمّة

يبيّن السّيد أنّ أهل الكتاب في عمل دؤوب، وسعي مستمرّ لإضلال الأمّة، والاعوجاج بها عن صراط الله وسبيله، وأنّ لديهم قائمة طويلة من الأعمال والمؤامرات الرّهيبة لإضلال الأمّة، والاعوجاج والانحراف بها عن مسارها الصّحيح، وأنّ الأمّة أمام حالة خطيرة لا ينجيهم منها إلا الاعتصام بالله، الذي يعني العودة والرجوع إليه، والامتناع به سبحانه وتعالى، يقول السيد عند هذه الآية: (﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[آل عمران: من الآية ١٠١] **بعد أن ذكر هناك بأن هذه الفئة بني إسرائيل هكذا هم يسعون، تبغونها، يعني: هو يفتش ويبحث ويعمل يطلب كيف يجعل السبل عوجاء ومعناها كيف يجعل المؤمنين كافرين، هذه تحتها - مثلما تقول - قائمة من الأعمال والمؤامرات الرهيبة عندما يكونون على هذا النحو: هم يبحثون ويطلبون أن تكون السبل عوجاء، ومعنى أن تكون السبل عوجاء أن يجعلوا الناس هم عُوجاً؛ لأنه في الأخير مسألة صراط أليس الله يذكر هناك بأنه الصراط ناس الصراط المستقيم يمثل عليه استقامة ناس يتجلى في استقامة ناس، خط يستقيم عليه السائرون عليه، سيجعل الناس هم يسيرون في الطريق العوجاء يكونون معوجين هم، أليس الكفر يعتبر حالة اعوجاج بالنسبة للإيمان؟ إذاً فمعناه أنهم عندما تكون القضية مرغوبة لديهم ومطلوبة لديهم ويتآمرون مؤامرات كثيرة من أجل أن يصلوا بالناس إلى الحالة هذه: يطوعونهم ليجعلوهم كافرين أنه يجب على الناس أن يكونوا يبحثون عن أي شيء يلتجئون، إليه ولن يجدوا إلا الله أن يبحثوا عمن يلتجئوا إليه وهو الله سبحانه وتعالى يعتصمون به، كلمة: يعتصم يعني: هي توحي بخطورة في نفسها، أنتم عند حالة خطيرة لا ينجيكم منها إلا الإعتصام بالله، والإعتصام بالله العودة إليه والإهتداء بهديه هذا الذي يعصم الناس من هذه الحالة الخطيرة**)[1].

الإعتصام العمليّ بالله

يبيّن السّيد أنّ الاعتصام بالله هو اعتصام عملي في مواجهة أهل الكتاب ومؤامراتهم الرهيبة، الاعتصام العمليّ الذي يتمثّل في الالتجاء إلى الله، والاهتداء به، والعمل بتوجيهاته، ويتجسّد هذا الاعتصام في أناس يعملون ويتحركون بهذه التّوجيهات، يقول السّيد أيضاً عند

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[آل عمران: من الآية ١٠١] **وإن الإعتصام اعتصام عملي، يعني، التجاء إلى الله ليهدينا إلى الصراط المستقيم الذي من خلاله نثبت على إيماننا ونستقيم ونعرف كيف نواجه أولئك الذين يبغوننا أن نعوج يبغون المسيرة أن تكون عوجاء وأن نكون عوجاً. فكلمة** ﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[آل عمران: من الآية ١٠١] **هي توحي بماذا؟ توحي بحركة، عمل، ليس الإلتجاء هنا فقط يتمثل أو يتجسد في أن تدعو [اللهم دمرهم اللهم اهلكهم فقط]. لا. الإعتصام بالله يتمثل في ماذا؟ في الإهتداء إلى صراط مستقيم** ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ﴾[آل عمران: من الآية ١٠١] **أي أن المسألة تقدم من البداية وكأنك أنت تستشعر الخطورة وتبحث عن جهة ترجع إليها توجهك كيف تعمل توجهك كيف تعمل وليس أن توجهها أنت لتعمل، يتجه إلى الدعاء أليس معنى هذا أنه ينطلق يقول للباري [أنت..] يوجه الله هو الذي يعمل! لا، إنك أنت تعتصم بالله تتوجه إليه لتمتنع به وليوجهك هو كيف تعمل لتهتدي إلى الصراط المستقيم)**[1].

ويبيّن السّيد أنّ كلمة الهدى، وكلمة الضّلال واسعة الاستعمال في القرآن الكريم، وتعني العمل والتّحرّك المستمرّ، لأنّ الحياة ليست راكدة، وإنّما هي في تحرّك وعمل مستمر، يقول السّيد: **(ودائماً كلمة: [هدى] وكلمة: [ضلال] كلها توحي بمسيرة، نفس الكلمتين هذه التي هي في القرآن الكريم واسعة الإستعمال، هدى وضلال معناها: طريق، مسيرة، حركة، ما تتصور أن الأمة هكذا راكدة أو أن الحياة راكدة** ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾[الإنشقاق: الآية ٦]. **الحياة هي حركة ومسيرة فإما أن تطلع إلى الصراط المستقيم وتمشي عليه فيقال هديت إلى كذا، عندما يقال: هديت أي: أنك أنت في طريق ماشي يوجهونك [من هنا تعال كذا] ما يقال: هدي للقاعد، ما يقال في اللغة إنما السائر مثلاً مسافر يسأل من أين؟ أنا أريد شخصاً أن يهديني إلى طريق كذا، أليس موسى قال:** ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[القصص: من الآية ٢٢] **ما يقال للقاعد اهتدى أو هداه إلى كذا أبداً، يقال لمن هو في مسيره لمن هو سائر)**[2].

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

(٢) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

ويضيف السيد عند هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[آل عمران: من الآية ١٠١] **أن الله يقدم المنهج والطريقة التي تنجينا من خططهم ومؤامراتهم العوجاء التي يسعون من خلالها للإعوجاج العام بالأمة في كل مناحي الحياة، وليس هذا فحسب، بل إن المنهج والطريقة الإلهية تضمن للناس التفوق والتغلب على أهل الكتب وضربهم فيقول: (ليعمل الطريقة التي تنجيه من كل مؤامراتهم وفي نفس الوقت يتفوق وليس فقط بشكل منعة بأنهم لن يصلوا إليه بل يستطيع هو مثلما جاء في مسيرة الآيات إلى آخرها أن يتغلب عليهم، أليس هذا الذي حصل في بداية الإسلام؟ ألم يُضربوا وينتهوا في بداية الإسلام؟ فعلاً، فيحصل بهذا الشيء، الإعتصام بالله منعة من تضليلهم الثقافي من محاولات احتلالهم للأوطان من محاربتهم للدين من كل ما تعنيه كلمة عوج، وهم عوج في كل شيء يقدمون ثقافة عوجاء وإعلام أعوج وكل مؤامراتهم كلها بالنسبة للناس إعوجاج)**[1].

تقوى الله في مواجهة أهل الكتاب

وعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: الآية ١٠٢] يؤكّد السّيد أنّ الأمّة بحاجة للتّقوى في مواجهة بني إسرائيل وأهل الكتب، التّقوى العالية الّتي تعني الحذر، واليقظة، والانتباه على أعلى المستويات، وبشكل دائم ومستمرّ في الحياة، وفي كلّ الظّروف، والأزمنة، والمجالات، ويبيّن السّيد الأثر السيئ لأهل الكتاب في وسط هذه الأمّة عندما لم يتسلّح النّاس بسلاح التّقوى في مواجهتهم، فيقول عن هذه الآية: **(ما هي جاءت أيضاً أثناء الحديث عن بني إسرائيل؟ أنهم ﴿إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾**[آل عمران: من الآية ١٠٠] **لو لم يكن إلا فريق واحد فما بالك إذا قد هم متآمرين دول وليس فقط فريق واحد هذا معناه فريق واحد يشكل خطورة كبيرة جداً فما بالك وقد أصبحت دول تتآمر وليس فقط فريق واحد فهنا تنبيه للمؤمنين تذكير لهم بأنهم يجب عليهم أن يكونوا حذرين فيتقوا الله حق تقاته ويكونوا على حذر من بني إسرائيل من أهل الكتاب.**

﴿وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: الآية ١٠٢] **معناها ماذا؟ حالة حذر على طول حالة حذر على طول ما تعتبرها حتى مرحلة فقط معينة لاحظ الآن نحن ألسنا نبدوا في الصورة وكأننا**

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

بدأنا نتحرك من سنتين مثلاً في موضوع نتحدث عن بني إسرائيل؟ هي من قبلنا، العمل من زمان عملهم وعندما لم يتقوا الذي قبلنا لم يتقوا الله حق تقاته لاحظ كيف كان الأثر السيء لبني إسرائيل كيف كان الأثر السيئ لأهل الكتاب على هذه الأمة عندما لم يتق الله الذين يحكمون الأمة هذه جيلاً بعد جيل، لاحظ كيف وصلت الحالة إلى أسوأ ما يمكن أن تتصوره من حالة سيئة لأمة، حالة المسلمين اليوم) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

ويبيّن السّيد أنّ التّقوى في مواجهة أهل الكتاب تعني أعلى درجات الحذر، واليقظة، والانتباه، فيقول: **(جاءت تفسيرات لمثل هذه الآية بمعنى اتقوا الله حق تقاته بمعنى [أن يطاع فلا يعصى وأن يشكر فلا يكفر] لا بأس هذا هو الشيء المطلوب من الإنسان بشكل عام لكن الآيات في إطار قضية هامة قضية معينة؛ ولهذا قلنا أنه حتى من الناحية البلاغية من الناحية البلاغية غير متناسب ﴿وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ بعد كلمة: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ كيف يوجه مثلاً مؤمنين راقين في إيمانهم إلى أعلى درجات التقوى، ثم يقول: ﴿وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**[آل عمران: الآية ١٠٢] **يعني: تحافظ على أقل تقدير تحافظ أنك لا تعود كافراً انتبهوا، انتبهوا هؤلاء قد يردونكم كافرين فاتقوا الله، كونوا حذرين الحذر التام وإلا فقد يردونكم كافرين بعد إيمانكم)**[1].

التّوحد العمليّ والجماعيّ في مواجهة أهل الكتاب

يبيّن السّيد أنّ الخطاب القرآني يدعو للتّوحد العمليّ والاعتصام الجماعي بحبل الله في مواجهة أهل الكتاب، حتّى تحصل الأمّة على المنعة، والنّجاة، والنّجاح في مواجهة مؤامراتهم وخططهم الخبيثة، ويبيّن أنّ القرآن الكريم قدّم التوجيهات العمليّة في موضوع التّوحد، والاعتصام، والمواجهة لأهل الكتاب، فيقول: **(﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾**[آل عمران: من الآية ١٠٣] **لاحظ عندما قال هناك سبحانه وتعالى ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**[آل عمران: من الآية ١٠١] **أليس هنا اتجه بتوجيهات عملية؟ توجيهات عملية، تحت كلمة: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ ينفخ فيك روح عملية ما هي هذه؟ ﴿وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**[آل عمران: من الآية] **ثم يبين هنا يوجه توجيهات كلها عملية ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ**

(١) الدرس الرابع عشر من دروس رمضان سورة آل عمران.

اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾[آل عمران: من الآية ١٠٣] **اعتصموا بنفس المعنى السابق: اللياذ، والإلتجاء لتحصل المنعة تحصل منعة من شر هؤلاء وليستطيع الناس أن يكونوا متغلبين عليهم، اعتصموا، لوذوا بحبل الله واستمسكوا به جميعاً السبب الذي جعله سبباً لكم تمتسكون به ليمثل لكم ماذا؟ عصمة أي: منعة من شر هؤلاء ومن خبثهم ومؤامراتهم ﴿جَمِيعاً﴾ إذا بقي طرف لا يعتصم في الأخير يشتغل هو ضد الطرف المعتصم، خباث اليهود بشكل رهيب يشغلون آخرين من داخل الأمة)**[1].

وعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا**﴾[آل عمران: من الآية ١٠٣] يوضّح السّيد أنّ هذا الجزء من هذه الآية جاء بثلاث عبارات تفيد وتؤكّد على ضرورة الوحدة الجماعيّة، والاعتصام الجماعيّ في مواجهة أهل الكتاب، ويبيّن السيّد أنّ مواجهة أهل الكتاب، ومواجهة خططهم ومؤامراتهم تحتاج لموقف جماعي، ووحدة جماعيّة تقوم على وحدة القرار والموقف، حتّى تتمكّن الأمّة من مواجهتهم والتّغلب عليهم، وإفشال خططهم، ومؤامراتهم الرّهيبة، ولهذا جاء النّهي القرآني عن التفرّق والاختلاف، ويبيّن السّيد أنّ التّوحد يعني الوحدة الدينيّة القائمة على أساس الاعتصام الجماعيّ بحبل الله، يقول السيد: **(هذه الآية نفسها وهذا الجزء من الآية فيه ثلاث عبارات كلها تعني ماذا؟ وحدة كلمة ووحدة اعتصام ما تعنيه كلمة ﴿وَاعْتَصِمُوا﴾ وما تعنيه كلمة ﴿جَمِيعاً﴾ والنهي عن التفرق ﴿وَلا تَفَرَّقُوا﴾.**

تجد الآن كيف قضية هامة جداً موضوع: ﴿وَلا تَفَرَّقُوا﴾ المناهج عندما اتجهوا لمحاولة تغيير المناهج وبدأوا يغيرون المناهج أليس موقفاً يتطلب من الناس أن يكونوا جميعاً فيه؟ يعني في مواجهته موقفاً يتطلب موقفاً جماعياً منهم تجدها حالة في الأخير قضية تتناول المدارس في كل مكان في كل بلاد ما الذي يمكن أن يوقف هذه؟ موقف جماعي قد يأتي أهل بلد معين أو أهل قرية معينة يقولون: لا، تجد المنهج حقهم شغال هناك في مناطق أخرى.

هكذا بشكل عام قضية وحدة المؤمنين قضية هي الأساس الذي يتمكنون به فعلاً من أن يكونوا معتصمين بحبل الله والإعتصام بحبل الله جميعاً معناه ماذا؟ وحدة دينية قوامها الإعتصام بحبله

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع.

ليس معناه وحدة أي وحدة هذه هي الوحدة التي تمثل منجى وتمثل قوة بالنسبة للمؤمنين أن يكونوا ماذا؟ مجتمعين على الإعتصام بحبله وأن لا يتفرقوا ويفارقوا على الإطلاق هذا الأمر الإلهي الإعتصام بحبله)[1].

حبل الله هو القرآن الكريم

يؤكّد السّيد أنّ الاعتصام بحبله هو قضيّة عمليّة، وتوحّد عمليّ، وأنّ حبل الله الذي أمرنا بالاعتصام به هو القرآن الكريم، وأنّ الله جعله سببا يرفعنا به من الوقوع في طاعة ومؤامرات أهل الكتاب، وأنّ حبل الله يتمثّل في توجيهات الله وآياته الّتي تمثّل طريقاً وصراطاً مستقيماً يسير عليه المؤمنون في حياتهم، الاعتصام الذي يمثّل وحدة الرّؤية، ووحدة المنهج، ووحدة الموقف، يقول السّيد: **(الإعتصام بحبل الله قضية عملية عملية يعني حتى لو تأتي تفترض أنه حبل حقيقي مدلى ألن يكن معناه أن كل واحد يمسك بيده؟ حبل: معناه أنه قد جعل سبحانه وتعالى للناس سبباً يرفعهم يرتفعون به عن أن ينال منهم أهل الكتاب فيردوهم بعد إيمانهم كافرين ويضلونهم سواء السبيل، كم تحدث عنهم في آيات أخرى ما يريدون أن يكون الناس عليه كافرين ضالين لا ينالون أي خير من أظهر ما تعنيه كلمة حبله: القرآن الكريم بشكل أوضح من الآية السابقة التي قال فيها: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾**[آل عمران: من الآية ١٠١] **ألا يعني أن هنا حبله سبب يرفعكم عن أن تكونوا كافرين؟ فحبل الله هو السبب الذي جعله الله للمؤمنين يعتصمون به تراه في الأخير يتمثل في ماذا؟ يتمثل في توجيهات يتمثل في طريق يسير الناس عليه يتمثل في الأخير في هدى ليس معناه حبلا حقيقيا بالمعنى المحسوس لكن كلمة حبل تعني فيما تعنيه ماذا؟ انتشال من حالة خطيرة يريدون أن يوقعوكم فيها والوقوع معناه ماذا؟ سقوط إلى تحت إلى الحضيض فيمثل وحدة التوجه وحدة الطريقة وحدة الموقف وحدة الأمة.**

كلمة حبل أليست من المفردات التي لا يمكن أن تتصور فيها أكثر من شيء واحد؟ حبل يعني أوضح عبارة تعطيك التعبير عن وحدة المنهج والطريق والموقف والكلمة وأن الله هو يدلي حبلاً واحداً

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

لا يوجد هناك حبال متعددة وكل واحد يمشي على مزاجه ويمسك بالحبل الذي يعجبه ليست هكذا هو وضع حبلاً واحداً هو دلى لعباده حبلاً واحداً يتمسكون به) [1].

الوحدة الدّينيّة تتجلّى بشكل مواقف واحده

وهنا يبيّن السّيد أنّ الوحدة المطلوبة من المؤمنين هي وحدة دينيّة تقوم على أساس الاعتصام العمليّ بحبل الله، الاعتصام والوحدة الّتي تتمثّل في مواقف عمليّة واحدة يسير عليها النّاس بشكل جماعي وموحّد، فيقول: **(إذاً فالوحدة هنا معناها: وحدة دينية، وحدة تقوم على أساس الإعتصام بحبل الله أليست هي تعني في الأخير وحدة عملية؟ إذاً هذه قضية هامة؛ لأن الكثير يفهم أن موضوع الوحدة أن نكون متجمعين هكذا على شيء، نحن نصلي جميعاً في مسجد إذا أحد وجه توجيهاً البعض مثلاً غضب منه وقد هو يريد يخرج، قال الآخرون: [قد فرقتوا كلمتنا] لا، إن الذي يجب أن تجتمع عليه كلمتنا هو الإعتصام بحبل الله فإذا كان هناك توجيه هو توجيه بهذا تذكير بهذا بحبل الله الذي يجب أن نعتصم به التي تتجلى في الأخير بشكل مواقف اتجاهات ومواقف موقف واحد يسير الناس عليه فغضب آخرون هؤلاء اعتبرهم لا يريدون أن يتمسكوا بالحبل لا تأتي أنت تترك الحبل وتلحقهم أو تترك تذكير الناس بأن يعتصموا بما هو اعتصام بحبل الله في الواقع لأجل لا يخرج عليك من ا لمسجد صفان أو ثلاثة)** [2].

المنهج العمليّ للوحدة والإعتصام

تُقدّم في الساحة الفكريّة، والثّقافيّة، والسّياسيّة الكثير من المناهج والرّؤى والنّظريات الّتي تدعو للوحدة والاعتصام، فالقوميّون مثلاً يدعون للوحدة على أساس عرقيّ، وجغرافيّ، ولغويّ، بينما يقدّم الآخرون رؤى ونظريات تقوم على أساس مذهبيّ وطائفي، وقُدّمت رؤى ونظريّات تدعو للتّوحد على أساس الكتاب والسُّنّة، ولكنّها جاءت بنفس طائفي، ورؤى مذهبيّة بحتة، وهنا يوضّح السّيد أنّ الوحدة في الإسلام تعتبر مبدأً وقاعدةً مهمّة جدّاً، وأنّ الله

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

(٢) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

قد رسم وبيّن طريق الوحدة والاعتصام، وماهي؟ وكيف تكون؟ بشكل كامل ومفصّل، وأنّ الوحدة الدّينيّة المطلوبة من المؤمنين هي الّتي تقوم على أساس القرآن الكريم، يقول السّيد: **(فالوحدة في الإسلام هي مبدأ وقاعدة هامة ويجب أن تعرف أن كل ما هو هام وكل شيء في القرآن هو يرسم طريقته كاملة يرسم طريقته ليست كلمة وحدة كلمة عائمة لا ندري كيف يريد على أي أساس تكون رسمها رسماً كاملاً ما هي الوحدة الدينية وكيف يجب أن يكون المسلمون ليكونوا متوحدين هذه الوحدة الدينية المطلوبة أعني ليست قضية متروكة للأمزجة متروكة للأطروحات المتعددة أن يقول نتوحد من منطلق [قومي] هذا عنوان أو نتوحد من منطلق [وطني] أو نتوحد من منطلق [قبلي] أو بأي عبارات من هذه، لا، لا يمكن ولا يتم ولا تكون مجدية أي وحدة من هذه إلا إذا كانت وحدة قائمة على أساس الإعتصام بحبل الله)** [1].

عندما نتأمّل في وواقع المسلمين اليوم نجدهم مفرّقين وممزّقين على كلّ المستويات والاعتبارات الدّينيّة، والطائفيّة، والمذهبيّة، والقوميّة، والقبليّة، حتّى أنّ من لا يحمل رؤية ومنهجيّة القرآن الكريم قد يصاب باليأس، والإحباط، والاعتقاد بأنّ وحدة المسلمين أصبحت مستحيلة وغير ممكنة، إلاّ أنّ السيّد هنا يؤكّد أنّ المسألة لا زالت ممكنة وقابلة للتّطبيق، لأنّ الله لا يجعل شيئاً في دينه يبدو مستحيلاً، أو متعارضاً مع الواقع فيصطدم به ويفشل، يقول السيد: **(الآية هنا أليست موجهة للمسلمين بشكل عام موجهة للمؤمنين؟! عندما تجد في الأخير اتسعت دائرة المسلمين هل يمكن أن تقول بأن الآية هذه أصبح العمل بها غير ممكن قال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾**[آل عمران: من الآية ١٠٣] **لكن لاحظنا إلا وقد المسألة غير ممكنة لم يعد ممكن، أنك تأتي تجمع السنية والشيعة وطوائف السنة وطوائف الشيعة وتجمع المسلمين ليكونوا متوحدين، مفرقين الآن ممزقين ومفرقين كطوائف وليس فقط مفرقين في بلدان متعددة كطوائف كأحزاب)** [2].

ويوضّح السّيد أنّه في السُّنّة الإلهيّة لا يكون هناك ما يمكن أن تصطدم به توجيهات الله، فتحول

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

(٢) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

بينه وبين الواقعيّة والإمكان، فالله سبحانه وتعال قد جعل كتابه القرآن الكريم غير قابل للاعوجاج، ولا يوجد ما يمكن أن يعطّله، ويحول دون تنفيذ توجيهاته، فيقول: **(في السنة الإلهية الله قال في كتابه الكريم: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا﴾**[الكهف: من الآية١] **لا يوجد حاجة اصطدمت به فعطلته على الإطلاق الطريقة ما تزال قائمة أعني لو يقول واحد الآن [حقيقة أن المسلمين لو توحدوا العرب لو توحدوا ولو.. ولو..] ومن هذه الأشياء لكن أليست عند الكل تقريباً شبه مستحيلة؟ شبه مستحيلة، إذاً فهل القضية انتهت؟ لأن هذه أتت ضمن توجيه إلهي فيما يقعد الناس عن خطورة وشرور بني إسرائيل ومؤامراتهم التي منها أن يردوا الناس كافرين وقضية كافرين خطيرة جداً إذا أراد الواحد منا أن يعرف ماذا يريد لنا بنوا إسرائيل عندما يقول الله: ﴿يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾**[آل عمران: من الآية١٠٠] **تصفح في القرآن الكافرين تجد الكافرين كيف قدموا في القرآن أسوأ حالة، الكافرين قدمهم في القرآن ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾**[محمد: الآية٨] **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ﴾**[محمد: من الآية١٢] **﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ﴾**[الأحزاب: من الآية٦٤] **وآيات من هذا القبيل.**

لهذا تجد صورة الكافرين مخيفة جداً لتعرف بأن من يسعى ويتحرك ويتآمر ليردك كافراً معناه أنه يريد أن يوقعك في أسوأ حالة يمكن أن تتصورها ليست قضية سهلة إذاً فما يقدم من توجيهات في إطار إبعاد الناس عن هذه تعتبر كلها نقاط هامة وكلها قابلة التنفيذ ما فيها شيء في الأخير تعتبره أصبح مستحيلاً على الإطلاق لا يوجد فيها ما يمكن نقول: [حقيقة توجيه قيم لكن لم يعد ممكناً] ما في كتاب الله شيء من هذه إلا أن تكون أنت ما عندك توجه أنت فهناك قاعدة أخرى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ﴾[محمد: من الآية٣٨]**)**[1].

الخطة العمليّة للتّوحد والإعتصام

يقدّم السيّد الرّؤية والمنهجيّة والخطّة العمليّة للتّوحد والاعتصام من خلال القرآن الكريم، ويوضّح أنّ الخطّة العمليّة للتّوحد تبدأ بمجموعة من النّاس تمثّل دائرة قابلة للتّوسع، والانتشار، والتّكوّن على أساس القرآن الكريم، وأنّ الله هو من يجعل للنّاس منهجاً كاملاً للتّوحد، يتوحدون ويلتفون حوله، وأنّ هذه سنّة إلهيّة منذ بداية وقوع الاختلاف بين البشر، فيقول: **(إذا**

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع.

ما هناك أبدا ما يجعل كتاب الله يصطدم بشيئ فيعوج ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا﴾[الكهف: من الآية١] **إذا وجدت أن المسلمين كلهم ليسوا متوحدين، فليس المشروع هنا أنك تحاول تجمع السنة والشيعة وتوحد العرب، حاول [جمال الدين الأفغاني] حاول [الخميني] حاول [محمد عبده] حاول [البناء] حاول كثير ما تمت المسألة، الله رسم طريقة أنه عندما يقول للناس توحدوا هذا شيء، لكن وممكن يكون هناك فئة تتوحد وتنطلق على أساس كتابه وتمثل دائرة، هذه الدائرة قابلة أن تتوسع هي، تجد هذه هي القاعدة التي جعلها الله سبحانه وتعالى من بداية وقوع اختلاف بين البشر ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾**[البقرة: من الآية٢١٣] **إن الله يضع منهجاً كاملاً للتوحد لا يقدم فكرة مؤتمرات أو فكرة تلفيقات بين طوائف هو يضع منهجاً كاملاً يجتمع الناس حوله وتتوسع دائرتهم ويكون بالشكل الذي يكون الآخرون أقرب إلى ماذا؟ إلى الإجتماع حوله وإلى الإلتفاف حوله بأفضل من فكرة تلفيقات من هنا وهنا، هذه لا تتم عليها وحدة بما تعنيه الكلمة أبداً تكون وحدة هشة)**[1].

ويوضّح السّيد الرّؤية القرآنيّة للتّوحد والإعتصام الّتي تقوم على أساس المنهج الإلهيّ الذي يجعله الله لعباده، وعلى أساس القيادة الإلهيّة الّتي يختارها الله، وأنّ هذه هي سنّة الله في عباده، وأنّ هذا هو المشروع الوحدويّ النّاجح الذي يقوم على أساس المنهج الإلهي، بدلاً من كلّ تلك المحاولات الّتي تقوم على أساس محاولة توحيد فرق وطوائف ومذاهب المسلمين، من خلال المؤتمرات، والنّدوات، والمبادرات الّتي تُقدّم من هنا وهناك، وتكون بشكل غير مجدٍ، ولا مرضي، يقول السيد: **(الله ينزل كتاباً ويصطفي علماً، يعني هنا: بدل أن نقول مؤتمرات ونحاول السنة والشيعة يتجمعون على أساس أنه أنتم يا سنة اسكتوا من كذا والشيعة يسكتون من كذا ونحاول جميعاً أن نكون كذا كذا، هنا أنت ستقدم شيئاً لا يرضى عنه بالكامل هذا، ولا يرضى عنه بالكامل الطرف الآخر، قضية أكيدة أنه في موضوع مثلاً تجميع سنة وشيعة وعلى أساس أن كل طرف يقدم تنازلات من عنده إنما يكون ناتجاً ليس بالشكل الذي يرضى عنه كاملاً الشيعي ولا**

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

بالشكل الذي يرضى عنه كاملاً السني؛ لأن هواية الشيعي أن يكون الناس شيعة جميعاً، وعلى رؤيته هو، وما يهواه السني أن يكون الناس كلهم سنيّة على وجهته ومذهبه هو، إذاً سيكون تفاعل الطرفين مع ما قدم تفاعل غير حقيقي، أعني متدني؛ لأنه ليس الشيء الذي هم منشدّون إليه هو دون ما يريدون.

يأتي بديلاً عن كل التلفيقات منهج إلهي [كتاب]، أليس هذا هو فوق التلفيقات فوق، والأطراف كلها على سواء ملزمة بأن تؤمن به وتتبعه، هنا تكون أقرب فعلاً أقرب إلى الإلتقاء؛ لأن السني سيلتقيك هنا على أساس أنه مؤمن بالكتاب وليس مؤمناً بك أنت كشيعي، الشيعي سيؤمن بالكتاب ويتبعه وليس على أساس أنه استجاب للسني كلهم يتبعون قضية هي من فوقهم، هي فوقهم وهم ملزمون بها جميعاً وليست من عند طرف منهم الشيعي يدعو إلى أن يكونوا شيعة والسني يدعو إلى أن يكونوا سنة، أبداً)[1].

المشروع الوحدويّ القرآني

لا بدّ من العودة إلى السُّنن الإلهيّة الثّابتة الّتي يضعها الله سبحانه وتعالى للبشر، لما فيه مصلحتهم وسعادتهم في الدّنيا والآخرة، وعندما يخالف النّاس ويتجاوزون المنهج الإلهي، ويعملون ويبذلون جهودهم خارج إطار السُّنن الإلهيّة فإنّهم يفشلون مهما كان إخلاصهم، لأنّ الحياة بطبيعتها وصبغتها قامت وبُنيت وفق السُّنن الإلهيّة، والتدبير الإلهي، ويعتبر السّيد أنّ المقوّمات الحقيقيّة للوحدة تتمثّل في المنهج والقيادة، وهذا شيء متعارف عليه في حياة البشر، ويوضّح السّيد أنّ الله هو من يضع المنهج، ويختار القيادة الّتي تسير بالنّاس على هذا المنهج، الذي النّاس ملزمون باتباعه والسير عليه، وهنا تتمّ المسألة وتنجح، الّتي تبدأ بشكل دائرة قابلة للتوسّع واحتواء الجميع، ويعتبر السّيد أنّ هذه الرّؤية القرآنيّة هي أعظم ،وأفضل، وأرقى، وأنجح مشروع وحدويّ، يقول السّيد عند هذه الآية: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾[البقرة: من الآية٢١٣] **إذاً أليس هنا قدم [المنهج والعلم] القيادة مشروع متكامل، مشروع متكامل؛ لأن من مقومات الوحدة بشكل صحيح هو**

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

ماذا؟ [منهج وقيادة] هل يمكن نتصور أمة يقال توحدت ولا يكون توحدها على أساس [منهج وقيادة]، معروف حتى قَبَلياً يكتبون [قاعدة] يعني ماذا؟ منهج، أليست هكذا؟ ويختارون شخصاً كبيراً لهم معناه ماذا؟ قيادة.

الله يضع المنهج يختار هو المنهج ويختار هو القيادة التي ماذا؟ تتحرك على أساس ذلك المنهج وتهدي بذلك المنهج ويلزم الكل بأن يسيروا على هذا المنهج ويتبعوا تلك القيادة، هنا تتم المسألة تبدأ بدائرة وقابلة للتوسع وهو أفضل مشروع وحدوي فعلاً، أفضل مشروع وأرقى مشروع وحدوي، وقلنا في كلام سابق بأن الطريقة هذه هي أضمن لوحدة المسلمين على اختلاف طوائفهم؛ لأنه إذا كان المسلمون الآن مجمل ما لديهم يتعصبون لمسائل، فالطريقة هذه التي قدمت على يد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **أنزل عليه القرآن واختير هو نبي، وعندما تحرك والتفّت حوله دائرة، أصبح في الأخير ماذا؟ العربي من القبيلة الفلانية ومن القبيلة الأخرى ومن أي منطقة تركوا آلهة يعبدونها، أليست مسألة آلهة يعبدونها؟ أرقى من مسائل فقهية في تعصبك لها وفي إنشدادك لها، تركوا آلهة واجتمعوا هناك)**[1].

ويوضّح السّيد أنّ هذه الطريقة هي الطريقة النّاجحة والمجدية الّتي تجعل النّاس يلتقون جميعاً على أساس القرآن الكريم، وينبذون ويتركون كلّ ما لديهم من مسائل، ورؤى، ونظريات، واعتقادات مخالفة للقرآن الكريم، فيلتقون، ويجتمعون، ويتوحّدون على قيادة واحدة ومنهج واحد، وهذه الطريقة والمنهجيّة هي الّتي عمل بها وسار عليها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، وأثبتت جدوائيتها ونجاحها، يقول السيد: **(إذاً فهذه القاعدة هي القاعدة المهمة، وهي الطريقة المهمة وطريقة ما تحتاج إلى مؤتمرات، فالتوجيه ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾**[آل عمران: من الآية ١٠٣] **هو قائم واجب عليكم، وطريقة الإعتصام بحبله هو الذي يختص بها، هذا حبله القرآن الكريم ومن يختاره أن يكون علماً مع كتابه، هنا في الأخير تتحقق وحدة بين الناس وكل واحد لا يرى أنه تنازل لطرف آخر كل واحد يرى أنه تخلى والآخر تخلى**

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

ونفوس طيبة ويتفاعلون بإيجابية مع ماهم مؤمنين به بنسبة ١٠٠٪، لكن عندما يقدم تلفيقات يكون إيماناً ٥٠٪ أو أقل.

لهذا نقول بأنه عندما نخطب نحن عندما نتحدث مع الناس لا تكون أنت تتحدث معهم دائماً ترسخ في ذهنيتهم ما يبدو أمامهم مستحيلاً [لو توحد العرب ولو توحد المسلمون] هذه مقولة يمكن تقولها لكن يجب أن نتحدث مع الناس بأن الله لم يجعل القضية مترتبة أو معلقة على ما هو مستحيل أمامنا، رسم طريقة فالذي يسير عليها من الناس تتسع دائرتهم تتسع كما بدأت هذه النقطة واتسعت، ألم تبدأ برسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **وعلي وخديجة؟ ثلاثة، ثم اتسعت الدائرة حتى أخذت الجزيرة ثم حتى تغلغلت إلى داخل بلدان أخرى، هل عمل رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **مؤتمرات بين العرب ومحاولة توحيد الأصنام؟ [بدل ما يكون صنم هؤلاء صغير، وصنم هؤلاء كبير، هؤلاء من الخشب هؤلاء حجر هؤلاء كذا] وتلفيقات وأشياء من هذه، لا، طريقة كلها جديدة)**[1].

من معجزة هذا الدّين توحيد العرب

يعتبر السّيد أنّ من عظمة هذا الدّين ومعجزاته أنه استطاع عملياً أن يوحد العرب في بداية الإسلام، وينقلهم من عبادة الأصنام إلى عبادة الله وحده، وطاعة واتباع قيادة واحده هو رسول الله صلوات الله عليه على آله وسلم، وحوّلهم من أمّة فوضويّة إلى أمّة منتظمة واحدة وموحّدة، نبذت كلّ ما بداخلها من خلافات وثارات، وتوحّدت على كتاب الله سبحانه وتعالى، يقول السّيد: **(ولهذا قلنا أنه من معجزة هذا الدين أنه استطاع أن ينقل العرب تلك النقلة الرهيبة، النقلة من التشبث بآلهة يسمونها آلهة يعبدونها ويعتبرونها آلهة، يتخلون عنها ومن أمة فوضوية إلى أمة انتظمت فعلاً، ما هي انتظمت؟ ولو لم يكن إلا في فترة رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **لكان شاهداً كفاية وفوق الكفاية أن يشهد بعظمة هذا الدين، استطاع أن يجعل أولئك العرب الذين كانوا يتقاتلون بما فيهم أهل المدينة التي هاجر إليها، كانوا فئتين متقاتلة هم كل فترة، وخرجوا إلى خارج المدينة يتقاتلون ولهذا قال**

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

هنا: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾[آل عمران: من الآية ١٠٣] **فعندما تقول [حقيقة الوحدة قضية لكن يوجد عداوات ويوجد ويوجد] فيجب أن تفهم بأنه أن نعتصم بحبل الله هو الذي سيوجد من جهة الله سبحانه وتعالى وسيأتي من جهته تدخّل إلهي فيؤلف بين قلوب الناس وإن كانوا أعداء)**[1].

وهنا يؤكّد السّيد نجاح وفاعلية هذه الخطّة والرّؤية العمليّة القرآنيّة، إضافة إلى أنّ المسألة تحتاج لتدخل إلهيّ، فعندما يسلّم الناس لله، ويسيرون تحت قيادة واحدة، ومنهج واحد يحصل التّدخل الإلهيّ فيؤلّف الله بين القلوب فيصبح النّاس بنعمته إخوانا، ويوضّح السّيد أنّ هذه الرّؤية القرآنيّة هي البداية الصحيحة لتوحّد المسلمين، واجتماع كلمتهم، ويبيّن السّيد أنّ هذه الرّؤية لا تقوم على أساس انتظار الوحدة بين السّنة والشّيعة، وبين طوائف المسلمين، ومن ثمّ ننطلق لنعمل ونتحرك بها، بل هي الرّؤية الّتي تمثّل البداية الصّحيحة لتوحيد الأمّة، وتوحيد كلّ طوائف المسلمين، يقول السيد: **(إن هذا فيه توجيه هنا يجب أن نركز على النقطة هذه؛ لأنه كثير من الناس قد تلمسهم عندما تسمعه يقول لك [حقيقة هم أعداء والأمريكيين ملاعين واليهود ملاعين والنصارى كذلك لكن! العرب ما توحدوا] هو في الأخير يرى هنا العرب مشتتين فيتردد؛ لأنه في الذهنية أن القضية هي هكذا، إنما فقط إذا توحد العرب جميعاً إذا توحد المسلمون جميعاً فيمكن، يراها مستحيلة، وعزم يجلس، فرأى من يتحركون بأنهم ناس هؤلاء مغفلين يتحركون وهم قليل يتحركون و..! لا، لأن هذه هي البداية الصحيحة عملياً لتوحيد أمة تكون هي هناك بالشكل هذا المتكامل، لا يكون تلفيقات، لهذا نقول بالنسبة لنا ما هو ممكن أن يكون مؤثراً علينا مثلاً في مسيرتنا أن يكون الناس منتبهين تماماً، لا يأتي أي شيء بين سنة وشيعة وإلا ضاع كل شيء، ما المسألة معلقة على هذا فعندما نأتي نعتبر مثلاً بأنه لن ينجح المسلمون إلا إذا توحد سنة وشيعة، أليس هكذا؟ أو يجب أن يتوحد السنة والشيعة ويجب أن لا يكون هناك أي طرف من هنا أو من هنا قد يكون من عنده ما يوجد خلاف بين سنة وشيعة هذا موضوع أنت هنا تعلق**

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

الفرج على المسلمين، تعلق مثلاً أن يكونوا منتصرين على أعدائهم، بما هي في الذهنية شبه مستحيلة أليس باستطاعة الآخرين أن يحرّكوا من داخل الشيعة، ويحرّكوا من داخل السنة؟ هل باستطاعتك أن تغلق هذا الباب؟ كيف تعلق المسألة على قضية أنت لست باستطاعتك أن تقفلها؟ هذا معناه أنه مستحيل، معناه في الأخير مستحيل.

لكن هذه القضية ليست معلقة على توحد سنة وشيعة، هو مطلب أن يتوحد الناس ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾[آل عمران: من الآية ١٠٣] **لكن عملياً لو تقول: هي متعلقة على هذا، كان معنى هذا أن الآية هذه اصطدمت بواقع مستحيل، أليس المعنى هكذا؟ والله يقول في القرآن:** ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا قيماً﴾[الكهف: الآية١] **قيّماً ما يمكن شيء يصطدم به يجعله يعوج ويرتد على نفسه وفشل، أبداً، فقط الناس يفشلون هم، نفشل نحن أما نفس ما قدمه الله فهو قابل للتنفيذ، وفي الأخير ما تدري وتصبح مشكلة فيما بين الشيعة هم، وما بين السنة هم، يأتي الأمريكيون يحرّكون من داخل السنة سنيّين يشاغبون ضد الشيعة، السني الذي هو حريص على أنهم يتوحدون [وضروري يتوحدون وإلا فما نستطيع نعمل شيئاً] وفي الأخير يتحرك ضد ذلك، وإذا بالسنية من داخلهم قد هم متصارعين إضافة إلى ما سيحصل من تأثر بما يشتغل به الآخر من داخل السنة أو من داخل الشيعة، يعني القضية لا يستطيع أحد أن يغلقها ما تستطيع تقفلها أبداً)**[1].

وهنا يؤكّد السّيد أنّ تقديم مسألة التوحّد وكأنّها متوقّفة على أساس توحد كلّ طوائف المسلمين أوّلاً هي غير مجدية، وغير ممكنه، لأنّ العدوّ نفسه يعمل على إثارة الخلافات والنّزاعات داخل المسلمين أنفسهم لكيلا يتوحّدوا في مواجهته، ويوظّف أُناساً من هنا، وأُناساً من هناك يعملون على توسّع وتمدّد الخلافات والعداوات ما بين الطوائف، والفرق، والمذاهب، ويؤكّد السّيد أنّ المشروع الإلهيّ قابل للتّنفيذ على هذه القاعدة التي عمل بها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وطبّقها في حياته، يقول السيد: **(عندما ترتب المسألة على هذه، فمعنى هذا أن**

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

العدو عندما نقول: نحن لا نستطيع أبداً أن نقف موقفاً إيجابياً في مواجهته إلا إذا توحدنا كلنا سنة وشيعة، فيكون هو يركز على المسألة يركز على أن يوجد خلاف دائم بين سنة وشيعة ويثير من داخل شيعة ويثير من داخل سنة، فكل ما وجد إنسان مَهمَا كان مخلصاً ومتفاعلاً أنهم ما رضيوا يتوحدون، كلما ماذا؟ حصل عنده إحباط وفي الأخير يجلس ويقول: [المسئولية على السنة والشيعة لم يرضوا يتوحدوا].

هذه الطريقة فيها ما يطمّع العدو، أن تقدم له بأنه ما يمكن أن تقف في مواجهته إلا إذا قد توحدت الفئتان اللتان بعيد أن تتوحد على ما هي عليه، فالمشروع الإلهي قابل للتنفيذ، وعلى القاعدة هذه القرآنية والتي عملها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **والتي تحقق نصراً؛ لأن الوعود الإلهية ليست متعلقة على أن يتوحدوا سنة وشيعة، هذه الوعود الإلهية نزلت والمسلمون ربما أقل من سكان محافظة من المحافظات هذه في اليمن في عددهم، وعود إلهية بالنصر بالتأييد بأن يؤلف بين قلوبهم، لا يقول: إنما فقط إذا كان سيجتمع العرب جميعاً أو يتوحدوا سنة وشيعة سوف يؤيدهم بنصره، أما إذا هناك ناس آخرين سيتوحدون ويسيرون على كتابه فيقول لهم: لا، هو رحيم سبحانه وتعالى عندما يكون هناك مثلاً يوجد إلى حدود ألف ألفين مستعدين أن يتوحدوا على كتابه هل يمكن أن الله يقول لهم أبداً روحوا لكم، إنما فقط إذا توحدوا سنة وشيعة؟ أبداً، وعوده تصدق حتى على أقل منهم)**[1].

الرّؤية القرآنيّة قابلة للتّطبيق

يؤكّد السّيد أنّ الرّؤية القرآنيّة للتّوحد والاعتصام قابلة للتّنفيذ، فكما أثبتت نجاحها في المرحلة الأولى للإسلام، وجعلت العرب يتركون التشبّث بأصنام يعبدونها كآلهة من دون الله، فإنّ هذه المرحلة أسهل وأيسر، لأنّ كلّ ما عند الناس من خلافات هي مسائل واعتقادات معيّنة مختلفون فيها، والمنهجيّة والرّؤية القرآنيّة قادرة على معالجتها، ونقل النّاس من حالة التشبث بها بكلّ سهولة وبساطة، ولأنّ الرّؤية القرآنيّة لا تمسّ القضايا الرئيسيّة عند المسلمين

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

جميعاً من وحدانية الله، والإيمان بالقرآن، والرسول، والإسلام، ووحدة القبلة، وغيرها من القضايا الرئيسيّة والأساسيّة الّتي لا زالت تمثّل عوامل وقواسم مشتركة بين كلّ المسلمين جميعاً، فهي بهذا رؤية قابلة للتّنفيذ، وقابلة لأن يتوحّد حولها جميع المسلمين، يقول السيد: **(إذاً، فالطريقة القرآنية هي طريقة قابلة للتنفيذ وقابلة فعلاً بأن يتوحد حولها سنة وشيعة، لأنه ما الذي عند السني وما الذي عند الشيعي؟ أليست مسائل معينة، تشبثه بها قد يكون دون تشبث العربي السابق بإله؟ كلمة إله قضية ليست سهلة عنده، تركوا الآلهة وساروا بعد رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **ودانوا بتوحيد إله واحد وهو الله، إذاً فالدين الذي نزل على العرب وجعلهم يتركون آلهتهم ممكن يجعلهم يتركون مسائل معينة، سواء ولاءات لأشخاص أو مسائل فقهية أو مسائل من هذه هي اعتقادية، هي كلها دون ما كان عند العربي الأول باعتبار تشبثه بها، ولن يمس الإعتصام أو هذا المشروع القضايا الأساسية عند الكل، أليسوا مؤمنين بالله؟ ومؤمنين بأنه لا يجوز أن يكون له شريك؟ أليسوا مؤمنين بوجوب اتباع ما جاء من عنده؟ أليسوا مؤمنين بالقرآن ووحدة القرآن؟ وحدة نصّه ووجوده تعتبر نعمة كبيرة جداً، نعمة كبيرة أنه ما زال موجوداً القرآن الكريم والعرب والمسلمون جميعاً متفقون عليه، ليسوا مثل اليهود والنصارى كم معهم أناجيل النصارى! اليهود قد ضيعوا التوراة، والنصارى معهم كم أناجيل أربعة على الأقل الموجودة الآن تتداول بينهم، وكل إنجيل فيه خلاف الإنجيل الثاني! أما العرب أما المسلمون فما زال معهم القرآن كلهم متفقون على الإيمان به كلهم متفقون على وجوب العمل به متفقون على الإيمان برسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **محمد، متفقون على قبلة واحدة ما يزال هناك عناوين يمكن أن تشكل اتفاقاً، يعني عندما يأتي أحد بمشروع على أساس القرآن هل سيكون في الأخير سيلامس قضايا أساسية لديهم يتخلون عنها؟ أليسوا متفقين كعناوين على صلاة زكاة حج صيام جهاد وحدة؟ متفقين على أنها كلها واجبات)**[1].

وحول تنفيذ وتطبيق الرّؤية القرآنيّة للتّوحد والاعتصام الجماعيّ بحبل الله سبحانه وتعالى،

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

يبيّن السّيد أنّ نجاح هذه الرؤية القرآنيّة يتوقف أوّلاً على الثّقة القويّة بالقرآن الكريم لدى من يقدّمه، وعلى الطريقة التي يُقدّم بها، وعلى من يُقدّمها، فإذا قُدّمت بشكل صحيح فإنّها ستكون ناجحة، وسيجتمع عليها المسلمون، والطريقة الصحيحة هي في حسن تقديم القرآن الكريم بعيداً عن التّأثيرات المذهبيّة والطائفيّة، أو محاولة أقلمته وفق هذه الرّؤى المذهبيّة والطائفيّة، بل يقدّم هو بالطريقة الصّحيحة، ويكون له الأولويّة والحاكميّة المطلقة على كلّ الرّؤى، والنّظريّات، والطّوائف، والمذاهب، بحيث يتمّ توظيف كلّ العوامل المشتركة للتّوحد على أساس رؤية ومنهجيّة القرآن الكريم، يقول السيد: **(إذاً فالخلل هو من مسألة التقديم، مسألة من يقدم من يثق بأن الطريقة هذه قابلة ويعرف أنها ناجحة كما أنها نجحت في العرب الأولين فنقلتهم وتركوا آلهة، هؤلاء سيتركون ما هو دون الآلهة فعلاً، يجتمعون على الكتاب على طاعة الله وطاعة رسوله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **لكن إذا قدم بطريقة صحيحة، أما يأتي واحد من داخل الشيعة يؤقلم القرآن معه ويريد يجعل السنة يتشيعون يعني يكونون مثله على رؤيته ومذهبه وطريقته أو واحد من داخل السنية يقول [فعلاً الكتاب لكن تعالوا الكتاب هذا تفسيره] ويؤقلمه معه ويقول للناس يتحولون إلى سنة، هذه لا تتم لازم القرآن يُقدّم بطريقة صحيحة، طريقة تنفي أي خطأ هنا أو هنا، طريقة تعطيه أولوية لا تؤقلمه أبداً لا وفق أشخاص مهما كان ولاؤك لهم، ولا وفق مذهب مهما ترسخ في ذهنك وتكرر في ذهنك الولاء له، لا، أن تجعل القرآن هو الأصل، هذه القاعدة المسلمون متفقون عليها، يعني حتى هذه هم متفقون ويقولون عن أئمة المذاهب أن كل واحد يقول اعطوا أولوية لكتاب الله وسنة رسوله، أليس كل واحد يقول هذه؟ يقولون عنهم إن كل واحد من أئمة المذاهب يقول: [إذا صح لكم عن رسول الله كذا فارموا بقولي عرض الحائط].**

إذاً أليس بالأولى فيما يتعلق بالقرآن، يعني ما أحد سيقول أن عنده عقيدة أنه سيتبع فلان وإن كان مخالفاً للقرآن هذه كعقيدة غير حاصلة وإن كانت واقعاً قائمة لكن كعقيدة هم متفقون على أن القرآن هو له الأولوية على أي شخص من أئمة المذاهب، هذه قاعدة حاصلة، هذه ما تزال نعمة إذاً فعندما يقولون: [مقومات التوحد متوفرة] لكن تكون الغلطة في الطريقة من البداية كيف تكون

عندما يقول [إذاً نحن متفقون على صلاة وصيام وزكاة إذاً نحاول نؤقلم صلاتنا..] وكيف نؤقلم، يعني ماذا؟ لفلفة ولملمة وتلفيقات، لا، إنَّك شغل هذه العوامل التي تسميها عوامل توحّد، أن تعتبرها أرضية قابلة لماذا؟ لأن يسيروا على هذا الشيء الذي هم متفقون عليه فعلاً وهو القرآن الكريم، لا أن تنطلق في الأخير إلى هناك، إلى داخلهم وتعمل بينهم لملمة وتلفيقات وكل واحد ما يزال متمسكاً بما هو عليه)[1].

ويوضّح السّيد أنّ هذه منهجيّة قرآنيّة في الدّعوة للتّوحد والاعتصام، بحيث يكون للقرآن الكريم أولويّة مطلقة على الجميع، وتوظّف العوامل المشتركة الّتي لا زالت صحيحة، وثابتة، ومتّفق عليها لدى الجميع في التّوحد على أساس القرآن الكريم، يقول السيد: **(لهذا، لاحظ كيف في القرآن الكريم تكررت كثيراً وهو يدعو اليهود إلى الإيمان، ألم يقل فيه: ﴿مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ﴾**[النساء: من الآية٤٧]**؟ لكن عندما قال: ﴿مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ﴾**[النساء: من الآية٤٧]**) على أساس أنها تعتبر أرضية تجعلكم قابلين للإيمان بهذا، ما معناه إذاً ما دام معكم شيء صحيح وهذا صحيح فتعالوا نعمل تلفيقاً ونعمل وثيقة مشتركة بين الطرفين، لا، عندما يقول: ﴿مصدقاً لما معكم﴾**[النساء: من الآية٤٧] **﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾**[آل عمران: من الآية٩٩] **ولهذا يقول: ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾**[آل عمران: من الآية٩٩] **أي هذه الحالة التي لديكم هذا لا يتنافى معها من حيث المبدأ فيجب عليكم أن تتجهوا للإيمان به، هذه طريقة أساسية في موضوع توحيد المسلمين أنك هكذا تدعوهم، ألسنا مؤمنين جميعاً بالقرآن؟ أليس كل واحد من أئمة مذاهبنا يقول بأن نرمي بكلامه عرض الحائط إذا كان مخالفاً لكتاب الله ورسوله؟ إذاً فتعالوا نعطي القرآن أولوية أليست هذه قضية قريبة؟)**[2].

ويبيّن السّيد أنّ الرّؤية والمنهجيّة القرآنيّة لا تقوم فقط على مجرّد الدّعوة للحوارات والمناقشات، والمناظرات فقط، لأنّها لن تحقّق نتيجة، وستنتهي بهذا الشّكل وبهذه الطريقة إلى لا شيء، بل يجب أن يترافق مع هذه الدّعوة حركة ومسيرة قائمة على أساس القرآن الكريم، ولأنّ هذه الحركة ستحظى بنصر وتأييد من الله فينشدّ وينجذب إليها الآخرون، وهذه قاعدة أساسيّة في عمليّة توحيد المسلمين، إضافة إلى نقد كلّ ما لدى جميع طوائف المسلمين ممّا يعتبر مخالفاً للقرآن الكريم، ومعيقاً لعمليّة توحّد الأمّة، وهذه العمليّة، والحركة، والطريقة ليست

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

(٢) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

مذهبيّة ولا طائفيّة، بل تعتبر حركة ودعوة قرآنيّة، يقول السيد: **(ثم من الناحية الأخرى لا تتمثل في موضوع مجرد حوار، يجب أن تكون هناك حركة قائمة على أساسه؛ لأنه لا تنتهي المسألة إلى مجرد دعوة ومجرد حوار ومجرد مناظرات ستنتهي إلى - تقريباً - لا شيء، يجب أن تكون بهذا الشكل، دعوة على هذا الأساس، وحركة قائمة على هذا الأساس؛ لأنه من خلال الحركة للأمة يحصل تأييد إلهي فيلمس في داخلها ما يجذب الآخرين إليها، هذه قضية أساسية في توحيد المسلمين ليست مجرد حوارات.**

إذاً فالبعض عندما يقول: [نحاول أنه يبتعد الإنسان أنه لا يقدم حاجة تكون مثيرة لآخرين نكون نحاول نسكت عن بعض أشياء ونحاول، ونحاول من أجل تبقى كلمة المسلمين أو إذا ما يزال بالإمكان أن يتوحدوا] هذه طريقة تلفيقية، هذه غلطة، إذا أحد من داخل أيِّ مذهب كان ينطلق مع الناس على أساس يجرهم إلى مذهبه هذا لن يحصل يبقى صراع دائم، لكن أن تأتي وتقول: القرآن الكريم هو الأساس، رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)**، فننقد ما عندنا جميعاً عندما تنقد ما عند الكل عندما تنقد هذه الأشياء باعتبار أنها تعيقهم عن اتباع القرآن الكريم وأنها وراء الحالة التي وصلنا إليها، هذه القضية ما تسمى مذهبية ما تسمى دعوة إلى طائفة معينة ما تسمى حركة من قبل مذهب يريد أن يدخل الآخرين فيه على ما هو عليه)**[1].

ويبيّن السّيد أنّ ما يُقدّمه من دروس ومحاضرات في هذه المسيرة القرآنيّة تقوم على هذا الأساس، نقد كلّ الأخطاء الموجودة لدى الشّيعة ولدى السّنة على أساس القرآن الكريم، ودعوة الجميع للعودة إليه، والتمسّك والعمل به، والاعتصام بحبل الله جميعاً، وهذه دعوة وحركة منصفة ومقبولة لدى الجميع، وقابلة للتّطبيق والتّنفيذ، لأنّ القرآن الكريم ينسف كلّ الخلافات القائمة بين المسلمين، وقادر على جمعهم وتوحيدهم تحت لوائه، وتحت رايته، ويجعلهم أمّة واحدة، يقول السيد: **(ألسنا ننقد الكل داخلنا نحن كزيدية وداخل الإثنا عشرية وداخل السنية بشكل عام؟ نحن نقول للجميع: يجب أن نعود جميعاً وعندنا أخطاء جميعاً لنعتصم بحبل الله جميعاً وليس كل واحد يصلح له حبل ويدعو الآخرين أن يعتصموا به؛ لأنها غلطة من الأساس هم طوائف وكل طائفة تعتبر نفسها معها حبل**

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

أو أن حبلها هو حبل الله والآخر يقول: أن حبله هو حبل الله، وهكذا، لا، نعود إلى حبل الله الذي نعرفه جميعاً ومتفقون على نصه وهو القرآن الكريم؛ لأن الله ذكر في كتبه أنها بالشكل الذي يمكن تُوحد بين ملتين عندما قال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾[البقرة: من الآية١١٣] **أليس معنى هذا أن في الكتاب ما يمكن أن يوحدهم؟ وهم هنا ملتين ويلعن بعضهم بعض ويكفر بعضهم بعض وهنا يقول: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾**[البقرة: من الآية١١٢] **لأن الكتاب بالشكل الذي يمكن أن ينسف هذا الخلاف الذي بينهم ويجعل منهم أمة واحدة، أفلا يستطيع الكتاب نفسه أن يجمع المسلمين وهم ما يزالون ملة واحدة؟ إنما فقط مذاهب داخلها وما زال المجموع عبارة عن ماذا؟ ملة واحدة)**[1].

الوحدة تحتاج لتدخّل إلهي

تحتاج الوحدة لتدخّل من قبل الله سبحانه وتعالى، ومتى ما اتّجه النّاس بصدق وإخلاص لله سبحانه وتعالى، فإنّه يتدخّل هو ويؤلف بين قلوبهم، ويوضّح السّيد أنّ الخطّة أو الخارطة النّاجحة للوحدة والتوحّد هي الخطّة والخارطة الّتي يكون الله معها ويؤيّدها، يقول السّيد: **(تلاحظ أنه في هداية الله سبحانه وتعالى، في توجيهاته هو يعلم ما يمكن أن يخطر عند الناس من أشياء تجعل ما دعا إليه وكأنه مستحيل ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾**[آل عمران: من الآية١٠٣] **قد يقول: [لكن كيف ونحن قد يكون هناك أعداء وعداوات ونفوس متباينة] هو هنا يذكرهم بأنه يتدخل متى ما اتجهتم بصدق إلى أن تعتصموا بحبله جميعاً فهو سيغير النفوس ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾**[آل عمران: من الآية١٠٣] **هذه تعني بأنه ما يمكن في موضوع الوحدة أن تشكل لجنة من هنا وهنا ويضعوا خطة ليلتقي عليها الكل؛ لأن القضية لازم أن تكون الخطة فيها هي الخطة التي يكون الله معها ويقرها هو، لماذا؟ لأن القضية تحتاج إلى تدخل إلهي، القضية تحتاج إلى تدخل إلهي بالنسبة للنفوس، كما قال هنا: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾**[آل عمران: من الآية١٠٣] **مجتمع مُتعادي هل هو قابل لأن يعتصم بحبل واحد، هل هو قابل؟ إذا حصل عنده توجه ونية وآمن من حيث المبدأ واتجه الله يتدخل فيؤلف بين القلوب، إذاً فلازم**

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر من دروس رمضان.

أن تكون خطة الوحدة أو الخارطة – لمن هم يقدمون خرائط –أن تكون ماذا؟ هي الخطة التي يكون الله معها، لأنها مسألة لازم من تدخل إلهي فيها)[1] .

وعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[آل عمران: من الآية١٠٣] يبيّن السّيد أنّ القرآن الكريم يذكّر المؤمنين بأنّ أهل الكتاب يعملون على ردّهم بعد إيمانهم كافرين، وأنّ من فضل الله، ورحمته، ونعمته على المؤمنين أنّه يبيّن لهم آياته الّتي تهديهم وتعصمهم من الوقوع والسّقوط في وحل مؤامرات أهل الكتاب، يقول السّيد: **(وباعتبار آخر يذكّر المسلمين بأنه أهل الكتاب سيوقعونكم في خسارة لكل ما أوصلكم هدى الله إليه من النعمة العظيمة.**

﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا**﴾[آل عمران: من الآية١٠٣]، **فلا تخسروا هذه النعمة، نعمة الهدى نعمة الإيمان، حتى أصبحتم على هذا النحو، فلا تخسروا هذه النعمة التي أنتم فيها، يعني فيها ما هو توجيه قبل أن يكون الناس على هذا النحو وفيها ما هو توجيه لهم وهم على هذا النحو؛ لأنه عندما يقول عن أهل الكتاب: ﴿يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾**[آل عمران: من الآية ١٠٠] **ما معناها خسارة لكل ما أوصلكم هدى الله إليه؟ ﴿وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾**[آل عمران: من الآية١٠٣] **وهؤلاء يريدون أن يردوكم كافرين فتكونون في ماذا؟ ليس فقط على شفا حفرة بل في الدركات السفلى من جهنم ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾**[آل عمران: من الآية١٠٣] **أليس هذا يوحي بطريقة عملية؟ اهتداء لحركة، اهتداء لمسيرة اهتداء لرؤية، هنا يبين الله لكم آياته نفس كلمة آيات تعني بينات وأيضاً يبين البينات، أليس هذا من كمال الرحمة؟ ومن أعظم مظاهر رحمة الله بعباده؟ ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾**[آل عمران: من الآية١٠٣] **)**[2] .

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

(٢) الدرس الرابع عشر من دروس رمضان سورة آل عمران.

التّوجه العملي

وعينا بثقافة القرآن الكريم، ووسائله، ومناهجه التربويّة صمّام أمان لنا من حالة التفرّق، والشّتات، والتّمزق، والضّياع، وبوابة الوصول إلى الوحدة الإسلاميّة الحقيقيّة، والاعتصام الجماعيّ بحبل الله الواحد، والاعتصام بحبل الله لا بدّ أن يكون بشكل جماعيّ، وفق رؤى، وخطط حكيمة، منبثقة من روح الإسلام، وتعاليم القرآن، لبناء أمّة متوحّدة في رؤيتها، ونظرتها للأحداث، وتحليلها، وموقفها، مبتعدة عن كلّ أسباب، وعوامل التفرّق، أمّة تتكوّن على أساس الدّعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، وتتجسّد في مهامّها، وأعمالها، وأهدافها قيم الحقّ، والعدل، وتحمل مشاعر الألفة بين القلوب، والوحدة الدينيّة، والأخوة الإيمانية، في قالب عمليّ، وإطار حركيّ، بعيداً عن كلّ الأفكار الضّالة، والعقائد الباطلة، والثّقافات المغلوطة، الّتي أتت من خارج كتاب الله سبحانه وتعالى، وإنّما توحّد يقوم على منهج واحد، يبني أمّة واحدة، قويّة، وعزيزة على أعدائها، ويعزّز حالة الاهتمام بأمر الدّين، والأمّة بروحيّة عمليّة، ونظرة كبيرة تحمل رسالة القرآن، وهدي الرسول صلوات الله عليه وآله، لذا لا بدّ من تهيئة أنفسنا بشكل جادّ وصادق للاعتصام بحبل الله سبحانه وتعالى، فنكون أمّة تتكتّل وتتكوّن على أساس القرآن الكريم، ومهامّ الدّعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، يقول السيد حول هذه الآية من سورة آل عمران: (﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[آل عمران: من الآية١٠٤] **اجعلوا من أنفسكم أمة على هذا النحو، أليس هذا توجيها عمليا، أوامر عملية؟ إذاً، ترى في الأخير أنه غير مقبول أن يأتي أحد من الناس يقول: [حقيقة أنه وضع سيء، ولكن با ندَّعا ويكفي] أوامر كلها عملية اهتداء ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[آل عمران: من الآية١٠٤] **فعندما يقول: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾**[آل عمران: من الآية١٠٤] **هل سيترك المسألة مبهمة، أو تترك لأمزجة الناس في كيف يكونون أمة؟ هذه قاعدة قرآنية كلما وجَّه به هو يرسم طريقته كاملة عندما يقول: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾**[آل عمران: من الآية١٠٤] **هو سيوجه إلى كيف يعمل**

الناس ليجعلوا من أنفسهم أمة.

من البداية قال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾[آل عمران: من الآية١٠٣] **أليس هذا التوجيه إلى المنهج الذي يسيرون عليه؟ وللمسئولية التي يتبنونها أو ينهضون بها؟ ما معناه ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾**[آل عمران: من الآية١٠٤] **تتجمعون تكون الشوارع ملان والسوق ملان والأمة مجتمعة على اعتصامها بحبل الله تنهض بمسئولية، هي هذه مسئولية كبيرة تشمل تقريباً كل شيء ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾**[آل عمران: من الآية١٠٤] **هذه ثلاثة عناوين كبيرة تحتها تقريباً كامل المسئولية فيما يتعلق بدين الله وإقامة دين الله، إعلاء كلمة الله، مواجهة أعداء الله تتناول القضايا التربوية العملية كل شيء، الآية هنا عندما يقدم ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾**[آل عمران: من الآية١٠٤] **معناه أمة كلما هو مسيطر على مشاعرها على نفسيتها أنها داعية إلى الخير، تدعو البشر جميعاً إلى الخير، هذه القاعدة أساسية لديها، يعني هنا لا يجعل تكتلات - كما يقال - تكتلات ذات مواقف إقليمية أو شخصية من أطراف أخرى أبداً، تكتل ديني الشيء الذي يريده للبشر جميعاً هو الخير فيدعون إلى الخير يدعون إلى الخير، والجهاد بكله هو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن أجل إقامة الخير ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[آل عمران: من الآية١٠٤])[1].

المسؤولية جماعيّة في القرآن الكريم

يبين السّيد أنّ المسئوليّة في القرآن الكريم هي مسئوليّة جماعيّة، حتّى يتمكن النّاس من حملها والقيام بها، وأنّ التّوجيه القرآني لبناء أمّة واحدة وموحدة جاء بالخطاب الجماعيّ، والتّوجيه العمليّ، ليبني أمّة تكون في موقع القوّة، والقدرة التّنفيذيّة لتتمكّن فعلاً من الدّعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، يقول السّيد: **(عندما يقول: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾**[آل عمران: من الآية١٠٤] **تجد أن قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي مسئولية جماعية، أي القضية أو الواجب فيها هو مترتب على خطاب جماعي، فيما يتعلق بك أنت كفرد تتناول ما يمكن أن تلحقه يدك من أمر بمعروف ونهي عن منكر ما يمكن أن تلحقه، ما معناه فقط، أيضاً يجب أن يكون الناس أمة لأن هناك من المنكرات ما لا يستطيع شخص أن يغيره يحتاج**

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

إلى أمة وهناك من المعروف ما لا يستطيع شخص أن يأمر به ويقيمه.

ونفس العبارة يأمرون وينهون لا تتم إلا عندما يكون الناس أمة وإلا لكانت العبارة البديلة [يفتون] هنا لا يوجد هكذا فتوى [يفتون] بل قال يأمرون وينهون، ما معنى يأمرون وينهون؟ هم في موقع قوة، يأمر وينهى يعني ماذا؟ أشياء عملية أليست أشياء عملية هنا؟ ما يقال بأنه فلان أمر أو أنه نهى إلا إذا كان في موقع تنفيذي وإلا هو فقط يقال: قضى أو يقال أفتى، ليس معناه أمة تفتي فقط، بل تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر هذا توجيه عملي)[1].

وعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: الآية١٠٥] يبيّن السّيد أنّ هذه الآيات الّتي تدعوا للتوحّد والاعتصام، وتحذّر من التفرّق والاختلاف جاءت مليئة بالتّوجيهات العمليّة الّتي تبني أمّة واحدة تستطيع وتتمكن من النّهوض والقيام بمسئوليّتها الكبيرة، لأنّ الأمّة المفرّقة والمختلفة لن تستطيع، ولن تتمكّن من القيام بمهامّها، وأداء مسئوليّتها، يقول السيد: **(لاحظ هذه الآيات كيف هي مليئة بالتوجيه بوحدة الكلمة أمة متوحدة ومعتصمة بحبل الله جميعاً، عندما يقول: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾[آل عمران: من الآية١٠٤] أليس هذا توجيهاً يشبه ﴿جَمِيْعاً﴾ يأتي بعدها ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[آل عمران: من الآية١٠٥] لأن مسئوليتكم كبيرة، ومسئولية لا تنهضون بها إلا إذا كنتم أمة، تجعلون من أنفسكم أمة أو تقول هي مسئولية تحتاج في النهوض بها إلى أمة، الأمة يطلق على قليل أو كثير يسمى أمة إذا قدهم مجموعة متحركة.**

فالخطاب يتناول المسلمين جميعاً أنه يجب أن يكونوا هكذا كتوجيه، يجب أن يكونوا هكذا لكن عملياً لا يتوقف - مثلما قلنا سابقاً - على أنه لا بد أن يجتمعوا كلهم جميعاً فيكونون هكذا.

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾[آل عمران: من الآية١٠٥] **لاحظ عندما عرض علينا تاريخ أولئك الذين تفرقوا واختلفوا كيف أصبحوا بدل أن ينهضوا بمسئوليتهم في أن يكونوا أمة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر كيف كانوا؟ أصبحوا شراً بلغوا إلى درجة: و**

(١) الدرس الرابع عشر من دروس رمضان سورة آل عمران.

يقتلون الأنبياء بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، ويكفرون بآيات الله، ويضلون عباد الله، فالتحذير عن التفرق والإختلاف معناه أنها قضية هي التي تضرب هذه المسئولية الكبيرة، أن أي أمة تصبح متفرقة معناه أصبحت أمة عاجزة عن النهوض بمسئوليتها ولا يكون البديل عندها إلا ماذا؟ إلا ضلال، لا تعد تقدم إلا ضلالاً؛ فنهانا ونهى الناس بشكل عام أن نكون كأولئك ﴿الَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[آل عمران:١٠٥] البينات التي ترسم لهم طريقة واحدة يسيرون عليها فلا يتفرقون ولا يختلفون، بينات كيف يكون توحدهم، بينات بكل ما تعنيه كلمة بينات أي واضحات، هم تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم بينات، ماذا يعني عندما يحصل هذا الإختلاف والتفرق بعد البينات؟ أليس معناه تعمد ولهذا قال: ﴿وَأُولَئِكَ﴾ من يتفرقون ويختلفون من بعد ما جاءهم البينات ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو أيضاً أكبر من أليم ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾)[1].

الله من يرسم طريق التّوحّد والإعتصام

يبيّن السّيد أنّ المنهجيّة والقاعدة القرآنيّة توضّح أنّ الله سبحانه وتعالى عندما يأمر بشيء، أو ينهى عن شيء، فإنّه يرسم ويوضّح ويقدّم الطريقة الّتي توصل إلى ذلك الشيء الّذي أمر به، وتحول دون الوقوع في الشيء الذي نهى عنه، فهو من يرسم ويقدّم طريقة التّوحّد والاعتصام، ويرسم الطّريقة الّتي تبعد النّاس عن التّفرّق والاختلاف، ويبيّن السّيد أنّ السّنّة الإلهيّة تبيّن أنّ التّفرّق والاختلاف لا يأتي إلاّ بغياً وعدواناً من عند النّاس أنفسهم، بسبب تعدّيهم وتجاوزهم للبيّنات والطّريقة الّتي يرسمها الله لهم، يقول السيد: **(كما قلنا سابقاً بأنها قاعدة قرآنية متى ما أمر بالتوحد فاعرف بأنه سيرسم طريقة التوحد، متى ما نهى عن التفرق فاعرف بأنه سيرسم الطريقة التي تبعد الناس عن التفرق، إذاً كيف عندما يأتي كثير من الناس يقولون [لكن التفرق ضروري الإختلاف ضروري وأنه ضروري نختلف] ماذا يعني هذا؟ يعني جهل بالله سبحانه وتعالى في المقدمة جهل بالله وكأنه يوجه توجيهات ما يعلم بأنها ستصطدم بالواقع! أليس هذا شأن**

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

القاصر الذي لا يعلم الغيب والشهادة؟.

عندما يقول: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾[آل عمران: من الآية١٠٥] **بمعنى أنه قدم طريقة تجعل الناس الذين يسيرون عليها لا يتفرقون ولا يختلفون لا في كبيرة ولا في صغيرة على الإطلاق، لاحظ أنه يقول هناك: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ فيبين بأنها سنة لديه أن من وجدناهم اختلفوا من قبل الأمم السابقة ما كانوا يختلفون لتقصير من جانب الله سبحانه وتعالى، إنما كانوا يختلفون متعمدين ويخالفون بغياً من عندهم عمد عدوان، مخالفة واضحة لبينات الله)**[1].

وهنا يوضّح السّيد أنّ الله في هذه الآيات قد وضع وبيّن للمسلمين الطريقة والمنهجيّة الّتي يسيرون عليها فيتوحّدون، ولا يختلفون، ولا يتفرقون أبداً، وأنّ هذا الاختلاف والتّفرّق القائم بين المسلمين سببه الانحرافات والأخطاء الثّقافيّة الّتي تأتي من عند النّاس أنفسهم فتشرعن لهم هذا الشّيء، وتؤدّي بهم إلى هذه الحالة السّيئة من التّفرق والاختلاف، يقول السّيد: **(عندما ينهانا نحن الآية هذه موجهة إلى المسلمين بالذات ينهاهم عن التفرق والإختلاف، أن لا نكون كأولئك الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات، أليس معنى هذا بأنه بالتأكيد أن الله قد وضع بينات للناس للمسلمين أنفسهم توضح لهم الطريقة التي إذا ساروا عليها لا يختلفون ولا يتفرقون، ما الذي حصل؟ ولهذا نقول أننا نشتكي من ثقافة رهيبة جداً في أخطائها، هم محاولون كيف يسيرون على طريقة هم قد علموا قطعاً بأنها تؤدي إلى الإختلاف! طريقة [أصول الفقه] و [علم الكلام] وهذه المناهج التي قدمت تؤدي إلى الإختلاف وجربت وأدت إلى الإختلاف وأصبح الإختلاف باباً من الأبواب التي تبحث فيها، أعني من المباحث التي أصبحت تتناوله كتب علم الكلام وكتب أصول الفقه نفس الإختلاف، وقدموا المسألة ضرورية يعني لازم اختلاف، ثم انطلقوا يحاولون كيف يجعلون الإختلاف مشروعاً أليست هذه طامّة ثانية؟ أي كان المفروض أنهم إذا عرفوا بأنهم عندما ساروا على منهجية معينة أدت بالسائرين عليها إلى الإختلاف، أن يحصل تقييم يقولون: [إذاً هذه طريقة غلط نحاول ننظر إذا كان هناك طريقة إذا سرنا عليها لا نختلف] بدل هذه اتجهوا إلى ماذا؟ إلى أن يحاولوا أن يضفوا على الإختلاف شرعية! أليست هذه تعتبر طامّة ثانية؟.**

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

يقول لك: يجوز الإختلاف في كذا وكذا وكذا فقط، لا يجوز الإختلاف في ماذا؟ في الأصول، مجرد عنوان وجدناهم مختلفين في الأصول والفروع، إذا كانوا متفقين على عنوان فهم يختلفون في تقديمه وفي النظرة إليه وفي تقييمه)[1].

يبيّن السّيد أنّ هذه الآية وحدها كفيلة بنسف كلّ المناهج، والرّؤى، والنّظريات الّتي أدّت بالمسلمين للوقوع في حالة رهيبة جدّاً من التّفرّق والاختلاف، من بعد ما جاءتهم البيّنات الّتي منها هذه الآيات، وأنّه كان يجب على المسلمين أن يهتمّوا بالبحث عن هذه البيّنات الّتي تعصمهم من التّفرّق والاختلاف ويتمسّكوا بها، ويبيّن السّيد أنّ الانصراف عن هذه البيّنات، وعن الاهتمام بها، وبحثها يدلّ على حالة ضلال رهيب وقع فيه المسلمون، يقول السيد: **(ألم يكن الشيء الطبيعي أنه من هذه الآية وحدها، هذه الآية وحدها تنسف كل المنهج الذي قدم للناس ورأوا هم، رأوا هم ورأينا جميعاً بأنه أدى إلى الإختلاف، هذه الآية نفسها، أليست تكفي؟ ألم يكن التصرف الطبيعي لو كان ما يزال هناك اهتداء لو كان هناك اهتداء بهدى الله هو أن يعودوا إلى البينات ليبحثوا البينات هذه ما هي البينات؟ لأن الله عندما يقول: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ وتوعدّ بعذاب عظيم إذاً فكان يجب أن تنصرف الذهنية كلها إلى البحث عن البينات هذه لأنها بالتأكيد بينات ترسم لنا طريقة لا نختلف عليها.**

هل تجد مبحثاً في داخل كتب علم الكلام أو داخل كتب أصول الفقه عن البينات هذه ما هي؟ لا يوجد، أليس هذا يدل على ضلال رهيب جداً؟ ضلال رهيب جداً حصل داخل المسلمين بشكل عام عندما يبقون على المنهجية هذه؛ لأن هذه قضية قريبة وأنه عندما يقول: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ أنه بالتأكيد هناك بينات بالنسبة لنا إذاً فلا نتفرق ولا نختلف ننظر ما هي البينات لنسير عليها جميعاً هذه ما حصلت، ما بحثت! انشغلوا بإضفاء شرعية على الإختلاف كيف يكون سائغاً بل كيف يجعلونه طبيعياً وكيف يجعلونه من ضروريات الحياة، وأنها قضية طبيعية عند الإنسان! لكن لاحظ لما تفرقوا واختلفوا ونبذوا البينات جانباً ألم يظهروا ضعافاً؟ أليس المسلمون ظهروا ضعافاً؟ ضعافاً بشكل مخزي في مواجهة بني إسرائيل في مواجهة أهل الكتاب الآن في الزمن

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

هذا؟ ألم يصبح بعضهم قد صار يشغل علومه واجتهاداته لصالح اليهود من حيث يشعر أولا يشعر؟)[1].

يؤكّد السّيد أنّ دين الله جاء بالشّكل الّذي يوحّد النّاس، ويبني أمّة واحدة ومتوحّدة، وأنّ هذه الآيات الّتي تحذّر من التّفرق والاختلاف هي لزيادة التّأكيد لما هو مؤكد في دين الله، وأنّ هذه الآيات جاءت بالذّات لتدلّ على أهميّة التّوحد، وخطورة التّفرّق والاختلاف في مواجهة بني إسرائيل وأهل الكتاب، لأنّ التّفرّق والاختلاف يضرب المسئوليّة، والروح العمليّة لدى الناس، وهذا ما ظهر عليه المسلمون في هذا الزّمن، وبالذّات في مواجهة بني إسرائيل، يقول السيد: **(يبين لك أهمية أن لا يكون هناك تفرق ولا اختلاف في مواجهة بني إسرائيل بشكل رئيسي، وهي قضية لا بد منها أعني في مسيرة الدين أنه قدم بالشكل الذي لا يؤدي إلى تفرق ولا اختلاف، لكن التأكيد على هذه هو تأكيد بزيادة التأكيد بشكل رهيب جداً أعني تذكير بما هو قائم؛ لأن دين الله هو قدم على هذا النحو الذي ليس فيه تفرق ولا اختلاف، ومع هذا نبه المسلمين بأن لا يكونوا كأولئك، لم يعملوا بهذا التوجيه؛ تفرقوا واختلفوا فوجدناهم ضعافاً أمام بني إسرائيل، بل وصل الإختلاف والتفرق إلى درجة أن نسفت المسئولية، أعني ليست المسألة الآن أنك تقول أنهم فقط مختلفون في طرق مواجهة بني إسرائيل، أهل الكتاب، أن لديهم روحاً عملية إنما هي فقط طرق مختلفة، عند كثير لا يوجد روح عملية نسفت المسئولية تماماً)**[2].

ويؤكّد السّيد أنّ الله أنزل دينه وجعله بالشّكل الّذي يعصم النّاس من الوقوع في حالة التفرّق والإختلاف، وأنّ الله لم ينزّل دينه للبشر ليمزّقوه ويختلفوا فيه، بل جعله نظاماً يلتقون عليه جميعاً فيتوحّدون، وتتوحّد كلمتهم، ومواقفهم فلا يختلفون أبداً، وأنّ الله هو من يتولّى رسم المسيرة والطّريقة والمنهجيّة الّتي يسير عليها النّاس، وأنّ هذا نفسه هو الشّيء المعروف لدى جميع البشر، يقول السيد: **(إذاً، عندما يقول البعض: إن الإختلاف هو طبيعي بالنسبة للإنسان، أليسوا يقولون هكذا؟ نقول: حقيقة أن الناس يختلفون لكن لأن الله يعلم هذا لم ينزل دينه إلى الناس يمزقونه، جعل دينه بشكل يكون نظاماً يلتقي حوله الناس فلا يختلفون ويتولى هو رسم المسيرة**

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

(٢) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

كاملة؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾[الليل:١٢) لو ينزل المسألة إلى بينهم سيختلفون وهذا الذي حصل، ألم يحصل؟ قدّم أي شيء بين الناس، قدّم دستوراً أو قدم قانوناً أو قدم فكرة معينة وقل تفضلوا واتركهم يبحثونها ويقدمون رؤى، أليسوا سيطلعونها مختلفة؟ فهذا يمثل في حد ذاته شاهداً على أنه لا يصح أن الله ينزل دينه هكذا للناس ويقول كل واحد يمشي على ما ترجح وعلى ما فهم لأنهم سيختلفون بالتأكيد.

فالقضية أصبحت معروفة عند البشر أنفسهم، وداخل الأنظمة الديمقراطية نفسها، أليسوا في الأنظمة الديمقراطية يقولون: حرية كلمة وحرية تعبير وحرية تعدد وأشياء من هذه؟ لكن هل يسمحون في الدستور أن يكون خاضعاً لأصحاب الآراء المتعددة والأحزاب المتعددة، أم أنه يكون نصوصاً واحدة، دستور واحد ونصوص واحدة، ومتى ما نزل قانون يجب أن يكون بنوداً واحدة، هل تركوا المسألة بأنه كل حزب يقدم دستوراً وكل حزب يقدم قانوناً؟ لا، أي أن القضية معروفة حتى عند البشر، لماذا لا تتركوننا وأنتم تقولون حرية الرأي والرأي الآخر وتعدّد وحرية الكلمة وحرية كذا.. لماذا لا تتركوننا كل واحد يصلح دستوراً على كيفه، كيف سيقولون؟ سيقولون: لا يمكن، لا يمكن أن يكون هناك نظام يترك لهذا الأسلوب؛ لأنه يعني في الأخير لا يحصل شيء لا يحصل نظام يمكن أن ينظم مسيرة أمة على الإطلاق)[1].

ويوضّح السّيد أنّ طريقة الاختلاف والتفرّق ليس مسموحاً بها عند البشر أنفسهم، حتّى لدى الأنظمة الديمقراطيّة الّتي تدعو للحريّة والتعدّديّة، لأنّ هذه الحالة تقوّض أيّ نظام، فلماذا يقفلون المجال تماماً إلاّ في دين الله؟ ويوضّح السّيد أنّ هذه المسألة تمثّل شاهداً كبيراً من واقع النّاس أنفسهم على خطورة التّفرّق والاختلاف الّذي يؤدّي في الأخير إلى تمزيق الدّين، وضرب الأمّة، يقول السيد: **(إذاً، أليست هذه قضية معروفة حتى داخل الأنظمة التي تدعو إلى ماذا؟ إلى التعددية الحزبية وحرية كلمة ورأي ورأي آخر، أقفلوها، إلا في دين الله قالوا يجب أن تبقى مفتوحة، اجتهادات وترجيحات ورؤى وكل واحد على ما ترجّح لديه وعلى ما غلب في ظنه وعلى ما فهم هو، أليس معنى هذا أنه ينسف تماماً أن يكون الإسلام نظاماً؟ أليس معنى هذا يقطع الحبل هذا تماماً ويحوله إلى ستين حبلا؟ لا تصبح حتى حبال يمكن تتمسك بها يجزئه تماماً، في الأخير يعني لا تبتني أمة ولا نظام وهذا الذي حصل، أليس هذا الذي حصل عند المسلمين الآن؟**

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

كيف وضعيتهم؟ لا الإسلام في الداخل بشكل واحد، ولا الأمة هذه بقيت متوحدة، كلهم كل واحد معه حبل وكل واحد يمثل أمة لوحده، ليس معناه أنه إذا الإختلاف طبيعي بيننا، إذاً فنشتغل في الدين نحن، لأن معناه ماذا؟ سنجزئ الدين.

ألم تكن القضية هذه يجب أن ينظر إليها كشاهد على أنه لا يجوز أن يخضع الدين لآرائنا وأفهامنا وأهوائنا واجتهاداتنا وأنظارنا؟ لأنه سنختلف، سيختلفون وإن كان عندهم حسن نية، لأن البعض يقول: [إنما يخالفون عن هوى!] لكن هل تقول: كل المخالفين لك كلهم انطلقوا عن هوى وهم يعرفون الحق؟! هذه قضية غير صحيحة أن يكون واحد من الناس أو يكون مثلاً طائفة معينة عندها الحق هو الذي معها وتلك الرؤية التي هي تراها، والآخرون لماذا يخالفون؟ قال: [عن هوى، عن هوى، عن هوى كلهم!] ماذا معنى عن هوى؟ أي أنهم مخالفون للحق متعمدين وهم يعرفونه وإنما هوى! هذه قضية غير منطقية، لا، والآخرون هم مثلك يعتقد أنما لديه هو الحق ومقتنع به ويدين الله به ويبكي، يبكي من إخلاصه لله مثلما تبكي أنت إذا لديك أحد يبكي.

غير طبيعي عندما تقول: أن كل البشر هؤلاء داخل المسلمين هم يخالفون عن هوى، إذهب إلى الحج ترى الناس كيف هم ستراهم كمثلك، وكل واحد عنده أن طريقته هي دين الله وهو يتعبد لله بها، ليس أنه يخالف الحق وهو يعلم)[1].

التسليم لله

يؤكّد السّيد على ضرورة التّسليم لله سبحانه وتعالى، وأنّه يمثّل قاعدة مهمّة في نسف هذه الحالة الّتي تؤدّي بالنّاس إلى التّفرّق والاختلاف، وأنّ القرآن الكريم مليء بالآيات والتّوجيهات الّتي تؤكّد على ضرورة التّسليم لله سبحانه وتعالى، وأنّ الله قد رسم الطريقة الّتي تؤدّي بنا إلى تسليم أنفسنا له، والسّير على صراطه المستقيم، فنسير عليها ،ونؤمن بها، ونتّبعها، يقول السيد: **(تجد مما ينسف فكرة اجتهادات وترجيحات وآراء متعددة وأشياء من هذه، التأكيدات الإلهية على التسليم له هذه هي قاعدة هامة، إذا كان هناك معرفة بالله، لأنه كيف يمكن أن يقول للناس أن**

(١) الدرس الرابع عشر من دروس رمضان سورة آل عمران.

يكونوا مسلمين له، ولا يرسم الطريقة التي تمثل إسلامهم له هل سيتركها لأمزجتهم؟! التوجيهات التي رأيناها في [سورة البقرة] وفي [سورة آل عمران] وفي سور أخرى على أن يكون الناس مسلمين له، مسلمين ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ﴾[آل عمران: من الآية١٩] **لا يمكن أن يقول لك هكذا، إلا وقد رسم الطريقة تماماً التي تسلم نفسك باتباعها، بالسير عليها، ولهذا سماه صراطاً مستقيماً، وسماه سبيلاً، ألم يسمه سبيلاً، وسماه صراطاً مستقيماً؟ لا يقول: مسلمين أن تكون مسلماً لله أن تسلِّم لله وتسلِّم نفسك لله ثم في الأخير كل واحد يتحرك من عنده يقدم رؤى ويقدم مناهج ويقدم أشياء، ويعتبر أنه لأجل يسلِّم نفسه لله ويسير عليها، أليس معنى هذا بأنه سيعتبر تقصيراً من جانب الله لو أن المسألة بهذا الشكل؟ أبداً، لا يمكن أن يكون هناك تقصير من جانب الله؛ لأنه لا أحد يمكن أن يقول لك أن تكون مسلماً إلا وقد قدّم طريقة يمثل سيرك عليها التسليم له)**[1].

ويؤكّد السّيد على أهميّة الحالة النفسيّة لدى الإنسان الّتي تتمثّل في إخضاع نفسه لله، وطاعته، واتّباعه، وأنّ التسليم لله هو قضية عمليّة تتمثّل في الطّاعة والإتّباع، وأنّ الله قد قدّم المشروع المتكامل الذي يمثّل تسليمنا لله في أن نسير عليه ونتّبعه، وإذا لم نفهم ونستوعب قضيّة وموضوع التّسليم لله فإنّنا سنضلّ وسنخطيء في موضوع الإخلاص نفسه، فنخلص لله بطريقة مغلوطة ومقلوبة، يقول السيد: **(إضافة إلى الحالة النفسية لديك، إخضاع نفسك هناك طريقة ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾**[النساء: من الآية٨٠] **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾**[الأنعام: من الآية١٥٣] **هنا معنى التسليم ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ﴾ و﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ أليس معنى التسليم؟ عندما يقول تسليم هنا، أليس فيه طاعة واتباع؟ أليس هناك فيه أشياء واضحة صراط وهناك رسول؟ ألم يجعل التسليم قضية عملية؟ أن يكون التسليم قضية عملية، يعني هناك منهج متكامل يمثل تسليمك لله أن تسير عليه.**

إذا ما فهمنا هذه سنغلط حتى في إخلاصنا لله، ألسنا نقول: ممكن أن تغلط وأنت مخلص؟ لأن

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

أول فاتحة إخلاصك لله أن تسير على كتابه وإلا فأنت غير صادق أنت مخادع لنفسك أنت تشتغل بالمقلوب تخلص لله بباطل، أحياناً قد يكون عندك ضلال يكون عندك باطل، وعندك أنه من دين الله وتكون أنت تقدمه لله وتخلص له به، هذه قضية غريبة تقدم لله شيئاً هو كاره له ولا يريده وبإخلاص له)[1].

ويبيّن السّيد أنّ الإخلاص لله سبحانه وتعالى يعني التّسليم المطلق لله، فنسلّم أنفسنا له، وأن التّسليم لله يتجسّد في الطّاعة والإتّباع له، وأنّ هدى الله وكتاب الله هو المنهج الذي يمثّل تمسكنا به، واتّباعنا له، والسّير عليه الإخلاص والتسليم لله سبحانه وتعالى، يقول السيد: **(فالإخلاص لله، الذي هو ماذا؟ يعني التسليم لله أو مظهر من مظاهر تسليم الإنسان نفسه لله يجب أن يكون معروفاً لدينا بأنه يتجسد في ماذا؟ أن يكون عندك فكرة أنك تتبع، تتبع كتاب الله، تتبع هدى الله هذا يتمثل فيه إخلاصك لله.**

كيف يمكن أن يقول أو يؤكد على أن يكون الناس مسلمين له؟ كيف نستطيع أن نوفق بينها وبين ما قدم في الأخير بأن الدين هكذا [لا يوجد هناك أدلة يقينية لا يوجد جهة نتبعها لا يوجد ولا، ولا إلى آخره معنا كتاب وسنة، لا يوجد جهة نقول بأنها هي قائمة على هذا إنما فقط كل واحد يقوم من عنده يبحث ويجتهد وهو ملزم بما أدى إليه نظرهُ وبحثه واطلاعه وترجيحاته!] هل يمكن أن توفق بين تأكيدات القرآن للتسليم وبين المقولة هذه، لأن معنى هذه أن هذا الموضوع ضائع، أليس معناه هكذا؟ لا يوجد طريقة واضحة، معناه لا يوجد طريقة واضحة! فكيف يمكن أن الله يقول لك أن تسلم له ولا يوجد طريقة تسير عليها؟ لا يصح، هذا لا يمكن أن يصح عند البشر هم، يقول لك امشِ على الدستور تلتزم بالقانون ولم يعمل قانوناً، ممكن يقول لك هكذا؟ تلتزم بالقانون تكون مطيعاً ولا يوجد هناك قانون؟ أو يقول لك تكون مطيعاً ولا يقدم لك شيئاً يعبر عن ماذا؟ أن يكون عملك به طاعة له؟ لا يمكن هذا عند البشر، ما بالك عند الله سبحانه وتعالى.

وللأسف أنه إلى الآن ما نزال نتشبث بالطرق هذه التي تنطلق على أساس أن كل واحد يشتغل من عنده، بل بعضهم يقدمها كمقترح في حلّ لما يواجه المسلمين اليوم من جانب الأمريكيين

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

والإسرائيليين يقول [لازم مزيد من الديمقراطية المزيد من الحرية، التي يسمونها حرية، القول والقول الآخر] يعني مزيد من التمزق، مزيد من الثرثرة، التي لا يبتني عليها شيء)[1].

خطورة التّفرّق والإختلاف

رسم الله في القرآن الكريم الطريقة والوضعيّة الّتي يجب أن يكون عليها المسلمون في وضعيّتهم الدّاخليّة مع بعضهم البعض، وفي حملهم لرسالة هذا الدّين، وفي مواجهتهم لبني إسرائيل، فحذّر الله من خطورة التّفرّق والاختلاف، وهدّد عليه بالعذاب العظيم، ذلك أنّ التّفرّق في الدّين، والاختلاف فيه يضرب هذه الأمّة ويضعفها في مواجهة أعدائها، وفي بنائها الدّاخلي، لكن الجهل بالله وبمعرفته يؤدّي بالنّاس للجهل بالرّسول، وبالقرآن، وبالدّين، وبالحياة، وحتّى بالإنسان نفسه، وللجهل بسنن الحياة، وقد بيّن الله ووضّح بأبلغ وأوضح بيان خطورة التّفرّق والاختلاف، وبيّن لنا طريق التّوحّد والائتلاف، يقول السيد: **(وتجد الطريقة هذه، الله رسم من البداية عندما تحدث عن بني إسرائيل، ثم كيف يكون الناس في مواجهتهم، هي هذه طريقة واضحة ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾**[آل عمران: من الآية١٠٥] **قلنا نحن بحاجة إلى أصول دين، أصول فقه، تهتم بالبحث عن البينات هذه، هذا أصول الفقه الصدق، أصول الدين الصدق، أن يكون هناك أصول فقه وأصول دين يبحث هذه البينات التي إذا سار الناس عليها لا يختلفون ولا يتفرقون.**

وكان هذا الوعيد الشديد - كما كررنا - الوعيد الشديد هذا: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران: من الآية١٠٥] **كان المفروض أن يكون هو بالشكل الذي يدفع الناس من الذين من قبلنا جيل بعد جيل أن يدفعهم إلى أن يهتموا بالبحث عن البينات التي لا يفترق الناس ولا يختلفون إذا ساروا عليها، لكن الجهل بالله أو تقول النقص الكبير في معرفة الله سبحانه وتعالى يؤدي إلى جهل بكتابه وجهل برسوله وجهل بدينه وجهل بدنياه وجهل بالآخرة وجهل بالإنسان نفسه وجهل بسنن الحياة هذه.**

إن هذه من الأشياء التي تعتبر سيئة جداً، أن يجد المسلمون نهياً هنا عن التفرق والإختلاف ثم يحاولون كيف يشرعون ويجعلون الإختلاف مقبولاً، ويردون على الله بأنه: [الإختلاف طبيعي

(١) الدرس الرابع عشر من دروس رمضان سورة آل عمران.

والإختلاف ضروري] أليس هذا يعني جهلاً بالله بشكل كبير؟ جهلا بأنه كما قال في آية أخرى: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ﴾[الفرقان: من الآية٦] نزل هذا القرآن الذي فيه هذه الآية ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِيْ يَعْلَمُ السِّرَّ فِيْ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[الفرقان: من الآية٦] كيف يمكن أنه ينهى عن الإختلاف والتفرق ثم لا يرسم طريقة تبعد الناس عن الإختلاف والتفرق، هو الذي خلق الإنسان ثم ترد عليه وتقول: الإختلاف طبيعي بين الناس)[1].

ويؤكّد السّيد أنّ التّنظير للاختلاف، وصبغه بالصّبغة الشّرعية، وتبريره من الجهل الكبير بالله، وبدينه، وبكتابه، بينما نحن نجد من يشرعنون، ويبرّرون للاختلاف في الدّين يحسمون الموضوع، ويغلقون هذا الباب أمام الدّستور، والقانون، والنّظام، لأنّهم يعرفون أنّ فتح الباب للاختلاف، والآراء، والحريّة، والتعدد في الرّؤى يهدّد أيّ نظام ويلغيه، ويضرب أيّ دستور وقانون، ويوضّح السّيد الطّريقة الّتي يسيرون عليها في القوانين والأنظمة الوضعية، بالشّكل الّذي يحمي النّصوص الدّستورية والقانونيّة من أيّ تلاعب بها، بينما يأتي من يفسح المجال أمام النّصوص الإلهيّة، والنّظام الإلهي، الذي هو نظام للأمّة وللبشريّة بكلّها، حتّى قدّموا الدّين بشكل مهزوز وضعيف جدّاً، يقول السيد: **(تجد من يدعون إلى الإختلاف في النظام الديمقراطي تعددية حزبية وآراء متعددة، أليسوا يحتاجون أن يحسموا الموضوع فيما يتعلق بدستور وقانون؟ يحتاجون يحسمونه لأنهم عارفون أنه لا يمكن نقول تعددية وحرية في كل شيء بما فيها فيما هو نظام لأن معناه ألّا يكون هناك نظام يحكم الجميع، مثلاً قد نكون مجموعة أحزاب مجموعة شعب مليء بالناس الذين اتجاهاتهم ورغباتهم وأهوائهم مختلفة، لا بد من نظام يحكم الجميع، أليسوا يعملون قانوناً للأحزاب نفسها؟ دستوراً يقوم عليه التحزب بكله، ثم أيضاً يعملون قانوناً للأحزاب نفسها، يعني ماذا؟ يعتبر نظاماً، نظاماً واحداً، ويقدمونه بصيغة واحدة بحيث يكون ماذا؟ يعتبر منظماً لشئون الأحزاب هذه التي هي متعددة ومختلفة.**

ثم ترى مثلاً مدينة معينة، ترى فيها أطباء ومهندسين ووزراء وعسكريين وإداريين وأصحاب مهن متعددة يعملون دستوراً على أساس أنه ينظم حياة هؤلاء ويجب أن يكون من جهة واحدة، وأن لا تخضع نصوصه لتفسيرات الناس ولا لآرائهم وترجيحاتهم، أعني هذا ملاحظ في النظام الديمقراطي فترى أنه كيف أوصل الناس الذين قدموا مناهج أخرى من داخل المسلمين أوصلوا

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

الإسلام إلى أن جعلوه هناك أعني بشكل رهيب جداً، أعني لم يعد ولا مثل الديمقراطية، مفتوح هكذا ثغرات، فلا تبتني عليه أمة ولا يقوم عليه نظام على الإطلاق.

في الديمقراطية هم يحاولون بهذا: أنه فيما لو حصل اختلاف في فهم نص دستوري، فليس الموضوع يخضع لاجتهادات المختلفين، هناك محكمة دستورية فيها شعبة معينة تختص بتفسير نصوص الدستور، وهل يسمحون إلى أنه في القوانين عندما يأتي قانون ينزل من مجلس النواب يسمحون للقانونيين والإقتصاديين والمثقفين أن يقدموا اجتهادات، وكل واحد ملزم بما أدى إليه نظره؟ وكل واحد يقلد بعده من قلد؟! أعني القضية يعرفها الناس بأنها خطأ وقد أصبحت معروفة بأنها خطأ، بكل وسائل المعرفة وما نزال متشبثين بها في دين الله الذي هو نظام للبشر جميعاً لتقوم عليه أمة واحدة)[1].

خطورة التّفريط في توجيهات الله

هناك خطورة شديدة، وتبعات وآثار سيئة جدّاً في الدّنيا والآخرة لمن يخالفون توجيهات الله وتعاليمه، ونتائج وآثار طيّبة في الدّنيا والآخرة لمن يتّبعون هدى الله ويلتزمون به، وقد بيّن الله النّتائج والآثار السّيئة والخطيرة للتّفرّق والاختلاف، وبيّن النّتائج والآثار الطيّبة والإيجابيّة للوحدة والاعتصام، والإتّباع لهدى الله وبيّناته في الدّنيا والآخرة، وهذه الحالة يكون مرتبطاً بها مواقف النّاس هنا في الحياة الدّنيا، فالأمّة الواحدة المتوحّدة تكون مواقفها مواقف مشرّفة، وصفحاتها بيضاء تتجلّى نتائجها في واقع الحياة، والأمّة المفرّقة والمختلفة تكون مواقفها سيئة، وصفحاتها سوداء في الدّنيا والآخرة، لأنّ التّفرق والاختلاف يعتبر جريمة كبيرة جدّاً، ومن أخطر وأشدّ المعاصي لله سبحانه وتعالى، بل سمّاه الله كفراً بعد الإيمان، يقول السّيد حول هذه الآية: (﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾[آل عمران: ١٠٦] **بعد التبيين الكامل، بعد هذا الهدى الكامل، لم يبق إلا ماذا؟ بياض وجوه وسواد وجوه، أعمال تسوّد الوجه أو أعمال تبيّض الوجه، مواقف تبيض الوجه أو**

(١) الدرس الرابع عشر من دروس رمضان سورة آل عمران.

مواقف تسود الوجه، المختلفون المتفرقون لا يطلع من عندهم إلا مواقف تسود الوجه، كيف مواقف الناس الآن العرب بشكل عام، كيف هي في معظمها؟ مواقف تسود الوجه.

تلاحظ أن هدىٰ الله سبحانه وتعالىٰ لا يقدم كقضية، وعلىٰ كيفك وإلا فلا يوجد تبعات بعدها، يحصل لها آثار سيئة أو آثار إيجابية في الدنيا والآخرة بعد ما يوجه الناس كيف يكونون معتصمين به معتصمين بحبله متقين له ويكونون أمة علىٰ هذا النحو، يكونون مبتعدين تماماً عن التفرق والإختلاف يقول بعدها ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾[آل عمران: من الآية١٠٦] يعني هذا هدىٰ يجب أن تسيروا عليه، بعده عقوبات رهيبة بعد التفريط فيه ونتيجة التفريط فيه عقوبات شديدة.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[آل عمران: من الآية١٠٦] لاحظ معناها ماذا؟ من د اخل من؟ من داخل من قد أطلق عليهم اسم إيمان، وانتسبوا إلىٰ مسمّىٰ إيمان وإسلام.

﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[آل عمران: من الآية١٠٦] ماذا يقال للمختلفين الذين يؤصلون التفرق والإختلاف يؤصلونه ويسوغونه بعد ما قال أن هناك بينات وبعد ما نهىٰ عنه؟ أليس هذا يسمىٰ رفضاً؟ يسمىٰ كفراً بعد إيمان، حقيقة، هذا المعنىٰ الذي نقوله دائماً أنه واسع داخل دائرة من هم منتمين إلىٰ هذا الدين.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[آل عمران: من الآية١٠٦] لأن التفريط في هذا الهدىٰ قد يجعل الكثير في الأخير يعملون أعمالاً تسود الوجه، كفر بعد إيمان، أعمال تسود الوجه عندما يكون قد صار يشتغل مع بني إسرائيل ألد أعداء الأمة أخبث أعداء البشرية، ثم تراه قد صار يشتغل معهم تحت أي عبارات أو تحت أي مسميات، أليست هذه قضية ملموسة؟ قد صاروا يحاولون أي توجيه من أمريكا يمشونه، مناهج [مستعدين نغير مناهج] زي معين [مستعدين زي معين] وهكذا! معناه بأنه أسوأ موقف، تنصرف عن هدىٰ الله، ويوصلك هذا الإنصراف إلىٰ أنك تصبح تتبنىٰ مواقف سيئة جداً، تسود وجهك.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[آل عمران: من الآية١٠٦] يقال لهم يوم

القيامة: ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾[آل عمران: من الآية ١٠٦ - ١٠٧] **هؤلاء الذين ساروا على هدى الله ووثقوا بأن هدى الله شامل ووثقوا بأن توجيهاته كاملة وأنه يرسم الطريقة المتكاملة التي تسمى صراطاً مستقيماً، تكون مواقفهم في الأخير مواقف تبيض وجوههم.**

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[آل عمران: الآية١٠٧] **سمى الجنة رحمة، وفي رحمته من الدنيا إلى الآخرة، أي رحمة لا يخرجون عنها من الدنيا أما الآخرة فقد هي تلك الرحمة الأبدية.**

إذا واحد تأمل في مواقف الناس في الزمن هذا في مواجهة ما يحصل من جانب أمريكا وإسرائيل، ألسنا نجد فيها نحن مع قصور فهمنا كبشر أنها مواقف تسود الوجه عندما تسمع الأمريكي مُتجه، اليهود والنصارى متجهون إلى أن يخفوا كتاب الله، كثيراً من آياته من مدارس ومساجد، وعندما تسمع أنه في العراق فعلاً، في العراق قالوا بأنه نفس الحاكم الأمريكي أصدر توجيهات إلى أئمة المساجد أن لا يقرؤوا الآيات التي فيها جهاد في الصلاة، معناه أنهم قد صاروا يتحكمون في هذا الموضوع ويوجهون الناس أن يخفوا كثيراً من آيات الله ويتأقلمون معها، أليست هذه مواقف تسود الوجه؟ مواقف سيئة جداً)[1].

الله لا يريد لعباده أن يظلموا

الله سبحانه وتعالى لا يريد لعباده أن يظلموا، فجاءت توجيهاته، ومضامين آياته، وبيّناته بالشّكل الّذي يحول بين النّاس من الوقوع في الظّلم، فجاءت هذه الآيات المهمّة التي تدعو للتّوحد والاعتصام، وتنهى وتحذّر من التّفرّق والاختلاف لتبعد النّاس عن هذا الواقع المظلم الذي وقعوا فيه بسبب تجاوزهم لهذه التوجيهات، والآيات البيّنات الّتي قدّمها الله لعباده بالحقّ، يقول السّيد حول هذه الآية :

(﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ﴾[آل عمران: الآية١٠٨] **هذه**

(١) الدرس الرابع عشر من دروس رمضان سورة آل عمران.

حقائق ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾، ما هي مقترح من أي طرف آخر، من جهة الله سبحانه وتعالى، ﴿بِالْحَقِّ﴾ يعني: هي نفسها حق، وأن تتلى عليك هو حق وأن تنزل إليك حق، قضية هامة، يعني مثلما تقول تقتضي حكمته أن يوجّه بهذه التوجيهات الهامة.

﴿وَمَا اللهُ يُرِيْدُ ظُلْماً لِلعَالَمِيْنَ﴾[آل عمران: من الآية١٠٨] **هذه التوجيهات الهامة من أول ما يقول لهم أن يعتصموا به يعتصموا بحبله، ويوجه كيف يكونون؛ لأنه لا يريد أن يظلم الناس، العالمين، ما بالك أولياؤه ما بالك من هم متجهون إلى أن يسيروا إلى الإلتزام بدينه ﴿وَمَا اللهُ يُرِيْدُ ظُلْماً لِلعَالَمِيْنَ﴾[آل عمران: من الآية١٠٨] معناه بأنه إذا لم يكن هناك تمسك بهذه سيظلمون، وهو يعلم أنهم سيظلمون ويعلم أنهم إذا لم يتمسكوا، إذا لم يسيروا على هديه سيظلمون؛ فلهذا هداهم لأن لا يظلموا، لأنه لا يريد أن يظلموا، لكن عندما تكون أنت لا تبالي، قد رغبتك أنت أن تظلم، فهناك الله يقول: الله غني عن العالمين، هذه قاعدة تراها في كل شيء يقدم لك هو لا يريد أن تظلم، هذا هدى لك بالشكل الذي يجعلك بعيداً عن أن تظلم إذا ما هناك توجه ولا هناك اهتداء فستظلم وسيعاقبك أيضاً هو من عنده ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾[آل عمران: من الآية١٠٦]** [(١)].

الأمور كلّها بيد الله

ليس هناك ما يمكن أن يحول دون نفاذ أمر الله سبحانه وتعالى في شئون عباده، لأنّه من له ما في السّموات وما في الأرض، وإليه يرجع الأمر كلّه، وهذه قاعدة تطمئن النّاس في مسيرتهم الدّينيّة، وتعطيهم الثّقة الكبيرة في تحرّكهم، ونشاطهم، وأعمالهم، فينطلقون في إتّباعهم لتوجيهات الله، وهدى الله بشكل قويّ، ومعنويّات عالية، وروحيّة نشطة، ودائمة، ومستمرّة، ولا يبدو شيءٌ مستحيلٌ أمامهم، لأنّهم يعلمون أنّ الأمر كلّه لله، وأنّ العاقبة ستكون لهم، والتّفوّق والنّجاح هو مصيرهم، يقول السيد: **(يقول بعد هذه الآية ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[آل عمران: من الآية١٠٩] لاحظ كيف تنسف أي تطانين من داخل قد تقعد الإنسان عندما قال هناك: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾[آل عمران: الآية١٠٣] ذكر أنه يتدخل فيؤلف بين قلوبهم عندما يقول: [نحن أعداء ومفرقين كيف نعمل] ذكر أنه يتدخل، عندما تقول: [لكن**

(١)سورة آل عمران الدرس الرابع.

الأعداء كبار وأقوياء وكثير وهم، وهم.. إلى آخره] هو يقول لك الذي هدى الناس إلى هذه ولأنه لا يريد أن يظلموا أنه هو له ملك السموات والأرض ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[آل عمران: الآية١٠٩] **فإذا أنت ترى أمامك قائمة من الأمور وتراها بشكل كبير أمامك، تحول بينك وبين أن تتوجه تقول: [صحيح، باهر] وهذا هو الذي هو حاصل عند الناس [صحيح وباهر لكن..] أليسوا في الأخير يقولون: [لكن هناك يوجد أمور كبيرة أمريكا وإسرائيل والعرب كذا..] يعمل لك قائمة أمور، أليسوا هكذا؟ وهنا يعمل وعداً للناس إذا ساروا على هداه بأنه إليه ترجع الأمور، كثير من الأشياء هذه هو يزيحها، ويعمل متغيرات كثيرة، فأنت عندما تتجه على هداه، هو إليه ترجع الأمور لا يكون أمامك شيء من هذه الأشياء هو الذي يغير، يغير في هذه الحياة ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾**[هود: من الآية ١٢٣] **كما قال في أكثر من آية هذه يكررها عدة مرات في القرآن، عندما تقعد عن هذا الهدى على أساس مراعاة لهذه الأمور وكأنك قد ارتضيت لنفسك طريقة تتأقلم بها مع هذه الأشياء الكبيرة أمامك لتسلم، فافهم، لا، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾**[فاطر: من الآية٤] **سيضربك بمن تحاول أن تتأقلم معهم لتسلم شرهم، مثلما هو حاصل عند العرب الآن، أمثلة كثيرة الآن نعمة أمثلة مَثِّل حتى تشبع من واقع الأمة الآن.**

الذين يقولون [ما نستطيع ولا معنا، وهم كذا، وهم كذا معهم ومعهم ومعهم ونحن لا معنا ولا معنا] أليسوا يعملون قائمة أمور؟ أليست تقعدهم الفكرة هذه؟ ناسين للآية هذه ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[آل عمران: الآية١٠٩] **وكم كررها في القرآن)**[1].

كنتم خير أمّة أخرجت للنّاس

تعتبر هذه الأمّة هي خير أمّة أخرجت للنّاس، بأن اصطفاها الله وأخرجها وجعل القرآن بلغتها، والنّبيّ منها، وأوكل إليها مهمّة حمل رسالة الله، ومهما حصل لديها وفي داخلها من اختلالات لا زالت هي خير أمّة أخرجت للنّاس مقارنة بالأمم الأخرى، وخيريّتها واختيارها لأن تكون خير أمّة مرتبط بحملها للمسئوليّة، واتّباعها لهدى الله، وقيامها بمسئوليّتها الكبيرة

(١) الدرس الرابع عشر من دروس رمضان سورة آل عمران.

المتمثّلة في الدّعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، وإيمانها بالله، واتّباعها للقرآن الكريم، وللرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)، يقول السيد حول هذه الآية:

(﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران: الآية ١١٠] **أن تختار هذه الأمة أن تكون هي التي ماذا؟ تحمل راية الإسلام من داخلها نبي الإسلام، ينزل في وسطها القرآن الكريم، يكون هذا القرآن بِلُغَتِهَا، اختيرت لتقوم بهذه المهمة على أساس هذا الإعتبار، لا تقول أنه حصل غلطة أنه أوكل إلى هذه الأمة واتضح أنها ليست أهلاً!. لا، في واقعها هي كانت تعتبر أحسن أمة مقارنة بأمم أخرى والإعتبارات تكون أشياء واسعة لا نستطيع أن نحيط بها ولا نعرف القليل منها، اعتبارات أن تكون هذه الأمة أحسن من تلك الأمة بأن تكون هي محطّ لأن تنهض بالرسالة أن يكون الناس منها هم جنود هذه الرسالة، لكن مهما كان أي خيِّر سواء على مستوى شخص أو على مستوى أمة مرتبط بأن يسير على الهدى الذي وجه به أو وجه إليه)**[1].

يبيّن السّيد أنّ الإختيار الإلهي للأمم مرتبط به مسئولية، متى ما حملها النّاس، وقاموا بها كانوا هم خير أمّة، وإلاّ فإنّ ما يقابلها هو السّقوط والانحطاط، ويبيّن السّيد أنّ هذه الأمّة لا تزال تحمل الكثير من مقوّمات النّهوض بالمسئوليّة والأفضليّة الّتي يجب أن تستغلّها الأمّة، وتعود إليها، لتنهض من جديد، وتكون فعلاً هي خير أمّة أخرجت للنّاس، ويبيّن السّيد أنّ المسئوليّة الّتي أوكلت إلى هذه الأمّة هي عامّة وعالميّة للنّاس جميعاً، فالرّسول (صلوات الله عليه وعلى آله) جعله الله للعالمين، والقرآن الكريم كذلك أنزله الله للعالمين، فدور هذه الأمّة هو دور عالميّ، ومسئوليّة عالميّة، يقول السّيد: **(المهم الذي يمكن أن نفهمه من الآية هذه ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: الآية ١١٠] أنه من البداية عندما تختار هذه الأمة لهذه المهمة، معناه ماذا؟ مقارنة بأمم أخرى، هي أحسن أمة يوكل إليها هذه المهمة، يصطفى النبي منها وتحمل هي هذه الرسالة ويكون القرآن بلغتها.**

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

مثلما قال عن بني إسرائيل، ألم يقل: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[الدخان: من الآية٣٢] **هو الذي يختار أمة، والإختيار مبني على أساس فليسيروا على هديه وليلتزموا بكتبه، حصل خلل عندهم، نبذهم، فهذه الأمة ما تزال إلى الآن تقول: [نحن خير أمة خير أمة، وكذلك جعلناكم أمة وسطاً نحن خير أمة...] الخيرية هنا مرتبطة بماذا؟ بمسئولية، بمهمة، وإلا فسيكون ما يقابلها انحطاط، ما يقابلها سقوط.**

يلاحظ واحد في التاريخ كم كانت خير أمة؟ فترة قصيرة قد تجدها فقط ربما أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **في حركتها كان لها أثر كبير وإنجازات كبيرة، ومن بعد حصل خلخلة رهيبة جداً.**

لكن قد تكون ما يزال هناك بقايا مقومات إذا هناك توجيه إليها واستغلال لها وتذكير للأمة، بأن ماذا؟ تستغل ما لديها من مقومات تجعلها فعلاً خير أمة أو تعود إلى أن تكون خير أمة، ألسنا نجد في الحديث عن بني إسرائيل أنه يتكلم كثيراً ثم يدعوهم ثم يقول أنه لا ينبغي أن تكونوا أول كافر به، حتى هناك في هذه الآية ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾[آل عمران: من الآية ١١٠] **وهنا يقول: ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾**[آل عمران: من الآية٩٩] **﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾**[آل عمران: من الآية ٧٠].

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: من الآية ١١٠] **ثم يبين بأنها مسئولية عامة للناس، وأن مسئوليتهم هي مرتبطة بالناس جميعاً، هي الرسالة التي هي للعالمين، القرآن للعالمين، والرسول للعالمين، مهمة هذه الأمة هي ماذا؟ أن تتحرك بهذه الرسالة في العالمين في الناس ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾**[آل عمران: من الآية ١١٠]**)**[1].

ويؤكّد السّيد أنّ الله اختار هذه الأمّة وجعلها خير أمّة أخرجت للنّاس، وأعطاها التوجيهات والمقوّمات الكاملة الّتي تجعلها قادرة على النّهوض بمسئوليّتها، لكنّ الخلل يأتي عادة من جانب النّاس أنفسهم، ويؤكّد السّيد على أنّ مقوّمات النّهوض لهذه الأمّة لا زالت قائمة وموجودة، والتّوجيه الإلهيّ لا زال قائماً، فيمكن للأمّة أن تعود للقرآن الكريم فتنهض به من جديد، وتأخذ الدّروس والعبر من ماضيها وتاريخها لتنهض بشكل صحيح، يقول السّيد:

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع.

(إذاً فقد اختار الأمة، وأعطاها التوجيهات الكاملة التي تجعلها فعلاً قادرة على النهوض بمسئوليتها، فحصل الخلل من داخلها، حصل خلل من داخلها بمعنى أنه في الأخير ما تقول بأنه ربما لو اختار الله أمة ثانية كان ربما تنجح القضية أو ربما هناك تقصير في كذا... يختار، ويختار أفضل منهج، لكن تجد الناس أنفسهم هم يحصل خلخلة من عندهم هم، ويحصل ابتعاد من عندهم ويضيعون مسئوليتهم هم، ومع هذا لا يقول يكفي غلطت الأمة هذه ويكفي، ما يزال التوجيه قائماً وما تزال الإمكانيات للنهوض بالمسئولية قائمة يعني: ممكن، أليس القرآن هو كتاب يعطي هدىً في كل زمن؟ يعطي هدىً في كل زمن يمكن للأمة أن تنهض به من جديد وتأخذ عبرة من ماضيها تأخذ عبرة من تاريخها، كيف تدنت كيف سقطت؛ لتعود لتنهض بشكل صحيح.

﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران: من الآية ١١٠] **الآن لاحظ كيف تقدم مسئولية الأمة الآن؟ كيف توجه؟ توجه إلى أن تقبل بالآخر لا تعترض على منكره لا تقدم ما لديها من معروف، أي لا تعد تأمر بمعروف ولا تنهى عن منكر، وتؤمن بالآخر أكثر من إيمانها بالله، وهذا من الأشياء الرهيبة جداً بسبب حكامها بسبب علماء سوء في داخلها)**[1].

وعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾[آل عمران: من الآية ١١٠] يؤكّد السّيد أنّ الله يريد للكلّ أن يؤمنوا، وأنّ اختيار الله لهذه الأمّة بأن جعلها خير أمّة، أوكل إليها مهمّة حمل رسالة القرآن الكريم، فيجب أن يكون عند هذه الأمّة هذه الرّؤية، والنّظرة، والروحيّة القرآنيّة الخيّرة، الّتي توّد للآخرين جميعاً أن يؤمنوا، فلا تتكتّل تكتلاً إقليميّاً، أو جغرافيّاً، وعرقيّاً، بل تكون أمّة عالميّة بعالميّة المسئوليّة الّتي أوكلت إليها، يقول السيد: **(بمعنى أن الله سبحانه وتعالى يريد لكل الناس أن يؤمنوا، هذه القضية هامة جداً، سيأتي بعدها حديث عن أهل الكتاب بشكل آخر، بمعنى أنهم في نفس الوقت الذي ترى هذه الأمة بأنها خير أمة وأنها أوكل إليها هذه المهمة ونزل القرآن بلغتها والنبي منها الذي هو للعالمين جميعاً، أنها ما تزال قضية أن تلحظ فتنظر نفس النظرة القرآنية أنها تود أن يؤمن الآخرون كلهم ألم يقل هناك في البداية ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾[آل عمران: من الآية ١٠٤] يكون عندها نظرة خيِّرة عندها روح**

(١) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

خيِّرة، أعني لا تعتبر نفسها وكأنها متكتلة تكتلاً إقليمياً تكتلاً شخصياً هي تقوم بمسئولية ومهمة هذه المهمة أساسها أن ترغب في أن يؤمن الكل)[1].

دور هذه الأمّة هو الدّور النّهائي

يعتبر دور هذه الأمّة هو الدّور النّهائي في حمل رسالة الله وهداه للعالمين، فعليهم أن يكونوا حريصين جدّاً على حملهم للمسؤوليّة وقيامهم بها، كما أراد الله منهم، بأن جعلهم خير أمّة اختيرت لحمل هذه المسؤوليّة والمهمّة، فعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[آل عمران: من الآية ١١٠] يبيّن السّيد أنّ الحديث القرآني عاد ليذكرنا بأهل الكتاب من جديد، ليفهم النّاس أنّ دورهم هو الدّور النّهائي في حمل رسالة الله للعالمين، وليحذروا من الفشل في حملهم لهذه الرسالة، وقيامهم بهذه المسئوليّة، ويؤكّد السّيد أنّ على هذه الأمّة أن تمثّل الدّور النّموذجي بين الأمم، وأن تثبت جدارتها في حملها لرسالة الله ودينه، وتقدّم المصداقيّة والجاذبيّة في سلوكها، وحملها للرّسالة بالشّكل الذي يقدّم الشّهادة الكاملة على عظمة دين الله، وهداه، وبيّناته، يقول السيد: **(يذكرنا أيضاً بأهل الكتاب، كما قال في سورة أخرى عندما ذكر فئات ممن مضوا من بعد نوح، ثم وجه المسلمين توجيهاً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾[الحديد: من الآية٢٨-٢٩] **بعد ما قال من أيام نوح أنه أورثهم الكتاب والنبوة ثم يذكر - معنى الآيات - قليل يؤمنون وأكثرهم فاسقون في مرحلتين هو عددها هنا في [سورة الحديد] بشكل أعني بينها علاقة وبين هذه الآية، أي ليفهم الناس أن القضية، أن دورهم هو الدور النهائي فعليهم أن يحذروا أن لا يكونوا كالسابقين.**

بعد ما قال: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[الحديد: الآية٢٥] **هذه المهمة الرئيسية للأمم** ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾[الحديد: الآية٢٦] **لاحظ هنا قال:** ﴿**فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ**

(١) الدرس الرابع عشر من دروس رمضان سورة آل عمران.

وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[الحديد: من الآية ٢٦ - ٢٧] **لاحظ يبين إنما ذكر من الأمم [صحطت] على ما نقول؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا تذكير للأمة هذه أنها تعرف مسئوليتها ودورها الهام، مثلما يقول [بقي أنتم] كأنه مثلما يقول: [بقي أنتم الذين أنزل إليكم هذا الكتاب وبعث منكم هذا الرسول].**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾[الحديد: من الآية٢٨] **لإلتزامكم، ولتقدموا أنفسكم مثلاً أعلى، يكون ماذا؟ في مقابل الذين كانوا ماذا؟ ﴿وكثير منهم فاسقون﴾**[الحديد: من الآية ٢٧] **﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾**[الحديد: من الآية ٢٨ - ٢٩] **حتى لا يأتي أهل الكتاب يقولون: [إذاً كل الأمم فاشلة وما أعطي لغيرنا من فضل هو لا يصلح له] يعني اثبتوا جدارتكم، معناها اثبتوا جدارتكم قدموا من أنفسكم شهداء على أن الله يختص برحمته من يشاء ويختص بفضله من يشاء، لا تجعلوا أهل الكتاب في الأخير يتشبثون بما هم عليه ويرون بأنه فعلاً نظرتهم وكأنها واقعية أنه لا يصلح للدين على الرغم مما حصل لديهم إلا هم، وأنه [لاحظوا الآخرين كيف جاء منهم نبوة وكتاب كيف وصل الحال فيهم] معنى هذا أن واقع الأمة خطير جداً مسئولية كبيرة جداً عليها لأنها تمثل شهادة، تمثل شهادة هنا يقول أيضاً: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾**[آل عمران: من الآية ١١٠] **انتبهوا أنتم أيضاً، أنتم خير أمة اختيرت لهذه المهمة، لا تطلع النتيجة على هذا النحو.**

الآن أصبحت المسألة في الأخير إلى أنه مثلما نقول: [كنا أمة أو كانوا] أليس العرب الآن يقولون: [كنا وكنا ويوم كنا وصلنا إلى الصين ووصلنا إلى فرنسا ووصلنا إلى...])[1].

(١) الدرس الرابع عشر من دروس رمضان سورة آل عمران.

الوسطيّة في الإسلام

في هذه المرحلة الحسّاسة من تاريخ الأمّة يشتغل الكثير من الكتّاب وما يسمّى بالمفكرين حول موضوع الوسطيّة، وتقديمها بشكل ضعيف ومتدني، وكأنّها تعني الإستسلام، والقبول بالآخر المعادي، وكُتبت الكتابات الكثيرة، وأُلّفت المؤلفات المتعدّدة حول الوسطيّة في الإسلام، وتقديمها، والتسويق لها في وسائل الإعلام ولدى الرأي العام بتحريف كبير لمعناها، وتضليل رهيب، وقد قدّم السّيد "رضوان الله عليه" في الدّروس والمحاضرات الرّؤية الحقيقيّة للوسطيّة، وبيّن هذا المصطلح القرآني المهمّ بالشّكل الّذي يليق به، ويليق بهذه الأمّة.

مشكلة الأمّة هي مشكلة ثقافيّة

يوضّح السّيد أنّ مشكلتنا في الأساس هي مشكلة ثقافيّة، حتّى ضربت لدينا المصطلحات القرآنيّة، ووصلنا إلى أحطّ مستوى بسبب التّثقيف المغلوط والخاطئ فيقول:

(إذاً لاحظ كيف الخسارة الكبيرة جداً؛ ولهذا نحن نقول: إن مشكلتنا هي في الأساس ثقافية، المشكلة بالنسبة لنا كمسلمين هي ثقافية ثقافة مغلوطة رهيبة جداً صرفتنا عن كتاب الله وجعلتنا غير طبيعيين ولم نعد نحن تقريباً ولا مثل الناس الطبيعيين لم نعد نحن على فطرتنا أبداً، فتجد هذا الواقع يكشف فعلاً أحط مستوى وصلنا إليه، مع أن لدينا ما كان يجعل هذه الأمة في أعلى مستوى على الأمم كلها فتأتي الآية هناك: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[البقرة: من الآية١٤٣] **كيف قدموا الوسطية الآن؟ أي أن هذا أيضاً استمرار في نفس التثقيف الخاطئ، الوسطية الآن: أن لا تحرك ساكناً أمام هذا العدو أن لا تنبه على خطورة هذا العدو، ألّا يستعد الناس لمواجهة هذا العدو، ألّا يعود الناس إلى دينهم على ما هو عليه ويتثقفون بثقافته ويتخلقون بأخلاقه ويتجهون اتجاهه وينظرون بنظرته.. [لا تكن متشدد.. اجعل نفسك وسطياً!!].**

الوسطي من هو عندهم؟ الذي يكون قابلاً أن يكسروه من وسط ظهره فعلاً.. اجعلوا أنفسكم

أمة قابلة أن تكسر من وسط ظهرها فلا تقوم لها قائمة، أي: تحمل روح التسامح والقبول بالآخر.. [لماذا أنت متشدد هكذا على اليهود وعلى النصارى وتوجه الناس أن يكونوا منتبهين لهم، ليكن عندك تقبل للآخر..!] والآخر: اليهودي والنصراني! والله قد رفضهم.

بل وصلت المسألة إلى حالة رهيبة جداً أن يقدموا القرآن بين أيديهم هم، وهذا شيء مزعج جداً، القرآن الذي جعل الله هؤلاء الناس قائمين عليه وقائمين به)[1].

التّأثر الثّقافيّ ببني إسرائيل

أصبحت هذه الأمّة متأثّرة ثقافيّاً ببني إسرائيل، إلى الدّرجة الّتي جعلتنا نقدّم لهم القرآن الكريم بين أيديهم يتحكّمون فيه، وفي مصطلحاته، ومعانيه، وآياته كما يريدون، فهم من يقرّرون الخطط لصياغة المناهج التعليميّة، والتربويّة، والتّثقيفيّة، ومن الأخطاء الرّهيبة الّتي وقعنا فيها هو الّتعاطي الثّقافيّ مع مصطلح الوسطيّة القرآني الذي هو في الأساس خطابٌ موجهٌ للعرب، يقول السيد حول هذه الآية:

(﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾[البقرة: من الآية١٤٣] هي خطاب للعرب في المقدمة وفي مقدمتهم أهل البيت وفي الأخير وإذا بالعرب أنفسهم يريدون أن يسلموا القرآن لبني إسرائيل يؤقلموه كما يريدون يخفون ما يريدون ويسترون على ما يريدون ويمنعون الناس عن قراءة ما يريدون في المساجد والمدارس وغيره بل في صحيفة من الصحف يقول عن العراق: - أعتقد صحيفة - [الشموع] الحاكم الأمريكي في العراق منع أئمة المساجد عن قراءة الآيات التي تتحدث عن الجهاد في الصلاة!.

لاحظ الأمة هذه، ألم تصل إلى أن تسلم كتابها لبني إسرائيل والله يقول هنا كيف عملوا مع كتبه كيف كانوا يحرفون كتبه كيف كانوا يحرفون كلام الله من بعد ما يسمعونه ويعقلونه، ونأتي لنقدم لهم القرآن..؟! هنا قد أصبحوا يوجهون أوامر بأن: لا تقرؤوا الآيات الفلانية، لا تطرحوا في المنهج الآيات الفلانية، الخطيب لا يتحدث بالآيات الفلانية، ولا إمام المسجد، ولا أحد...!! أوامر من

(١) الدرس السادس من دروس رمضان سورة البقرة.

الحاكم الأمريكي بأن: لا يقرؤون آيات الجهاد في الصلاة نهائياً، وبالتأكيد ولا في المنهج وتصبح جريمة يعاقب عليها الحاكم الأمريكي عندما يسمعون شخصاً يقرأ آيات الجهاد في أي مكان من الأمكنة ومنافقون عرب يرفعون بأي شخص يسمعونه يقرأ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[التوبة:٢٩].

معنى هذا سيحصل في العرب من ممكن فعلاً يصلون إلى هذه، بل وجدنا أشخاصاً هنا كم يحاولون من داخلنا يرفعون إلى محافظ أو إلى مدير أمن أو أي جهة حكومية هناك أناس يقولون: [الله أكبر الموت لأمريكا والموت لإسرائيل] يرفعون شعاراً هم هؤلاء عاقبهم! أمة فعلاً قد صارت مكسورة من وسط ظهرها حقيقة، إذا ما عادت إلى القرآن لم تعد إلا مثل الحمار عندما يكسر ظهره فلم يعد يعمل شيئاً لم يعد قادراً أن يحملوا عليه ولا أمكن يقتلوه ولم يعد له أي فائدة)[1].

معنى الوسطيّة في القرآن

وفي سورة البقرة الدّرس السابع من دروس رمضان يبيّن السّيد معنى الوسطيّة في القرآن الكريم، مبيّناً أنّ الوسطيّة في اللّغة العربيّة تعني أفضل وأحسن أمّة أخرجها الله للنّاس، وقد جعلها هو سبحانه وتعالى الأمّة الوسط القويّة والمؤهّلة لحمل رسالة هذا الدّين، وعند قوله سبحانه وتعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) يقول السيد:

(﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطا﴾[البقرة: من الآية١٤٣] **هذا صار خطاباً لمن؟ للمسلمين، خطاب بالذات للعرب، خطاب للعرب أنفسهم من البداية، وخطاب موجه بشكل رئيسي لقريش، دائرة الأسر التي تلتقي مع رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **بالجد الأقرب يشملهم اسم: قريش. المسألة عبارة عن دوائر: دائرة قريش، داخلها دائرة بني هاشم، داخلها دائرة أقارب رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **بعد دائرة قريش دائرة العرب.**

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

(١) دروس رمضان سورة البقرة الدرس السادس.

شَهِيداً﴾[البقرة: من الآية١٤٣] **هذه الآية هامة، جداً والكلام حولها بتحريف لمعناها، وتقديمها بشكل يخلق قابلية أن يجرد الأمة عن شهادتها قد ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ كلمة وسطاً لا تعني: عدول، أو تعني.. في آيات أخرى تبين ماذا يعني، أوسط في اللغة العربية، أوسط تعني: أفضل، تعني، أمة من أوسط الأمم، من أفضل الأمم، مهيئة لأن تحمل هذه الرسالة، وتكون في نفس الوقت شاهدة على الناس، الشهادة هنا ليس فقط في موضوع أنهم يشهدون يوم القيامة بأنه قد جاء نبي وبلغ، الشهادة بتجسيدهم للدين، وقيم هذا الدين، وتمثيلهم لهذا الدين)**[1].

ويوضّح السّيد أنّ الأمّة الوسط هي الأمّة الّتي يتجلّى من خلالها وعلى يديها الشّهادة بعظمة هذا الدّين، وجاذبيّته كواقع يتجلّى من خلال العمل، والسّلوك، والممارسة، الأمّة الّتي تبرز لتقدّم نموذجاً حقيقيّاً يشهد بعظمة هذا الدّين، وتكون شاهدة على النّاس فيقول:

(هذا دين عظيم جداً تتجلى من خلال وسط معين من الناس أمة معينة، تتجلى قيمه ومثله ومبادئه بشكل جذاب جداً؛ ليكون شاهداً على عظمة هذا الدين أمام الآخرين فينجذب إليه، وتقوم الحجة على الآخرين به؛ لأن الكثير قد يقولون: مجرد نظرية، وأي نظرية لم يشهد لها الواقع في حياة الناس، لأن هذا هو المحك، هو المحك واقع الحياة، واقع الأمة، روحية الأمة، نفسية الأمة، أفرادها الذين يحملون هذه النظرية، يتجلى من خلالهم ماذا؟ مدى إيجابية هذه النظرية، أو سلبيتها بالنسبة للدين. هذه القضية لم يغفلها، موضوع أنه لا بد من دائرة تمثل قيم هذا الدين، ويتجسد فيها هذا الدين فتمثل بهذا شهادة على الناس بعظمة هذا الدين، فتقدم نموذجاً على أرقى مستوى ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[البقرة: من الآية١٤٣] **أي تكون عملية متبادلة عندما تعرف عظمة هذا الدين، كلما عرفت عظمته، كلما وجدت في شخصية الرسول** (صلوات الله عليه وعلى آله) **وفي حركته شهادة أيضاً على عظمة هذا الدين نفسه)**[2].

والأمّة الوسط هي الأمّة الّتي يتجسّد فيها هذا الدّين، وتلتزم به قولاً وعملاً، وتُجسّد كلّ قيمة ومبادئه، وتقوم بمسؤوليّتها في حمله وتطبيقه حتّى تكون محطّا للتّأييد الإلهيّ، يقول السيد:

(١) الدرس السابع من دروس رمضان سورة البقرة.

(٢) الدرس السابع من دروس رمضان سورة البقرة.

(دائماً تفسر هذه فيما أعرف بأنه: الشهادة على الآخرين، الشهادة على الأمم بأنه قد وصلتهم الدعوة، أو وصلهم البيان، أو وصلهم أخبار النبوة! وهذه هي المهمة هنا، وهي نفس القضية الأساسية أنه: التأهيل، الإصطفاء، هي مسؤولية ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ ليس عبارة عن وسام هكذا، أي: أنهم يقدمونها وكأنها عبارة عن وسام، لا، المهمة هنا المسؤولية ﴿لِتَكُوْنُوْا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ تحت هذه الكلمة أشياء كثيرة جداً ﴿لِتَكُوْنُوْا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ الإلتزام بهذا الدين، الإهتمام بهذا الدين، تجسيد قيمه، الجهاد في سبيل إعلاء كلمته؛ لأنه أيضاً يحصل من خلال هذه أن يكون الناس محطاً للتأييد الإلهي أن يتلمس جانب هذه الأمة أشياء هي فعلاً تشهد بأن هذه الأمة على صراط مستقيم، وأن هذا الدين الذي تدين به هو دين عظيم، فهذه قضية هامة جداً: أنه لا بد من إناء، لا بد من محيط ليكون محطاً للتأييد الإلهي.

هذه القضية معروفة حتى فيما يتعلق بالرزق أليس الإنسان يحتاج يعمل له [جربة] يجمع لها تراب حتى يمكن يعمل فيها زرع؟ أليس الواحد يحتاج يعمل للمطر الذي ينزل من السماء يعمل له مشرب يجمعه حتى يجري إلى هناك؟ لا بد من دائرة، لا بد من محيط مكون من أمة، من مجاميع المؤمنين ينطلقون انطلاقة صحيحة، يعتبرون محطاً للتأييد الإلهي، التأييد الإلهي لا يأتي مبعثر: مؤمن هناك، ومؤمن هناك، وواحد هناك، وواحد هناك! سترى كل واحد يصيح مكانه فقط، لكن إذا كانوا عبارة عن محيط واحد، هنا سيكونون محطاً للتأييد الإلهي، يتجمع التأييد الإلهي مثلما ماذا؟ تأتي تجمع لك مشرب تصلحه من هناك يلتقي القطرات التي تنزل من السماء حتى تصب في [جربتك] يحصل فيها زرع وتثمر)[1].

الأمّة الوسط هي الأمّة القويّة

الأمّة الوسط هي الأمّة القويّة والشّديدة في مواجهة أعدائها، وحملها لرسالة الله، ولا تعني بحال من الأحوال الاعتدال واللّيونة، أو الوسط بين شيئين، كما يقدّمها الكثير من الكتّاب والإعلاميّين، يقول السيد:

(ليست الوسطية معناها: بين اليهودية والنصرانية، بين التشدد واللين يسمونه: اعتدال،

(١) الدرس السابع من دروس رمضان سورة البقرة.

وسطية، لا، ليست بهذا الشكل؛ لأنك عندما تلحظ إلى كيف يجب أن تكون هذه الأمة التي قال: إنها أمة وسطاً في مجال أن تقوم بالمهمة التي تجسد ماذا؟ الشهادة على الناس معناها: أمة يجب أن تكون متوحدة، أن تكون قوية، أن تكون أفرادها أولي بأس شديد، بإخلاص لله عالي، بالإلتزام بهذا الدين، أشداء على الكفار، أعزاء على الكافرين؛ هذا معنى أمة وسطاً، كيف قال عنهم هناك: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[الفتح: من الآية٢٩] **أليس الذين معه هنا على أساس أنهم أمة وسطاً؟ إن القرآن ورسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **هم يربون الأمة الوسط كيف تكون لتكون شاهدة على الناس، ألم يربهم على مستوى أن يكونوا أقوياء ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾**؟[الفتح: من الآية٢٩] **هذه الأمة الوسط هي التي قال لها: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾**[التوبة:٢٩] **هذه وسطية، هو الذي يقول لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾**[الأنفال:١٥] **هذه وسطية الإسلام، أو الأمة الوسط غالباً تكون هكذا: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾**[الأنفال: من الآية١٢] **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾**[التوبة: من الآية١١١] **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾**[البقرة: من الآية٢٠٧]**)**[(١)].

إذا هذه هي الأمّة الوسط، الأمّة القويّة والشّديدة، فلا يصحّ أن يقال للأمّة الضّعيفة، والمهزومة، والمكسورة أمّة وسطاً، هذه تسمّى أمّة ضعيفة، ومهزومة، ومنحطّة، وعندما جعل الله هذه الأمّة هي الأمّة الوسط، فهو قد جعل لذلك ترتيبات تقوم على أساس التّأهيل، والإصطفاء، والتّكوين، يقول السيد:

(هذه هي الأمة الوسط، ليست الأمة الوسط أن يقال: أمة ليست حول أن تكون شديدة على الكافرين، ليست شديدة على أعداء الله، ليست شديدة في ذات الله، قوية في ذات الله، في تجسيد دينه، في العمل لإعلاء كلمته، هذه لا يصح أن يقال لها أمة وسطاً، هذه أمة منحطة، تسمى أمة منحطة، ليست أمة وسطاً، كلمة وسطاً ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾[البقرة: من الآية١٤٣] **أي أن الله**

(١) الدرس السابع من دروس رمضان.

عندما اختار أن يكون هذا الرسول منهم فهو جعلهم، ما معنى جعلهم؟ مسألة [جعل] هذه قد لا تعتبرها مرتبطة بعشر سنين، أو بعشرين سنة أحياناً قد تكون قروناً من الزمن، عملية قرون من الزمن، رعاية إلهية حفاظ إلهي على أشياء معينة بحيث أن يكونوا مهيئين لأن ينهضوا بهذه الرسالة، أن يكونوا صالحين لأن يكونوا جنوداً لها، من قبل البعثة، من قبل ربما أن يولد جد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **ثم أثناء المسيرة في التربية التي تقدم لهم، في التوجيه الذي يقدم لهم، القيادة التي تقدم لهم)**[1].

قيادة الأمّة الوسط

للأمّة الوسط قيادتها الوسطيّة أيضاً كما بيّن الله في القرآن الكريم، القيادة الّتي جعلها الله، واختارها، قيادة على مستوى عال من القوّة والشّدة في دين الله، ومواجهة أعداء الله، والرّحمة بالمؤمنين، ولهذه الأمّة أيضاً منهجها الوسطيّ الذي اختاره الله وجعله، وهو القرآن الكريم، فتكون أمّة قويّة قيادة، ومنهجا، وأمّة، يقول السيد:

(الأمة الوسطية يجب أن تكون قيادتها عالية على هذا النحو الذي يحكيه الله في القرآن الكريم ستأتي الآية بعد بالنسبة للأمة الوسط كيف قيادتها هنا: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[البقرة: من الآية١٥١] **أليست هذه قيادة على مستوى عالي من القوة في ذات الله، من القوة في مواجهة أعداء الله؟ هذه الأمة الوسط، وقيادات الأمة الوسط، ومنهج الأمة الوسط هو هذا القرآن الكريم، عندما يأتي أناس يحملون علماً، باسم علم، ويحرفون كتاب الله كما حرف بنوا إسرائيل كتبهم، ويحرفون المعنى: [لا، الوسطية: الإعتدال، الوسطية تعني ماذا؟ أسلوب لا يكون فيه شدة، ولا مهاجمة للآخرين، ولا استعداد لمواجهة الآخرين ولا.. ولا.. ولا...!] أليس هذا يعتبر سخافة؟ يعتبر هذا كفر بالنعمة العظيمة هذه التي هي القرآن الكريم، التي تبني الأمة الوسط)**[2].

---

(١) الدرس السابع من دروس رمضان سورة البقرة.

(٢) الدرس السابع من دروس رمضان سورة البقرة.

الأمّة الوسط هي الأمّة الّتي يبنيها القرآن

الأمّة الوسط هي الأمّة الّتي يبنيها القرآن الكريم، فتكون أقوى وأفضل أمّة تشكّل جاذبيّة لهذا الدّين، أمّة قويّة متوحّدة، ومتماسكة، ومتكوّنة على أساس القرآن الكريم، فينشدّ إليها النّاس، وتبني المجتمع، وترتقي به بشكل صحيح وقوي، يقول السيد:

(نقول بكل تأكيد: إن الأمة الوسط هي الأمة التي يبنيها القرآن، الأمة الوسط هي الأمة التي تبتني على أساس القرآن، وتتبنى المواقف التي يهدي إليها القرآن، هذه هي الأمة الوسط، ماذا يعني الوسط؟ أفضل، أمة أفضل، أمة تكون ماذا؟ تكون مؤهلة لأن تقوم بهذا الدور ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[البقرة: من الآية١٤٣] **من الشهادة على الناس، أن يكونوا أولي بأس شديد، وأن تكون أولي بأس شديد يعني أنت مؤمن بالقضية التي أنت فيها، أنت تغضب لها، أنت منشد إليها، وهي قضية في حد ذاتها جذابة جداً؛ لأن هذا شيء عجيب جداً لا يمكن أن يحظى أي منهج آخر بهذه الحالة التي تبدو وكأنها مجموعة من النقائض، أو من المتناقضات أن يقول لهم: كونوا أشداء على الكفار، كونوا أولي بأس شديد، اضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان، في مسيرة دين هو للكل إلا لأن هذا الدين هو عظيم يجعل لهذه الظاهرة نفسها جاذبية لهذا الدين نفسه؛ لأنه عندما أرى هناك أمة قوية جداً، متماسكة جداً هي تشكل أملاً عندي، ومنهجيتها صحيحة، إذاً أنا عندما أقارن بين وضعيتين، ومجتمعين وبينهم سأرى هذه الأمة أنجذب إليها، أمة تشد الإنسان، أمة تقف مع الإنسان)**[1].

الأمّة القويّة الّتي يكون لها فاعليّة وأثر في الحياة هي الأمّة الوسط الّتي ينجذب، وينشد إليها النّاس بكل فخر واعتزاز، لأنّ الأمّة الضّعيفة الّتي تفقد فاعليّتها وأثرها في الحياة هي أمّة تتجمّد مكانها، وتذوب في ذاتها، ولا تكون محطّ إعجاب وانجذاب أحد، يقول السيد:

(أحياناً قد تكون من الأشياء التي لا تجعل لأمة معينة أي قيمة عندما ماذا؟ لا تكون هي ذات فاعلية في مواجهة أطراف أخرى حتى ولو هي أمة مؤمنة أنها بهذه الطريقة وحدها تفقد جاذبية الدين الذي تدين به، الطريقة التي هي عليها:[هؤلاء أناس لا يستطيعون أن يعملوا شيئاً، لا يمثلون

(١) الدرس السابع من دروس رمضان سورة البقرة.

شدة ظهر في شيء، لاحظ كيف هم ضعاف أمام أي عدو آخر] عندما يظهر هؤلاء أقوياء، أشداء، أمة قوية أي يعتز أي شخص ينتمي إليها يشعر بعزة يشعر برفعة يشعر بقوة)[1].

تحريف معنى الوسطيّة

تُبذل محاولات وجهود حثيثة لتحريف معنى الوسطيّة، فبالإضافة للانحراف العمليّ الّذي أصاب الأمّة، يُقدم لها انحراف ثقافيّ وعقائديّ كدين تدين الله به، فيجعلون من الوسطيّة أنّها تعني الضّعف، والّليونة، والانحطاط يقول السيد:

(لهذا كانت هذه الخصلة نفسها التي الآن يحاولون...، إضافة إلى أنها قد ضاعت في وسط الأمة، أشداء على الكافرين، أن يكونوا أعزاء على الكافرين، قد ضاعت، ومع هذا يحاولون أن يقدموها كثقافة يدينون بها أي: أن تعتقد أن الأمة الوسط هي هذه الأمة التي لا تمثل أي شدة، ولا قوة على أعداء الله، لم يكف انحراف عملي، وإنما يقدمون انحرافاً عقائدياً يدين الناس به، ويفهمونه بشكل خطأ، ويعتقدون أن هذا هو معنى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾[البقرة: من الآية١٤٣] هكذا ينتهي الضلال إلى أن يقدم الضلال العملي، الإنحراف العملي يحاط بماذا؟ بعقيدة أنه دين تدين به، هذا تحريف خطير جداً لآيات الله، تحريف في المعنى، في المضمون، في تقديم هام بهذا الشكل السيئ)[2].

الوسطيّة لا تعني الإعتدال

تبيّن من خلال ما سبق أنّ الوسطيّة لا تعني الاعتدال، وأنّ الأمّة الوسط هي الأمّة القويّة في دين الله، الشّديدة في مواجهة أعدائها، وفي حماية نفسها، وعرضها، ودينها، ووطنها، هي الأمّة الّتي يجعلها الله هو أمّة وسطاً، وتبتني في ذاتها، وتكوينها، ومواقفها على أساس القرآن الكريم، يقول السيد:

(نقول: نحن فعلاً أمة وسطاً ونتمنى أن نكون أمة وسطاً، والأمة الوسط هي: التي تبتني على أساس القرآن، ومواقفها قرآن، هي الأمة التي قال الله ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً

(١) الدرس السابع من دروس رمضان سورة البقرة.

(٢) الدرس السابع من دروس رمضان سورة البقرة.

وَسَطاً﴾[البقرة: من الآية١٤٣] أنه يجعلها، وهذه طريقة من طرق أن يكون هناك أمة وسطاً، القرآن الكريم، وليس الوسط معناها بين شيئين، بين اليهودية والنصرانية، اعتدال ليس يهودياً ولا نصرانياً، لديه ملعقة يهودة وملعقة نصرنة وقليل إسلام فوقها خلطة!.

هذه قضية نركز عليها في مسألة هذا الموضوع نقول: فعلاً نحن أمة وسطاً لكن نعتقد أن الأمة الوسط: هي الأمة التي تنطلق على أساس القرآن، لا أحد يستطيع أن يقول لك: لا، يقول أبداً. إذاً الأمة الوسط أليست الأمة التي تسير على هدي القرآن، وتبتني على أساس القرآن؟ إذاً فلنكون أمة وسطاً يجب أن نسير على هدي القرآن.

إذا أنت تقدم لي شيئاً آخر هذه وسطية ثانية ليست هذه الوسطية التي قدمها القرآن، أنت تريد أمة تكسر من وسط ظهرها حقيقة، وسطية يكسروها من وسطها، لا تريد أمة وسطية على هذا النحو، على هذا المفهوم القرآني! فنحن نريد أن يكون الله هو الذي يجعلنا أمة وسطاً وليس أنت، والقضية هي بهذا الشكل: أن نفهم جميعاً أن الأمة الوسط - إذا كنا نريد أن نكون أمة وسطاً - أن نكون على هذا النحو: أن يجعلنا الله هو، وليس الآخرون الذين يجعلوننا أمة وسطاً، الذين يظهرون على شاشات التلفزيون، أو في كتابات معينة، أو على المنابر، لأنهم يحاولون أن يجعلوا المسلمين أمة وسطاً بمعنى آخر، أمة منحطة، أمة لا يخاف منها عدو، ولا يهاب منها عدو، ولا تمثل حماية لأي شيء، لا لدينها، ولا لمقدساتها، ولا لأوطانها، ولا لأعراضها، ولا لأنفسها)[1].

(١) الدرس السابع من دروس رمضان سورة البقرة.

المحـــــور التاسع

- الرؤية القرآنية في الجانب المالي.
- أهمية الجانب الاقتصادي والزراعي.
- خطورة الربا والتحذير منه.
- الاستقلالية المالية والإدارية للأمة.

الرّؤية القرآنيّة في الجانب المالي

يوضح السّيد الرّؤية الإسلاميّة والقرآنيّة المتوازنة الّتي انفرد بها الإسلام تجاه الجانب المالي، مبيّناً أنّه لا يوجد مقياسٌ واحدٌ معيّنٌ لا يجوز للإنسان أن يتجاوزه في جانب امتلاك رؤوس الأموال الكبيرة، بل إنّ الإسلام يشجّع على امتلاك رؤوس أموال كبيرة، لكن بالشّكل الّذي يحقّق التّوازن الفعليّ لدى الإنسان، فيبقى إنساناً طبيعيّاً لا يغلبه جشعه، ويقوده طمعه للشّحّ والاستئثار،بل يكون ممّن يحبّ فعل الخير، والإنفاق، والإحسان، يقول السيد: **(بالنسبة للإسلام هو فيه توازن ينفرد به فعلا، فيما يتعلق بموضوع المال لا تجد أنه في الإسلام هناك حد معين لا يجوز أن يتجاوزه رأس مالك، بالإمكان، والتوجيهات في القرآن الكريم أن يكون الإنسان ممن يملك رؤوس أموال كبيرة جدا لكن وتجده في نفس الوقت متزنا وطبيعيا، ويحب فعل الخير)**[1].

ويضيف السّيد أنّ الرّؤية القرآنيّة تجاه الجانب المالي والتّجاري تقوم على أساس تصحيح الرّؤية والنّظرة للجانب الاقتصاديّ والماليّ أوّلاً، ومعرفة الإنسان بالحقوق والمسئوليّات المرتبطة بالمال، ويبقى الإنسان في حالة تذكّر دائم لنعمة الله عليه، فتسيطر هذه الحالة على مشاعره ونفسيته بصفة مستمرة ودائمة، يقول السيد: **(ممكن أن يملك أي إنسان من المسلمين أموالا كبيرة، لكن عليه أن يعرف كيف تكون نظرته للمال، وما هي المسؤوليات والحقوق المرتبطة بهذا المال، وأن يظل دائما متذكرا لنعمة الله)**[2].

ويؤكّد السّيد على أهميّة أن تبقى نفسيّة الإنسان مرتبطة بالله مهما امتلك من الأموال، ومهما بلغت تجارته، فلا يغتر ويذوب في ممتلكات الدّنيا والأموال، وينسى الله سبحانه وتعالى، وينسى ما عليه من حقوق وواجبات مرتبطة بالجانب المالي والتّجاري، بل يبقى إنساناً متزناً وحكيماً في كلّ أعماله وتصرّفاته، مهما بلغت حدود ملكه، وسيطرته، وثروته، فيقول: **(وضرب الله مثلاً من أرقى الأمثلة بمن ملكوا من مظاهر الدنيا، والأموال ما لم يملكه أحد، نبي الله [سليمان] تجد**

(١) سورة البقرة الدرس الثاني عشر

(٢) سورة البقرة الدرس الثاني عشر.

كيف كانت تصرفاته، كيف كانت حركته، كيف كانت حتى حركة جنوده ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[النمل:١٧] كان يملك أموالاً رهيبة، ويمتلك ملكاً ما توفر لأحد من بعده على الإطلاق إلى الآن، ليست سيطرة فقط على الإنس، أيضاً على الجن، وعلى الطير، وكثير من المعادن سخرت له، لكن تجد كيف هو شخصية متزنة، شخصية هادئة، شخصية حكيمة، يمتلك هذا الملك الرهيب وترى كيف يحاسب على النملة الواحدة لا تدوسها قدمه! أليس هذا إنساناً متزناً، إنساناً ثابتاً؟ المرابون يدوسون الناس، يدوسون اقتصاد البلد، يتخبط - كما قال الله)[1].

ويوضّح السّيد أنّ هذا المثل الذي ضربه الله لنا في القرآن الكريم، يعتبر من أعلى الأمثلة في موضوع المال، والحكمة، والاتّزان، لأنّ نفسيّة وذهنيّة الإنسان المؤمن تبقى مرتبطة بالله ومتوجّهة إليه مهما امتلك من التّجارة والأموال، فيعرف أنّ هناك ما هو أرقى، وأهمّ، وأعظم من الأموال والتجارة، وهو العمل الصالح الذي يرضاه الله سبحانه وتعالى، يقول السيد: **(قلنا هذا المثل من أعلى الأمثلة للشخصية غير المتزنة، للشخصية الفاقدة للحكمة وللإتزان وللحركات الطبيعية، سليمان على الرغم من ذلك المظهر المهيب بعد أن سمع كلام النملة ماذا قال؟ ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾**[النمل: من الآية١٩] **لأن الإنسان المؤمن مهما امتلك من الدنيا سيظل دائماً يرى بأن هناك ما هو أرقى وأفضل هو: أن يعمل صالحاً ليحصل من خلاله على رضا الله، وليدخله الله بعمله الصالح في عباده الصالحين ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾**[النمل: من الآية١٩] **أصحاب النفوس الجشعة، المرابون لم يعد يتذكر في ذهنيته أن هناك شيئاً يعتبر أرقى من المال، أو شيئاً هو أعظم من المال، أو أهم من المال أبداً، أليس هنا نبي الله سليمان لديه نظرة بأن هناك ما هو أعظم من كل ما أوتي هو ماذا؟ ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾**[النمل: من الآية١٩] **بحيث يجند كل ما لديه من مظاهر الملك، وكل ما بحوزته من الأموال الكثيرة جداً في أن ماذا؟ في أن يعمل بها أعمالاً صالحة؛ لأن العمل الصالح في ذهنيته، في نفسيته هو الشيء المسيطر على مشاعره، وهو الشيء الذي يراه أعظم وأهم**

(١) سورة البقرة الدرس الثاني عشر.

من كل ما لديه من مظاهر الدنيا هذه)[1].

ويؤكد السيد على أنّ هذه الروحية والنفسية هي روحية ونفسية المؤمن مهما بلغت تجارته وأمواله، فيبقى المسيطر على مشاعره هو شكر الله وشكر نعمه لأنّه يرى أنّ كلّ ما بين يديه هو من الله سبحانه وتعالى، ويكون كلّ همه هو أن يوفق للعمل الصالح الذي ينال به رضى الله سبحانه وتعالى يقول السيد: (لاحظوا نبي من أنبياء الله آتاه الله من الملك مالا ينبغي لأحد من بعده، حكم الجن والإنس والطير، وسخرت له الريح وسخر معه الجبال، وألان الله له القطر، ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾[سبأ: من الآية ١٠]، هذا الذي كان دائم التذكر لنعمة الله فكان يقول: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[النمل: من الآية ٤٠] فعندما سمع كلام النملة، وعندما رأى ذلك الحشد الهائل من الجن والإنس والطير تبسم ضاحكاً، ولكن هل كانت ضحكته كضحكة قارون أو ضحكة الكثير من الأغنياء الذين يطغيهم المال، أو ابتسامة أولئك الزعماء الذين يرون أنفسهم جبارين فوق عباد الله؟ هذا نبي عظيم ينظر إلى ما بين يديه أنه نعمة من الله فيدعو الله أن يدفعه دائماً إلى أن يتذكر نعمه؛ لأن يشكرها ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾.

فنملة تذكره؛ ولأن يسمع كلام نملة فيعرفها ويعرف لغة هذه المخلوقات الكثيرة يرى وقع هذه النعمة، وعظم هذه النعمة التي أنعم الله بها عليه، فيطلب من الله أن يدفعه لأن يظل دائماً يتذكر هذه النعم، لأن يشكرها، وليس فقط النعمة التي أنعم بها عليه بل أيضاً تلك النعم التي أنعم بها على والديه، أنا سأشكرك على هذه النعمة التي أنعمت بها علي، وأيضاً على تلك النعمة التي أنعمت بها على والدي، فيدعو الله وهو المطلب المهم بالنسبة لعباد الله وأوليائه، فلا يرى ذلك الملك كله هو ما يحقق ما يريد له، إنه يريد من الله أن يدخله في عباده الصالحين، ذلك هو المقام الرفيع وذلك هو الملك العظيم.. ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾)[2].

ويؤكّد السّيد على ضرورة أن يكون المال محطّ رعاية واهتمام جميع أبناء المجتمع،

(١) سورة البقرة الدرس الثاني عشر.

(٢) دروس معرفة الله نعم الله الدرس الرابع.

ومسؤوليّتهم، مع بقاء الملكيّة الخاصّة، فيقول: **(المال بشكل عام يجب أن يكون محط رعاية من المجتمع بشكل عام داخل الأسرة الواحدة، وداخل المجتمع بكله مع بقاء الملكية الخاصة)** [1].

وفي محاضرة مديح القرآن الدّرس الخامس يبيّن السّيد أنّ المنهجيّة القرآنيّة تُربط الكثير من الأعمال بالجانب المالي، بما في ذلك الجهاد في سبيل الله، والنّصر لدين الله، والعمل على بناء الأمّة، يقول السيد: **(تجد القرآن الكريم في منهجيته يربط جوانب كثيرة بالجانب المالي، الجهاد مثلا مرتبط بالجانب المالي، النصر لله، بناء أمة، كلها مرتبطة بجوانب مالية)** [2].

تحريك رؤوس الأموال وخطورة الإحتكار

يبين السّيد أنّ القرآن الكريم أولى اهتماماً بالجانب المالي والاقتصادي، فجاءت الكثير من العبارات في القرآن الكريم، تتعلّق بموضوع المال، وحركته في واقع الحياة، بالشّكل الّذي يجعله مالاً للجميع، لأنّ للمال دوراً مهماً على المستوى الاجتماعي، ولهذا ربط القرآن الكريم الكثير من المسئوليات بأصحاب رؤوس الأموال والتّجار، وحرّم الاحتكار، ويؤكّد السّيد على أهميّة وضرورة أن يبقى المال في حركة ودورة مستمرّة، يقول السيد: **(وهي في الواقع كثير من العبارات في القرآن الكريم فيما يتعلق بموضوع المال: أن المال له دور، دور اجتماعي، المال هو مال الناس في الواقع، أعني: في حركة المال التي رسمها الله سبحانه وتعالى هي في الواقع تجعل المال وكأنه للكل، لهذا ربط مسؤوليات كثيرة بأصحاب رؤوس الأموال.**

أليس هناك شرع الزكاة، أوجب عليهم الزكاة، أوجب عليهم الإنفاق في سبيله، حرم عليهم أن يكنزوا أموالهم؟ وأوجب عليهم أن يحركوها، المال يجب أن يكون في دورة مستمرة، في حركة، إذا عندك رصيد من الأموال تتركها تتراكم أموال هناك شغلها عندما تشغلها أنت تثمرها، وتشغل آخرين يعيشون معك فيها، هذه قضية هامة، ولهذا يأتي في كثير من الآيات بعبارة أموالكم ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾[البقرة: من الآية١٨٨] **لأن حركة المال هي بالشكل الذي في الأخير**

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر.

(٢) مديح القرآن الدرس الخامس.

يبدوا وكأنه مال للأمة)[1].

وهنا يؤكّد السّيد على أهميّة النّظرة العامّة للمال، لأنّ النّظرة الخاصّة بالمال ليست صحيحة من النّاحية الاقتصاديّة، ويقدّم السّيد الرّؤية القرآنيّة فيما يخصّ المال العام، والثّروات، والموارد العامّة، وأهميّتها في تحسين الوضع الاقتصادي، والمستوى المعيشيّ للنّاس، ويحذر السّيد من خطورة الفساد المالي والاقتصادي، وتأثيراته الفادحة على النموّ الاقتصادي، وعلى المال الخاص، فيقول: **(نأخذ من هذه أهمية ما يسمى بالمال العام، الثروات، الواردات العامة، أنها هامة جداً جداً في مسألة تحسين معيشة الناس، هامة جداً لأن النظرة الخاصة بالنسبة للمال ليست نظرة صحيحة من الناحية الإقتصادية، لا ينمو اقتصادك أنت، لا ينمو مالك أنت سواء بشكل تجارة، أو بشكل زراعة إلا في إطار الحركة العامة للمال.**

إذا سلم المال العام أمكن أن يكون هناك قدرة شرائية، وقدرة في مجال ماذا؟ حركة الناس، في تجارتهم وزراعتهم، فتنهض رؤوس الأموال، تنهض الأموال، وتكثر الأموال، إذا هناك اختلاس للأموال العامة تأتي كثير من الأعباء، تضاف على الأموال الخاصة، تضعف قدرة الناس الشرائية، وفي الأخير لا تدري وصاحب الدكان عاطل عن العمل لا يوجد بيع وشراء، ذلك المزارع زرع وسقى وتعب وحصد، أو جنى ثمار مزرعته، وصل وإذا السوق كساد، لأنه يحصل كثيرٌ من الأعباء)[2].

ويبيّن السّيد أنّ الفساد المالي، والعبث والإهدار للثّروات العامّة، يؤدّي للكثير من الأعباء الاقتصادية، والمعيشيّة على الشّعوب، فتُفرض الجُرع الاقتصاديّة على الشّعوب نفسها، ممّا يؤدّي إلى غلاء في الأسعار، وكساد تجاري في الأسواق، بسبب هذه المعالجات الخاطئة، الّتي كان ينبغي أن تُفرض على المسئولين الكبار، الّذين لديهم ثروات هائلة، فيتقشّفون هم، ويُخفّضون من نفقاتهم، يقول السيد: **(ولهذا هم يعملون جُرع التي يسمونها [جرع اقتصادية] أليست أعباء على الناس أنفسهم؟ كان المفروض الجُرع الإقتصادية تكون على المسئولين الكبار هم الذين عندهم**

(١) سورة البقرة الدرس التاسع.

(٢) سورة البقرة الدرس التاسع.

رؤوس أموال كبيرة، هم الذين يتقشفون قليلاً، يخفضون من قليل، وليس أن يضيفوا، إذا هناك ديون على بعض البلدان تراه في الأخير يتحول في الأخير إلى زيادة في الأسعار ثم لا تدري إلا والحاجة قد فيها زيادة مائة ريال، لا تدري وقد فيها مائتين ريال، لا تدري إلا وقد فيها زيادة بنسبة ١٠٠٪ أو أكثر)[1].

ويضيف السّيد أنّ التّلاعب بالأموال العامّة يشكّل تهديدٌ اقتصاديٌ للشّعوب، داعياً إلى ضرورة الحفاظ على الأموال العامّة، مؤكّداً أنّ البلدان والدّول العربية تتمتّع بثروات هائلة تجعلها في غنى عن القروض والاحتياج للآخرين، وأنّ هذه المعاناة الاقتصادية الّتي تعاني منها الدّول والشّعوب هي بسبب سوء التّخطيط الاقتصاديّ، فيقول: **(أليست في الأخير تضعف قدرة الناس الشرائية ويصبحون في عذاب من الغلاء؟ لأن هناك تلاعب بالأموال العامة وإلا فالأموال العامة نفسها، وإردات أي بلد وهذا من الأشياء الغريبة جداً في البلاد العربية بالذات، تجد بلداناً فيها ثروات هائلة جداً وعليها ديون كثيرة جداً! عليها ديون كثيرة بالمليارات بمليارات الدولارات كيف ثرواتنا؟ ليست بالشكل الذي يمكن أن يكفي حاجاتنا؟ لا يوجد ناس يعرفون كيف يخططون حتى يستطيع أي شعب بأن ينهض بنفسه دون أن يتحمل ديون مليارات الدولارات، اليمن نفسه يقولون عليه حوالي ثمانية مليارات دولار دين! العراق كان عليه ما يقارب أربعين مليار دولار! وعنده احتياطي نفط كبير جداً، عنده ثروات كبيرة جداً)**[2].

ويؤكّد السّيد على أنّه يوجد خللٌ في النّظام بشكل عام، في النّظام الإداري، وفي التّوظيف، وفي التّخطيط، وفي تنمية الموارد، والحفاظ عليها، وفي استغلالها بشكل صحيح، وفي العلاقة والتّعامل مع الله سبحانه وتعالى، ممّا تسبّب في هذه المعاناة التي تعاني منها الدّول والشّعوب، وحال بينها وبين الاستفادة من ثرواتها ومواردها العامّة والهائلة، فأصبحت عالة على الآخرين، يقول السيد: **(يوجد خلل بالنظام بشكل عام، في النظام الإداري، في التوظيف، يوجد خلل في التخطيط، خلل في استغلال الخيرات، خلل كبير في التعامل مع الله، ولهذا تجد الناس**

(١) سورة البقرة الدرس التاسع.

(٢) سورة البقرة الدرس التاسع.

ثرواتهم لم تعد تشكل شيئاً، ألم نصبح نحن عالة تقريباً في مأكلنا، في ملبسنا على الآخرين؟! حتى في البلدان التي لديها ثروات هامة أصبحت عالة على الآخرين! مأكلنا، ملبسنا، أدويتنا، الوسائل الضرورية والكمالية كلها من عند الآخرين من الخارج، ومع هذا تجد ديوناً كبيرة! وثرواتنا أين؟ الثروة البحرية بالنسبة لليمن لوحده؟ ثروة البحر تكفي اليمن وحدها، الثروة الهائلة في البحر، ساحل طويل عريض حوالي ألفين كيلو، البحر الأحمر، والبحر العربي فضلاً عن البترول والمعادن، وواردات كبيرة)[1].

ويؤكّد السّيد على ضرورة التّعاطي والتّصرف بحكمة في موضوع المال، والمشاريع، والاستثمار بعيداً عن العبث، والإسراف، والإهدار للثّروة، لأنّه موضوع ارتبط في القرآن الكريم بالحكمة، وجاء قوله تعالى ﴿**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء**﴾[البقرة:٢٦٩] في وسط الحديث عن الجانب المالي، ففي سورة البقرة الدرس الحادي عشر، يقول السّيد: **(يتحدث في الآية هذه عن موضوع الحكمة في وسط الحديث عن الجانب المالي لنعرف أنه موضوع يجب أن يكون التصرفات فيه حكيمة، ومع الناس حكيمة، والمشاريع تكون على أساس معرفتك بالجانب المالي أيضا حكيمة)**[2].

ويضيف السّيد في نفس الدّرس، أنّ للمال دوره وتأثيره الكبير على النّاس، فيجب التّعاطي بحكمة ومسئوليّة في موضوع المال والنّفقات، فيقول: **(فيما يتعلق بالمال، في مجال أخذه، أو في مجال إنفاقه يجب أن يكون هناك حكمة، وأن تعرف أنه مؤثر تأثيرا كبيرا)**[3].

(١) سورة البقرة الدرس التاسع.
(٢) سورة البقرة الدرس الحادي عشر.
(٣) سورة البقرة الدرس الحادي عشر.

أهميّة الجانب الإقتصادي والزّراعي

أولى الشّهيد القائد "رضوان الله عليه" الجانب الاقتصادي والزّراعي أهميّة بالغة باعتباره من كمال الإيمان، ولا تستطيع الأمّة أن تقول كلمتها، وتقف على أقدامها وهي فاقدة لقوّتها الاقتصاديّة، وقوتها الضّروري، وأمنها الغذائي، بل يعتبر الجانب الاقتصادي والزّراعي من أهمّ وأكبر التّحدّيات الّتي تواجهها الأمّة، لأنّه لا بدّ في مسيرة بناء الأمّة من الاهتمام ببنائها اقتصاديّاً، حتّى تصبح أمّة قويّة قادرة على النّهوض بمسؤوليتها، والوقوف في مواجهة أعدائها.

أهميّة الجانب الإقتصادي والزّراعي في مواجهة الأعداء

يتحدّث السّيد عن خطورة الضّعف في الجانب المالي والاقتصادي، وتأثيره الكبير لدى نظرة العدو الخارجيّ، لأنّ العدوّ يعمل أولاً على تقييم الوضع الدّاخلي للشّعب، والدّولة، يقول السيد: **(المال له دور كبير حتى فيما يتعلق بالعدو الخارجي، عادة العدو الخارجي يبحث دائما الوضعية الداخلية دائما، أول ما يفكر في تقييم الوضع الداخلي لك)**[1].

ويؤكّد السّيد أنّ الجانب الاقتصادي مهمٌّ جدّاً في ميدان الصّراع والمواجهة، ويمثّل صمّام أمانٍ للشّعب، لأنّ الأمة التي لا تمتلك قوت يومها لن تستطيع أن تقف على أقدامها في مواجهة أعدائها، يقول السيد: **(الإقتصاد هو صمام أمان مهم في ميدان المواجهة)**[2].

وفي معرفة الله وعده ووعيده الدرس الرابع عشر يؤكّد السّيد على أهميّة الجانب الاقتصادي في بناء قدرات الأمّة لتتمكّن من الوقوف في مواجهة أعدائها، ومواجهة المخاطر، والتّحدّيات، والتّهديدات الّتي تواجهها، ولتتمكّن من النّهوض بمسئوليتها، والقيام بواجبها، ودورها في نصر دين الله، والعمل على إعلاء كلمته، ونشر دينه في الأرض، فيقول: **(الجانب الإقتصادي بالنسبة للمسلمين مهم في أن يستطيعوا أن يقفوا في مواجهة أعدائهم، في أن يستطيعوا أن يقوموا**

(١) سورة البقرة الدرس الحادي عشر.

(٢) سورة البقرة الدرس الحادي عشر.

بواجبهم وبمسؤولياتهم أمام الله من العمل على إعلاء كلمته ونصر دينه، ونشر دينه في الأرض كلها الإنسان إذا كانت معيشته صعبة، المجتمع إذا كانت معيشته قلقة يكاد هذا هو ما يصرفه حتى أن يرجع هو نفسيا إلى الله، منشغل بكيف يوفر لأهله القوت، كيف يوفر لأسرته حاجياتهم، ولا يفكر بأن يستمع إلى مواعظ إلى أن يهتدي إلى أن يحضر إلى مجلس علم، أو يحضر إلى مدرسة يستفيد منها. بل تأتي لتعظه وذهنه مشغول، ذهنه مشغول، تأتي الأمة في زمن كزماننا هذا فترى أعداءها يهددونها وترى الضربات داخلها هنا وهناك ثم ننظر إلى أنفسنا فإذا بنا لا نستطيع أن نقف على أقدامنا، الجانب الاقتصادي لنا منهار)[1].

وفي الدّرس الثّاني "في ظلال دعاء مكارم الأخلاق" يبيّن السّيد أنّ الضّعف الاقتصاديّ للشّعب والدّولة، يؤدّي بالنّتيجة لضعف كبير وتراجع خطير في المواقف السّياسيّة على مستوى الشّعب والدّولة، فالرّئيس الذي يكون شعبه ضعيفاً ومنهاراً اقتصاديّاً، لا يستطيع أن يتبّنى أيّ مواقف قويّة في مواجهة التّهديدات والاعتداءات الّتي تواجهها الأمّة والشّعوب، وهذا هو الّذي عليه حال الزّعماء اليوم، بينما يحصل العكس من ذلك فيما إذا كان اقتصاد الشّعب ووضعيّته قوية، فإنّ الدّولة ستكون قويّة أيضاً في مواقفها وقراراتها، ويدعو السّيد إلى ضرورة تربية الشّعوب التّربية الّتي تؤهّلها لمواجهة أعدائها، وضرورة بنائها البناء الاقتصادي للشّعوب، فيقول: **(أليس أنهم لو فعلوا ذلك لكان عزاً لهم هم؟ إذا ما كنت زعيم شعب وأنت تعرف أن شعبك وضعيته هي بالشكل الذي يمكن أن يتبنى مواقف، وأن يقف على قدميه في مواجهة أعدائه، ألست حينئذ سيمكنك أن تقول ما تريد، وستكون قويا في مواجهة الآخرين، ولن تملى عليك الإملاءات من قبل الآخرين؟ متى ما ضعف الشعب، متى ما ضعفت وضعيته الإقتصادية وغيرها، متى ما ذابت نفسيته، وذاب الإيمان في واقعه أصبح زعيم الشعب نفسه لا يستطيع أن يقول كلمة قاسية، لا يستطيع أن يقول كلمة صادقة، لا يستطيع أن يقف على موقف ثابت وهذا ما شاهدنا، ألم نشاهد هذا من كل الزعماء في البلاد العربية؟.**

قد يقولون هم بأنهم رأوا شعوبهم ليست إلى الدرجة التي يمكن له هو أن يقول، أو أن يقف، أو أن يتحدى، أو أن يرفض.. لكن بإمكانك أن تربي هذا الشعب، بإمكانك أن تبني هذا الشعب

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الرابع عشر.

اقتصاديا حتى تُأمّن له الاكتفاء الذاتي)[1].

ويضيف السّيد أنّ من كمال الإيمان في مواجهة أعداء الله الاهتمام بالجانب الاقتصادي والزّراعيّ للأمّة، والعمل على بنائه بناءً حقيقيّاً، وتحقيق الاكتفاء الذّاتي للأمّة، ليكون لديها القدرة على مواجهة أعدائها، وتستطيع أن تقدّم المواقف المشرّفة، فيقول: **(الإيمان، كمال الإيمان في مجال مواجهة أعداء الله مرتبط به تماماً ارتباطا كبيراً، الاهتمام بالجانب الاقتصادي ستكون الأمة التي تريد أن تنطلق في مواجهة أعدائها، وأن تقف مواقف مشرفة في مواجهة أعدائها قادرة على ذلك؛ لأنها مكتفية بنفسها في قوتها الضروري، في حاجاتها الضرورية)**[2].

ويؤكّد السّيد على ضرورة أن يكون من أولويّات الشّعوب الاهتمام بالجانب الاقتصادي والزّراعي، وأن تكون هذه القضيّة هي المهمّة الأساسيّة والرئيسيّة لدى الشّعوب، وفي سلّم أولويّاتها ومطالبها، حتّى تبني نفسها، وتؤمّن غذاءها، وقوتها الضّروري، لأنّ هذا هو المجال الحيويّ، والمهمّ للأمّة والشّعوب، فيقول: **(أكرر أن هذا هو ما يجب أن نعرفه؛ لأن الكثير من الناس ينظر إلى الجانب المادي فقط فإذا ما صعد رئيس هنا، أو ملك هنا، أو زعيم هنا كان أهم مطلب للناس من ذلك الشخص هو ماذا سيعمل في مجال توفير الخدمات!.**

ومن العجيب أن توجهنا الآن أصبح إلى أنه ماذا يمكن أن يبني في مجال توفير خدمات: كهرباء، صحة، مدارس، ولا نقول لأنفسنا لماذا؟ لماذا نحن نرى قوتنا كله ليس من بلدنا؟ لماذا لا تهتم الدولة بأن تزرع تلك الأراضي الواسعة، أن تهتم بالجانب الزراعي ليتوفر لنا القوت الضروري من بلدنا؟ لا نتساءل، بل الكل مرتاحون بأن [الحَب: القمح] متوفر في الأسواق، ويأتي من استراليا، ويأتي من بلدان أخرى، وكأن المشاريع التي تهمنا هي تلك المشاريع!.

هذه التي توفر هي ضرورية لكنها ليست إلى الدرجة من الضرورة التي يكون عليها قوت الناس، هل هناك اهتمام بالجانب الزراعي؟ ليس هناك أي اهتمام بالجانب الزراعي إطلاقا، وليس هناك من جانبنا تساؤل، وليس هناك من جانبنا أيضا نظرة إلى هذا الزعيم أو هذا الحزب أنه ماذا

(١) محاضرة في ظلال دعاء مكارم الأخلاق الدرس الثاني.
(٢) محاضرة في ظلال دعاء مكارم الأخلاق الدرس الثاني.

يمكن أن يعمل في هذا المجال الحيوي، المجال المهم)[1].

ويخاطب السّيد الشّعوب نفسها لأن تهتمّ بالجانب الاقتصاديّ والزراعيّ، وأن تلحّ في الموضوع، وتضغط على الأنظمة والحكّام لتحقيق البناء الاقتصادي، والاكتفاء الذّاتي، والاهتمام بالجانب الزّراعي داخل البلدان والشّعوب نفسها، لأنّها ستكون هي الضحيّة في مواجهة التّهديدات والاعتداءات، وليكون لديهم القدرة على التحمّل والصّمود على أقلّ تقدير، وحتّى لا يتحوّلوا إلى لاجئين، ويموتوا جوعاً، قبل أن يموتوا بالحديد والنّار، فيقول: **(نحن شعوب مسلمة، ونحن أمة في مواجهة أعداء، والزعماء هم أنفسهم من يمكن أن يرحل إلى تلك المنطقة، أو من يمكن أن يسلم فيما لو حصل شيء، وسنكون نحن الضحية من أول يوم توجه ضدنا ضربة من أعدائنا، سنحس بوقع الضربة فيما يتعلق بقوتنا.**

الناس يجب عليهم أن يفهموا هذه النقطة، أن يلحوا دائما، نحن لا نريد أي مشاريع أخرى بقدر ما نلح في أن تعمل الدولة على توفير قوت الناس داخل بلدهم.

الزراعة.. هل هناك في اليمن شيء من الزراعة؟ هل هناك ما يكفي اليمن ولو شهرا واحدا؟ أولسنا نسمع بأن اليمن مهدد؟ أن اليمن أيضا يقال عنه كما يقال عن العراق وعن إيران؟ وأن المسئول الأمريكي الذي زار اليمن لم يفصح عندما سئل: هل ما يزال اليمن ضمن قائمة الدول التي احتمال أن تتلقى ضربة؟ لم يفصح بذلك.

إذاً فنحن مهددون أليس كذلك؟ صريحا من قبل أعداء؟ ماذا تعمل هذه الدولة لنا نحن اليمنيين حتى نكون قادرين على أقل تقدير أن نتحمل الضربة؟ أصبحت القضية إلى هذا النحو، أنت كان يجب عليك أن تبني شعبك إلى درجة أن يكون مستعدا أن يواجه، إذاً على أقل تقدير ابنوا شعوبكم لتكون - على أقل تقدير - مستعدة أن تتحمل الضربة.. أليس هذا هو أضعف الإيمان؟ أو يريدون من الناس في أي شعب عربي أن يتحولوا إلى لاجئين، وأن يموتوا جوعاً قبل أن يموتوا بالنار)[2].

---

(١) محاضرة في ظلال دعاء مكارم الأخلاق الدرس الثاني.

(٢) محاضرة في ظلال دعاء مكارم الأخلاق الدرس الثاني.

ويؤكّد السّيد أنّ الشّعوب لم تعد قادرة على تحمّل أيّ ضربة توجه لها، ناهيك عن القدرة على المواجهة، والسّبب في ذلك هو أنّ الشّعوب لم تتربّى على التّربية الإيمانيّة الّتي تدفعها للحفاظ على عزّتها وكرامتها، وتُحقّق لها البناء الذّاتي، ولأنّ الشعوب نفسها لا تولي هذا الموضوع أيّ اهتمام فتضغط في مجال وسبيل تحقيق البناء الاقتصادي والزّراعي، ويؤكّد السّيد على أنّ الشيء الضّروري للشّعوب هو العمل على بنائها اقتصاديّاً، وتأمين قوتها، واحتياجاتها من داخل بلدانها، يقول السّيد: **(هل الشعوب هذه أصبحت إلى درجة أن تتحمل الضربة؟. لا.. ناهيك عن أن تكون قادرة على أن تواجه!.**

لماذا؟ لأنه ليس هناك تربية إيمانية، لا داخل الدول نفسها، ولا داخل الشعوب نفسها، ليس هناك اهتمام بالحفاظ على دين الناس، على كرامتهم، على عزتهم، على حياتهم.

ونحن أيضاً لا نفهم، نحن لا نفهم أيضاً كيف نخاطب الدول، حتى عندما تأتي الانتخابات من هم أولئك أبناء المنطقة الفلانية، أو المنطقة الفلانية ينادون بأنه نحن نريد زراعة، نحن نريد أن نرى أسواقنا ممتلئة بالحبوب من إنتاج بلدنا.. هل هناك أحد يطالب في الانتخابات؟ تقدم البرامج الانتخابية – سواء في انتخابات رئاسة جمهورية أو عضوية مجلس النواب أو مجالس محلية أو غيرها – فيعدونا بمشاريع من هذه المشاريع السطحية.. الكهرباء مهم لكن لو نفترض أن بالإمكان أن نظل بدون كهرباء، بل أليس الكهرباء يطفأ في حالات الخطورة؟ الكهرباء يطفأ، أليست المدن تطفأ في حالات التهديد؟ تطفأ المدن أي أن الكهرباء ليس ضروري بل من الضروري أن يطفأ فيما لو حصل تهديد مباشر.

يعدون بالكهرباء يعدون بالمدارس، هذه المدارس ما داخلها؟ المعلمون أنفسهم ما هي ثقافتهم؟ هل هم يحملون روحا إسلامية؟ روحاً عربية كما يحمل المعلم اليهودي داخل المدرسة روحا يهودية، روحاً قومية يهودية؟.. لا. معلم أجوف لا يهمه شيء، يهمه أن ينظر إلى الساعة متى ستنتهي الساعات التي هو ملزم بالعمل فيها، ويُمَشِّي حال الطلاب بأي شيء!. ليس هناك تربية لا داخل مدارسنا، ولا داخل مساجدنا، ولا داخل جامعاتنا، ولا داخل مراكزنا.

هذه المدارس نفسها في حالة المواجهة هل ستصبح ضرورية؟ بإمكان الناس في حالة الخطورة فيما لو ضربت مدرسة أن يدرسوا أبناءهم تحت ظل أي شجرة، أو في أي مكان آخر، المساجد أنفسها لو ضربت بإمكانهم أن يصلوا في أي مكان.. لكن قوتهم هو الشيء الذي لا بديل عنه، لا بديل عنه إلا الخضوع للعدو، والاستسلام للعدو، وتلقي الضربة بدون أي حركة في مواجهة العدو)[1].

ويؤكّد السّيد أنّ من الواجب على الشّعوب هو الالتفات والاهتمام الجادّ ببناء الجانب الاقتصاديّ والزّراعيّ، وأن تكون هذه هي المطالب الأوليّة والمهمّة للشّعوب أمام أيّ انتخابات، أو دعوات للتّغيير، ومطالبة للإصلاح، ويؤكّد السّيد على أنّه كان من الأولى أن تتوجّه تلك القروض الماليّة والماديّة الّتي تثقل كاهل الشّعوب للتّنمية الاقتصاديّة والزراعيّة، ويدعو السّيد إلى ضرورة توفير الدّعم للزّراعة والمزارعين، والجمعيّات الزّراعيّة، ومراكز التّسويق، وتوفير الإحتياجات اللاّزمة للزّراعة والمزارعين، فيقول: **(من واجب الناس في الانتخابات إذا ما قدمت برامج انتخابية لأي انتخابات كانت: نحن نريد زراعة.. أو أن اليمن بلد غير صالح للزراعة! فيه أراضي كثيرة جدا، هذه الأراضي التي هي مزروعة بالقات ليست مبررا لهم أن يقولوا: أنتم زرعتم [القات]، هذه مناطق جبلية، أراضي محدودة، لو تأتي لتلصقها بعضها لبعض لما ساوت منطقة صغيرة في بلاد تهامة، أو في حضرموت، أو في مأرب، أو في الجوف.. لماذا لا تزرع تلك الأراضي؟.**

تلك القروض الكثيرة التي نتحملها نحن لماذا لا توجه أو يوجه القسط الأكبر منها إلى الاهتمام بالزراعة؟ هل نتحمل القروض ثم لا نجد قوتنا مؤمّناً أمامنا؟ هل هذه تنمية؟ نتحمل الملايين بعد الملايين من الدولارات، ونتحمل أيضا فوائدها الربوية في ما بعد ولا نجد مقابل ذلك أمناً فيما يتعلق بالغذاء؟!.

أذهاننا منصرفة في مختلف مناطق اليمن عن المطالبة بهذا الجانب في كل انتخابات، في كل ما

(١) محاضرة في ظلال دعاء مكارم الأخلاق الدرس الثاني.

نسمع بقروض!.

أحزاب المعارضة نفسها لماذا لا تتحدث عن هذا الجانب بشكل مُلِح؟ المزارعون أنفسهم لماذا لا يتحدثون عن هذا الجانب بشكل ملح؟ أين هو الدعم للمزارعين؟ أين هو الدعم للزراعة؟ أين هو الدعم للجمعيات الزراعية؟ أين هي مراكز التسويق لاستقبال منتجات المزارعين؟ أين هو التخفيض للديزل نفسه الذي هو ضروري فيما يتعلق بالزراعة، والمواد الكيماوية الضرورية للمنتجات الزراعية؟)[1].

ويوضّح السّيد أنّ من الواجب على العلماء أن يكونوا في مقدّمة المطالبين ببناء الجانب الاقتصادي، والاهتمام بالجانب الزّراعي للأمّة، لأنّ الأمّة لا تستطيع أن تقف على أقدامها، وتدافع عن نفسها ودينها إلاّ إذا توفّر لها قوتها الضّروري الذي الزراعة أساسه وليس الاستيراد، ويؤكّد السّيد أنّ حاجة الأمّة للزّراعة في مجال نصر الإسلام أشدّ من حاجة المصلّي للماء للوضوء، فيقول: **(من واجب العلماء أنفسهم الذين لا يمتلكون مزارع، ومن تأتيهم أقواتهم إلى بيوتهم عليهم هم أن يلحوا في هذا المجال؛ لأنه اتضح جليا أن الأمة لا تستطيع أن تدافع عن دينها، ولا تستطيع أن تدافع عن نفسها وهي ما تزال فاقدة لقوتها الضروري الذي الزراعة أساسه، وليس الاستيراد، أصبح شرطا، أصبح أساسا، أصبح ضروريا الاهتمام بجانب الزراعة في مجال نصر الإسلام أشد من حاجة المصلي إلى الماء ليتوضأ به.. هل تصح الصلاة بدون طهارة؟ إذا لم يجد الماء يمكن أن يتيمم فيصلي.**

إذا كانت الصلاة لا بد لها من طهور بالماء أو بالتراب، فلا بد للإسلام، ولهذه الأمة التي تهدد كل يوم الآن تهدد، وتهدد من قبل من؟ تهدد من قبل من قوتها من تحت أقدامهم، من فتات موائدهم، لا بد لها من الاهتمام بجانب الزراعة، لا بد أن تحصل على الاكتفاء الذاتي فيما يتعلق بحاجياتها الضرورية.

إذاً رأينا كيف لا تربية إيمانية، لا اهتمام بالجانب الاقتصادي للأمة، لا اهتمام بالجانب العلمي

(١) محاضرة في ظلال دعاء مكارم الأخلاق الدرس الثاني.

للأمة ما نزال منح دراسية، منحة بعد منحة إلى مختلف بلدان أوربا وما نزال شعوباً متخلفة.

يقال: أن المصريين هم انفتحوا على الغرب قبل الصينيين، وأين الصين وأين مصر؟!. الصين أصبحت دولة صناعية كبرى، والمصريين لا يزالون يواصلون منحاً دراسية، منحة بعد منحة، وهكذا اليمن، وهكذا البلدان الأخرى)[1].

ويؤكّد السيد أنّه لا بدّ من بناء الأمّة بناءً صحيحاً بحيث تكون أمّة معتمدة على نفسها في قوتها الضّروري، وتحقيق الاكتفاء الذّاتي لها، مبيّناً أنّ العمل على تحقيق الاكتفاء الذّاتي للأمّة، وتأمين قوتها الضّروري من مقوّمات الجهاد في سبيل الله، ومن كمال الإيمان، فيقول: **(أليس من كمال إيماننا في مواجهة تهديد أعدائنا هو أن نكون أمة مجاهدة؟ أليس من كمال أن نكون أمة مجاهدة أن نكون أمة مكتفية معتمدة على نفسها في قوتها الضروري؟.. إذا فيصبح القوت الضروري، يصبح الاكتفاء الذاتي للأمة من كمال الإيمان، من كمال الإيمان.**

ولكن من الذي يربينا هذه التربية من حكامنا فيهتم باقتصادنا، ويهتم بإيماننا، ويهتم بكل الأشياء التي تهيئ لنا أن نكون أمة تقف في وجه أعدائها، بل أمة تستطيع أن تتحمل الضربة من عدوها؟ للأسف البالغ وصلنا إلى الدرجة هذه: أن الشعوب لا تحلم بأن تواجه، بل ترى نفسها لا تستطيع أن تتحمل الضربة لفترة قصيرة)[2].

وفي محاضرة "اشتروا بآيات الله ثمناً قليلا" يبيّن السّيد أنّ الفرج لا يأتي إلاّ بعد الشّدّة، وأنّ الشّدّة هي عمليّة النّقلة الأولى نحو النّصر، مبيّناً أنّ من أبرز شدائد الدّنيا في هذا العصر هو الجانب الاقتصادي، فيقول: **(لا يأتي الفرج إلا بعد شدة، ولو كانت الشدة هي عملية النقلة للخطوة الأولى، وقد يكون أبرز شدائد الدنيا في هذا العصر هو ما يتعلق بالجانب الإقتصادي)**[3].

ويحثّ السّيد الشّعب على أن تكون مواقفه وأولويّاته أمام محطّات التّغيير، وفي الانتخابات،

(١) محاضرة في ظلال دعاء مكارم الأخلاق الدرس الثاني.
(٢) محاضرة في ظلال دعاء مكارم الأخلاق الدرس الثاني.
(٣) محاضرة اشتروا بآيات الله ثمناً قليلا.

مركّزة على الاهتمام ببناء الجانب الاقتصادي والزّراعي، الّذي يحقّق للأمّة التّنمية الحقيقيّة، والقدرة، والقوّة في حياتها، ومواجهة أعدائها، فيقول: **(نحن قلنا في الجلسة السابقة أنه يجب في كل إنتخابات أن نقول: نحن لسنا مستعدين أن نصوت لأحد إذا لم نراه يهتم بإقتصادنا، ببناء اقتصادي تقوم عليه أقدامنا، إقتصاد صحيح، تنمية حقيقية، زراعة)**[1].

حاجة الأمّة للغذاء أشدّ من حاجتها للسّلاح

يؤكّد السّيد في الدّروس والمحاضرات أنّ حاجة الأمّة لبناء وتقوية الجانب الاقتصادي في هذه المرحلة، أهمّ بكثير من حاجتها للسّلاح، لأنّها إذا ملكت السّلاح، ولم تملك الغذاء، فلن تستطيع أن تعمل شيئاً، وستبقى أمّة ضعيفة، خانعة، ذليلة، مستسلمة لهيمنة أعدائها، ويؤكّد على أنّ حاجة المسلمين اليوم للغذاء أشدّ من حاجتهم للسّلاح، ففي محاضرة معرفة الله الدرس الخامس يقول السّيد:

(أصبحت حاجتنا إلى الغذاء أشد من حاجة المسلمين إلى السلاح)، ويضيف في نفس الدّرس والصفحة قائلا:

(حاجتنا إلى الغذاء أشد من حاجتنا إلى السلاح في ميدان وقفتنا ضد أعداء الله)[2].

ويبيّن السّيد أنّ الأمّة الّتي لا تمتلك قوتها وغذائها لن تستطيع أن تقف في مواجهة أعدائها، فيقول:

(لا تستطيع أن تقف على قدميك وتصرخ في وجه أعدائك وأنت لا تملك قوتك)[3].

ولا يمكن للأمّة أن تتحرّر من هيمنة أعدائها، وتمتلك قرارها، إلاّ بتحررها الغذائي والاقتصادي، واعتمادها على ذاتها، وتحقيق الاكتفاء الذّاتي لها، يقول السيد: **(متى ما زرعنا ملكنا قوتنا، متى ما ملكنا قوتنا استطعنا أن نقول لا، إستطعنا أن نصرخ في وجوههم، إستطعنا أن**

(١) محاضرة لتحذن حذو بني إسرائيل.

(٢) دروس معرفة الله الدرس الخامس.

(٣) دروس معرفة الله الدرس الخامس.

نتخذ القرار الذي يليق بنا)[1].

إذاً كان من المفروض على السُّلطات الحاكمة في الدّول العربيّة والإسلاميّة أن تهتمّ بالجانب الزّراعيّ والاقتصاديّ، وأن توليه جلّ اهتمامها وأولويّاتها، لكنّ ما نجده هو العكس من ذلك تماماً، فنجد أنّ وزارات الزّراعة أصبحت وزارات شكليّة فقط خالية من أيّ مهام، أو أنشطة زراعيّة، يقول السّيد: **(تجد وزارة الزراعة في أي بلد عربي هي أحط الوزارات، وأقل الوزارات نشاطا.. في اليمن نفسه كم من الأراضي في اليمن تصلح للزراعة، ونحن نستورد حتى العدس وحتى الفاصوليا والقمح والذرة من استراليا ومن الصين وغيرها، واليمن يكفي لو زرع لليمن ولغير اليمن)**[2].

(١) محاضرة من نحن ومن هم.

(٢) محاضرة يوم القدس العالمي.

خطورة الإستمرار في زراعة القات

وضّح السّيد في الدّروس والمحاضرات خطورة الاستمرار في زراعة القات وتوريثه للأجيال، ودعا إلى ضرورة التّفكير في البدائل المناسبة مع تغيّر الظّروف، والتحديات، والمناخ، لأنّ مما أُشتهرت به مناطق الشّمال والوسط في اليمن، وخصوصاً في الفترة الحاليّة هو الاعتماد على زراعة القات، والانهماك فيه، وقد قدّم السّيد الرّؤية والنّظرة الصحيحة تجاه شجرة القات، وكيفيّة التّعاطي معها.

التفكير في زراعة البديل

دعا السّيد إلى ضرورة التّفكير في زراعة البديل عن شجرة القات، فقد تتغيّر العوامل، والظّروف المشجّعة على الاستمرار في زراعة هذه الشجرة، فيقول: **(الناس الآن مثلاً في هذه البلدان في الأرياف، في معظم أرياف اليمن يعيشون على القات وبشكل كبير، لو نسألهم: ما هو البديل الذي أنتم تتصورون بأنه يمكن أن يكون بديلاً فيما لو أصبحت هذه الشجرة لا قيمة لإنتاجها؟ مثلا تقفل السعودية فلا يستقبل القات، فيبقى متراكما، فتضطرون إلى قلع هذه الأشجار عندما تصبح لا قيمة لمحصولها، ما هو البديل في أذهانكم؟. هل هناك بديل؟.**

نحن نقول في بعض الأحيان أن الناس يحاولون أن يفكروا في بديل إذا أمكن، يجربوا في هذه المناطق إذا كان بالإمكان زراعة بعض أنواع الأشجار الأخرى التي يمكن أن تكون بديلاً عن القات، ربما مع تغير الظروف والمناخ من عام إلى عام قد يتحول المناخ في هذه المناطق إلى مناخ بارد جداً قد لا يصلح للقات، ربما السعودية يتغير وضعها الاقتصادي فتصبح هذه الشجرة لا قيمة لها؛ لأن المعلوم هو أن ما جعل للقات قيمة كبيرة هو أنه يمشي إلى السعودية، أليس كذلك؟.

التخازين في البلاد قليل، أليس معظم الناس يخزنون مجانا؟. يحاولون أن يفكروا أن يبحثوا عن أنواع أخرى. وليس من منطلق أنهم فيما إذا ضرب الله هذه الشجرة، نحن لسنا بحاجة إليها،

سنفكر في نوع آخر وعندنا بديل آخر! لا)[1].

شجرة القات نعمة مؤقتة

تعتبر شجرة القات نعمة مؤقّتة في الظّروف الحاليّة، نظراً لظروف الوضع الراهن، ولغياب الاهتمام بالجانب الاقتصاديّ والزّراعيّ من قبل الدّولة، فيقول: **(أعتقد بأنها من جهة. والله أعلم. هذه الشجرة قد تكون نعمة كبيرة للناس في هذه الظروف فقط، في هذه الظروف الخاصة، في حالة قلة الأمطار، في حالة عدم تمكن الناس من زراعة أشياء كثيرة، حيث لا دعم من جانب الدولة للمزارعين، هذه الشجرة التي تعيش في مختلف أنواع التربة، وتتحمل العطش بنسبة كبيرة، وتأتي في السنة بأكثر من محصول، تعتبر نعمة كبيرة على الناس، والناس يفهمون هذا أنها نعمة كبيرة، حتى كثير يقول: لو لا نعمة الله علينا بهذه الشجرة لكانت وضعية الناس سيئة، التعداد السكاني متزايد كل سنة، أصبحت الأسر ما بين عشرين شخص إلى خمسة عشر شخصاً، ما بين ثلاثين إلى عشرة إلى اثنا عشر، فيأتي الرزق بواسطة هذه الشجرة، إذاً أشكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة، حتى وإن كان في الواقع أن وضعيتنا تفرض علينا أن نهتم بزراعة الأشياء التي هي ضرورية بالنسبة لنا كالحبوب، والبقوليات الأخرى، ولكن هذا يحتاج إلى دعم من الدولة، وأيضاً يحتاج إلى دعم إلهي)**[2].

خطورة الفساد على الزّراعة

ظهور وانتشار الفساد في كلّ مستوياته يمثّل تهديداً كبيراً للجانب الاقتصادي والزّراعي، ويؤدّي إلى قلّة وشحّ الأمطار، بسبب الفساد الذي ينخر مؤسّسات الدّول، وكذلك الفساد الاجتماعي، والأخلاقي، أدى إلى ضعف الجانب الاقتصادي والزّراعي، فلم يعد النّاس متمكّنين من زراعة الحبوب، والبقوليات، والأشياء الّتي تؤمّن لهم القوت الضّروري والغذائي، يقول السيد: **(نحن قد فسدنا، نحن فسدنا فلم تعد البركات بالشكل الذي كنا نسمع عن أجيال سابقة،**

(١) دروس معرفة الله نعم الله الدرس الخامس.

(٢) دروس معرفة الله نعم الله الدرس الخامس.

الأمطار قلّت، أليس كذلك؟ الأنهار أيضاً قلت وانتهى بعضها، وتلك المناطق التي كان يعتمد الناس فيها على الآبار الارتوازية أيضاً قلت المياه فيها بشكل كبير، ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾[الروم: من الآية٤١] **فلم ير الناس أنفسهم متمكنين من زراعة الحبوب، ومن زراعة البقوليات الأخرى حتى يوفروا أو يؤمنّوا غذاءهم لأنفسهم، يؤمنّوا لأنفسهم الغذاء، السماء لم تعد تعطي بركاتها، الأرض لم تعد تعطي بركاتها، فسدنا كلنا، كبيراً وصغيراً، كما قال الإمام علي (عليه السلام) ((إذا فسد السلطان فسد الزمان))، أولسنا نسمع من الدولة نفسها أنهم يشكون من الفساد المالي، والفساد الإداري، والفساد في القضاء، وفي الجانب الأمني وفي مختلف المجالات، في الجانب التعليمي، في الجانب الصحي، في مجالات كثيرة، ألسنا نسمع وهم يشكون؟. ألستم تسمعون برنامج يقدم [من هو المسئول] أليسوا يعالجون فيه أو يتحدث من المسؤول عن أخطاء في هذا المجال، أو هذا المجال، أو هذا المجال، فساد على مستوى الدولة والشعب؟.**

لكن ماذا؟ يبدو وكأن الله سبحانه وتعالى منحنا جرعة إسعافية مؤقتة لسكان الأرياف.. القات، من شمال اليمن إلى معظم المناطق الغربية هذه، معظم المناطق الغربية في محافظة صعدة ومحافظة حجة، وإب.. وهكذا، يعتمد الناس فيها على القات، في محافظة صنعاء وعمران والمحويت والجوف يعتمدون فيها على القات)[1].

لا يجب أن نعتمد على زراعة القات بإستمرار

إذا استمرّ النّاس معتمدين على زراعة شجرة القات فلن يستطيعوا أن يقفوا المواقف الصحيحة والمسؤولة في مواجهة الأعداء، وأمام التحدّيات، والمخاطر، يقول السيد: **(مع أننا نصيح من زراعة القات أنه ليس هو ما يجب أن نعتمد عليه باستمرار، هذه شجرة إذا ظل الشعب معتمداً عليها باستمرار فبالتأكيد لا يستطيع أن يكون له موقف من أعداء الإسلام، هذه الشجرة لا تستطيع أن تمضغها إلا بعد أن يكون بطنك ممتلئاً وأنت شابع، أما إذا كنت جائعاً فهل تستطيع أن تمضغ القات؟ .لا.**

(١) دروس معرفة الله نعم الله الدرس الخامس.

إذاً فبالنسبة للقات، بالنسبة لشجرة القات، مناسب أن تكون لنا نظرة صحيحة بالنسبة لهذه الشجرة، هي في الواقع نعمة، لكن أعتقد أنها أشبه شيء بنعمة مؤقتة من جانب الله سبحانه وتعالى في فترة التيه.. هذه الأمة خاصة نحن اليمنيين في فترة التيه كما كان بنوا إسرائيل، والله سبحانه وتعالى رحيم، فالقات بالنسبة لنا كأنه أشبه شيء بطائر السلوى الذي منحه الله بني إسرائيل أيام التيه، المن والسلوى)[1].

العمل على تصحيح وضعنا

أكّد السّيد على ضرورة العمل على تصحيح وضعنا الدّاخلي، ليعيد الله إلينا بركات السّماء والأرض، فنستطيع أن نزرع الحبوب، والبقوليّات، والخضروات، والأشياء الضروريّة الّتي تساعدنا على النّهوض بمسؤوليّتنا، والوقوف في مواجهة أعدائنا، لأنّ القات لن يقدّم لنا شيئاً في تحقيق القدرة الذاتيّة على مواجهة الأعداء، وتبنّي المواقف الصحيحة، ويؤكّد السّيّد أنّ من مقدّمات، وبدايات العودة الصّادقة إلى الله، وتصحيح الوضع، هو تبنّي المواقف الّتي يمليها علينا ديننا في مواجهة أعدائنا، فيقول: **(لنعد إلى أنفسنا فنصلحها، نصلح أوضاعنا، ليعيد الله سبحانه وتعالى بركات السماء والأرض إلينا من جديد؛ لأنه في الواقع بالنسبة للقات، محصول القات عندما تبيع فيجتمع لديك مبلغا من المال، ماذا ستعمل بهذا المبلغ؟ ألست ستشتري حبوبا، وتشتري مواداً غذائية، تشتري فول من الصين وفاصوليا من الصين وعدس من تركيا، وتشتري بقوليات من خارج، وحب من خارج، تشتري ملابس من خارج، تشتري بهذا كله من خارج، أليس بالإمكان أن يعمل الناس ليتوفر ما يحتاجون إليه داخل بلدهم؟. لكن متى؟ متى ما حاولنا أن نصحح وضعيتنا فنخرج من حالة التيه، حتى لا نعد محتاجين إلى طائر السلوى، كما احتاج بنو إسرائيل، هل كان طائر السلوى ممكن أن يكون بديلاً عن الأغنام والأبقار والإبل؟ مؤقتاً، نعمة مؤقتة، فالقات هو نعمة مؤقتة، ولكن في نفس الوقت يجب أن نشكر الله عليها، في نفس الوقت يجب ألا يترسخ لدينا بأنها هي الشجرة التي يجب أن تبقى، فأزرعها أنا ويزرعها أولادي من بعدي،**

(١) دروس معرفة الله نعم الله الدرس الخامس.

ثم أولادهم وهكذا.

ما دمنا مفتقدين إلى تأمين غذائنا فلا نستطيع أن نعمل شيئاً، ولو كانت كل الصحاري قات، ولو كانت كل الجبال قات، لا نستطيع أن نقف موقفاً واحداً ضد أعداء الله، أصبحت حاجتنا إلى الغذاء أشد من حاجة المسلمين إلى السلاح.. هل تفهمون هذا؟ حاجتنا إلى الغذاء أشد من حاجتنا إلى السلاح في ميدان وقفتنا ضد أعداء الله.

الغذاء، القوت الضروري لا تستطيع أن تقف على قدميك وتصرخ في وجه أعدائك وأنت لا تملك قوتك، وإنما قوتك كله من عندهم، ولكن نحن نقول أن اتخاذ المواقف هو في نفس الوقت من مقدمات العودة إلى الله سبحانه وتعالى، أو بداية العودة إلى الله لنعد إلى أنفسنا، فنراه سبحانه وتعالى يطلب منا ويأمرنا بأن نكون أنصاراً لدينه، وأن نعتصم جميعاً بحبله، وأن نكون أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، تدعو إلى الخير، تقوم بهذه المهمة في الناس جميعاً، فأملنا كبير في الله سبحانه وتعالى أن يعيد إلينا بركات السماء والأرض، فيستطيع الناس أن يعودوا إلى زراعة الحبوب، وزراعة مختلف الأصناف من الثمار التي هم بحاجة ماسة إليها)[1].

تصحيح النّظرة إلى القات

يقدّم السّيد رؤية صحيحة تجاه شجرة القات باعتبارها نعمة مؤقتة، وجرعة إسعافيّة منّ الله بها على الناس في هذه الظّروف والمرحلة، وشجرة القات أشبه شيئاً بنعمة المنّ والسّلوى الّتي منّ الله بها على بني إسرائيل في مرحلة التّيه، فيقول: **(إذا كنا نعتقد أو كانت أنفسنا مطمئنة هكذا إلى أن هذه الشجرة أصبحت هي الشجرة الرئيسية التي نزرعها فيزرعها أبناؤنا من بعدنا إلى آخر أيام الحياة، هذه نظرة خاطئة فعلاً، هذه نظرة خاطئة، ولكن لا نعتبرها مصيبة، ولا نعتبرها طامة في ظروف كهذه.. لا.. هي نعمة في ظروف كهذه، هي رحمة من الله، رحمة من الله كما رحم بني إسرائيل بطائر السلوى في فترة التيه، وهم تائهون في صحراء سيناء، فكثير من الناس يلعنون هذه الشجرة، يلعنونها وينسبون إليها كل سوء!. هي رحمة، هي نعمة، ولكن في نفس الوقت**

(١) دروس معرفة الله نعم الله الدرس الخامس.

ليحذر أولئك الذين يعملون على أن يبدلوا نعمة الله كفراً، وأن يحلوا قومهم دار البوار، من يبيعون القات فيدخلون في مبايعات محرمة، يدخلون في مبايعات فيها الكثير من الأيمان الفاجرة، فيها الكثير من الكذب، لا يجوز للناس أن يبدلوا نعمة الله كفراً، ماذا لو ضرب الله هذه الشجرة، ونحن في أوضاع كهذه؟. ماذا سنعمل؟)[1].

لا بدّ من العودة إلى الله

يؤكّد السّيد أنّنا نعيش في ظروف صعبة جدّاً، وحالة سيئة وخطيرة، لا مخرج لنا منها إلاّ بالعودة إلى الله سبحانه وتعالى، فالجانب الزّراعي يعتمد على الماء، والماء بيد الله سبحانه وتعالى، والحلول الصحيحة، والمعالجات الناجحة هي في الاستقامة على دين الله، والعودة الصادقة إليه، حتّى يغيثنا بجرعات إسعافيّة تساعدنا على النّمو الاقتصادي، والزّراعي، فيقول: **(لو حاول الناس أن يزرعوا حبوباً من جديد، فحتى لو قلنا بالإمكان أن يكون هناك مضخات فالماء في الأرض قد ضرب أيضاً، الله بيده كل شيء، هو مالك الملك، إذا كنت تعتقد بأن بإمكانك أن تستغني عن المطر.. هي مؤشرات خطيرة، نقول للناس لا بد من عودة إلى الله، وحتى لو قلنا الحكومة نفسها تعمل شيئاً ماذا يمكن أن تعمل؟.**

أن تعمل مضخات، الماء في الأرض مشرف على الانتهاء، تعمل سدوداً، السدود تحتاج إلى أمطار، ثم إذا جاء سد، يكون الناس بحاجة إلى اغترافه لبيوتهم ومواشيهم، بالدرجة التي لا يكادون يوفرون إلا القليل للزراعة، ثم في هذه الجبال الشاهقة أين مواقع السدود الكبيرة التي يمكن أن تكون سدوداً كبيرة تكفي لسقي المزارع وحاجات البيوت والمواشي؟.

لا مجال إلا العودة إلى الله سبحانه وتعالى، فنشكر الله على هذه النعمة، نبتعد عن الأيمان الفاجرة، عن الكذب، عن الغش، عن الخيانة، لا يلهينا العمل في التجارة في هذه الشجرة عن ذكر الله تعالى، عن أن تؤدي بنا إلى التقصير في طاعة الله تعالى، هذه نعمة سنحولها إلى كفر.

نشكر الله سبحانه وتعالى عليها وفي نفس الوقت نحاول أن نهيئ أنفسنا بالشكل الذي نرجو

(١) دروس معرفة الله نعم الله الدرس الخامس.

من الله سبحانه وتعالى أن يعيد علينا بركات السماء وبركات الأرض.. ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[الأعراف: من الآية٩٦] **هذا وعد من الله سبحانه وتعالى ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾**[نوح:١٢] **أليس هذا من وعود الله سبحانه وتعالى؟.﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾** [الجن:١٦].

والحياة مرتبطة بالماء، الأرزاق مرتبطة بالماء، بل حريتنا مرتبطة بالماء، بل نصر ديننا مرتبط بالماء، والماء بيد من؟ خزائنه بيد الله تعالى.. فالله سبحانه وتعالى متى ما رجعنا إليه فهو رحيم بنا، هو من يرحمنا حتى ونحن في حالة الإعراض عنه فيسعفنا بجرعات اقتصادية، ليست كالجرعات الاقتصادية التي تأتي من قبل الحكومة كرفع أسعار ونحوها، بل يعطينا أشياء يهيئ لنا المعيشة بأشياء في حالة مؤقتة حتى نصحح وضعيتنا، وحتى يمكننا أن نعود إلى وضعنا الطبيعي، وضعنا الطبيعي الذي يمكِّننا من أن نعتمد على أنفسنا، فيما يتعلق بغذائنا، فيما يتعلق بحاجاتنا. ولو على الأقل. الضرورية.

حتى البيضة تأتي من خارج، الدجاجة تأتي من خارج، كل ما بين أيدينا كل ما في مطابخنا، كل ما في أسواقنا كله من خارج، من عند أعدائنا، أليست هذه وضعية سيئة، وضعية خطيرة جداً)[1].

خطورة الإستمرار في زراعة القات

يؤكّد السّيد أنّ الإصرار على الاستمرار في زراعة القات، معناه أنّنا لسنا مستعدين أن نكون من أنصارالله، ولا للوقوف في وجه المفسدين في الأرض، داعياً إلى العمل على تهيئة وضعيّتنا بالشّكل الصّحيح حتّى نتمكّن فيها ومعها من العودة إلى الله، والعمل على إعلاء كلمته، ونصر دينه، فيقول: **(ثم إذا كنا مصرين على أن نزرع القات جيلاً بعد جيل، هذا أيضاً من الإصرار على أننا لسنا مستعدين على أن نقف موقفاً يرضي الله سبحانه وتعالى، في مجال نصر دينه، وإعلاء كلمته، وأن نقف في وجه المفسدين في الأرض: اليهود والنصارى وأوليائهم.. إذا كنت مصرًّا**

(١) دروس معرفة الله نعم الله الدرس الخامس.

على زراعة القات باستمرار وأن تورثها للأجيال من بعدك فأنت مصر على قعودك عن نصر دين الله؛ لأن الله عندما يقول لنا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾[الصف: من الآية١٤] يأمرنا بأمر يوجب علينا أن نهيئ وضعيتنا بالشكل الذي نستطيع أن نكون فيه ممن يحقق نصر الله، ومنه الجانب الاقتصادي، تأمين غذائنا.

فليحاول الناس. وقد كثرت الأسر. أن يحرثوا أي أماكن لا تزال غير مزروعة، يحرثونها وليس كل مكان يجهزونه للزراعة يغرسونه قات، يحاول الناس أن يزرعوا الحبوب، ولو بنسبة بسيطة، ونرجع قليلاً قليلاً إلى وضعنا الطبيعي في رجوعنا إلى الله سبحانه وتعالى من خلال رجوعنا إلى الله قليلاً قليلاً حتى نعود بالشكل الذي يريد الله سبحانه وتعالى أن نكون عليه)[1].

(١) دروس معرفة الله نعم الله الدرس الخامس.

خطورة الربا والتحذير منه في القرآن الكريم

يعتبر الرّبا من أهمّ العوامل المؤثّرة في ضرب الأمم والشّعوب، وفي ضرب الاقتصاد، وإفساد المال، وتدمير العلاقات العامّة بين النّاس، وإنهاكهم وإضعافهم اقتصادياً ومعيشياً، وللأسف الشّديد أنّ الأمّة الآن غارقة في الرّبا، ومصبوغةٌ حياتها به، ممّا جعلها في حرب مباشرة مع الله سبحانه وتعالى ورسوله، وقد بيّن السّيد في الدّروس والمحاضرات خطورة الرّبا على النّاس أنفسهم، وعلى واقع حياتهم، وعلى اقتصادهم، ومعيشتهم، وقدّم الرّؤية القرآنيّة في موضوع المال والاقتصاد.

الرّبا يضرب الأمّة ويحطّم الإقتصاد

يبيّن السّيد أنّ الرّبا من أخطر العوامل المؤثّرة والمدّمرة للاقتصاد، والمال، والنّفوس، والأمّة، وأنّه يؤدّي إلى تحطيم وتدمير الصّناعة والحضارة، ويؤدّي لغلاء الأسعار، والفساد التّجاري، ويبيّن السّيد أنّ الهبوط في الجودة الصّناعية والتكنلوجيّة سببه التعامل بالرّبا والذّوبان فيه، ويأتي هذا الهبوط في الجودة والمادّة الصّناعيّة نزولاً عند القدرة الشّرائيّة لدى النّاس، الّتي هبطت وتدنّت بسبب الرّبا والتّجار المرابين، ممّا جعل النّاس يُواجَهُون بحرب شديدة من قبل الله سبحانه وتعالى، فيقول: **(أليس العالم الآن غارقاً في الربا؟ العالم غارق في الربا، والعالم في حرب مع الله** ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[البقرة: من الآية٢٧٩].

وتجد من مظاهر هذه الحرب فساداً تجارياً، غلاء أسعار بشكل رهيب، هبوطاً حتى في مواصفات التصنيع من أجل مواكبة القدرة الشرائية لدى المستهلكين، المنتجات الجيدة ألم تغب عن الأسواق؟ منتجات جيدة من الإلكترونيات وغيرها من الصناعات، والأقمشة، وكثير من الآليات.. ألم تغب عن الأسواق؟ لماذا؟ ألم تهبط الصناعات، وتهبط المواصفات؟ تهبط وكل عام ترى الصناعات تهبط قليلاً قليلاً في مواصفاتها، في جودتها، لماذا؟ نزولاً عند رغبة المشتري، أو تبعاً لقدرته الشرائية؟.

الربا هو ضرب الناس حتى ضرب الصناعات فأصبحنا بدل أن كنا نتمتع بكثير من الصناعات

الجيدة، ذات المواصفات الجيدة، في مختلف المجالات، ها نحن تغلب على أسواقنا منتجات مواصفاتها رديئة، ومتى ما رأينا قطعة جيدة [أصلية] من أي منتج، ورأينا سعرها مرتفعاً ألسنا نخرج من المعارض؟ ونقول: هذا سعره مرتفع، الحقيقة أنها أصلي لكنها سعرها مرتفع، والآخر قال: جيدة لكنها غالي، والرَّجال صاحب المحل في الأخير لا يستورد منها، صاحب المصنع في الأخير لا يعد ينتجها، يحاول أن ينتج إنتاجا آخر يتمشى مع حالة الناس.

فنحن في حرب مع الله، والله في حرب معنا بسبب المرابين، بسبب التجارة التي تقوم على الربا؛ لأن أولئك المرابين ليسوا ممن يتذكرون نعمة الله، وليسوا ممن ينطلقون في شكره؛ لأن من يتذكر بأن ما يتقلب فيه من أموال التجارة هو نعمة من الله عليه، سيحاول أن يبتعد عن المحرمات في التعامل، سيبتعد عن الربا)[1].

الرّبا يؤدّي لغلاء الأسعار وضرب الصّناعات

وفي محاضرة معرفة الله وعده ووعيده الدرس الرابع عشر يبيّن السّيد الآثار المدمّرة للرّبا على الاقتصاد، وعلى الصّناعات، وعلى العملة والقدرة الشّرائية لدى النّاس، لأنّ الأمّة عندما دخلت في الرّبا، دخلت في حرب شديدة مع الله وشاملة، شملت كلّ شئون وجوانب حياتهم، ومعاملاتهم، ومعيشتهم، يقول السيد: **(يقول الله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[البقرة: من الآية٢٧٩] **ماذا يعني هذا؟ عقوبة في الدنيا أليس كذلك؟ بل حرب الله سبحانه وتعالى سيتجه إلى طرف يحارب عباده إذا لم يدعوا الربا، إذا لم يذروا الربا.**

﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا﴾[البقرة: من الآية٢٧٩] **بعباراتنا: [الوجه ابيض، إشعار، نحيطكم علما بأننا سندخل في حرب معكم]. وحرب الله إذا ما دخل في حرب مع الناس له جنود السماوات والأرض، يحاربك من كل جهة، من حيث تشعر ومن حيث لا تشعر، يحاربك في نفسك، يحاربك في داخل أسرتك، يحاربك في سيارتك، يحاربك في مضختك،**

(١) دروس معرفة الله نعم الله الدرس الخامس.

يحاربك في مزرعتك، يحاربك داخل مصنعك، يحاربك في كل شيء، ألسنا نرى آثار الربا حتى فيما يتعلق بالتصنيع؟ ألم يهبط مستوى الإنتاج، مستوى الجودة؟ هبطت مستوى الجودة في الإنتاج فأصبح ما في أسواقنا منتجات مما نسميها تقليد، مما كان قد لا يقبله الإنسان قبل زمان ولا بالمجان، غابت المنتجات الجيدة، وتدنت مواصفات المصنوعات في مختلف المجالات، والغلاء أصبح منتشرا في الدنيا كلها، غلاء منتشر، لم يفهموا ما هي أسبابه؟)[1].

ويضيف السّيد مبيّناً أنّ حالة النّاس الاقتصاديّة والمادّية في تدنٍ وهبوطٍ مستمرّ، وأنّ الغلاء في الأسعار ينتشر بشكل فاحش في كلّ الدنيا، والعملة والقدرة الشّرائية لدى النّاس تضعف وتدهور بشكل فظيع جداً، والجودة الصناعية في المنتجات تختفي من الأسواق من عامٍ إلى آخر، كلّ هذا بسبب الرّبا والتّعامل به، حتّى أصبحت حياتنا وأموالنا كلّها مصبوغة بالرّبا بطريقة أو بأخرى، يقول السّيد: **(في [اليابان] نفسه التي هي من الدول المصنعة الكبرى، يقال إن الغلاء في [طوكيو] نفسها في العاصمة وصل ببعض البلدان الضعيفة أو الصغيرة أنها لم تستطع أن تستأجر لأنفسها سفارات داخل طوكيو وإنما خارج، غلاء شديد في كل بقعة في العالم، وعندنا أليس هناك غلاء؟ وكل سنة ترتفع الأسعار لماذا؟ من أين جاء هذا؟ والمعيشة تتدنى، ألم نر الأشياء تصغر؟ ألم تصغر علب الحليب؟ تحول إلى قراطيس صغيرة، علب الشامبو كثير من المنتجات صغرت، صغرت أليس كذلك؟ والصابون بدأ في قراطيس صغيرة وهكذا تصغر، تصغر فنصبح كما كان زمان يوم لم يكن هناك في الأسواق مشمعات، كان يذهب الشخص يأخذ له [المعوي] من عند [الجزار] ويعبيه قاز، ويعود إلى البيت هل أحد منكم يذكر هذه؟.**

كنا قد وصلنا إلى أن نشتري القاز أو نشتري المحروقات بمختلف أنواعها في [جراكل] الآن الأشياء تتدنى إلى أسفل! كان الناس زمان يأخذون شوالات البر، من يأخذ خمسة أكياس، عشرة أكياس دفعة واحدة، أليس كذلك؟ ثم كيساً واحداً رغماً عنا، ثم نصف كيس، وكانوا يستحيون من أن يأخذوا نصف كيس أليس كذلك قبل فترة؟ أصبح هو السائد نصف كيس، ثم نزل أيضاً

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الرابع عشر.

فأصبح ربع كيس، والآن بدأ بيع الدقيق بالكيلو، يشتري كل وجبة [قُبَالَهَا..] ألسنا في حرب؟ لأن كل المنتجات يمول شراؤها بأموال مدنسة بالربا.

وكما يقال بأنه: في آخر الزمان لا تجد درهماً حلالاً، فالنقود التي في جيوبنا من أين تأتي؟ من البنوك، البنوك هي من تتعامل بالربا، تتعامل في الداخل وتتعامل في الخارج بالربا، كل ما نأكل مصبوغ بالربا، كل النقود التي في جيوبنا مصبوغة بالربا كيف نعمل؟ ماذا نعمل؟)[1].

الرّبا من أعمال اليهود

يبيّن السّيد أنّ كلّ هذه الآثار والنّتائج السّيئة والمدمّرة للحياة تدلّ على أنّنا في حربٍ شديدة مع الله بسبب استساغتنا للرّبا، وتعاملنا به، مبيّناً أنّ الرّبا من أعمال اليهود وصنائعهم، وجاء وانتشر على أيديهم، وهم من يعملون الآن بطريقة خبيثة على صبغ الحياة بالرّبا، ونشره، والعمل والتعامل به، فيقول: **(تأملوا جيداً لنرى الحرب التي يشنها الله على الناس؛ لأنهم استساغوا الربا، المسلمون أنفسهم استساغوا الربا، وهذا من آثار عمل اليهود، اليهود بخبثهم، اليهود هم المعروفون بالربا من مئات السنين، لكن بطريقتهم الخبيثة بالإضلال:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ [النساء:٤٤].

لكن هكذا بطريقتهم الخبيثة حتى يصبح الربا مستساغاً في أوساط المسلمين، ومستساغاً في التعامل بين تجار المسلمين وفي بنوك أموال المسلمين، ويصبح طبيعياً ولا حتى الاستنكار الكثير من جانب علمائنا، من جانبنا كطلاب علم أيضاً، لم يعد هناك قضية تدفعنا على الاهتمام أن نستنكرها، والربا شديد جداً، الربا من أكبر الجرائم)[2].

ويوضّح السّيد أنّ من المعروف عن بني إسرائيل هو تعاملهم بالرّبا كما حكى الله عنهم في القرآن الكريم، وأنّهم من يعملون الآن على صبغ الحياة بالرّبا، حتّى أصبح تعاملاً اقتصاديّاً طبيعيّاً داخل البلدان العربيّة والإسلاميّة، يقول السيد: **(الربا أليس من المعروف أن بني إسرائيل هم كانوا من**

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الرابع عشر.

(٢) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الرابع عشر.

المشهورين بالتعامل بالربا؟ التعامل بالربا الآن أصبح طبيعياً وأصبح تعاملاً اقتصادياً طبيعياً داخل البلدان العربية كلها، البنوك في البلدان العربية تتعامل بالربا بالمكشوف، والشركات تتعامل بالربا بالمكشوف. ألم يُفسِد بنو إسرائيل حتى العربَ أنفسَهم؟ وحتى جعلوا الربا الذي قال الله في القرآن الكريم وهو يحذر من الربا: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة الآية ٢٧٨ - ٢٧٩] يتهدد بحرب من جهته وبحرب من جهة رسوله لمن يتعاملون بالربا، ثم يصبح الربا شيئاً طبيعياً)[١].

الرّبا يؤدّي لتحطيم الإقتصاد، وتدمير العلاقات

يؤكّد السّيد أنّ آثار الرّبا وخطورته مرتبطة بالجانب الاقتصادي، وأنّ أضراره كثيرة جدّاً في واقع الحياة، وعلى المسلمين، فيؤدّي إلى تفكيك وتحطيم العلاقة فيما بين النّاس، ويؤدّي إلى تحطيم الاقتصاد، وكلّ المقوّمات الاقتصاديّة، فيقول: **(أوليس شيئاً مرتبطاً بالجانب الاقتصادي؟ هذا مما يؤكد أن الإسلام يهتم جداً فيما يتعلق بالمسلمين بالجانب الاقتصادي لعباد الله، بالجانب الاقتصادي للمسلمين.**

الربا أضراره كثيرة جداً، في واقع الحياة بالنسبة للمسلمين يؤدي إلى تفكيك العلاقات فيما بينهم)[٢].

ويبين السيد خطورة الربا على الناس، وفداحة جرمه عند الله سبحانه وتعالى، لأنه يؤدي لتحطيم وتدمير الإقتصاد، ويتسبب في إضعاف الناس، ويؤثر على معيشتهم، لأنّ الجانب الإقتصادي مهم وضروري جداً في قدرة الناس على تحمل مسئوليتهم الدينية والنهوض بها، وقدرتهم على الجهاد والعمل في سبيل الله، ومواجهة أعدائهم فيقول: **(الربا شديد حتى ورد في الحديث «لدرهم من ربا أعظم عند الله من خمسة وثلاثين زنية، أهونها أن تزني بأمك عند الكعبة» درهم واحد من ربا، لماذا؟ لأن الجانب الاقتصادي بالنسبة للمسلمين مهم في أن يستطيعوا أن يقفوا**

(١) محاضرة لا عذر للجميع أمام الله.

(٢) محاضرة معرفة الله وعده ووعيده الدرس الرابع عشر.

في مواجهة أعدائهم، في أن يستطيعوا أن يقوموا بواجبهم وبمسئوليتهم أمام الله من العمل على إعلاء كلمته ونصر دينه، ونشر دينه في الأرض كلها.

الإنسان إذا كانت معيشته صعبة، المجتمع إذا كانت معيشته قلقة يكاد هذا هو ما يصرفه حتى أن يرجع هو نفسيا إلى الله، منشغل بكيف يوفر لأهله القوت، كيف يوفر لأسرته حاجياتهم، ولا يفكر بأن يستمع إلى مواعظ إلى أن يهتدي إلى أن يحضر إلى مجلس علم، أو يحضر إلى مدرسة يستفيد منها، بل تأتي لتعظه وذهنه مشغول، ذهنه مشغول، تأتي الأمة في زمن كزماننا هذا فترى أعداءها يهددونها وترى الضربات داخلها هنا وهناك ثم ننظر إلى أنفسنا فإذا بنا لا نستطيع أن نقف على أقدامنا، الجانب الاقتصادي لنا منهار)[1].

آثار الحرب الإلهيّة

يؤكّد السيد أنّ المال والجانب الاقتصادي مهمٌّ جدّاً في بناء الأمّة وتربيتها، لتكون أمةً قويةً في مواجهة أعدائها، وقادرةً على مواجهة التّحديّات، والأخطار، والتّهديدات الّتي تواجهها، ولأهميّة هذه القضيّة وخطورتها فإنّ الله قد تهدّد بالحرب الشّديدة على المرابين، ويوضّح السّيد أنّ آثار ونتائج هذه الحرب الإلهيّة بارزة، وماثلة، وقائمة في حياتنا، فيقول: **(لأهمية المال في بناء الأمة، وفي أن تنطلق الأمة في مواجهة أعدائها وأن تنطلق الأمة في القيام بمسئوليتها، ولأثر الربا السيء فيما يتعلق بهذا الجانب الله قال: إنه سيحارب، أليس هذا أقصى ما يمكنك أن تصل إليه مع الطرف الآخر الذي بينك وبينه خلاف حول قضية ما؟ [إما أن تترك وإلا فالوجه ابيض] أليست هذه العبارة هي آخر شيء؟ يدل على أن هذا الشيء مهم لديك، هذه القضية لا أتسامح فيها أبداً، هل يسمعها أصحاب البنوك؟ هل يسمعها التجار؟ هل يسمعها الناس جميعاً؟ هل يرون آثارها في أنفسهم وفي الحياة؟ آثار الحرب الإلهية؟ نحن نرى آثار الحرب الإلهية في كل شيء.**

﴿فَأْذَنُوا﴾ إيذان أي: إعلام ﴿بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أليست المعيشة كل عام تكون أصعب؟ والبركات كل عام أقل؟ والنفوس كل عام أشد تبايناً؟ والقلوب أشد اكتظاماً وأشد ضيقاً؟

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الرابع عشر.

الصدور تضيق، النفوس تتباين، المعيشة تشتد، والمنتجات تتدنى، و[الحَب] هذا نفسه الذي لا نحصل عليه إلا من الخارج نرى أنفسنا نرى الكثير لا يستطيع أن يشتري إلا نصف كيس، و هو كل ما يملك داخل البيت، هل هناك احتياط من الحبوب داخل البيوت؟ لا. بل ولا كيس واحد، نصف كيس دقيق، ثم ربع كيس ثم سيصل الناس إلى الكيلو، وقد بدأ البيع بالكيلو للدقيق.

ثم أين البدائل؟ هل هناك في أموالنا، هل هناك من محافظات أخرى داخل بلادنا منتجات أخرى؟ نحن أصبحنا نحارب حتى في قوتنا.. من الذي أوصلنا إلى هذا؟ هم المرابون الذين ثقفهم اليهود والذين استساغوا الربا على أيدي اليهود، ونحن قلنا أكثر من مرة أنه هكذا يعمل اليهود يضلونا من حيث لا نشعر، يضربوننا من حيث لا نشعر، يفسدوننا من حيث لا نشعر، يدوسوننا بأقدامهم ونحن لا نحس بشيء، هذا هو ما يحصل)[1].

ويوضّح السّيد أنّ وقوع الأمّة وانغماسها في الرّبا، واستساغتها له من الفساد الذي أوصلها إليه اليهود، حتّى تروّضت على الرّبا، وأصبح لديها قابليّة لاستساغته والتعامل به، فيقول: **(كيف لو بعث رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **من جديد إلى هذه الحياة ورأى أمته هذه المنتشرة في مختلف بقاع العالم تأكل ربا وتتعامل بالربا.. كيف سيكون شعوره أمام هذه الأمة؟ سينظر هل ربما أن القرآن غير موجود، ربما هم لم يطلعوا على آية كهذه، ثم يرى أن القرآن أيضاً ما يزال داخل بيوت أعضاء المجالس الإدارية للبنوك، أو مجموعة من التجار أصحاب بنك يتعاملون بالربا، المصاحف داخل بيوتهم وهم من يبنون أيضا حجرات خاصة للصلاة في بعض البنوك، وفيها مجموعة من المصاحف داخل مبنى البنك! يحصل هذا في بعض البنوك.**

أين نحن من آية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٧٩] **وقد أصبح الربا عندنا مستساغاً، وأصبح شيئاً مألوفاً لدينا.. هذا هو الترويض من قبل اليهود الذين يروضوننا شيئاً، فشيئاً، فشيئاً إلى أن يصبح كل فساد من جانبهم**

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الرابع عشر.

مستساغاً، ويلطموننا لطمة بعد لطمة، صغيرة، ثم أكبر منها ثم أكبر ثم أكبر حتى تصبح الركلة بالقدم مقبولة ومستساغة، خبثهم شديد)[1].

ويوضّح السّيد أنّ سياسة التّرويض هي سياسة يسير عليها اليهود في تعاملهم مع العرب والمسلمين حتّى يصبحوا مهيّئين وقابلين لتلقي الضّربات الكبيرة والشّديدة، كما يعملون في فلسطين الآن، ومع العرب، يقول السيد: **(لاحظوا كيف يسيرون على هذه الطريقة حتى في فلسطين، الانتفاضة من يوم ما بدأت اثنين شهداء، ثلاثة، واحد، أربعة.. يومياً، يومياً وهكذا.. لا يأتي بعدد يثير الآخرين، ولا يتوقف، وهم يعرفون بأنه اثنين كل يوم ثلاثة كل يوم كم سيطلع في السنة؟ وكم وصل إلى حد الآن قتلى الانتفاضة داخل فلسطين كم؟ تقريباً أكثر من ثلاثة آلاف شخص.**

لو جاءوا يضربوا ضربة يقتل فيها ثلاثمائة شخص أليس هذا سيزعج العالم؟ لكن لا.. حسنا هل انزعجنا يوم ما رأينا ثلاثة آلاف، رقم ثلاثة آلاف انزعجنا؟ لا.. لكن لو قتلوا ثلاثمائة شخص دفعة واحدة، ربما كان سننزعج ويحصل استنكار شديد اللهجة ويحصل مظاهرات وتحدث أشياء كثيرة.

إذاً فواحد على اثنين على ثلاثة يومياً وهكذا، وسيرون هؤلاء الناس الذين نروضهم على أن يقبلوا هذا التعامل سيرون في الأخير سيرون في الأخير أرقاما كبيرة ثم لا تثيرهم وهذا أفضل فنسمع عن إحصائيات ثلاثة آلاف قتيل وجرحى بالآلاف هل استثارنا خبر الإحصائيات هذه؟ لا.. طبيعي هكذا يعملون في كل شيء.

ومن هنا نعرف: كيف أن اقتراف الأمة لمعصية من هذا القبيل كالربا أن الأمة ستنال عقوبة من الله على ارتكابها، هذا هو وعيد وجانب من الوعيد في الدنيا)[2].

ويؤكّد السّيد أنّ تحريم الرّبا، والبيوعات المجهولة، والمنهي عنها جاء من قبل الله سبحانه وتعالى ليحافظ على وحدة الأمّة، وقوّتها، وتماسكها، وتآلفها الدّاخلي فتكون أمةً واحدةً

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الرابع عشر.
(٢) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الرابع.

وقويةً، يقول السّيد: **(الربا لماذا هو محرم، البيوعات المجهولة، البيوعات المنهي عنها، الأشياء هذه كلها تجدها في الأخير تنتهي إلى أن يكون الناس أمة واحدة، تهدف إلى أن يكونوا أمة واحدة، أن تكون الخلافات قليلة داخلهم، تكون الاختلافات قليلة، يكون هناك تكافل فيما بينهم، أليس هذا كله يقدمه كله عبارة عن وسائل في إطار العنوان الكبير وهو الهداية، هداية الأمة إلى الصراط المستقيم في كل شئونها، في كل مجالات حياتها؟)**[1].

الرّبا من أكبر الجرائم عند الله

يبيّن السّيد أنّ موضوع الرّبا من أكبر الجرائم عند الله سبحانه وتعالى، ومن أكثرها، وأشدّها ضرراً على النّاس، لأنّ المال مرتبط بحياة النّاس، وله قيمته وأثره الكبير في الحياة، ومن خلال الرّبا قد يتحوّل المال إلى مصدر شر، وضرر كبير على النّاس، فيقول: **(مثلاً نجد في موضوع: الربا، والربا من أكبر الجرائم، وأكبر الكبائر عند الله، ومن أكثر الممارسات التي يعملها كثير من الناس، ومن أكثرها ضراً على عباد الله، الربا، بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى ما فيه إشادة بالإنفاق في سبيله، وما وعد به المنفقين في سبيله، إلى أن انتهى إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[البقرة:٢٧٤] **هناك أيضاً ممارسة أخرى فيما يتعلق بالجانب المالي تعتبر مضيعة جداً، وتعتبر من أشد الأشياء ضراً على الناس على الأمة في حياتهم لنفهم كيف أنه يمكن بالنسبة للمال أولاً: أنه مرتبط بالنسبة للناس مما يجعل للمال قيمته وأثره الكبير في حياة الناس وأن نفس المال هذا من خلال ممارسة معينة يصبح شراً على الناس.**

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[البقرة: من الآية٢٧٥] **الربا: عندما تقرض قرضاً وتشترط بأنه عندما يسددك يعطيك – مثلاً – زيادة سواء كانت زيادة بنسبة معينة بنسبة ٢٪ أو ٥٪ أو ١٠٪ كيفما كانت المهم هناك زيادة هذا يسمى: ربا وهذا كان هو الربا السائد الربا السائد عند العرب في ذلك الزمان، واليهود هم من المشهورين**

(١) مديح القرآن الدرس السابع.

بالتعامل بالربا وتعميم الربا، اليهود)[1].

ويضيف السّيد أنّ الرّبا والتّعامل به يفسد نفسيّة الإنسان، ويدلّ على حالة جشع وطمع رهيبة جدّاً في نفسيّة الإنسان الذي يتعامل به، مؤكّداً أنّ الرّبا يتنافى مع الأخلاق والقيم، والمبادئ الشريفة، ويتنافى مع الشّعور والإحساس الإنساني، والمعروف، والتّكافل الاجتماعي، فيقول: **(الربا يكشف عن حالة جشع رهيبة عند الإنسان الذي يمارس هذه الجريمة الكبيرة عند المرابي أعني عملية تتنافى تماماً مع الأخلاق، تتنافى تماماً مع ما يجب أن تكون عليه في تعاملك مع الآخر، مع المحتاج يكشف عن جشع رهيب، عن نفسية لم يبق لديها أي ذرة مما يسمى بإنسانية، أو بأخلاق كريمة، لا رحمة لا عاطفة ولا شفقة، همه المال، ونفسه ذائبة في المال، وإذا أعطى شيئاً لا يعطيك من أجل أنه يريد أن يقدم إليك معروفاً، أو يريد يعطيك بدافع عاطفة، بدافع رحمة، بدافع أنه يريد أجر من الله سبحانه وتعالى، يعطيك ويريد مقابل ما يعطيك زيادة!.**

للأسف هذا الربا مما هو منتشر في الدنيا بشكل رهيب، وداخل البلاد الإسلامية حتى أصبح - تقريباً - تعاملاً شبه طبيعي وكأنه لا يمثل أي منكر من المنكرات، وكأنه ليس فيه أي ضر من الأضرار)[2].

الرّبا يفقد الإنسان توازنه

يؤكّد السّيد ويبيّن من خلال القرآن الكريم والواقع أنّ الرّبا يدلّ على حالة طمع شديدة، وجشع رهيب عند الإنسان المرابي، فيقوده جشعه، وطمعه، ونهمه الشّديد بالمال إلى حالة من التّخبط تفقده توازنه في الحياة، وحركته وتصرّفاته الطبيعيّة فيكون كالمصروع، وهي حالة سيبعث عليها يوم القيامة، كما ورد في القرآن الكريم، يقول السيد عند هذه الآية: **(﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ﴾**[البقرة: من الآية٢٧٥] **يعني يوم القيامة عندما يبعثون، يبعث فيتخبط وهو يساق إلى المحشر كالمصروع ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾**[البقرة: من الآية٢٧٥] **ولا**

(١) سورة البقرة الدرس الثاني عشر.

(٢) سورة البقرة الدرس الثاني عشر.

يبعد أن تكون هذه حالة تصل بالإنسان الذي يسيطر الجشع والطمع على نفسه فتراه غير متزن، يصبح إنساناً غير طبيعي، غير متزن، لو تتابع حركات بعض التجار، ورجال الأعمال - كما يسمونهم - تراهم وكأنهم غير متزنين، كالمصروعين، كالسكارى! ما هناك اتزان لديهم، يقوم من بين فراشه، يقوم من محل عمله، يقوم من أي مقام هو فيه ذهنيته مستغرقة، مستغرقة تماماً بموضوع المال، ومتابعة مسيرة حركة المال ما بين ربح وخسارة، وحسابات في ذهنيته طويلة عريضة تجعله إنساناً غير متزن وغير طبيعي!.

لهذا ليس بعيداً إذا واحد تأمل - فعلاً - وتابع حركات كبار رجال الأعمال - كما يقولون - أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة والمرابين يكونون بهذا الشكل؛ لأن الطمع في المال، الجشع الكبير في المال يفقد الإنسان اتزانه وحركته الطبيعية وتصرفاته الطبيعية! إذا أنت تتابع أحياناً يظهر الناس الذين يكونون في [البورصات] - كما يسمونها - ترى كيف حركاتهم مرة تلفون من هنا، ومرة تلفون من هنا، ومرة من هنا، ومرة يمسك هذا، يقدمون له قهوة يقدمون له أكل تجده مثل المصروع)[1].

ويضيف السّيد عند هذه الآية: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[البقرة: من الآية٢٧٥] أنّها تعبّر عن حالة حقيقيّة يعيشها التّجار وأصحاب رؤوس الأموال المرابون، فتكون حركات وتصرّفات المرابين غير طبيعيّة تماماً، وغير متّزنة، أو أنه يتخبطهم الشّيطان من المسّ حقيقة، يقول السيد: **(هل هذه قضية حقيقية أو أنها - كما يقال - مسايرة لذهنية عربية؛ لأنهم يعتقدون أن من هو مصروع أنه مسه الشيطان، أن تلك الحالة هي من مس الشيطان! القرآن - عادة - لا يساير، هذه قاعدة، لا يساير، في حالة معينة عندما يصبح الشيء، يصبح إطلاق لفظة معينة عليه [علَمٌ] عليه، اسم له بالتغليب لا يلحظ مسألة الإشتقاق، أو لا تلحظ الفكرة التي انتزعت منها الكلمة مثل كلمة: مجنون، مثلاً، كلمة: مجنون قد تكون في الأصل - مثلاً - على أنه مسه جن، الذي نسميه مجنوناً أنه مسه جن فأصبح على هذه الحالة التي نسميها جنوناً، لكن أصبحت العبارة هكذا [مجنون، مجنون] حتى أصبحت اسماً للإنسان الذي يعاني من**

(١) سورة البقرة الدرس الثاني عشر.

هذه الحالة التي تسمى جنوناً، هنا تصبح القضية باعتبارها اسم طبيعي أن تقال.

هنا في هذه قد لا يبعد أن يكون هناك شيء حقيقي يأتي من جانب الشيطان مس كما حكى الله عن نبيه [أيوب] ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[ص: من الآية٤١] **أو أن تكون هذه عند العرب تمثيل لحالة معينة أصبحت تتكرر لديهم حتى أصبحت وكأنها اسم، ليس هناك مسايرة أعني ليس هناك مسايرة نقول: توهم عند الذهنية الجاهلية لقضية معينة فيأتي القرآن الكريم يسايرها! لا، هذه لا تحصل فظاهر العبارة هذه أنه لا يبعد فعلاً أن يكون هناك من جانب الشيطان مس، من جانب الشيطان يصل بالإنسان منا إلى حالة كهذه أو أن تكون المسألة أصبحت مشابهة تماماً كلمة: مجنون)** [1].

وهنا يوضّح السّيد أنّ هذه الحالة الّتي يصاب بها التّجار، وأصحاب رؤوس الأموال المرابين هي بسبب تعدّيهم، وتجاوزهم لتوجيهات الله، وأوامره، ونواهيه، وأنّ هذا هو حال ومصير الإنسان الذي لا يسير على توجيهات الله، فيتحوّل المال بالنسبة له وعليه إلى عذابٍ له وبالٍ عليه، فيضرب نفسيّته، وحكمته، وتوازنه، وقيمته في الدّنيا والآخرة، لأنّ عاقبة الرّبا، والجشع، والطّمع وخيمة جدّاً، يقول السّيد: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا﴾[البقرة: من الآية٢٧٥] **لأنهم جشعين في المال وطماعين، ولم يعد عنده أي شيء سوى المال متى ما قدم إليه نهي عما هو عليه قال هي نفس المسألة ﴿الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا﴾ أي لا يبقى أي قيمة لتوجيهات الله سبحانه وتعالى ولا لأي نهي ينطلق هو ليرد [لا، ألمسألة واحدة البيع مثل الربا] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ تلك العقوبة، وتلك الحالة التي يصلون إليها، وهذه حالة بالنسبة للمال: أن المال عندما لا يسير الإنسان فيه على ما وجه الله الناس إليه في جانب التعامل مع المال يصبح المال نفسه عذاباً لك يضرب نفسيتك، يضرب حكمتك، يضرب اتزانك بل يشوه من شكلك، بعض أصحاب رؤوس الأموال تراهم لم يعودوا أناساً طبيعيين، ولم يبق لهم ثقل إلا عند الجشعين من أمثالهم فقط، يتحول إلى عذاب فتلك الحالة التي هم فيها هي بأنهم رفضوا وقابلوا نهي الله عن الربا وتحريمه له بمقولة أخرى أنه: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ**

(١) سورة البقرة الدرس الثاني عشر.

الرِّبا﴾[البقرة: من الآية٢٧٥] **لكن يجب أن يفهموا بأن الله هو الذي له الحكم، وله الأمر، هو الذي يعلم بالأشياء، ويعلم بالفارق ما بين البيع: التجارة الطبيعية، وما بين الربا ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا﴾**[البقرة: من الآية٢٧٥] **هو الذي أحل البيع، إذاً هو الذي حرم الربا، فتحرك بالنسبة للمال على هذا النحو الذي أحله وابتعد عما حرمه.**

﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة: من الآية٢٧٥] **تهديد عظيم على هذا التعامل السيئ: الربا، الإعراض عما يجب أن يكونوا عليه في قابلية نهي الله عن الربا)**[1].

الموقف العملي من الرّبا والمرابين

وعند قوله سبحانه وتعالى: **﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾**[البقرة: من الآية٢٧٦] يبيّن السّيد أنّ هذا موقف عملي من الله سبحانه وتعالى تجاه الرّبا والمرابين، فيمحق الله الرّبا في الحياة الدّنيا، وفي حياة المرابين، وأنّ القرآن الكريم سمّى المرابين بالكافرين والآثمين، وأنّهم من أصحاب الجحيم، بينما في الجانب الآخر ينمّي الله الصّدقات، ويبارك فيها، وفي أجرها، وفي أثرها الكبير على النّفوس، وفي واقع الحياة، يقول السّيد: **(تقدم في الآيات الأولى مثال: أن الله يربي الصدقات، أي ينميها ويكثرها، ويجعل لها أثراً كبيراً في نفسك، وفي أجرك، وأثرها في واقع الحياة عندما قال هناك ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**[البقرة:٢٦٥] **﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾**[البقرة:٢٧٦] **إذاً سمى المرابين أنهم أصحاب النار، وأنهم هم عليه سيمحقه، وأنهم كما قال هنا: ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ كافرين، آثمين.**

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا

(١) سورة البقرة الدرس الثاني عشر.

فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[البقرة: من الآية٢٧٧ - ٢٧٩] **إذاً أليست هذه ناحية عملية؟ هناك بين ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا﴾**[البقرة: من الآية٢٧٥] **حرم الربا، هل انتهت المسألة إلى هذه، أو أن هناك موقفاً عملياً؟ ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا﴾**[البقرة: من الآية٢٧٦] **هذه واحدة إضافة إلى هذه: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾**[البقرة: من الآية٢٧٩].

الفقه العملي في القرآن الكريم

يبيّن السّيد أنّ المنهجيّة القرآنيّة بالنّسبة للفقه هي قضايا عمليّة ومتكاملة في القرآن الكريم، وليست مجرد إصدار فتاوى فقط، وإنّما فقه عملي لتغير المنكرات وإزالتها، يقول السيد: **(إذاً هذا هو الفقه الحقيقي، هذا هو الفقه المتكامل، ليس فقط إصدار فتاوى في القضايا: بأن هذا حرام وهذا محرم، وهذا منهي عنه وفقط! يجب أن نفقه، أن نعرف الفقه العملي لتغيير هذه الأشياء، المحرمات وإزالتها ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ فإن لم تذروا ما بقي من الربا، وتقتنعوا برأس المال فقط ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ هذا إعلام، إشعار)**[1].

ويبيّن السّيد أنّ العَالَمَ الآن في حالة حرب شديدة مع الله ومع رسوله، وهذه الحرب الإلهيّة تمثّل هزيمة وخسارة فادحة للنّاس في الدّنيا والآخرة، وما حالات غلاء الأسعار، والكساد التّجاري الّتي يعاني منها النّاس، وتعاني منها الدّول إلاّ من مؤشرات، ونتائج، وآثار هذه الحرب، ويبيّن السّيد أنّ الحرب من الرسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) تجاه الرّبا والمرابين، تمثّلت في إجراءات عمليّة عملها الرّسول ضدّ الرّبا والمرابين، يقول السّيد: **(إذاً فهناك حالة من الحرب قائمة فيما بينكم من جانب، والله سبحانه وتعالى ورسوله من جانب آخر ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وبكل تأكيد عندما يكون الله هو حرب لك، ورسوله حرب لك أنك أنت المهزوم، والخاسر، حرب من جهة الله، وهي عندما يتأمل الإنسان واقع البشر الآن فعلاً تلمس أن هناك حرباً، حرباً إلهية للناس؛ لأن تعاملهم في الغالب، في أكثر الدنيا هذه قائم على الربا، فتجد حالات من الغلاء الرهيب، حالات من الكساد التجاري عند الدول المصنعة، عند الدول الغنية! غلاء شديد، وكساد لكثير من التجارات، لكثير من الصناعات بشكل رهيب!.**

(١) سورة البقرة الدرس الثاني عشر.

الحرب من جانب رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) **شيء آخر، الإشارة إلى أن الحرب من جهة الله حرب من جهة من يكونون معنيين بإقامة الدين، وهناك بالنسبة لرسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **كان هناك إجراءات معينة يتخذها هو فيما يتعلق بالمرابين عندما لا يمتنعون، وفعلاً أعلن ((أن كل ربا تحت قدمي هاتين)) ألم يعلن؟ وألغاه تماماً، صادره أليس هذا حرباً؟ أعلن مصادرته لكل النسب الزائدة على رأس المال إذاً فهل كان رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **مجرد مفتي؟ أو كان يعمل؟ ينهى ويعمل وليس فقط يصدر فتاوى، الفتاوى كثيرة وأحياناً الكتب الفقهية التي نقرأها في موضوع الربا كثيرة، قد تقرأها في مسجد وما بينك وبين البنك الذي يتعامل بالربا إلا أمتار، هذا المبنى الطويل العريض يتعاملون فيه بالربا وتخرج الأموال منه إلى كل جيب مصبوغة بالربا، فيكون حتى من يدرس نفسه قد يكون في جيبه فلوس قد يكون قيمة الكتاب، قد يكون قيمة فراش المسجد، قد تكون كلها مصبوغة بربا! ويكون في نفس الوقت يدرس عن أنواع الربا وأصنافه، ويبين فظاعته «لدرهم من ربا أشد عند الله من أربع وثلاثين زنية» نعوذ بالله)**[1].

القرض بدلاً عن الرّبا

جعل الله سبحانه وتعالى القرض المشروع بدلاً عن الرّبا، وشجّع الإسلام والقرآن الكريم على عمليّة القرض المشروع، وجعله بمثابة كلّ يوم صدقة، فعندما تكون صاحب مال وثروة فتتجّه لإقراض الآخرين لأنهم محتاجون، أو ليعملوا، ويتحرّكوا، ويبيعوا، ويشتروا، فإنّ الله سبحانه وتعالى قد جعل لك الأجر الكبير، والخير الكثير على هذا القرض الحلال الذي قمت به تجاه إخوانك المؤمنين، وتنمو أموالك وتتكاثر بهذه الطريقة، ويجعل الله لك فيها الخير والبركة، يقول السّيد: ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾[البقرة: من الآية٢٧٩] **لا تظلمون الآخرين فتأخذون زيادة على ما أعطيتموهم كقرض، ولا تبخسوا أنتم من حقكم شيئاً، لا تنقصوا من رؤوس أموالكم شيئاً** ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾[البقرة: من الآية٢٨٠] **إذا كان الطرف الذي عليه دين في حالة إعسار فيجب إنظاره إلى حالة يسر** ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا

(١) سورة البقرة الدرس الثاني عشر.

خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: من الآية٢٨٠] **فيعتبر هذه هي حالة تصدق الإنظار حالة تصدق، مقابل فظاعة الربا جعل الله على القرض أجراً كبيراً، عندما يقرض الإنسان إنساناً آخر يقرضه لأنه محتاج، أو تقرضه على أساس أنه يعمل له رأس مال ويتجه ليبيع ويشتري، فجعل القرض كل يوم صدقة ليشجع الناس على الإبتعاد عن الربا، فالنفوس المؤمنة، النفوس التي تطمع في أجر الله وثوابه، وتطمع فعلاً في أن يكثر أموالهم بطريقة أكثر وأحسن من أن يكثرها عن طريق الربا كما قال هناك: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾**[البقرة: من الآية٢٧٦]**)**[1].

ويضيف السّيد أنّ هذه الطريقة الحلال والمشروعة فيها الخير الكبير للنّاس حتّى فيما يتعلق برأس المال، لأنّ التّعامل بالحلال في موضوع المال بعيداً عن الرّبا، والمعاملات المنهيّ عنها، يؤدّي لتنميته وتكثيره والبركة فيه من قبل الله سبحانه وتعالى، بينما نجد أنّ الله يمحق أموال المرابين فتكون مجرد أرقام فقط لا خير فيها ولا بركة، بل تكون وبالاً على أصحابها، يقول السيد: ﴿**وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[البقرة: من الآية٢٨٠] **وخير لكم حتى فيما يتعلق برأس المال، حتى فيما يتعلق برؤوس أموالكم، أن الحلال، أن التعامل في المال بعيداً عن الربا، بعيداً عن المعاملات المنهي عنها سبب هام جداً من أسباب تنميته وتكثيره، إذاً فأفضل للإنسان أن يكثر ماله بطريقة حلال ويترافق معها أن تنمو أيضاً، يتضاعف أجره عند الله، ولا أن ينمو المال ويبدو أمامه مجرد أرقام ولكنها ممحوقة الله سبحانه وتعالى، هو بكل شيء عليم، هو على كل شيء قدير، يستطيع بطريقة معينة أن يبقى المال مجرد أرقام أمامك ويمحقها، تعيش في حالة تكون أشبه شيء بحالة الفقير، كوارث معينة تخفض الأرقام هذه التي أنت تعمل على تجميعها من الربا)**[2].

ويضيف السّيد أنّ هذا التّشنيع الكبير على الرّبا من قبل الله ورسوله يؤكّد ويدلّل على أنّ دين الله يتناول كلّ شيء، وأنّ دين الله وتشريعه يمثّل رعاية ورحمة بالنّاس، لأنّ الرّبا يؤدّي لأضرار اقتصاديّة ومعيشيّة صعبة جداً على النّاس، ويؤدّي لخلق حالة من التّباعد والتّباغض فيما بين النّفوس، يقول السّيد: **(عندما تلاحظ في الآيات هذه التشنيع الكبير على الربا، هذا مما يعتبر من أبرز**

(١) سورة البقرة الدرس الثاني عشر.

(٢) سورة البقرة الدرس الثاني عشر.

الأدلة على أن دين الله سبحانه وتعالى يتناول كل شيء، ودينه وتشريعه في هذا الدين يمثل رعاية للناس، رعاية؛ لأن الربا فيه أضرار اقتصادية كبيرة، ويؤدي إلى خلق تباين فيما بين النفوس، متى يمكن أن تقدر لهذا الشخص ما قدمه لك وأنت تعرف أنه يريد من وراء ما قدمه لك أرقاماً إضافية يعطيك مثلاً: مائة ألف، ولازم أن تعطي في كل سنة ١٠٪ زيادة، ثم يأتي بعد فترة وإذا قد المائة ألف تتحول إلى ثلاثمائة ألف كيف ستكون مشاعرك أنت نحوه؟)[1].

ويضيف السّيد أنّ للمال دوراً كبيراً فيما يتعلّق بصلاح النّفوس، وبناء المجتمعات على أساس التّكافل، والعطف، والرّحمة فيما بينهم، مبيّناً أنّ الرّبا خطير جداً على هذه القيم، ويؤثّر على اقتصاد ومعيشة النّاس، وعلى صلاح واستقامة نفوسهم، وعلى بناء الأمّة والمجتمعات، يقول السّيد: **(فالربا خطير جداً، لأن المال له دور كبير، وقدم على أساس أن يكون له دور كبير فيما يتعلق بصلاح النفوس، فيما يتعلق ببناء المجتمع من أناس متآلفين، رحماء فيما بينهم، يعطف بعضهم على بعض، فالربا نفسه يحطم النفوس، يحطم العلاقات فيما بين الناس، أليس هناك فارق عندما يأتي شخص يقرضك قرضة ولا يريد منك إلا ما قدمه لك فقط وفي موعده، فإذا جاء موعده وأنت معسر أعطاك أجلاً آخر، أو قصَّد لك على آجال متعددة، أو شخص يعطيك مبلغ مثله مرتين ويريد منك زيادة ٥٪ أو ١٠٪ في كل سنة على ما أعطاك كيف ستكون مشاعرك أنت نحو هذا ونحو ذاك؟ أليس الفارق كبيراً جداً؟)**[2].

ويبيّن السّيد أنّ للرّبا أضراره الفادحة في واقع الحياة بالنّسبة للنّاس، فيؤدّي إلى تفكيك العلاقات فيما بينهم، وقد جاء الإسلام ليجعل القرض بدلاً عن الرّبا لتنمية المال، وتشجيع الاستثمار، ولتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي والتراحم فيما بين النّاس، فينطلقوا في مساعدة بعضهم البعض، وقد جعل الله أجراً عظيماً على القرض المشروع، ففي محاضرة معرفة الله وعده ووعيده الدرس الرابع عشر، يقول السّيد: **(الربا أضراره كثيرة جدا في واقع الحياة بالنسبة للمسلمين يؤدي إلى تفكيك العلاقات فيما بينهم جاء الإسلام ليقضي على الربا، ويضع بدلا عنه أجراً عظيماً على القرض، القرض المشروع الذي لست ملزما فيه بأن تدفع فوائد إضافية، رأس المال ترده، أقرضك مائة ألف تعيد إليه مائة ألف، فجعل القرض بمثابة صدقة كل يوم إلى أجله المحدد،**

(١) سورة البقرة الدرس الثاني عشر.

(٢) سورة البقرة الدرس الثاني عشر.

ثم إذا أضفت أجلا لصاحبك باعتباره معسراً يعتبر بمثابة صدقتين في اليوم الواحد عن كل يوم.

القرض جعل الله عليه أجراً كبيراً لينطلق المؤمن لمساعدة أخيه، لإعطائه رأس مال ليستطيع أن يتحرك فيتجر أو يزرع، وهو يرى نفسه ليس ملزما بأكثر من رأس المال)[1].

ويؤكّد السّيد أنّ الله قد تكفّل بالفوائد بالنّسبة للمقرضين القرض المشروع، فجعل الله لهم الأجر الكبير والمضاعف، ويجعل الله الخير والبركة تحلّ بأموالهم وتجارتهم فتنموا، وتتضاعف، وتزدهر، إضافة إلى ما يحقّقه القرض من الرّوابط العظيمة، والمودّة فيما بين النّاس تجاه بعضهم البعض، يقول السّيد: **(الفوائد تكفل الله بها هو للمقرضين، لكن الربا قد ترى الفائدة نسبة بسيطة ٥٪ أو ٢.٥٪ أو حتى ١٪ فإذا بك ترى نفسك بعد سنين قد تصبح الفوائد نفسها أكثر من المبلغ، وترى نفسك مرهقاً وأنت تعمل على أن تتخلص من الفوائد الإضافية، أما رأس المال فهو ذاك ما يزال قائما وما يزال ينتج ما يزال يحملك إضافات كل سنة، كل سنة.**

من الذي سيحمل ودا أو يرى جميلا لذلك الشخص أو لذلك البنك الذي أقرضه على هذا النحو؟ من هو؟ ألست ستلعنه، وترى نفسك في حالة أنه أرهقك بهذا التعامل لكن ذلك الذي يقرضك قرضاً حسناً، قرضاً لا ربا فيه سترى له الجميل، وترعى له الجميل، وتقدر له ما عمل وترتبط به، فيكون ذلك من أهم الروابط فيما بين المسلمين وهم يعطفون على بعضهم بعض، أما الربا فإنه هو الذي يحطم العلاقات فيما بين المسلمين ناهيك عما يؤدي إليه من تكديس الأموال في فئة محدودة كما هو ظاهر، وتكديس الأموال في فئة محدودة وهي هي من تستطيع أن تتغلب على كل شيء، ثم تتحكم في الموقف والقرار السياسي للأمة)[2].

الرّبا يؤدي لتفريق المجتمعات

يؤكّد السّيد أنّ من أضرار ومخاطر الرّبا الاجتماعيّة أنّه يؤدي لخلق حالة من التباين ما بين النّفوس، ويحطّم ويدمّر العلاقات الاجتماعيّة، فيتحوّل المجتمع إلى فئتين، الفئة الأولى: فئة أصحاب رؤوس الأموال والتّجار، والفئة الثانية: فئة الفقراء، ومحدودي الدّخل، وتعيش كلّ

(١) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الرابع عشر.

(٢) دروس معرفة الله وعده ووعيده الدرس الرابع عشر.

فئة منفصلة عن الأخرى، فتسود في المجتمع حالة غير طبيعيّة، وغير إيمانيّة من الانقسام والتّفرّق، والنّقمة، والبغضاء، وتَغيبُ قيم الرّحمة، والمودّة، والتّكافل، والعطف، والإحسان، وحبّ الخير، فتؤثّر هذه الحالة على المجتمع من النّاحية الاقتصاديّة، وتؤثّر عليه في تحمّل مسئوليّاته، والقيام، والنّهوض بها في مختلف المجالات، يقول السّيد: **(ولهذا في الأخير يتحول المجتمع كما يقولون إلى: فئتين، فئة أصحاب رؤوس الأموال المفصولين عن المجتمع تماماً لا رحمة ولا عاطفة ولا يلحظ في نفسه ما يسمى فعل خير أبداً، وطبقة المجتمع هذه الفقيرة المغلوبة أيضاً ترى نفسها في وضعية تتمنى أن تتحطم تلك الأموال، وأن تتهدم تلك البنايات، وأن تتفجر تلك المصانع، وأشياء من هذه! أليس هذا يوجد تبايناً فيما بين النفوس؟ لأن العلاقة الحسنة فيما بين الناس وما بين أصحاب رؤوس الأموال وما بين الفقراء وأصحاب الحالات المتوسطة قضية هامة جداً في تنمية المجتمع، في نمائه من الناحية الإقتصادية، قضية هامة، وفي نفس الوقت في بقائه مجتمعاً قادراً على أن ينهض بمسؤولياته في مختلف القضايا: في مجال إعلاء كلمة الله، في مواجهة أعداء الله)** [1].

ويوضّح السّيد أنّ تحريم الرّبا، والتّهديد، والوعيد الشّديد للمرابين، وإعلان الحرب عليهم من قبل الله ورسوله تدلّ على أنّ هذا الدّين يهتمّ جدّاً بالنّاس، ويعتبر رحمة للعالمين، ويمثّل رحمة ورعاية لهم في كلّ مجالات حياتهم، يقول السّيد: **(فتحريم الربا والتهديد للمرابين وإعلان الحرب أليس في هذا ما يدل على أن هذا الدين يهتم جداً بالناس، أنه رعاية للناس، أنه رحمة للناس؟ أي هل موضوع الربا هذا فيه ضر على الله سبحانه وتعالى؟ لا، لكن فيه إضرار بالناس، والله جعل كتابه رحمة للعالمين، وجعل رسوله رحمة للعالمين، فدينه كله بكتابه ورسوله وكل ما يهدي إليه رحمة للعالمين في كل المجالات بما فيها الجانب الإقتصادي، جانب المعيشة، جانب المال، لم يقل: [هذه دنيا] هل هنا مسألة: [هي دنيا]؟ يعلن حرباً شديدة على المرابين،**

والربا هو في موضوع المال، أليس موضوع دنيا؟ لأن فيه إضرار بالآخرين، لم يقل للآخرين: [اصبروا وما عليكم شيء وما هي إلا دنيا] يجب أن يتوقفوا، ولهذا قام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **وأعلن بأن «كل ربا تحت قدمي هاتين» كما قال، وأول ربا يضع ربا العباس بن عبد المطلب عمه؛ لأنهم كانوا يتعاملون سابقاً في الجاهلية بالربا، ألغاه وصادره قد صار مصادراً)** [2].

---

(١) سورة البقرة الدرس الثاني عشر.

(٢) سورة البقرة الدرس الثاني عشر.

ويؤكّد السّيد أنّ الرّبا يمثّل مشكلة كبيرة وخطيرة جدّاً على الشّعوب بكلّها، وعلى الدّول أيضاً، وأنّ الكثير من الدّول والشّعوب العربيّة والإسلاميّة مثقلة ومنهكة بالدّيون الربويّة الّتي تحول دون نهضتهم وتحرّرهم، كلّ ذلك بسبب السّياسة الماليّة الرّبويّة الّتي تنتهجها البنوك والدول مع الشّعوب، يقول السّيد: **(عندما تجد هنا في موضوع الربا فيما يتعلق بالتعامل فيما بين الشعوب نفسها، شعب من الشعوب يقترض مبالغ وتكون على هذا النحو فيها ربا فلا تدري إلا وقد المبالغ التي هي الربا وحده، الزيادات قد صارت أكثر من المبلغ الأصلي، من المبلغ الرئيسي الذي استلمه أو حول له بشكل مواد أخرى، لم يعد يستطيع الناس يتخلصون منه! الآن معظم الشعوب العربية مليئة بالديون، ترى ما يمثله رأس المال الحقيقي، المبلغ الحقيقي لم يعد يعتبر إلا ربما نصف أو أقل من النصف! صارت الزيادة تلك الأرقام الكبيرة التي تطلع مليارات الدولارات كلها ربا كلها الزيادات التي في كل سنة، نسب معينة.**

﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٨١] **هذا تذكير باليوم الآخر سيلقى جزاءً حاصلاً معظم آيات بقية [سورة البقرة] حول موضوع المال فيما يتعلق بالتعامل معه وكيف أثر المال)**[1].

(١) سورة البقرة الدرس الثاني عشر.

الاستقلاليّة الماليّة والإداريّة للأمّة

قدّم السّيد حسين بدرالدين الحوثي في الدّروس والمحاضرات الرّؤية والمنهجيّة القرآنيّة لبناء الأمّة بناءً قويّاً، أمّة مستقلّة في ذاتها، وقراراتها، معتمدة على نفسها، لا تخضع لأحد، ولا تدين بالولاء والفضل إلاّ لله سبحانه وتعالى، وحرص السّيد على أن تُبنى الأمّة باستقلاليّة تامّة ماليّاً وإداريّاً كما أراد لها الله سبحانه وتعالى، مستقلّة في قراراتها، وأعمالها، ومواقفها معتمدةً على الله سبحانها وتعالى، وعلى نفسها وقدراتها الذّاتية، فتتّجه وتعمل هي لبناء نفسها، وتطوير قدراتها بعيدةً عن أيّ تأثيرات، ومؤثّرات، وعوامل خارجيّة، تجعل من الأمّة رهينة ومدينة بالولاء والخضوع لأحد، وأكّد السّيد أنّ الأمّة تمتلك ما لا يمتلكه غيرها من مقوّمات البناء والنهوض منهجيّاً، وفكريّاً، وتربويّاً، وثقافيّاً، وسياسيّاً، واقتصاديّاً، وفي كلّ مختلف المجالات، فتنشئ أمةً قويّة، وحرّة، ومستقلّة كما أراد لها القرآن الكريم، وقد حذّر السّيد من خطورة الاعتماد على الآخرين، ورفض فكرة التّمويل، والتّبني للمسيرة القرآنيّة من قبل أحد، مهما كانت الظّروف والتّحديات، ومهما كان حجم العمل كبيراً، أم صغيراً، ومن خلال هذه الرّؤية والمنهجيّة القرآنيّة وُلدت المسيرة القرآنيّة، وتحرّكت أمّة أنصار الله في اليمن معتمدة على الله سبحانه وتعالى، وتطمع في نصره، وعونه، وتأييده، وتعتمد على نفسها وقدراتها الذّاتية، ولا تعتمد على أيّ أطراف، لا داخليّة، ولا خارجيّة، كما بيّن ووضّح السّيد (رضوان الله عليه)، ومن هنا نعرف بطلان كلّ ما يقال في وسائل الإعلام من دعايات سياسيّة وإعلاميّة تشنّ ضد أنصار الله لتشويههم وتبرير استهدافهم المتواصل والمتكرّر، ولمحاولة تقديمهم كعملاء يخدمون أطراف وأجندة خارجيّة، وسنعرف ويتبيّن لنا من خلال ما قدّمه السّيد أنّ أنصار الله في هذه المسيرة القرآنيّة لا يعتمدون على أحد إلاّ الله سبحانه وتعالى، وأنّ كلّ هذه الدّعايات والتّهم ما هي إلاّ من صنع الأمريكيّين، والإسرائيليّين، وعملائهم المنافقين في المنطقة.

الإستقلاليّة الماليّة والإداريّة

في الحقيقة أنّ المتابع المتأمّل لمسيرة أنصار الله يلحظ منذ الوهلة الأولى استقلاليّتهم، الماليّة، والإداريّة، والعسكريّة، والسّياسيّة، واللّوجستيّة، واستقلالية قرارهم، واعتمادهم على الله فقط، وعلى عطائهم، وجهودهم الذّاتية كأمّة منظّمة تسير في مسيرتها، وتبتني في أعمالها على أساس القرآن الكريم، بل إنّ من أدبيّات الحركة، ومناهجها التّربويّة في بناء الأمّة هو ضرورة اعتماد مبدأ الاستقلاليّة في المال، والقرار، والأعمال كخيار استراتيجيّ مهما كانت الظّروف والمتطلّبات، وقد ناقش السّيد القائد المؤسس/ حسين بدر الدين الحوثي منطقيّاً، وإيديولوجيّاً هذا الموضوع، وأشبعه من كلّ الجوانب في أكثر من درس ومحاضرة، وأجاب على كثير من التّساؤلات، ففي محاضرة سورة البقرة الدّرس التّاسع من دروس رمضان الصّفحة السّادسة عشر، يقول السّيد بالنّص: **(شيء طبيعي بأن القتال يحتاج إلى تمويل التمويل من أين يأتي؟ هل وجه المسلمين إلى أن يبحثوا عن أطراف أخرى وأن يتجهوا للفرس، أو إلى الروم، أو إلى أي دولة أخرى تساندهم؟ لا. ينطلقون هم فالمقاتلون أنفسهم، المجتمع المسلم نفسه هو يمول نفسه، وهذه قضية هامة جدا لا يقوم الدين إلا بها، لا يقوم الدين إلا على هذا الأساس: أن يكون هناك إنفاق، وأن يكون إنفاقا من داخل نفس الذين هم يتحركون في القضية، أي: من داخل المجتمع المسلم نفسه، الموجه إليه هذه المسؤولية، لأنه يحصل إستقلالية للأمة، يمكنها أن تنهض بدين الله، ولا تكون مدينة لأي طرف آخر نهائيا، لأن أي طرف آخر لا يقدم شيئا إلا بثمنه، ولها أثرها الكبير من الناحية النفسية، بالنسبة للمجتمع المسلم، وللأمة عندما تبنى على هذا الأساس، تصبح أمة هي واثقة بنفسها، واثقة بدينها، واثقة بربها، واثقة بالمنهج الذي تسير عليه، فتستطيع هي أن تقوم بدين الله، وتستطيع أن تواجه أعدائها)**[1].

وفي نفس الصفحة يبيّن السّيد خطورة الاعتماد على أيّ أطراف أخرى، والبحث عن التّمويل من أيّ جهة، لأنّ لهذا التوّجه أثره السلبي نفسيّاً، وتربويّاً على نفسيّات ومعنويّات المجاهدين، وعلى المجتمع المسلم بكلّه، ولأنّ المنهجيّة القرآنيّة تُوجّه وتُربّي المؤمنين على أساس

(١) سورة البقرة الدرس التاسع.

أن يكونوا مُتوجّهين، ومعتمدين على الله سبحانه وتعالى، فيقول: **(لكن إذا كانت القضية أنهم هم يبحثون عن مساعدات أخرى من خارج، لأنه عادة في مراحل الصراع قد يكون طرف من الأطراف في مصلحته أن يساعدك لأن له موقفا من الطرف الذي أنت تقاتله، لكن هنا لها أثر سلبي كبير، فيما يتعلق بنفسيات المسلمين المقاتلين، المجتمع بكله، سيعتبرون الإنتصارات ومواقفهم القوية كلها بسبب الآخرين، والقضية هنا كلها تقوم على أساس أنك تكون متوجها إلى الله دائما دائما)**[1].

هذا من الجانب النّفسي والتّربوي، ومن الجانب السّياسيّ والعسكريّ يبيّن السّيد الآثار الخطيرة المترتّبة على هذا التوجّه، الّتي تؤدّي في الأخير إلى الفشل، والإخفاق، والهزيمة، والتّلاشي لأيّ أمّة تعتمد في تحرّكها ومسيرتها على الآخرين، فيقول: **(هنا لو يحصل موقف آخر ربما تتلفت من الذي يمكن أن يساعدك، ولو على حساب أن تقدم تنازلات من دينك، يأتي حالة لا تجد فيها طرف يمكن أن يساعدك، تنهزم من أول يوم، مثلما حصل للعرب الآن، تلفتوا الآن، بحثوا عن روسيا، وفرنسا، والصين، لم يعد هناك الإتحاد السوفيتي سابقا، استسلموا من أول يوم!، ألم يستسلموا من أول يوم؟ هذه عملية تربوية هامة جدا جدا: أن دين الله بنى الأمة بناءا، استقلالية تكون هي معتمدة على الله فهي تنفق في سبيل الله، معتمدة على قدراتها، وتطور هي قدراتها، انتصاراتها تحسب لها، وتراها أنها من الله، وليس من الطرف الآخر الذي يساندها، أمة على هذا النحو تستطيع بإستمرار أن تكون متحركة، ولا أحد يستطيع أن يقهرها، ولا تكون مدينة لأي طرف في نفس الوقت)**[2].

وعلى ضوء هذه التّربية والمنهجيّة القرآنيّة تسير حركة أنصار الله منذ يومها الأول، بعيدة عن أيّ أطراف دوليّة وإقليميّة، وترفض رفضاً قاطعاً فكرة التّمويل الأجنبيّ، والاعتماد على الآخرين، مهما كانت الظّروف، خلافاً لما هو عليه واقع العرب اليوم، والحركات الأخرى، وفي هذا الصّدد، يقول السّيد: **(فهي حالة مهمة جدا جدا، ولهذا قلنا: أنه يجب أن يكون الناس في عملهم هذا، مهما كان عملا بسيطا، يجب أن لا نتجاوز حدود تربية القرآن الكريم، حدود هدي**

(١) سورة البقرة الدرس التاسع.

(٢) سورة البقرة الدرس التاسع.

الله، أنه يجب أن نتحرك على أساسه، لا يوجد فكرة عندنا نحن بأن نحاول أن نحصل على مساعدات من أي طرف على الإطلاق، لا طرف داخلي ولا خارجي، ولأن الناس عندما يتجهون إلى أن ينفقوا في سبيل الله، أن الله يجعل فيها بركة، وفي نفس الوقت ترتفع معنوياتهم، وفي نفس الوقت ينشدون إلى الله، وتعظم علاقتهم بالله، لأن الجهاد نفسه هو من أهم الأشياء في مقام معرفة الله، لأن المجاهدين يكونون في حالة التجاء إلى الله، وبحاجة إلى نصر، وبحاجة إلى تأييد، وبحاجة إلى عون، يكونوا دائمي الإلتجاء إلى الله، وهم يَتلمّسون في الميدان السند الإلهي، والدعم الإلهي، والتأييد الإلهي، فيعيشون في حالة قرب من الله، هذه الحالة تُنسف تماما إذا ما كانوا ملتجئين إلى أطراف أخرى، إلى دولة أخرى، أو إلى أمة أخرى)[1].

وبهذا يكون حديث السّيد قد نسف تماماً كلّ تلك التّرّهات، والإشاعات المفبركة الّتي يروّج لها الأمريكيّون، وأدواتهم، وأبواقهم، ولا يمكن أن ينجرّ وراء هذه التّهم إلاّ جاهل بالله وبالقرآن الكريم، وبالرّؤية والمنهجيّة الّتي قدّمها السّيد حسين في الدّروس والمحاضرات، والّتي تقوم على اعتماد الرّؤية والمنهجيّة القرآنيّة، والاعتماد على الله سبحانه وتعالى فقط، لأنّ الأمّة القرآنيّة الّتي تنشد النّصر تكون أمّة معتمدة على الله سبحانه وتعالى، وعلى ذاتها، وقدراتها، لأنّها تعلم أنّ النّصر ليس من عند إيران، ولا روسيا، ولا الصّين، ولا أمريكا، وإنّما بيد الله ومن عند الله وحده لا شريك له، كما قال سبحانه وتعالى ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ**﴾[آل عمران:١٢٦] ومن يطلب النصر وينشده فإنّه بلا شك لن يعتمد إلاّ على الله وعلى نفسه، ومجتمعه وشعبه، وأمّته.

وقد تجلّى واضحاً في مواجهة العدوان السّعودي الأمريكي الذي يواجهه بلدنا، وفي ظلّ فرض الحصار الخانق عليه، برّاً، وبحراً، وجوّاً، وتقييد حركة البنوك، والحوالات، والسيطرة عليها، أنّ الشّعب مستشعر لمسئوليته الدّينيّة هذه، ورأينا آلاف القوافل النّقدية والعينيّة الّتي يسيّرها الشّعب رجالاً ونساءً، وكباراً وصغاراً بالمال والذّهب، ويجود بها من قوت يومه دعماً للجيش واللّجان الشّعبية في مواجهة العدوان.

(١) سورة البقرة الدرس التاسع.

المحـــــور العاشر

- دور ومسؤولية المرأة في القرآن الكريم.
- تحديد النسل في القرآن الكريم.

دور ومسؤولية المرأة في القرآن الكريم

يعتبر موضوع المرأة موضوعاً مهمّاً وحسّاساً للغاية، ومن أخطر المواضيع في هذا العصر بالذّات، لأنّه بات مادةً يتحرّك ويعمل عليها العدوُّ فكريّاً، وثقافيّاً، وإعلاميّاً، وسياسيّاً، وأخلاقيّاً لاستهداف الإسلام بمنظومته المتكاملة والشّاملة قيادةً ومنهجاً، ويسعى الغرب الكافر واليهود بكلّ وسائلهم الإعلاميّة المتعدّدة، ورؤاهم الفكريّة والثّقافيّة لتقديم صورة سلبيّة عن الإسلام، بدعوى أنّه هضم المرأة، وهمّشها، وانتقص دورها، ومكانتها، يأتي هذا الاستهداف ضمن مسلسل الحرب الشّاملة التي تُوّجه ضدّ الإسلام والمسلمين كذباً، وزوراً، وتضليلاً، وافتراءً.

بينما تُقدِّم كثير من الأطروحات والمناهج المتأثّرة بهذه النّظرة الغربيّة اليهوديّة المرأة عبارة عن عالم لوحدها، والرّجل عالم لوحده، فيقولون عالم الرّجل، وعالم المرأة، أو مقولة المرأة نصف المجتمع، وفي الجانب الآخر قد يكون مما ساعدهم على ذلك هي الرّؤية الأخرى المتشدّدة جدّاً تجاه المرأة الّتي تتبناها الجماعات التّكفيريّة المدعومة غربيّاً لتقديم صورة مشوّهة عن الإسلام والقرآن الكريم.

وأمام كلّ هذا فقد قدّم السّيد "حسين بدرالدين الحوثي" في الدّروس والمحاضرات الرّؤية والنّظرة الإسلاميّة القرآنيّة للمرأة، ودورها في الحياة، ومكانتها في الإسلام، متناولاً كلّ ما يطرح ويقال عنها وحولها محليّاً وعالميّاً من رؤى ونظريّات، مبيّناً أنّ الله الذي نزّل القرآن الكريم يعلم بما سيحصل في المستقبل من دعايات وشائعات حول موضوع المرأة، ففي سورة النّساء، الدّرس السابع عشر، يقول السيد في بداية الدرس: **(هذه السورة المباركة عنوانها، اسمها سورة النساء، لا يوجد هناك سورة اسمها سورة الرجال، في هذه السورة كثير من التوجيهات والأوامر المؤكّدة المرفقة بالتهديد من الله سبحانه وتعالى لمن يخالف هذه الحدود التي رسمها، ومعظمها تتعلق بالنساء في مجالات متعددة، سواء في موضوع النكاح، وموضوع الطلاق، وموضوع الميراث، والمعاشرة بين الرجل وزوجته،**

مرفقة بإعطاء صورة عن واقع الإنسان بشكل عام، وتذكيراً للرجل بأنّ الرجل والمرأة هم أصلاً جنس واحد ومن نفس واحدة، من نفس واحدة. هذه القضية ملموسة في كثير من آيات القرآن الكريم، في موضوع الرجل والمرأة، أنّهم عبارة عن نوع واحد من مخلوقات الله، جنس واحد اسمه الإنسان، اسمه بنو آدم، قضية مؤكدة أعني: أن تترسخ في الذهنية هذه الرؤية في ثقافة الناس في أنفسهم هم، هم عبارة عن مخلوق واحد، جنس واحد بكل ما تعنيه الكلمة، الله سبحانه وتعالى الذي نزّل القرآن يعلم ما سيأتي في المستقبل على أيدي كثير من أعدائه، وبالذات اليهود ماذا سيعملون وكيف سيقدمون القضايا)[1].

اليهود يفرّقون بين الرّجل والمرأة

من المعلوم عن اليهود التّوجّه لإثارة الانقسام والتّفريق كسياسة ثابتة لديهم من قديم الزمان، وقائمة لديهم إلى الآن، وأنّ كل ما يهمّهم هو إثارة الخلافات، والتّفرّق، والتّمزّق بين الدّول، والأمم، والشّعوب، والمجتمعات، والقيادات، وبين المرء وزوجه، وحتى بين رسل الله، وبين الله ورسله، ومن القضايا الّتي برزت لديهم بشكل كبير في هذا العصر هي التّفريق بين الرّجل والمرأة، وإثارة المرأة ضدّ الرّجل، وهذا ما تحدّث الله به عنهم وكشفه في القرآن الكريم، يقول السّيد: **(هو ذكر عن اليهود في [سورة البقرة] توجههم للتفريق، لديهم سياسة التفريق، كان يهمهم من العلوم الهامة في عصر سليمان هو: أن يتعلموا ما يفرقون به بين المرء وزوجه! ذكر عنهم أيضاً: أنهم يفرقون بين الله ورسله وأنهم يفرقون بين رسله. عندهم سياسة التفريق هذه قائمة إلى الآن وبرزت بشكل كبير في هذا العصر بما فيها هذه: التركيز لديهم على التفريق فيما بين الرجل والمرأة باعتبار هذا جنس وعالم لوحده، وهذا جنس وعالم لوحده؛ ليثيروا هذا العالم على هذا العالم الآخر وليحسّسوا هذا العالم، عالم المرأة - كما يحاولون - أنه مستضعف ومضطهد وحقوقه يضيّعها عالم الرجل. التفريق هذه سياسة لديهم يفرقون بين الإنسان وبين الله بلغت المسألة حتى مع عملائهم وأصدقائهم من الحكام أن يعملوا على التفريق بينهم وبين شعوبهم، أليست سياسة**

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر من دروس رمضان.

قائمة إلى الآن؟)[1].

وتعتبر سياسة التّفريق بين الرّجل والمرأة خطيرة جدّاً، فعندما يترسّخ لدى الرّجل أنّه عالم لوحده، ويترسّخ لدى المرأة أنّها عالم لوحدها، سيترتّب على ذلك سلبيّات كبيرة جدّاً تؤدّي إلى التفكّك والانقسام الأُسريّ والمجتمعيّ، وتخلق حالة صراع شديد ما بين الرّجل والمرأة، يقول السيد: **(الخطورة القضية هذه أن يترسخ لدى الرجل أنه عالم لوحده ولدى المرأة أنها عالم لوحدها وما سيترتب على هذا من سلبيات كبيرة ومن حالة صراع فيما بين الرجل والمرأة؛ أكّد الله سبحانه وتعالى في أكثر من آية الوحدة القائمة فيما بين الرجل والمرأة، أنهم من نفس واحدة، وهذا من حكمة الله سبحانه وتعالى يخلق آدم أولاً، ثم يخلق منه حواء زوجته، لم تخلق بطريقة أخرى مثلاً: أن يخلقها هناك كما خلق آدم من طين من صلصال، فإذا سويتها ونفخت فيها من روحي، لا يوجد، خلق آدم ثم جعل منه زوجته، العبارة هذه توحي ليس فقط أنه جعل من جنسه، منه فعلاً؛ لأنه ليس هناك أي معلومات أخرى بأن حواء خلقت لوحدها بطريقة أخرى أبداً، بل خلق منها زوجها، جعل منها زوجها أي: جعل من هذه النفس التي هي آدم زوجها)**[2].

المسؤوليّة الواحدة للرّجل والمرأة

هنا يؤكّد السّيد أنّ الرّؤية والنّظرة القرآنيّة واحدة للرّجل والمرأة، وكلّها تقوم على أساس الخطاب الإلهي الواحد الموجّه للرّجال والنّساء على السّواء ككيانٍ واحدٍ في مجال الإستخلاف في الأرض، وتحمّل المسؤوليّة، والقيام بها، وأنّ الوحدة بين الرّجل والمرأة وحدة تكوينيّة وفطريّة، لها آثارها ونتائجها السّلبية والإيجابيّة المشتركة، فيقول: **(في الفطرة فيما بين بني آدم الله جعل الرجل سكناً للمرأة وجعل المرأة سكناً للرجل، جعلها لباساً للرجل، وجعل الرجل لباساً لها: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾**[البقرة: من الآية١٨٧]**، مهمتهم الأساسية هي كلّها هي مهمّة واحدة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾**[البقرة: من الآية٣٠] **أليس الله قال هكذا في القرآن الكريم؟ دورهم، مسئوليتهم في هذه الأرض واحدة، مهمّتهم واحدة، هذا الإنسان – ولهذا جاء في القرآن**

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر.

(٢) سورة النساء الدرس السابع عشر.

الخطاب بلفظ ناس: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، هي تشمل الرجل والمرأة بعبارة واحدة اسمهم: ناس، كلهم اسمهم: بنو آدم، - مسئولية واحدة، ومهمّة واحدة الآثار الطيبة أو النتائج السيئة كلها تأتي واحدة لا تتصوّر بأنّه بالإمكان أن يكون الرجل يعيش في ظل وضعية صحيحة إلاّ وتكون المرأة كمثله، أو أن يكون في وضعية مضطهدة ستكون المرأة كمثله في مسيرة الحياة، لا تستطيع أن تتصور أنّه يمكن أن يكون للرجل وضعية مستقلة عن المرأة أو للمرأة وضعية مستقلة عن الرجل في مسيرة الحياة على الإطلاق، كلّها مسيرة واحدة، وكلّهم كيان واحد، تختلف فقط الأدوار في إطار النّهوض بهذه المسئولية التي هي ملقاة على بني آدم بشكلٍّ عام، تختلف الأدوار ليس فقط فيما بين الرجل والمرأة بل فيما بين الرجال أنفسهم وفيما بين النساء أنفسهن وكلمة: ﴿خَلِيفَةً﴾ يظهر من خلالها أنها مسئولية)[1].

ويبيّن السّيد أنّ التّرابط التّكويني والفطريّ لدى الإنسان بشقّيه، أو بجزئيه الرّجل والمرأة واحد، وتكامليّ، وأوسع من مسألة الإختصاصات، والأنظمة، واللّوائح لأنّ الحياة بكلّها مسؤوليّة واحدة، ومهمّة واحدة، فيقول: **(إذاً فالدور الرئيسي للإنسان بشقيه أو بجزئيه فعلاً المترابطين: الرجل والمرأة هي ماذا؟ مسئولية بكل ما تعنيه الكلمة أوسع حتى من مسألة النظام الإداري أو المؤسسات الإدارية لأي دولة من الدول، الحياة بكلها مسئولية، المهام بكلها تسمى مسئوليات)**[2].

إثارة المرأة ضدّ الرّجل

يتّجه اليهود لإثارة المرأة ضدّ الرّجل بشكلٍ خبيثٍ جدّاً، يبدأ ذلك بتحريف خطير للمفاهيم، وتلاعب كبير بالمصطلحات، فيسمون المسؤوليّة لدى المرأة باسم الحقوق والحرّيّات، ليحسّسوا المرأة بأنّها تفقد حقوقها في الحياة بالشّكل الذي يثيرها ضدّ الرّجل، ويدفعها للعمل والنّضال من أجل نيل هذه الحقوق، والحصول عليها، وانتزاعها، وهذا مخطّط خطير يجب أن نسعى لتوضيحه، وفضحه، وكشفه، يقول السيد: **(كانت الغلطة الكبيرة عندما اتجهوا إلى المرأة،**

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر.

(٢) سورة النساء الدرس السابع عشر.

اليهود اتجهوا إلى المرأة ليحسّسوها بأنّها تفقد الكثير من حقوقها وأطلقوا على كل هذه المسئوليات إسم حقوق، الوظيفة العامة، الأعمال الإدارية، كلّها سموها حقوقاً، رئيس، رئيس وزراء، أو وزير معين، أو وكيل وزارة، أو مدير، أو نائب، أو أيّ شيء من هذه سموها حقوقا، وهذه غلطة كبيرة يجب أن نقاومها، هذه لا تسمى: حقوقا، هذه تسمى: مسئوليات، والمسئولية عادة يجب على الرجل والمرأة جميعا أن يعملوا من أجل أن تكون المسئوليات في المؤهلين لها، ليست المسئولية عبارة عن حق فيقال: الرجل له حق كذا، أما المرأة فليس لها حق ثم يقال للمرأة: يجب عليها أن تناضل من أجل أن تحصل على حقوقها فتكون شريكة مع الرجل في الإدارة في المنصب الفلاني.. إلى آخره! لا، هذه غلطة من البداية. نقول: لا، هذه هي مسئوليات هذه هي مسئولية يجب أن نبحث داخل الرجال أنفسهم عن المؤهل في أي عمل كان)[1].

ويبيّن السّيد أنّ هذا التّوجّه الدّعائي الذي ابتكره اليهود يهدف في الأساس لتعقيد المرأة على الرّجل، وإثارتها ضدّه، وإشعارها بالظّلم والإضطهاد على يد الرّجل، ولتقديم أنفسهم من جهة أنّهم حريصون على المرأة، وعلى حقوقها، وأنّهم دعاة حق، وعدالة حتى تكون المرأة قريبة منهم، ومن التّأثّر بهم، فيقول: **(فهم اتجهوا إلى مسألة: التفريق ليستغلوا المرأة وليقدّموا أنفسهم وكأنّهم همّهم إقامة القسط والعدل وأن تعطى المرأة حقوقها! لاحظ كيف الطريقة كيف قدّموها، كان بإمكانهم هم كرجال أن يقوموا بالعملية دون إشعار للمرأة ومحاولة إثارة المرأة نفسها؛ هل إثارة المرأة نفسها في أي مجتمع يمكّنها من أن تصل لنيل حقوقها - كما يقولون -؟ لا. عندما يأتي الأمريكيون في أيّ بلد يقولون بأنّهم يريدون المرأة أن تأخذ حقوقها! لم يتجهوا هم إلى الرجل في أيّ شعب ليضغطوا عليه ليؤدي حقوق المرأة، لكن يتجهون بشكل كبير إلى إثارة المرأة، إثارة المرأة نفسها وهم يعلمون أنّ هذه المرأة في أيّ شعب من الشعوب لا تستطيع هي، هل هي تمتلك سلطة؟ هل تمتلك قدرات على أن تنال الحقوق التي رسخوا في ذهنيتها أنها حقوق؟ هذا لا يحصل، ما الذي يحصل في الأخير؟ ما النتيجة في الأخير؟ هي قضية تعقيد، أن يعقدوا المرأة على الرجل وأن تكون المرأة قريبة من التأثر بهم؛ لأنّها تراهم وكأنّهم مهتمون بقضيتها)**[2].

---

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر.

(٢) سورة النساء الدرس السابع عشر.

ويوضّح السّيد أنّ الغرب واليهود ليسوا حريصين على إعطاء الحقوق لأحد، لا للرّجال، ولا للنّساء، وأنّ هدفهم هو أخذ حقوق الجميع وانتهاكها، إلاّ أنّهم لا يتمكّنون من ذلك إلاّ بسياسة التّفريق الشّاملة الّتي ينتهجونها في الحياة، فيقول: **(إذاً فلا الرجل ولا المرأة، ليسوا وراء إعطاء أحد حقه، هم وراء أن يأخذوا حقوق الكل، إنما لا يتمكنون أن يأخذوا حقوق الكل إلا بعد سياسة التفريق هذه وتجزئة المجتمع وتفريق ما بين الحاكم والشعب وما بين الرجل والمرأة، التفريق بكل ما تعنيه الكلمة، سياسة أثبتها القرآن الكريم أنها قائمة لديهم منذ أن حكى عنهم أنهم يفرقون بين المرء وزوجه أعني منذ قرون كثيرة)**[1].

ويضيف السّيد أنّ هذه السّورة، سورة النّساء تقدّم لنا منهجاً ورؤيةً في مواجهة هذه الهجمة الشّرسة الّتي يقودها اليهود ضدّ الرّجل والمرأة على السّواء لتفريقهم، وتشتيت شملهم، وتمزيق وحدتهم، وكلمتهم، موضّحاً أنّ المسؤوليّة في الإسلام والقرآن الكريم على عاتق الرّجال والنّساء هي بشكل تكامليّ، فيقول: **(إذاً فهذه السورة تقدم لنا كيف يكون منطقنا نحن، وما الذي نرسخه نحن في المجتمع في مواجهة ما يقدم، فعلا لا تواجه إدعاءاتهم التي منها تسمية هذه الأشياء حقوقاً، لا تواجه بعبارة أخرى بأن القضية ليست حقوقا بل هي مسئوليات، وأنها ليست مسئوليات هي لجهة باعتبار أنه جنس مستقل هي مسئولية في إطار المسئولية العامة التي الرجل يقوم بدوره والمرأة تقوم بدورها، الرجال متفاوتون في أدوارهم، والنساء متفاوتات في أدوارهن وهكذا والنتيجة في الأخير ماذا؟ النهوض بمسئولية واحدة ونتائج واحدة تعود على الطرفين في الدنيا والآخرة، تعود على بني آدم بشكل عام بشقيه بشقي الإنسان: الرجل، والمرأة، كذلك في مواجهة ترسيخهم هذه القضية ترسيخ أن المرأة عالم لوحدها، يجب أن نأخذ درسا مهما من هذه السورة وغيرها)**[2].

وفي سورة آل عمران الدّرس الثّاني عشر من دروس رمضان حول الموضوع نفسه يتحدّث السّيد عن محاولة الغربيّين المستمرّة لإثارة المرأة ضدّ الرّجل تحت عنوان الحقوق والحرّيات، فيقول: **(المرأة**

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر.

(٢) سورة النساء الدرس السابع عشر.

التي يلقنها الغربيون أنّها هنا تصارع وتناضل من أجل تحصل على حقوقها! يسمونها أيضاً حقوقاً يعني: أنها تتوظف، وتملك وزارة، أو وكيلة وزارة، وأشياء من هذه، يعني: هي تنظر إلى ما لدى الرجل هذا الذي هو رجل منحط في الواقع، رجل - مثلاً - يلعب بالأموال العامة، ويدير الأشياء إدارة سيئة، هي تريد تمسك مكانه لتعمل مثله، يوجد باب آخر للتنافس في الخير الكبير، والقرب من الله، وأن يحظى الرجل، أو المرأة برضوان الله)[1].

التّنافس في العمل الصالح

يوضّح السّيد أنّ الباب المفتوح للمنافسة ما بين الرّجل والمرأة، والذي ينبغي على المرأة أن تهتمّ به، وبالمشاركة فيه أوّلاً، هو الأعمال الصّالحة التي تقرّب من الله، ونيل رضوانه، ونعيمه، وجنّته، فيقول: **(الباب هذا هو الباب الواسع، والباب الهام لأن تحصل على أرقى الأشياء، القرب من الله من المقامات المعنوية رضوان الله يعتبر قرباً من الله، هذا الذي هو يعتبر أهم من أي قرب عند أي طرف آخر في الدنيا هذه، وأهم مما يمكن أن يعطيك منصب معين في الدنيا، القرب من الله، والجنة هذه النعيم العظيم أعلى نعيم أعلى نعيم ممكن أن يتصوره الإنسان، أو لا يبلغ به إلى أن يتصوره ويتخيله كيف هو)**[2].

وعلى المرأة وهي تنظر للمواقع القياديّة، وترى من هو في موقع المسؤوليّة الإداريّة يتلاعب بأموال الأمّة، وينهبها، ويسرقها، ويديرها بشكل سيئ ألّا تسعى لتنافسه في ذلك، وتطمع لتحلّ مكانه، يقول السيد: **(إذاً لماذا المرأة تحاول أنها وهي تجد - مثلاً - أناساً في مواقع قيادية، وزير، وكيل وزارة، مدير مكتب، مسئول كذا، وهي تعرف بأن هؤلاء يديرون هذه الأشياء بطريقة سيئة، وأن الكثير منهم لا يراعون الأمة في شيء، ويظلمون عباد الله، وينهبون الأموال العامة، ويديرون الأشياء إدارة سيئة، وهي منافسة أنها تمسك مكانة على ما هو عليه تريد مكانه، إذاً فهذا جهل، أن يزين لها في الدنيا، يزين لها هنا هذه الأشياء)**[3].

---

(١) سورة آل عمران الدرس الثاني عشر من دروس رمضان.

(٢) سورة آل عمران الدرس الثاني عشر من دروس رمضان.

(٣) سورة آل عمران الدرس الثاني عشر.

ويبيّن السّيد أنّ هذه المسألة قد تكون من التّزيين السيئ الّذي قد تقع فيه المرأة، ناسية لما هو أهمّ وأفضل، ممّا يجب عليها أن تتحرّك وتُنافس فيه، وهو نيل رضوان الله سبحانه وتعالى، مبيّناً أنّ مسؤوليّتها تفرض عليها أن تعمل جاهدة على إزاحة هؤلاء الظّالمين الفاسدين، فيقول: **(إذا نظرنا للموضوع سنجد بأنه مسألة تزيين، ويكون لهذا التزيين أثره السلبي عندما تكون ناسية ما هو أفضل منه، وتنسى إنما هو أفضل منه وأرقى منه هناك باب مفتوح أمامك لتصل إليه، تنافس هنا، هذا محل المنافسة هنا؛ ولهذا قال في آية أخرى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾** [المطففين: من الآية٢٦]**، إذاً إذا تريد أن تناضل كما تقول؟ تناضل على أن تزيح هؤلاء الذين يظلمون الناس، ويحكمون بالباطل وينهبون الأموال العامة، ويفسدون في الأرض، وليس أن تكون متسابقة على أنه فقط تمسك موقعه وتكون مثله وأسوأ، وفي الأخير تعتبر أنها حصلت على حقوقها، وحصلت على كذا! هذا الباب هو باب هام للتنافس إلى ما هو أفضل [تقوى الله] وهذه النوعية من البشر عندما يكونون على هذا النحو هم الناس الذين يصلحون في الأرض من الناس سواء من الرجال أو النساء عندما يكونون مؤمنين متقين)**[1].

وهنا يبيّن السّيد مرّةً أخرى دور ومسؤوليّة المرأة في الإسلام والقرآن الكريم الّتي هي أوسع من مسألة الحقوق والحريات، موضّحاً أنّ المسؤولية تُراعى في عمليّة النّهوض والقيام بها من لديه الكفاءة، والنّزاهة، والقدرة، والأمانة، فيقول: **(قلنا في هذا الموضوع: بأنه غلطة كبيرة عندما يسمونها حقوقاً، أليسوا يسمون المسؤوليات هذه حقوقاً؟ يلقنها الغربيون، اليهود بأنها يجب أن تناضل من أجل أن تصل إلى حقوقها، يعني أن تملك وزارة، المسؤولية، الوظيفة العامة يعتبرونها حقاً، وهذه هي غلطة كبيرة؛ لأن القضية الأساسية أنه لا يقال لهذه حقوقاً، هذه مسؤوليات، والمسؤوليات يراعى بالنهوض بها من لديهم أهلية للقيام بها)**[2].

ويوضّح السّيد بشكلٍ عام أنّ الموضوع عبارة عن مسؤولية ومهمّة واحدة منوطة بالرّجل والمرأة باعتبارهم عبارة عن عالم، وجنس، وكيان واحد وأنّ للرّجل دوره، وللمرأة دورها في

(١) سورة آل عمران الدرس الثاني عشر.

(٢) سورة آل عمران الدرس الثاني عشر.

حمل المسؤوليّة والقيام بها، وأنّ الأدوار تختلف وتتعدّد داخل الرّجال أنفسهم، وداخل النّساء أنفسهنّ، فيقول: **(والموضوع بشكل عام هي عبارة عن مهمة ومسؤولية واحدة منوطة بالرجل والمرأة، بالإنسان بشكل عام، بني آدم بشكل عام لهم مسؤولية واحدة وتتعدد وتختلف أدوارهم في أداء المسؤولية الواحدة، ليسوا عبارة عن عالمين، عالم رجال، وعالم نساء، بل عالم الإنسان، والقرآن الكريم يركز على هذا، أنهم عبارة عن عالم واحد، عبارة عن بناء واحد، عبارة عن أمة واحدة لا يمكن للمرأة أن تعتبر نفسها عالماً لوحدها، والرجل يعتبر نفسه عالماً لوحده، ولا يمكن أن يحصل الرجل على خير إلا وينال المرأة، ولا يظلم الرجل إلا وتظلم المرأة، والعكس. أليس النساء يصحن أنهن مضيعات تريد تناضل من أجل حقوقها؟ أليس الرجال مظلومون هم؟ إذاً فالتي تعتبر أن الظلم نالها إنما هو في إطار الظلم العام للرجال والنساء، وليست القضية أما الرجال فهم مرتاحون، بل هم مظلومون، حتى الكبار الآن، حتى الدول الآن قد هي مظلومة، قد هم يصيحون هم، إذاً المسألة أن تعرف الأشياء، أنه لا يوجد ما يسمى حقوقاً، في الواقع هي مسؤولية من البداية، مسؤوليات كلها تأتي الحقوق تتحقق تلقائياً من خلال أن ينهض الناس، كل الناس بمسؤولياتهم، الرجل والمرأة وبأدوارهم للرجل دور وللمرأة دور، وداخل الرجال أدوار متعددة، وداخل النساء أدوار متعددة)**[1].

ويضيف السّيد أنّ هذه الوضعيّة السّيئة في الحكم والإدارة لن ترتقي بالمرأة، ولن تزيدها شيئاً، وأنّ طمع المرأة بالحصول على المنصب والسّلطة بهذا الشّكل السّيئ الذي نمرّ به في هذه الوضعية، وبهذا الشّكل الإداريّ الفاسد لدى الرّجل يجعلها تقابل الرّجل السيئ تماماً ،فيقول: **(هل هو يزيد المرأة المناصب والأشياء هذه؟ مثل هذه، مثل النساء والبنين والقناطير المقنطرة، ثم يقال لها [أنت مظلومة والمجتمع هذا لا يراعي المرأة لماذا لا يعطيها وزارة..] قلنا: لسنا راضين عن الوضعية هذه بكلها، عندما تناضل المرأة لتحصل على منصب معين تنهب أموالاً، وتستغل المنصب مثلما يستغله الرجل، إذاً هي نفسها منحطة، أعني: هذه هي نفسية الرجل السيئ، هذه المرأة السيئة التي تقابل الرجل السيئ، لا، إنه يجب أن تنظر إلى أنه كيف يجب أن تكون الأشياء، وما**

(١) سورة آل عمران الدرس الثاني عشر.

هي المسؤولية المنوطة بالناس بشكل عام وأنها مسؤوليات كلها، مسؤوليات من عند أكبر واحد إلى عند أصغر واحد)[1].

الرّجل والمرأة عالم وجنس واحد

وعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[النساء: من الآية١] يوضّح السّيد أنّ هذا الخطاب القرآني يبيّن أنّ النّاس رجالاً ونساءً خلقوا من نفس واحدة، وليسوا عبارة عن عالمين منفصلين، لأنّ العرب كانوا ينظرون للمرأة نظرة دونيّة، ولا يعطوها شيئاً من الميراث، فجاء الخطاب القرآنيّ ليرسم منهجيّة للنّاس جميعاً رجالاً ونساءً، ويرسّخ لديهم أنّهم مخلوقون من نفس واحدة، وأنّهم عبارة عن عالم وجنس واحد، فيقول: **(نحن نقول: بأن كل مفردة في القرآن الكريم في نفس الوقت الذي تقدم تشريعاً معيناً هي ترسم منهجاً معيناً في نفس الوقت ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ فعندما يعرف الناس جميعا أنهم مخلوقون من نفس واحدة كان بإمكان الرجل نفسه أن يتنازل عن نصيبه؛ لأن العرب كان الكثير منهم أو كان الشيء السائد لديهم أن لا يعطوا المرأة ميراثا، يحسسهم بأن المرأة هي جزء منك وأنتم كلكم من نفس واحدة؛ ولهذا قال بعد: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾[النساء:٧] فليعرف الإنسان الذي هو ماذا؟ الجزء من هذا الإنسان وهو الرجل أن يعرف أن المرأة هي جزء منه فلا يعتبر نفسه وكأنه يتعامل مع طرف آخر مع عالم آخر وهنا يعرف أنه عندما يقدم من أمواله عندما يسمح عندما يقبل أن يكون هناك جزء من المال يتجه للمرأة فلا يعتقد بأنه مال من عالم اتجه إلى عالم آخر)**[2].

ويضيف السّيد أنّ التّثقيف الغربيّ يقوم على أساس تجزئة المجتمع، وتشتيته فيحرصون على التّفريق بين الرّجل والمرأة، وبين المجتمع الواحد، والأسرة الواحدة، فيقول: **(ومن العجيب عندما ذكر لنا بعض الإخوان أمس: أنهم في التعريف بالمجتمع بأنه [يتكون من أسرة] قالوا: لا، أن يقال: [يتكون من الآباء والأمهات]؛ لأن كلمة أسرة ما تزال تعطي ماذا؟ عنوانا واحدا**

(١) سورة آل عمران الدرس الثاني عشر.

(٢) سورة النساء الدرس السابع عشر.

[الأسرة] قالوا: لا؛ لأنهم يريدون التجزءة بهذا الشكل تقول: المجتمع يتكون من رجال ونساء، والمرأة - في الأخير - يقولون: هي نصف المجتمع بمعنى ماذا؟ هي عالم يمثل نصف السكان معنا نحن الرجال في هذه الأرض)[1].

ويؤكّد السّيد على أنّ الله سبحانه وتعالى يقدّم القضيّة في القرآن الكريم على أنّ الرجل والمرأة عالم واحد، ونفس واحدة، وأنّ التّقصير في موضوع المرأة وظلمها، يعتبر جريمة مضاعفة، وتعتبر الجريمة هنا جريمتين، الجريمة الأولى: جريمة ظلم المرأة، والجريمة الثّانية: جريمة ظلم الإسلام، فيقول: **(لكن الله يقدم المسألة على هذا النحو: أنهم نفس واحدة وخلقوا من نفس واحدة ومسئولياتهم واحدة، بل تجد في المجالات الهامة في مجالات القرب من الله سبحانه وتعالى في مجالات الأعمال الصالحة لنيل الدرجات العظيمة عند الله فتح الباب بشكل واحد مثلما قرأنا في الآية السابقة في آخر [سورة آل عمران] عندما قال الله فيها: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ من ذكر أو أنثى ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾**[آل عمران: من الآية١٩٥]**، فعندما يحصل تقصير في هذه القضايا الهامة التي يكون التقصير فيها في الأخير يشكل منفذاً لأعداء الإسلام لمحاربة الدين معنى هذا أنها تصبح الجريمة جريمتين: جريمة ظلم الأنثى، وجريمة إعطاء العدو، عدو الإسلام مادة يحارب بها الدين)**[2].

وفي سورة آل عمران الدّرس السّادس عشر من دروس رمضان يبيّن السّيد أنّ القرآن الكريم يؤكّد على الوحدة التّكوينيّة والفطريّة بين الرّجل والمرأة، ويقدّم الرجال والنّساء عبارة عن أمّة واحدة، وعالم وجنس واحد، فيقول: **(والقرآن الكريم يقدم موضوع الرجال والنساء عبارة عن عالم واحد، وجنس واحد، وأمة واحدة ليس على ما يقدمه الآخرون يحاولون أن يجعلوا النساء عالم لوحدهن والرجال عالماً لوحدهم [فيجب على النساء أن يناضلن يقاومن الرجال من أجل تأخذ حقوقها] من أجل قضايا تافهة، هنا يبين في هذا المجالات الهامة التي أمام الرجل والمرأة هذه المجالات الهامة التي تحصل عليها المرأة كما يحصل الرجل على درجات رفيعة هي هذه المجالات الإيمانية ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ**

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر.

(٢) سورة النساء الدرس السابع عشر.

عَامِلٍ مِنكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾[آل عمران: ١٩٥] **ولم يقل هنا ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِ الأُنْثَيَيْنِ﴾ الباب مفتوح للكل وكل واحد بقدر إيمانه وعمله ذكر أو أنثى ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾**[آل عمران: ١٩٥] **أمة واحدة ومسئولية واحدة والنتائج واحدة وهذا هو الواقع)**[١].

اليهود والنّصارى أوّل من ظلم المرأة

وهنا يؤكّد السّيد على أنّ وضعية النّاس بشكل عام الرّجال والنّساء هي عبارة عن كيان واحد، وأمّة واحدة، ونفس واحدة، وأنّها قضية ثابتة في دين الله، وفي كتب الله، وأنّ موضوع المرأة في القرآن الكريم يرتبط به تثقيف للنّاس بحيث يجعل الرّجل ينظر للمرأة كجزء لا يتجزأ منه ومن تكوينه، مؤكّداً أنّ اليهود والنّصارى هم أوّل من ظلم المرأة، وانتهك حقوقها الفعليّة، وامتهنها، وانتهك حرمتها، وكرامتها، ولا يزالون، ونحن نرى في هذا العصر كيف يتلاعبون بقضايا المرأة، ويستخدمونها للدّعاية والإعلانات التجاريّة فقط، ويقدّمونها بشكل مهين ومنحط كسلعة للفساد، بينما الإسلام كرّمها في إطار تكريمه العام لبني آدم، وصان عرضها، وحافظ على مكانتها، يقول السيد: **(وهكذا هي وضعية الناس بشكل عام: الذكر والأنثى في دين الله كله وفي كتب الله لكن تجدهم ممن ظلم المرأة – وهم الآن يتشدقون بمسألة أنهم يعملون على أن تحصل المرأة على حقوقها – هم من أول من ظلم المرأة اليهود والنصارى هم من أول من ظلم المرأة ورسخ نظرة سيئة للمرأة بل اعتبروها شريرة واعتبروها شيطانة بدءاً من حواء وأن حواء هي التي كانت وراء أن يرتكب آدم الخطيئة، هكذا يقولون! فالقضية هذه ليست أيضاً جديدة في دين الله سبحانه وتعالى في كل مراحل التاريخ، أما بالنسبة لرسالة رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله)**، وهي من قبل أن يكون لهم أي كيان على هذا النحو وفي الوقت الذي كانوا يظلمون المرأة فعلا يظلمونها، وما يزالون يظلمونها إلى الآن، منذ ألف وأربعمائة سنة وأكثر تجد كيف تقدم قضية المرأة في القرآن الكريم بشكل هام جدا وقضية يرتبط بها تثقيف أيضا بالشكل الذي يجعل الرجل ينظر إلى المرأة كجزء منه وينظر إلى المال الذي يتنازل عنه ليعطيها بأنه مال من جزء إلى جزء لكيان واحد)**[٢].

---

(١) سورة آل عمران الدرس السادس عشر.

(٢) سورة النساء الدرس السابع عشر.

تعدّد الزّوجات

يعتبر موضوع تعدّد الزّوجات من المواضيع الحسّاسة لدى المرأة، يعود السبب في ذلك إلى أنّ الموضوع نفسه أحيط بتثقيف غربيّ واستهداف كبير لتشويه الإسلام، وخلق شعور وإحساس لدى المرأة رافض لفكرة تعدّد الزوجات، ساعدهم في ذلك التّعاطي السّيء مع الموضوع من قبل الكثير من النّاس، القائم على خلاف الرّؤية والمنهجيّة القرآنيّة للموضوع، وجواز تشريعه، وهنا يقدّم السّيد الرّؤية القرآنيّة لموضوع تعدّد الزوجات، القائمة على أساس العدل، والمراعاة لوضعيّة المرأة بحيث ألّا تظلم ابداً، فيقول: **(إذاً اليتامى بشكل عام، يتامى النساء هي أيضا مظنة أن تظلم عندما يتزوج بها قد يظلمها لأنه ليس لها ولي يدافع عنها. ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾**[النساء: من الآية٣] **إلى درجة أن يقول لهم: أنه إذاً لا تتزوج باليتيمة، اليتيمة هذه الصغيرة المرأة التي قد تظلمها لا تتزوج بها من البداية امتنع على أساس أن لا يحصل من جانبك ظلم لها فيما إذا كنت تخاف، عندك احتمال ربما لأنك عارف طبيعتك وعارف نفسيتك ولو تتزوج بمرأة هي على هذا النحو أنك قد تظلمها، من البداية لا يجوز لك، من البداية على أساس عندك احتمال أنك ستظلمها، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ وإن خفتم ليس معناها: تيقنتم. ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ فتوجهوا إلى النساء الكبار والنساء التي لسن يتامى وبإمكانك أن تتزوج بواحدة أو اثنتين أو ثلاث أو أربع)**[1].

وعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا**﴾[النساء: من الآية٣] يوضّح السّيد أنّ الموضوع قائم أساساً على العدل والمراعاة لوضعيّة المرأة بكلّ الإعتبارات، فيقول: **(عندما تتزوج بأكثر من واحدة وأنتم تخافون أن لا تعدلوا ﴿فَوَاحِدَةً﴾**[النساء: من الآية٣] **فيكفيكم واحدة أو فالأنسب أو الأفضل دائما ما تنظر الأشياء بماذا؟ على طريقة يجوز أو ما يجوز في غالب التوجيهات في غالبها، هنا أباح للإنسان أن يتزوج بواحدة أو اثنتين أو ثلاث أو أربع هذه قضية لكن إذا خاف بأنه قد لا يعدل فيما بين النساء فالأفضل له واحدة**

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[النساء: من الآية٣] **مثلما سيأتي بعد الزواج من فتياتكم المؤمنات أو [التَسرِّي] يسمونه: التسري عندما ينكح الرجل أمته التي هي ملك له)**[1].

وعند قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾[النساء: من الآية٣] يؤكّد السّيد أنّ الموضوع لا زال قائما على أساس العدل، وأنّ موضوع تعدّد الزّوجات ليست قضية مفتوحة، بل هي قضيّة مرتبطة بالعدل، فيقول: **(بعضهم يفسرها بمعنى أن لا تعولوا: أن لا يحصل لكم عائلة كثيرة أن لا يحصل لكم أولادا كثيرين، معنى العول هو ماذا؟ أن تميلوا إلى غير الحق إلى غير الصواب و﴿أَدْنَى﴾ معناه: أقرب، أقرب إلى أن لا تعولوا، لاحظ أنه في الوقت الذي أجاز للإنسان أن يتزوج إلى أربع ما جعلها قضية مفتوحة ربطها بأن يعدلوا، والعدل ذكر أسسه هنا في القرآن، العدل ذكر أسسه في القرآن سواء أمام الواحدة أو أمام أكثر من واحدة المعاشرة بالمعروف ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾**[النساء: من الآية١٩] **ذكر أيضا في آية أخرى ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾**[النساء: من الآية١٢٩]**، وقد تختلف القضية باختلاف وضعيات الناس)**[2].

وهنا يوضّح السّيد أنّ هذه القضيّة هي من القضايا الّتي يثيرها الأعداء ضدّ الإسلام، وهذا الشيء إنّما يدلّ على فظاعتهم، وسوء نواياهم، وشرّهم، ففي الوقت الذي يستنكرون فيه تعدّد الزوجات يفتحون الباب أمام تعدّد العشيقات، والزّنا، والفجور، يقول السيد: **(إذاً القضية هذه نفسها: تعدد الزوجات أليست من القضايا التي يثيرونها؟ وهي من أغرب القضايا أن يكونوا يستنكرون تعدد الزوجات وطبيعي تعدد القحاب، تعدد الخليلات، والعشيقات!. أليسوا يعتبرون أناسا فظيعين؟ يعني: لا يتزوج الإنسان بأربع زوجات يحصنهن يقوم بحقوقهن برعايتهن، لكن طبيعي عندهم أن يكون له ولو عشرين عشيقة)**[3].

تعدّد الزّوجات أصون للمرأة

الرّؤية القرآنيّة لتعدّد الزّوجات تقوم على صون كرامة المرأة وعرضها خاصة مع الأحداث

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر.
(٢) سورة النساء الدرس السابع عشر.
(٣) سورة النساء الدرس السابع عشر.

والحروب التي يقتل ويستشهد فيها الكثير من الرّجال، فتبقى الكثير من النساء الأرامل واليتامى يعانون معاناة شديدة، ويصبحون عرضةً للفساد والإستهداف، لأنّهم بحاجة إلى من يعولهم، ويصون أعراضهم، وكرامتهم، ويحافظ على وحدة المجتمع، وتكافله، وترابطه، يقول السيد: **(قضية التعدد هي أصون للمرأة نفسها، نلاحظ مثلا في قضية الرجال أليس الصراع عندما يحصل صراع أليس ضحاياه يكونون رجالا في الأغلب في المعارك في الحروب أليس ضحاياها يكونون رجالا في الأغلب؟ إذاً فالمرأة بدل أن تتحول إلى طريقة أخرى يكون فيها انحطاط لها يكون فيها معصية لله سبحانه وتعالى يكون فيها إساءة إلى أبنائها، يكون أمامها إمكانية أن تتزوج عندما يكون زوجها قتل في المعركة بإمكانها بعد أن تتزوج، وهم قالوا فعلا: في كثير من الشعوب بعد الحروب في الشعوب التي لا يسمحون أن يكون هناك تعدد زوجات في الأخير يظهر الفساد الأخلاقي بشكل كبير، بل بعض النساء تصل الحالة بها إلى أنها تضطر إلى أن تبيع عرضها من أجل أن توفر لنفسها حاجتها ولليتامى حاجتهم، لأولادها)**[1].

وفي نفس الموضوع يتّضح وبشكل عام لدى النّاس جميعاً أنّ عدد النّساء أكثر من عدد الرجال، وأيضاً المرأة نفسها من حيث الفطرة عندها قابليّة لأختها المرأة والتّآلف معها، لأنّ الله عندما يشرّع شيئاً يكون هناك في الفطرة البشريّة ما يساعد على تقبّله، إنّما المشكلة الآن هي في التّثقيف الغربيّ الّذي يستهدف القضيّة والموضوع لمآرب، وأهداف شريرة، وشيطانية، يقول السيد: **(أيضا يقال بأنه بالنسبة للناس بشكل عام: أن نسبة النساء يكون أكثر، نسبة النساء من حيث العدد أكثر من الرجال ثم المرأة نفسها المرأة نفسها عندها قابلية؛ لأن الله عندما يشرع شيئا يوجد هناك في الفطرة ما يكون ممكنا تقبله، تجد كثيراً من الناس عندهم نساء متعددات في بيت واحد يصبحن في نفس الوقت يألفن بعضهن بعضا وطبيعي يأكلن سويا ويشربن القهوة سويا ويتحدثن سويا ويسمرن سويا بشكل طبيعي، بل يؤلم المرأة نفسها يؤلمها أن ترى زوجها يحاول وراء واحدة بطريقة غير شرعية تتألم، لو يتزوج يكون طبيعيا، يغضبها أكثر لو يبحث عن عشيقة،**

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر.

لكن قضية أن تكون زوجة وإن كان يحصل ألم، قد يحصل ألم في البداية ثم في الأخير تألف ويصبح طبيعيا عندها)[1].

أيضاً في نفس الموضوع يكون الرّجال معرَّضين للتّلاشي من خلال الحروب والصّراعات، وخاصّة في هذا العصر الذي تطوّرت وتعدّدت فيه أسلحة القتل والتّدمير الشّامل، لأنّ الجيش والمقاتلين يكونون من الرّجال فتكون الإبادة فيهم بشكل كبير، فمن خلال التعدّد المشروع للزّوجات ينجب الرجال الكثير من الأولاد والبنات، حتّى لا ينتهي نسلهم، وتنقطع ذراريهم، وليبقى المجتمع المسلم زاخراً بالكثير من الرّجال، والشّباب، والأولاد، وكما هو حاصل في عصرنا هذا المليء بالصّراعات، والأحداث، يقول السيد: **(أيضا القضية بالنسبة للناس الرجل هو معرض للتلاشي من خلال الحروب من خلال الأشياء الكثيرة فعندما يسمح له بأن يتزوج بأكثر من واحدة يمكن أن ينجب كثيراً، ينجب رجالا ونساء وخاصة بالنسبة للمسلمين، بالنسبة للمسلمين ومع أيضا تطور وسائل الحرب، أسلحة دمار شامل أسلحة فتاكة قد تبيد أمة من الأمم بسرعة معسكرات أو تبيد قواعد عسكرية يكون الضحايا أحيانا عندما يكون هناك تركيز على الجيش والجيش عادة يكون من الرجال فستكون الإبادة فيهم بشكل كبير، يذكرون عن بعض الشعوب العربية بعد الحرب مع إسرائيل كان عندهم الفكرة هذه كقضية يشيعونها في المجتمع واحدة فقط، واحدة، وبعد الحرب عندما حصل قتلى كثير وإذا بظاهرة الفساد الأخلاقي منتشرة بشكل كبير في المجتمع)**[2].

وهنا يؤكّد السّيد أنّ الأعداء عندما يركّزون على قضايا معيّنة فإنّ هدفهم من وراءها هو إفساد وتضليل المجتمعات، وخاصّة أمام هذه القضيّة الّتي قد تفتح باباً كبيراً للمنكر والفساد، والأصون فيها للمجتمعات والنّفوس هو الزّواج المشروع الذي يحافظ على بنية المجتمع، وزكاء نفوس الناس، وإيمانهم رجالاً ونساءً، يقول السيد: **(إذاً أنت تلاحظ أنهم دائما كما قال الله عنهم بني**

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر.

(٢) سورة النساء الدرس السابع عشر.

إسرائيل: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾[النساء: من الآية٤٤] **لا يركزون على قضية إلا وهي بالشكل الذي تضل الناس: تضيعهم؛ لأن المجتمع عندما يحصل فيه قتلى كثير ويوجد نساء وضعيتها قد تفرض عليها أن تتزوج أو مازال عندها رغبة أن تتزوج، ممكن أن تتزوج؛ فبقي المجتمع أخلاقه، قيَمه، وظعيته سليمة، لكن إذا ما هناك تزوج على هذا النحو فمن قبل أن يحصل كوارث يحصل فساد أخلاقي؛ لأن نسبة النساء أكثر من الرجال وفي نفس الوقت يحصل ضعف في المجتمع يحصل خلخلة للقيم وللإيمان ولزكاء النفوس فيصبح المجتمع قابلا لأن يضرب على يد الأعداء عندما يصبح مجتمعا مخلخلا وسيئا وفاسداً بعيداً عن الله سبحانه وتعالى وهذا من أخطر القضايا انتشاره في المجتمع، قضايا الفساد الأخلاقي من أسرعها بعد الحروب في المجتمعات يذكرون ذلك عن الشعوب في أوربا، بل عن شعوب عربية بعد الحرب مع إسرائيل)**[1].

مهر المرأة

هنا يبيّن السّيد الرّؤية القرآنيّة لموضوع مهر المرأة، الرّؤية القائمة أساساً على التّكريم للمرأة، ويبيّن السيد الكثير من المخالفات الّتي يقع فيها الكثير من النّاس مع موضوع المهر، ويظلمون فيه المرأة، ويخالفون الله، ويعصونه، فيقول: **(ذكر أيضا موضوع المهر: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾**[النساء: من الآية٤] **عبارة عن عطية ليس عبارة عن ثمن ليس عبارة عن قيمة، عبارة عن عطية للمرأة وهذا أمر إلهي عام للناس جميعا، وهذا أيضا مما يفرطون فيه في بعض الشعوب بما فيها اليمن في معظم المناطق تفريط في موضوع المهر الرجل ينظر إلى بنته أو أخته وكأنها عبارة عن سلعة، بعضهم الذين لا يفهمون دين الله، ولا يتوجهون بتوجيه الله في الأخير يزايد يلاحظ من سيدفع أكثر فيها يزوجها به ويستلم المهر ويتصرف به، والله يقول: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ عطية، ويقدم بسهولة لهن، لا يكون فيه أخذ ورد ومتابعة وتعب وجفاء حتى يخرج المهر من عندك، ولأهمية هذه أمر الرسول نفسه** (صلوات الله عليه وعلى آله) **أمره أن يؤتي نساءه أجورهن يعني: مهورهن، إذاً فهذا أمر أساسي: الإيتاء أولاً، الإيتاء.**

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر.

﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ﴾[النساء: من الآية٤] **بعد أن تكون قد آتيتها ﴿طِبْنَ﴾ أي: طابت نفوسهن عن أن تتنازل عن بعضه عن شيء منه ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾**[النساء: من الآية٤] **بطيبة نفس لكن بعد الإيتاء؛ لأن نفس الإنسان قبل الإيتاء وبعده تختلف، عندما يكون ما قد وصل إلى يدها شيء وتأخذه عليها وفي الأخير تحاول أن تتسامح منها ستقول: [مسموح] قد هي آيسة! لكن بعد أن يصل المال إلى يدها وبدون أن تطلبها شيئا فيما لو كان هي سواء بالنسبة إلى قريب من أقاربها أو بالنسبة لزوجها ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾**[النساء: من الآية ٤] **لكن قدم في البداية: ﴿آتُوا﴾ ألم يقدم في البداية هذه؟ والإيتاء ماذا معناه؟ أليس معناه إيصال المال؟ عندما يقول: آتوا الزكاة: إعطاءها، إيصال المال إليها إيصال المهر لها.**

هذا أيضا هو من تكريم المرأة بالذات؛ لأن المرأة نفسها أليست بحاجة إلى أن تتزوج كحاجة الرجل إلى الزواج؟ نفس الحاجة واحدة ونفس الرغبات واحدة حتى فيما يتعلق بالأولاد لكن هنا الرجل أيضا يعطي للمرأة مهراً، عطية)[1].

المتعة في القرآن الكريم

موضوع ما يسمّى بزواج المتعة من المواضيع الّتي تثار ضدّ أنصارالله، وتُشنّ عليهم به الدّعايات الإعلاميّة منذ بداية الحرب الأولى في العام ٢٠٠٤م بغرض تشويههم، وتأليب الرّأي العام ضدّهم، ولا زالت هذه التّهمة قائمة حتّى الآن على نطاق واسع من قبل أبواق النّفاق، ووسائلهم الإعلاميّة المتعدّدة، ويستخدمون حتّى الخطباء، والوعاظ، والمرشدين الوهابيّين في ذلك، وفي الحقيقة أنّ موضوع المتعة هو معتقد إثنا عشري يعتمدون فيه على كلمة وردت في آية في سورة النّساء بلفظ الإستمتاع في سياق الحديث عن النّكاح الشّرعي والزّواج الثّابت، وقد فسّروه بأنّ معناه ما يسمّونه بزواج المتعة، أو الزّواج المؤقت.

إلا أنّ السّيد حسين بدرالدين قد فنّد هذه الدعوى، وبين بطلان هذا المعتقد، وهو معتقد لا يدين به الزيديّة، ولا السّيد حسين، ولا حركة أنصارالله، فيقول السّيد حسين حول هذا المعتقد

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر.

في سياق حديثه عن هذه الآية ما نصه:

﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[النساء: من الآية٢٥] **هذه آية واحدة كلها من أولها إلى آخرها آية واحدة لأن بعض الطوائف يوقفون هنا عند: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ والسياق هو سياق النكاح؛ لأنه لاحظ فيما بعد عندما قال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ يعني: الحرائر ﴿فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ﴾ من الإماء تتزوج بأمة ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾، ألم يأت بكلمة: ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مثلما قال سابقا: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ هذا على التأكيد فيما يتعلق بموضوع المهر مثلما قال سابقا: ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾[النساء:٢١] وقبلها يقول: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[النساء: من الآية٤] أي: تعرف بأنك عندما تعطيها المهر ما كأنها قضية هكذا، قال: افهم أنك تستمتع بها ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ يعني: مهورهن)[1].

وعلى هذا يكون الموضوع الذي يتحدّث عنه القرآن الكريم هو موضوع المهر للمرأة، والنّكاح الثّابت السّائد المعروف عند المسلمين، ولو كانت قضيّة المتعة ثابتة لكانت مشتهرة في المجتمع أيّام رسول الله، ومن بعده، وبين عموم المسلمين، يقول السيد: **(والكلام كله في موضوع النكاح والنكاح السائد المعروف عند المسلمين هو هذا النكاح الذي نسميه نكاحا ثابتا، لو أن قضية المتعة قضية ثابتة لكانت مشتهرة في المجتمع في أيام رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **ومن بعده لكانت مشتهرة في المجتمع فيما بين المسلمين ولم تكن فقط في حالة واحدة كما يذكر الإثنا عشرية، يقولون: بأنه قد ثبت تشريعها ولم يثبت نسخها! قلنا: إنه أحيانا تكون عملية التشريع تكون مقيدة في وقتها، ولولا أنها مقيدة بظرف معين ووضعية معينة في وقتها، وأنها تشريع ثابت**

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر.

وتشريع مطلق لكانت سائدة في المجتمع، ولما حصلت العبارات على هذا النحو: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾[النساء:٢٥] يعني: الحرائر المؤمنات، فلا مانع أنه من فتياتكم المؤمنات، أليس معناه النكاح الثابت؟ الذي يسمى: النكاح الدائم؟)[1].

وهنا يوضّح السّيد أنّ العدول مع عدم القدرة على تزوّج الحرائر إلى الإماء من الفتيات المؤمنات جاء كتخفيف، ولو كان هناك شيء اسمه متعة مشروعة لعدل إليها القرآن الكريم، يقول السيد: **(لاحظ كيف جاء العدول كتخفيف لأنه بعد يقول: إن الله يريد أن يخفف عنكم فيما إذا ما استطاع أن يتزوج من الحرائر؛ لأنها قضية هي الأولى لأن الله يقول في القرآن: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء: من الآية٩] فعندما تتزوج بأمة هي مملوكة لشخص آخر هنا يقوم عليك أحكام معينة بالنسبة لأولادك فلا بأس أن تعدل إلى الأمة، ألم يكن سيذكر العدول إلى الاستمتاع المؤقت؟ الاستمتاع المؤقت الذي يمكن يكون مع حرائر أخرى أليس من الممكن أن يكون مع حرائر استمتاع مؤقت؟ على ما يقولون: المتعة عند الإثنا عشرية؟ لم يعدل إلى هذه إلى موضوع استمتاع مؤقت الذي كان يمكن أن يكون حاصلا مع حرائر، لا، ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾[النساء:٢٥]، أن يذكر كلمة أجر معناه المهر أعني: القضية هنا واضحة في النكاح تماما من عند ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ إذاً هم يعتبرون هذه؛ لأن تلك هي نفسها في سياق المحرمات نكاحهن، أليس هنا الموضوع موضوع نكاح هنا قال: ﴿فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾؛ لأن الإنسان إذا معه أمة له لو لم يستطع أن يتزوج بامرأة من الحرائر فيمكن له تسرِّي - كما يسمونه - يعني: يمكن أن يطأها وإذا جاء له أولاد عليها تعتبر مثلما يقولون: أم ولد لم يعد له أن يبيعها تتحرر بعدما يموت تصبح حرة «أعتقها ولدها» كما يقولون، هذه القضية مقدمة على أساس أن ما عندك أمة أنت، ولا عندك استطاعة أن تتزوج من حرائر، من امرأة حرة، فيمكن تتزوج بأمة يعني: الأمة هنا لواحد آخر عندما يقول: ﴿فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ هم لا يقولون في المتعة أن تكون**

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر.

بإذن أهلهن مع الحرائر، هم لا يقولون هم أن المتعة تكون بإذن أهلها، فيما بينك وبينها، اتفق أنت وإياها على وقت معين، شهر، شهرين، أسبوع كمّا أمكن وكل شيء بحقه في الشهر حقه أكثر من أسبوع! هنا يقول: ﴿فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾، الإماء نفوسهن وهي أمة ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾[النساء: من الآية ٢٥] **المطلوب من النكاح هو: الإحصان أن يتحصن الرجل وتتحصن المرأة.**

وعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾[النساء: من الآية ٢٥]).

يوضّح السّيد أنّ الموضوع كلّه في الحالتين مع الحرائر ومع الإماء، قائم على أساس العفّة، والإحصان، وهذا ما لا يكون في المتعة، يقول السيد: **(أخِلّاء، أو على ما يسميها الغربيون: عشيق أو عشيقة على ما قال هنا: ﴿وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ قالوا: كانت هذه حاصلة عند العرب في بعض القبل أو في بعض القرى، كان يحصل، يكون مع المرأة أيضاً عشيق آخر، إذاً فالزواج المطلوب منه أعني: من أهدافه ومن مقاصده: التحصين، التحصين أي: إعفافها عن الآخرين، فهنا تلاحظ أنه كان حركة الإماء في المجتمع تختلف عن حركة الحرائر، فقد يكون الإماء مثلا البعض أقرب إلى أن تكون مثلا معرضة لآخرين، هنا تلاحظ في موضوع الأمة أيضاً، كما تلاحظ بالنسبة للحرة أن تكون محصنة عفيفة، يلاحظ في موضوع الأمة أيضاً أن تكون عفيفة ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾**[النساء:٢٥] **هل المتعة يمكن أن يقال فيها إحصان على هذا النحو؟ أم أنها فتح الشهية لآخرين؟ أعني: أنت تستمتع بها شهراً وقد هي منتظر من بعد الشهر منتظر لزبون جديد وهكذا، وأنت كذلك منتظر لزبونة جديدة)**[1].

ويضيف السيد أنّ الإحصان للرّجال والنساء لا يكون إلاّ من خلال الزّواج المشروع، والنّكاح الثّابت، فيقول: **(هنا يقول: محصنات، محصنين، ألم يقل هكذا: محصنين؟ إحصان يعني: أن تكون أنت تحصنها وهي تتحصن بك ماذا يعني التحصين؟ يعني: إعفافها عن الآخرين: هذا زوجها، لا يحصل هذا في نفسية المرأة وعند الرجل إلا من خلال الزواج الثابت، هل بالإمكان أن تقول: محصنين مع عملية اتفاق أسبوع أو أسبوعين بينك وبينها؟ هل تسمى أنك محصن؟ لا، هي**

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر.

منتظر لواحد ثاني بعد الأسبوعين وعندما - كما يقولون -: تجلس طهراً واحداً يسمونها: [استبراء] بحيضة واحدة)[1].

لو كانت المتعة ثابتة لكانت شائعة في المجتمع كتشريع

وهنا يوضّح السّيد أنّ موضوع ما يسمّى بنكاح المتعة لو كان ثابتاً في التّشريع لكان واضحاً وشائعاً في مجتمع الرّسول صلوات الله عليه وعلى آله، وفي المجتمع العربيّ، موضحاً أنّ كلمة متعة هي كلمة عربيّة، وليست مصطلحاً شرعيّاً، ولا فقهياً، فيقول: **(ثم الشيء الواضح بأنها لم تكن شائعة في المجتمع، لو أن النكاح قدم بشقيه: النكاح الثابت على هذا النحو، ونكاح آخر، نكاح المتعة - كما يقولون - لكان سائداً في المجتمع لكان سائداً في مجتمع رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **وفي المجتمع العربي، يقولون: إن المسلمين عملوها في غزوة معينة مع سبي..! قد يكون مثلاً على طريقة أنه قسمهم؛ لأن ما كلمة: استمتعوا بمعنى: إعطاء - مثلما تقول - حكم شرعي، الذي يسمونه حكما شرعياً، أي تقديم نكاح جديد، قد يكون وزع المسبيات بينهم، أليس يمكن تقسيم السبي؟ الخلاصة في الموضوع ليس في الآية هذه دليل على ما يسمى نكاح المتعة عند الاثنا عشرية، إنما محاولة تمحل التي يسمونها أو تعسف، أن يستوحوا منها، من قوله: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ﴾ فما استمتعتم؛ لأن المتعة، كلمة متعة كلمة عربية تعني: الاستمتاع بالشيء، حتى الدنيا ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾**[آل عمران: من الآية١٨٥]**، كم كلمة متعة! وفي الحج متعة، أليس فيه متعة؟ ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾**[البقرة: من الآية١٩٦]**)**[2].

وهنا عند هذه الآية التي تشرّع مع عدم القدرة على الزّواج من الحرة، الزّواج بالأمة المملوكة لشخص آخر، لا يزال التّوجيه القرآني يدعو إلى الصّبر حتّى يتمكّن الرّجل من الزّواج بحرّة ويعتبره أفضل، مع أنّ الزّواج من الأمة يقدّم زواجاً شرعيّاً ثابتاً، وهذا يتنافى مع ما يسمّى بجواز المتعة تماماً ،يقول السيد: ﴿**فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ**

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر من دروس رمضان.

(٢) سورة النساء الدرس السابع عشر من دروس رمضان.

مِنَ الْعَذَابِ﴾[النساء: من الآية٢٥]، هذا بالنسبة لماذا؟ من فتياتكم المؤمنات، الإماء ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾[النساء: من الآية٢٥] أن يبقى بغير زوجة فاضطر إلى أن يتزوج بأمة هي لشخص آخر ما زالت في نفس الوقت أيضا تقوم بأعمال مع مالكها يعني: عند الضرورة، ويجب عند الضرورة أيضاً أن يراعي هذه: ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾[النساء: من الآية٢٥]، إذاً أين موقع المتعة هنا؟ أليس هنا يوجه إلى حالة تعتبر حالة اضطرارية والصبر عنها أفضل؟ لو كانت المتعة ممكنة فما هناك صبر هنا لم يستطع أن يتزوج بإمرأة زواجا ثابتا ذهب يتمتع بأي امرأة، هنا يوجد ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ العدول عن نكاح الحرائر لكونك لا تستطيع طولا، أي: غنى، لست متمكناً، فتعدل إلى هذه، ولكن الصبر عن هذه عن أن تتزوج بأمة ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ألم يكن هنا موقع المتعة لو هناك أساس لها؟ لكان هنا موقعها؛ لأن معناه ما هناك مكان لكلمة: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ المتعة يعتبرونها أشبه شيء برخصة.

فعندما يكون مثلا امرأة لا تتمكن أن تتزوج بآخر فيجيزون أن تتمتع وتبقى على أولادها، أليست قضية هذه أعني ما هناك في الموضوع ما يسمى صبراً، هنا قدم في عملية النكاح ما يوحي بأنه نكاح ثابت الذي يحصل فيه إحصان، ثم إذا ما استطاع أن يتزوج بامرأة حرة، ليس المعنى امرأة صاحبة رأس مال أو مقام اجتماعي كبير أو أشياء من هذه، حرة من الحرائر، فليعدل إلى أمة ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾[النساء:٢٥]، ألم يكن هذا محل أن يقول: فليتمتعوا بأخريات بحقه؟ كان هنا مكانها ولم يكن هنا توجيه، وتوجيه نكاح أيضاً أليس توجيه نكاح ثابت مع الإماء؟ عندما يقول: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾، يعني: لا تتزوجون على هذه الطريقة ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ولو أن تصوموا، فهم يأخذون جزءاً من الآية: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[النساء: من الآية٢٤] على اعتبار أنهم يأخذون كلمة متعة وكأنها تعني مصطلحاً شرعياً، هذه مفردة لغوية تراها مع الزوجات تراها مع متاع الدنيا تراها في العمرة تراها في كل شيء يسمى استمتاعاً، وليست عبارة عن مصطلح شرعي لحكم معين، ليست عبارة عن مصطلح، عبارة عن حالة يذكر الدنيا متاع والعمرة يتمتع بها إلى الحج، يأخذون ذلك المقطع فقط وهي آية واحدة، قال هناك: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ﴾ آية واحدة ليست [العشارة] توقف الآية وقد هذه إجراءات ثانية جديدة وتلك إجراءات سابقة

جديدة)[1].

النّكاح الشّرعي الثّابت هو ممّا شرّعه الله في كلّ الأمم

يؤكّد السّيد أنّ الثّابت في تشريع الله، وسنّته في عباده، ولدى كلّ الأمم الماضية هو الزّواج الشّرعي الثّابت، ولا وجود لشيء اسمه زواج المتعة، أي الزّواج المؤقّت، وأنّ المقصود بالإستمتاع في هذه الآية هو المهر والزواج الشّرعي الثّابت الّذي شرّعه الله لكلّ الأمم، ولا وجود لزواج المتعة في كلّ الشّرائع والدّيانات فيقول:

(﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[النساء:٢٦] **السنة التي شرعها لمن قبلنا وعلى أحسن طريقة، النكاح هو مما تناول الله تشريعه في كل الأمم الماضية، كما في الأمم الماضية، هل تلحظ يوجد هناك متعة؟ لا نسمع أن هناك متعة، ليست معروفة المتعة هذه، متعة النساء ليست معروفة أعتقد في الديانات السابقة بكلها، في الرسالات بكلها السابقة.**

يوجد هنا تذكير للرجل بأن الذي يعطيه كمهر لها يعرف بأنه يتمتع بها يعني: أنه لم يرم بفلوسه من الطاقة على ما يقولون، يعرف إنما فرض على الرجل أن يقدمه مهرا للمرأة هناك سماه في البداية: ﴿نِحلَةً﴾ والقرآن يراعي مشاعر الكل مشاعر الذكر والأنثى فأن يقدم المهر نحلة لا تعتبر المرأة وكأنه قيمتها، ثم كلمة: [أجر] هي لا تعني: استئجار من حق الاستئجار الذي يعني ماذا؟ مثلما تأتي بشخص يعمل لك عملا تعطيه أجره كلمة أجر تعني: الشيء المقابل، شيء مقابل شيء، أليس الله يذكر أجراً فيما يتعلق بالأعمال الصالحة عليها أجر يسميه؟ ليست كلمة أجر تعني: الاستئجار، ثم هنا تعرف أنت كرجل وإن أعطيت مبلغا قد ذكر هناك: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً﴾[النساء: من الآية ٢٠] **ولو مبلغا كبيراً تتذكر أنت بأنك تستمتع بها ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾**[النساء: من الآية٢٤] **هي بهذا الشكل يعني: معناها مهر، المهر يثبت عندما يحصل استمتاع وإلا فإذا حصل مهر مسمى ولم يحصل دخول ولا استمتاع فله حكم آخر أليس له**

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر من دروس رمضان.

حكم آخر؟ ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾[البقرة: من الآية٢٣٧] أي: كاعتبار للمرأة قد سميت لها شيئا ربما تكون أنت قد عزفت عن الزواج بها لأي اعتبار كان فالنصف اتركه لها أشبه شيء بالمتاع الذي ذكر.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾[البقرة: من الآية٢٤١] هنا لزوم المهر، لزومه، يقدمه هنا بالشكل الكامل ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أنه يعتبر فريضة وفريضة لماذا؟ لأنه يحصل دخول بالمرأة يحصل استمتاع بالمرأة يعتبر ثابتاً ليس فيه شك إعطاؤها المهر ولم يتحدث هنا عن نصف ولا شيء ﴿أُجُورَهُنَّ﴾ المهر إذا كان قد سمَّا مهرا ولم يأت دخول فعندما لا يحصل دخول بالمرأة ولا خلوه بالمرأة معناه ماذا؟ أنه لم يحصل استمتاع ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾[البقرة: من الآية٢٣٧])[1].

لا دليل في هذه الآية على زواج المتعة

يؤكّد السّيد أنّه لا يوجد أيّ دليل على الزّواج المؤقّت في هذه الآية على الإطلاق، وأنّ ما يقال من محاولة لإثباته ما هو إلاّ تمحّل للنّص القرآنيّ وتعسّف، وأنّ كلمة استمتعتم لا تعني مصطلحاً وحكماً شرعيّاً آخر، بل هي مفردة لغويّة عربيّة تستخدم أمام أشياء كثيرة، فيقول:

(الأصل أنه نفس الآية هذه لا أعتقد أن فيها دلالة على موضوع: المتعة التي يتحدث عنها الإمامية نهائياً، أول شيء أن كلمة استمتاع، وكلمة استمتعتم لا تعني: مصطلحاً تشريعياً، ليست مصطلحاً، هي كلمة عربية تعني: التمتع بالشيء، التمتع به، والإنسان مستمتع بزوجته دائما أليس هكذا؟ أعني: في النكاح الثابت أليس يقال: أن الإنسان مستمتع بزوجته، لغة تصدق على هذا، يسمى استمتاع بها مثلما تستمتع بأموالك تستمتع بأثاث بيتك ﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾[آل عمران: من الآية١٩٧] كلمة متاع استمتعتم مفردة لغوية معناها هذه: الاستفادة التي تحصل من الشيء، هم قدموها وكأنها مصطلح شرعي جديد تساوي كلمة: نكاح كمصطلح شرعي جديد، لكن لاحظ أنه جاء بكلمة: ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ بعد قوله: ﴿فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[النساء: من الآية٢٥])[2].

---

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر من دروس رمضان.

(٢) سورة النساء الدرس السابع عشر من دروس رمضان.

زواج المتعة يتنافى مع الفطرة الإنسانيّة

وهنا يوضّح السّيد أنّ ما يسمى بنكاح المتعة يتنافى تماماً مع الفطرة الإنسانيّة لدى المرأة، وأنّ الفطرة الّتي فُطرت عليها المرأة هي الاستقرار الزّوجي، والنّكاح الشّرعي الثّابت حتّى في المجتمعات التي تقول وتؤمن بزواج المتعة، فيقول:

(﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[النساء:٢٦]، ثم لاحظ فيما يتعلق بموضوع الفطرة أن الله قال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[الروم: من الآية٣٠) يقولون حتى في مجتمع الاثنا عشرية المرأة بشكل عام ما عندها قابلية للمتعة بهذه الطريقة، عندها قابلية أنها تستقر، نكاح، زواج ثابت، تستقر، لهذا المتعة لا تمارس إلا في ماذا؟ نساء معينات أما التوجه الرئيسي لدى المرأة فهو النكاح الثابت؛ لأن المرأة تعرف بأنها شبابها زهرة شبابها تحاول أنها ماذا؟ تمكن نفسها للمستقبل، تحافظ على نفسها، تحافظ على تحصين نفسها، تحاول تتزوج وما زالت في الفترة المقبول الزواج بها لتستقر، زواج تستقر به حياتها على طول، هذا الشيء الذي المرأة مفطورة عليه، هي تريد بيتاً تستقر فيه، هي تعرف أن تبقى في بيت أهلها لا تكون مقبولة دائما في بيت أهلها، لا تدري وتزوج أخوتها بنساء، ولا تدري وحصل أسرة غير الأسرة داخلها، فتكون هي تريد تستقر، وأولاد، وبيت، وزوج تتعامل معه طول حياتها، هذا الشيء الذي هو ملموس يقولون: عند النساء هناك في إيران وفي العراق وفي لبنان وفي المجتمع الاثنا عشري نفسه لا تأتي المتعة إلا حالات أخرى) [1].

مقولة متعتان كانتا على عهد رسول الله

وهنا يوضّح السّيد كيف أن من يتعصّبون لموضوع زواج المتعة، ويعتبرونه أصلاً من أصول الدّين والتّشريع، دائماً ما يستشهدون بالمقولة التي رويت عن عمر بن الخطاب وتقول: (متعتان كانتا على عهد رسول الله، متعة النّكاح، ومتعة الحجّ، وأنا أحرّمهما، وأعاقب عليهما) مؤكداً أنّ هذا القول لو كان صحيحاً لكانت القضيّة ثابتة ومعروفة لدى عموم المسلمين، وسائدة في مجتمع الرّسول صلوات الله عليه وعلى آله، فيقول:

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر من دروس رمضان.

(والقضية هذه يتعصبون لها بشكل كبير، أصبحت عندهم وكأنها أصل من أصول الدين، المتعة، لكن لو فرضنا بأن القضية على ما قالوا: أن عمر قال: [متعتان كانتا على عهد رسول الله أنا أحرمهما وأعاقب عليهما: متعة النكاح ومتعة الحج] من يثبت لنا أنها كانت على عهد رسول الله؟ أليست ستكون سائدة وهناك أرامل، وهناك مهاجرون، لكانت سائدة على الأقل، لو لم تكن مشتهرة اشتهار النكاح الثابت، لكانت معروفة وليس فقط من لديه هذه لو هي قضية معروفة، أليس الزيدية نفوسهم هم من الشيعة، أليسوا من الشيعة؟ هل نقول: إنهم مشوا بعد عمر، أنهم حرموا المتعة لأجل عمر، إذا فرضنا أن الآخرين فقط من أجل عمر؟ لما كان الاثنا عشرية فقط هم المنفردون بالقول بإباحة المتعة وتشريعها كنكاح، لاحظ [حي على خير العمل] ألم يحذفها عمر؟ هل تركها الزيدية لأن عمر تركها؟ هل الزيدية مركزين على عمر، وعلى أن يسيروا بعد عمر؟ لا) [1].

وعند قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً**﴾[النساء:٢٧] يبيّن السّيد أنّ من يسعون لمنع تعدّد الزّوجات، ويفتحون أبواباً أخرى لغير الزّواج الشّرعي الثّابت هم ممّن يسعون لإمالة النّاس عن سنن الله وشرائعه، ويفتحون أبواباً أخرى للفساد واتّباع الشّهوات، فيقول: **(فهذا هو ميدان لمن يتبعون الشهوات لإمالة الناس عن سنن الله عما سنه الله لعباده سواء من يحاول أن يمنع تعدد الزوجات، أليس هذا يؤدي إلى انتشار ظاهرة الخليلات والعشيقات والعشيقين وأشياء من هذه؟ مثلما هي موجودة لديهم، إضافة إلى أشياء أخرى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً﴾**[النساء:٢٨] **هو يعلم بالإنسان يعلم بغرائزه)** [2].

ميراث المرأة

يعتبر موضوع ميراث المرأة من المواضيع المهمّة الّتي ركّز عليها القرآن الكريم، وهي وصيّة

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر من دروس رمضان.

(٢) سورة النساء الدرس السابع عشر من دروس رمضان

الله لعباده، وهي قضيّة تُظلم فيها المرأة حقيقة على يد الرّجال البعيدين عن هدى الله سبحانه وتعالى، والعصاة المعتدين، والمتعدّين لحدوده، ولأهميّة الموضوع وخطورته فقد تهدّد الله في آية المواريث التي سنمرّ بها بالخلود في نار جهنم لمن يعصي، ويخالف، ويتعدّ حدود الله، وقد قدّم السّيد الرّؤية القرآنيّة حول الموضوع، ففي سورة النّساء عند قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾[النساء:١١] يقول السّيد: **(العبارة هذه عبارة دقيقة، لاحظ لم تأت العبارة بلفظ: للمرأة كنصف ما للرجل، لم تأت بهذا الشكل للمرأة كنصف ما للرجل، هذه العبارة ما تزال أنسب ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ وسيأتي في آيات أخرى يبين أن هناك التزامات بالنسبة للذكر، من أول الإلتزامات أمام الأنثى أنه هو الذي يعطيها المهر، هو الذي يقوم بالإنفاق عليها، هو الذي يوفر لها السكن والطعام والدواء والفراش والأثاث، أليس هذا هو الشيء الذي يتكفل به الرجل؟ إضافة إلى التزامات أخرى فيما يتعلق بقضايا خارج محيط بيته كثيرة تكون مرتبطة بالرجل أكثر من الأنثى، إضافة إلى أنها جاءت بالعبارة هذه هي أرقى من كلمة رجل وامرأة ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ لماذا؟ لأنها ما تزال توحي بماذا؟ بالكيان الواحد والجنس الواحد يعني: الإنسان هو ماذا؟ عبارة عن كيان مؤلف من ذكر وأنثى)**[1].

ويضيف السيد أنّ الكثير ممّن شملهم الحديث في آية المواريث هم النّساء، ولهذا سمّيت هذه السّورة بسورة النّساء، وهذا يوحي بتركيز كبير من قبل الله على عدم ظلم المرأة، وأن يعرف الرّجل أنّ صلته بالمرأة هي صلة تكوينيّة ونفسيّة، يقول السيد: **(ثم لاحظ كيف كان الأكثر ممن ذكرهم هنا في آية المواريث هنا: نساء، الكثير من المذكورين داخل الآية هذه من الأنثى هذا يوحي بماذا؟ - ولهذا فعلا سميت: [سورة النساء] - يوحي بتركيز كبير على أن يبتعد الذكر عن ظلم المرأة وأن يعرف أن أصلهم من نفس واحدة وأن للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون)**[2].

التّعامل مع المرأة

لا بدّ أن يكون التّعامل مع المرأة بشكل عام سواء كانت أمّاً، أو أختاً، أو زوجةً، أو قريبةً،

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر من دروس رمضان.

(٢) سورة النساء الدرس السابع عشر من دروس رمضان.

أو بعيدةً، أن يكون تعاملاً قائماً على أساس الإحترام والتّقدير، وقد قدّم القرآن منظومة من الأسس والتّوجيهات الضّامنة لكرامة المرأة، وعدم ظلمها، واضطهادها، فعند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً﴾[النساء: من الآية١٩] يوضّح السّيد المسألة فيقول: **(كَرهَا: ليست قيداً، يبدو ليس قيداً؛ لأن بعض الأشياء هي تذكر حالة سائدة، أو حالة تكون غالبة في المجتمع فتكون تشنيعاً للقضية ما تقدم بشكل قيد، فتكون الآية في هذا الموضوع: أن معناه الذي كان يحصل عند العرب أنه كان يرث زوجة أبيه أو ربما زوجة أحد من أقاربه هكذا مع الميراث.**

﴿وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾[النساء: من الآية١٩] **هذا توجيه عام بالنسبة لميراث الزوجة، لا يجوز أن يرث المرأة كأي شيء من الموروثات الأخرى والعضل معناه: المنع، ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾**[النساء: من الآية١٩]**، أي فالآية تتناول موضوع المرأة بشكل عام في أنه لا تكونوا على هذا النحو: ترثوا النساء كرها، فيما يتعلق أيضاً بقضية المرأة كزوجة؛ لأن العضل هنا كأنه منعها عن شيء حتى يضطرها إلى أن يذهب ﴿بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾**[النساء:١٩] **أما أن قد يكون مثلاً المهر عندما مثلا يطلقها، ثم عندما يقرب أجل انتهاء العدة يتراجعها، أليس هنا كأنه يوقفها عن أن تسرّح سراحا جميلاً، حتى يضطرها إلى أن تفتدي نفسها، العضل يعتبرونه بشكل عام هو المنع، فيأتي أحيانا أن تمنع قريبتك أن لا تتزوج زوجها الأول الذي طلقها وانتهت العدة، أن لا ترجع له أو أن ترجع إليه في العدة ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ يفسرون الفاحشة هنا بمعنى ماذا؟ النشوز، يفسرون أن معناها: النشوز! الله أعلم، المهم في الآية هذه أنه لا يحصل ظلم للمرأة حتى تضطر أن تفتدي نفسها، تفتدي نفسها بشيء من مالها مثلا قد يكون هو مهرها، قد يكون شيء آخر مما قد آتاها الرجل)**[1].

ويؤكّد السّيد على عدم ظلم المرأة مهما كانت الوضعيّة مبيّناً أنّ عقد الزواج يعتبر ميثاقاً غليظاً بين الرّجل والمرأة يضمن لها المعاشرة والتّعامل بالمعروف أثناء الحياة الزوجيّة، ومع الطّلاق، وبعد الطّلاق، كلّها تكون إجراءات عادلة ومنصفة، وللأسف أنّ الكثير من الرّجال

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر.

يخالفون هذه الأسس والتّوجيهات القرآنيّة، ويتعدّونها، ويظلمون المرأة سواء كانوا آباءً، أو أخواناً، أو أزواجاً، وهذا يؤدّي لخلخلة المجتمع، وتدميره من الدّاخل، ويفتح ثغرة كبيرة للأعداء، ففي سورة النّساء الدّرس السابع عشر عند قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً﴾[النساء: من الآية٢٠] يوضّح السّيد أهميّة هذه التّوجيهات الإلهيّة، فيقول: **(القضية عندك فقط أنك تريد أن تبدلها فتحاول أنك تطلقها لأجل يأتي لك مرجوع من أجل تتزوج بفلانة، هذه الطريقة غير مقبولة ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾**[النساء:٢٠]. **لو قد أعطيتها قنطاراً من الذهب قالوا: إن القنطار يطلق على قنطار من الذهب في الغالب، ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾**[النساء:٢١]**، متى يحصل الميثاق المغلظ هذا؟ هل أنه يأتي عهد فيما بين الرجل والمرأة؟ لا، لكن يبدو نفس العقد القائم فيما بين الرجل والمرأة عقد النكاح أنه عبارة عن ميثاق أن يكون هناك معاشرة بالمعروف وتعامل بالمعروف؛ لأن قضية المعروف تراها أثناء المعاشرة ومع الطلاق وبعد الطلاق.**

أيضاً وقد يكون عملياً أن تكون المرأة كما قال الله هنا: ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾[النساء:٢١] **تسلِّم نفسها لزوجها، تبذل نفسها لزوجها أليس هذا يعني: لا يعد يصح فكأنه عمليا كما لو كان ميثاقا؛ لأنه لاحظ أنه في آيات أخرى أنه اعتبره ميثاقا من جانب المؤمنين عندما تكون وضعيتهم أنهم قد قبلوا حتى لو لم يقولوا: سمعنا وأطعنا، هل أحد يتذكر أن يقول: سمعنا وأطعنا حتى يكون هناك ميثاق عليه من الله ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾**[المائدة: من الآية٧] **واقعك، قبولك لهذا الشيء قد صار يعتبر موثقاً، لا يوجد أشياء أخرى غير العقد، هل هناك في النكاح إجراءات غير العقد؟ لا يوجد شيء لكن العقد بما يترتب عليه هو كميثاق، أن تكون المرأة نفسها، بذلها لنفسها لزوجها أشبه شيء بالميثاق ولهذا قال: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾**[النساء:٢١] **تبقى معك كم سنين على هذا النحو: وقد أفضى بعضكم إلى بعض ثم تقول: تريد تطلقها، قد أنت تريد تبدلها [هاتوا آخر ريال دفعت!] هنا: ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾**[النساء:٢٠].

ولاحظ على الرغم من فظاعة القضية هذه هي تبدو شبه سائدة عند أكثر الناس، يطلق لكن يريد حقه [يدفعون لي حقي وأنا أطلق] أليس هكذا بعضهم يقول؟ وقد مكثت معه كم سنين، وقد معه عليها أولاد، وقد أفضى بعضهم إلى بعض وأخذن منهم ميثاقا غليظا، وقد تكون هي المظلومة وما يزال يقول: [يدفعون لي حقي وأنا أطلق] وأيضا يعتبر نفسه بهذا منصفاً أنه غير متعنت، منصف وحقاني!! [أعطوني حقي وسأطلق مثلما دخلنا نخرج]) [1].

وهنا يوضّح السّيد مسألة مهمّة جدّاً، وهي قيّومة الرّجل على المرأة، هذه القضيّة الّتي يدور حولها كلام كثير لتشويه الإسلام، وإثارة المرأة ضدّ الرّجل، إلاّ أنّ السّيد يبيّن الرّؤية القرآنيّة مؤكّداً أنّ قيّومة الرّجل على المرأة هي التزامات ماليّة وأخلاقيّة، ومسؤولية يتحمّلها الرّجل تجاه المرأة، ويقوم بها، فعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ**﴾[النساء: من الآية٣٤] يبين السيد هذه القضية فيقول: **(لاحظ العبارات هنا أليست عبارات حكيمة فعلاً؟ ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ لا تتناول القضية هذه باعتبار يترسخ في الذهنية موضوع جنس، جنس أفضل من جنس، ليس بهذا الشكل أعني: لا تأتي العبارة بالشكل الذي يرسخ في الذهنية هذا الشيء: جنس أفضل من جنس أو عالم أفضل من عالم ليست بهذا الشكل، إنه هنا فيما يتعلق بقضايا، ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ﴾[النساء: من الآية٣٤] ألم يذكر هنا الإلتزامات المالية؟ عندما يقول هناك: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾[النساء: من الآية١١] يكون هناك التزامات مالية بالنسبة للرجل، قال في آية أخرى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[البقرة: من الآية٢٢٨] من حيث التكوين لكن لا يترسخ في الذهنية: أن المرأة ترى نفسها عالما هناك، والرجل عالما هناك، الرجال لهم درجة على النساء لكن ترى أنه منوط بهم مهام ومسئوليات والمرأة منوط بها مهام ومسئوليات، وكلها في إطار المهمة الواحدة والمسئولية الواحدة)** [2].

ويضيف السّيد عند قوله تعالى: ﴿**فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ**﴾ أنّ على المرأة أن لاّ تتأثر بالدّعايات

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر من دروس رمضان.

(٢) سورة النساء الدرس السابع عشر من دروس رمضان.

الإعلاميّة، والإثارة حول الموضوع الّتي يقدّمها الأعداء فتتنكّر المرأة لدينها، فيقول: **(خاضعات للأشياء التي هي من جهة الله سبحانه وتعالى قابلات مطيعات خاضعات لله خاشعات، إذاً فالمرأة التي تحاول تتنكر وكأن الإسلام اهتضمها وأشياء من هذه لا تعتبر قانتة، أول شيء هي فاهمة غلط، فاهمة للموضوع من أساسه غلط، متأثرة بدعاية الآخرين، الأعداء، فيما بين الرجل والمرأة يجب أن تكون هكذا: ﴿حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ تحفظ زوجها تحفظ عرضه وماله)**[1].

المرأة الصالحة

وفي سورة المائدة الدّرس الرابع يتحدّث السّيد عن المرأة والزّوجة الصّالحة الّتي تسهم مع زوجها في تحمّل المسؤولية الدّينيّة، وتكون عوناً له في القيام بواجبه، وأداء مسؤوليّاته، المرأة الصالحة الّتي تدفع بزوجها لميادين العمل والجهاد في سبيل الله، وتشجّعه، وتحفّزه، وتشدّ من أزره، يتحدّث السّيد عن هذه المرأة والزّوجة الصّالحة المؤمنة، فيقول: **(كذلك الزوجات، كذلك الأزواج ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾**[الرعد: من الآية٢٣] **تلك الزوجة التي تشد زوجها، وهو في هذه الميادين ينطلق ليعمل، تشجعه حتى لو خرج مقاتلاً في سبيل الله، لا تَبْكِي، بل تشجعه، تودعه بعبارات التشجيع، بعبارات تبقى حَيّةً في نفسه، تدفعه، تشد من أزْرِه، تلك الزوجة التي لا ترهق زوجها بتصرفاتها العشوائية داخل منزله، فتبعثر الكثير من أمواله فترهق كاهله فلا يكاد كل ما يجنيه يوفر إلا حاجات منزله لا يستطيع أن يُسْهِم في مجال الإنفاق في سبيل الله، ليكتمل له دينه من خلال صلاته وإنفاقه، تلك الزوجة التي لا تزعج زوجها وهو يفكر في ما يهم أمر الأمة، فيما يجب أن يهتم به من أمر دينه وأمته، تلك الزوجة التي لا يكون همّها أن يبقى يسامرها ساعات بعد ساعات، زوجة صالحة)**[2].

وللمرأة العظيمة دور عظيم في تربية وتنشئة الرّجال الأبطال العظماء، وكما يقال بأن وراء كلّ رجل عظيم امرأة عظيمة، المرأة العظيمة الّتي تربّي جيلاً عظيماً، لأنّها تحمّل في نفسها العزّة، والقيم، والعظمة فتسهم إسهاماً عظيماً في ميادين العمل والجهاد، يقول السيد: **(وما أعظم دور**

(١) سورة النساء الدرس السابع عشر من دروس رمضان.

(٢) سورة المائدة الدرس الرابع.

الزوجات الصالحات في الدفع بالرجال، ما أعظم إسهام - المرأة الصالحة التي تربي - في صنع الأبطال، صنع الرجال، صنع المجاهدين في سبيل الله، يقال أن الإمام الخميني (رحمة الله عليه) ذلك الرجل العظيم الذي استطاع بإيمانه وشجاعته وقوة نفسه أن يكون على هذا النحو الذي خلق فعلاً تجديداً في العالم، وخلق صحوة إسلامية، وأرعب أعداء الله، وعمل على إعادة الثقة لدى المسلمين بدينهم، يقال: أن خالته - وهي من تولت تربيته - كانت تقول له: [أنت عظيم، أنت بطل، أنت ستكون شجاعاً، أنت ستكون بطلاً، أنت ستكون عظيماً] تلقنه هذه العبارات وهو ما يزال طفلاً فنشأ فعلاً عظيماً كبيراً، نشأ فعلاً بطلاً شجاعاً مقداماً أرعب أمريكا، وأرعب دول الاستكبار كلها، وليست تلك الأم، أو تلك المربية التي همها فقط أن يسكت ابنها، فبأي عبارات مزعجة مقلقة تحاول أن تسكّته)[1].

تقع على عاتق المرأة مسؤوليّة كبيرة في صلاح واستقامة المجتمع، تلك المرأة سواءً كانت أمّاً، أو زوجةً، أو أختاً التي تربّي الرّجال العظماء والأبطال، المرأة التي تنطلق من واقع الوعي، والبصيرة، والإستشعار العالي للمسؤوليّة بكلّ صبر وشجاعة فتقدّم زوجها أو ابنها في سبيل الله بكلّ فخرٍ واعتزاز، وكما رأينا الكثير من النّساء العظيمات في هذه المسيرة القرآنيّة اللاّتي تربين على الثّقافة القرآنيّة فقدمن العديد من أزواجهنّ، وأبنائهنّ شهداء في سبيل الله، وعن هذه المرأة العظيمة يقول السيد: **(المرأة تقع عليها مسئولية كبرى جداً، وهي زوجة، وهي أم، وهي قريبة من هذا الطفل تربيه، وهي قريبة من هذا الرجل تؤيده وتدفع به وَتصبِّره وتشجِّعه، لقد بلغ الأمر بالنساء الإيرانيات أن أصبحن يفتخرن، تفتخر إحداهن بأنها أصبحت أم أربعة شهداء، وأخرى تفتخر بأنها أصبحت أم ثلاثة شهداء، وهكذا أصبحن يتفاخرن بأنهن أمهات شهداء، وزوجات شهداء)**[2].

مثل هذه المرأة الصّالحة سيكون لها الدّرجة العالية، والمكانة الرّفيعة في الجنّة عندما تلحق بزوجها، أو إنها، أو أبيها وهي على نفس ما ساروا، واستشهدوا عليه فيلحقها الله بهم فتكون

(١) سورة المائدة الدرس الرابع.

(٢) سورة المائدة الدرس الرابع.

في نفس درجة الشّهيد المجاهد، يقول السيد: **(مثل هذه الزوجة وهي في بيتها هي من سيكون لها ذلك الموقع العظيم إذا ما لحقت زوجها بإيمان وصلاح، وتقوى، أن تحظى بالقرب منه في درجته كشهيد مجاهد، وهي درجة عالية ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾**[النساء: من الآية٩٦] **فهي في بيتها تحظى بهذه المكانة)**[1].

كذلك الزوج الذي يرى زوجته الصالحة تنطلق في ميادين العمل والجهاد والوعي تقع عليه مسؤولية كبيرة فيعينها، ويشجعها، ويهتمّ بها، ويفسح لها المجال، ويخفّف عنها الأعباء والمشاغل يقول السيد: **(ذلك الزوج أيضاً الذي يرى لدى زوجته اهتماماً من خلال ما تقرأ أو تسمع مما ترك لديها عمقاً إيمانياً فأصبح لديها اهتمام بأن تُسْهِم بمالها، بأن تُسْهِمَ في مجال تربيتها لأولادها، فهي تحرص على أن ينشئوا رجالاً صالحين، رجالاً جنوداً لله، أنصاراً لله فلا يثبطها، ولا يشغلها بأعمال قد لا تكون تمس الحاجة إليها، ولا يرهقها بأعمال قد يكون في غنى عنها، فيما يتعلق بمعيشته، يفسح لها المجال)**[2].

كذلك الأسرة الصّالحة عندما ينطلق كلُّ أفرادها وأعضائها في ميدان واحد بروح تكامليّة يشدّ بعضهم بعضاً، فيتحرّكون فيما يرضي الله ويجاهدون في سبيله، ويقدّمون الشّهداء العظماء، هؤلاء يكرمهم الله، ويرفع الله درجاتهم، ويجتمعون في مكان واحد، وتلتفّ هذه الأسرة العظيمة المجاهدة بفضل الزّوج، أو الزّوجة، أو الأبّ، أو الأمّ، أو الابن فيكونون في مقام واحد عند الله في جناتٍ عدن فضلاً وكرامةً من الله، يقول السّيد عن هذه الأسرة العظيمة المؤمنة المجاهدة: **(أفراد الأسرة إذا ما انطلقوا هكذا يشد بعضهم بعضاً، فقد يحظون كلهم بالقرب بأن يصلوا إلى تلك الدرجة التي يصل إليها واحد منهم عظيم، أليست هذه نعمة عظيمة داخل الأسرة؟ بواسطة الأب قد تلتف الأسرة في جنات عدن في مقام واحد، بواسطة الابن قد تلتف الأسرة ويجتمع شملها في مكان واحد في الجنة، وقد يكون مكاناً عالياً ببركة ذلك الابن، الأسرة ببركة تلك الزوجة، ببركة ذلك الزوج، ببركة تلك الأم قد يصلون إلى تلك الدرجة، لكن فيما إذا**

(١) سورة المائدة الدرس الرابع.

(٢) سورة المائدة الدرس الرابع.

كانوا على هذا النحو يشدون بعضهم بعضاً، وفعلاً يختلف الأفراد في الأسرة أحياناً باعتبار واقع عملهم فيكون بعضهم له دور كبير يحظى بمكانة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى، فتكرم كل أفراد الأسرة من أجله، فتصل إلى تلك الدرجة العظيمة التي وصل إليها؛ لأنها كانت تشجعه، كانت تؤيده، كانت تقف معه)[1].

خطورة فساد المرأة

كما أنّ لصلاح واستقامة المرأة دوراً كبيراً في صلاح واستقامة المجتمع، كذلك لفساد المرأة خطورة كبيرة على المجتمع وعلى الأسر، وهذا ما يركّز عليه الأمريكيّون والإسرائيليّون، يقول السّيد: **(الآن فسادك يحولك إلى جندي تخدم إسرائيل، ومصالح إسرائيل، زوجتك، بنتك تتحول نفس الشيء بإفسادها إلى امرأة تخدم بفسادها النفسي إسرائيل؛ لأن هذه المرأة عندما تفسد في يوم من الأيام وأنت ابنها تنطلق تريد أن تعمل عمل معيّن، أو تقول كلمة قاسيه، ستأتي تقول: بطّل ما لك حاجه.... تُهدِّئ أعصابك، وتحاول تشكل من نفسها عائقاً أمامك سواء زوجتك أو أمك أو أي واحدة من أقاربك، كذلك أولادك)**[2].

وعن خطورة التّعليم والتّثقيف الذي تتلقاه المرأة من مختلف الوسائل والمناهج الّتي يديرها ويرعاها الغرب واليهود، يؤكّد السّيد أنّها بالشّكل الذي يفسد المرأة ويضلّها، فتتحرّك هي لإفساد المجتمعات والأسر، يقول السّيد: **(لولا أن [اليهود] واثقون بأن التعليم الذي تتقبله [المرأة] من هنا وهناك، من داخل المناهج، ومن وسائل الإعلام، ومن الثقافة العامة، من هنا وهناك، لولا أنه بالشكل الذي يجعل المرأة كما يريدون هم لما انطلقوا، ولما بذلوا أموالهم، ولما ألحوا علينا أن نعلمها، إذاً هم واثقون بأن ما بين أيدينا مما يعطي العلم والمعرفة من مختلف القنوات هو بالشكل الذي يجعلنا نحن ونساءنا كما يريدون، وما معنى كما يريدون؟ هل أنهم يريدون لنا أن نكون أمة عظيمة، أمة قوية، أمة مهتدية، أمة تبني نفسها؟ لا، هم يريدون أن نكون أمة ضائعة، أمة مدجّنة**

(١) سورة المائدة الدرس الرابع.
(٢) محاضرة الموالاة والمعاداة.

لهم، أن تكون المرأة نفسها وهي تتعلم، وتتعلم من التلفزيون، ومن المنهج، ومن الندوات الثقافية، من مختلف الوسائل، من المجلات، من الصحف، تتعلم كيف تصبح في الأخير امرأة بعيدة عن أن تنجب عربياً مسلماً، بعيدة عن أن تنجب وتربي أبطالاً مسلمين، بل ستربي جنوداً صهاينة، وتنجب مجتمعاً وأجيالاً يتحولون إلى خدام لهم)[1].

وهنا يؤكّد السّيد في محاضرة (من نحن ومن هم) على ضرورة أن تعرف المرأة مخطّطات ومؤامرات الأعداء الذين يسعون بكلّ الوسائل المتعدّدة إعلاميّاً، وثقافيّاً، وأخلاقيّاً، واجتماعياً لإفسادها، ومسخ هويّتها وقيمها فتنجرّ وراء ما يقدّمونه لها من نماذج فاسدة لتقلدهنّ، وتتخلّق بأخلاقهنّ، وعاداتهنّ، وتقاليدهنّ باسم العلم، والمعرفة، والتحضّر فتكون المرأة وسيلة من وسائل الفساد بأيديهم، فتنطلق لتفسد أبناءها، وأسرها، ومجتمعها، يقول السيد: **(لكن ما هو غائب في الساحة هو هذا: أننا لا نعرف من نحن، ولا نعرف من هم، من هم أولئك الذين ينادون بالتعليم: تعلموا، تتعلم المرأة، يريدون للمرأة أن تصبح وسيلة لإفساد الرجل، إضافة إلى كونها وسيلة لإفساد أبنائها، امرأة تظهر وهي تلهث وراء أن تقلد كل مظهر مهما كان منحطاً، يأتي من جانب أولئك؛ لأنها ستتعلم بالشكل الذي تصبح فيه تكبّر أولئك، وتعظم أولئك، وتنبهر بهم، أي امرأة تراها تقلدها، تقص شعرها تقص شعرها، تطول أظافيرها تطول أظافيرها، تتبرج، تتبرج مثلها، هذا هو ما يحصل فعلاً، وليست المسألة فقط هي قضية مناهج علمية، المرأة تتلقى التعليم من مختلف الجهات، من وسائل الإعلام، عن طريق المسلسلات، يترسخ في ذهنيتها الإعجاب بمظهر معين، متى ما أرادت أن ترفع نفسها نحو أن تشعر بأنها تريد أن تتحضر، أو أنها أصبحت متحضرة، يعني أن تكون على هذا النحو الذي شاهدت عليه الممثلة الفلانية، أو المغنية الفلانية، أو الراقصة الفلانية، التي أصبحت تعجب بمظهرها.**

ألم تصبح النساء في بلادنا يتسابقن على تسمية البنات بأسماء الممثلات؟ يحصل هذا بل أصبحت بعض النساء يسمين بناتهن باسم المرأة اليمنية التي تخرج في برنامج [المضمار])[2].

---

(١) محاضرة من نحن ومن هم.

(٢) محاضرة من نحن ومن هم.

اليهود يعملون على إفساد المرأة

يعمل اليهود جاهدين على إفساد المرأة، ونشر الفساد الأخلاقي والقيمي عبر كلّ الوسائل، فيسلخون المرأة عن هوّيتها الإسلامية، ويبعدونها عن دينها وقيمها، ويسعون لتفسّخها وتبرّجها، يقول السّيد: **(هم من يعملون على نشر الفساد الأخلاقي في مختلف البلاد العربية، هم من دفعوا المرأة المسلمة، المرأة المحتشمة، المرأة التي يلزمها دينها وقيمها العربية أن تكون متأدبة ومحتشمة، هي من أصبحت الآن تتبرج، هي من أصبحت الآن تكشف شعرها وبدنها، هي من أصبحت الآن تزاحم الرجل في جميع مناحي الحياة بحجة مشاركتها في المجال السياسي.**

الآن في اليمن يطعِّمون المكاتب بالنساء، هنا مدير وهنا سكرتيرة لتكون أجواء المكتب لطيفة، لتكون أجواء المكتب كلها أجواء حب .. ومتى سينصح هؤلاء لشعبهم وأجواء مكاتبهم كلها حب؟ يسرح الموظف من بيته وهو يحاول كيف يكون شكله مقبولاً أمام الموظفة، أمام السكرتيرة، أو أمام امرأة أخرى تشاركه في مكتبه، الآن يعملون على أن تشارك المرأة الرجل في المكاتب، في الدوائر الحكومية، ويعتبرون أن هذه هي المشاركة الحقيقية للمرأة في الحياة)[1].

وهنا يبيّن السّيد أنّ المشاركة الحقيقيّة للرّجل هي المشاركة التي تقوم بها المرأة وهي تهتمّ بأمورها المنزليّة، والمعيشيّة، والتنمويّة كما هو الحال لدينا في أرياف اليمن في مواجهة الظّروف المعيشيّة الصّعبة التي فرضها علينا أعداؤنا فتعمل جاهدة في المجال الزّراعي، وتحقيق الإكتفاء الذّاتي للأسرة، يقول السيد: **(تلك المشاركة التي تقوم بها المرأة في الريف، هي من تربي الأبقار، وتربي الأغنام، هي من توفر على أسرتها كثيراً من الأشياء التي يحتاج رب الأسرة إلى دفع فلوس كثيرة في توفيرها، هي تربي الأبقار، وتربي الأغنام، هي توفر الحطب، هي توفر الماء، هي تعمل جاهدةً في المجال الزراعي .. أليست هذه هي مشاركة حقيقية في التنمية؟. مشاركة تجعل الأسرة كلها تتحمل جميعاً أعباء الحياة، تلك الأعباء التي فرضها علينا هؤلاء، هذه الحياة التي أصبحت صعبة.. هذه لم يعترفوا بأنها مشاركة بل يصنفونها بأنها ظلم، وأنها امتهان للمرأة!. من أين جاء هذا التقييم؟ من أين جاء؟.**

(١) محاضرة لتحذن حذو بني إسرائيل.

يقال أن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) **قضى على فاطمة الزهراء بأعمال منزلية، وأعمال ترتبط بالمنزل، وعلى الإمام علي بأعمال خارج المنزل.. وهكذا المرأة في اليمن تشارك الرجل في جميع مناحي الحياة، لكن هذه التي هي مشاركة حقيقية، ويلمس الجميع أن زوجاتهم وبناتهم وأخواتهم يساعدنهم مساعدة كبيرة على تحمل أعباء الحياة، هذه تصنف عند أعدائنا بأنها امتهان للمرأة!. لا، المشاركة الحقيقة هي أن تكشف نفسها ووجهها، وتزاحم الرجل هذه هي التنمية أن تزاحم الرجل في المكاتب، أن تزاحم الرجل في محطات التلفزيون، أن تزاحم الرجل في كل مناحي الأعمال الأخرى.. لا حاجة إلى هذه؛ لأن هذه ليست مشاركة حقيقية)**[1].

ويشيد السّيد بهذا الدّور العظيم للمرأة، وهي تعمل مع زوجها، وأسرتها في تحمّل أعباء الحياة، ومواجهة ظروف المعيشة الاقتصادية الصّعبة، فتجلب لأسرتها الماء والحطب، وتعمل في المجال الزّراعي، وتربية المواشي مؤكداً أنّها تقدّم للشّعب من الخدمات الجليلة أكثر مما تقدّمه لهم الحكومات والأنظمة، ويدعو السّيد إلى توفير التّشجيع اللازم للمرأة، وهي تقوم بهذا الدّور العظيم، فيقول: **(إن الذي يجب عليكم هو أن تشجعوا المرأة، هو أن تعملوا على تشجيعها، وأن تساعدوها وهي التي تعمل في مجال الزراعة، وتعمل في مجال تنمية المواشي، وهي التي تساعد رب أسرتها، تساعد زوجها، وتساعد قريبها مساعدة كبيرة، إنها تخدم الشعب أكثر منكم .. أين هي مشاريع المياه؟ هل هناك مشاريع مياه؟ من الذي يوفر المياه لنا؟ أليست هي النساء توفر المياه؟ إن النساء ينفعننا أكثر من ما تنفعنا الحكومة، إن النساء يقدمن خدمات للمجتمع أكثر مما تقدمه الحكومة.**

أنتم تريدون أن تقولوا لهذه النساء: أن هذا امتهان، وأنه يجب أن تترك كل هذه الأعمال وتنطلق لتزاحم الرجل في المكتب فتخرج زوجتك، وتخرج بنتك لتعمل ساعات داخل مكتب مع شخص آخر، أيّ أجواء ستسود هذا المكتب ؟ اقرؤوا إحصائيات عما يحصل في أجواء كهذه في بلدان أوربا.. إحصائيات عن النساء كم من النساء – كما يقال بعبارتهم – يُغتصبن ممن يشاركن الرجل في أعماله في المكتب، من قِبَل مدراء المكاتب، من قبل مشاركين في هذه المكاتب، يجلسون سوياً هم وتلك

(١) محاضرة لتحذن حذو بني إسرائيل.

النساء في مكتب واحد كم يحصل من جرائم؟.

إحصائيات نشرتها بعض الصحف تذكر كم يحصل من جرائم بسبب مشاركة المرأة للرجل في الأعمال داخل المكاتب، في الدوائر الحكومية، وفي مختلف منشآت القطاع الخاص.. ونحن أيضاً نسلم بهذا، ألسنا تنطلي علينا هذه المسألة، وعلى نسائنا؟ أن يقال: هذا امتهان للمرأة، أن تحمل المرأة الماء، أو تحمل الحطب)[1].

ويحذّر السّيد من خطورة الغزو الفكريّ، والثّقافيّ، والأخلاقيّ الّذي يستهدف مجتمعاتنا من قبل الغرب واليهود، الذين يعملون على إفسادنا وإضلالنا، ويسعون في الأرض فساداً كما حكى الله عنهم في القرآن الكريم، متسائلاً من أين جاء هذا الفساد، والتبرّج، والفجور الذي يغزو المرأة بوتيرة عالية؟ التحرّك الذي يقوم على إفساد المرأة وضرب نفسيتها، وقيمها، وأخلاقها فتتحوّل إلى امرأة منحطّة وهابطة حتّى أصبحنا في بعض المجتمعات لا نستطيع أن نفرّق بين المرأة المسلمة، والمرأة اليهوديّة، أو الغربيّة، يقول السيد: **(المرأة التي أصبحت متبرجة .. من أين جاء هذا؟ هل القرآن هو الذي قال لها؟ أم القرآن هو الذي أمر رسول الله** (صلوات الله عليه وعلى آله) **أن يأمر نساءه وبناته ونساء المؤمنين أن يدنين عليهن من جلابيبهن، وأن يضربن بخُمُرهن على جيوبهن، وأمرهن بأن يحفظن فروجهن، وأن يغضضن النظر عن الرجال الأجانب، أليس هذا هو منطق القرآن؟ من أين جاء التبرج؟ من أين جاء السفور؟ ألم يأت من عند من يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل؟ أولم نضل؟ هنا في اليمن كل سنة هي أسوأ من السنة التي قبلها؛ لأن هناك من يعمل جاهداً من أولئك الذين يريدون أن تضلوا السبيل، يعملون على أن تخرج المرأة اليمنية متبرجة مكشوفة، وهي الآن من تحاول على أن ترفع ثوبها قليلاً قليلاً، لتبدو أقدامها، ثم ليبدو ساقها، وتعمل على أن تكشف جزءاً من شعرها قليلاً قليلاً، وتكشف يديها قليلا قليلا.. وكل سنة نلحظ من المشهد العام في صنعاء أنها أسوأ في هذا المجال من السنة الماضية، هناك عمل هناك عمل ممن يريدون أن نضل السبيل، يريدون أن تصبح نساؤنا كالنساء التي**

(١) محاضرة لتحذن حذو بني اسرائيل.

نراهن في التلفزيون في مختلف بقاع العالم، سافر إلى القاهرة، أو إلى عمّان، أو إلى دمشق، أو إلى بغداد، أو إلى أي بلد عربي إسلامي تجد المرأة العربية المسلمة لا تفرق بين مظهرها وشكلها وبين المرأة الأوربية المسيحية أو اليهودية، حتى النساء في فلسطين وفي (البوسنة) ترى المرأة التي تصرخ وتبكي على ابنها وهو قتيل، أو جريح، أو تبكي على بيتها وهو مهدم على أيدي اليهود هي في شكلها لا تختلف عن أم ذلك اليهودي، عن زوجة ذلك اليهودي الذي هدّم بيتها وقتل ابنها)[1].

ويؤكّد السّيد أنّ اليهود والغرب يركّزون على نشر الفساد الأخلاقيّ في أوساط النّساء، لأنّهم يعتقدون أنّ من السّهل فساد المرأة، وإذا فسدت فهي من ستنطلق لإفساد الرّجل والمجتمعات، ويحذّر السّيد من خطورة الفساد الأخلاقي الذي يأتينا عبر الغزو الإعلاميّ والثّقافيّ، مبيّناً خطورة ما تقدّمة تلك المسلسلات التي تسمّى بالمسلسلات العربيّة فيقدّمون فيها المرأة العربيّة الّتي لا يزال زيّها زيّاً عربيّاً محتشماً عبارة عن خادمة، أو فرّاشة، أو بوّابة، ويقدّمون المرأة التي هي بطلة ذلك المسلسل، وصاحبة الدّور المهمّ فيه بشكل مفضوح، وخليع، ومتبرّج ليرسخوا في نفوس النّساء أنّ المرأة المحجّبة والمحتشمة ما هي إلاّ خادمة ممتهنة ليرّسخوا في نفس المرأة المشاهدة أنّ التّحضّر، والتّطوّر، والتقدّم، هو في التبرّج، والتفسّخ، والسّفور، يقول السيد: **(وهم يعلمون أن التركيز على الجانب الأخلاقي الذي وسيلته المرأة، المرأة هي وسيلة سهلة، سهل إفسادها، وعظيم جداً إفسادها أيضاً، إنها تفسد بسهولة، وهي من تفسد الرجل بسهولة أيضاً.. يركزون على المرأة لتفسد في نفسها من خلال ما تشاهد، وهم من حتى يقدمون في المسلسلات العربية – التي يسمونها عربية – يقدمون المرأة التي زيها مازال زياً عربياً هي الشغالة، وهي الخادمة، ألسنا نشاهد هذا في المسلسلات المصرية؟ المرأة التي دورها شغالة، أو خادمة، أو بوابة عملها عمل ممتهن، أليست هي تبدو بالشكل العربي وبزيها العربي؟ لكن المرأة ذات الدور المهم داخل المسلسل، بطلة تلك القصة هي من تبدو مشبهة تماماً للمرأة الأوربية؛ لنقول: هكذا هو التحضر، لا يليق بها حتى ولا أن تمثل دوراً لائقاً إلا وهي بزي المرأة الأوربية، الزي المفضوح، الزي الذي يفسد كل من يشاهده، ويرسخ في أذهان نسائنا أن تلك النساء اللاتي ما يزلن محافظات على زيهن العربي، على حجابهن الإسلامي ها هن منحطات، إنما هن فرّاشات ويقمن بدور الفرّاشة، بدور الخادمة، بدور الطباخة في هذا المسلسل الذي يسمونه أيضاً [المسلسل العربي]، والذي يقول مخرجوه: أنه من أجل معالجة مشكلات اجتماعية، أليس هذا هو من**

(١) محاضرة لتحذن حذو بني اسرائيل.

يصنع مشكلات اجتماعية؟ أليس هذا هو من يخدم أعداء الله؟ أليس هذا هو من يساعد المرأة، من يدفع بالمرأة التي تشاهد إلى أن تتبرج؟ هل نحن نرى النساء يقلدن من يشاهدنه من النساء داخل تلك المسلسلات ممن لا يزلن يحملن الزي العربي؟ أم أنهن ينطلقن لتقليد تلك النساء التي يتبرجن؟ من يقلدن؟ هي لا تنشد لتقليد تلك المرأة؛ لأن دورها في المسلسل قُدم دور ممتهن إذاً فهذا اقترن الزي بالدور، اقترن الزي العربي الزي الإسلامي بالدور الممتهن للمرأة داخل المسلسل، من أجل المرأة العربية التي تشاهد المسلسل لا تنشد لتقليد هذه المرأة وإنما تنشد لتقليد تلك المتبرجة السافرة؛ لأن دورها في المسلسل هو دور البطلة، هو دور الممثلة الكبيرة، أليس هذا إضلال؟ ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾)[1].

موضوع تحديد النّسل

يعتبر موضوع تحديد النّسل من المواضيع المهمّة والخطيرة الّتي غزانا إليها الغرب واليهود، وأصبح وللأسف الشّديد الكثير من الرّجال والنّساء ينطلقون فيه، ويعمل به الكثير من الأطباء، وهو من المواضيع التي استهدفنا بها لأهداف خطيرة وشريرة كما سبق وبيّناه، لذا على الرّجال والنّساء التّنبّه لخطورة المسألة، وعدم التّسابق إليها، وهنا يقدّم السّيد الرّؤية القرآنيّة حول الموضوع مبيناً أنّ الله جعل لدى المرأة قابليّة، وطاقة على الحمل والإنجاب، فيقول: **(إذاً قضية تحديد النسل ليست قضية صحيحة أن يتسابق الناس إليها نهائياً إلا في حالة واحدة عندما تكون المرأة نفسها حالتها الصحية تستدعي بأنها تتوقف عن الحمل وإلا فالباري سبحانه وتعالى جعل مسألة الحمل والولادة قضية مقبولة عند المرأة وفي طاقتها، قضية مقبولة فقط يكون هناك حرص على صحتها، على صحة المرأة نفسها عندما يكون واحد زوجته صحتها جيدة ويحاول يوقفها حتى لا تنجب على أساس أن عنده [لا نريد أولاد.. لا نريد أولاد]، هو في نفس الوقت يكشف أن ما عنده اهتمام، عندما تكون أنت معلماً ألست تفرح بواحد من الناس؟ تفرح بواحد من الطلاب، بواحد؟ إذاً يمكن أن يكون منك واحد، إثنين، ثلاثة، أربعة، خمسة إلى عشرة، أليست نعمة يتوجهون لك، ويتربون على يدك، والباري هو المتضمن برزق الناس إذا التجاء الناس إليه، وتوكلوا عليه هو يوفر أرزاقهم ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾**[الطلاق: ٢-٣].

(١) محاضرة لتحذن حذو بني إسرائيل.

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ هي مثل: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾. ما هناك التقوى، نص تقوى، وربع تقوى، وربع استجابة، هذه لا تنفق)[1].

الرؤية القرآنيّة حول الطّلاق

يعتبر موضوع الطّلاق من المواضيع المهمّة الّتي جعل الله لها ضوابط وإجراءات معيّنة بالشّكل الّذي يحافظ على مشاعر ونفسيّة المرأة بحيث لا تظلم ولا تقهر، وفي موضوع الطّلاق يتصرّف الكثير من النّاس بطريقة خاطئة ومخالفة للمنهجيّة والرّؤية القرآنيّة، وقد قدّم السّيد الرّؤية القرآنيّة حول الموضوع ففي سورة البقرة الدّرس العاشر من دروس رمضان يبيّن السّيد أنّ الطلاق ليس عبارة عن عمليّة طرد للمرأة، كما يعمل الكثير، وللأسف الشّديد، بل هو يمثّل عملية حلّ وانفصال بمعروف واحترام حتّى لا تظلم المرأة عندما تصبح الحياة الزوجيّة غير قابلة للبقاء والاستمرار، فيأتي الطّلاق في أجواء طبيعيّة وعاديّة يقول السّيد: **(كذلك موضوع المطلقات، والطلاق هنا قدم بضوابط هامة يجب على الناس أن يراعوها فعلاً بالنسبة للطلاق، لا يجعل الإنسان الطلاق أيضاً قضية عندما يغضب، وعندما ينفعل يطلق فيكون هو سريع في هذا. لا. الطلاق له ضوابط، والطلاق يتم بطريقة أيضاً فيها مراعاة لمشاعر المرأة نفسها، ولهذا أوجب المتاع، أو المتعة.**

المرأة التي تطلقها يجب عليك أن تعطيها تمتعها بشيء، تعطيها مثلاً بذلة، أو تعطيها شيء من أثاث البيت الذي كان موجوداً لا تتم عملية الطلاق وكأنها طرد، تطرد إمرأة وقد جلست معها سنين، وتمثل سكناً لك ولباساً لك، كما قال الله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾[البقرة: من الآية١٨٧]**. ثم في يوم من الأيام تطردها الطلاق لا يمثل بالنسبة للمرأة عملية طرد، هو يمثل عملية إنفصال، عندما تكون الحالة غير قابلة للبقاء مع بعض، لم يعد هناك وضعية منسجمة فيما بينهم، عملية انفصال باحترام، انفصال بهدوء، انفصال لا يجرح مشاعر المرأة نفسها، ولهذا ذكر فيما يتعلق بالطلاق ﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ﴾ أول شيء في البداية قال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾**[البقرة: من الآية٢٢٨] **﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾**[البقرة: من الآية٢٢٩] **لا تصبح المرأة محط تلاعب للرجل، لا يكن هناك نهاية للطلاق، يكن يطلق ثم يتراجع، وجلس**

(١) سورة البقرة الدرس التاسع من دروس رمضان.

فترة وطلق وتراجع، وطلق وتراجع، لا. يوجد فقط مرتان الذي يمكن فيها مراجعة، المرة الثالثة لا تعد تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[البقرة: من الآية٢٢٩]. **الآية توحي بأن المفترض أن يكون الطلاق على هذا النحو - يوجد حالة أخرى هي تعتبر حالة نادرة - أعني: أن يكون الطلاق على هذا النحو الذي يمكن فيها مراجعة، أعني ما زالت تعتبر في ملكه - على ما نقول - حال العدة في الطلاق الرجعي يمكن للإنسان يتراجعها، فالطلاق عندما يكون على هذا النحو، العدة هي أشهر معينة، قروء معينة، ثلاث حيضات، فأثنائها..أثناء العدة هذه إلى قرب نهايتها، له أن يمسكها لكن إمساك بمعروف، وليس إمساك مضارة، أو تسريح بإحسان، يترك العدة تنتهي، وتسريح لها بإحسان، لاحظ هنا كيف العبارة ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾**[البقرة: من الآية٢٢٩]. **يعني: ليس الطلاق يمثل عملية طرد للمرأة وقهر لنفسيتها)**[1].

ويوضّح السيد الحدود والضّوابط التي يأمر بها الله في عملية الطلاق وحالاته، وكيف يكون تعامل الرجل، وكيف يكون تعامل المرأة مع موضوع الطلاق في ظلّ هذه الضوابط والإجراءات فيقول عند هذه الآية: (**﴿وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً﴾**[البقرة: من الآية٢٢٩] **يريد واحد يسترجع المهر، أو يريد يسترجع بعض الذي خسره في وليمة العرس ﴿وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً﴾**[البقرة: من الآية٢٢٩] **أو شيئاً اشتريته أنت لها وهي في بيتك، شيء من كسوتها، أو شيء من حليها، أو أشياء من هذه باعتبار لها أو شيء تجعله لها.**

﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾[البقرة: من الآية٢٢٩) **عندما تصبح المسألة عملية إفتداء من جانب المرأة بأن تتخلص من هذا الرجل الذي عشرته سيئة، أصبحت كارهة له فلا بأس، لكن ما تعني المسألة: أنه بالنسبة للرجل يعتبر حلالاً، قد صار حلالاً له، إلا أن المسألة تجوز بالنسبة للمرأة وإلا فالمفترض أنه يتقيد بالطريقة الأولى ﴿وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً﴾**[البقرة: من الآية٢٢٩]. **﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾**[البقرة: من الآية٢٢٩] **في عملية هي ليتحقق الإنفصال فيما**

(١) سورة البقرة الدرس العاشر من دروس رمضان..

بينهم)[1].

وعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[البقرة: من الآية٢٢٩] يبيّن السّيد الطريقة والوضعيّة الصحيحة الّتي يتمّ فيها الطّلاق، وأن لاّ يتجاوز النّاس حدود الله، وحدود التّربيّة والرّؤية القرآنيّة، فيقول: **(فهو يذكر فيما يتعلق بالطلاق، فيما يتعلق بالعدة، فيما يتعلق بالعشرة يسميها حدوداً لا يجوز للناس أن يعتدوها، ولا أن يسير الناس وراء عبارات الفقهاء في كثير من التفريعات التي لا تكون منسجمة مع القرآن الكريم، الأساس هو القرآن ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**[البقرة: من الآية٢٢٩] **يعني: ما ينبغي للإنسان أن يطلق زوجته إلا على الطريقة هذه، يطلقها الطلاق الشرعي، تكون مستقبلة لعدتها يعني: يطلقها في طهر لا وطء فيه، لا يكون قد جامعها، إذا قد أراد أن يطلقها، يطلقها في وضعية يكون القرار من عنده قراراً في وضعية طبيعية لا يكون حالة غضب، أو أشياء من هذه)**[2].

وهنا يؤكّد السّيد على ضرورة الإلتزام بالضّوابط والحدود الّتي حدّدها الله في القرآن الكريم، حتّى لا تظلم المرأة سواءً من قبل وليّ أمرها، أو من قبل زوجها، مبيّناً أنّ للمرأة المطلّقة متاعاً بالمعروف حقّاً على المتّقين، كما وضّح القرآن الكريم، يقول السيد: **(أن يترك الناس العادة هذه، هذه العادة أصبحت شبه سائدة بين الناس أن يأخذ الذي يسمونه: [مرجوع، مرجوع] هكذا على طول، هذه الطريقة ليست صحيحة وأحياناً قد تكون من الأشياء التي تؤدي إلى ارتفاع المهر، ارتفاع المهر عندما يكون الولي هو الذي يأخذ المهر هو، وإذا المرأة تُظلم لا يحصل لها شيء من المهر، وتبقى في بيت الزوج سنين، وفي الأخير يطلقها، ويحتاج الزوج يسترد، لا يتسلم لها مهر، ولا تعطى شيئاً، لا يصل إلى يديها شيء، تطرد من البيت حتى أنه لا تأتى المتعة هذه، المتعة قد نسيها الناس بسبب بعض التفريعات الفقهية، ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾**[البقرة:٢٤١] **بعدما ذكر المطلقات، وأنواع المطلقات يأتي في الأخير بهذه الآية ﴿حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾**[البقرة: من الآية٢٤١]**. متعة معناها: أن تعطيها شيئاً، تمتعها بشيء، حتى لا تبدو العملية وكأنها عملية طرد، عملية نفي،**

(١) سورة البقرة الدرس العاشر.

(٢) سورة البقرة الدرس العاشر.

يعطيها بذلة، أو يعطيها مبلغاً من الفلوس. ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾[البقرة: من الآية٢٣٠] **بعدما قال هناك:** ﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[البقرة: من الآية٢٢٩]. ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾[البقرة: من الآية٢٣٠]. **أي تنظم عشرتهم فيما بينهم** ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[البقرة: من الآية٢٢٨] ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة: من الآية٢٣٠]. **يفهمونها، وفي نفس الوقت يعلمون أهميتها، ويعلمون أثرها فيما يتعلق بالمجتمع، فيما يتعلق بالأسر، في موضوع الطلاق يأتي بكثير من الآيات هذه، هنا يقول:** ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[البقرة: من الآية٢٢٩]. ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة: من الآية٢٣٠]. **وبعد يقول:** ﴿وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً﴾[البقرة: من الآية٢٣١]. **لأنها قضايا مؤكدة، وضوابط يجب الإلتزام بها)**[1].

وعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: من الآية٢٣١] **يبيّن السيد حالات الطلاق، والأجواء، والظروف التي يكون فيها الطلّاق قائماً على الإحسان والمعروف، مؤكداً على أنّ موضوع الطلاق من المواضيع التي حصلت فيها تأكيدات كثيرة في القرآن الكريم، لأنّها قضية لها علاقة بموضوع الدّين بكلّه يقول السيد: (كم يوجد من تأكيدات في هذه، عندما يحصل طلاق للمرأة قاربت في انتهاء العدة** ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾[البقرة: من الآية٢٣١] **أشرفت على نهاية العدة، يبين لك القضية هنا داخلها** ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾[البقرة: من الآية٢٣١]. **أليست هذه الآيات توحي بأن الطلاق يجب أن يكون رجعياً؟ أو ينبغي أن يكون رجعياً؟ على هذا النحو:** ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا﴾[البقرة: من الآية٢٣١]). **لاحظ أهمية التوجيهات الإلهية هذه، ولأن القرآن نزله الذي يعلم السر في السموات والأرض، وأن كل قضية يكون لها علاقة بموضوع الدين بشكل عام، موضوع الطلاق مثلاً أليس يأتي أحياناً من بعض المجتمعات، خاصة المجتمعات الغربية محاولة أنه لماذا المرأة لا يكون لها الحق**

(١) سورة البقرة الدرس العاشر.

في أن تطلق؟ هذا عندما يفهم الطلاق عملية نفي، عملية طرد، أما عندما يتم الطلاق على هذه الطريقة الصحيحة، الطريقة القرآنية فمعنى هذا بأنه لا تعتبر مشكلة: أن يكون من جهة الرجل العبارات التي تعني ماذا؟ إصدار الطلاق لأنه يتم في أجواء بإحسان، بمعروف، ورعاية ومتعة، ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾[البقرة: من الآية٢٣٦]**. مثلما قال في الآية الأخرى أعني: لا حظ بأن هذه القضية تبدو أنها قضية سهلة، عملية انفصال زوجين، إمرأة ورجل أليست تبدو وكأنها قضية عادية؟ قضية لها علاقة بالدين، عندما تقدم بطريقة غير صحيحة، وعندما تكون عبارات المفرعين من الفقهاء تقدم جافة، ويلاحظ لك فقط العقود، ما هي العبارات التي يتم بها الطلاق؟! ولم يعودوا يلاحظون أشياء من هذه التي هي هامة جداً، أعني: من أهميتها في الزمن هذا بالذات أنه عندما يكون الناس فاهمين، الرجل والمرأة فاهمان أن الطلاق يجب أن يتم على هذه الطريقة، وأن يتم في أجواء فيها معروف وإحسان، معنى هذا أنه لا يعتبر الطلاق عملية تستخدم للتشنيع على هذا الحكم الإلهي في دين الله، في الإسلام)**[1].

يؤكّد السّيد أنّ موضوع الطّلاق موضوع مهمّ جدّاً، ومن القضايا الّتي لها علاقة بالدّين والإسلام، وعندما قُدّم الطّلاق من قبل النّاس، وكأنّه عمليّة طرد للمرأة بسبب الجهالات الّتي يقع فيها الكثير من النّاس، ولهذا يحاول الغربيّون أن يشنّعوا على الإسلام في موضوع الطّلاق، ويشوّهون الإسلام، ويستهدفونه، يقول السيد: **(الغربيون يشنعون بها، يعتبرون وكأنه لماذا الرجل له حق أنه يصدر عبارة وتفصل المرأة، طردها وهي لا تمتلك شيئاً. لا. لاحظ هذه الأجواء كلها تجعل عملية الطلاق طبيعية جداً، لا تعد تعتبر عملية طرد، عملية نفي، أن تصدر الكلمة من الرجل لا تعد تمثل شيئاً اختص بها الرجل دون المرأة في الواقع اختص به وكأن له حق أن يطردها وليس لها حق أن تطرده، هذه القضية هامة، ولهذا أكدها من أول الآيات ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾**[البقرة: من الآية٢٢٩].

ثم يذكر بعد: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾[البقرة: من الآية٢٣١] **فإن تراجعتها فلا تتراجعها من أجل أنك تضارها، بل على أساس أنك تتعامل معها تعاملاً جيداً وتعاشرها عشرة جيدة، ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾**[البقرة: من الآية٢٣١]**. فعندما يقول: ﴿وَلا**

(١) سورة البقرة الدرس العاشر من دروس رمضان.

تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً﴾[البقرة: من الآية٢٣١]. **﴿وتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا﴾. أي أن هذه تبين لك أنها قضية هامة، والقضايا الهامة معناها: أنه يكون لها علاقة بأشياء أخرى كثيرة، أعني فعلاً الآن تلاحظ عملية الطلاق من الأشياء التي يشنعون بها على هذا الدين لماذا أنه في الإسلام طلاق؟ عندما فهموا الطلاق وكأنها عملية طرد)**[1].

وعند قوله سبحانه وتعالى: **﴿وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾**[البقرة: من الآية٢٣١] يؤكّد السّيد على أهمية وضرورة التقيّد بهذه التّوجيهات والرّؤية القرآنيّة في التّعامل مع موضوع الطّلاق، الّتي تمثّل التّصرفات الحكيمة الّتي لا يظلم فيها النّاس، ولا يستطيع الأعداء أن يجعلوا منها مادةً للهجوم على الإسلام، وخاصةً في زماننا هذا، يقول السيد: **(تصرفات حكيمة هذه، تصرفات حكيمة وجه الناس إليها في عملية انفصال الرجل والمرأة، ﴿يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**[البقرة: من الآية٢٣١] **أعني: أليس هذا تأكيداً هاماً؟ يدل على أن المسألة هذه لها علاقة بأشياء كثيرة؟ فنرى في زماننا هذا وإذا لها علاقة بموضوع الدين بكله أن تقديمها بالشكل غير المناسب، جعل الآخرين يستخدمونها دعاية يشنعون بها على الإسلام، مع أنها قضية هامة أن يكون بإمكان الزوجين عندما يرون بأنه لم يعد هناك رغبة لبعضهم بعض، ولم يعد هناك إمكانية لعشرة جيدة فيما بينهم فهناك عملية انفصال فهي تعتبر رحمة، تعتبر نعمة من الله أنه يسمح بهذا، لكن يجب أن تتم في أجواء من هذه التي ذكرها: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾**[البقرة: من الآية٢٢٩])**[2].

وعند قوله سبحانه وتعالى: **﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾**[البقرة: من الآية٢٣٢] يؤكّد السّيد أنّ القرآن الكريم يقدّم منهجيّة، ورؤية للنّاس جميعاً في الموضوع لوليّ المرأة، وللمرأة نفسها، وللرّجل، يقول السّيد: **(جعل الله سبحانه وتعالى تشريعه، هداه من أجل أن يكون الناس زاكين وطاهرين، فمثلاً الشخص الذي طلق قريبتك سواءً أثناء العدة**

(١) سورة البقرة الدرس العاشر.

(٢) سورة البقرة الدرس العاشر.

يريد أن يتراجعها، أو قد انتهت العدة ويريد أن يعود إليها بعقد جديد لا تمنع من هذا، إذا كان هناك احتمال أنه يتم الزواج فيما بينهما بطريقة أصبحوا راغبين أن يعودوا إلى بعضهم بعض ﴿فَلا تَعْضُلُوهُنَّ﴾[البقرة: من الآية٢٣٢). لا تمنعوهن، هذا أزكى لكم وأطهر: أشرف حتى لعرضك، أليس الإنسان حريصاً على عرضه؟ هذا أزكى لكم وأطهر، أبعد من الظلم، أن تظلمها وهي راغبة أن تعود إلى زوجها، ولو قد انتهت العدة ما دامت هي راغبة وهو راغب، إذاً تعقد بها من جديد ويعودون، وتعود إلى بيته،﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: من الآية٢٣٢). قد تكون كثير من حالات الطلاق التي تتم في وضعية معينة بعد انتهاء العدة، أو أثناء مرور فترة من العدة كل واحد من الزوجين يراجع حساباته وندموا.. فلا يبق الأولياء يشكلون عائقاً، هذه القضية هامة فما دامت هي راغبة أن ترجع، ويكونون راغبين أن يعودوا إلى بعضهم بعض فليتعاون الإنسان إلى أن يعيدهم، إلا إذا كان هذا الإنسان سيئاً، بمعنى: أن خروجها منه كان فرصة تتخلص منه، إذا هناك رغبة متبادلة فيما بينها وبينه ﴿فَلا تَعْضُلُوهُنَّ﴾. ﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: من الآية٢٣٢]. لا يحصل عندك التي يسمونها [كبرة] فيكون هذا مستكبراً فلا يعود يرضى. لا، عادي اتركها ترجع له، وتعقد بها، وترجع له)[1].

وفي الدّرس الثّالث عشر من دروس رمضان حول الموضوع نفسه يبيّن السّيد أهمية التقيّد بالرّؤية والمنهجيّة القرآنيّة حول موضوع الطّلاق، وأنّ الكثير من المصطلحات الفقهيّة، والموروثات الفكريّة أثّرت على المنهجيّة القرآنيّة، وقدّمت الموضوع بالشكل الذي استطاع أن يستغلّه الآخرون ضدّ الإسلام والقرآن الكريم، مبيّناً أنّ القرآن الكريم هو وحده الكتاب الذي كان يجب أن يعتمد عليه المسلمون، ويتحرّكون به، ويعملون به في كلّ المجالات، يقول السيد: **(لو قدم الطلاق من خلال عبارات الفقهاء في معظمها لكان هو عملية نفي عملية طرد للمرأة هناك، لا معروف ولا إحسان ولا متعة ولا يتم في أجواء طبيعية يغضب عليها وطلقها وذهبت من بيته وأيضاً يلحق ما قد أعطاها وأشياء من هذه ظهر في الأخير وكأنه ماذا؟ المرأة هذه ما**

(١) سورة البقرة الدرس العاشر من دروس رمضان.

عندها حق كهذا الحق الذي عند الرجل! لو قدم على الأساس القرآني لكان أشبه شيء بعملية البيع والشراء تماماً أنت عندما تأتي تأخذ حق واحد هكذا ألا يقال بأنها قضية منكرة؟ لكن يتم في أجواء من طيبة نفس يعتبر طبيعي مع أن عقد البيع يأتي من طرف واحد، أليس عقد البيع يأتي من طرف واحد الخروج للقضية من ملكية إلى ملكية أخرى أليست تتم عن طريق شخص واحد هو أعطى هذا؟ أعني يتم في أجواء جعلته طبيعية، فعندما لم يجعلوا الطلاق على هذا النحو ظهر فيه صورة غير لائقة استغله الآخرون، ولهذا نحن نقول إنه يبدو أن القرآن الشيء الأساسي أنه كان هو المطلوب أن يكون هو وحده الكتاب الذي يتحرك في الأرض هو وحدهُ الكتاب الذي يتحرك في الأرض في كل المجالات ترغيب وترهيب وفقه وغيره هو كتاب يسع الحياة كلها ولأنه هو عباراته بعيدة عن أي مدخل لأنه ﴿أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[الفرقان: من الآية ٦] قضية هامة فعندما يقول إنه للناس تجد أن القضية ملحوظة أنه ممكن أن يكون فعلاً للناس إذا مشى هو يمشي هو في مقدمة المسلمين أما أن يأتوا في الأخير يقدموا أشياءهم من عندهم في الأخير ترى كم يجمع الأعداء من داخل تراث المسلمين الآخر كتب عباراتها غير لائقة في معظمها كم يقدمون من شبه على الإسلام نفسه يشتغلون بها ضد المسلمين)[1].

(١) سورة البقرة الدرس الثالث عشر من دروس رمضان.

تحديد النّسل في القرآن الكريم

فكرة تحديد النّسل هي فكرة غربيّة ويهوديّة ليس لها أيّ أساس في القرآن الكريم، بل هي من الغزو الفكريّ، والفساد الذي جاء من لدن اليهود لتجفيف نسل المسلمين والقضاء عليهم، وهي فكرة مدعومة عالميّاً على أيدي اليهود والغرب، يستهدفون بها الرّجال والنّساء، ويبذلون في هذا الموضوع أموال طائلة جدًّا، وتُخصّص لها منظّمات تعنى بالجانب التّثقيفيّ، والتّوعويّ، والتّربويّ، لإيصال النّاس إلى قناعة بتحديد نسلهم، ويموّلون منظّمات تابعه للأمم المتّحدة وغيرها، ويوفّرون أدوية تحديد النّسل بالمجان، تحت مسمّيات خطيرة وخدّاعة، ومؤامرات هدّامة للأمّة والأجيال، ويربطونها بالجانب الصّحيّ، والتّربويّ، والاقتصاديّ، ويعملون تحت مسمّى (الأمومة والطّفولة) وكذلك مسمّى (تنظيم الأسرة)، ومسمّى (الصّحة الإنجابيّة) فيقدّمون هذه العناوين البرّاقة والمخادعة لتضليل النّاس عن مؤامراتهم، ومخطّطاتهم الخبيثة الرّامية للقضاء على العرب والمسلمين تماماً، وهذه القضيّة وللأسف الشّديد قد انخدع بها الكثير من النّاس رجالاً ونساءً، ويتعاطى معها الكثير من الأطباء ببساطة، وانخدع بها الحكّام، والأنظمة، والشّعوب، وقد تحدّث السّيد في الدّروس والمحاضرات عن هذه القضيّة، وبيّن خطورة هذه المؤامرة الّتي يعمل الغرب واليهود من خلالها على استهداف المسلمين، وإهلاكهم، وإهلاك نسلهم، وذريّاتهم، وقدّم السّيد الرّؤية القرآنيّة حول الموضوع.

القرآن الكريم يركّز على التّناسل والتّوالد

عند قوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة: ﴿**فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾[البقرة:١٨٧] يبيّن السّيد أنّ الله جعل من غايات مباشرة الرّجل لزوجته هو ابتغاء ما كتب الله له من الذريّة والأولاد، وأن يكون لدى الإنسان اهتمامٌ بأن يكون له أولاد وذريّة طيّبة، وهي قضيّة ركّز عليها القرآن الكريم، والأنبياء عليهم الصّلات والسّلام، فأن يكون للإنسان ذريّة طيّبة وصالحة هو من نعم الله عليه، ومَن عندهم الرّوحية والرّؤية القرآنيّة، سيسعون لتحقيق

ذلك، ويفرحون به، يقول السّيد: **(لا تكون القضية فقط هكذا، بل ينبغي أن تكون أنت تريد: أن يرزقك الله أولاداً، وقضية الاهتمام بأن يكون للإنسان أولاد، هي قضية موجودة في القرآن الكريم، نبي الله إبراهيم قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾**[البقرة: من الآية١٢٤] **﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾**[البقرة: من الآية١٢٨]. **نبي الله زكرياء دعا الله أن يرزقه ذرية طيبة، لأن الأولاد عندما يكونون صالحين نعمة كبيرة على الإنسان، ولأنك في قضية تفرح بأي واحد، فكأنك تتمنى أن معك عشرة في سبيل أن تعمل في سبيل الله، وتعمل في إعلاء كلمة الله، أليس الواحد منا يتمنى أن يكون معه أكبر عدد ممكن؟)**[1].

من الإهتمام بدين الله الحرص على التّكاثر والتّناسل

جعل الله التّوالد والتّناسل سنّة إلهيّة في عباده يسعى النّاس لتحقيقها وطلبها، وهذا يبيّن لنا أنّ فكرة تحديد النّسل غير صحيحة على الإطلاق، وتمثّل خطورة بالغة على المسلمين بالذّات، ويعتبر السّيد أنّ من لديه اهتمام بدين الله، وبالجهاد في سبيل الله، ويحمل الروحيّة القرآنيّة والجهاديّة سيكون حريصاً على موضوع تكاثر الأولاد والإنجاب، ويفرح بذلك، لأنّ القضيّة مرتبطة بموضوع الصّراع والجهاد في سبيل الله، فتكون هذه القضيّة مسيطرة على مشاعره، وهو يباشر زوجته، ويطلب ويبتغي ما كتب الله له من الذريّة والأولاد، يقول السيد: **(إذاً فإن الله قد جعل سُنة، سُنة التوالد هذه، سُنة التناسل يمكن أن يكون منك أنت خمسة، ستة، عشرة رجال، وأنت تفرح بواحد من هنا، وواحد من هنا، فإذا الإنسان لديه اهتمام بدين الله، سيكون بالشكل الذي يفرح، يفرح بأن يكون له أولاد، وعلى أقل تقدير سيكون أولادك يتوجهون لك، إذا كان هناك آخرين لا يتوجهون لك إلا بصعوبة حتى يصلح لك واحد، ربما خمسة، ستة أولاد يصلح لك ولو أكثرهم على الأقل، أليست أنعماً كبيرة؟.**

كان العرب في أيام الصراع القبلي فيما بينهم حريصين جداً على الأولاد متى ما جاء له ولد يبشرونه [ويهنيك الفارس] لأن واحد يعتبر مكسباً كبيراً، ماذا في ذهنيته؟ عندما يصارع قبيلة

(١) سورة البقرة الدرس التاسع.

أخرى وعندما يغزوا قبيلة أخرى.

فالإنسان الذي لديه اهتمام بدين الله، وعنده روح جهادية يفرح بأن يكون له أولاد، فتكون القضية مسيطرة على مشاعره وهو يباشر أهله، يباشر زوجته أنه يطلب ما كتب الله، ما سهل الله، وما يسر من أولاد)[1].

ويضيف السّيد أنّه لا ينخرط في مشروع تحديد النّسل، ويتضايق من كثرة الأولاد إلاّ من لا يكون لديه اهتمام في نفسه بدين الله، والجهاد في سبيل الله، وإلاّ فالحقيقة أنّ الأولاد وكثرتهم يعتبر مكسباً كبيراً للرّجل، ولهذا أباح الله للإنسان الزّواج بأربع من النّساء، من أجل الحصول على العدد الكبير من الأولاد، يقول السّيد: **(لا يحصل التضايق من الأولاد، لا يريد واحد أولاد إلا عندما لا يكون هناك اهتمام في نفسه بدين الله وإلا ما هو الولد بالنسبة لك؟ فارس أليس فارساً؟ مجاهداً في سبيل الله؟ أليس المفروض أن تفرح؟ ولهذا أبيح للناس أن يتزوج الواحد بأربع عسى يجيء لك من أربع خمسة عشر رجلاً يجاهدون في سبيل الله، يعبدون الله، مكسب كبير لك أنت)** [2].

ويوضّح السّيد أنّ هذه الرّوحيّة كانت مسيطرة على ذهنيّة ونفسيّة نبيّ الله إبراهيم وولده إسماعيل صلوات الله وسلامه عليهم، فدعوا الله أن يجعل من ذريّتهم أمةً مسلمة، لأنّ الشخص الذي يحبّ الله، ويهتمّ بدين الله، تكون هذه هي روحيّته ونفسيّته، فيفرح أن يكون له الكثير من الأولاد، فيعمل على أن ينشئوا عبّاداً لله، ومجاهدين في سبيل الله، ويوضّح السّيد أنّ هذه القضيّة مرتبطة بالصّراع، والجهاد في سبيل الله، لأنّ الحرص على التّناسل يؤدّي للتّكاثر، فتكون هناك أمّة، وأعداداً كبيرة جدّاً من المسلمين الذين يمثّلون عباداً لله، ومجاهدين في سبيله، ولهذا تعتبر هذه الآية مهمّة جدّاً في هذا الموضوع، وتصحيح الرّؤية، والثّقافة، والنّظرة لدى النّاس تجاه موضوع الأولاد، والتّناسل، والتّكاثر، لأنّ اليهود يسعون لأن يجعلوا من المسلمين أقليّة فيسهل استهدافهم، والقضاء عليهم، يقول السّيد: **(عندما قال نبي الله إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾**[البقرة: من الآية١٢٨] **إجعلنا، وهما إثنان، يتمنى أن يكون هناك مسلمون لله كثير، لحبه لله، يتمنى أن يكون هناك عُبّاد كثيرون لله، وعاملون كثيرون في سبيل الله، وفيما يرضي**

(١) سورة البقرة الدرس التاسع.

(٢) سورة البقرة الدرس التاسع.

الله، تجد أنت مثلاً تحب شخصاً معه عمل معين، ألست ترغب أن تبحث عن أحد معك في مجال يرضي الشخص الذي أنت تحبه؟ الإنسان الذي يحب الله، الذي يهتم بدين الله، تكون روحيته هكذا، يفرح أن يكون له أولاد، ولا يصدق واحد المحاولات التي يطرحونها لتقليل النسل، هذه عملية المقصود منها تقليل نسل المسلمين، تَبَيّن في نفس الوقت أهمية مثل هذه الآية بالنسبة للمسلمين ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[البقرة:١٨٧]، أليس الآخرون يريدون أن يضربوا، يقطعوا ما كتب الله لنا؟ لأنه إذا قل النسل أمكن أن يقضوا على الحاصلين بأعمال كثيرة حتى يصبحوا أقلية، لكن قضية النسل هذه قضية عندهم مزعجة، وموضوع النسل لا يكون عندك أنه مثلاً في هذا الشهر قد يأتي مثلاً زوجتك تبدأ تحمل في الشهر الفلاني، في الشهر الذي أنت فيه، يمكن بعد خمسة عشر سنة! أحيانا قضايا الصراع يجلس الناس يتصارعون ثلاثين سنة، خمسة عشر سنة ما تدري إلا وهذا رجال وفي نفس الميدان.

الآن الفلسطينيون كم صراعهم؟ كم من السنين صراعهم مع إسرائيل؟ أليس الآن الذين هم يقاتلون ربما هم أبناءُ أبناء الذي شاهدوا دخول اليهود هؤلاء العصابات اليهودية أبناء أبنائهم أحفادهم خمسون سنة من الصراع)[1].

ويبيّن السّيد أنّ كلّ ما يطرح تربويّاً واقتصاديّاً حول تكاثر الأولاد والشّعوب، وأنّه يؤدّي للكثير من المشاكل التربويّة والاقتصاديّة غير صحيح على الإطلاق، فالمشكلة ليست في التّكاثر والتّناسل، بل هي تكمن في القائمين على النّاس، والأنظمة والحكّام، فيكون الخلل فيما يقدّمونه من خطط، ومناهج، وبرامج تربويّة، وتعليميّة، وثقافيّة، واقتصاديّة، وإلاّ فإنّ المعادلة الصحيحة هي أنّ التّكاثر والنموّ السكانيّ يساعد الشّعوب على تحقيق النموّ الاقتصاديّ، يقول السيد: **(عندما يقولون: هذا يشكل مشكلة، تغذيتهم وتربيتهم وأشياء من هذا، لا. المشكلة كلها من عند القائمين على الناس، من عند من يحكمون الناس، هم الذين يكونون بشكل يجعل الفساد ينتشر فتقل البركات، تكون خططهم الاقتصادية فاشلة، ليس عندهم اهتمام بالناس، ليس عندهم خبرة في رعاية الناس، لا تربوياً، ولا غذائياً، وإلا فالله سبحانه وتعالى قد جعل الأرض واسعة، جعلها واسعة، ثم إنه بالنسبة للشعوب، بالنسبة للأمم، غير صحيح بأنه إذا ازدحم الناس، أصبح شعب من الشعوب عدده عشرين مليون بأنه سيكون شعباً ضعيفاً. لا. بل يقولون فيما يتعلق**

(١) سورة البقرة الدرس التاسع.

بالنمو الإقتصادي: أن الشعوب الكبيرة تصبح هي سوق، هي سوق لنفسها، سوق استهلاكية هي، إذا أنت شعب صغير مثلاً عدده مليون أو مليونين ونصف، وعندك قدرات رأس مالية، عند أفراد فيه رؤوس أموال كبيرة، يُصَنِّع قليلاً واكتفى السوق التابع له، يحتاج يحاول كيف يبحث عن أسواق أخرى، لكن لاحظ [الصين] مثلاً مما ساعد الصين على نهوضها ما هو؟ سوق عالمية في نفس البلد، مليار وزيادة يعني: سوق استهلاكية كاملة، تنهض الشركات، وتنهض المصانع، وتنهض رؤوس الأموال، وتحرك رؤوس الأموال بشكل كبير)[1].

تحديد النّسل مؤامرة غربيّة ويهوديّة

يبيّن السّيد أنّ فكرة تحديد النّسل هي خطّة ومؤامرة غربيّة ويهوديّة لاستهداف العرب والمسلمين، والقضاء عليهم، وإضعافهم، ويبيّن السّيد بأسلوب علميّ، وحضاري، وواقعيّ بطلان كلّ ما يطرحونه من إشكالات تربويّة واقتصاديّة حول موضوع تكاثر الأولاد والشّعوب، والنموّ السكاني وأنّ هدفهم هو السعي لإهلاك النّسل فقط، فيقول: **(إذاً هذه خطة غربية بالنسبة لنا، بالنسبة للعرب بالتحديد، بالنسبة للمسلمين بشكل عام، ولهذا يحاولون يشجعون على تحديد النسل، ويوزعون أدوية، ووسائل كثيرة لتحديد النسل ليقطعوا نسلنا، أرضنا هنا اليمن نفسها ما زال هناك محافظات فاضية، يوجد بلدان كثيرة فاضية، ليس هناك محافظة أهلها قد صاروا ملان أرضها، هناك شيء؟ ليس هنا قبيلة تقول: أن سكانها قد أخذوا مساحتها كاملة، حالات نادرة جداً في كل محافظة ما يزال هناك فساح، وما يزال هناك مناطق واسعة يتسع الشعب الواحد مثل هذا، ربما يتسع لمائتين مليون فما بالك عندما نقول: عشرين مليون هذه أزمة! نحن مستقبلون أزمة رهيبة! قد تؤدي إلى ما يسمونه: هبوطاً في النمو الإقتصادي، وإلى أزمات اقتصادية! هذا غير صحيح، تجد أزمات اقتصادية مع شعوب قد لا يشكل سكانه إلا نسبة بسيطة مقارنة بمساحته ومعهم أزمة، ليس الأزمة تعني: أنها قد امتلأت بلادهم ناس، والمساحة كلها قد أصبحت كلها ملان ناس، لم يعودوا يعرفون أين يزرعون، ولم يعودوا يعرفون أين يربون مواشي، ولم يعودوا يعرفون أين يعملون مصانع، ولم يعودوا يعرفون أين يعملون مدارس. لا. ثم إن مسألة النمو**

(١) سورة البقرة الدرس التاسع.

الإقتصادي هي قضية ليست كلها مرتبطة بالأرض فقط، أيضاً هي مرتبطة بعلاقة الناس مع الله ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[الأعراف:٩٦].

ولو لم يكونوا إلا سكاناً قليلاً، وبلادهم واسعة جداً، تجد عندهم أزمات اقتصادية، تجد عندهم مجاعات، تجد عندهم سوء تغذية، تجد عندهم حالة سيئة، مسألة التربية ليس معناه: أن الإنسان نفسه هو سيحتاج إلى أن يجلس مع أولاده كل يوم، ويعمل له فصلاً دراسياً في البيت فلا يتمكن أن يذهب [يترزق الله] ولا يقوم بأي عمل)[1].

ويبيّن السّيد أنّ اهلاك النّسل من أعمال الأمريكيّين والإسرائيليّين، وهي قضية أصبحت معروفة ومشهورة عنهم الآن، وأنّهم يسعون لإهلاك الحرث والنّسل، بكل الوسائل الممكنة، كما تحدّث الله عنهم في القرآن الكريم، يقول السّيد: **(هذه القضية الآن معروفة، من خلال ما نراه من أعمال الأمريكيين والإسرائيليين، ومحاولتهم لإهلاك الحرث والنسل، إهلاك النسل، عملية التشجيع على الحد من النسل، ووسائل كثيرة يعملونها ليحصل عقم عند الكثير من الرجال سواء في أحزمة، أو في أجهزة طبية، أو في أي شيء من الأشياء هذه، أو داخل المواد الغذائية، أليس هذا إهلاك للنسل؟)**[2].

التّربية والتّعليم منوطة بالقائمين على النّاس

يقدّم السّيد الرّؤية والمنهجيّة القرآنيّة في الجانب التّربويّ للأولاد، مبيّناً أنّ موضوع الهداية، والتّربية، والتّعليم في دين الله لها طرق متعدّدة، ومتنوّعة، وتوجيهيّة، ترتكز أساساً على القرآن الكريم، وتعلّمه، وتربية الأولاد على أساسه أوّلاً، ثمّ من خلال المتابعة التربويّة للأولاد، ويوضّح السّيد أنّ موضوع التّربية ليس متروكاً للآباء فقط، بل هي قضيّة منوطة بالقائمين على النّاس من الحكّام والأنظمة، فيقدّمون المناهج التعليميّة والتّربويّة الصحيحة الّتي تُربّي النّاس، وتعلّمهم، وتثقّفهم بشكل صحيح وبنّاء، يقول السّيد: **(موضوع الهداية في دين الله تكون غالباً لها طرق كثيرة جداً، يمكن**

(١) سورة البقرة الدرس التاسع.
(٢) سورة البقرة الدرس التاسع.

لواحد أن يهدي قبيلة كبارهم وصغارهم، يوجه وليس فقط إذا كثر أولادك تقوم تعمل لك فصلاً دراسياً، يوجد أشياء معينة توجيهية تحرص على أن يقرأوا القرآن، تتابع عملية تربيتهم، وإلا فقضية التربية هي أساساً ليست متروكة على هذا النحو لكل أب لأن الله يعلم أن الكثير من الآباء لا يكون عندهم قدرة، أو سيربي تربية غلط، هي قضية منوطة بالقائمين على حياة الناس، أليس هناك مدارس؟ ويمكن أن يكون هناك مدارس؟ لكن لاحظ المدارس الخلل فيها فيما يتعلق بالمنهج، وفيما يتعلق بكثير من المعلمين، فعندما تلمس فساداً في الشباب، في كثير من الشباب، في كثير من الكبار الذي هم خريجي مدراس خطأ في التربية، من القائمين على التربية)[1].

ويبيّن السّيد أنّ الاختلالات التّربويّة، والتّعليميّة، والثّقافيّة ليست بسبب كثرة، وازدحام النّاس، بل هي تكمن فيما يُقدّم لهم من مناهج تربويّة، وثقافيّة ووسائل تعليميّة من عند القائمين على شئون النّاس، لأنّ التّربية السّيئة تؤدّي لتنشئة جيلٍ فاسدٍ، فتنتج العناصر الفاسدة في المجالات والوظائف الإداريّة، والتّنظيميّة، والتّعليميّة، والتّربويّة، وغيرها، لأنّ هذه العناصر لم تتلقّ التّعليم، والتّربية الصحيحة، خاصةً في هذا العصر الذي فتح فيه الحكّام المجال أمام اليهود ليرسموا هم الخطط، والمناهج، والبرامج التّعليميّة للأمّة، ويتحكّموا بها، مقابل أن يسلم لهؤلاء الحكّام مناصبهم، ومصالحهم، وأموالهم، يقول السيد: **(ليس أن القضية أن هناك زحمة، هناك زحمة سكان، لا. الأخطاء في مجال التربية تكون آثارها سيئة ولو كانوا بمعدل عشرة طلاب في الفصل الواحد، و ليس فقط خمسة وعشرون، ولو بمعدل عشرة طلاب وهي تربية سيئة سيطلع هؤلاء تكون عناصر تفسد في الغالب، سواء مسك عملاً إدارياً، أو في أي مجال هو فيه، تربيته تربية فاسدة في معظم ما يقدم إليه، أما ونحن أيضاً فاتحون المجال بأن يأتي اليهود يربون الناس، فهذا [أطم] وهي أيضاً أسوأ وهذا من أين جاءت من أين؟ من القائمين على الناس، هو همه أن يسلم منصبه، أن تسلم رؤوس أمواله، أن تسلم مصالحه، ولو ضحى بالناس، وبدين الله، و بكتابه.**

قضية ملموسة تجد الكثير من حكام العرب قابل لأن ينزل أي شيء تأتي [أمريكا] تريد أن تفرضه سينفذه من أجل يسلم منصبه ويسلم مقامه! أليس عندهم شعوب كبيرة ملايين، لو ربوهم تربية جيدة لاعتزوا هم، ولهابت أمريكا أن تحاول أن تمارس أي ضغط على أي شعب من الشعوب) [2].

(١) سورة البقرة الدرس التاسع.

(٢) سورة البقرة الدرس التاسع.

الشّعوب الكبيرة تحقّق النموّ الإقتصادي

وهنا يقدّم السّيد الرّؤية الإقتصاديّة الصحيحة في الجانب الإقتصادي، مبيّناً أنّ كثرة النّاس، وكثرة النّموّ السّكاني، لا تؤثّر تأثيراً سلبيّاً على الجانب الإقتصاديّ والمعيشيّ للنّاس، بل العكس من ذلك فكثرة تعداد الشّعوب، وتزايد النّموّ السّكاني، يؤثّر تأثيراً إيجابياً في تحقيق النّموّ الإقتصاديّ للشّعوب، ونهضتها التّجاريّة، والمعيشيّة، ويبيّن السّيد أنّ الإختلالات في هذا الجانب تأتي من عند القائمين على النّاس، وحكّامهم، وأنظمتهم، الّتي لا تقدّم الخطط، والرّؤى الإقتصاديّة الصّحيحة الّتي تحقّق النّهضة، والنّموّ الإقتصاديّ للشّعوب، بل يتّجهون لنهب الثّروات، والموارد الإقتصاديّة، ويسمحون بتغلغل الفساد في كلّ مؤسّسات، وأجهزة الدّولة، ممّا يسبّب المعاناة الإقتصاديّة، والمعيشيّة للشّعوب نفسها، يقول السيد: **(فيما يتعلق بالنمو الإقتصادي أيضاً قلنا سابقاً أنه يشكل الشعب الكبير سوقاً استهلاكية لمنتجاته هو، يساعد على النمو الإقتصادي، اليد العاملة أيضاً، حتى أنهم يقولون عن بعض البلدان في أوربا: أنها ربما قد تكون بعد فترة من السنين تنهار اقتصادياً، وهي من البلدان الراقية صناعياً بسبب ماذا؟ قلة اليد العاملة، بسبب تحديد النسل، لاحظ في إسرائيل هل هناك تحديد للنسل؟ أو هم يبحثون أيضاً، يبحثون عن اليهود من خارج يجمعونهم هناك لماذا؟ لأن عندهم اهتمام، عنده طموح كبير بأن يهيمن على العالم، فهو يحتاج إلى الواحد، يحتاج إلى الشخص الواحد، والعرب والمسلمون بشكل عام أعداد كبيرة جداً جداً، وإذا قد هم متذمرون من كثرتهم، والحكام أنفسهم صاروا يقولون: مشكلة، أنتم تشكلون زحمة! لكن لماذا لم تشكل زحمتنا انهيار لاقتصادك أنت؟ أليس لديهم أموال كبيرة جداً؟ وعندهم بنايات فخمة جداً، وعندهم رؤوس أموال كبيرة جداً في الخارج حتى أنه لا يوظفها هنا لو أنهم يوظفونها هنا في داخل البلاد كان ذلك يشكل نعمة، فقط عندما يأتون يقولون لنا: أنتم عندما تكونون في أزمة اقتصادية - في الواقع سببها هم - يقولون لنا: سببها أنتم، قد أنتم كثير، زحمة مزدحمون هناك! لكن لماذا أما أنت؟ أنك توفر الأموال الهائلة جداً وتطفح عندك وتصدرها للخارج أرصدة في البنوك)**[1].

ويحذّر السّيد من خطورة التّوجّه والتّسابق نحو موضوع تحديد النّسل لأنّها قضية غير صحيحة على الإطلاق، وتدلّ على مدى التّأثر بالثّقافة والرّؤى الغربيّة واليهوديّة، وعلى عدم

(١) سورة البقرة الدرس التاسع.

الإهتمام بدين الله، والجهاد في سبيله، مؤكّداً أنّ قضيّة الرّزق للعباد هي بيد الله سبحانه وتعالى، وهو المتكفّل برزقهم على كثرتهم، إذا تحقّقت التّقوى في نفوسهم، والإستجابة لله سبحانه وتعالى، يقول السيد: **(إذاً قضية تحديد النسل ليست قضية صحيحة أن يتسابق الناس إليها نهائياً إلا في حالة واحدة عندما تكون المرأة نفسها حالتها الصحية تستدعي بأنها تتوقف عن الحمل وإلا فالباري سبحانه وتعالى جعل مسألة الحمل والولادة قضية مقبولة عند المرأة وفي طاقتها، قضية مقبولة فقط يكون هناك حرص على صحتها، على صحة المرأة نفسها عندما يكون واحد زوجته صحتها جيدة ويحاول يوقفها حتى لا تنجب على أساس أن عنده [لا نريد أولاد.. لا نريد أولاد]. هو في نفس الوقت يكشف أن ما عنده اهتمام، عندما تكون أنت معلماً ألست تفرح بواحد من الناس؟ تفرح بواحد من الطلاب، بواحد؟ إذاً يمكن أن يكون منك واحد، إثنين، ثلاثة، أربعة، خمسة إلى عشرة، أليست نعمة يتوجهون لك، ويتربون على يدك، والباري هو المتضمن برزق الناس إذا التجاء الناس إليه، وتوكلوا عليه هو يوفر أرزاقهم ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾**[الطلاق: ٢-٣]. **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ هي مثل: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوْا لِيْ﴾ ما هناك التقوى، نص تقوى، وربع تقوى، وربع استجابة، هذه لا تنفق)**[1].

وفي سورة المائدة الدّرس الثّاني والعشرون يبيّن السّيد أنّ اليهود يسعون للفساد في الأرض، وأنّ فكرة تحديد النّسل هي من المخطّطات الرّهيبة للفساد في الأرض، فيسعون لتحديد النّسل، لأنّ لديهم توجّهاً للقضاء على النّاس، وإبادتهم بأيّ وسيلة، وبأيّ طريقة ممكنة، ومن فسادهم التوجّه لإهلاك النّسل، فيقول: **(يسعون إلى الفساد وبإسراف وليس فساداً أحياناً، أو بمقدار محدود، أو في جانب دون جانب، بكل ما تعنيه كلمة فساد، يصلون إلى النسل، أن لا ينجب الناس من جديد، يكفي، الذي يفكر بأن لا تنجب نهائياً أليس معناه بأنه يفكر بأن يزيل هذا الجنس من أمامه؛ لأن المسألة تكون صعبة عليه، أنه كلما حاول أن يميت أناساً بأي طريقة، كلما أنجبوا، أنجبوا على طول، يقطع النسل أولاً، وفي الأخير يحاول يدبر الموجودين، أليست هذه فكرة فساد في الأرض رهيبة، وجرأة؟)**[2].

(١) سورة البقرة الدرس التاسع.

(٢) سورة المائدة الدرس الثاني والعشرون.

المحـــور الحادي عشر

- القضيّة الفلسطينيّة في المشروع القرآني
- كيف نتعامل مع المنظمات ؟

القضيّة الفلسطينيّة في المشروع القرآني

حظيت القضيّة الفلسطينيّة باهتمام كبير لدى الشّهيد القائد السّيد حسين بدرالدين الحوثي "رضوان الله عليه" وكانت ولا زالت من الأولويات في المشروع القرآني، وقد تُرجم ذلك إلى واقع عملي تمثل في الثّقافة والرّؤية القرآنيّة تجاه القضيّة الفلسطينيّة، والقدس، والمسجد الأقصى التي زخرت بها محاضرات ودروس السّيد حسين بدرالدين الحوثي "رضوان الله عليه"، ومن خلال العمل على بناء جيل جهادي مؤمن بكل قضاياه العادلة والمحقة، وعلى استعداد عال للدفاع عن كلّ شعوب الأمّة المستضعفين والمظلومين، وفي مقدّمتهم الشّعب الفلسطيني، وإعداد جيلاً جهاديّاً لديه الإستعداد الكبير، والجهوزيّة العالية لخوض غمار الحرب المباشرة مع الكيان الصهيوني، كما أعلن وصرّح قائد المسيرة القرآنيّة **السّيد عبدالملك بدرالدين الحوثي** في خطاباته الأخيرة، حيث أكّد في خطابه بمناسبة الذكرى السنويّة للصّرخة التي أُحييت تحت شعار "الصّرخة نحو الأقصى" بتاريخ ٢٦/ شوال/ ١٤٣٨هـ الموافق ٢٠/ يوليو/ ٢٠١٧م على الإستعداد والجهوزيّة لخوض غمار أيّ معركة قادمة مع الكيان الصهيوني بقوله: **(ثم هنا يهمّني أن أقول وبكل مسؤوليّة، وبحق، وبجد، أنّنا نحن في هذه المسيرة القرآنية، وكلّ من يتوجه معنا في هذا التوجّه في بلدنا اليمني العزيز حاضرون للمشاركة، حتى على مستوى القتال مع العدوّ الإسرائيلي في أيّ مواجهة عسكريّة جديدة، سواءً لمساندة الشّعب الفلسطيني، أو لمساندة المقاومة اللبنانية، وإعانة حزب الله في لبنان، حاضرون للمشاركة العسكريّة في أيّ مواجهة مع العدوّ الإسرائيلي.**

كنا قبل اليوم، ونحن اليوم، وبعد اليوم، حاضرون لذلك، بثقافتنا التي علمتنا ذلك، وبإيماننا الذي يدفعنا إلى ذلك، وبتوجّهنا الذي نتحرّك فيه بناءً على ذلك، ونحن حاضرون لهذا بكلّ جد، وبكلّ صدق.

ولذلك ينبغي على العدو الإسرائيلي أن يحسب حساب شعبنا اليمنيّ في أيّ مواجهة مستجدة له

مع حزب الله في لبنان، أو مع الفلسطينيين، نحن حاضرون في أيّ وقت يحتاج منّا حزب الله، أو يحتاج منّا الشّعب الفلسطيني، ونتمكّن من الوصول إليه، أنّنا حاضرون لذلك، وحاضرون لفعل ذلك، حتى لو كنّا في الوقت الذي نواجه فيه أدوات أمريكا في المنطقة، ونعيش حروباً بفعل عدوانهم علينا، حاضرون حتى في مثل هذه الظّروف أن نرسل المقاتلين للمشاركة في أيّ مواجهة مستجدّة، يهمّنا فقط أن يكون لنا تنسيق يساعدنا على ذلك.

ونحن هنا نؤكّد لسماحة السّيد حسن نصر الله في كلامه الذي تحدث فيه في شهر رمضان "أنّ رهانك على الشّعب اليمنيّ رهانٌ في محلّه"، هم إخوتك وبمثل موقفك، وموقف حزب الله تجاه هذا الشّعب، موقفكم المسؤول، موقفكم الحر، موقفكم الانسانيّ، والأخلاقيّ الشريف، والعظيم، موقفكم نفسه سيقابل من هذا الشّعب بموقف حرّ ومسؤول في أيّ مواجهة جديدة لكم مع العدوّ الاسرائيلي).

وفي خطابه الذي ألقاه بتاريخ ٢٣/ ذي الحجة/ ١٤٣٨هـ الموافق ١٤/ ٩/ ٢٠١٧م، وتناول فيه آخر التّطورات على السّاحتين الوطنيّة والإقليميّة أكّد السّيد القائد على أنّ العمل جار لتطوير مديات "القوّة الصّاروخيّة" بالشّكل الذي يمكّن من ضرب واستهداف الموانئ الصهيونيّة في الأراضي المحتلة نصرة للشّعب الفلسطيني، وبقيّة شعوب وبلدان الأمّة العربيّة والإسلاميّة أمام أيّ تحدّيات قادمة، فيقول: **(أملنا إن شاء الله فيما بعد أن نتمكّن من الوصول أيضاً إلى الميناء الفلسطيني لنكون في أيّ معركة قادمة مع إسرائيل بالمستوى الذي يمكّننا إن شاء الله من القيام بأيّ عمل نناصر فيه الشّعب الفلسطيني، أو شعوب وبلدان أمّتنا العربيّة والإسلاميّة).**

وبالرّغم من حجم وبشاعة العدوان السّعودي الأمريكي الإسرائيلي الذي يواجهه بلدنا للعام الثّالث على التّوالي إلاّ أنّ القضيّة الفلسطينيّة لا زالت في سلّم أولويّات واهتمامات قيادة المسيرة القرآنيّة.

لقد حملت المسيرة القرآنيّة على عاتقها القضيّة الفلسطينيّة منذ اليوم الأول، وشعار الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، والمقاطعة الاقتصاديّة للبضائع والمنتجات الأمريكيّة والإسرائيليّة

لخير دليل على ذلك، ومنذ اليوم الأول والشّباب المجاهدون في هذه المسيرة يتحمّلون المعاناة، والسّجون، والقتل، ويقدّمون التّضحيات من أجل فلسطين، وشعب فلسطين، والمقدّسات في فلسطين، بل إنّنا اليوم وقبل اليوم نذبح، ونقتل، ونقصف، ويدمّر بلدنا وشعبنا من أجل القدس، وفلسطين، والمسجد الأقصى، وندفع حياتنا ثمناً لمواقفنا الواضحة والصّادقة المنحازة لقضايا أمّتنا وشعوبنا في مواجهة كلّ الطّواغيت والمستكبرين، وفي مقدّمتهم أمريكا وإسرائيل.

خطورة التّفريط

يحذّر السّيد من خطورة التّفريط، والتّعامل بروحيّة الإهمال، والتّقصير، واللّامبالاة تجاه القضايا والأمور التي تشكّل خطورة على النّاس، ولو في المستقبل، لأنّ التعامل ببرودة مع الأحداث والمخاطر له أثمان فادحة يدفعها النّاس جيلاً بعد جيل، كما هو الحال مع القضيّة الفلسطينيّة التي تمّ التّعامل معها بروحيّة الإهمال، والتّقصير، واللّامبالاة حتّى تمكّن اليهود من بناء دولة قويّة على الأراضي الفلسطينيّة، لأنّ التّحرّك المثمر والبنّاء يكون مع البدايات الأولى، بل يكون من خلال استشعار الخطر ولو بنسبة محتملة كما هي التّربية القرآنيّة التي عملت على تربية المسلمين على التحلّي بروح اليقظة، والحذر، والجدّ، والإهتمام خاصّة في مواجهة اليهود، فعندما لم يتم التّعامل مع اليهود بهذه الروحيّة القرآنيّة من اليوم الأول كانت العاقبة سيئة وخطيرة جدّاً على المسلمين عامّة، وعلى الفلسطينيين خاصّة، واستطاع اليهود أن يحتشدوا بالملايين إلى الأراضي الفلسطينية، يقول السّيد: **(إنّ كل من لا يرى أنّ عليه أن يتخذ موقفاً في بدايات الأمور فإنّه قد لا يتخذ موقفاً حتى وإن أصبحت الأمور بالشكل الواضح، لو أصبح هناك ضَرْبٌ من الأمريكيين لليمن أو لمناطق في اليمن تحت مسمى أنّهم يحاربون الإرهاب فسنجد أنّ هناك من يقول: (لا.. لا ينبغي لأيّ شخص أن يتحرك عندما تتحرك ستثيرهم أكثر) تبريرات لا تنتهي.**

لكن ماذا كان عاقبتها في فلسطين؟ عندما توافد اليهود بأعداد كبيرة من كل بلد، وكان الفلسطينيون صامتين، وكانوا هكذا يسيرون على هذه الحكمة التي تقول أن السكوت من ذهب [إذا كان الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب] هي حكمة! سكت الفلسطينيون فإذا بهم يرون

أنفسهم ضحايا لعصابات اليهود، وإذا بهم يرون أنفسهم أيضاً مواطنين غرباء تحت ظلّ دولة يهودية، وإذا بهم في الأخير يرون أنفسهم كما نراهم اليوم على شاشات التلفزيون.

أليس هؤلاء يضربون كل يوم؟ هل تظنّ أنّ الفلسطينيين ليس فيهم من يقاتل؟ فيهم الكثير ممن يمكن أن يقاتل، فيهم الكثير ممن يمتلكون الأسلحة، [منظمة التحرير] تمتلك أسلحة وتمتلك جيشاً ،وتمتلك خبرات قتالية، كانت بعض الحركات في البلاد العربية تتدرب على أيدي الفلسطينيين لكنهم يمسكون بهذه الحكمة: (السكوت من ذهب)، والجمود هو الحل، والسكوت هو الحل، والمطالبة بالسلام من أمريكا هو الشيء الذي سيحقق لنا السلام، هؤلاء يضربون يوماً بعد يوم.

لو تحرّك هؤلاء كما تحرّك [حزب الله] في لبنان، لو انطلقوا - وهم الآلاف وفيهم الشباب وفيهم من يعرف كيف يستخدم الأسلحة - لو انطلقوا كما انطلق [حزب الله] في لبنان لحققوا لأنفسهم السلام كما حققه حزب الله لبلده ولشبابه ولمواطني جنوب لبنان، أليس هذا هو ما نجده ماثلاً أمامنا؟)[1].

لقد استطاع اليهود وتمكّنوا من خلال الجّدية، وحمل روح الإهتمام والمسئوليّة من إقامة كيان لهم، ودولة يهوديّة على الأراضي الفلسطينية، ساعدهم على ذلك روحيّة الإهمال، والتقصير، واللّامبالاة التي حملها العرب والمسلمون، وكان هذان السببان هما سببان رئيسيان في إقامة الدولة اليهوديّة على الأراضي الفلسطينية، بينما لو عمل العرب والمسلمون، وفي مقدمتهم الفلسطينيون على حمل روح التربية القرآنيّة لما استطاع اليهود أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه اليوم، يقول السّيد: **(أليس بنو إسرائيل؟ أليس اليهود وهم يعملون على إقامة دولة إسرائيل يقال عنهم أنّه كان لديهم اهتمام كبير لدرجة أنّه كان أيّ أسرة قبل أن تُقَدُّم على الطعام بعد أن تضع المائدة تقف الأسرة كلها من حول المائدة وكلهم يقسمون أولاً قبل أن يجلسوا على الطعام يقسمون بالله أن يعملوا جادين جاهدين على إقامة وطن لليهود.**

وعندما تحرك اليهود وتوافدوا من مناطق متعدّدة نحو فلسطين كان اليهود في مختلف بقاع

(١) محاضرة الإرهاب والسلام.

الدنيا من أغنى رجل إلى أفقر رجل يتعاونون في دعم إسرائيل حتى قيل: أنّ اليهودي الذي كان يشرب الدخان، كلما يخرج حبة ليشربها ينزع حبة ليضعها في علبة أخرى لدعم إسرائيل، ثم تُجمع كل تلك السجائر لتعلّب من جديد وتصدّر للبيع، ثم عائداتها تسلّم لدعم إسرائيل، فتجتمع مئات الآلاف من الدولارات ومن مختلف العمولات لدعم إسرائيل.

هذا الفقير الذي لا يمتلك إلا حبة دخان، والتاجر يدعم بما يمتلك، يدعم بالملايين لهذا استطاعوا أن يكونوا على هذا النحو، حملوا اهتمام موسى، ونحن أولى بموسى منهم، ونحن أولى بمحمد (صلوات الله عليه وعلى آله) **نمتلك اهتمام محمد.. لا نعرف اهتمام محمد** (صلوات الله عليه وعلى آله) **ولدينا القرآن الذي يجب أن يربيك على الاهتمام)**[1].

لقد أضاع الفلسطينيون، ومعهم العرب، والمسلمون فرصة كبيرة كانت تحول دون قيام دولة إسرائيل، تلك الفرصة كانت في البدايات الأولى لكيان الإحتلال اليهودي، يوم رآهم الفلسطينيون يتوافدون بأعداد قليلة للأراضي الفلسطينية، ويوم كانوا لا يزالون يتحركون بشكل عصابات داخل فلسطين، يقول السّيد: **(ولاحظوا كيف في فلسطين ولبنان كمثال على هذا، ألم يستطع الإسلام أن يصنع [قنابل بشرية] فعلاً، وهذا - كما يقول المجاهدون - [بأن هذا هو السلاح الذي لم يستطع الأعداء أن يصنعوا مثيلاً له، ولا أن يصنعوا ضداً له] قنبلة بشرية تنفجر فتربك جيش إسرائيل، تربك أمن إسرائيل، تحطم اقتصاد إسرائيل. هكذا في اللحظة الأخيرة وهم كانوا قد أضاعوا - خاصة بالنسبة للفلسطينيين - وربما هذا الجيل وهو الذي يعاني معاناته تعتبر وزراً من أوزار الجيل الذي سبقه، الذي ضيع الفرص الكبيرة في مواجهة اليهود يوم كانوا لا يزالون عصابات داخل فلسطين)**[2].

القوّة هي قوّة النّفوس

يؤكّد السّيد على أنّ القوة الحقيقيّة هي قوّة النّفوس، وقوّة الجانب المعنوي لدى الإنسان،

(١) محاضرة مسؤوليّة طلاب العلوم الدينية.

(٢) محاضرة ذكرى استشهاد الإمام علي.

فمتى ما كانت النّفوس والمعنويّات قويّة في الله وعالية، فإنّ المواقف تكون قويّة أيضاً، وتصبح الوسائل البسيطة لدى هذا الإنسان القويّ قويّة، ومؤثّرة، وفاعلة، بقوّة نفسيّته، ومعنويّاته، وروحيّته، ومتى ما ضعف الإنسان، وضعفت روحيّته، ومعنويّاته بسبب إعراضه، وابتعاده عن الله، وعن هدى الله، فإنّه يكون ضعيفاً، وتكون كلّ مواقفه ضعيفة، يقول السّيد: **(لأنّ القوة قوة النفس، إذا كان الإنسان قوياً في الله، ويسير في طريقة حق ستصبح وسائل بسيطة لديه مؤثرة جداً، وإذا ضعف الإنسان بسبب إعراضه عن الله، وعن هدي الله، تصبح كل ما لديه من قوات كثيرة لا تمثل شيئاً في الأخير.**

وهذا معلوم، أليس واضحاً الآن، طائرات [ميج ٢٩] وطائرات [إف ١٥، وإف ١٦] ودبابات متطورة مع العرب من كل بلاد، وجيوش بعشرات الآلاف، لمّا كانوا يمتلكون نفوساً ضعيفة أصبحت هذه لا تمثل شيئاً، أليس هكذا؟ وترى من ينطلقون بقوة، سواء في لبنان، في فلسطين، شباب يهتفون بشعارات من هذه، ما هم في الأخير يكشفون أمريكا؟ ويفضحون أمريكا، ويفضحون من يبدون أقوياء في ما لديهم من إمكانيات، وقلوبهم مهزوزة، وتهتز ضعفاً)[1].

اليهود وسياسة نقض العهود والمواثيق

عرف اليهود تاريخيّاً بنقض العهود والمواثيق حتّى فيما بينهم وبين الله، وما بينهم وبين أنبيائهم، وكما قال الله عنهم: ﴿**أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم**﴾، وبهذه السّياسة والطريقة استطاع اليهود مخادعة العرب، والمسلمين، والفلسطينيين بالذّات حتى تمكّنوا من إقامة دولة لهم على الأراضي الفلسطينية، فكم من المعاهدات والمواثيق التي دخل فيها العرب والفلسطينيون مع اليهود، وفي لحظة من اللحظات يتخلى عنها اليهود، وينقضونها، يقول السّيد: **(كم من المعاهدات، كم من المعاهدات قامت في ما بين إسرائيل وبين العرب، بين دول عربية وبين إسرائيل وبين الفلسطينيين، معاهدات [أُوسْلُو] ومعاهدات كثيرة كثيرة، وفي لحظة من اللحظات تتنكر إسرائيل لكل تلك المعاهدات، وما زال العرب وما زال الفلسطينيون أنفسهم يعلنون أمام كل**

(١) محاضرة آيات من سورة الكهف.

نكث عهد من قبل إسرائيل أنهم متمسكون وملتزمون بمعاهدات السلام، أنهم محافظون على السلام!.

بل بعبارات تثير الاستغراب، أثناء هذه الأحداث التي ضرب فيها الإسرائيليون الدولة الفلسطينية الوهمية، وتغلغلوا إلى داخل المدن الفلسطينية، وضربوا طائرات الرئيس الفلسطيني، وعملوا كل تلك الأعمال، يأتي من يعلن أحياناً وزير الإعلام الفلسطيني، وأحياناً أمين سر حركة التحرير الفلسطينية، وأحياناً مسئول منهم أي مسئول كان يعلن [أنه يتهم إسرائيل أنها تريد أن تقوّض عملية السلام]!.

بهذه العبارات الباردة: [وأنّ على أمريكا أن تبادر لتنقذ عملية السلام، وأن إسرائيل - هكذا - مُتّهمة أنها تريد أن تقوض عملية السلام، وأنها مُتهمة أنها تريد أن تقضي على الدولة الفلسطينية]!)[1].

يجب أن يكون العمل من أجل تحرير فلسطين

يجب أن يكون العمل متّجهاً نحو تحرير الأراضي الفلسطينية من الإحتلال الإسرائيلي، وأيّ عناوين، وأهداف، ومطالب أخرى إنّما هي في الحقيقة إعتراف بإسرائيل، وهذا ما وقعت فيه "منظمة التحرير الفلسطينية"، وما وقع فيه الرئيس الراحل ياسر عرفات، فعندما تحوّل جهاد بعض الفلسطينيين، وبعض الفصائل الفلسطينية من جهاد لتحرير الأراضي الفلسطينية، والقضاء على إسرائيل، إلى جهاد وعمل من أجل إقامة دولة فلسطينية كانوا هم أول من حصل منهم الإعتراف بإسرائيل، وشهدوا على أنفسهم بالهزيمة، ويدعو السّيد الفلسطينيين إلى الإستفادة من تاريخهم الطويل في مواجهة إسرائيل فيأخذوا منه الدّروس والعبر، ويعودوا إلى القرآن الكريم ليستفيدوا منه في صراعهم مع اليهود وإسرائيل، ويؤكّد السّيد على أنّ الدّعم، والتّأييد، والمناصرة للقضيّة الفلسطينيّة يجب أن يتّجه للحركات الجهاديّة التي تعمل من أجل القضاء على إسرائيل، وتحرير الأراضي الفلسطينيّة، يقول السّيد: **(الفلسطينيون أنفسهم عندما**

(١) محاضرة يوم القدس العالمي.

تحول جهادهم من جهادٍ لتحرير الأرض من إسرائيل للقضاء على إسرائيل، عندما تحولوا إلى المطالبة من أجل إقامة وطن خاص بهم داخل فلسطين، من أجل إقامة دولة يكون حكمها حكماً ذاتياً فقط وليست دولة بمعنى الكلمة كانوا هم أول من شهد على أنفسهم بالهزيمة، وفعلاً حصل الاعتراف من الفلسطينيين، وأقصد بهذا [منظمة التحرير الفلسطينية] وعرفات.

الدولة الفلسطينية - كما يقال عنها - حصل منهم الاعتراف بإسرائيل مقابل أن تكون هناك دولة للفلسطينيين، وأن يكون حكمها حكماً ذاتياً، أي أن يحكم الفلسطينيون أنفسهم بأنفسهم، وتكون دولة لا يجوز أن تقيم لها جيشاً، ولا علاقات خارجية كأي دولة من الدول، حكم ذاتي فقط، ضمن الدولة الإسرائيلية العامة.

هم وهم يواجهون إسرائيل منذُ فترة طويلة لم يأخذوا دروساً، لم يأخذوا عبراً، لم يرجعوا إلى القرآن الكريم ليستوحوا منه كيف يواجهون هذا العدو اللدود.. لو رجعوا إلى آية واحدة لأعطتهم درساً، إن كل ما يؤملونه في ظل الدولة الإسرائيلية غير ممكن أن يتحقق، الله قال عن اليهود: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾[النساء:٥٣] والنقير ما هو؟ الحبة البيضاء الصغيرة في ظهر نواة التمر [العَجَمة].

عندما يكون لليهود سلطة لا يمكن أن يعطوا الآخرين منها ما يعادل نقيراً، فكيف يطمح الفلسطينيون إلى أن بإمكانهم أن يتهيأ لهم إقامة دولة داخل إسرائيل في فلسطين نفسها يقيمون دولة؟! كيف يمكن أن تسمح لهم إسرائيل بذلك؟ وفعلاً لم يحصل هذا، لم تستقر هذه الدولة، لم تستقر إطلاقاً، ورأينا في هذا الشهر كيف ضربتها إسرائيل، ومن الذي استنكر؟ من الذي هب لإنقاذهم؟ من الذي صرخ في وجه إسرائيل؟ لا أحد.

بل هم الفلسطينيون أنفسهم يتجهون إلى أمريكا يستغيثون بها، يستنجدون بها، وهي هي [الشيطان الأكبر] هي التي وراء إسرائيل، هذه هي المشكلة التي لم يفهمها المسلمون، لم يفهمها الفلسطينيون، حتى عندما يريدون أن نتعاطف معهم، الفلسطينيون الذين قد اعترفوا بإسرائيل، وهم يريدون أن يقيموا حكماً ذاتياً لهم داخل فلسطين، يعترفون بإسرائيل، وتعترف بهم إسرائيل

كدولة فلسطينية، يريدون أن نقف معهم ليتحقق لهم هذا المطلب، لم يبق لهم طموح إلى أن ينهوا إسرائيل من الوجود، إلى تحرير الأرض المقدسة من أدناس أقدام الإسرائيليين. هل هذا شيء معقول بالنسبة للمسلمين أن يقفوا مع الفلسطينيين من أجل إقامة حكومة لهم؟.

لو وقفنا مع دولة عرفات من أجل تحقيق هذا المطلب لكنا قد اعترفنا بإسرائيل ضمناً أن لها حق الوجود في فلسطين، وأنها تعتبر دولة؛ لذلك يجب أن يكون التأييد مع أي حركة تعمل من أجل تحرير الأرض من إسرائيل، من أجل القضاء على إسرائيل، هذه هي التي يجب أن يقف معها المسلمون، ويجب أن تتجه نحوها مساعداتهم، ويتجه نحوها تأييدهم، أما أن نقف موقفاً يعتبر في الحقيقة اعترافاً ضمنياً بإسرائيل فهذا ليس من حق الفلسطينيين أنفسهم، الفلسطينيون أنفسهم ليس من حقهم أن يعترفوا بإسرائيل ثم يريدون منا أن نقف موقفهم)[1].

القضيّة الفلسطينيّة هي قضيّة كلّ المسلمين

وهنا يؤكّد السّيد على أنّ قضيّة إسرائيل، والقضيّة الفلسطينيّة ليست قضيّة تخصّ الفلسطينيين لوحدهم، بل هي قضيّة الأمّة كلّ الأمّة، وهي قضيّة المسلمين جميعاً، فحتى لو اعترف الفلسطينيون بإسرائيل، ورضوا لأنفسهم أن يكونوا عبارة عن مواطنين يعيشون داخل دولة إسرائيل، والكيان اليهودي المحتل، فإنّه لا يجوز للمسلمين أن يقرّوهم على ذلك، ويتخلّوا عن جهاد وقتال إسرائيل، والعمل على إزالتها من الوجود، ويؤكّد السّيد على أنّ المشكلة التي تعاني منها الأمّة في صراعها مع اليهود أنّهم لا يقدّمون الحلول والرّؤى العمليّة في مواجهة إسرائيل، ولا يَقدمونَ عليها، لا في خططهم، ولا في رؤاهم، ولا في وسائلهم الإعلاميّة، ومشكلة الشّعوب أيضاً في عدم جدّية الحكومات في مواجهة إسرائيل واليهود، يقول السّيد: **(قضية إسرائيل ليست قضية تخص الفلسطينيين، إنها قضية المسلمين جميعاً، حتى لو اعترف الفلسطينيون أنفسهم بإسرائيل، حتى لو رضوا بأن يكونوا عبارة عن مواطنين داخل دولة إسرائيل فإنه لا يجوز للمسلمين أن يقروهم على ذلك، ولا يجوز للمسلمين أن يتخلوا عن جهادهم في سبيل إزالة هذه [الغدة**

(١) محاضرة يوم القدس العالمي.

السرطانية] كما أطلق عليها الإمام الخميني (رحمة الله عليه).

الإمام الخميني في رؤيته فهم عمق المشكلة، وواقعها، وفي نفس الوقت قدم الرؤية العملية في الحل لهذه المشكلة.

وهذا الشيء الذي نفقده الآن.. ألسنا نرى في مختلف وسائل الإعلام الحديث عن ما يقوم به الإسرائيليون في داخل فلسطين من قتل وتخريب للمساكن، ومن استئصال لأشجار الزيتون في المزارع التي تخص الفلسطينيين؟ نسمع ونرى من تلفزيون اليمن، ومن تلفزيون السعودية، وهكذا من كل وسائل الإعلام العربية.. لكن هل تسمع أو ترى رؤية عملية، أو وضعاً لحل صحيح في إنقاذ الفلسطينيين، وفي إنقاذ الأمة من إسرائيل؟ لا.

ليس هناك أي شيء، وإنما هم يعملون كما تعمل إسرائيل، لا أقل ولا أكثر، حتى وإن تكلموا عن إسرائيل فكلام بأدب، كلام لا يثير مشاعر إسرائيل، كلام لا يجرح مشاعر إسرائيل، فيقولون: [قوات الاحتلال الإسرائيلي] بعبارات لا تساوي ما تعمله إسرائيل بأولئك المساكين، ومع ذلك لا نسمع أحداً يفكر في الحل، أو يهدي إلى حل، أو يرشد إلى المخرج من هذه المشكلة التي تعاني منها الأمة، وفي مقدمتها الفلسطينيون.

لماذا؟ هل لأن هذه الدول ليست جادة في مواجهة إسرائيل؟ وليست مكترثة مما تعاني منه هذه الأمة بسبب وجود إسرائيل في داخل كيانها؟ أم أنهم لا يفهمون ما هو الحل؟ أم أنهم لا يعرفون ما العمل الذي يعتبر مُجدياً للمخرج من هذه المشكلة الكبيرة؟.

سواء كانوا غير جادين، أو كانوا غير فاهمين هذا لا يعد مبرراً إطلاقاً، لا يعد مبرراً، ولا أعتقد أنهم يجهلون كيف يمكن أن يكون الحل العملي لإنقاذ الأمة من هذا الكيان الغاصب [إسرائيل]، وإنما ليسوا جادين كما قال الإمام الخميني (رحمة الله عليه): أن مشكلة الشعوب في حكوماتهم، حكوماتهم لم تقف بجدية ضد إسرائيل)[1].

(١) محاضرة يوم القدس العالمي.

هزيمة العرب في مواجهة اليهود

عندما تخلّى العرب والمسلمون عن الرّؤية والحلول القرآنيّة في مواجهة اليهود وإسرائيل ظهروا مهزومين وعاجزين تماماً أمام اليهود، واستطاع اليهود أن يقهرونا عسكريّاً، واقتصاديّاً، وثقافيّاً، وإعلاميّاً، بل لقد استطاعوا أن يصنعوا ثقافتنا، ويصنعوا الرّأي العام داخل البلدان العربيّة والإسلاميّة، وهاهم اليوم يضربون في فلسطين، ويضربون في أيّ موقع يريدون داخل هذه البلاد العربيّة، ويعملون ما يشاؤون على مرأى ومسمع من العالم كلّه، بعد أن عرفوا أنّهم قد استطاعوا أن يقهروا هذه الأمّة، وحطّموا كيانها على يد زعمائها وحكّامها الذين لم يستطيعوا أن يعملوا شيئاً في مواجهة إسرائيل، ولا حتّى على المستوى الإعلامي، يقول السّيد: **(برز العرب أمام اليهود مستسلمين عاجزين، استطاع اليهود أنه ليس فقط أن يقهرونا عسكرياً بل أن يقهرونا اقتصادياً وثقافياً وإعلامياً، وفي كل مختلف المجالات، قهروا هذه الأمة وهم مجموعة بسيطة، مجموعة بسيطة، استطاعوا أن يقهروا هذه الأمة، استطاعوا حتى أن يصنعوا ثقافتنا، أن يصنعوا حتى الرأي العام داخل هذه البلدان العربية. استطاعوا أن يجعلونا نسكت عن كلمات هي مؤثرة عليهم، فتسكت عنها كل وسائلنا الإعلامية، استطاعوا بأساليب رهيبة جداً.**

واليهود يفهمون جداً أنهم قد قضوا على هذه الأمة، وحطموا هيكل هذه الأمة، تراهم يضربون كما يشاءون في أي موقع في البلاد العربية، يضربون داخل فلسطين كما يريدون، وحتى وإن كان زعماء العرب مجتمعين في أي عاصمة من عواصمهم، وعلى مرأى ومسمع من جامعة الدول العربية، وعلى مرأى من مجلس الأمن، وعلى مرأى ومسمع من منظمة الأمم المتحدة، خلِّي عنك أولئك، على مرأى ومسمع من زعماء العرب وشعوبها.

لا يخافون العرب حتى أثناء اجتماع زعماء العرب، لا يخافون المسلمين جميعاً حتى أثناء اجتماع زعماء المسلمين، لا يخافون يضربون ويشتغلون، لا تسمع بأن إسرائيل أعلنت حالة الطوارئ أو أنهم رفعوا الرشاشات المضادة للطائرات فوق أسطح المنازل أو.. أو.. تحسباً لأي شيء من قبل العرب عند اجتماع زعمائهم في الدوحة أو في أي منطقة أخرى.. لماذا؟ لأنهم قد عرفوا وفهموا أن هذه الأمة

قد قضوا عليها، وفعلاً قضوا عليها، لكن بواسطة من؟ بواسطة من؟ بواسطة زعمائها دولها الغبية.

وأقول وأؤكد إنها غبية فعلا وعاجزة فعلاً عن أن تواجه اليهود حتى في المجال الإعلامي وحده، كم يملك العرب من محطات التلفزيون والقنوات الفضائية؟ هل استطاعوا أن يخلقوا رأياً عالمياً مضاداً لإسرائيل؟ لا.

معروف عن اليهود والنصارى أنهم متباغضون فيما بينهم، وأن النصارى يتهمون اليهود بقتل المسيح، وأن النصارى حملوا العداء لليهود - كما نعاديهم نحن - فترة طويلة من الزمن، هل استطاع مثقفو هذه الأمة العربية، هل استطاع الإعلام العربي أن يغذي العداء داخل النصارى لليهود؟ أو أن يصنع رأياً عالمياً مضاداً لإسرائيل؟ أو أن يصنع رأياً عالمياً متعاطفاً مع فلسطين؟ أو حتى أن يصنع رأياً عالمياً عربياً يحمل عقدة العداء لإسرائيل؟ لم يحصل كل ذلك!.

وهم في نفس الوقت يقولون أن اليهود هم الذين يصنعون الرأي العالمي داخل بلدان أوروبا وأمريكا وآسيا وغيرها، هم الذين يصنعون الرأي العام العالمي داخل تلك البلدان. أين جاءت أموال العرب؟ أين جاءت محطاتهم التلفزيونية؟ أين جاءت قنواتهم الفضائية؟ أين صحفهم؟ أين الصحفيون؟ المئات من الصحفيين منهم؟ أين مراكزهم الإسلامية؟ أين وأين؟. كلهم عجزوا أمام اليهود)[1].

وهنا يشير السّيد إلى أنّ المواجهة لم تعد مع إسرائيل فقط، بل هي مواجهة شاملة وتاريخيّة مع اليهود، فالمواجهة مع اليهود هي أوسع من مسألة تحرير الأرض، وهي مواجهة تمتدّ تاريخيّاً مع اليهود الذين يتحكّمون في الثّقافة، والإعلام، والرّأي العام، ووصل تأثيرهم إلى كلّ شيء، وكلّ مكان بما في ذلك الموروث الفكري، والثقافي، والعقائدي، يقول السّيد: **(إسرائيل لم تعد تلك البقعة التي تهيمن عليها داخل فلسطين.. الثقافة، الرأي العام، الهيمنة الإعلامية، الهيمنة الثقافية أصبحت بأيدي اليهود، فنحن بحاجة إلى أن نواجه اليهود، وليس فقط إسرائيل، اليهود**

(١) محاضرة يوم القدس العالمي.

تأثيرهم يصل إلى كل مكان، والعقائد الباطلة هي تاريخياً من صنع اليهود، العقائد الباطلة التي اندست داخل المسلمين هي تاريخياً من صنع من اندسوا من داخل اليهود)[1].

وهنا يؤكّد السّيد على أنّ كلّ ما نقوم به من أعمال وتحرّكات في مواجهة إسرائيل، واليهود، وأمريكا إنّما هي نتيجة طبيعيّة، وردّ فعل طبيعي تجاه كلّما يقومون به من أعمال إجراميّة نشاهدها ونتابعها على وسائل الإعلام، وشاشات التلفزة والأخبار، فنحن لا زلنا عرباً نحمل الروحيّة والنفسيّة العربيّة الأبيّة تجاه ما يحدث من أعمال إجراميّة ووحشية تقوم بها أمريكا وإسرائيل، وقبل ذلك كلّه نحن لا نزال مؤمنين ومسلمين نحمل في نفوسنا صرخات ونبرات الحريّة والإباء، يقول السّيد: **(نحن كل ما صدر منا، وكل صرخة نرفعها، كل اجتماع نعمله كهذا أو غيره نحن إنما تأثرنا بوسائل إعلامكم فماذا تريدون أنتم عندما تعرضون علينا أخبار ضربات اليهود والأمريكيين والإسرائيليين هنا وهناك في أفغانستان وفي فلسطين، وفي كل بقعة من بقاع هذا العالم، عندما تعرضونها علينا ماذا تريدون أنتم من خلال العرض؟.**

عندما تأتي أنت أيها المذيع وتعرض علينا تلك الأخبار، وعبر الأقمار الصناعية لنشاهدها، فنشاهد أبناء الإسلام يُقَتَّلُون ويُذبحون، نشاهد مساكنهم تهدم، هل تظن أننا سننظر إلى تلك الأحداث بروحية الصحفي الإخباري الذي يهمه فقط الخبر لمجرد الخبر. وتهمه نبرات صوته وهو يتحدث واهتزازات رأسه. إن كنت لا تريد من نبرات صوتك أن توجد نبرات من الحرية، نبرات في القلوب، في الضمائر تصرخ بوجه أولئك الذين تقدم لنا أخبارهم، إن كنت لا تريد باهتزاز رأسك أن تَهز مشاعر المسلمين هنا وهناك، إن كنت إنما تحرص على نبرات صوتك وعلى اهتزازات رأسك لتظهر كَفَنيٍّ إعلامي، نحن لا ننظر إلى الأحداث بروحيتك الفنية الإعلامية الإخبارية، الصحفية، نحن مؤمنون ولسنا إعلاميين ولا صحفيين ولا إخباريين، نحن نسمع قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢-٣] **نحن ننظر إلى ما تعرضه على شاشة التلفزيون بنظرتنا البدائية، نحن لا نزال عرباً لم نَتَمَدّن بعد،**

(١) محاضرة يوم القدس العالمي.

وببساطة تفكيرنا كعرب مسلمين لا تزال في نفوسنا بقية من إبَاءٍ، بقية من إيمان، فنحن لسنا ممن ينظر إلى تلك الأحداث كنظرتك أنت.

لنقول لهم: إذا كنتم لا تريدون من خلال ما تعرضون أن تحدثوا في أنفسنا أن نصرخ في وجه أولئك الذين يصنعون بأبناء الإسلام ما تعرضونه أنتم علينا في وسائل إعلامكم فإنكم إنما تخدمون إسرائيل وأمريكا وتخدمون اليهود والنصارى بما تعرضون فعلاً؛ لأنكم إنما تريدون حينئذٍ بما تعرضون أن تعززوا في نفوس أبناء الإسلام في نفوس المسلمين الهزيمة والإحباط، والشعور باليأس والشعور بالضَّعَة، أو فاسكتوا فلا تعرضوا شيئاً، ولكن لو سكتم فلم تعرضوا شيئاً ستكون إدانة أكبر وأكبر، ستكونون بسكوتكم تسكتون عن جرائم، تسكتون عن جرائم اليهود والنصارى في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي ضحيتها هم أبناء الإسلام، هم إخوانكم من المسلمين)[1].

ويضيف السّيد أنّنا لا يمكن أن نسمح "للهزيمة النفسيّة" أن تترسّخ في أنفسنا من خلال ما نشاهده ونتابعه من أخبار إجراميّة ووحشيّة تعرضها شاشات التلفزة، والأخبار، ووسائل الإعلام، ثمّ لا يكون لنا موقفاً أمام كلّ هذه الأحداث والمؤامرات، بل سيكون لنا المواقف المشرّفة التي ترضي ضمائرنا، وترضي شعوبنا، وترضي الله سبحانه وتعالى قبل كلّ شيء، وسننطلق بكلّ قوّة في كشف الحقائق في السّاحة، والأحداث هي كفيلة بكشف الحقائق، وغربلة النّاس، يقول السّيد: **(هذه الحقيقة التي يجب أن نعرفها وأن نقولها لأولئك، وأن نرفض الحقيقة التي يريدون أن يرسخوها في أنفسنا هم من حيث يشعرون أو لا يشعرون، حقيقة الهزيمة، حقيقة (الهزيمة النفسية)، لا نسمح لأنفسنا، لا نسمح لأنفسنا أن نشاهد دائماً تلك الأحداث وتلك المؤامرات الرهيبة جداً جداً، ثم لا نسمح لأنفسنا أن يكون لها موقف، سنكون من يشارك في دعم اليهود والنصارى عندما نرسخ الهزيمة في أنفسنا، عندما نَجْبُن عن أي كلمة أمامهم.**

إذاً فهمنا بأنه ليس من صالح أي دولة كانت أن تُظهِر للآخرين ما يخيفهم عندما يتحدثون

(١) محاضرة الصرخة في وجه المستكبرين.

ويصرخون في وجه أمريكا وإسرائيل، عندما يرفعون صوتهم بلعنة اليهود الذين لعنهم الله على لسان أنبيائه وأوليائه.

ثم سنسهم دائماً في كشف الحقائق في الساحة؛ لأننا في عالم ربما هو آخر الزمان كما يقال، ربما - والله أعلم - هو ذلك الزمن الذي يَتَغَرْبَل فيه الناس فيكونون فقط صفين فقط: مؤمنون صريحون/ منافقون صريحون.. والأحداث هي كفيلة بأن تغربل الناس، وأن تكشف الحقائق)[1].

حتّى لا تصبح فلسطين وسيلة لإمتصاص غضب الشّعوب

يحذّر السّيد من مخطّط خبيث يعمل على أن تكون فلسطين، والقضيّة الفلسطينيّة بؤرة ووسيلة يستخدمها الحكّام لامتصاص غضب الشّعوب، وسخط النّاس من خلال الخروج إلى الشّارع، وتسيير المظاهرات والمسيرات، التي يفرّغ فيها النّاس غضبهم وسخطهم في الشّوارع ثمّ يعودون إلى البيوت، والقضيّة كما هي لم تراوح مكانها، بينما تبقى الشعوب مستهلكة في الشّوارع والمظاهرات دون أيّ مواقف أو حلول عمليّة وضاغطة تلبّي بالحدّ الأدنى متطلّبات ظروف الصّراع والمرحلة، وهذه وسيلة يلجأ إليها الحكّام حتى يجنّبوا أنفسهم سخط وغضب الشّعوب، ويدعوا السّيد إلى أن تستغلّ المظاهرات، والمسيرات، والإحتجاجات في تنمية وتفعيل غضب وسخط الشعوب من خلال تبنّي المواقف العمليّة التي تحتوي هذا السّخط والغضب، وتحوّله إلى مواقف عمليّة، وحلول ناجحة تدكّ عروش الظّالمين والمستكبرين، وتؤرّق مشاعرهم، ويستغلّ هذا الغضب والسخط للإنطلاقة الإيمانيّة الواعية بضرورة تصحيح الوضعيّة، وبناء القدرات الإقتصاديّة التي تؤهل الأمّة للقدرة على الوقوف في وجه كلّ هذه المؤامرات، والتّحديات، والتّهديدات، والمطالبة بفتح معسكرات التّدريب والتّأهيل العسكري كخطوات عمليّة في سبيل مواجهة إسرائيل، وأمريكا، ورفع الظّلم عن كاهل هذه الأمّة، وعن كلّ المظلومين، يقول السّيد: **(بل أصبحت المسألة - وهي قضية يجب أن نعيها أيها الإخوة - يجب أن نعيها، أصبحوا هم من يتعاملون مع الشعوب، فإذا ما دعونا لمظاهرة ضد**

(١) محاضرة الصرخة في وجه المستكبرين.

إسرائيل، أصبحت فلسطين، أصبحت فلسطين نفسها الآن تستخدم وسيلة لامتصاص غضب الشعوب، لامتصاص غضب الساخطين في هذه الشعوب، الذين قد يصل غضبهم وسخطهم إلى التساؤل لماذا لا يكون لنا موقف؟ ما الذي عاقنا عن أن يكون لنا ونحن أمة لها جيوشها، لها أسلحتها.. ما الذي عاقها عن أن يكون لها موقف؟ فترى نفسها هي من تتفرج على إخوانهم، على أبنائهم، على أمهاتهم في فلسطين، تدمر بيوتهم وتسفك دماؤهم.

أليس الناس يتساءلون بعد من المسؤول وراء ذلك؟ أوليس الناس كلهم سيحمِّلون المسؤولية حكوماتهم وزعماءهم؟ إذاً قبل أن يصل الوضع إلى هذه الحالة، قبل أن يتنامى السخط، إلى أن يخلق هذه النظرة هلمُّوا أخرجوا إلى الشوارع، اخرجوا ما في نفوسكم، اسخطوا، تكلموا تحدثوا، ثم يعود اليمني، يعود المصري إلى بيته ويرى نفسه وهو في بيته مثل حالته قبل أن يخرج من بيته، ويرى والوضع هو الوضع، والجمعة هي الجمعة، والخطبة هي الخطبة، والموقف هو الموقف، موقف الزعماء هو الموقف.

هذه الطريقة ليتظاهر الناس ولو كل أسبوع على هذا النحو لا يجدي إذا لم يكن تنامي السخط في الأمة هو يتجه من منطلق الإيمان بضرورة أن تصحح هذه الأمة وضعيتها، وأن تبني نفسها؛ ليتجه الجميع لاتخاذ موقف من ذلك العدو الذي نراه يعمل بأبنائنا وأمهاتنا وإخواننا، ببيوتهم بمزارعهم بمساجدهم بمستشفياتهم في فلسطين، وفي أفغانستان، وفي كشمير وفي غيرها من البلدان؛ لنستطيع أن نوقفه عند حده، وأن نقطع تلك اليد التي تعبث في البلاد الإسلامية، في فلسطين وفي غيرها.

وإلا فليتظاهر الناس.. المظاهرة جيدة، والمظاهرة نفسها تترك أثراً أمام اليهود، وأمام النصارى: أن هؤلاء يغضبون، لكنهم سيكونون هم من يأمنون من غضبنا متى ما وجدوا أن غضب هذه الأمة لا يصب في قناة تحتويه فتحوله إلى صخرة تدك عروشهم، حينها سيأمنون غضبنا، وحينها نصرخ كما نصرخ لا يخافون منا.

يجب أن تستغل المظاهرات، يجب أن تستغل الخطب، يجب أن يستغل شعار: [الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل]، وغيره من كل الهتافات التي تنمي السخط في نفس الأمة لبناء الأمة، لتتجه هي

هي، لتقف الموقف الذي يفك عن الفلسطينيين وغيرهم من المظلومين ممن تظلمهم أمريكا وإسرائيل وحلفائهم، ليفكوا هم وإلا فكل واحد منكم - وليس محللاً سياسياً وليس مفكراً - لو سألناه إذا كنا كل أسبوع نخرج، أو كل شهر نخرج في مظاهرة من هذا النوع والوضعية على ما هي عليه، ليس هناك من يبني اقتصادنا بناءاً صحيحاً حتى نرى أنفسنا نستطيع أن نتحمل حصاراً يُفرض علينا، نستطيع أن نقف في وجه عدوِّنا، إذا كنا لا نرى أنفسنا نُفتح مراكز للتدريب ليتدرب الشباب جميعاً على الأسلحة.

عندما ادعى الرئيس وقال: من يريدون الجهاد في سبيل الله فليتحركوا إلى فلسطين عبر أيّ القنوات، نقول: أنت قناة من هذه القنوات فسنتحرك عبرك، إذاً افتح مكاتب للتطوع، افتح مراكز للتدريب وسننطلق جميعاً نتدرب، وسننطلق جميعاً لنقاتل.

هذا هو الموقف الصحيح، ونحن نشكر لك هذه العبارة التي قد نراك في أي يوم من الأيام تضطر إلى أن تسحبها: [من كان يريد الجهاد في سبيل الله فهناك إسرائيل يتجه عبر أي القنوات] أنت واحد من هذه القنوات، أنت واحد من المسؤولين على طول وعرض هذه الأمة، أنت واحد من الزعماء الذي يجب أن يجعل من نفسه قناة تحتوي هذا الغضب؛ لتبني هذه الأمة بناء صحيحاً تجعل منها أمة مؤهلة لتواجه ذلك العدو.

نقول: إذا كنتم صادقين افتحوا مراكز للتدريب، مَوِّلونا، مولوا شبابنا، افتحوا مكاتب للتطوع وسيتجه الشباب وسنحرض الشباب، وسنتكلم مع الناس ليتطوعوا وليتدربوا، وسنتجه جميعاً نتطوع ونتدرب، ونتجه جميعاً نقاتل. لكن أما أن يكون الحديث على هذا النحو فإننا لسنا أغبياء إلى هذه الدرجة.

نحن نعرف - من قبل أن يتكلم - أن قضية فلسطين أصبحت بؤرة يحاولون أن يصبوا سخط الناس هنا أو هنا ليتجه إلى هناك، هناك فرِّغ سخطك، هناك فرغ غضبك، اخرج اهتف في الشارع ضد إسرائيل، تضامن مع الشعب الفلسطيني، ثم عد إلى بيتك وترى الوضع نفس الوضع، وترى مواقف الزعماء هي نفس المواقف، وترى أن الثقافة هي الثقافة والإعلام هو الإعلام، وأمريكا هي

أمريكا، وإسرائيل هي إسرائيل.

نحن لا نسمح لأنفسنا ونحن قد فهمنا - فيما أعتقد - كل شيء، نحن استطعنا أن نفهم كل شيء، وهم في نفس الوقت عندما يتحدثون معنا حديث من يرى أنه وحده من يفهم أمريكا وإسرائيل، ويفهم السياسة في هذا العالم، ويفهم الخطورة في هذا العالم، ويفهم كل شيء، أما أنتم يا أبناء الشعب فليس أحد منكم بمستوى أن يفهم؛ لأننا نحن من نسبح دائماً بحمدهم ونقدسهم ونصفق لهم، حتى أصبحوا يرون أنفسهم عظماء إلى درجة أن رأوا في أنفسهم أنه لا يمكن أن يكون هناك أحد من الناس يفهم الواقع كمثلهم)[1].

الحقوق تنتزع بالقوّة

يؤكّد السّيد على أنّ تحرير فلسطين لن يتم، ولن يكون إلاّ بالقوّة، والجهاد في سبيل الله، وأنّ سلوك درب المفاوضات، واستجداء الحلول من الغرب، وأمريكا، ومجلس الأمن، والأمم المتحدة تحت عناوين السّلام، وعمليات السّلام لن يحقق للأمّة شيئاً، ولن يحقّق للشّعب الفلسطيني أيّ نتيجة مالم يتّجه هو بنفسه لأخذ حقّه بيده، واستعادة أراضيه بالقوّة، وهذه هي القاعدة التي أكّد عليها القرآن الكريم في الصّراع مع اليهود، فعند قوله سبحانه وتعالى: ﴿**أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً**﴾[النساء:٥٣]، يقول السّيد متحدثاً عن اليهود: **(بخلاء هم دائماً، وعندما يكون لهم نصيب من الملك، لو حصل لديهم سيطرة، لو حصل لهم دولة لن يعطوا الآخرين شيئاً منها.**

هذه ظهرت في تعاملهم مع الفلسطينيين، كم قد لعبوا بالفلسطينيين يوعدونهم بأنهم سيعطونهم حكماً ذاتياً ودولة مستقلة وسلطة فلسطينية وهي كذب، إذاً {لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرا} والنقير: كأنه الحبة التي تكون في طرف عجمة التمر، النواة، تلك الحبة الصغيرة، أقل قليل لا يعطونه، هذا واضح في تعاملهم مع الفلسطينيين، أليست قضية الآن واضحة أمام الناس؟ كم مضى عليهم وهم متفاوضون معهم ومتوهون لهم ومماطلون لهم؟ سنين وهم موعدون لهم مثلما تقول

(١) محاضرة دروس من وحي عاشوراء.

بماذا؟ بـ[خبز الشمس] لم يعطوهم شيئاً، لو أنهم يرجعون إلى القرآن الكريم لعرفوا بأن هؤلاء لا يمكن أن يعطونا شيئاً من جهة أنفسهم، إلا بأن نأخذ نحن حقنا، لأن نحرر أوطاننا منهم وعندما لا تقوم رؤية الناس على هذا الأساس سيأتي أشياء عملية سيئة.

عندما كانت [منظمة التحرير الفلسطينية] عندها بأنه يمكن أن يحصلوا على دولة وسلطة هم والكثير من المثقفين في فلسطين أصبحوا ينظرون إلى من يجاهدون نظرة بأنهم أناس مغفلون أعاقوا طريق السلام أعاقوا إقامة دولة فلسطينية أعاقوا أن تتحقق لنا سلطة فلسطينية مستقلة، وفي الأخير يعملون ضد أصحابهم بعنف وقسوة يخطؤنهم وعندهم: غلط العمليات هذه التي تعملونها، والمواجهة المسلحة غلط، أنتم تعيقون عملية إقامة دولة فلسطينية من جانب الإسرائيليين، يمنحوننا على أساس التفاوض وأخذ ورد! أعني: لا تكون المسألة أن واحد غلط فقط؛ لأن الغلط في الأخير يقوم عليه أعمال كثيرة خطأ)[1].

اليهود يحملون عداءً شديداً للعرب والمسلمين، وكلّ أعمالهم، وتحرّكاتهم، وسياساتهم تقوم على هذه القاعدة، وفي هذه المرحلة التي أصبحت المواجهة فيها مع اليهود مواجهةً علنيةً، وصريحةً، ومكشوفة يجب على العرب، وفي مقدّمتهم أهل البيت أن يكون من أوّل المجاهدين، والمتحرّكين في مواجهة اليهود، ومواجهة كلّ أعمالهم، وتحرّكاتهم، وسياساتهم بكلّ جدّ واجتهاد، يقول السّيد: **(اليهود عندما دخلوا القدس يقال أنهم كانوا يهتفون بشعار: [محمد مات وخلف بنات، محمد مات وخلف بنات] لم يخلف رجالاً.. هكذا يريدون أن يقولوا أن محمداً لم يخلف رجالاً بعده، لا رجالا من بنيه، ولا رجالا من أمته؛ ولهذا استطاعت تلك الحفنة تلك الحفنة القليلة من اليهود أن تدوس المسلمين جميعاً بما فيهم أبناء محمد.**

في أوضاع كهذه يجب أن يكون أهل البيت هم أول من يدرك خطورتها، هم أول من يتحرك في مواجهتها، أن يكونوا هم أول المجاهدين، أن يكونوا هم أول الشهداء، أن يكونوا هم أول من يبذلون دماءهم وأموالهم في سبيل الله، والمستضعفين.

---

(١) الدّرس الثّامن عشر من دروس رمضان.

المواجهة الآن مكشوفة مع اليهود، مواجهة علنية، وصريحة، ومكشوفة مع اليهود، واليهود هم أعداء للمؤمنين جميعاً)[1].

وأمام هذه المرحلة الخطيرة التي تعتبر من أخطر مراحل الصّراع مع اليهود لا يجوز لأحد فيها على الإطلاق أن يبحث عن مبرّرات القعود والسّكوت في مواجهة اليهود، فالكلّ معنيّون وعلى كلّ المستويات بالتّحرك الجادّ، والفاعل، والمسئول في خوض غمار هذه المعركة، والتّحديات الشّاملة ليثبتوا عظمة الإسلام، وقدرته على حسم الصّراع مع الأعداء، فاليهود لا يزالون يحملون نتائج، وتبعات، وثارات الأحداث التّاريخيّة معهم، يقول السّيد: **(هذا الذي يبحث عن أعذار الآن لقعوده قد يراه في يوم من الأيام يقودونه، ويسحبونه بأقدامه إلى أعماق السجون، ثم يعذبونه أبشع التعذيب، وهو لا يعرف لماذا يقودونه، ماذا عمل! يلصقون به أي تهمه؛ لأن أول هدف لليهود هم علماء الإسلام، ولا سيما إذا ما كانوا من أبناء محمد فإنها الشيء الذي يشتهي اليهودي أن يقطِّع الشخص، هذا العالم عالم دين، وأيضاً من أبناء محمد، سيرى في تعذيبه أنه ينتقم من [خيبر].**

هم كانوا يقولون: [يا لثارات خيبر] وهم في القدس يهتفون [يا لثارات خيبر] ما تزال أحداث خيبر ماثلة أمام أعينهم، ما يزال ما حدث على [بني قريظة] ماثلاً أمام أعينهم!)[2].

اليهود يخطّطون للإستيلاء على الحرمين الشريفين

يؤكّد السّيد أنّ اليهود يسعون ويخطّطون للإستيلاء على الحرمين الشريفين، وليس على القدس فقط، وإنّما المسألة هي مسألة وقت فقط، مؤكّداً على ما أكّد عليه الإمام الخميني من أنّ العرب والمسلمين لن يسلموا من شرّ اليهود إلاّ باستئصالهم والقضاء عليهم، وأيّ توجّهات أخرى إنّما هي إضاعة للوقت، وتمثّل فرصةً كبيرةً أمام إسرائيل لتتمكّن أكثر، وتهيمن أكثر، وتستحكم قبضتها بشكل أكبر، يقول السّيد: **(الإمام الخميني وقف موقفاً ثابتاً، موقفاً ثابتاً،**

(١) محاضرة مسؤولية أهل البيت.

(٢) محاضرة مسؤولية أهل البيت.

ورؤيةً صحيحةً ثابتةً حدّية: أن فلسطين، أن البلاد العربية أن البلاد الإسلامية كلها لن تسلم من شر اليهود إلا باستئصالهم، والقضاء على كيانهم، أي شيء غير ذلك إنما هو ضياع للوقت، وإتاحة للفرصة أمام إسرائيل أن تتمكن أكثر وأكثر، حتى أنه قال - وفعلاً عندما يقول الإمام الخميني فالشواهد أثبتت أن رؤيته فعلاً واقعية في كثير من الأشياء - قال: "إن إسرائيل تطمح إلى الاستيلاء على الحرمين الشريفين، وليس فقط على القدس، إسرائيل تطمح للاستيلاء على مكة المكرمة، على الكعبة المشرفة وعلى المدينة المنورة".

وفعلاً إسرائيل استطاعت أن تصل إلى درجة لا يوقفها أمام ما تريد أحد.. فالغرب وراءها، والعرب مستسلمون، العرب مهزومون، لا يستطيعون أن يحركوا ساكناً - دولهم بالطبع - دولهم، وإنما المسألة هي مسألة وقت، واليهود يستمرون في خططهم، ويعملون على تهيئة الأجواء المناسبة لأن يقوموا بعمل ما في الوقت المناسب)[1].

وعندما لم يتمّ التعامل من قبل العرب والمسلمين مع إسرائيل واليهود بجدّيّة في مسألة تحرير فلسطين من هيمنتهم واحتلالهم، ها هي إسرائيل تعمل، وتسعى، وتخطّط للإستيلاء على الحرمين، وكلّ المؤشّرات السّياسيّة، والإقتصاديّة، والأمنيّة، والعسكريّة تدلّ على ذلك، وما الحملة الدّعائيّة الموجهة من قبل الغرب، وأمريكا، وإسرائيل ضدّ السّعوديّة إلاّ أولى الخطوات نحو تنفيذ هذا المخطّط والهدف الخبيث، مع أنّنا نعلم جميعاً أنّ السعودية صديقة لأمريكا، وصديقة لإسرائيل، وهذا ما كان قد حذّر منه الإمام الخميني قبل أكثر من ثلاثين سنة، يقول السّيد: **(الإمام الخميني قال من قبل عشرين سنه: أن أمريكا وإسرائيل تخططان للاستيلاء على الحرمين. هم قد عرفوا أنهم عندما استولوا على القدس ألسنا نصرخ بالقدس ثم نتكلم عن القدس.. دون موقف جاد، إلى أن أصبح كلامنا لا يخيفهم، وهو ثالث الحرمين؟ عرفوا بأن بإمكانهم أن يأخذوا ثاني الحرمين وأول الحرمين ثم يكون الكلام هو الكلام من قِبَلنا ويكون الموقف هو الموقف.**

(١) محاضرة يوم القدس العالمي.

لماذا قد يخططون للاستيلاء على الحرمين؟ ألسنا نعرف جميعاً بأن السعودية هي دولة صديقة لأمريكا؟ أليس كل الناس يعرفون هذا؟ السعودية دولة صديقة لأمريكا، لكن لماذا تُواجَه السعودية بحملة دعائية شديدة من جانب أمريكا ودول الغرب، الإعلام في الغرب الصحف والكتاب والقنوات التلفزيونية والإذاعات وغيرها تتحدث عن السعودية أنها دولة إرهابية وتدعم الإرهاب وأنها، وأنها ... الخ. السعوديون ألم نسمع عنهم بأنهم اختلفت وضعيتهم الآن يشعرون بخوف شديد، فيتحدثون: نحن لسنا إرهابيين، لماذا يقولون نحن إرهابيين، ماذا عملنا؟. هم لم يعرفوا ماذا عملوا! لم يعملوا شيئاً ضد أمريكا، لكن أولئك يريدون الاستيلاء على الحرمين فعلاً)[1].

لماذا يستولون على الحج؟

إنّ مخطّط الإستيلاء على الحرمين الشريفين هو بهدف السّيطرة على الحجّ باعتباره يشكّل تهديداً كبيراً، ويمثّل خطورةً بالغةً على اليهود والغرب، فبعد أن قسّموا وجزّأوا الدّول العربيّة والإسلاميّة إلى عدّة دول، لا زال الحجّ يشكّل مصدر قلق وإزعاج كبير لهم، لأنّه الرّابط الوحيد الذي بقي بين المسلمين، وله أثره الكبير والمهمّ في خدمة وحدة المسلمين، ويحمل معانٍ ودلالاتٍ كبيرةٍ جدّاً إذا وظّف واستغل بشكل صحيح، وهناك نصوص لكتّاب، وقادة، ووزراء، ومفكّرين يهود يتحدّثون عن ذلك، يقول السّيد: **(لماذا يستولون على الحرمين؟ لأن الحج هذا الحج الذي لا نفهمه نحن عندما نحج من اليمن ومن السعودية ومن مصر نحن العرب الأغبياء عندما نحج، اليهود يفهمون قيمة الحج أكثر مما نفهمه، اليهود يعرفون خطورة الحج وأهمية الحج أكثر مما نفهمها نحن، ما أكثر من يحجون ولا نفهم قيمة الحج.**

الحج له أثره المهم، له أثره الكبير في خدمة وحدة الأمة الإسلامية، ألم يجزأوا البلاد الإسلامية إلى دويلات إلى خمسين دولة أو أكثر؟ وجزأوا البلاد العربية إلى عدة دويلات، لكن بقي الحج مشكلة يلتقي فيه المسلمون من كل منطقة، إذاً ما زال الحج رمزاً لوحدة المسلمين ويلتقي حوله المسلمون ويحمل معانٍ كثيرة جداً لو جاء من يذكر المسلمين بها ستشكل خطورة بالغة عليهم، على

(١) محاضرة لا عذر للجميع أمام الله.

الغربيين، على اليهود والنصارى.

ولهم نصوص نحن نقرأها نصوص من وزراء منهم ومفكرين منهم يتحدثون عن خطورة الحج وأنه يجب أن يستولوا على الحج، وأنهم يجب أن يهيمنوا على هذه البقعة.

الآن تحرك إعلامهم وعادة - كما يقال - (الحرب أولها كلام) أليس هذا معروفاً؟ يتحدثون أولاً عن الإرهاب والسعودية تدعم الإرهاب. ماذا عملت السعودية؟ كلها خدمة لأمريكا، قدمت كل الخدمات لأمريكا، عملت كل شيء لأمريكا، لماذا أصبحت الآن لا فضل لها ولا جميل يُرعَى لها ولا شيء يُحسب لها، ويقال عنها: دولة إرهابية؟ لأنهم يريدون أن يمهدوا بذلك، بعد أن عرفوا أننا نحن العرب أصبحنا جميعاً إذا ما قالت أمريكا: هذه دولة إرهابية انفصل عنها الآخرون، إذا ما قالت أمريكا: هذا الشخص إرهابي انفصل عنه الآخرون وابتعدوا) محاضرة لا عذر للجميع أمام الله.

ونظراً لما يمثّله الحج، ويشكّله من تهديد خطير على اليهود والنّصارى فقد جاء الحديث عنه في القرآن الكريم متوسّطاً الآيات التي تتحدّث عن اليهود والنّصارى كما في سورة "البقرة"، وسورة "آل عمران" وسورة "النساء"، ومن المتوقّع والمحتمل إحتمالاً كبيراً جدّاً أن يسيطروا على الحرمين الشريفين بذريعة الحرب على الإرهاب، هذا المصطلح الذي يعتبر مصطلح الإستعمار الحديث، فقد تدفع أمريكا، وإسرائيل، والغرب بالتكفيريّين للسيطرة على مكّة والمدينة كما فعلوا في العراق وسوريا، ثمّ يتدخّلون هم بإسم محاربة الإرهاب، وداعش، والقاعدة، أو أيّ مصطلح جديد قد يستخدمونه، ويستحدثونه في قادم الأيام، والأحداث كفيلة بكشف كلّ الحقائق، يقول السّيد: **(ولأن الحج مهم في مجال مواجهة اليهود والنصارى، جاءت الآيات القرآنية في الحديث عن الحج متوسطة لآيات الحديث عن اليهود والنصارى في كل من سورة [البقرة] وسورة [آل عمران] و[النساء]، ثلاث سور أذكرها من السور الطوال أتى الحديث عن الحج ضمن الحديث عن بني إسرائيل.. كما جاء الحديث عن ولاية الإمام علي ضمن الحديث عن بني إسرائيل، كما جاء الحديث عن الوحدة والاعتصام بحبل الله جميعاً ضمن الحديث عن بني إسرائيل؛ لأن بني إسرائيل هم المشكلة الكبرى في هذا العالم ضد هذه الأمة وضد هذا الدين،**

هم العدو التاريخي للمسلمين من ذلك اليوم إلى آخر أيام الدنيا. هم العدو التاريخي بنو إسرائيل.

فالحج هم - فعلاً - يخططون للاستيلاء عليه، وإذا ما استولوا عليه فهم قد عرفوا أننا أصبحنا نصدق كل شيء من عندهم، وأننا أصبحنا أبواق إعلام نردد أي تبرير يأتي من قبلهم، عندما يقولون: نحن جئنا إلى اليمن من أجل أن نساعد الدولة اليمنية على مكافحة الإرهاب. كل يمني يقتنع بهذا ويرددها ويخدمهم في أن تُعمم على أكبر قطاع من الناس، ونقتنع جميعاً بأنهم إنما جاءوا لمكافحة الإرهاب، وسيدخلون الحجاز من أجل مكافحة الإرهاب، ومن أجل مكافحة الإرهاب يحرقون القرآن، ومن أجل مكافحة الإرهاب يهدمون الكعبة، ومن أجل مكافحة الإرهاب يمنعون الحج، ومن أجل مكافحة الإرهاب يدوسونا بأقدامهم ونحن نصدق كل تبرير يقولونه.

لقد وثقوا بأن كل كلمة يقولونها تبرر أعمالهم ضدنا أصبحت مقبولة لدينا، وأصبحت وسائل إعلامنا ترددها، وأصبحنا نحن نستسيغها ونقبلها ونغمض أعيننا عن الواقع الملموس، نؤمن بالخدعة ولا نلتفت إلى الواقع الملموس الذي باستطاعتك أن تلمس شرَّهم وخطرهم، تغمض عينيك وتكفت يديك وتصدق التبرير الذي يعلنونه.

عندما يصل الأمر إلى هذه الدرجة يكونوا مخططين للاستيلاء على الحرمين الشريفين، مخططين للاستيلاء على اليمن، لكنّ استعمارٌ حديث، احتلال حديث لم يعد بالشكل الأول أن يجعلوا زعيماً أمريكياً يحكم، لا لن يجعلوه أمريكياً، سيجعلونه يهودي يمني سواء يهودي من أصل إسرائيلي، أو يهودي من أصل حميري أو كيفما كان، المهم يهودي سواء يحمل هوية إسلامية أو يهودي حقيقي يكون شخص بالشكل الذي ينسجم معهم)[1].

يمثل الحرمان الشريفان التهديد الأكبر لليهود، وعلى مستقبلهم لأنّهم يعرفون أهميته وخطورته البالغة عليهم، وعلى دولتهم، وكيانهم، ووجودهم بخلاف القدس الذي لا يشكل هذه الخطورة والأهمية، لأنّ ارتباطهم بالقدس هو ارتباط تاريخي، ارتباط هوية دينيّة وتاريخيّة كما يقولون، فالحج يعبر عن موقف كبير جداً في مواجهة اليهود، وقد يعود في يوم من الأيام

(١) محاضرة لا عذر للجميع أمام الله.

لمساره الطبيعي الذي أراد الله له أن يكون عليه، يقول السيد: **(إذا كانوا يعملون هذه الأعمال ثم أنت لم تؤمن بعد ولم تستيقظ بعد، ولم تصدق بعد بأن هناك ما يجب أن يحرك مشاعرك ولو درجة واحدة، فماذا يعني هذا؟ غفلة شديدة، تَيه رهيب، ذلة إلهية رهيبة. هل يستثيرنا هذا عندما نقول أننا فعلاً نلمس أنهم بدأوا يتحركون من أجل الهيمنة على الحرمين الشريفين وليس فقط القدس؟.**

العرب يقولون الآن: [من أجل إقامة دولة فلسطينية وعاصمتها القدس]. هل إسرائيل تلتفت إلى هذا الكلام. هي ليست حول أن تسلم القدس هي تبحث عن الحرمين الآخرين، إن الحرمين الآخرين هما اللذان يشكلان خطورة عليها وليس القدس، ارتباطهم بالقدس هو ارتباط تاريخي فقط، ليس لأن القدس منطقة ذات أهمية عند المسلمين أو تشكل خطورة بالغة عليهم. لا، وإنما باعتبارها مدينة يقولون بأنه كان هناك هيكل سليمان وأنها هي المدينة التي كتب الله لهم أن يدخلوها، وعبارات من هذه. ارتباط هوية دينيه وتاريخية.

لكن أما الحرمين فهم الذين يشكلون خطورة بالغة لديهم على مستقبلهم، وأكد لهم ذلك تأملهم للقرآن - القرآن الذي لا نفهمه نحن - وأكد لهم ذلك أنهم وجدوا أن الحج يستخدم من قبل أي حركه إسلامية لتوعية الآخرين. وهكذا أراد الله للحج أن يكون ملتقى إسلامياً، يذكّر الناس فيه بعضهم بعضاً بما يجب عليهم أن يعملوه من أجل دينهم في سبيل مواجهة أعدائهم.

الإمام الخميني الذي عرف الحج بمعناه القرآني الكامل، هو من عرف كيف يتعامل مع الحج فوجه الإيرانيين إلى أن يرفعوا شعار البراءة من أمريكا، البراءة من المشركين، البراءة من إسرائيل، ونحن هنا كنا نقول: لماذا يعمل هؤلاء، ولم ندرِ بأن أول عَمَلٍ لتحويل الحج إلى حج إسلامي تَصَدَّر ببراءة قرأها الإمام علي - إمامُنا - العشر الآيات الأولى من سورة [براءة] هي بداية تحويل الحج إلى حج إسلامي ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[التوبة: من الآية٣] ورسوله بريء من المشركين وقرأ البراءة من المشركين الإمام علي بن أبي طالب)[1].

(١) محاضرة لا عذر للجميع أمام الله.

أمام هذا الخطر المحدق بالحرمين الشريفين الذي أصبح واقعاً ملموساً يجب أن يكون لنا تحرّكاً كبيراً من الآن حتى لا تتكرّر مأساة القدس وفلسطين مرّةً أخرى، فيوجد بأيدينا كشعوب وسائل عديدة تحول بين اليهود وبين تنفيذ ما يريدونه، ويسعون إلى تحقيقه من مخطّطات السّيطرة على الحرمين الشريفين، يقول السّيد: **(ألسنا نسمع تهديد أمريكا؟ ومن المحتمل جدا أن تضرب السعودية، وتستولي على الحرمين كما استولوا على القدس.. فهل نحن منتظرون حتى يعملوا عملهم هذا ثم حينها سنصيح ونقول شيئا؟! ربما لو صرخ المسلمون من الآن - فيما أعتقد - لو صرخ المسلمون من الآن وارتفعت شعارات السخط التي توحي بسخطهم على أمريكا وإسرائيل من الآن لتوقفت أمريكا، وتوقفت إسرائيل عن أن ينفذوا الخطة التي يريدونها سواء ضد الحرمين، أو ضد أي شعب آخر.**

هذه الصرخة وحدها التي نريد أن نرفعها، وأن تنتشر في أي مناطق أخرى وحدها تنبئ عن سخط شديد، ومن يرفعونها يستطيعون أن يضربوا أمريكا، يضربوها اقتصاديا قبل أن تضربهم عسكريا، والاقتصاد عند الأمريكيين مهم يحسبوا ألف حساب للدولار الواحد) [1].

لهذا يجب أن نتحرّك في مواجهة اليهود بدافع المسئوليّة، والواجب الإسلامي لنواجه فسادهم وشرّهم الذي تجاوز كلّ الحدود، وأصبح يشكّل تهديداً للبلاد الإسلاميّة، والمقدّسات، والقيم، والمبادئ الإسلاميّة بكلّها، يجب أن نتحرّك التّحرّك العملي، ونتبنّى المواقف العمليّة قبل أن تحلّ بنا ثلاث مشاكل كبيرة جدّاً هي: "القدس، والكعبة، والمسجد الحرام"، يقول السّيد: **(لأنّه إذا ما تحرك هذا أو هذا أو هذه الفئة أو هذه الفئة تحرك باعتبار واجب إسلامي، أن ندافع فساد هؤلاء، أن نقاوم فساد هؤلاء، فساد تجاوز الحدود المعقولة أصبحت المسألة تهدد المقدسات الإسلامية كلها، تهدد البلاد الإسلامية كلها، تهدد المبادئ الإسلامية كلها.**

ما العرب الآن حانبين في قضية القدس؟ احتمال فيما بعد يطلع لنا ثلاث مشاكل هي القدس ومكة

(١) محاضرة في ظلال دعاء مكارم الأخلاق الدرس الثاني.

والمدينة الكعبة ومسجد رسول الله "صلوات الله وسلامه عليه" والقدس) [1].

إحياء يوم القدس العالمي

من الحلول العمليّة في مواجهة اليهود وإسرائيل التّوجّه لإحياء يوم القدس العالمي في آخر جمعة من رمضان في كلّ عام، وهذا هو حلّ عمليّ بيد الشّعوب بدلاً من إنتظار المجهول على أيدي الحكّام والحكومات الذين لن يقدّموا شيئاً عمليّاً للشّعوب في مواجهة إسرائيل، وفي المقدّمة الشّعب الفلسطيني، فإحياء يوم القدس العالميّ معناه أن تبقى القدس وفلسطين حيّةً في يد الشّعوب، وتبق مشاعر الجهاد والرّفض لإسرائيل حيّة في نفوسنا وحياتنا، وهو يعتبر أولى الخطوات العمليّة في سبيل تحرير الأراضي الفلسطينيّة، وإزالة إسرائيل من الوجود، والقضاء عليها، وهو اليوم الذي اقترحه، ودعا إليه الإمام الخميني، بعد أن يئس من أن تعمل الحكومات شيئاً في مواجهة إسرائيل، يقول السّيد: **(ثم ما هو الحل بالنسبة للشعوب؟ إن ظلت الشعوب تنتظر من دولها أن تقوم بشيء ما في مواجهة إسرائيل فإن هذا لن يتحقق، لن يحصل إطلاقاً؛ لهذا أتجه هو إلى اقتراح [يوم القدس العالمي]، وأن يحيه المسلمون جميعاً في مختلف أقطار الدنيا، وخاصة البلاد العربية.**

لاحظوا بعد أن دعا الإمام الخميني إلى إحياء هذا اليوم هل اهتمت الدول العربية أن تستجيب لرجل عظيم مخلص، رجل هَزّ الغرب فعلاً، رجل أرعب أمريكا، وأرعب دول الاستكبار كلها، وأرعب إسرائيل بحكمته، بشجاعته، برؤيته الصحيحة، في جعل الأمة بمستوى المواجهة الحضارية لأعدائها، في جعل الأمة قادرة على أن تقف على أقدامها مستقلة لا يهيمن عليها أحد من أعدائها، لا أمريكا، ولا بريطانيا، ولا إسرائيل، ولا غيرها.

هم رأوا بأم أعينهم ما عمله الإمام الخميني من إرباك، وما خلقه من رعب في صدور الأمريكيين والإسرائيليين، وعرفوا هم ورأوا بأم أعينهم مدى اكتراث أمريكا ومختلف دول الغرب من الإمام الخميني (رحمة الله عليه) ومن الثورة الإسلامية.. فلماذا لم يستلهموا من هذا الرجل

(١) محاضرة الموالاة والمعاداة.

رؤيته العملية الصحيحة في إنقاذهم هم من إسرائيل؟.

لم يستجيبوا إطلاقاً، لم يستجب العرب للإمام الخميني! حتى هذا اليوم لم يستجيبوا له أن يحيوه وأن يجعلوه يوماً يُحيى كما دعا إليه الإمام الخميني (رحمة الله عليه) وهم في نفس الوقت يحيون أياماً اقترحها اليهود والنصارى [عيد الأم] [عيد العمال] مناسبات كثيرة [عيد رأس السنة الميلادية] اقترحها اليهود والنصارى يحيونها ويعتبرونها عطلاً رسمية في مختلف البلاد العربية! لكن اليوم الذي هو يوم من أجل أن تبقى قضية فلسطين حيّة في نفوس المسلمين، من أجل أن تبقى مشاعر الجهاد، مشاعر الرفض لإسرائيل حية في نفوس المسلمين، هذا اليوم لم يلتفتوا إليه ولم يكترثوا ولم يهتموا، ولم يستجيبوا للإمام الخميني (رحمة الله عليه) في إحياء هذا اليوم. لماذا؟ لأنهم خذلوا فعلاً، لأنهم قد خذلوا.

وعندما نعود - أيها الإخوة - هذه فقط مقدمة لنعرف ما يتعلق بيوم القدس العالمي، والسبب الذي دعا الإمام الخميني (رحمة الله عليه)إلى أن يعتبر يوماً عالمياً في مختلف المناطق الإسلامية؛ ولذلك فنحن نعتبر أن إحياء هذا اليوم استجابة للإمام الخميني (رحمة الله عليه)؛ ولما نعرفه من أثر مهم في خلق وعي في أوساط المسلمين، ورؤية صحيحة للمخرج مما تعانيه الأمة، أن إحياء هذا اليوم يعتبر فعلاً عبادة، وأن إحياءه يعتبر أيضاً ممارسة جهادية في سبيل الله، إن شاء الله تعالى) [1].

ويؤكّد السّيد على أنّ الإمام الخميني عُرف بجدّيّته في مواجهة أعداء الإسلام، وفي مقدّمتها أمريكا وإسرائيل، وسعى جاهداً لرفع الظلم عن كاهل هذه الأمّة، وكان رجلاً فاهماً وعارفاً بحقيقة المشكلة التي يعاني منها المسلمون، ويعرف الحلّ والمخرج لهذه الأمّة، ولكلّ ما تعانيه من مشاكل، لهذا اتّجه إلى مخاطبة الشّعوب نفسها بعد أن يئس من مخاطبة الحكّام، أو أن تعمل الحكومات شيئاً للشّعوب في مواجهة أمريكا وإسرائيل، لهذا يعتبر يوم القدس هو يوماً للشعوب نفسها، يقول السّيد: **(الإمام الخميني هو الشخص الذي عُرِف بجدّيته في مواجهة أعداء الإسلام كافةً، في مواجهة أمريكا وعدّها [الشيطان الأكبر]، واعتبرها وراء كل ما يلحق بالمسلمين**

(١) محاضرة يوم القدس العالمي.

من ذلٍ وإهانةٍ، وغير ذلك من الشرور.

الإمام الخميني كان رجلاً يفهم المشكلة التي يعاني منها المسلمون، ويعرف الحل والمخرج لهذه الأمة مما تعاني منه، وبعد أن قال هو أنه قد يأس من أن تعمل حكومات المسلمين شيئاً اتجه إلى الشعوب أنفسها، طلب من الشعوب جميعاً أن تجعل هذا اليوم، آخر جمعة من شهر رمضان يوماً يسمى: [يوم القدس العالمي]؛ لتعرف الشعوب نفسها أنها تستطيع من خلال إحياء هذه القضية في مشاعرها، من خلال البحث عن الرؤى الصحيحة التي تحل هذه المشكلة، وترفع عن كاهلها هذه الطامة التي تعاني منها؛ لأن الشعوب هي نفسها المتضررة، أما الحكومات، أما الزعماء فهم غير متضررين، هم غير مكترثين، لا يهمهم ما يرونه بأم أعينهم من المعاناة في مختلف بقاع الدنيا لجميع المسلمين.

الشعوب هي التي تتضرر، الشعوب هي التي تلحقها الذلة والإهانة، الشعوب هي الضحية، وما لم تتجه الشعوب نفسها إلى أن تهتم بقضيتها، وتتعرف على أعدائها، وتعرف الحل والمخرج من مشكلتها ومصيبتها فلا تتوقع أي شيء آخر من زعمائها أو من غيرهم.

لأهمية هذا اليوم من وجهة نظر الإمام الخميني (رحمة الله عليه) وهو يتحدث في بيانه عن [يوم القدس العالمي] قال (رحمة الله عليه): ((إن يوم القدس يوم يقظة جميع الشعوب الإسلامية، إن عليهم أن يحيوا ذكرى هذا اليوم. فإذا انطلق المسلمون جميعاً، وانطلقت جميع الشعوب الإسلامية في آخر جمعة من رمضان المبارك في يوم القدس بالمظاهرات والمسيرات فسيكون هذا مقدمة لمنع المفسدين إن شاء الله وإخراجهم من البلاد الإسلامية)).

ويقول: ((وإنني أرجو جميع المسلمين أن يعظموا يوم القدس، وأن يقوموا في جميع الأقطار الإسلامية في آخر جمعة من الشهر المبارك بالمظاهرات، وإقامة المجالس والمحافل والتجمع في المساجد، ورفع الشعارات فيها. إن يوم القدس يوم إسلامي، ويوم لتعبئة عامة للمسلمين)).

هذا هو حديث الإمام الخميني (رحمة الله عليه) عن يوم القدس العالمي، وعندما اقترحه هو؛ لأنه رجل يملك رؤية صحيحة، يملك فكراً و رؤية يستطيع أن يقرأ بها كثيراً من الأحداث المستقبلية من خلال تأملات الحاضر، ودراسة الماضي.

كان الإمام الخميني (رحمة الله عليه) يصرخ، ويصيح في جميع المسلمين، يستثير جميع المسلمين أن

يهبوا من يقظتهم، أن ينتبهوا، أن يستشعروا الخطر المحدق بهم. وعرض هو أن باستطاعتهم، وباستطاعة الشعب الإيراني بما يملكه من قوة عسكرية واقتصادية هائلة أن يقف مع جميع المسلمين، وخاصة الدول العربية، وأن باستطاعتهم إذا وقفوا جميعاً أن يضربوا إسرائيل، وأن ينهوا وجود هذا الكيان الغاصب من داخل البلاد الإسلامية)[1].

ويضيف السّيد أنّ الإمام الخميني هو من أطلق على إسرائيل إسم "الغدة السّرطانيّة" كما أطلق على أمريكا إسم " الشّيطان الأكبر" ومن المعلوم والمعروف لدى الجميع ماذا يعمل الشّيطان بالنّاس، وماذا يعمل السّرطان بالأجسام؟، وهذا يؤكّد أنّه لا يمكن المصالحة مع إسرائيل، ولا تجد حلول السّلام معها، لأنّها دولة يهوديّة طامعة في كلّ البلاد الإسلاميّة، وليس في فلسطين فقط، وهذه هي الرّؤية القرآنيّة عن حقيقة اليهود، وعن طبيعة الصّراع معهم، يقول السّيد: **(الإمام الخميني (رحمة الله عليه) هو الذي أطلق على إسرائيل اسم [الغدة السرطانية] وهو لا زال في حركته الجهادية داخل إيران قبل انتصار الثورة الإسلامية، وكانت قضية إسرائيل هي من أولى اهتماماته أثناء جهاده في إيران قبل انتصار الثورة الإسلامية.**

عندما أطلق هذا الاسم على إسرائيل [غدةً سرطانية] معلوم أن السرطان إذا ما ترعرع في أي جسم من أجسام البشر لا بد إما أن يتمكن الإنسان من القضاء عليه واستئصاله وإلا فإنه لا بد أن يُنهي ذلك الجسم، لا بد أن يخلخل ذلك الهيكل الذي نما وترعرع فيه.

ليؤكد أن إسرائيل ليس من الممكن المصالحة معها، ولا السلام معها، ولا وفاق معها، ولا أي مواثيق أو عهود تبرم معها. إنها دولة يهودية، إنها دولة يهودية طامعة، ليس فقط في فلسطين، وليس فقط في أن تهيمن على رقعةٍ معينةٍ تتمركز فيها، بل إنها تطمح إلى الهيمنة الكاملة على البلاد الإسلامية في مختلف المجالات، وتطمح إلى أن تقيم لها دولة حقيقية من النيل إلى الفرات، من النيل في مصر إلى الفرات في العراق؛ لأن هذه الرقعة هي التي يعتقد اليهود أنها الأرض التي كتبها الله لهم، وهي أرض الميعاد التي لا بد أن تكون تحت سيطرتهم وبحوزتهم، وأن يقيموا عليها دولتهم.

من أين جاءت هذه الرؤية الصحيحة للإمام الخميني (رحمة الله عليه)؟ من أين جاءت؟ من

(١) محاضرة يوم القدس العالمي.

القرآن الكريم، من القرآن الكريم الذي تحدث عن اليهود كثيراً، ومما قاله عن اليهود، ومما وصفهم به: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: من الآية ١٠٠] كلما عاهدوا عهداً، إذا ما عاهد [حزب العمل] عهداً نقضه [حزب اللَّيكود] عندما يتسلم السلطة، إذا ما دخل [اللِّيكود] في معاهدات ومواثيق مع الفلسطينيين ومع العرب نقضه [حزب العمل] عندما يتسلم السلطة)[١].

ويؤكّد السّيد على أنّ إحياء يوم القدس العالميّ يمثّل فرصة للشّعوب لتتوجّه التّوجّه العمليّ في مواجهة إسرائيل، واجترار الحلول الصحيحة في الصّراع مع اليهود، والخروج من تحت عباية الهيمنة والوصاية الأمريكيّة والإسرائيليّة، يقول السّيد: **(الموضوع - كما قلنا سابقاً - يجب أن يكون حول رؤية صحيحة للحل، الشيء الذي هو مفقود في الساحة الإسلامية، وفي الإعلام العربي. ليس هناك توجيه للحل يجب نحن - وتنفيذاً لمطلب الإمام الخميني (رحمة الله عليه) من إحياء هذا اليوم يوم القدس - أن نتجه إلى التوجيه العملي الصحيح للمخرج لهذه الأمة من هيمنة أمريكا وإسرائيل مهما كان الأمر، مهما كان الأمر)**[٢].

ويمثل إحياء يوم القدس نهضة للشّعوب، وحياة للضّمير الإنسانيّ، فتتّجه الشّعوب نفسها نحو دروب الحرّيّة، والعزّة، والإستقلال، مهما كان الثمن، وحتّى لا تبقى تحت وطأة التّأثير والتّأثّر بالإعلام اليهودي، وكلّ الوسائل الإعلاميّة التي تعمل على ترسيخ وتعزيز الهزيمة النفسيّة والمعنويّة لدى الشّعوب، يقول السّيد: **(فيوم القدس هو يوم أن تتجه الشعوب نفسها حتى لا تبقى متأثرة بإعلام اليهود، ولا متأثرة بالإعلام الذي يبرر للدول التي تحكم المسلمين تبرر قعودهم، أو تحاول أن تعزز خلق الهزيمة النفسية داخل المسلمين؛ لأن ما يعرضونه من مظاهر عما يعمله الإسرائيليون دون أن يتحدثوا عما يثير المسلمين، ويحمل عقدة العداء، والحقد ضد إسرائيل.. إنما يعملون على ترسيخ الشعور بالهزيمة النفسية لدى المسلمين أمام اليهود.. ترى إسرائيل ثم لا ترى أي حل، ماذا يحصل لديك؟. تبرد أعصابك، ويموت ضميرك، وتتحول إلى يائس. فالقرآن عمل على أن ينهض بالأمة حتى لا تصل إلى هذه الحال)**[٣].

---

(١) محاضرة يوم القدس العالمي.

(٢) محاضرة يوم القدس العالمي.

(٣) محاضرة يوم القدس العالمي.

حقيقة الصّراع مع اليهود

إنّ الصّراع القائم الآن مع اليهود في حقيقته ليس صراعاً إسلاميّاً كما يسمّيه بعض الإعلاميّين، والسّياسيّين، والكتّاب، هذه عبارة مغلوطة، بل إنّه صراع مسلمين بدون إسلام، وصراع عرب بدون إسلام، فلو كان الإسلام، ولو كان القرآن هو الذي يصارع إسرائيل، ويصارع اليهود، ويصارع الغرب، لما استطاعوا أن يقفوا ولا لحظة واحدة أمام القرآن، وأمام الإسلام، كما يقول ويؤكّد السّيد حسين بدرالدين الحوثي "رضوان الله عليه"، وهذه هي الحقيقة المرّة، والمؤلمة، والمؤسفة، يقول السّيد: **(نحن نقول أحياناً وبعض الكتاب يقولون: [الصراع الإسلامي الإسرائيلي] وهذه عبارة مغلوطة عبارة مغلوطة، لا يمكن أن يُسمى الصراع مع إسرائيل [صراعاً إسلامياً إسرائيلياً]، لو كان الإسلام هو الذي يصارع إسرائيل، لو كان الإسلام هو الذي يصارع اليهود، لو كان الإسلام هو الذي يصارع الغرب لما وقف الغرب ولا إسرائيل ولا اليهود لحظة واحدة أمام الإسلام، لكن الذي يصارع إسرائيل، ويصارع اليهود من هم؟ مسلمون بغير إسلام، عرب بغير إسلام، صرعوا الإسلام أولاً هم ثم اتجهوا لمصارعة إسرائيل بعد أن صرعوا الإسلام هم من داخل نفوسهم، من داخل أفكارهم، من جميع شئون حياتهم، ثم اتجهوا لصراع اليهود، تلك الطائفة الرهيبة، فأصبحوا أمامها عاجزين أذلاء مستكينين مستسلمين مبهوتين؛ لأنهم لم يهتدوا بهذا الكتاب العظيم؛ لم يرجعوا إلى هذا الكتاب الكريم، فأصبحوا كما نرى.**

فالصراع هو صراع عرب مع يهود، صراع مسلمين بدون إسلام مع يهود، وليس صراعاً إسلامياً. نحن عندما نرجع إلى صدر الإسلام أيام النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) **نرى أنه استطاع أن يقضي على اليهود - وهم هم اليهود في خبثهم ومكرهم - استطاع أن يقضي عليهم على هامش جهاده مع الكافرين، وليس اتجاهاً محدداً ورأسياً ضد اليهود، بل على هامش حركته العامة، استطاع أن يقضي عليهم، واستطاع أن يحبط كل مخططاتهم، ومؤامراتهم على هامش حركته العامة.**

فلماذا، لماذا لم يرجع المسلمون إلى هذا القرآن؟ ولماذا يصيحون دائماً من إسرائيل ثم لا يفكرون في حل؟ تابعوا أنتم وسائل الإعلام: الإذاعات والتلفزيونات هل هناك أحد يضع رؤية صحيحة لمواجهة إسرائيل؟ هل هناك أحدٌ يضع رؤية عملية في مواجهة اليهود والنهوض بهذه الأمة؟ لا، لم نسمع شيئاً، اللهم إلا ما يحصل من قناة حزب الله الفضائية، ومما يحصل من إذاعة طهران، وإذاعة طهران قد خففت منطقها كثيراً عن أسلوب ومنطق الإمام الخميني (رحمة الله عليه))[1].

(١) محاضرة يوم القدس العالمي.

كيف نتعامل مع المنظمات؟

يقدّم السّيد الرّؤية القرآنيّة في موضوع التّعامل مع المنظّمات كيف تكون؟ وكيف نتعامل معها؟ وما هي أهدافها، ومخاطرها؟ المنظّمات التي غزت اليوم معظم الدّول والشّعوب تحت عناوين ومسمّيات برّاقة وجذّابة جدّاً، في الجانب الإنساني، والخدمي، والحقوقي، والتّنموي كنوع من أنواع الغزو الحديث، والإستعمار الجديد، بينما كانت هي في الحقيقة وراء ضياع وتدمير الدّول والشّعوب، وسبباً رئيسيا في حالة الإنهيار، وازدياد المعاناة التي تعاني منها الدّول الفقيرة، والشّعوب المستضعفة، فعند قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾[البقرة:١٠٥] يبيّن السّيد، ويوضّح خطورة أهل الكتاب من اليهود والنّصارى، وطبيعة نواياهم، ونفسيّاتهم، وأهدافهم التي كشفها وبيّنها لنا القرآن الكريم كحقيقة ثابتة لديهم، وطبيعة راسخة في أعماق نفوسهم، ومن ذلك ما سبق وأن بيّناه في المحور الإقتصادي عند الحديث عن التّنمية، والسّياسة الماليّة والنقديّة للبنك الدّولي، والصّناديق الدّاعمة.

هنا أيضاً تبرز خطورة الموضوع باعتباره يتغلغل تحت عباءة الإنسانيّة، وتقديم العون والمساعدات، بينما تَبطّن حقيقة النّوايا والأهداف الشّرّيرة، والعدوانيّة التي تفتك بالدّول والشّعوب، وتحطّم الإقتصاد والتّنمية، ويعتبر السّيد أنّ هذه الآية تعطي رؤية واضحة لكلّ النّاس تحصّنهم من أيّ محاولة للإختراق، وتعطي قواعد وأسس ثابتة لا تتغيّر بتغيّر الزمان، والمكان، والظّروف، فالنفسيّة اليهوديّة هي هي في كلّ زمان، ومكان، يقول السّيد متحدّثاً حول هذه الآية: **(أنتم أمام جهة خطورتها هكذا** ﴿**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ**﴾[البقرة: من الآية١٠٥] **يأتي بالمشركين بعد الذين كفروا من أهل الكتاب فيما يتعلق بقلة خطورتهم فعلاً** ﴿**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾[البقرة:١٠٥] **ما يودون أبداً ليس عندهم**

ود أن ينزل عليكم أي خير من جهة الله، وأعظم خير هو هذا الهدى، فتتناول هذه العبارة أي خير أي خير من جانبهم هم أو من أي طرف آخر. إذا كانوا لا يودون أن ينزل على الناس أي خير من جهة الله فبالأولى من عندهم هم.

هذه الآية هامّة جدّاً جاءت بشكل قاطع وبشكل مطلق أمام النفسية اليهودية التي هي خطيرة جداً، وهذه سنة إلهية فيما يتعلق بهداه للناس، هداه يقدّم بالشكل الذي الإنسان المتفهم الذي يعرف عمق الأشياء تشبع نفسيته، وثوابت معروفة للعامة من الناس الذين ليس عنده مثلاً ذكاء ليس عنده فهم بالشكل المطلوب أقل ما يمكن أن يعرف أنّ أهل الكتاب لا يودّون أيّ خير لنا، أليست هذه واحدة من الأشياء التي سيعرفها الواحد من الناس، ولو لم يكن يقرأ ولا يكتب؟، وهذه قضية أساسية وثابتة من الثوابت تحصّن الناس، لم يجعل الباري سبحانه وتعالى قضيّة وعي الأشياء، وفهم الأشياء، الأشياء التي تعتبر من هدى الله سبحانه وتعالى بالشكل الذي تحتاج إلى مفكّرين، وفلاسفة، وباحثين متعمّقين ليكتشفوها، يعطي هدى على هذا النحو، ويعطي هدى يشكّل قواعد عامّة، وأسساً، ويعرفها كلّ الناس أيّ إنسان سيفهم من هذه الآية: بأن الذين كفروا من أهل الكتاب - ولا يوجد الآن في زماننا مؤمنين من أهل الكتاب، وطيبين من أهل الكتاب، هم هم أولئك وأسوأ ربما من السابقين - أنهم لا يودّون أن ينزّل علينا أيّ خير من أيّ جهة)[1].

ويضيف السّيد أنّ هذه الآية تعطي رؤية واضحة فيما يتعلق بالمساعدات الإنسانيّة، والمشاريع الخدميّة والإنمائيّة التي تقدّم من جهة اليهود واليهود والنّصارى فنعرف كيف نتلقّاها؟ وكيف نتعامل معها؟ فتكون هذه الآية هي القاعدة الثابتة لدينا في التّعامل معهم باعتبارهم لا يودّون لنا أيّ خير، ولا يحملون أيّ مشاعر وديّة وإنسانيّة تجاه المسلمين، وكلّ هدفهم هو التضليل، والتغرير، والتّلبيس على الشّعوب، وخلق رؤية ونظرة حسنة تجاههم من أجل تسهيل مهمّة احتلال الشّعوب، والهيمنة عليها، والتّدخل في كلّ شئون الحياة وتفاصيلها، وصرف الأنظار عنهم، ومسح وإزالة حالة اليقظة والحذر من نفوس النّاس، وكما يعملون في

(١) سورة البقرة الدّرس السّادس من دروس رمضان.

الجانب التربوي والثّقافي من خلال تقديمهم لمشاريع بناء المدارس والمنشئات التعليمية ثمّ يتحكّمون في مناهجها التّعليميّة، والثّقافيّة، والتّربويّة، وكما يعملون في الجانب الصّحي من خلال المنظّمات الصّحية التّي تعطّل في الأخير دور المنشئات الوطنيّة، وتفرّغ الكوادر الطبيّة الوطنيّة من دورها ومسئوليتها، وكما هو الحال في الجانب الإقتصادي أيضاً الذي ينتهي بترسيخ سياسة الهيمنة، والإذلال، والإفلاس للدّول والشّعوب المستهلكة والأمثلة على ذلك كثيرة جدّاً لا يتّسع المجال لذكرها، إضافة إلى النّظرة الإيجابيّة التي يحاولون ترسيخها في نفوس النّاس عنهم، يقول السّيد: **(هذه تعطي رؤية فيما يتعلق بالأشياء التي تأتي من جانبهم هم نراهم يقدمون مساعدات أليس هذا يحصل؟ يعملون مشاريع خدمية؟ يجب أن ترجع إلى هذه كقاعدة لتعرف كيف تتعامل مع ما يقدمونه وكيف تتمسك بالشيء الذي هم يريدون من خلال تقديم هذه الخدمات أن ينسفوه من نفسيتك أن تكون هذه قاعدة ثابتة لديك بأنهم لا يريدون لنا أي خير أنهم لا يودون لنا أي خير على الإطلاق، لكن هناك مشاريع بملايين الدولارات الإنسان البسيط يجب أن يفهم وسيرى بأم عينيه حقيقة ما يقدمونه إنما هو عبارة عن طُعم لتدجين الناس وصرف أنظارهم عن الحذر واليقظة أمامهم من أجل ماذا؟ من أجل يحتلونهم ويجتاحون بلدانهم وسيستعيد بالأضعاف المضاعفة من ثرواتك أنت من جيبك أنت بأكثر مما قدم لك، أما إذا أنت تراه قدم مدارس مثلاً مدارس أليس هو يلحقها بالمنهج حقه؟ إذاً المدارس حق من في الأخير؟ حقه هو؟ المدرسة هي لصالح من هو متحكم في المنهج ويكون معناه في الأخير أننا نقدم لهم الشكر ونصفق لهم ونعتبرهم "متجملين" فينا وإذا المدارس في الواقع فقط نقدم لهم ونعطيهم ولاءنا ونعطيهم أيضاً أبناءنا يعلمونهم كما يريدون.**

إذاً ما هذه تطلع في الأخير قضية وهمية؟ ممكن يعطون لنا مثلاً مستشفيات يعطون مراكز صحية يعطون مستوصفات لكن الله أعلم كم سيعملون من خلالها من أشياء تضر بالناس عملياً، إضافة إلى أنه من خلالها يصنعون نظرة إيجابية عند الناس بالنسبة لهم هذه النظرة الإيجابية هي تجعل الناس يغمضون أعينهم أمام ما يحيكونه من مؤامرات وما يسيرون من أجل الوصول إليه وهو أن يهيمنوا عليهم، أليست هذه القضية أصبحت ملموسة الآن؟ هم لا يعملون شيئاً إلا وهم

واثقون من حصولهم على ثمنه أضعافا مضاعفة يستلمونها هم.

إذاً عندما يأتي مشروع مستشفى كم فيه مثلاً؟ عشرات الأسرة وخدمات عالية وأطباء مهتمون وممرضون مهتمون يدخل مريض من قرية يهتمون به بشكل كبير سيقول: [هؤلاء ناس طيبين هؤلاء ناس ملائكة، الأمريكيين هؤلاء ناس طيبين باهرين..] سيرجع القرية وعندما تقول أنت: هؤلاء ناس خطيرون هؤلاء ناس يجب أن نقف في مواجهتهم سيقول لك: [ماذا؟ مواجهتهم! ولا أمك ستعمل لك مثل تلك الممرضة ولا أبوك سيعمل لك مثل ذلك الطبيب] قد يقول: [رضي الله عنهم اسكتوا] وإلاّ قد يصلي عليهم)[1].

الحقيقة التي كشفها القرآن الكريم عن نوايا ونفوس أهل الكتاب هي أنّهم لا يودّون لنا أيّ خير على الإطلاق، وهذا ما شهد به الواقع، وأثبتته الأحداث، وكلّ ما يقدّم من جانبهم تحت أيّ عنوان يكون إنّما هو أوّلاً وأخيراً يصبّ في صالحهم، وخدمة مصالحهم، وتكون إستفادتهم منه كبيرة جدّاً في مختلف الجوانب السّياسيّة، والإقتصاديّة، والإنسانيّة، والصّحية، والتّربويّة، والثّقافيّة وغيرها، وهذا الأسلوب هو نفسه أسلوب الخداع والتّضليل الذّي يستخدمها الشّيطان لعنه الله، يقول السّيد: **(الخطورة هنا المكسب الكبير للأمريكيين عندما يقدمون المساعدات هي في هذه النظرة التي يخلقونها من خلال مساعداتهم هم لا يقدمون شيئاً بمشاعر إنسانية بشعور بحق عليهم كدول متقدمة أن يعطوا دولاً فقيرة ويساعدونها من منطلق إنساني لا يوجد عندهم هذه على الإطلاق، إذاً فلما كانت هذه القضية هي نفسها قضية دقيقة وما تزال تعتبر دقيقة أمامنا وأمام الكثير عندما يكون الكثير منا لا يعرفون كيف تتم عملية خداع العدو مع أن هذه قدمها القرآن الكريم في قصة آدم مع الشيطان كيف الشيطان؟ ألم يقدم له أشياء تعتبر خيراً بالنسبة له ويحاول يحمله على أن يأكل من الشجرة؛ لأنه عارف إذا أكل من الشجرة سيخرج من الجنة عاريا، ولا يتركون له حتى السروال حقه فعلاً حاول ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى﴾**[طه: من الآية ١٢٠] **ألم يقدم نفسه حريصاً وهو يتردد عليه؟ حريص، حريص أنه**

(١) سورة البقرة الدّرس السّادس من دروس رمضان.

يريد لآدم أن يصل به إلى الخلد وملك لا يبلى ويقسم بالله بأنه من الناصحين له هو وزوجته حواء.

أليسوا يقولون هكذا؟، بالطريقة هذه: [نريد نرتقي بالشعوب، ونريد، ونريد، ونريد...] هكذا اعتبرها قضية بديهية في عملية الخداع والتضليل، ففي [سورة البقرة] قرأنا في آيات سابقة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[البقرة: من الآية ٨-٩] **ويقول بعد:** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[البقرة:١] **يجب أن تفهم بأن الخداع والتضليل لا يتم إلا بأن يقدم على أساس يتقمص ثوباً يشكل جاذبية عندك خير لك نصيحة لك أليس هو يقدم بهذا الغطاء: أنه خير لك ونصيحة لك وحق واهتمام بك؟ لكن هذه هي مترتبة على إيمان الإنسان بالله وثقته بالله، إذا كان واثقاً بالله ومؤمناً بالله مصدقاً بالله أنه أعلم منه بالآخرين، أليس الله قال في آية أخرى:** ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾[النساء: من الآية٤٥])[1].

كيف يكون التّعامل معهم؟

يجب أن يكون التّعامل مع أهل الكتاب قائماً على أساس الرؤية والتّربية القرآنيّة، فنتمسّك بهذه القاعدة القرآنيّة أمام كلّ ما يقدّمونه من خدمات ومشاريع فمهما عملوا من مشاريع، ومهما قدّموا من خدمات يكون موقفنا منهم هو الموقف القرآني الثابت والواعي، فنستفيد من كلّ ما يقدّمونه من خدمات دون أن تتغيّر رؤيتنا، ونظرتنا، ومواقفنا منهم وتجاههم حتّى نجعلهم في الأخير يفشلون، ويتحسّرون، وهذه المسألة هي دقيقة جدّاً تحتاج إلى وعي، وبصيرة، ويقظة، وحذر، وانتباه حتى لا نكون ضحية لمخطّطاتهم ومؤامراته، لأنّ كلّ أعمالهم هي تشبه أعمال الصّياد الذي يقدّم الطّعم للسمكة ليلتهمها بكلّها، فيهدفون إلى ابتلاع والتهام الشّعوب بكلّها، يقول السّيد: **(إذاً فليمسك كل إنسان على أن الله قال:** ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[البقرة: من الآية١٠٥] **يعمل مشاريع يعمل ما يريد لكن موقفي هو موقفي منه الموقف القرآني يكون موقفك منه الموقف القرآني استفد**

(١) سورة البقرة الدّرس السّادس من دروس رمضان.

مما يقدم من خدمات وابق في تعاملك معه التعامل القرآني اتركه في الأخير سواء أراد أن يعتبر نفسه "متجملاً" أو يندم المهم أن يروا في الناس بأن ما قدموه - وهو بالتأكيد إن ما قدموه عبارة عن طعم كما يقدم الصياد للسمكة قطعة لحم - يرون بأنه لا ينفع عند هذه الأمة لن يقول لك في الأخير: إذا لم يقبل عندكم نحن نريد وجه الله الباري سيكتب أجرنا، هم ليسوا حول هذه يعرفون أن هذه الأمة لا تخدع بما يقدم لها أبداً وإلا فسيكون الناس أغبى من السمكة في البحر التي عندها أن الصياد ذلك فاعل خير نزل لها قطعة لحم أنه جاء من البيت قاصدا وقد ترك شغله وعمله ليقدم للسمكة قطعة لحم وهي لا تدري السمكة أنه يريد أن يأكلها هي بكلها بواسطة قطعة اللحم تلك، إذاً ألم يستفد أكثر مما قدم؟ الصياد ألم يستفد أكثر مما قد؟، كل أعمالهم لا تخرج عن هذا المثل حقيقة قطعة لحم يستفيد بدلها كيلو أو اثنين كيلو أو أكثر على حسب حجم السمكة وغبائها.

وعندما يكونون على هذا النحو والناس لديهم ثقة بالله سبحانه وتعالى ولديهم توكل على الله فلن يستطيعوا أن يحولوا بينهم وبين ما يريد الله أن يحصلوا عليه من خير ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[البقرة: من الآية١٠٥] هذا الهدى هو خيرات الدنيا هو نعيم الآخرة على الرغم مما لديهم من حقد مما لديهم من ود أن لا يكون هناك أي خير للآخرين فلن يستطيعوا أن يحولوا بين الناس وبين الخير الذي يريده الله سبحانه وتعالى لهم وبين الخير الذي سيحصلون عليه يعطيهم الله من خلال تمسكهم بهديه)[1].

أهل الكتاب ما يودّون لنا أيّ خير

نستفيد من هذه الآية الدّروس الكثيرة التي تجعل الأمم والشّعوب بعيدة كلّ البعد عن النّوايا والأهداف الخبيثة والشّريرة لأهل الكتاب، وتحصّنهم من الوقوع في مكائدهم، وخداعهم، وقد برز هذا الموضوع بشكل كبير جدّاً في هذا الزّمن، فكلّ تحرّك أهل الكتاب من اليهود والنّصارى لا يخرج عن مقتضى هذه الآية الكريمة، فكلّ أعمالهم تتّجه للقضاء على كلّ مقوّمات النّهوض لدى هذه الأمّة، وفي مقدمتها الجانب العلمي والحضاري، ففي العراق كان

(١) سورة البقرة الدّرس السّادس من دروس رمضان.

من أهمّ أهداف الإحتلال الأمريكي والغربي هو تصفية كلّ الكفاءات والكوادر العلميّة، وهذا ما حصل بالفعل، وهكذا يفعلون مع كلّ دولة ومع كلّ شعب، حتى تبق الثّروات والمصالح بأيديهم، ونبق نعيش عبارة عن أسواق استهلاكية لهم فقط، يقول السّيد: **(هذه الآية على أساس أن الله سبحانه وتعالى جعل القرآن الكريم هدى بالشكل الذي يجعل الإنسان يجعل المجتمع الأمة التي تسير عليه لا يصبح ضحية لا للتضليل ولا للخداع ولن يقع في إشكالية لن يوقعه العدو في مشكلة لا يستطيع أبداً عندما يقول الله: ﴿مَا يَوَدُّ﴾ أليس هذا يعني بأنه عندما يتمكن من لديه هذه الروحية سيعمل على أن لا يصيبك أي خير.**

برزت هذه يعني عندما تستعرض ما يقدمونه من مساعدات تستعرض أشياء أخرى لا يريدون لهذه الأمة للعرب مثلاً المسلمين بشكل عام أن يحصلوا على خبرات علمية عالية، عندما أصبح العراق لديه نسبة لا بأس بها علماء وخبراء أنا أعتقد قد تكون هذه أيضاً من الأهداف الرئيسية لديهم في ضرب العراق نفسه لم يأتوا على أساس أنهم يزيحون [صدام] كنظام طاغي أو حكم طاغوتي من أول ما كانوا يسألون عنه العلماء العراقيين الخبراء وفتشوا الكليات وفتشوا المعامل وفتشوا حتى المساجد ويحرصون على أن يحصلوا على قوائم لعلماء.

أمس رأيت في إحدى الصحف تحدث بأن العلماء العراقيين يتعرضون لخطورة شديدة، يريدون أن لا تحصل هذه الأمة على خبرات عالية لا تصبح دول مصنعة مع أنها تمتلك ثروات هائلة تبقى سوق استهلاكية وتبقى الثروات الرهيبة الكبيرة جداً التي تربض عليها هذه الشعوب تكون كلها مصلحتها لهم للغربيين، وإلا فبلدان مثل السعودية هي كانت مؤهلة باعتبار ثرواتها أن تصل إلى مثل اليابان وليس فقط مثل كوريا، دول الخليج كذلك رؤوس الأموال الهائلة، العراق كذلك كل شعوب هذه المنطقة كان المفترض أن تكون هي أرقى بكثير مما وصلت إليه أمريكا يحاولون، يحاولون أن لا تنشأ كفاءات علمية، إذا ما حصل أحد على خبرة معينة يحاولون أن يحتووه هم وإلا دبروا حاله، كم حصل من اغتيالات لخبراء وعلماء)[1].

(١) سورة البقرة الدرس السّادس من دروس رمضان.

هذه هي استرتيجية ثابتة لدى اليهود والغرب أن لا تنهض الشّعوب، ولا تحصل على أيّ خير، وللأسف الشّديد أنّ هنالك الكثير من المغفلين وبعضهم ممن يحمل الشهادات العليا، والألقاب العلميّة منهمك مع هذه المشاريع اليهوديّة والغربيّة فيبرّر لهم أعمالهم، ويتحدّث عن نبل خصالهم، وصدق نواياهم، وفي الحقيقة أنّ هذه الأمّة لن ترتقي وتبتني إلاّ عندما تعتمد على نفسها، وتتحرّر من التّبعيّة للخارج، وتسعى لأن تبنى نفسها، وتطوّر خبراتها وقدراتها، وتعلم علم اليقين أنّ هؤلاء أعداء حقيقيّون ما يودّون لها أيّ خير على الإطلاق، يقول السّيد: **(إذاً هم ما يودون على الإطلاق أن يحصل لهذه الأمة خير ولا أن تحصل على خير ولا أن تنهض وما يزال المغفلون منا يأتون ليقولوا نلحق بركاب الغرب، الغرب هو يركلك، هؤلاء لا يريدون أن تلحق بهم يحاولون أن يدمروا أي خبرة تصل إليها، إبنِ نفسك هنا أنت واعرف كيف تبني نفسك متى ما بنوا أنفسهم كأمة تتجرد تماماً عن التبعية تتحرر تماماً عن التبعية يصبح قرارهم بأيديهم يستطيعون أن يحصلوا على خبرات لا سيما وأن الخبرات الآن قد أصبحت منتشرة وليست فقط حكراً على بلدان معينة حتى يستطيع اليهود أن يحولوا بين الناس وبين الحصول عليها؟ استطاعت إيران أن تأخذ خبرات من الصين ومن كوريا ومن بلدان أخرى.**

إذاً فما القضية أنك تريد أن تلحق بل هو يريد أن تفوق، تفوق الآخرين، إبنِ نفسك هنا يبني الناس أنفسهم وأن يعرفوا أن أولئك لا يودون أي خير لهم عندما تعمل منح دراسية هناك وفي علوم هذه العلوم الهامة نوابغ من الطلاب برزوا يحاولون يحتوونهم هناك عندهم يشتغلون عندهم كم هناك آلاف من الخبراء والعلماء العرب والمسلمون في كندا وفي أمريكا وفي بلدان أخرى لأنه لا يوجد هنا حكومات تحتضن الكفاءات لا يوجد هنا حكام حريصون جداً على الأمة هذه أن يبنوها!.

قالوا كان اليابانيون يرسلون طلاباً منحاً دراسية إذا رسب الطالب يعدمونه إذا رسب يعدمونه! يرسلونه من اليابان ويعطونه اهتماماً كبيراً جداً لا يسير إلا وقد صار معباً يشعر بالمسؤولية أنه يعود ليبني وطنه: [أنت تدرس الآن في بلدٍ هم أعداؤك هم الذين دمروا حضارتنا هم الذين ضربونا بأرقى ما توصلوا إليه يجب أن تبذل جهودك] ويختارون طلاباً نوابغ ويعطونهم

إمكانيات كبيرة ويدرسونهم في أرقى المراكز العلمية يعودون؛ فاقوا الأمريكيين ألم يفوقوهم تكنولوجياً؟ فعلاً فاقوهم وهم الذين كانوا قد دمروا في [الحرب العالمية الثانية] لماذا؟ لأن هناك أمة هناك قيادات تهتم بالناس تهتم ببناء شعوبها)[1].

وعلى هذا ومن خلال كلّ ما سبق تتضح لنا الرّؤية القرآنيّة تجاه أهل الكتاب، وكيف يكون التّعامل معهم؟ ولا بدّ أن يكون الوعي مسألة نعتقدها وندين لله سبحانه وتعالى بها، لأنّه من أخبرنا عنهم، وكشف لنا حقيقة نواياهم، وتوجّههم لخداع الأمم والشّعوب، واستهدافها، فيجب أن تكون هذه الآية الكريمة قاعدة ثابتة وراسخة في نفوسنا، يقول السّيد: **(إذاً فهذه الآية تعطينا رؤية تجعل الناس، تجعل كل إنسان حذراً فعلاً أمام تضليل أهل الكتاب وهم الآن يستخدمون طريقة الخداع للشعوب بأنهم يريدون أن يبنوها ويريدون أن يساعدوها ويريدون أن يقدموا لها خدمات وأشياء من هذه، كلها خداع وتضليل؛ لهذا ربطت المسألة يعني وعي لدى الإنسان يجب عليه أن يكون معتقداً له عقيدة؛ لأن الله قدم المسألة إخباراً من عنده إخبار من عنده أنت كإنسان مسلم يجب عليك أن تعتقد صدق الله فيما أخبر به يجب علي أن أكون معتقداً: أن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ما يودون أن ينزل علينا أي خير، فهذه قاعدة تعطي وعياً، قاعدة دائمة وثابتة وقريبة التناول لكل إنسان، وتشكل حصانة أمام خداعهم وتضليلهم)**[2].

نحن ضحيّة عدم الإهتمام بالقرآن الكريم

نحن ضحية لعدم إهتمام من سبقونا ومن حكمونا بالقرآن الكريم، وعدم نظرتهم إلى الواقع من خلاله، وتقييم الحياة والأحداث على ضوئه، لأنّه الكتاب الذي يعطي الأمّة مؤهلات النّهوض، والقدرة على مواجهة كلّ الأعداء، وإفشال كلّ مخطّطاتهم ومؤامراتهم، والقرآن الكريم يعطينا الرؤية الإستباقيّة للأحداث والمخاطر قبل وقوعها، فلو كان لدى من سبقونا ومن حكمونا إهتماماً بالقرآن الكريم لما وصلت الأمور لما آلت إليه، فيوم بدأت مؤشّرات

(١) سورة البقرة الدّرس السّادس من دروس رمضان.

(٢) سورة البقرة الدّرس السّادس من دروس رمضان.

النّهوض لدى أوروبا وأمريكا لم يتخذ علماء وحكّام الإسلام أيّ خطوات تقي الأمة شرّهم، وهذا يدلّ على عدم اهتمامهم بالقرآن الكريم، ممّا جعلنا نحن ضحيّة لهذا التّفريط الخطير، والتّقصير الكبير الذي حصل تجاه القرآن الكريم، يقول السّيد: **(نلاحظ من خلال واقعنا الآن ومن خلال الآية هذه الكريمة كيف كانت الخسارة الكبيرة ربما كنا نحن الجيل هذا من المسلمين ضحية، ضحية عدم اهتمام الأولين بهذا القرآن بأن ينظروا من خلاله إلى الواقع مع أن الإمام عليا قال كلمة، الإمام علي في زمانه قال كلمة جميلة جداً تعطي اهتماما كبيرا بالقرآن بأن يكون هو المقياس للإنسان وهو يقيِّم الواقع وينظر إلى المستقبل إلى الماضي والحاضر والمستقبل من خلاله: ((كتاب الله تبصرون به وتنطقون به وتسمعون به))، البعض منا الآن يقول مثلاً: ما هو وقت أن يكون للناس عمل يقوم على أساس مواجهة توجه أهل الكتاب ضد هذه الأمة ضد المسلمين ضد دينهم أوطانهم ثرواتهم مقدساتهم قد يقول بعضهم: [ما هو وقت أو ليس الآن وقت!] الآية هذه هي كانت تفرض على من كان قبلنا بأربعمائة سنة أو من كان قبلنا بخمسمائة سنة أنهم عندما يرون بدايات مؤشرات النهوض في أوروبا أن يكونوا مهتمين جداً ببناء الإنسان المسلم بأن لا يتجاوزهم الإنسان الغربي الذين معظم الناس هناك هم من أهل الكتاب أن لا يتجاوزوهم.**

لأن هذه الآية تقول لك أو تعطيك في الأخير معرفة بأنه فعلاً بأن أولئك عندما ينهضون وهم لا يودون لي أي خير ماذا سيعملون؟ سيتجهون بكل ما لديهم من شر؛ لأن معنى هذا هم أعداء، الذي لا يود لك أي خير هو عدو لك، العدو ما هو الشيء الذي يريد أن يعمله بك هو الشر هو الضر أن يحولوا بينك وبين أي خير يمكن أن تناله، فكان من واجب من قبلنا بخمسمائة سنة أول ما بدأت مؤشرات النهوض الصناعي في أوروبا كانت أشياء بسيطة من قبل أن تكتشف أمريكا، أليس المسلمون الآن يعانون من أمريكا ونحن كنا نمتلك دولة نحن [الزيود] قبل أن تكتشف أمريكا، والكتاب هذا بين أيدينا من قبل أن تكتشف أمريكا كقارة ويتوافد إليها الأوربيون ويبتنون ويصبحون الآن يشكلون هذه الخطورة الكبيرة)[1].

(١) سورة البقرة الدّرس السّادس من دروس رمضان.

كانت هذه الآية التي تتحدّث عن أهل الكتاب، وأنّهم لا يودّون لنا أيّ خير كفيلة بأن تعطي الأمّة نظرة مستقبليّة حتّى لا يتجاوزها ويهيمن عليها أحد، بل وتجعلنا السّباقين في المجال العلمي، والعسكري، والتّقني، وكلّ علوم الدّنيا، وحتّى نضمن لأمتنا التفوّق، والرّيادة، والقيادة، يقول السّيد: **(الآية هذه تعطي نظرة مستقبلية إذا أنت تفهم القرآن وأنت تمتلك دولة أن تحاول وبأي طريقة أن تحصل على خبرات حتى لا يتجاوزك أولئك الذين لا يودون لك ولا لكل إنسان في هذه الأمة أي خير، أولئك الذين سيستخدمون قوتهم لضربك أنت، عندما انشغل الناس بعلوم أخرى وهو يريد أن يستنبط يريد يستنبط من القرآن ما هو الإستنباط؟! لماذا لم تستنبط من قبل لتعرف كيف تتعامل مع واقعك وكيف تعمل ضمانات لمستقبل هذه الأمة فتحاول أن تمتلك ما امتلكه الآخرون وبأي طريقة تحصل عليها.**

كم استمروا فيما يذكر البعض كم استمر الإسرائيليون يحاولون أن يحصلوا على نموذج من الطائرة الروسية أول ما صنعوها [ميج ٢١] ويقتلون أول طيار عراقي وثاني طيار عراقي وثالث طيار استطاعوا بمبالغ كبيرة وإغراءات كبيرة يشجعونه على أن يهرب بطائرة إلى داخل إسرائيل ليعرفوا مكونات الطائرة هذه وكيف يصنعون مثلها أو نماذج تفوقها، ما هم عملوا بكل وسيلة؟)[1].

لقد أضاع علماء الدّين الكثير من الوقت في البحث عن قضايا وأمور بسيطة، وتركوا الرؤية القرآنيّة وراء ظهورهم، الرؤية التي تبني الحياة وتعمرها على أساس هدى الله، فانصرفوا للبحث في أمور وقضايا تحت عنوان الإستنباط الفقهي، ولم يستنبطوا للأمة ما يبنيها، ويقيها شرور الأعداء، ومخاطرهم، والكثير من مدارس العلم، والحوزات العلميّة تصرف المبالغ الماليّة الباهظة على هذه الأمور والقضايا، ولم يتّجهوا ليصرفوها ويوظفوها في سبيل ما يحيي الأمة، ويرتقي بها، ويشهد على عظمة الإسلام والقرآن الكريم، وهذا للأسف الشّديد أثّر تأثيراً سلبيّاً على واقع الأمة الإسلاميّة وأضعفها، وأفقدها قيمتها ومكانتها بين الأمم، فعلى ضوء القرآن

(١) سورة البقرة الدّرس السّادس من دروس رمضان.

الكريم والإهتداء به، أو الإعراض عنه تبتني أمم وتتحطّم أمم، يقول السّيد: **(إذاً فلنقل: الذين قطعوا أوقاتهم فعلاً وهو ضائع بين كتب من أجل يريد يستنبط، يستنبط يعرف ماذا يطلع من القرآن من حكم شرعي في قضية حول: هل الأذن من الرأس أو ليست من الرأس أو أي أشياء من هذه، هذا ضياع فعلاً أدىٰ إلىٰ ضياع الأمة حقيقة يعني ما نقول: إن الإسلام ما جاء إلا بعدما نهضت أوروبا وبعدما نهضت أمريكا نحن [الزيود] سابقون لهم كدولة، و[الإثناعشريين] سابقون لهم كمرجعية تمتلك أموالا كبيرة الأخماس تتجمع عند المراجع مبالغ هائلة جداً والمراجع ماذا يعملون بها؟ يدرس فقه ويخرج مدرسين فقه وأصول فقه وفلسفة وأشياء من هذه! وكان باستطاعتهم هم بكثير من الأموال تلك أن يبحثوا من الشباب الذين هم نوابغ أذكياء يعطونهم منح دراسية يقيمون مدارس علمية وهم يعتبرون أنفسهم مراجع ماذا يعني؟ أي مراجع دين.**

إذا أنت مرجع دين يعنىٰ تكون فاهماً للقرآن الكريم لو كنت فاهماً للقرآن الكريم لحاولت أن تستغل كثيراً من تلك الأموال وما زلت في فسحة وما تزال في وقت تبني مدارس علمية أو ترسل طلاباً من النوابغ وتصرف عليهم أضعاف ما تصرفه علىٰ حوزة كاملة يأتون بعلوم من هذه لماذا؟ لأنها علوم تعطي تمكينا لمن؟ لمن هي بأيديهم ما تدري إلا وهم مقبلون عليك ما الذي حصل؟ الآن النجف من يحكمه من؟ الأمريكيون أسبانيون أوكرانيون وفيهم [آيات الله، حجة الله] وأشياء من هذه عناوين من هذه.

ما الذي جعل الأمريكيين يصلون والبريطانيين والأسبانيين يصلون إلىٰ أن يضربوا هذه الأمة ويهيمنوا عليها ويستعبدوها ويصلوا إلىٰ داخل النجف وكربلاء إلا ماذا؟ عدم فهم لمراجع دين عند الإثنا عشرية وعدم فهم عندنا لأئمة حكموا لهذا القرآن، آية واضحة هذه إذا عندك فهم إذا ما زلت سليم الفهم، إذا أنت تعرف بأن القرآن هو هدىٰ للناس وتعرف أن من الهدىٰ فيما يتعلق بالأشياء هذه، لا أن يكون كل ما تستنبطه من القرآن حول قضايا العبادات والمعاملات المعروفة، تبنىٰ أمم أو تحطم أمم بسبب الإعتماد علىٰ القرآن أو الإعراض عنه، عندما لم يهتموا لا سنة ولا شيعة بطوائفهم لا أصحابنا الزيود وهم حكموا علىٰ مدىٰ ألف سنة ولا اثناعشرية وهم مرجعية دينية وأخماس

تتجمع إليهم بأعداد هائلة مبالغ كبيرة على مدى أيضاً ألف سنة تاريخ النجف كمرجعية في النجف قد تكون ربما ألف سنة)[1].

لقد كانت خسارة الأمّة خسارة كبيرة بسبب الإعراض عن القرآن والإبتعاد عنه، ونحن اليوم أمام وضعيّة خطيرة جدّاً لم يبق فيها دين ولا دنيا، ولا عزّة ولا كرامة، وأصبحت الهيمنة علينا، وعلى مراكزنا العلميّة، ومدارسنا، وحوزاتنا، وماضينا، وحاضرنا، ومستقبلنا، هي للغربيين واليهود، والغريب أنّه إلى الآن لا يوجد التفاتة جادّة وصادقة لتصحيح الوضعيّة، والعودة إلى كتاب الله للإهتداء به، يقول السّيد: **(إذاً فنقول لأنفسنا ونقول للآخرين: هو وقت من قبل أربعمائة سنة. الذي يقول لك: ما هو وقت أن تقولوا: [الله أكبر..] أو تحاولوا تعدوا أنفسكم لأن لا تكونوا ضحية هؤلاء الأعداء الذين أخبر القرآن عنهم أنهم لا يودون لنا أي خير.**

إذاً ألم تكن خسارة كبيرة جداً عندما لم نعمل بالقرآن ألم نصبح نحن الضحية نحن الجيل هذا نفسه؟ أصبحنا الضحية أصبحت الأمة الجيل هذا من الأمة هو الضحية لتقصير السابقين لانحراف ثقافة السابقين في معظمها في معظمها فعلاً سنة وشيعة تتمثل كلها في ماذا؟ في أنهم ابتعدوا عن القرآن.

إذاً نحن أمام وضعية: ما بقي لا دين ولا أمة وأمة متخلفة، أمة منحطة، أمة ضعيفة، أمة يتحكم فيها اليهود يحكمهم اليهود، الشيء الغريب الذي لا يزال الآن غريباً في العراق نفسه العلماء العراقيون المراجع الذين عندهم مبالغ كبيرة جداً الأخماس التي منها أخماس أرباح التجارة صاحب الدكان يكون لديه صندوق في دكانه إذا باع خصلة بخمسمائة معه فيها ربح مائة ريال خُمُس المائة هذه يطرحها في الصندوق، خمسة آلاف ألف ربح يطرح خُمُس الألف هناك خمس الربح من كل سلعة يبيعها تتجمع أموال كثيرة جداً.

أذكر في كتاب ذكر قبل سنين بأنه الأخماس التي من سوق بغداد تكفي للهاشميين جميعاً، أخماس سوق بغداد للشيعة فضلاً عن أسواق أخرى في العراق فضلاً عن أسواق أخرى في الخليج

(١) سورة البقرة الدّرس السّادس من دروس رمضان.

فضلاً عن أسواق أخرى في داخل إيران، إذاً لماذا لم يحصل عند هؤلاء اهتمام بعدما رأوا أن هناك ملاحقة لعلماء عراقيين يحاولون بأي طريقة ولو يصرف على الشخص الواحد مليون دولار أنها سهلة في محاولة أن يهربه من أيدي هؤلاء إلى أي بلد آخر يكون في مأمن فيه؟ لا يوجد شيء من هذا، وما زال يقول: نعم للحوزة، نعم للحوزة، والحوزة التي أضاعتك، أضاعتك في الماضي وتراها الآن أمام أعداد كبيرة من العلماء العراقيين بعدما تهاوى النظام أصبحوا ضائعين، يحاولون بأي طريقة يحصلون عليهم حتى يؤمنوا مستقبلهم ولو يصرفوا على الواحد منهم مليون دولار إنه سهل يهربونهم إلى بلدان أخرى ما يجعلونهم عرضة للمخابرات الإسرائيلية: هذا يقومون باحتوائه ويشغلونه عندهم، وهذا يغتالونه، أليست هذه خسارة؟.

لا بد أن نعرف أيضاً بالنسبة لنا: أن واقع الناس تقريباً وصل إلى ما وصل إليه اليهود في خسارتهم التي عرضها الله في القرآن الكريم بسبب أنهم أعرضوا عن قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾[البقرة: من الآية٦٣] ما أخذنا ما آتانا الله بقوة فأصبحت النتيجة هي النتيجة السيئة.

نعم كما قلنا سابقاً بالنسبة للموضوع: الآيات هذه عندما تراها تناولت أشياء وتبدو وكأنها آيات متفرقة، لا، الموضوع هنا موضوع ذهني موضوع الإنسان المسلم المجتمع المسلم بشكل عام)[1].

(١) سورة البقرة الدرس السادس من دروس رمضان.

المحـــور الثاني عشر

- الشّعار سلاح وموقف.
- مقاطعة البضائع الأمريكيّة والإسرائيليّة.
- الإرهاب مشروع الاستعمار الحديث.
- مع الشّعار منذ الصّرخـة الأولى.

الشّعار سلاح وموقف

يعتبر شعار الصّرخة الّذي أطلقه السّيد حسين بدر الدرين "رحمة الله ورضوانه عليه" هو العنوان البارز للمسيرة القرآنيّة، ورصاصة الانطلاقة الأولى في وجه أمريكا، وإسرائيل، واليهود، وقد أثبت هذا الشّعار العظيم خلال عقد من الزّمن أهمّيته البالغة، وجدوائيّته، وفاعليّته، وتأثيره الكبير والبالغ في هذه المعركة مع الأعداء، ويعتبر هو السّلاح الّذي أقضّ مضاجعهم، وأرعبهم، وأخافهم كثيراً، كما كان له نفس الأثر والفاعليّة في تقوية نفوس ومعنويّات المؤمنين، والارتقاء بهم جهاديّاً، وثقافيّاً، وتوعويّاً، وسياسيّاً، وعسكرياً، بل ترك أثره وفاعليّته حتّى في نفوس من لا يرفعونه، وإضافة إلى ما شهد به الواقع له من أهميّة وفاعليّة، فقد بيّن السّيد في الدّروس والمحاضرات أهميّة وفاعليّة الشّعار، وضرورته في هذه المرحلة، وفي خوض غمار هذه المعركة مع الأمريكيّين، والإسرائيليّين، وعملائهم.

معركة الوعي

تخوض الأمّة معركة شاملة وشرسة مع أعدائها، وفي مقدّمة هذا الصّراع المعركة الثّقافيّة الّتي سُخرت لها ملايين الدّولارات، وطابور كبير من العلماء، والخطباء، والدّعاة، والمثقّفين، والإعلاميّين الذين يعملون على تزييف الوعي والمفاهيم لدى أبناء هذه الأمّة، ويبيّن السّيد أنّ هذه المعركة بالغة الخطورة، فإذا انتصر العدوّ في معركة الوعي والثّقافة فإنّه سينتصر في معركة الحديد والنّار، ويؤكّد السّيد أنّنا نخوض معركة المصطلحات مع الأمريكيّين واليهود، وعلينا أن نسعى بجدّ لتحقيق النّصر في هذه المعركة أوّلاً، يقول السّيد: **(ونحن إذاً نواجه بحرب في كل الميادين، حرب على مفاهيم مفرداتنا العربية، إذا لم نتحرك نحن قبل أن تترسخ هذه المفاهيم المغلوطة بمعانيها الأمريكية، بمعانيها الصهيونية، والذي سيكون من وراءها الشر، إذا لم نتحرك ستكون تضحيات الناس كبيرة، ستكون خسارة الناس كبيرة.**

عندما نسمع كلمة: [أنهم يريدون أن يتحركوا لمحاربة الإرهاب وجذور الإرهاب، ومنابع

الإرهاب] فإن علينا أن نبادر دائماً إلى الحديث عن الإرهاب ما هو؟ ونربطه دائماً بأمريكا، أن أمريكا هي التي تصنع الإرهاب للناس جميعاً، وأن اليهود هم من يفسدون في الأرض، ومن يسعى في الأرض فساداً هو من يصح أن يقال له أنه إرهابي إرهاباً غير مشروع، وأننا لا نسمح أبداً أن تتحول كلمة [إرهاب] القرآنية إلى سُبَّةٍ، وإلى كلمة لا يجوز لأحد أن ينطق بها. فلنقل دائماً إن كلمة [إرهاب] كلمة قرآنية مطلوب من المسلمين أن يصلوا إلى مستواها، إن الله يقول ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ أي لأعداء الإسلام لأعدائكم لأعداء الله ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[الأنفال: من الآية ٦٠] **هنا كلمة: ﴿تُرْهِبُونَ﴾ أصبحت كلمة ترهبون هنا لا يجوز لأحد في الأخير أن يتحدث عنها؛ لأن معناها قد تغير فكلمة ﴿تُرْهِبُونَ﴾ قد فسرها الأمريكيون تفسيراً آخر، فمن انطلق ليتحرك على أساس هذه الكلمة القرآنية فإنه قد أُعْطِيَ للأمريكيين شرعية أن يضربوه، والله يقول ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾**[الأنفال: من الآية ٦٠].

وإذا ما سمعنا عن كلمة [جذور إرهاب ومنابع إرهاب] فإن علينا أن نتحدث دائماً عن اليهود والنصارى كما تحدث الله عنهم في القرآن الكريم من أنهم منابع الشر، ومنابع الفساد من لديهم، وأنهم هم من يسعون في الأرض فساداً.

وحينئذٍ سننتصر، وإنه لنصر كبير إذا ما خُضْنَا معركة المصطلحات، نحن الآن في معركة مصطلحات، إذا سمحنا لهم أن ينتصروا فيها فإننا سنكون من يضرب ليس في معركة المصطلحات بل في معركة النار إذا ما سمحنا لهم أن تنتصر مفاهيمهم، وتنتصر معانيها لتترسخ في أوساط الناس)[1].

ويؤكّد السّيد أنّ لشعار الصّرخة في وجه المستكبرين أثره البالغ والمهمّ في هذه المعركة، معركة الفكر، والثّقافة، والوعي، والمفاهيم، وأنه يحصّن الأمّة فكريّاً وثقافيّاً، ويحميها من التّأثّر بهذه الهجمة الثّقافيّة، ويحول بينها وبين أن تكون ضحيّة للمضلّين، ويرى أنّه لا بدّ منه في تحقيق النّصر في هذه المعركة، فيقول: **(فعندما نردد هذا الشعار، وعندما يقول البعض ما قيمه مثل هذا الشعار؟ نقول له هذا الشعار لابد منه في تحقيق النصر في هذه المعركة على الأقل، لابد منه**

(١) محاضرة الإرهاب والسلام.

في تحقيق النصر في هذه المعركة، معركة أن يسبقنا الأمريكيون إلى أفكارنا وإلى أفكار أبناء هذا الشعب، وإلى أفكار أبناء المسلمين، وبين أن نسبقهم نحن، أن نرسخ في أذهان المسلمين: أن أمريكا هي الإرهاب، أن أمريكا هي الشر، أن اليهود والنصارى هم الشر حتى لا يسبقونا إلى أن يفهم الناس هذه المصطلحات بالمعاني الأمريكية)[1].

ويؤكّد السّيد أنّ لهذا الشّعار أثره العظيم إيمانيّاً، ومعنويّاً، وتربويّاً، ونفسيّاً، في نفوس من يرفعونه، ويردّدونه، كما أنّه يترك أثره الكبير في نفوس من يسمعونه، وفي نفوس من لا يرددونه، ومن لا يرفعونه، ويرسّخ حالة الوعي لدي الجميع بخطورة أمريكا وإسرائيل، واليهود، وسيحدث ثورةً ونقلةً فكريّةً وثقافيّةً في داخل النفوس أوّلاً، وفي الواقع ثانياً، فيقول: **(فعندما نرفع هذا الشعار أيها الأخوة نحن نرفعه ونجد أن له أثره الكبير في نفوسنا، وفي نفوس من يسمعون هذا الشعار، حتى من لا يرددون هذا الشعار فإننا بترديدنا للشعار من حولهم سنترك أثرا في نفوسهم، هذا الأثر هو أن اليهود ملعونين، ونذكر مثل هذا الشخص الذي لا يرفع هذا الشعار بتلك الآيات القرآنية، وعندما يسمع الشعار ونحن نهتف به ويعود ليقرأ سورة البقرة وآل عمران والمائدة والنساء وغيرها من السور التي تحدث الله فيها عن اليهود والنصارى سيفهمهم بشكل آخر، سيفهمهم أكثر من قبل أن يسمع هذا الشعار يتردد من حوله)**[2].

ويوضّح السّيد أنّه لا بدّ أن يترافق مع هذا الشّعار توعيةٌ ثقافيةٌ، وسياسيّةٌ، وإعلاميةٌ تقوم على أساس التّبيين بخطورة أمريكا، وإسرائيل، واليهود، وكشف وفضح مؤامراتهم، وشرهم وخطرهم العظيم على الأمّة والشعوب بكلّها، ويبين السّيد أنّ كلّ ما يحصل في هذا العالم من أحداث كلّها مؤامرات وحرب تدور على رؤوس المسلمين، وضدّ الإسلام، فيقول: **(عندما نهتف بهذا الشعار يترافق معه توعيه كاملة، كلها تقوم على أساس أنّ منابع الشر وجذور الشر، الفساد في الأرض، الإرهاب لعباد الله، الظلم لعباد الله، القهر للبشرية كلها هم أولئك الذين لعنهم الله في القرآن الكريم، هم أولئك اليهود، هم أمريكا وإسرائيل وكل من يدور في فلكهم، لا بد أن نكون واعين، أن نكون فاهمين، علينا أن نتحمل المسئولية القرآنية بوعي، أما إذا أصبحنا إلى درجة لا نعي ولا نفهم ما يعمل الآخرون، ولا نعي ولا نفهم خطورة ما يدور من حولنا فإن ذلك يعني أننا**

(١) محاضرة الإرهاب والسلام.

(٢) محاضرة الإرهاب والسلام.

سنعيش في حالة أسوأ مما نحن فيه، أوليس كل واحد منا يعرف أن ما يدور في هذا العالم من أحداث كلها تدور على رؤوس المسلمين، وكلها حرب ضد الإسلام والمسلمين؟ أليس هذا شيء مفهوم لدينا جميعاً؟)[1].

ويبيّن السّيد أنّ أوّل ما يجب أن نعمله في هذه المعركة هو أن نردّد هذا الشّعار العظيم، وأن نهتف ونصرخ به في وجه المستكبرين، وهو أقلّ ما يجب أن نعمله في هذه الظّروف، وهذه المرحلة، وأن يتحرّك الخطباء، والمرشدون، والدعاة ليتحدثوا عن خطر اليهود والنصارى وفق ما تحدث الله به عنهم في القرآن الكريم، وأن ينطلق المثقفون، والمفكرون في هذه الأمة للحديث عن هذه الأحداث المؤسفة التي يمرّ بها المسلمون، ويقودها اليهود والنّصارى، حتّى يخلقوا وعياً وبصيرةً في نفوس النّاس، ونحرص أن يقوم هذا العمل على أساس وحدة الكلمة، والقرار، والرّؤية، والموقف تجاه هذه الأحداث، فيقول: **(وإن أول ما يجب أن نعمله، وهو أقل ما نعمله، هو أن نردد هذا الشعار، وأن يتحرك خطباؤنا أيضا في مساجدنا ليتحدثوا دائما عن اليهود والنصارى وفق ما تحدث الله عنهم في القرآن الكريم، وأن نتحدث دائما عن هذه الأحداث المؤسفة حتى نخلق وعيا لدى المسلمين ونخلق وعيا في نفوسنا، وأن يكون عملنا أيضا كله قائما على أساس أن تتوحد كلمتنا، أن يتوحد قرارنا، أن تتوحد رؤيتنا للأحداث)**[2].

ويرى السّيد أنّ من ينطلق ليثبّط النّاس ويخذّلهم عن الصّرخة بهذا الشّعار العظيم في مواجهة أمريكا، وإسرائيل، واليهود على الرّغم من أنّه أقلّ ما يمكن أن نعمله في هذه الظّروف، هو إنسان لا يعيش مع أمّته، ولا يهمّه واقعها، ولا يهمّه إسلامه ودينه، فيقول: **(الذين ينطلقون لتثبيط الآخرين عن أن يرفعوا هذا الشعار على الرغم من أنه كما قلنا أكثر من مرة: إنه أقل ما يمكن أن نعمل، لا أنه كل شيء، إنه أقل ما يمكن أن نعمل ولكنا على الرغم من ذلك - وأسفنا ألا نستطيع إلا ذلك - له أثره الكبير فعلاً، الذي ينطلق ليثبط وإن كان قد فهم فعلاً لكنه إنسان لا يهمه شيء، لا يهمه إسلامه، لا تهمه أمته)**[3].

---

(١) محاضرة الإرهاب والسلام.

(٢) محاضرة الإرهاب والسلام.

(٣) محاضرة وإذا صرفنا إليك نفرا من الجن.

ضرورة رفع الشّعار

وأمام الخطر المحدق بالأمّة، والتّدخلات الأمريكيّة والإسرائيليّة في شؤونها، لإضعافها والتّسلط والهيمنة عليها، يدعو السّيد الجميع من علماء، ومثقفين، ومواطنين لأن يكون لهم موقفٌ قويٌ في مواجهة هذه الهجمة الشّرسة، والاعتداءات الخطيرة، والهيمنة الشّاملة، وأن يرفعوا أصواتهم بالصّرخة في وجه أمريكا وإسرائيل، فيقول: **(نقول جميعا كيمنيين لكل أولئك الذين يظنون أنه لا خطر محدق، الذين لا يفهمون الأشياء، لا يفهمون الخطر إلا بعد أن يدهمهم، نقول للجميع سواء أكانوا كبارا أم صغارا الآن ماذا ستعملون؟ الآن يجب أن تعملوا كل شيء، العلماء أنفسهم يجب أن يتحركوا، والمواطنون كلهم يجب أن يتحركوا، وأن يرفعوا جميعا صوتهم بالصرخة ضد أمريكا وضد إسرائيل، وأن يعلنوا عن سخطهم لتواجد الأمريكيين في اليمن)** [1].

ويخاطب السّيد كلّ أولئك الذين يقلّلون من أهميّة هذا الشّعار، ويلتزمون الصمت في مواجهة أمريكا وإسرائيل قائلاً: **(أولئك الذين يقولون ماذا يعني أن ترفعوا هذا الشعار.. قل إذا وصل الأمريكيون، إذا أرنا ماذا تعمل أنت؟ ألم يأن لك أن ترفع هذا الشعار؟ وإذا كنت ستلزم الحكمة التي تراها أنت السكوت، السكوت الذي هو من ذهب، فمتى سيتكلم الناس؟ ومتى سيصرخ الناس؟ ومتى سيقف الناس؟ هل بعد أن يستذلوهم، وأن يضرب الله عليهم أيضا من عنده الذلة والمسكنة؟ حينها يرى كل يمني ما يؤلمه ولا يستطيع أن يقول شيئا)** [2].

العمل الذي تتطلّبه ظروف المرحلة

يبيّن السّيد أنّ هذه الوضعيّة الّتي تعيشها الأمّة هي وضعيةٌ خطيرة، ليست وضعيّة السّكوت، ومحاولة البحث عن المبرّرات الشّرعيّة والسّياسيّة، لأنّها تعتبر من أخطر الوضعيّات الّتي تمرّ بها الأمّة، وهي وضعيّة تفرض ضرورة العمل والتّحرك الجماعي والشّعبي في مواجهة اليهود والنّصارى، وكشف وفضح مخطّطاتهم، ومؤامراتهم الخبيثة، وتبنّي المواقف العمليّة في مواجهتهم، الّتي أدناها وأقلها أن نرفع الشّعار، ونردد الصّرخة في مواجهتهم يقول السّيد: **(الوضعية التي نحن عليها الآن ليست وضعية أن يبحث الإنسان عن مبررات إطلاقا حتى ولو كان**

(١) محاضرة خطر دخول أمريكا اليمن.

(٢) محاضرة خطر دخول أمريكا اليمن.

هناك مبررات شرعية، وضعية خطيره، ليست وضعية أن يبحث الناس عن المبررات، ولا أن يقولوا: [نحن منشغلون بكذا أو كذا] هي وضعية يجب أن نتجه فيها لأن نتحدث دائماً مع الناس جميعاً عن خطورة المرحلة، وعن خطورة اليهود والنصارىٰ، وعن أضرارهم ومفاسدهم، وعن كيف يجب أن نواجههم، وعن موقف نتبناه، أدناه وأقله أن نصرخ في وجوههم، ونرفع الشعار الذي قد جربوا هم مرارته)[1].

ويرىٰ السّيد أنّ أفضل طريقة للتّحرك في مواجهة اليهود والنّصارىٰ، هي قضيّة التّحرك الشّعبي والجماهيري، وتأليب الجماهير، وتفعيلهم، وتقديم المشاريع التي يمكن لهم الانطلاقة فيها، والقيام بها، ولو في قضايا معيّنة، كالشّعار مثلاً، فالشّعار يعتبر سلاحاً مؤثّراً عليهم أشدّ ممّا لو كنّا عصابات مسلّحة تتقطّع للأمريكيّين وتخطفهم وتقتلهم، أو تقوم بعمليات وتفجيرات تستهدفهم، لأنّ أسلوب القرآن الكريم في تربيته للمؤمنين علىٰ مواجهة الأعداء يركّز علىٰ أن يقدّم لهم قضيةً كبيرةً يعملون فيها، ويتحرّكون بها، ويلتفون حولها، يقول السّيد: **(معلوم في مواجهة اليهود والنصارىٰ إن أفضل طريقه أن يكون هناك جمهره للناس، ولو في قضايا معينه، قدم للناس شعار يمكن أن يرددوه في أي قرية، ويرددوه في أي مكان، أليس هذا عمل سهل، في متناول الناس جميعاً؟ بعضهم يقولون: لماذا لا تنطلقوا؟ نقول لهم نستطيع أننا نعمل مثل الآخرين، عشرة أشخاص، ما هي بحاجة أنك تهتم، عشرة أشخاص ينطلقوا، ويكونوا عشرة أشخاص، ويقوموا هم يختطفوا أمريكيين، ويقوموا يعملوا تفجيرات، ويعملوا أشياء من هذه، ما هو ممكن بعشرة؟ لكن لا، ليس المطلوب بالشكل هذا، المطلوب أنك تعطي للناس قضية يتحركون فيها؛ لأن هذا هو أسلوب القرآن، أسلوب القرآن وهو يوجه خطابه للمؤمنين، للمسلمين.**

ولازم أن ننزل طريقة للمسلمين، للمؤمنين وأن نتحرك فيها، ونحرضهم هم؛ لينطلقوا فيها، وأن هذه أكثر أثرا، تعرفوا أن هذه أكثر أثراً؟ عشرة لو نجعل عشرة أشخاص، أو عشرين شخصاً ويكونوا هم يعملوا أعمال مثلما يعمل الآخرون في مرحلة كهذه، في مرحلة كهذه، لما كان لها أثر

(١) محاضرة خطورة المرحلة.

مثل أن ننطلق بشعار نرفعه في مساجدنا، بالنسبة للأمريكيين)[1].

ويعتبر السّيد أنّ التّحرك الصّحيح والسّليم في مواجهة الأعداء، هو أن نبحث عن الأعمال والمواقف المؤثّرة عليهم، والفاعلة ضدّهم، وفي مواجهتهم، وأنّ هذه هي انطلاقة المؤمنين الأقوياء، فيقول: **(هذا هو العمل الصحيح أنك تبحث عن عمل مؤثر على العدو لا أن تنطلق إنطلاقة الضعفاء، إنطلاقة الجبناء، إنطلاقة المهزومين، إنطلاقة العمي، تبحث عمّا يرضيهم)**[2].

وينطلق السّيد في عمله هذا من خلال معرفته بطرق ومنهجيّة القرآن الكريم، وأساليبه ووسائله التّربويّة والجهاديّة، ومن خلال معرفته الصّحيحة والدّقيقة بالواقع الذي تعيشه الأمّة الإسلاميّة، وظروفها، وواقعها، وما تتطلّبه هذه المرحلة من أعمال، ويؤكّد السّيد أنّه من خلال مسيرة العمل والتّحرك القائم على أساس القرآن الكريم، تأتي بشارات من قبل الله سبحانه وتعالى يلمسها النّاس في أعمالهم وواقعهم تطمئنهم بصّحة أعمالهم، ومواقفهم، وتطابقها مع الواقع، والزمن، والمشكلة، فيزدادون ثقةً وقناعةً بصحّة مواقفهم وأعمالهم، وهذا ما لمسه النّاس خلال عملهم هذا من خلال الواقع، والبشارات الإلهيّة، الّتي هي بفضل الله وتوفيقه، فيقول: **(ومن جهة أخرى نطمئن إلى أن عملنا قد كان - إن شاء الله - بتوفيق الله، أن عملنا هو بتوفيق الله، وأن عملنا هو العمل الذي تتطلبه الظروف، ظروف الأمة، وظروف اليمن، ظروفنا كمسلمين، وواقع ديننا، وواقع أمتنا، أليس هذا هو ما يمكن أن نكتشفه؟ فهل اكتشفنا أننا أخطأنا - كما يقول الآخرون - أم اكتشفنا أننا بحمد الله على صواب ونحن نعمل هذا العمل؟.**

إذاً هذا هو مما يزيدنا يقيناً، وهذا - فيما أعتقد - هي من البشارات التي قال الله فيها عن أوليائه: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[يونس: من الآية٦٤] **البشارات تأتي أحيانا بشكل طمأنة لك في أعمالك أنها أعمال صحيحة، وأنها أعمال مستقيمة، وأنها الأعمال التي تتطلبها المشكلة، ويتطلبها الزمن، ويتطلبها الواقع)**[3].

وأمام زخم هذه الأحداث الخطيرة الّتي تمرّ بها الأمّة وتداعياتها تبنّى السّيد موضوع إطلاق

(١) محاضرة آيات من سورة الكهف.
(٢) محاضرة آيات من سورة الكهف.
(٣) محاضرة خطر دخول أمريكا اليمن.

الصّرخة في وجه المستكبرين، وكانت هذه هي البداية الأولى لترديد هذا الشّعار العظيم، وتنبّأ السّيد بأنّ هذه الصّرخة ستجد لها مكاناً، بين نفوس المؤمنين، وقلوباً واعية، وآذاناً صاغية في مناطق أخرى، يقول السّيد: **(نعود من جديد أمام هذه الأحداث لنقول: هل نحن مستعدون أن لا نعمل شيئاً؟ ثم إذا قلنا نحن مستعدون أن نعمل شيئاً فما هو الجواب على من يقول: [ماذا نعمل؟].**

أقول لكم أيها الاخوة اصرخوا، ألستم تملكون صرخة أن تنادوا:

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

أليست هذه صرخة يمكن لأي واحد منكم أن يطلقها؟ بل شرف عظيم لو نطلقها نحن الآن في هذه القاعة فتكون هذه المدرسة، وتكونون أنتم أول من صرخ هذه الصرخة التي بالتأكيد – بإذن الله – ستكون صرخة ليس في هذا المكان وحده، بل وفي أماكن أخرى، وستجدون من يصرخ معكم – إن شاء الله – في مناطق أخرى:

[الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

هذه الصرخة أليست سهلة، كل واحد بإمكانه أن يعملها وأن يقولها؟

إنها من وجهة نظر الأمريكيين – اليهود والنصارى – تشكل خطورة بالغة عليهم)[1] .

ويؤكّد السّيد أنّ هذا العمل هو العمل الذي يجب أن نتبناه في هذه المرحلة، وهو عمل سنلمس أثره في الميدان، ونلمس شدّته على الأمريكيّين والإسرائيليّين، وسينطلق المنافقون، والمرجفون، والذين في قلوبهم مرض ليخوّفونا منه، لأنّهم المرآة التي تعكس لنا مدى فاعليّة وأثر أعمالنا في مواجهة اليهود والنّصارى، يقول السّيد: **(لنقل لأنفسنا عندما نقول: ماذا نعمل؟ هكذا اعمل، وهو أضعف الإيمان أن تعمل هكذا، في اجتماعاتنا، بعد صلاة الجمعة، وستعرفون أنها صرخة مؤثرة، كيف سينطلق المنافقون هنا وهناك والمرجفون هنا وهناك ليخوفونكم، يتساءلون: ماذا؟ ما هذا؟.**

أتعرفون؟ المنافقون المرجفون هم المرآة التي تعكس لك فاعلية عملك ضد اليهود والنصارى؛ لأن المنافقين هم إخوان اليهود والنصارى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

(١) محاضرة الصرخة في وجه المستكبرين.

﴿أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾[الحشر: من الآية١١] **فحتى تعرفون أنتم، وتسمعون أنتم أثر صرختكم ستسمعون المنافقين هنا وهناك عندما تغضبهم هذه الصرخة، يتساءلون لماذا؟ أو ينطلقون ليخوفوكم من أن ترددوها.**

إذاً عرفنا أن باستطاعتنا أن نعمل، وأن بأيدينا وفي متناولنا كثير من الأعمال، وهذه الصرخة [الله أكبر/ صرخة الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل/ اللعنة على اليهود - لأنهم هم من يحركون هذا العالم من يفسدون في هذا العالم - / النصر للإسلام] هي ستترك أثرها، ستترك أثراً كبيراً في نفوس الناس)[1].

ويؤكّد السّيد أنّنا أمام خيارين اثنين كلٌّ منهما يفرض علينا ويدفعنا لأن يكون لنا موقفٌ في مواجهة أعدائنا، وتغيير وضعيّتنا الّتي نعيشها، فيقول: **(عندما نتحدث أيضاً هو لنعرف حقيقة أننا أمام واقع لا نخلو فيه من حالتين، كل منهما تفرض علينا أن يكون لنا موقف.. نحن أمام وضعية مَهِيْنة: ذل، وخزي، وعار، استضعاف، إهانة، إذلال، نحن تحت رحمة اليهود والنصارى، نحن كعرب كمسلمين أصبحنا فعلاً تحت أقدام إسرائيل، تحت أقدام اليهود، هل هذه تكفي إن كنا لا نزال عرباً، إن كنا لا نزال نحمل القرآن ونؤمن بالله وبكتابه وبرسوله وباليوم الآخر لتدفعنا إلى أن يكون لنا موقف.**

الحالة الثانية: هي ما يفرضه علينا ديننا، ما يفرضه علينا كتابنا القرآن الكريم من أنه لا بد أن يكون لنا موقف من منطلق الشعور بالمسئولية أمام الله سبحانه وتعالى، نحن لو رضينا - أو أوصلنا الآخرون إلى أن نرضى - بأن نقبل هذه الوضعية التي نحن عليها كمسلمين، أن نرضى بالذل أن نرضى بالقهر، أن نرضى بالضَّعَة، أن نرضى بأن نعيش في هذا العالم على فتات الآخرين وبقايا موائد الآخرين، لكن هل يرضى الله لنا عندما نقف بين يديه السكوت؟ من منطلق أننا رضينا وقبلنا ولا إشكال فيما نحن فيه سنصبر وسنقبل)[2].

(١) محاضرة الصرخة في وجه المستكبرين.

(٢) محاضرة الصرخة في وجه المستكبرين.

الشّعار يوقف مخطّطات الأعداء

يعتبر الشّعار عاملاً مهماً جدّاً في إثارة السّخط في نفوس النّاس، ورفع مستوى حالة الوعي لديهم بخطورة اليهود والنّصارى، ودفعهم للتّحرك في مواجهة كلّ مخططاتهم، ومؤامراتهم، والعمل على إفشالها، وهنا يؤكّد السّيد أنّ هذا الشّعار ينبئ عن سخط شديد ضدّ الأمريكيّين والإسرائيليّين، ومن فوائده أنّه يجمّد مخطّطات ومؤامرات الأعداء، فيقول: **(ربما لو صرخ المسلمون من الآن فيما أعتقد، لو صرخ المسلمون من الآن وارتفعت شعارات السخط التي توحي بسخطهم على أمريكا وإسرائيل من الأن لتوقفت أمريكا، وتوقفت إسرائيل عن أن ينفذوا الخطة التي يريدونها سواء ضد الحرمين، أو ضد أي شعب آخر)**[1].

ويضيف السّيد أنّ هذا الشّعار يؤدّي لرفع الحالة التعبويّة في نفوس المؤمنين، والجهوزيّة العالية لديهم، للانطلاق في الأعمال الجهادية المؤثّرة على الأعداء، وأنّ من يرفعونه ويردّدونه يكون لديهم فعلاً، الاستعداد الكامل للتّحرّك في مواجهة الأعداء وضربهم في كلّ الميادين، فيقول: **(هذه الصرخة وحدها التي نريد أن نرفعها وأن تنتشر في أي مناطق أخرى وحدها تنبئ عن سخط شديد، ومن يرفعونها يستطيعون أن يضربوا أمريكا، يضربوها إقتصاديا قبل أن تضربهم عسكريا، والإقتصاد عند الأمريكيين مهم يحسبوا ألف حساب للدولار الواحد، إن هؤلاء بإمكانهم أن يقاطعوا المنتجات الأمريكية، أو منتجات الشركات التي لها علاقه بالأمريكيين، وباليهود، أو بالحكومة الأمريكية نفسها وحينئذ سيرون كم سيخسرون، لأن من أصبح ممتلئا سخطا ضد أمريكا وضد إسرائيل أليس هو من سيستجيب إلى المقاطعة الإقتصادية؟ والمقاطعة الإقتصادية منهكة جداً)**[2].

وينطلق السّيد في تبنّيه لشعار الصّرخة في وجه المستكبرين من منطلق الحكمة والبصيرة، فيرى أنّ الشّعار هو الكفيل بضرب مخطّطات الأعداء وإفشالها، وكان السّيد دائماً يدعو النّظام للكفّ عن تكميم أفواه الشّعب، ومنعه عن ترديد شعار الصّرخة، وكان يقول بأنّ الشّعب لو صرخ بهذه الصّرخة في أسبوع واحد فقط لألحق الهزيمة بأمريكا ومشاريعها، فيقول: **(دعوا الشعب يصرخ في**

(١) محاضرة في ظلال دعاء مكارم الأخلاق الدرس الثاني.

(٢) محاضرة في ظلال دعاء مكارم الأخلاق الدرس الثاني.

وجه الأمريكيين، وسترون أمريكا كيف ستتلطف لكم.. هي الحكمة، ألسنا نقول: أن الإيمان يماني، والحكمة يمانية؟ أين هي الحكمة؟ إن من يعرف اليهود والنصارى، إن من يعرف أن كل مصالحهم في بلادنا، لو وقف اليمن ليصرخ صرخة في أسبوع واحد لحولت أمريكا كل منطقها، ولعدّلت كل منطقها، ولأعفت اليمن عن أن يكون فيه إرهابيين) [1] .

الشّعار يحول دون حصول أمريكا على عملاء

لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن يعتبر هذا الشّعار ذريعة للأعداء فيستفيدون منه، لأنّه عمل قائم على الحكمة، والبصيرة، والمعرفة الدقيقة بمخطّطات الأعداء، ومشاريعهم، ونفسيّاتهم، بل هو نفسه يبطل كلّ الذّرائع والمؤامرات، وهو بما يترافق معه من توعية وثقافة يجعل النّاس رافضين للهيمنة الأمريكيّة، ومهيّئين نفسيّاً ومعنويّاً لمواجهة أمريكا وإسرائيل، بل يعتبر كموقف دينيّ شعبيّ وجماهيريّ يحول دون حصول الأمريكيّين على عملاء، يقول السيد: **(هذا الشعار يعرفوا أنه ما يمكن أن يعتبر ذريعة، بل هو نفسه يواجه كل الذرائع، هو يوحي بعمل، ووراءه عمل يبطل الذرائع الأخرى، معناه أن هذا نفسه يجعل اليمنيين بما يترافق معه من توعية، واعين، رافضين لهيمنة أمريكا، رافضين لدخول أمريكا، وبالتالي ماذا؟ يجعل الكثير من الناس مهيئين أنفسهم لمواجهة أمريكا ورفضها، بل يحول دون أن تحصل أمريكا على عملاء، بالشكل المطلوب)** [2] .

ولأنّ الشّعار يعبّر عن موقف شعبيّ وجماهيريّ في مواجهة أمريكا وإسرائيل، فإنّه يحول بينهم وبين إمكانيّة الحصول على عملاء يجنّدونهم من أبناء الشّعب، يقول السيد: **(لأنه عبارة عن ضجة، عن ضجة، أي شخص يفكر بأن يكون عميل يتهيب أن يكون عميل، وهو يرى المجتمع كله يصرخ بشعارات معادية لأمريكا وإسرائيل، هل عاد با يجرؤ أحد أن يجي عميل؟ عميل ظاهر؟ فما عاد هم محصلين من يتحركوا كعملاء؛ ولهذا يعتبرون أن هذا العمل يعيق ما يريدون**

(١) محاضرة لتحذن حذو بني إسرائيل.

(٢) محاضرة الشعار سلاح وموقف.

تنفيذه من الخطط، يعيقها فعلاً)[1].

الشّعار سلاح وموقف

يوضّح السّيد أنّ الشّعار ليس كلمات وعبارات سباب وشتام، بل هو شعار يعبّر عن موقف ديني، وشعبي، وجماهيري في مواجهة الأمريكيّين والإسرائيليّين، فيقول: **(كلمة الموت لأمريكا ما هي كلمة سب، ماهي كلمة سب، أبدا هي إعلان موقف، أننا نعتبرهم أعداء، نتعامل معهم كأعداء، أما اللعنة على اليهود فاللعنة قد لعنهم الله في كتابه في عدة آيات)** [2].

ويؤكّد السّيد أنّ ديننا يفرض علينا أن نتبنّى المواقف المؤثّرة على الأعداء، والمحبطة لخططهم ومؤامراتهم، فيقول: **(يفرض الدين أنك تعمل أي عمل ينال من العدو، يعرقل خطط العدو، يؤثر على العدو)**[3].

ويوضّح السّيد أنّ من ينطلقون لمعارضة الشّعار، ومسحه من الجدران، يقدّمون الدّليل، والبرهان، والشّهادة على أهميّته، وأنّه مؤثرٌ جدّاً في المواجهة والصّراع مع الأمريكيّين، والإسرائيليّين، وعملائهم، يقول السّيد: **(فالشعار هذا أثبت عندما مسحوه عندما تراه ممسوح هو يشهد وهو ممسوح بماذا؟ أنه مؤثر على الأمريكيين، عندما تراهم يخدشوه يشهد بأنه مؤثر على الأمريكيين، أيضا مؤثر على الوهابيين، مؤثر على الوهابيين أيضا بشكل كبير)** [4].

ومن المنطلق الشّرعي، والدّيني، والوطني أيضاً يؤكّد السّيد على مسألة مهمّة جدّاً، وهي أنّ الناس عندما ينطلقون في عمل سهل، وفي متناولهم جميعا أن يعملوه، وهم يرون أثره على أعدائهم، ويرون انزعاجهم منه، فإنّه يصبح واجباً عليهم أن يعملوه، وأن ينطلقوا فيه، فيقول: **(عندما يكون عمل في متناول الناس أن يعملوه، وهم يرون أعداءهم يتأثرون منه، يصبح واجب،**

(١) محاضرة الشعار سلاح وموقف.
(٢) محاضرة الشعار سلاح وموقف.
(٣) محاضرة الشعار سلاح وموقف.
(٤) محاضرة الشعار سلاح وموقف.

يصبح واجب)[1].

ويحذّر السّيد من خطورة أن ينطلق النّاس في محاربة هذا الشّعار، ومسحه، وإزالته، وخاصّة الجنود الذين يفترض بهم أن ينطلقوا للدّفاع عن دينهم وأمتهم، وأن يكونوا في مقدّمة وطليعة من يتحمّل المسؤولية، فيقول: **(يكفينا من الشعار هذا أنه كشف لنا عدة أشياء، فعندما تجد الجندي اليمني، الجندي اليمني تجده لتنفيذ رغبة أمريكية يحاول يخدش شعار، ولا يتحاشى عن الخدش كلمة الله أكبر، يخدش الله أكبر، والنصر للإسلام، من أجل الأمريكيين، هل تتصور بأن هذا ممكن في الأخير يدافع عنك، والا يدافع عن دينك، أبدا بل قد يستخدم لمحاربتك أنت ودينك)**[2].

ويؤكّد السّيد على أنّ هذا الشّعار يعتبر عملاً صالحاً يرضي الله سبحانه وتعالى، ويمثّل براءةً وموقفاً من أعداء الله، وأنّ من ينطلقون للصّدّ عنه، ومعارضته، هم ينطلقون في الأساس للصّدّ عن سبيل الله، وهذه تعتبر قضيّة خطيرة جدّاً على النّاس، لا يجوز لهم أن ينطلقوا فيها، فيقول: **(طيب فيفهم الإنسان بأنه عندما يعارض عمل من هذا النوع إنه يصد عن سبيل الله، والذي يقول إن هذا الشعار لا يصح في المسجد، عملك أنت الذي هو الصد عن سبيل الله الذي لا يجوز في المسجد، الذين رفعوا الشعار أنت تعلم أن هذا الشعار ضد أمريكا وإسرائيل، وأقل ما فيه أنه إعلان براءة من هؤلاء الأعداء، وعمل صالح، العمل السيئ هو أن تنطلق أنت في المسجد تصد عن هذا العمل، كيف تبيح لنفسك أن تعارض مسلم في موقفه ضد يهود، أما عمله وهو يرفع شعار ضد اليهود ضد الأمريكيين والإسرائيليين تعتبر أنه ما يجوز له، مسلم يعارض يهود ما يجوز له، وهو يجوّز لنفسه أن يعارض مسلم في معارضته لليهود، فما الذي يجوز والذي لا يجوز من هذا؟ الذي يصد عن سبيل الله من داخل المسجد هو الذي لا يجوز له، هو الذي لا يجوز له، وهو الذي يرتكب قبيح ويرتكب جريمة؛ لأنك أنت ما دخلك في هذا على أقل تقدير إذا ما أنت منطلق في هذا الموضوع أسكت لا تحاول أن تثبط آخرين، لا تحاول تعارض آخرين، لا يجوز لك هذا، لا يجوز لك حتى لو عندك ما منه فائدة)**[3].

(١) محاضرة الشعار سلاح وموقف.
(٢) محاضرة الشعار سلاح وموقف.
(٣) محاضرة الشعار سلاح وموقف.

الشّعار ينمّي السّخط في نفوس المسلمين

يعتبر الشّعار مهماً جدّاً في تنمية السّخط في نفوس المسلمين، وتعريفهم بأعدائهم، ودفعهم لتبنّي المواقف الحكيمة والصّحيحة في مواجهتهم، كما أنّ له دوره وأثره الكبير في جمع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم، ويسهم إسهاماً فاعلاً في بناء الأمّة ثقافيّاً، وعلميّاً، واقتصاديّاً، وهذا هو ما يعمل اليهود والأمريكيّون على تفاديه، ويدفعون المليارات من الدّولارات لمسحه وإزالته من نفوس النّاس، يقول السّيد: **(ما هو هذا الأثر؟ السخط، السخط الذي يتفاداه اليهود بكل ما يمكن، السخط الذي يعمل اليهود على أن يكون الآخرون من أبناء الإسلام هم البديل الذي يقوم بالعمل عنهم في مواجهة أبناء الإسلام، يتفادون أن يوجد في أنفسنا سخط عليهم، ليتركوا هذا الزعيم وهذا الرئيس وذلك الملك وذلك المسئول وتلك الأحزاب - كأحزاب المعارضة في الشمال في أفغانستان - تتلقى هي الجفاء، وتتلقى هي السخط، اليهود هم أولئك الذين يدفعون مبالغ كبيرة لبناء مدارس ومراكز صحية، وهكذا ليمسحوا السخط، إنهم يدفعون المليارات من أجل أن يتفادوا السخط في نفوسنا، إنهم يعرفون كم سيكون هذا السخط مكلفا، كم سيكون هذا السخط مخيفا لهم، كم سيكون هذا السخط عاملا مهما في جمع كلمة المسلمين ضدهم، كم سيكون هذا السخط عاملا مهما في بناء الأمة إقتصاديا، وثقافيا، وعلميا، هم ليسوا أغبياء كمثلنا يقولون ماذا نعمل؟ هم يعرفون كل شيء، من خلالهم تستطيع أن تعرف ماذا تعمل إذا كنت لا تعرف القرآن الكريم ماذا تعمل ضدهم؟**

والقرآن الكريم هو الذي أخبرنا عنهم، وكيف نعمل ضدهم، فحاوِل أن تعرف جيداً ما يدبره اليهود والنصارى؛ لتلمس في الأخير إلى أين يصل، ولتعرف في الأخير ماذا يمكن أن تعمل)[1].

ويؤكد السيد على ضرورة الإستمرار في رفع الشعار حتى يترسخ في نفوسنا، ويترسخ في أوساط الشعوب، فيقول: **(سنلعن اليهود والنصارى، سنلعن أمريكا وإسرائيل، سنلعن أوليائهم حتى تترسخ في أوساطنا في أوساط الشعوب، في أوساطنا نحن اليمنيين، ومالنا وللآخرين صرخوا**

(١) محاضرة الصرخة في وجه المستكبرين.

أو لم يصرخوا)[1].

ويؤكّد السّيد على ضرورة التمسّك بشعار الصّرخة في وجه المستكبرين، وأنّه لا يمكن السّماح لوسائل الإعلام، ولا للدّولة، ولا لأحد بأن يعزّز الهزيمة في نفوسنا، وأن يسكتنا عن ترديد هذا الشّعار، ورفع هذه الصّرخة، وأنّه لا يوجد أيّ مبرر لذلك على الإطلاق، فيقول: **(لا نسمح لوسائل الإعلام أن تعزز الهزيمة في أنفسنا من خلال ما تعرضه، لا نسمح ولا للدولة لنفسها أن تطلب منا أن نسكت فنسكت، لا يجوز أن نسكت، لا يجوز أن نسكت أمام الله، وليس هناك أي مبرر إطلاقاً، ليس هناك أي مبرر ديني، وأتحدى.. أتحدى من يمكن أن يخلق أيّ مبررٍ ديني في وضعية كهذه للسكوت أمام ما يحصل)**[2].

ويؤكّد السّيد على الصّلابة والاستمرار في هذا الموقف أمام الله، وأمام ديننا، وشعبنا، وأنّه لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن نقبل بمن يروّضنا على السكوت، ويدجنّنا لليهود، فروحيّتنا هي روحيّة جهاديّة لا تقبل بالظّالمين والمستكبرين على الإطلاق، فيقول: **(سنصرخ أينما كنا، نحن لا نزال يمنيين، ولا نزال فوق ذلك مسلمين، نحن لا نزال شيعة، نحن لا نزال نحمل روحية أهل البيت التي ما سكتت عن الظالمين، التي لم تسكت يوم انطلق أولئك من علماء السوء من المغفلين الذين لم يفهموا الإسلام فانطلقوا ليدجنوا الأمة للظالمين، فأصبح الظالمون يدجنوننا نحن المسلمين لليهود)**[3].

ويؤكّد السّيد أنّنا في عصر كشف الحقائق، وسقوط الأقنعة، العصر الذي تجلّت فيه الحقائق على أرقى مستوى، لهذا لا يجوز لنا أن نسكت أمام هذه الحقائق والتجلّيات، ويدعو السّيد لأن نكون سبّاقين في إعلان براءتنا من أعداء الله، وإعلان موقفنا من اليهود والنّصارى، وعلينا أن ندعوا الآخرين لأن يصرخوا بهذا الشّعار العظيم، ويرددوه في كلّ جمعة، وفي كلّ اجتماع، حتّى تتبخّر كلّ محاولات تكميم الأفواه، فيقول: **(أليس هذا الزمن هو زمن الحقائق؟ أليس هو الزمن الذي تجلى فيه كل شيء؟ ثم أمام الحقائق نسكت؟! ومن يمتلكون الحقائق يسكتون؟! لا يجوز أن نسكت، بل**

(١) محاضرة الصرخة في وجه المستكبرين.
(٢) محاضرة الصرخة في وجه المستكبرين.
(٣) محاضرة الصرخة في وجه المستكبرين.

يجب أن نكون سباقين، وأن نطلب من الآخرين أن يصرخوا في كل إجتماع في كل جمعة.. الخطباء، حتى تتبخر كل محاولة لتكميم الأفواه، كل محاولة لأن يسود الصمت ويعيدوا اللحاف من جديد على أعيننا، لقد تجلى في هذا الزمن أن كُشفت الأقنعة عن الكثير، فهل نأتي نحن لنضع الأقنعة على وجوهنا، ونغمض أعيننا بعد أن تجلت الحقائق، وكُشفت الأقنعة عن وجوه الآخرين؟! لا يجوز هذا، لا يجوز)[1].

ويبيّن السّيد أنّ منطق القوّة، والمواقف القوّيّة هي الّتي ستحقّق للنّاس السّلام، والأمن، والأمان، وإذا كان النّاس يريدون أن يسلموا من شرّ أمريكا، وإسرائيل، واليهود، وعملائهم فليصرخوا جميعاً في وجوههم، فيقول: **(إذا كنت تريد أن تسلم أولئك فامش على قاعدتهم هم، هم الذين يقولون: [إذا أردت السلام فاحمل السلاح] هذا مثل أمريكي [إذا أردت السلام فاحمل السلاح].**

عرفات ألم يبحث عن السلام؟ هل وجد سلاماً؟ متى فقد السلام؟ ومتى فقد الفلسطينيون السلام؟ يوم القوا بأسلحتهم وانطلقوا على طاولات المفاوضات، مفاوضة بعد مفاوضة، مفاوضات طويلة عريضة ثم بعد فترة تتلاشى كلها وتتبخر. هل حصلوا على سلام؟ إن هذا هو منطق الأمريكيين أنفسهم: [إذا كنت تريد السلام فاحمل السلاح].

إذا كان اليمنيون يريدون أن يسلموا شر أمريكا فليصرخوا جميعا في وجهها، وليتحدوها، وليقولوا ليس هناك إرهاب داخل بلادنا)[2].

وعندما ننطلق في هذا الشّعار، ونلعن اليهود فهو من منطلق أن نحصّن أنفسنا من شرّ وضلال اليهود، حتّى لا يردّونا بعد إيماننا كافرين، كما قال الله عنهم، يقول السّيد: **(عندما نلعن اليهود، اليهود هم متجهون إلى أن يحولونا إلى كفار، فإما أن نلعنهم وإلا فسيحولوننا هم إلى ملعونين عند الله، إذا أليس الأفضل نلنعنهم من قبل، ومن خلال لعننا لهم سنكون نلعنهم كما لعنهم الله ونحصن أنفسنا من ماذا؟ من أن يحولونا إلى كفار، إذا لم تلعنهم سيحولوك إلى كافر**

(١) محاضرة الصرخة في وجه المستكبرين.

(٢) محاضرة الصرخة في وجه المستكبرين.

يلعنك الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً﴾[الأحزاب:٦٤])[1].

ويعتبر السّيد أنّ رفع الشّعار عملاً دينيّاً في سبيل الله، لا يحمل عنواناً مناطقيّاً، ولا مذهبيّاً، ولا قوميّاً، ولا سياسيّاً، وهذا هو الذي أزعج الأعداء، وأثّر عليهم، يقول السيد: **(لاحظ الآن عندما انطلق الناس في هذا الموضوع هذا الشعار الذي يبدو عملا سهلا أزعجهم جدا لأنه عمل ديني، ولأنه في سبيل الله، قال السفير الأمريكي: [إن بلاده لا تريد أن يتحول عداء الشعب العربي إلى عداء ديني] ما هو العداء الديني؟ يعني: لا نريد أن تتحولوا في مواجهتنا تحت عنوان: في سبيل الله. هم عارفون بأنهم سيهزمون في الأخير هم، يعنون: أنه اعملوا لكم عناوين أخرى قولوا: قتالاً من أجل الوطن، أو دفاعاً عن الوطن، أو بعبارات من هذه!)**[2].

وعندما كان المجاهدون يصرخون بالشّعار في الجامع الكبير في صنعاء، ويتعرّضون للاعتقالات والسّجون، ومع ذلك يستمرّون في صمودهم، وترديدهم للصّرخة كلّ أسبوع، يؤكّد السّيد أنّ هذا كلّه بفضل الله، وببركة القرآن الكريم، لأنّه يربّي النّاس على القوّة، والمواقف الصامدة، وعلى الثّبات مهما كانت النّتائج، ويوضّح السّيد أنّ هذا الشّعار يعتبر عملاً كبيراً في مواجهة الأمريكيّين والإسرائيليّين بما يحمله من وعي وثقافة تحصنّ الأمّة من شرّ وخطر أهل الكتاب، لهذا يجب أن نعمل على نشره وتوسيع دائرته، فيقول: **(القرآن هو يبني النفوس بتوفيق الله على هذا النحو، أن تظهر مثلاً فئة صادقة، يسجنوا ولا يبالوا، يكبروا، ويسافروا إلى هناك يكبروا، قد أصبح الجامع الكبير أشبه شيء بعبارة عن ميدان، فيما بين الناس، وفيما بين الأمريكيين، مواجهة، هذه المواجهة لها آثار فيما يتعلق بالجوانب النفسية، والجوانب التي يسمونها: الجوانب السياسية، والمعنوية، لو لم تكن مواجهة مسلحة.**

هؤلاء يكبرون، وكل جمعة وهم أكثر، وكل جمعة ما توقفت على الرغم من أنهم يسجنون، وكل أسبوع يسجنون عدداً منهم، بلغ في بعض الجمع إلى أن سجنوا ثماني عشر شخصاً، وبعد كل جمعة يكون عندهم خلاص، يمكن أنهم قد نجحوا، أو ربما قد توقفوا، وتضعضعوا، وأيسوا! ورأوهم مكبرين، وسجنوهم، ورأوهم ثاني جمعة مكبرين، وهكذا، وهكذا.. هذا في الأخير يعني:

---

(١) سورة البقرة الدرس السادس.

(٢) سورة البقرة الدرس العاشر.

أن هذه أمة صامدة، وأنه هكذا يكون الناس إذا ساروا على هدى الله.

في نفس الوقت، عندما يكون عملهم مثلما نقول دائماً: يجب أن يكون في سبيل الله، وأنه بسبب أننا على هدى الله؛ لأن هذا هو البديل الوحيد أمام الناس، البديل الوحيد أمام الناس، يعطي ثقة للآخرين بأنه متى ما سار الناس على هدى الله سيكونون أقوياء، وسيخاف منهم العدو، وسينتصرون على العدو إذا ساروا على هدى الله.

فالشعار نفسه في حد ذاته عمل كبير، أن نعمل على توسيع دائرته، أن نعمل على نشر ملازم، نعمل نحن [ونتحرك في الساحة] هكذا يحاول واحد على ضوء ما يسمع، وعلى ضوء ما ينزل، يعني: العمل معناه: أن نعمل بالحاصل. هذه هي القضية الصحيحة، يكون عندك استعداد عملي أن تعمل، وتشتغل بما حصل، في المسيرة العملية [نعمل بهدى الله] ولا ندري نحن كيف الخارطة أمامنا لكن عندنا ثقة بالله سبحانه وتعالى أن نسير على هداه، وكيفما كانت النتيجة بالنسبة لنا شخصياً كيفما كانت) [1].

وقلّ لهم في أنفسهم قولاً بليغا

تعتبر كلمة "الموت" الّتي تضمّنها الشّعار كلمة مزعجة، ومرعبة، ومخيفة جدّاً للأمريكيّين والإسرائيليّين تؤثّر على واقعهم النّفسي والمعنوي، لأنّهم يخافون ويرتعبون جدّاً من الموت، كما أخبر الله عنهم في القرآن الكريم، فعند قوله تعالى: ﴿**وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا**﴾[النساء:٦٣] يؤكّد السّيد أنّ القضيّة ليست من منطلق المماحكة والعناد، بل هي قضيّة تدعو المؤمنين لأن يكونوا واعين، ومدركين، ومستوعبين لقضيّة التّأثير العمليّ في نفسيّات الأعداء، وينطلقون من منطلقات عمليّة في مجال العمل لله وفي سبيله، ولهذا تعتبر كلمات الشّعار من القول البليغ والمؤثّر في نفوس الأمريكيّين، والإسرائيليّين، وتسدّ أمامهم منافذ خطيرة جدّاً، وتحبط الكثير من مؤامراتهم، وخططهم الخبيثة ضدّ الأمم والشّعوب، فيقول: **(ليست قضية تشفي، لأن الإنسان المؤمن عليه أن ينطلق ويكون الشيء الذي يسيطر على مشاعره هو العمل لله وفي سبيله بمقدار ما يكون كلامه بليغا له أثر في نفسية هذا العدو، وله أثر إيجابي في ماذا؟ في المجال العملي لك**

(١) سورة البقرة الدرس العاشر.

أن تقوله، من الكلام الذي يسوء اليهود والنصارى ويخافون منه كلمة: الموت [الموت لأمريكا] لا يحب أن يسمع كلمة موت نهائياً نهائياً [الموت لأمريكا الموت لإسرائيل] ولهذا قال الله هناك في الآية: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾[آل عمران: من الآية١١٩] **قل موتوا بغيظكم وذكرهم هو سبحانه وتعالى بالموت في آيات سابقة قرأناها: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾**[آل عمران: من الآية١٨٥] **جاءت بعد الكلام عن بني إسرائيل مع أنها لا تعتبر كلمة سيئة لكن هي بالنسبة لهم تسوءهم أن يسمعوها، وعندما تنطلق يجب أن تنطلق في إطار عملي إطار عملي ليست مجرد كلمة تشفي هكذا، كلمة لها تأثيرها كلمة تنطلق من جهة هي تعمل لتقف في وجوههم على أساس كتاب الله، وبإذن الله، فهذا العمل في نفس الوقت له إيجابية كبيرة جداً شعار: [الله أكبر الموت لأمريكا الموت لإسرائيل اللعنة على اليهود النصر للإسلام] كلمات هامة ولها أثر في نفس الوقت أثر كبير أمام أشياء كثيرة في نفسياتهم من المؤامرات والخطط والخبث وتسد أمامهم منافذ كثيرة من التي يحاولون أن يستغلوها)**[1].

ويبيّن السّيد أنّ القول البليغ للأعداء، هو القول الّذي يترك تأثيراً عميقاً في نفوسهم، ويفضحهم أمام أنفسهم، وفي واقعهم، فلا يعد ينفع خداعهم وتضليلهم معنا، فيقول: **(كيف كان القول البليغ بالنسبة لهؤلاء (موتوا بغيظكم) من أخبره أن هناك غيظا فأن يعرف أنك عارف أن داخله غيظ شديد فتقول موتوا بغيظكم يعني أنك فضحته أمام نفسه، وبينت له بأنك تعرف واقعه، وتعرف حقيقته، وأنه لا ينفعه خداعه معك، وتضليله لا يؤثر عليك، أليس هذا من القول البليغ فعلا بالنسبة لليهود)**[2].

ويوضّح السّيد أنّ الكلام البليغ المؤثّر والحكيم، هو الكلام الّذي يكون في الإطار العمليّ، والمنهجيّ، كالشّعار مثلاً، ولهذا نرى الأمريكيّين والإسرائيليّين لا ينزعجون من عبارات السبّ والشّتم التي تنطلق ضدّهم في المظاهرات، ونسمعها في الاحتجاجات، لكنّنا نراهم ينزعجون من هذا الشّعار، ويركّزون عليه، ويحاربونه بشكل كبير جدّاً، فيقول: **(في الإطار العملي يجب أن يكون كلاماً بليغاً كلاماً حكيماً وكلاماً مؤثراً، يسكت أطراف لا يعرفون كيف**

(١) سورة النساء الدرس العشرون.

(٢) سورة النساء الدرس العشرون.

يتكلمون، هذا الكلام الذي يقوله الناس والذي هو كشعار يرفع، شعار يرفع لو يرفع بدلاً عنه عبارات سب لما كانت مزعجة لليهود لما كانت مزعجة لأمريكا وإسرائيل، يأتي أشخاص يسبون بوش ويسبون شارون هكذا صراحة هل أمسكوا بهم في المظاهرات؟ كان في المظاهرات يحاولون بعد الذين يرفعون شعارات يعلمونهم حتى يمسكون بهم بعد يعلِّمون في ملابسهم بأخطاط، كان بعض المخابرات يمسكون بهم لا يحاولون فيمن يسب بوش بنفسه بعضهم يسب بوش بنفسه لا يمسكونه ولا يعتبرونها قضية، عارفين هذا الكلام أهوج لا قيمة له عملية، وهم سياسيون كل شيء عندهم يصنف باعتبار أثره على مؤامراتهم وعلى خططهم وعلى سياستهم ليس عندهم عيب ولا شوعة ولا شيء نهائياً)[1].

من يرفعون الشّعار وراءهم الله

وعندما كان الشّباب المجاهدون ينطلقون لرفع هذا الشّعار في المساجد، وتنطلق السّلطات لاعتقالهم، وإسكاتهم، وتكميم أفواههم، يبيّن السّيد مسألة مهمّة جدّاً تجلّت خلال مسيرة هذا العمل العظيم، وهي أنّ الله وراء هذا العمل، ووراء هؤلاء المجاهدين، ولا يمكن أن يتركهم، أو يتخلّى عنهم، فيقول: **(الذين يمسكون من يرفع الشعار في الجامع هم في عمى، ومنطلقون في هذه الإنطلاقة، هم يرون أن الجهة التي ترفع الشعار لا تمثل شيئا يخافون منه، والجهة التي يسترضونها بأبناء بلادهم، بأخوتهم، هي الجهة التي يخافون منها، أمريكا، هناك يقارنون بيننا وبين أمريكا، أليست هكذا؟ ناسين أن يقارنوا بين أمريكا وبين الله، ويعتبرون أن هؤلاء جنود من جنود الله، الذين يمسكونهم ربما بعدهم الله، في يوم من الأيام سوف يضربهم، ويضربهم بالأمريكيين أنفسهم، أو بالقاعدة، أو بأي جهة، الله يقول ﴿فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾**[الحشر:٢] **هذه القضية هامة جدا، يجب أن تتقرر، وأن تترسخ في نفوس الناس)**[2].

ويؤكّد السّيد أنّ لهذا العمل الجهاديّ العظيم علاقة قويّة بإظهار دين الله على الدّين كله،

(١) سورة النساء الدرس العشرون.

(٢) سورة الأنعام الدرس الخامس والعشرون.

وإن كان عملاً بسيطا، لأنّه يظهر اهتمام النّاس بدين الله، وغضبهم على أعدائه، واستعدادهم للتّضحية في سبيله، ونصر دينه، ولأنّهم ينطلقون على أساس القرآن الكريم، فيقول: **(إذاً عندما نتحرك نحن في هذا الموضوع، وعلى أساس القرآن، لا يمكن للناس أن يقولوا: إنهم يقرؤون وليس لهم دخل، وربما في الأخير يظهر الباري الدين وسيظهره لهم، لازم عمل يتبين أنهم مهتمون بدين الله، أنهم مهتمون بعباد الله، ولازم انطلاقة على أساس القرآن، عندما تنطلق على أساس أي مذهب آخر لن تظهر، لا يتوقع على الإطلاق أن يظهر الناس منطلقين على أساس أي مذهب آخر، إلا على القرآن؛ ولهذا قال هناك: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ - دين الحق - لِيُظْهِرَهُ﴾**[الصف:٩] **يظهر دين الحق، الأشياء الأخرى لم تعد حقا، لن تظهر أبدا، دينه الحق هو كتابه وما فيه من سنن إلهية بالنسبة لحركة عباده كيف يبتني عباده على أساسه، في الأخير يأتي للناس ربما عمل بسيط، ألا يعتبر عملنا هذا عملا بسيطا؟ شعار نعمله، ويكون له أثر كبير، ويظهر في نفس الوقت إهتمام الناس بدين الله، يظهر غضبهم على أعدائه، يظهر أنهم قابلين أن يعملوا ما بوسعهم من أجله إذا لم يعمل الناس سيكونون مثل بني إسرائيل عندما يقول لهم أن يقولوا: حطة، فبدلوا قولاً آخر)**[1].

(١) سورة الأعراف الدرس الثامن والعشرون.

مقاطعة البضائع الأمريكية والإسرائيلية

يعتبر من ركائز المشروع القرآنيّ، والعمل الجهاديّ أوّلاً هو: رفع شعار الصّرخة في وجه المستكبرين، والمقاطعة الاقتصاديّة للبضائع الأمريكيّة والإسرائيليّة، وتذكير النّاس بالقرآن الكريم، وهذا هو كلّ ما عمله السّيد حسين بدر الدين (رضوان الله عليه) كما هو واضح في الدّروس والمحاضرات، وكما وضّح هو في مقابلته مع قناة (البي بي سي) بداية الحرب الأولى في العام ٢٠٠٤م حيث يقول: **(نحن نذكّرّ الناس، والتذكير ليس معناه مجرّد أن تَذكر أنّ هناك عدوّ فقط، بل يجب أن تكون هناك رؤية تقدّم للناس، رؤية عملية ليتحركوا فيها، على هذا الأساس كان أمامنا قضيتان: رفع الشعار [الله أكبر، الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النّصر للإسلام] والقضية الثانية: مقاطعة البضائع الأمريكية والإسرائيلية، والحثّ عليها كواجب)**، وكما بيّنه في بيانه الأوّل الذي أصدره في الحرب الأولى حيث يقول في أحد فقراته: **(أيها الإخوة المؤمنون ... اعلموا يقيناً أنكم تجاهدون في سبيل الله وأنتم تواجهون هؤلاء المعتدين الظالمين، الذين يحاربوننا بمختلف الأسلحة لصدنا عن سبيل الله وتذكير عباد الله بكتابة المجيد القرآن الكريم، وإسكاتنا عن الهتاف بهذا الشعار العظيم.**

(الله أكبر .. الموت لأمريكا .. الموت لإسرائيل .. اللعنة على اليهود .. النصر للإسلام) ضد أمريكا وإسرائيل التي تشن حرباً صريحةً ضد الإسلام والمسلمين ، وكلنا نعلم كما يعلم أيضاً من شن هذه الحرب علينا أننا لم نعمل شيئاً غير هذا ، وعملنا واضح منذ أكثر من سنتين ونصف، وإنهم الذين هاجمونا إلى ديارنا وبدؤا بالضرب علينا)، وقد سبق الحديث عن الشّعار العظيم، ومنطلقاته، وهنا نتحدّث عن موضوع المقاطعة الاقتصاديّة للبضائع الأمريكيّة والإسرائيليّة، وأهميّتها البالغة كسلاح فعّال بيد العرب والمسلمين، يستطيعون به ومن خلاله تركيع إعدائهم، وهنا يوجّه السّيد خطابه للنّاس، مؤكّداً على ضرورة الاهتمام بالمقاطعة الاقتصاديّة، فيقول: **(المقاطعة الإقتصادية كذلك يجب أن الناس يهتموا بها، المقاطعة للبضائع الأمريكية والبريطانية**

يحاولوا أن يقاطعوها، المقاطعة مؤثره جداً وحتى لولم يكن الا منطقة واحدة ما يقول واحد كم يا ناس بيشتروا، في ناس آخرين بيقاطعوا في البلاد العربية، فأنت لا تحسب نفسك مع الذين لا يقاطعوا، احتسب نفسك رقم إضافة إلى آلاف الأرقام الأخرى في البلاد العربية تقاطع، قبل ليلتين أعلنوا أن شركة أمريكية، شركة تصنيع مواد غذائية أو مطاعم، أعلنت أنها ستقفل محلاتها أو مطاعمها في عشرة بلدان إسلامية، عشرة بلدان إسلامية ستقفلها أفلست) [1] .

ويؤكّد السّيد على أنّ موضوع المقاطعة الاقتصاديّة للبضائع والمنتجات الأمريكيّة والإسرائيليّة مؤثرٌ جدّاً على العدوّ لدرجة أنّ الأمريكيّين يعتبرون المقاطعة الاقتصاديّة بمثابة إعلان الحرب عليهم، ولهذا لم تجرؤ الحكومات العربيّة والإسلاميّة على أن تتخذّ وتعلن قراراً بالمقاطعة الاقتصاديّة مع علمهم ومعرفتهم بأنّها سلاح قويّ جدّاً في مواجهة العدوّ، فيقول: **(المقاطعة الإقتصادية، المقاطعة للبضائع مهمة جدا ومؤثره جدا على العدو، هي غزو للعدو إلى داخل بلاده وهم أحسوا أن القضية عندهم يعني مؤثرة جداً عليهم، لكن ما قد جرأت الحكومات العربية إلى الآن أنها تعلن المقاطعة، تتخذ قراراً بالمقاطعة، لأن الأمريكيين يعتبروها حرباً، يعتبروا إعلان المقاطعة لبضائعهم يعتبرونها حرباً؛ لشدة تأثيرها عليهم)** [2] .

ويتوجّه السّيد بخطابه للشّعوب ويدعوها لأن تتحرّك هي في مقاطعة البضائع الأمريكيّة والإسرائيليّة، من منطلق الشّعور الإيمانيّ بالمسؤوليّة، يترافق مع ذلك التّوعية للنّاس بأهميّة المقاطعة للشركات والمنتجات الأمريكيّة والإسرائيليّة، وتبيين أثرها الشّديد على الأعداء، ودفع النّاس للتوّجه نحو البدائل الأخرى، فيقول: **(فإذا كانت مؤثرة بهذا الشكل ينطلق الناس فيها، ومعظمها أشياء يوجد بدائل لها، يوجد بدائل أرخص منها وأفضل منها، الإنسان المؤمن يكون عنده هذا الشعور، عنده هذا الإهتمام، حتى ولو عندك إن ما بلا أنت إعمل هذا الشيء، ما تشتري بضائع أمريكية، نزلت قوائم فيها أسماء بالبضائع الأمريكية التي يقاطعها الناس، يهتم كل واحد أنه**

(١) محاضرة الشعار سلاح وموقف.

(٢) محاضرة الشعار سلاح وموقف.

يقاطعها، يهتم كل واحد أنه يذكِّر صاحب دكان أو صاحب متجر أنه لا عاد يورد منها، إذا قد ورَّد كمية يحاول أنه يصرفها وبس، ما عاد يستورد شيء جديد)[1].

وعندما ينطلق النّاس في المقاطعة الاقتصاديّة سيرون أثر عملهم وأهميّته، وستُمنى الشّركات الأمريكيّة والإسرائيليّة بخسارة ملايين الدّولارات، وهذا الموقف نفسه سيشكّل ضغطاً شديداً على الحكومات المعادية، لأنّ تحرّك الأمريكيّين في الأساس يقوم على الاقتصاد، ورأس المال، وإذا ضُربت هذه الأشياء لديهم فسيتأثّرون فعلاً في بقيّة المجالات، ويتراجعون عن أعمال كثيرة، وعندما تتضاعف الجهود الشّعبية، وتلتقي مع الكثير من المقاطعين في مختلف البلدان العربيّة والإسلاميّة، فإنّ ذلك سيحدث اهتزازاً وتراجعاً كبيراً في حركة الأعداء، يقول السّيد: **(في الأخير سترى كم ستطلع من أرقام كبيرة من ملايين الدولارات خسارات للشركات الأمريكية، والأمريكيين ما حركتهم هذه الكبيرة إلا بتمويل العرب، بعائدات أموال العرب، الاستثمارات الكبيرة التي لديهم، البلاد العربية سوق كبيرة لمنتجاتهم وشركاتهم، يتركوا الناس كلمات: [أن هذا العمل ما منه شيء، وهذا ما منه فائدة، مه بايجي ذا، مهذي با يسوي؟ مهذي با أؤثر عليهم إني ما عاد أشتري كوب عسل، لا.].**

هذه التفسيرات الناس يتركوها، وينطلقوا من منطلق أنه ما دام المقاطعة الإقتصادية تؤثر، إذاً سنقاطع، وسترى بأنك أنت شخص واحد كم ستكون مشترواتك في السنة الواحدة، ستطلع أرقام كبيرة، خلي عنك آلاف معك، وإذا أنت ترى أهل بلادك ما بيقاطعوا ما بيهتموا، فاعتبر نفسك ما أنت رقم غريب، أنت رقم مع مقاطعين كثير في أندونيسيا في ماليزيا في مختلف البلاد الإسلامية، والبلدان العربية الأخرى، احسب نفسك واحد مع هؤلاء في المقاطعة، ما تحسب نفسك واحد مع الذين ما بيرضوا يقاطعوا وما بيرضوا يفهموا من أهل البلاد) [2].

ويضيف السّيد أنّ موقف اللاّمبالاة أمام تحرّكات الأعداء مظهر من مظاهر عدم تحمّل المسئوليّة، وهو موقفٌ لا ينسجم مع المسؤوليّة، ولا مع القرآن الكريم، فيقول: **(لأن هذه هي**

(١) محاضرة الشعار سلاح وموقف.

(٢) محاضرة الشعار سلاح وموقف.

مظهر من مظاهر أن ما هناك أي استشعار للمسؤولية، ولا التفات إلى القرآن الكريم، باعتبارنا مسلمين نفهم هل هناك مسئولية علينا والاّ لا، أو كل واحد منطلق، ما عنده، لا يفكر ولا يبالي من مرة، ويظن في نفسه أنه سيسلم، إن الأسلم أننا نبطِّل لا نعمل شيء، لا نرفع شعارات، لا نقل كلمة، لا نوزع شريط، لا، لا.. إلى آخره)[1].

ويؤكّد السّيد على أنّ بأيدي النّاس والشّعوب وسائل عديدة، ومتنوّعة بإمكانهم أن يعملوها، ويفعّلوها في مواجهة الأعداء، فبالإضافة للعمل الجادّ على الإعداد والاستعداد النّفسي للمواجهة المسلّحة مع الأعداء، يجب كذلك التّركيز على جوانب الحرب النّفسيّة، والثّقافيّة، والإعلاميّة، وفي مقدّمتها رفع الشّعار، والمقاطعة الاقتصاديّة، وتوجيه النّاس، وحثّهم، وتحريضهم، وتوعيتهم، ورفع معنويّاتهم، وجهوزيّتهم، فيقول: **(أشياء كثيرة في متناول الناس يعملونها إضافة إلى إعداد أنفسهم للمواجهة المسلحة لأن هذه قضية أساسية لا يأمن هذا العدو طرفك بأن لا تواجهه معنى هذا يتجرأ عليك يعرف أنك مستعد بأن تواجهه بما لديك من سلاح مهما كان بسيطا، وفي نفس الوقت يجب أن تشتغل بالطرق الأخرى الموضوع الثقافي موضوع الحرب النفسية، الحرب النفسية هي حرب واسعة وهم يركزون عليها بشكل كبير نحن نقول مثل موضوع شعار ومقاطعه إقتصادية، وتوجيه للناس على هذا النحو يعتبر حربا، يعتبر تحصين للأمة من ماذا؟ من حربهم الحقيقية)**[2].

ويوضّح السّيد أنّ منطلقات الإنسان المؤمن الواعي ومسؤوليّته تفرض عليه أن يتحرّك بكلّ ما يستطيع في مواجهة أعدائه في مختلف المجالات، مبيّناً أنّ رفع الشّعار والمقاطعة الاقتصاديّة من الجهاد في سبيل الله، وأنّ هذا العمل والجهاد أشدّ على الأمريكيّين والإسرائيليّين من القتل، لأنّه يعبّر عن حالة وعي كبير جدّاً لدى الأمّة، ويضربهم ضربات نفسيّة ومعنويّة شديدة، فيقول: **(الإنسان الذي هو يعتبر مجاهداً يجب أن يبذل جهده في سبيل الله، ويعرف ماذا ينبغي أن يعمل، يعرف ماذا ينبغي أن يعمل فعلاً، وأعتقد فعلا رفع الشعار والمقاطعة الإقتصادية، تعتبر من الجهاد في سبيل الله، ولها أثرها المهم فعلا، بل قد يكون هذا الجهاد أشد على الأمريكيين مما**

(١) محاضرة الشعار سلاح وموقف.

(٢) سورة آل عمران الدرس الرابع عشر.

لو كنا عصابات نتلقى لهم ونقتلهم فعلا، أنا أعتقد هذا، أن أثره عليهم أشد من هذا يؤثر عليهم بشكل كبير من الناحية المعنوية والنفسية بالشكل الذي لا يستطيعون أن يواجهوه بأي مقولة من مقولاتهم)[1].

وهنا يؤكّد السّيد على أنّ منبع مصادر القوّة والحركة لدى العدو هي بأيدينا ومن عندنا، وأنّ النّفط، والمقاطعة الاقتصاديّة سلاح فعّال بأيدينا يحقّق التّوازن في ميدان الصّراع مع العدوّ، لأنّ عمل وحركة العدوّ مرتكزة على الجانب الاقتصاديّ والمالي الّذي مصادره بأيدينا، فيقول: **(ثم في الأخير تجد أنه بحاجة إلى المال في حركته هذه، والمال مصدره من عندك كسوق استهلاكية، والنفط الذي أنت مهيمن عليه، فلاحظ من باب التوازن هذا، ما العرب عندهم هذا السلاح سلاح النفط، وسلاح المقاطعة الاقتصادية؟ سيوقف أمريكا عن قراراتها هذه كلها؟ لم يتحرك الأمريكيون إلا بعد ما حاولوا في العرب يعملوا اتفاقيات معهم أن النفط لا يستخدم كسلاح، أولاً يجمدوا سلاحنا هم!)**[2].

هذا السّلاح الفعّال، والخطير، والمؤثّر لو استخدمناه لأدّى في الأخير إلى تحقيق الانهيار الفعليّ للأمريكيّين، لكنّ مشكلتنا في الأنظمة العميلة، والحكّام المتواطئين مع الأمريكيّين، يقول السيد: **(ولأن عندنا حكاماً من النوعية هذه، قابلين، مفرقين، الكثير منهم قد يكونون متواطئين مع الأمريكيين، لا يستخدم النفط كسلاح! الأمريكي هو يشهد بأن النفط مؤثر عليه لو تحاول تستخدمه كسلاح، أولاً يوقف سلاحك، إذاً لاحظ بأنه هو كان ينظر إليك بأن عندك سلاح أرقى مما عنده، سلاح يوقف سلاحه نهائياً، يقعده، بل قد يؤدي إلى انهياره هو كدولة، ككيان)**[3].

(١) سورة المائدة الدرس الثاني والعشرون.
(٢) مديح القرآن الدرس الرابع.
(٣) مديح القرآن الدرس الرابع.

الإرهاب... مشروع الاستعمار الحديث

يعتبر السّيد حسين بدرالدين الحوثي (رضوان الله عليه) هو أوّل من كشف حقيقة القاعدة، والإرهاب، والإرهابيّين، وأنّهم صنيعة الاستخبارات الأمريكيّة والإسرائيليّة، والغربيّة، وقد نشرت صحيفة "الحقيقة" خبراً قالت فيه أنّ باحثاً روسيّا كتب كتاباً عن تنظيم القاعدة قال فيه أنّ السّيد حسين بدرالدين الحوثي هو أوّل من كشف حقيقة تنظيم القاعدة، وأنّه صناعة أمريكيّة، وذريعة لاحتلال الشّعوب، وإليكم نصّ الخبر الّذي نشرته صحيفة الحقيقة تحت عنوان: السّيد حسين الحوثي أوّل من فضح حقيقة القاعدة كصناعة أمريكيّة: (ذكر الباحث في مركز الدّراسات الشّرقيّة في أكاديميّة العلوم الرّوسيّة "سيرجي سيريبروف" أنّ الأعمال الإرهابيّة في أحداث سبتمبر الّتي أثارت صدمةً بين المسلمين، والتّدخل العسكريّ الأمريكيّ في العراق في عام ٢٠٠٣م، أصبحت نقطة تحوّل لتطوير الأيديولوجيّة للحركة الحوثيّة، الزيدي حسين الحوثي يعتقد أنّ مسؤوليّة محاربة الأيديولوجيّات المتطرّفة تكمن في المقام الأوّل على قادة الدّول أنفسهم، وأدان سياسة التّدخلات للولايات المتّحدة الّتي اعتبرها خصماً للإسلام صراحةً، وممّولاً لإسرائيل، وكان واحداً من أولّ من نظّر في تنظيم القاعدة باعتبارها واحدة من وسائل التّدخل العسكريّ الأمريكيّ في الشّرق الأوسط، من أجل تقسيم المجتمعات).

وقد كشف السّيد حسين بدرالدين الحوثي في الدّروس والمحاضرات أنّ القاعدة صناعة أمريكيّة، وأنّ الإرهاب والإرهابيّين ذريعة الاستعمار الجديد، لاحتلال الشّعوب، والأوطان، والسّيطرة عليها، ونهب خيراتها، وثرواتها.

وقد كشفت الأحداث الجارية الآن في اليمن، وسوريا، وليبيا، والعراق العلاقة الوطيدة ما بين القاعدة والإرهاب، والإرهابيّين من جهة، وما بين أمريكا، وإسرائيل، والغرب من جهة أخرى، ورأينا أمريكا تسعى وتعمل لتسليم العراق، وسوريا، وليبيا، واليمن للقاعدة وداعش (عيني عينك)، وأثبتت الأحداث عمق الشراكة ما بين هذه التّنظيمات والصّهاينة، فقادة وجنود القاعدة في سوريا

يتلقّون العلاجات في المستشفيات الإسرائيليّة علناً، ونراهم في سوريا، والعراق، واليمن، وليبيا يتلقّون التّدريبات على أيدي ضباط وخبراء أمريكيين، وإسرائيليين، وغربيين، ويتلقّون التّمويل والدّعم اللّوجستي من قبل أمريكا والغرب، والعملاء في دول الخليج.

لقد كشف السّيد حسين حقيقة القاعدة والإرهاب، والإرهابيّين، وعلاقتهم القديمة بأمريكا من بداية الثّمانينيّات، وحروب الاتحاد السوفيتي في أفغانستان، ولقد أثبتت الأيّام أنّ الأمريكيّين والصّهاينة حريصون جدّاً على بقاء ودعم هذه التّنظيمات، وقد رأينا ما تقوم به أمريكا وإسرائيل من دعم عسكريّ مباشر للقاعدة في العراق وسوريا، وما قامت به أمريكا مؤخّراً من ضرباتٍ عسكريّة على مطار "الشّعيرات" في سوريا دعماً وإسناداً للقاعدة وداعش.

من يموّل الإرهاب والإرهابيّين؟

لم ينخدع السّيد حسين بقضيّة الإرهاب والإرهابيّين، ولم تنطل عليه هذه المسرحيّة، الّتي انطلت على الرأي العام العالمي، ولم تتكشّف خيوطها للبعض إلاّ في هذه المرحلة المتأخّرة، فلقد كان السّيد على يقين بأنّ هذه لعبة مدبّرة، ومخطّط لها من زمان، فهو عندما يتحدّث عن الإرهاب والإرهابيّين يعود للجذور الأولى لتأسيس وانطلاق الحركة "الوهابيّة" في الجزيرة العربيّة، باعتبارها البداية الأولى لزراعة هذه التّنظيمات الّتي تعتبر الوجه الآخر للمخابرات الأمريكيّة، والبريطانيّة، والإسرائيليّة، وتحظى بكامل الدّعم، والرّعاية، والتّمويل من قبل هذه الأجهزة المخابراتيّة منذ نشأتها الأولى، وتعتبر هذه الأجهزة المخابراتيّة هي الّتي هيّأت السّاحة لانتشار الحركة الوهابيّة، وتمكينها من التّغلغل في مفاصل وأجهزة الدّولة الأساسيّة، ووسط الحياة الدّينيّة، والسّياسيّة، وبرعاية رسميّة في أغلب الأحيان، كما هو الحال في اليمن بالنّسبة للحركة الوهابيّة، وحركة الإخوان المسلمين، كما يوضّح السّيد في هذا النّص حيث يقول: **(ولنعد عندما يقول البعض: [هؤلاء هم يريدون الإرهابيين وأنتم تريدون أن تطلعوا إرهابيين من جديد]. نقول: أنت مخدوع، أنت تظن أن أمريكا وإسرائيل أن اليهود والنصارى أنهم إنما يريدون**

أولئك الذين يسمونهم إرهابيين، أنت مخدوع بهذا سواء أكنت كبيراً أم صغيراً، لماذا؟ نحن حسب معرفتنا نرى ونسمع أن من يقال عنهم أنهم إرهابيون هنا في اليمن هم الوهابيون، أو أشخاص من الوهابيين ومعاهدهم وجامعاتهم، أليس هذا هو الآن ما يقال بأنه إرهابي ومراكز إرهاب، ومنابع وجذور إرهاب؟.

لكن من الذي دعم هؤلاء في البداية؟ من الذي مكنهم من أن يتغلغلوا في مؤسسات الدولة؟ فيأخذوا أهم المجالات داخل هذا الشعب، وهو مجال التربية والتعليم، أخذوا التربية والتعليم، وأخذوا الأوقاف، وأخذوا وزارات أخرى، أمريكا هي المهيمنة، وأمريكا تسمع وترى، مخابراتها واسعة، هل ستسمح في شعب كاليمن أن يتحرك أولئك على ذلك النطاق الواسع مئات المعاهد، الجامعات الكبيرة، مئات المساجد أخذوها، ومنطقهم معروف، وكلامهم معروف، ثم لا يكون هناك إيحاء لهذا أو هذا بدعمهم، وإيحاء بإخلاء الساحة أمامهم والتعاون معهم وإفساح المجال لهم، هذا شيء ملموس.

حتى تعرف أن الشعب نفسه هو المستهدف وليس أولئك، وأن الدين بكله هو المستهدف وليس أولئك، أن أمريكا من البداية هي من تعطي ضوءاً أخضر لدعم هؤلاء وإفساح المجال أمام هؤلاء، والتعاون مع هؤلاء وهي من شغلتهم هم في مناطق أخرى في مجال تكون نتيجته مصلحة لها ولمصالحها في المنطقة، ثم تأتي بعد فترة لتقول بأن أولئك إرهابيون.

إذاً فمن هو المستهدف؟ إنها إنما عملت هؤلاء من البداية عبارة عن مبرر لأن تضرب الشعب بكله، وأن تتغلغل في أوساط هذا الشعب، وتبني لها قواعد فيه، هي من بنتهم، أليست هي التي بَنَت طالبان؟ أليست هي التي تدعم الوهابيين وتوحي بدعمهم؟ ثم في الأخير تبدو وكأنها إنما تهيئ حجة لها في المستقبل، تزرع أشخاصا وتوحي للآخرين بدعمهم، فمتى ما أصبح وجودهم معروفاً لا شك فيه في هذا البلد، قالوا هؤلاء إرهابيون، إذاً بلدكم فيه إرهاب، لا شك.

من الذي يستطيع أن يقول هنا في اليمن ليس هناك وهابيون؟ هناك وهابيون لا شك، أمريكا سمتهم إرهابيين، هل تستطيع أن تقول: لا.. ليس هناك وهابيون؟ أولئك الذين تعتبرهم إرهابيين،

إذاً أصبحت الإدانة على وجهك ماثلة، وهابيون موجودون عندكم؟ نعم، إذاً هم إرهابيون.

وحينئذٍ سيأتي العمل الطويل كما قالوا هم - عندما تحركوا ضد أفغانستان - :أن الفترة ستكون طويلة، لماذا؟ لأن المسألة ليست مسألة أن هناك إرهابياً يُضرب، ثم يعودون، سيقولون: إذاً هذا إرهابي، صحيح. إذاً باقي جذور إرهاب، باقي منابع إرهاب، باقي وباقي وهكذا، ثم سيصنعون إرهاباً هم - كما قلنا أكثر من مرة - ستسمع تفجيرات هنا وتفجيرات هناك، ثم يقولون: إذاً من الضروري - وسيكونون "متجملين" ومحسنين كما يبدو لنا - أن تأتي التعزيزات من مختلف البلدان تحت قيادة الأمريكيين إلى اليمن كما حصل في أفغانستان، حينئذٍ سيفهم الناس - إذا لم نفهم من الآن - أن المستهدف هو الشعب نفسه، الشعب بكله بدولته، حتى الدولة إذا ما جندوها لأن تعمل ضد أبناء هذا الشعب فإنها هي مستهدفة؛ لأنهم لن يرضوا عنها مهما عملت، هل رضوا عن عرفات على الرغم مما عمل؟ ألم يملأ السجون من شباب [حماس] ومن شباب [منظمة الجهاد الإسلامي]؟ ملأ السجون وحاول أن يعلن بأنه حريص على السلام وأنه، وأنه، لم يقبلوا منه أبداً، قالوا: أنت قصرت في مكافحة الإرهاب، ماذا يريدون منه أن يعمل؟ هل يريدون أن يكون أشد على الفلسطينيين من الإسرائيليين أنفسهم؟ إذا كانوا يريدون هذا من عرفات فإنه ما يريدونه من أي زعيم)[1].

القاعدة صناعة أمريكيّة

لقد تنبّه السّيد حسين والتفت مبكراً لموضوع القاعدة والإرهاب، وقرأ الواقع وقيّمه من خلال القرآن الكريم، فكانت رؤيته هي الرّؤية الدّقيقة للأحداث، والرّؤية الواقعيّة الّتي تفرّد بها قبل الآخرين، ففي الوقت الّذي كنّا نتطلّع فيه إلى "أسامة بن لادن" كبطل كبير من أبطال المسلمين، والقائد الوحيد والاستثنائي للإسلام والمسلمين في هذه المرحلة، وننظر إليه بأنّه البطل والقائد الفذّ الّذي ضرب أمريكا في عقر دارها، في تلك المرحلة كان السّيد حسين يحذّر من مؤامرة كبيرة تحاك فصولها، وتدبّر مشاهدها على حين غفلة، لسحق الإسلام والمسلمين،

(١) محاضرة وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن.

واستعمارهم من جديد، ولم يكن "أسامة" و"طالبان" إلاّ ذريعة، وأداة هذه اللّعبة، ولم يكن "أسامة" إلاّ مجرّد بطل ذلك الفيلم، أو المسلسل الّذي جري إخراجه على أيدي الصّهاينة، والأمريكان، والغرب، يقول السّيد: **(وما قضية نيويورك، ولا قضية أسامة والأشياء هذه إلا محاولة من أعمال اليهود – الذين حكى الله عنهم أنهم يلبسون الحق بالباطل – أن يصنعوا للأمة، هذه الأمة التي قد لعبوا بعقولها لعبوا بأفكارها، لعبوا بتوجهاتها – يصنعون لها قدوات مزيفة، يوهمون المسلمين أن هؤلاء هم الخطيرون جداً علينا، أسامة يشكل خطراً على أمريكا! أسامة وطالبان تصيح منهم أمريكا وهي تعرف، أمريكا تعرف أن أسامة لا يشكل أي خطر على أمريكا، اليهود يعرفون – ونحن نقطع – أن أمريكا واليهود يعرفون بأن أسامة وطالبان لا يشكلون أي خطورة حقيقية على أمريكا؛ لأنهم لا يحملون أي رؤية لهذه الأمة لتكون بمستوى المواجهة لأمريكا إطلاقاً؛ ولهذا عملوا على ترميزهم، عملوا على ترميز أسامة ليحل أسامة في ذهنية الأمة كخميني مزيف؛ لأنه برز خميني حقيقي، خميني حقيقي.**

الإمام الخميني – رحمة الله عليه – أربكهم أذلهم قهرهم جعلهم يتيهون، حتى قال عنه الرئيس الأمريكي: [هذا رجل إلهي] قال عن الخميني رئيس أمريكا في أيامه: [هذا رجل إلهي]. عجزت أمريكا أن تعمل شيئاً معه، حتى عندما عملوا على اختطافه من منزله تضاربت الطائرات التي أرسلوها لاختطافه في صحراء يسمونها صحراء طَبَس أو قبس في إيران.

فاتجه اليهود من جديد وهم يعرفون بأن أفكارنا تحت أيديهم وتحت تأثير إعلامهم وكتّابهم وتحت تأثير دعاتهم إلى أن يصنعوا للأمة – لا يتركونها تستقر يوم من الأيام – قدوات مزيفة، أعلام مزيفة، تصيح منهم أمريكا وهي تعرف أنهم لا يشكلون خطورة عليها؛ لتتجه أذهاننا نحوهم.

ماذا عملوا بطالبان؟ ماذا عملوا بأسامة في هذه الحرب؟ لقد عرف الغربيون وقال رئيس وزراء [اندنوسيا] وقال وزير إيراني – لا أعرفه بالتحديد – [أنه قد ظهر أنه ليست طالبان ولا أسامة هي المستهدف]. كانت حرب أضحوكة، كانت حرب عجيبة، طالبان يتوقع لها، يتوقع لطالبان أن تعود من جديد.

وأسامة بن لادن كان مرمّزاً من أيام [كارتر] من قبل، وكان الأمريكيون دائماً يرمزونه، وفي

هذه الأيام في شهر شعبان رأيت في التلفزيون السعودي يقول: بأن مسئول سوداني، أو وزير سوداني قال: أن الرئيس كارتر رفض عرضاً بتسليم أسامة بن لادن، عرضوا عليه أن يسلموا أسامة فرفض. لا نريده، نريد أن يبقى نصنعه رمزاً لكم أيها الأغبياء المسلمون تتجهون نحو أسامة، وتنصرفون عن الحقيقيين الذين يحملون رؤية حقيقية، من يحملون رؤية صائبة ضد أمريكا وإسرائيل، من يحملون قوة نفسية، من يحملون رؤية قرآنية.

يتجهون بهم إلى رموز وهميين وخطر وهمي.. كما شدوا العرب في يوم من الأيام إلى صدام، فالتفوا نحوه وقالوا:[حارس البوابة الشرقية]، [وبطل الأمة العربية]، [وبطل القومية العربية]، وشدوهم سابقاً إلى جمال، وهكذا يلعبون بأفكار المسلمين، أحياناً ينصبون لنا علماً في مجال القومية للقوميين، وأحياناً متى ما رأوا توجهاً دينياً ينصبون لنا علماً وهمياً - بدقنته، بعمامته - باسم أنه يشكل خطورة على أمريكا، وأنه إنسان قوي، وأنه.. وأنه.. إلى آخره.

أسامة ماذا أصابه؟ إذا لم تكن المسألة استغناء عن طالبان وعن أسامة فأتوقع أن تعود طالبان من جديد وأن يعود أسامة من جديد، ولن يفرطوا في أسامة.

الأمريكيون عرفوا كيف يقتلون أحمد شاه مسعود، ويعرفون كيف يقتلون أعداءهم في أي بقعة، على مدى هذه السنوات الطويلة لم يعرفوا كيف يقتلون أسامة!. ماذا أصاب أسامة في هذه الحرب؟. لم يصبه شيء. من يدري ربما أن يكون أسامة في أي بلد من البلدان التي هي صديقة لأمريكا، من يدري قد يكون أسامة في فندق من الفنادق بتمويل أمريكي، من يدري!. أنا لا أستبعد كل هذا)[1].

ومن خلال الواقع والأحداث، ومع مرور الوقت فقد تجلّى اليوم واضحاً أنّ ما حدث لم يكن أكثر من مسرحيّة خُدع بها الرّأي العام، والهدف منها ضرب الشّعوب، والأوطان، والدّول، واحتلالها، وضرب الإسلام والمسلمين، وواقعنا خلال عقد ونصف العقد منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م لخير دليل على ذلك، والاّ فأين هو "أسامة" وأين هم قادة القاعدة

(١) محاضرة يوم القدس العالمي.

والإرهاب؟ وكيف انتهى مصير "أسامة بن لادن" وطويت صفحته بكلّ تلك السّهولة، والبساطة، والسذّاجة كجثة رماها الأمريكيّون في البحر؟ لماذا كلّ هذا الغموض الّذي يكتنف هذه القضيّة، وهذا الموضوع الّذي يثير الشّكوك؟، بل يوصل إلى اليقين والقناعة في حقيقة ما قاله، وتنبأ به السّيد حسين بدرالدين الحوثي في قراءته للواقع والأحداث من خلال القرآن الكريم حيث يقول: **(إذاً ربما شاهدتم ما يُدبر ضد حزب الله، وفعلاً هذا هدف رئيسي من وراء كل ذلك التمثيل، قصة أسامة، التمثيلية التي كان بطلها أسامة وطالبان، فلا أسامة ولا طالبان هم المستهدَفون، ولا ذلك الحدث الذي حصل في نيويورك هو الذي حرك أمريكا، من يدري، من يدري أن المخابرات الأمريكية قد تكون هي من دبرت ذلك الحدث؛ لتصنع المبررات، وتهيئ الأجواء لتضرب من يشكلون خطورة حقيقية عليها، وهم الشيعة، هم الشيعة)**[1].

ويضيف السّيد أنّ الأمريكيّين لا يسعون، ولا يعملون للقضاء على حركة طالبان، ولا قادة طالبان في أفغانستان، وإنّما كان الموضوع بكلّه عبارة عن عمليّة خداع، ومبرّر للاحتلال، والهيمنة على أفغانستان، ويعتبر السّيد أنّ حركة طالبان تنكمش بتوجيهات، وتتمدّد بتوجيهات، وهو في ذلك يقصد اليد المخابراتيّة للأمريكيّين حيث يقول: **(إنما عملت أمريكا فقط عملية تجميلية لتحفظ ماء وجهها فتنسحب عن أفغانستان، وتوهم الآخرين بأنها قد قضت على أولئك، ونحن - كما قلنا سابقاً - لم نجد أنها قضت على طالبان ولا على قادة طالبان، إذاً أوصلت البلد إلى أن وضعت بديلا، هذا البديل وهمي وقد بدأت مؤشرات الصراع بين فصائل التحالف داخل أفغانستان، ومن المحتمل جداً أن يعود أفغانستان من جديد، ومن المحتمل أيضاً أن تعود طالبان من جديد. طالبان إنما انكمشت بتوجيهات لتمتد بتوجيهات أخرى)**[2].

ويربط السّيد بين الجذور الأولى لنشأة الحركة الوهابيّة، وبين ما يسمّى بالإرهابيّن اليوم،

(١) محاضرة الصرخة في وجه المستكبرين.
(٢) محاضرة اشتروا بآيات الله ثمناً قليلا.

حيث تبدّلت المصطلحات فقط، فتحوّلوا من وهابيّن إلى إرهابيّن، ويقدّم السّيد رؤية جميلة جدّاً عن الإرهاب والإرهابيّن حيث يعتبر أنّ كلّ ما قامت به الحركة الوهابيّة داخل المجتمع المسلم، وداخل صفوف المسلمين، من تفريق للصّفوف، وتمزيق للكلمة، وإثارة للخلافات، لهو الإرهاب الحقيقيّ الّذي كان يجب أن تتصدّى له الحكومات، والأنظمة، والشّعوب، لأنّه يعتبر هدماً للأمّة، وضرباً لها، وإرهاباً للمؤمنين والمسلمين، معتبراً أنّ هذا العمل هو الّذي ضرب الأمّة، وهدّ كيانها، وأنّ هذا هو كلّ ما تريده أمريكا، وتسعى إليه، ويبيّن السّيد أنّ أحداث الحادي عشر من سبتمبر لم تشكّل أيّ ضربة لأمريكا، بل كان ارتدادها هو ما شكّل ضربة موجعة ومدمّرة للأمّة، والإسلام، والمسلمين، حيث يقول: **(ولهذا نقول: أن من يُسمون الآن إرهابيين – ما هم الآن بيسموا بعض الوهابيين [إرهابيين]، أن فيهم ناس إرهابيين مطلوبين كانوا في [القاعدة] أو أتباع لـ[طالبان] – نقول: هم إرهابيون فعلاً يوم كانوا يسعون في المجتمع ليفرقوا كلمة المجتمع، يفرقوا كلمة الناس ويضللونهم، هذا هو الإرهاب الحقيقي، هذا هو الإرهاب الذي هو إرهاب للمؤمنين، إرهاب للمسلمين.**

لماذا لم تتحركوا لمنعهم؟ لماذا كنتم تشجعونهم؟، لماذا كنتم تفتحون لهم أبواب مؤسسات الدولة؟، لماذا كنتم تفتحون لهم مراكز التربية والتعليم؟ لماذا كنتم تفتحون لهم المساجد؟. يوم كانوا يتحركون في تفريق كلمة الأمة، في التضليل على الأمة، في جعل اليمني هذا يلعن هذا، يطلع هذا وله ولاءات واعتقادات تخالف ما عليه هذا، يفرقون الطائفة الواحدة، يفرقون أبناء الزيدية – الطائفة التي هي المحقة، ونأمل أن يكون لها الدور الكبير في نصر الحق – يوم كانوا يتحركون لم تسموهم إرهابيين وهذا والله هو الإرهاب الشديد، هذا هو الإرهاب هذا هو الهدم للأمة الذي يُعتبر أشد على الأمة من هدم ذلك البرج في [نيويورك] – الذي بدا في أذهاننا وكأنه ضربة قاضية لأمريكا! ليس ضربة قاضية لأمريكا – لأن تُهدم أسرة هنا وتُفرق أحب إلى أمريكا من أن يُبنى لها أبراج متعددة مثل تلك الأبراج في (نيويورك) أو في [واشنطن].

أنتم تبنون لأمريكا هنا، وتهدمون الأمة فتفرقون كلمة الأمة وهذا هو البناء للمجتمع الذي يخدم أمريكا ويخدم إسرائيل، فيصبح مجتمعاً لا يستطيع أن يُقدم ولا يؤخر ولا يُحرك ساكناً، مجتمع

لا يستطيع أن يحافظ على ما تبقى من إسلامه في نفسه، حتى إذا بدوا في الصورة وكأنهم عملوا شيئاً ضد أمريكا، يتحركون بكل قوتهم ويتابعونهم من هنا وهناك.

هم إرهابيون من قبل، إرهابيون وهم يفرقون كلمتنا، هم إرهابيون لأنهم يؤدون بالأمة إلى أن تصير إلى قعر جهنم؛ لأن الله تهدد في هذه الآية: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٥].

فمن يعمل في أوساط الطائفة الواحدة إلى أن تتفرق وتختلف وداخلها البينات، البينات التي تجمعها على كلمة واحدة، وتجمعها في صف واحد، وتجعلها جديرة بنصر الله وتأييده، البينات التي هي الهدى من الله في معتقداتها في مواقفها، في فقهها، فتتفرق كلمتها، أليس هذا هو الدمار لهذه الأمة في الدنيا وفي الآخرة؟. هذا هو الإرهاب الحقيقي.

فكيف أصبح الحال يزعجنا أن يضرب مبنى من عدة طوابق في [نيويورك] ثم لا يزعجنا نحن - مَن نُسمّي أنفسنا [أولياء أمر] لهذا الشعب أو ذاك - لا يزعجنا أن تتهدم الأسرة ويتهدم المجتمع أسرة بعد أسرة، فتتفكك عراه، تتباين النفوس فهذا يُكفّر هذا وهذا يُضلل هذا فنصبح مجتمعاً متفرقاً، كان هذا الذي يجب أن يزعجهم، ومن أجله يقطعون يد أولئك الإرهابيين الذين يفرقون كلمة الأمة، لا أن ينزعجوا عندما يُهدم برج، أليس الله سبحانه وتعالى يريد أن نبني أنفسنا صرحاً «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»، ألم يمثل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) المؤمنين بأنهم كالجسد الواحد؟. فيجب أن يكونوا صرحاً واحداً. فمن يهدم هذا الصرح بكلمة من يهدمه بكلمة هو أخطر من ذلك الذي يهدم برجاً بطائرة أو بصاروخ.

إن هدم صرح الأمة هو الهدم الحقيقي، هو الذي ينفع أمريكا وإسرائيل، هو الذي ينفع اليهود والنصارى، الذي يضرهم هو بناء هذه الأمة وليس هدم ذلك المبنى في [نيويورك]، الذي يُعد ضربة لأمريكا هو بناء هذه الأمة لتصبح أمة واحدة، أمة واعية، أمة قادرة على أن تقف على قدميها، هذا هو الذي يُعد ضربة لأمريكا وليس ضرب الطوابق، عدت ملايين تبني مثل ذلك البرج وانتهت

الإشكالية)[1].

لقد تجلّت الحقائق، واتّضحت الأمور بشكل أدقّ ممّا كان عليه الوضع في حياة السّيد حسين بدرالدين الحوثي "رضوان الله عليه" وأثبتت الأيّام والأحداث صدق كلّ كلمة قالها، فمراحل التّطور الّتي مرّ، ويمرّ بها تنظيم القاعدة، وتطوّره التّنظيمي من القاعدة، إلى داعش، إلى غيرها من المسمّيات، وتمدّده في العراق، وسوريا، وليبيا، واليمن، وغيرها بهذا الشّكل المتسارع، وبهذه الإمكانيّات يكشف لنا بوضوح أنّ أمريكا هي من تفرّخ القاعدة، والإرهاب، والإرهابيّن، ونفس طبيعة الأحداث، ووقائعها المكشوفة، والمفضوحة، والمعلنة تثبت أنّ هذه التّنظيمات ما هي إلاّ صنيعة الاستخبارات الأمريكيّة، والإسرائيليّة، والغربيّة، يقول السّيد: **(لاحظوا، كيف الخداع واضح، القاعدة – التي يسمونها القاعدة – تنظيم أسامة بن لادن، ألست الآن – من خلال ما تسمع – يصورون لك أن القاعدة هذه انتشرت من أفغانستان، وأصبحت تصل إلى كل منطقة، قالوا:[إيران فيها ناس من القاعدة، والصومال قد فيها ناس من تنظيم القاعدة، واليمن احتمال أن قد فيه ناس من تنظيم القاعدة، والسعودية قد فيها ناس من تنظيم القاعدة، وهكذا..]. من أين يمكن أن يصل هؤلاء؟ أليس الأمريكيون مهيمنين على أفغانستان؟ وعن أي طريق يمكن لهؤلاء أن يصلوا إلى اليمن، أو يصلوا إلى السعودية، أو إلى أي مناطق أخرى؟ دون علم الأمريكيين؟.**

هذا كما يقال: [قميص عثمان][أنتم في قريتكم واحد من القاعدة، تربى في بيتكم واحد من تنظيم القاعدة] وهكذا فيصلون بتنظيم القاعدة هذا إلى كل منطقة. وقالوا: [إيران فيه تسعة عشر شخصاً هم من تنظيم القاعدة. إذاً إيران تدعم الإرهاب]، قد يكونوا هم يعملون على ترحيل أشخاص وتمويلهم ليسافروا إلى أي منطقة ليصنعوا مبرراً من خلال وجودهم فيها،[أن هناك في بلادكم من تنظيم القاعدة، إذاً أنتم إرهابيون] على قاعدة ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[المائدة: من الآية٥١] فما دام في بلادك واحد من تنظيم القاعدة فإذاً كلكم إرهابيون.

(١) سورة آل عمران الدرس الثالث.

أليس هذا خداع؟ و أليس هذا خداع تتناوله أيضاً وسائل الإعلام، الصحفيون، الإخباريون، محطات التلفزيون التي تتسابق وتتسارع إلى أي خبر دون أن تفكر في أنه قد يكون خدعة هي تعمل على نشره) [1].

وكان السّيد يحذّر من التّراخي، واللاّمبالاة في مواجهة هذه المخطّطات الأمريكيّة، والإسرائيليّة، ودعا "رضوان الله عليه" إلى صحوة وعي وضمير حيّ أمام هذا الخداع الأمريكيّ لاحتلال الشّعوب، والسّيطرة عليها، ونهب خيراتها، وثرواتها، والسّيطرة على بحارها، بحجّة وذريعة الحرب على الإرهاب والإرهابيّن، بينما الهدف هو الإسلام، والمسلمين، واحتلال الشّعوب، ونهب الثّروات، وكان يرى أنّه لا يجوز السّكوت والصّمت أمام هذه القضيّة، وأنّه لا بدّ من موقف نُرضي به الله سبحانه وتعالى، ونُدافع به عن ديننا، وشعوبنا، وكرامتنا، فكان يقول: **(هم سيصنعون إرهاباً هم، سيفجرون على أنفسهم، ويفجرون على أشياء قريبه من حولهم، وحتى إذا ما أرادوا أن يضربوك سيجعلون أحداً من أفراد القاعدة يزور منطقتك ثم يقولون: إذاً عندك واحد من القاعدة أنتم في بلادكم واحد من القاعدة أكيد، إذاً أنتم تدعمون الإرهاب وتساندوا الإرهاب وأنتم تحتضنون الإرهاب.**

القاعدة الذين قالوا بأنهم ضربوها في أفغانستان اتضح أنهم لم يضربوهم وأنهم ما زالوا بخير؛ لأنهم بحاجة إليهم ليوزعوهم فيما بعد.

تكلم الرئيس مرة كلاماً مضحكاً عندما سألوه عن أسامة كيف إذا جاء إلى اليمن؟. قال: أنتم حاولوا أن لا يجيء، حاولوا وأنتم عدة دول حاولوا أن تمسكوه لا يخرج، تستطيعوا! قد هو خائف أنهم سيحاولوا يوصلوه اليمن هم، سيحاولوا أن يوصلوا أسامة اليمن ثم يقولون: هه أسامة!! إذاً هناك علاقة بين اليمنيين وأسامة هذا اليمن منبع الإرهاب. دجوا أبوهم.

منطقة معيَّنة أنت تقول: [إما احنا فلسنا إرهابيين ولا والله قد طلعنا كلمة] هم معهم أفراد من القاعدة هم يريدوا يوزعوهم، قد أصبحوا يقولون بأنهم قد توزعوا على خمسين دولة. أين هم الذين

(١) محاضرة خطر دخول أمريكا اليمن.

قتلوهم من طالبان والقاعدة؟ أين هم؟ لم يقتلوهم لأنهم بحاجة إليهم بحاجه إلى أسامة وهم أصدقاء، هم أحرص على حياة أسامة منا جميعاً، هم بحاجة إلى أسامة، لو أمكن أن يطبعوا على أسامة نسخ كثيرة لو أمكن أن يطبعوا على أسامة نسخ كثيرة لعملوا؛ لأنهم سيحتاجونه فيما بعد، هم قالوا لعلي عبد الله: هناك أفراد من القاعدة.

قالت بعض الصحف بأنهم قتلوا يمني في أمريكا؛ لأن في أوراقه اسم القاعدة المدينة التي في تعز - مدينة القاعدة المعروفة - وأصبحوا يستجْوِبُون يمنيين في أمريكا؛ لأن في وثائقهم (من مواليد القاعدة) وأنهم كانوا في القاعدة. قالوا إذا هم من قاعدة ابن لادن من أصحاب أسامة ابن لادن هكذا يخادعون، هكذا يضللون ونحن لا نزال لا نفهم شيئاً، ومن فهم يعتبر القضية عادية.

نحن نقول للناس: يجب علينا، يجب علينا أن يكون لنا مواقف أولاً لنفك عن أنفسنا الذلة والسخط الإلهي، هناك ذله إلهية هناك ذلة إلهيه - فيما أعتقد - قد ضربت علينا جميعا نحن وعلماؤنا، نحن ودولتنا الكل قد ضربت عليهم ذلة. يجب أن يكون لنا موقف في مواجهة هؤلاء حتى نرضي الله سبحانه وتعالى عنا، وأضعف موقف وأقل موقف هو أن تردد هذا الشعار بعد صلاة الجمعة حتى يعرف الأمريكيون أن هناك من يكرههم وهناك من يسخط عليهم.

وحتى لا تكون لا شيء في الحياة، حتى لا تكون ميت الأحياء يتحرك اليهود والنصارى فيملأون بحار الدنيا وبرها وأنت المسلم لا ترفع حتى ولا كلمة ضدهم وأنت من كان يجب أن تكون أنت من تحتل تلك المواقع التي هم فيها)[1].

بداية المخطّط الأمريكيّ

بدأ المخطّط الأمريكي في استهداف الشّعوب من خلال الزّخم والهالة الإعلاميّة والسّياسيّة الّتي أحيط بها مصطلح الإرهاب، وتعميمه في كلّ وسائل الإعلام، والحديث الواسع المتكرّر والمموّل عنه، ليرسّخوه في إذهان النّاس كذريعة تمكنّهم من التّحرّك تحت مظلّته كيفما يريدون، وضدّ من يريدون، ومن ثمّ عملوا على اتّهام هذا الشّعب، وهذا الشّعب، وهذه الدّولة بأنّ

(١) محاضرة لا عذر للجميع أمام الله.

فيهم إرهاباً وإرهابيّين، ويعملون من خلال ذلك على جسّ نبض الشّعوب ليقيّموا كيف هي مواقفها، وردود الفعل لديها أمام أهمّ مصطلح قد يثيرها، ويثير حفيظتها، وهكذا حتّى روّضوا الشّعوب على تقبّل مصطلح الإرهاب، والإرهابيّين، والتّقبل للحرب على الإرهاب، ومن ثمّ بدأوا بالتّحرّك لاحتلال الشّعوب والأوطان، وهذا هو ما حصل، ويحصل بالفعل، حيث يقول السّيد: **(اتجهوا إلى الشعوب أنفسها ليتجلى لهم واقع هذه الشعوب عن طريق زعماء هذه الشعوب أن اسكتوا، هنا إرهابيين، وهناك إرهابيين، وفي هذا البلد إرهابيين، وهنا إرهابيين! ولنمسك إرهابيين هنا، وإرهابيين في ذلك البلد! لنرى ماذا سيقول المواطنون، هل سيغضبون على الأفراد عندما يمسكون باسم أنهم إرهابيين ضد أمريكا؟. فإذا عرفوا بأنه لم يحصل غضب، ولم يرتفع صوت يصرخ في وجوههم، حينئذ سيطمئنون أنه لا حكومات، ولا شعوب ستقف في وجوههم. وبالتالي سيعملون ما يريدون، ويضربون أينما شاءوا.**

أوليس هذا هو الذي حصل؟ يقال في اليمن: حدث أن مسكوا كثيرا من الإرهابيين، وفي مصر إرهابيين انطلقوا ليمسكوهم، وفي الأردن، وفي السعودية، وهنا وهنا وهناك، وإيران تتهم بأن لديها إرهابيين، إنه احتمال أفراد من تنظيم القاعدة تسربوا إلى إيران. هم يريدون أن يعرفوا، يجسوا نبض المواطن الإيراني نفسه ليعرفوا هل سيصرخ فيما لو حصل واكتشف أن هناك أحد.

بل يحتمل أن يصل أحد من عملائهم إلى داخل إيران من تنظيم القاعدة ليقال فعلا هناك إرهابيين داخل إيران. إذاً سيسلمون، يكون في ذلك جس نبض للمواطن الإيراني نفسه، حينها سيكونون قد اطمأنوا بأن المواطنين في كل بلد لم يصرخوا في وجوهنا عندما مسكنا بعضهم تحت اسم الإرهاب، أنهم إرهابيون ضد أمريكا.

عندما يتهمون البعض بأنه إرهابي ضد أمريكا، أليس هذا هو أكثر ما يمكن أن يثير سخطك؟. أن يمسك شخص يقال بأنه شديد في مواجهة عدوك، هل هذا هو مما يثير سخطك؟.

إذاً ليس هناك أي عنوان آخر يمكن أن يثير سخطنا إذا كنا لا نسخط.. إذا كنا لا نغضب.. إذا كنا لا نستنكر ولا نندد ولا نرفع شعار: الموت لأمريكا وإسرائيل، إذا ما مسك أشخاص تحت عنوان إرهابي

ضد أمريكا فمتى ستصرخ؟ ومتى سيكون لك موقف)؟ [1].

وكان السّيد يقطع ويجزم بأنّ الوهابيّين ممّن يسمّون الآن بالإرهابيّين، ويتّهمون بالإرهاب، ويقدّمون على أنّهم قادة القاعدة والإرهاب، ليسوا هم المستهدفون، ولا تريدهم أمريكا، ولن تضربهم، وأنّهم ليسوا إلاّ مجرّد ذريعة للاستعمار، وصنيعة للمخابرات الأمريكيّة، وهذا ما شهد به الواقع اليوم، ففي اليمن لم يلحق بقادة القاعدة، والوهابيّين، الّذين تحوّلوا مؤخراً إلى إرهابيّين أيّ سوء، وها هو "الزنداني" المطلوب الأوّل لأمريكا، ومعه "زعتر" "واليدومي" والآنسيّ" "والحميقانيّ" وغيرهم من القيادات الّذين كانوا ممنوعين من السّفر، ومطلوبين لأمريكا والغرب، ها هم اليوم في فنادق الرّياض، وفي عواصم الغرب وأمريكا يقاتلون جميعاً على الأرض ضدّ الشّعب اليمنيّ، وتبخّرت كلّ تلك الدّعايات، والتّهم، وانتهى كلّ ذلك الضّجيج المصطنع والمفتعل حولهم، حيث فضحتهم، وكشفتهم الأحداث، يقول السّيد: **(أنا أقطع بأن الوهابيين في اليمن ليسوا هم المستهدفين؛ ووجدنا كبارهم لم يمسسهم سوء، هل مس كبارهم شيء؟ لم نعلم بحرب تركز على الصغار وتترك الكبار، هل وقع هذا في الدنيا؟ أم أنه عادة في الحروب إذا كانت هناك عداوات حقيقية يتجه العدو ليضرب رأس الهيكل، هيكل خصمه، أليس كذلك؟ لكن لا، الكبار لم نسمع أنه مسهم سوء، [الزنداني، وعبد الوهاب الآنسي، وصعتر، وفلان، وفلان، وفلان] هل سمعتم أنتم أنهم تعرضوا لشيء؟ ولو هناك كلام كثير حول الإرهابيين... وجدنا صغاراً خافوا واتجهوا ليحلقوا دقونهم من الوهابيين أليس كذلك؟ ورأينا الكبار في مأمن!.**

ما هذه العداوة! هذه من الأشياء الغريبة، كما حصل في أفغانستان حرب لم يقتل فيها أحد من قادة طالبان، لم يقتل فيها أحد! وانكمشت طالبان، كما قلنا في حديث سابق: عند من يتأمل ربما طالبان تتحرك لتنكمش، رأينا في التلفزيون جَرّف يلاحقون فيه قيادة القاعدة، وطالبان كلهم في جَرّف، رأينا في التلفزيون؛ لتمتد طالبان في وقت آخر، وكما نسمع أن القاعدة هذه يقولون عنها أن أفرادها ينتشرون في نحو مائة وخمسين دولة، وكأنه لم تكن ضدهم حرب!.

(١) محاضرة في ظلال دعاء مكارم الأخلاق الدرس الثاني.

القاعدة ما تزال أعداداً هائلة، وطالبان ما تزال أعداداً هائلة، المستهدفون هم الشيعة، ويمكن أن نستوحي ذلك من خلال القرآن الكريم، ومن خلال عمل الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) **ومن يتأمل أيضاً في الواقع، في واقع الحرب هناك شواهد على هذه، ومن يتأمل أيضاً سيعرف أن اليهود باعتبارهم أهل دين، لديهم خبرة بالسنن الإلهية، ولديهم معرفة بالقرآن الكريم؛ لأنهم ليسوا منكرين للقرآن الكريم ألم يخبر الله عنهم بأنهم يعرفون محمداً كما يعرفون أبناءهم بأنه نبي؟)**[1].

الاستعمار الحديث

جاء الاستعمار الحديث تحت عنوان ومظلّة الحرب على الإرهاب والإرهابيّين، وهذا كما سبق وأن وضحناه يعتبر من أوّل ما تنبّه والتفت إليه السّيد حسين بدرالدين الحوثي مبكّراً، وحذّر منه، وكشف أنّه مصطلح وذريعة الاستعمار الحديث، لاحتلال البلدان والأوطان، ونهبها، والسّيطرة عليها، ووضّح السّيد أنّ الهدف من هذا المصطلح هو ضرب المجاهدين، والمسلمين، واستهداف الحركات الجهاديّة بالّذات، حيث تعمل أمريكا على نشر وتوزيع عملائها باسم تنظيم القاعدة، وباسم الإرهابيّين في أيّ بلد تريد أن تستهدفه وتستعمره، وهنا لا بدّ أنّ نوضّح مسألة مهمّة جدّاً، وهي أنه قد يقول البعض كيف يكون كلّ هؤلاء ممّن تسمّيهم أمريكا إرهابيّين عملاء؟ والحقيقة هي أنّ العملاء المرتبطين بأجهزة المخابرات الأمريكيّة، والغربيّة، وبالموساد، هم القادة، قادة القاعدة، وقادة ما يسمّى بالإرهاب، والإرهابيّين، هؤلاء هم من يكون لهم ارتباط مباشر بهذه الأجهزة، أمّا البقيّة فهم مجرّد جنود مغرّر بهم، يتمّ تحشيدهم من قبل هؤلاء القادة، تحت عناوين ومبرّرات متعدّدة، يقول السّيد: **(الاستعمار الحديث الآن جاء تحت عنوان خبيث، باسم مكافحة إرهاب، ومعهم مجموعة يسمونهم إرهابيين يقسموهم على المناطق، وفي الأخير يقولوا نريد ندخل نطرِّدهم، نلحق بعدهم، ويدخلوا المناطق، يدخلوا البلدان، يدخلوا البلاد ويحتلوها ويهيمنوا عليها، ويكونوا قد خضعوا**

(١) محاضرة خطورة المرحلة.

الدولة فيها، والناس ما يروا شيء إلا عندما تستحكم قبضتهم، ما يرى الناس أشياء، ما يروا أمريكيين أمامهم زاحفين، إلا بعدما يكون قد استحكمت قبضتهم، قد دخلوا البلاد، بنو قواعد عسكرية، توافدوا بأعداد كبيرة.

وما يزال تحت عنوان مكافحة إرهاب، مكافحة إرهاب، مثلما تعمل إسرائيل الآن، لاحظ إسرائيل كم قد لها محتل في فلسطين؟ حوالي خمسين سنة، وتلاحظ ما حصلوا على ذريعة أحسن مما حصلوا عليها تحت اسم مكافحة إرهاب في الأيام هذه، في السنة هذه، الآن يدخلون المدن وباسم أنهم ملاحقين إرهابيين، يدمروا ويقتلوا ويجرفوا مزارع ويقلعوا الأشجار، باسم أنهم ملاحقين إرهابيين، وباسم أنهم مكافحة إرهاب، وأنهم يكافحوا إرهابيين، وهناك إرهابيين يحاربونهم.

إستخدموه الآن كسلاح، استخدموه كذريعة، كمبرر ليلجموا به العرب؛ لأن الحكومات العربية أرغمتها أمريكا أن تدخل معها في اتفاقية مكافحة الإرهاب، وفلسطين إرهابيين، وستدخل إسرائيل لتلاحق الناشطين في حماس، في فتح، في الجهاد الإسلامي، تحت مبرر [هؤلاء إرهابيين] وهي محتلة، ما هي محتل من قبل؟ ما حصَّلت لها ذريعة مثلما حصلت لها في السنة هذه، وهو كان بداية شر هذا العنوان الذي طرحوه باسم مكافحة إرهاب، وأنت تجده أنه ما يتوجه إلا إلى المسلمين، وإلى المجاهدين من المسلمين، يعني المقصود من ورائه ضرب الحركات الجهادية، وضرب حركات التحرر.

يعملون لهم مجموعة باسم أنهم إرهابيين وما هم إرهابيين، هم أصحابهم، هم الذين ربوهم، هم الذين وزعوهم على المناطق، ثم يدخلوا باسم أنهم يلاحقونهم، يلاحقونهم، يطاردونهم، يطاردونهم في أكثر من ٦٠ دولة، من الذي سينقلهم إلى ٦٠ دولة؟ من الذي سيعطيهم الإمكانيات هذه، الذين يسمونهم تنظيم القاعدة؟ وبعدين يلاحقونهم.

وفي اليمن، اليمن له النصيب الأوفر من هذه، من الإتهامات، نصيب وافر ربما أكثر من أي بلد آخر، ما هم قالوا عادهم ضربوا؟ الأمريكيون قالوا أنهم ضربوا سيارة في مأرب بصاروخ من طائرة أمريكية؟ وحصل قالوا استنكار من أحزاب المعارضة، استنكار على الدولة نفسها، أنها فرطت، أو أن هذا يعتبر تفريط في سيادة اليمن، أن تصل المسألة إلى الدرجة هذه، طائرة أمريكية تلحق سيارة

يمنية فيها يمنيين ويرموهم هكذا على ما قالوا في هذا الموضوع، والله أعلم بحقيقته.

يعتبر تدخل باسم مكافحة إرهابيين وملاحقة إرهابيين، والهدف هو البلاد، واستعمار البلاد وإفساد الناس ومحاربة الدين)[1].

وهنا يوضّح السّيد أنّ الاستعمار قد وصل إلى كلّ شيء لدينا، فأصبحنا مستعمرين في اقتصادنا، وفي ثقافتنا، وفي سياستنا، وفي قراراتنا، ولم نعد نملك شيئاً من حريّتنا، ويدعو السّيد إلى ضرورة مقاومة ومواجهة كلّ هذا الاستعمار، والاحتلال، ومواجهته بكلّ الوسائل الممكنة، فالله قد منحنا وأعطانا الشّرعيّة الكاملة في الجهاد، والتّحرك في مواجهة أعدائنا، ويجب ألّا نخضع، ولا نستسلم أمام أيّ ضغوطات تمارس علينا وبحقّنا، يقول السّيد: **(إن اليهود والنصارى يقاتلوننا كافة، والله يأمرنا أن نقاتلهم كافة كما يقاتلوننا كافة، إنهم يتحركون في كل شعب، وهل هناك دولة إسلامية تضرب بريطانيا، أو دولة إسلامية تضرب فرنسا حتى ينتظر الفرنسيون أن يوجد لهم المبرر أن يتحركوا ضد المسلمين؟ أم أن كثيراً من المسلمين الآن ما يزالون سجناء بما فيهم يمنيون؟ سجناء في أمريكا، وسجناء من مختلف المناطق، وأشخاص قتلوا.**

حتى نشرت بعض الصحف أن أربعة يمنيين من مدينة [القاعدة] قتلوا واستجوب كثير منهم؛ لأن في وثائقهم اسم [القاعدة] – والقاعدة هي مدينة في اليمن – ظنوا أنه من تنظيم القاعدة تنظيم [أسامة بن لادن] وهو من مدينة القاعدة مدينة هنا اعتقد في محافظة [إب]. محل الميلاد [القاعدة]، قالوا: إذاً أنت من القاعدة .. قتل أربعة أشخاص لاشتباههم في الاسم.

لكننا نحن لا يجوز لنا أن نصرخ في اليمن، ولا في أي بلد عربي آخر، ونحن نُضرب في كل مجالات حياتنا، ونحن نرى ديننا يهدد، أولسنا كلنا نعرف أن الإسلام والمسلمين يَوَاجهون بهجمة شرسة جداً من دول الغرب كلها؟. أليس هذا هو ما نلمسه؟. فلماذا يريد هؤلاء ألّا نتكلم لا في اليمن ولا في أي منطقة أخرى؟. لأنه لاشرعية لك أن تقول إلا بعد أن يصل أولئك إلى عندك فيدوسونك بأقدامهم.

---

(١) محاضرة الشّعار سلاح وموقف.

تأملوا ستسمعون هذه العبارات تتكرر، ودائماً وسائل إعلامنا تخدم إسرائيل من حيث تشعر أو لا تشعر، وترسخ في أذهاننا شرعية بقاء إسرائيل كدولة، وشرعية تحرك أمريكا ودول الاستكبار ودول الكفر دول اليهود والنصارى ضد المسلمين شعوباً وحكومات ولا تمنح الشرعية إلا لفئات معينة!. ماذا يعني هذا المنطق عندما نسمع [أنه لا أما حماس وحزب الله وحركة الجهاد والفلسطينيين لا نسمع أن يصنفوا أنهم إرهابيين] ماذا يعني هذا؟، أما الباقون فإذا ما صرخ أحد ضدكم فهو إرهابي، أما الباقون في مختلف الشعوب الإسلامية فإذا ما تحركوا لمواجهتهم فهم إرهابيون وسنكون معكم ضدهم.

أليس هذا هو ما يعني حصر؟ حصر ماذا؟ حصر من نعزلهم عن قائمة اسم إرهاب في منظمات معينة بحجة أنها تقاوم احتلالاً مباشراً أولسنا محتلين في اقتصادنا، في سياستنا، في كل شئون حياتنا؟.أوليس العرب مستعمرين الآن؟ هم مستعمرون، أي زعيم يمكن أن يقول كلمة جريئة إلا ويسحبها بعد ساعة أو ساعتين؟ أليس هذا يعني استعمار؟.

استعمار في كل مجالات شؤوننا، وحرب لديننا نراها ونشهدها، وإفساد في أرضنا، وإفساد لشبابنا، وإفساد لنسائنا، وإفساد لكبارنا وصغارنا.. أليس هذا هو ما يحصل في البلاد العربية كلها؟.

إن الله هو الذي منح المسلمين الشرعية أن يقاتلوا أعداءهم كافة كما يقاتلونهم كافه، هو يقول: ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾[البقرة: من الآية٢١٧] هو يقول: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩] هو من أمر المسلمين جميعاً أن يقفوا صفاً واحداً وبكل ما يمتلكون من وسائل في مواجهة أعدائهم، سواء كثر أعداؤهم أم قلوا)[1].

ويؤكّد السّيد على أنّ مصطلح الإرهاب ما هو إلاّ "قميص عثمان" كما يقولون، وأنّ الأمريكيّين يعملون على أن يجعلوه أخطبوطاً منتشراً في كلّ العالم، كما أنّهم جعلوا من "تنظيم القاعدة" إمبراطوريّة عالميّة، ويبيّن السّيد أنّ الأمريكيّين لن ينتظروا حتّى يتحرّك أحد ضدّهم،

(١) محاضرة لتحذن حذو بني إسرائيل.

بل سيقومون هم بالتّفجير على أنفسهم، وعلى سفاراتهم، وعلى منشئاتهم، ليخلقوا الذّريعة للتّدخل والاحتلال، ويتّهم السّيد الأمريكييّن بأنّهم وراء تفجير البرجين في "نيويورك"، وأنّهم وراء تفجير المدمّرة البحريّة "كول" في خليج عدن، ليصنعوا مبرّرات التّدخل، والاحتلال، والهيمنة، وبناء القواعد العسكريّة، ويبيّن السّيد أنّ دخول الأمريكييّن هذه المرحلة يختلف عن دخولهم واستعمارهم في المراحل السّابقة، فهذه المرحلة لدى الأمريكييّن هي مرحلة ضرب الإسلام والمسلمين، وهذا ما يجب أن نفهمه، وأن نتنبّه له، فيقول: **(فعندما يتحدثون بأن من يتحدث عن الجهاد هو قد يؤدي إلى خلق إختلالات أمنية! نقول: إن من يسمح للأمريكيين بالدخول إلى اليمن هو من سيعمل على أن يجعل اليمن بؤرة للفساد، ومن سيجعل اليمن مضطرباً، من سيفقد اليمن أمّنه، وإن كان في الواقع لم يتمتع في يوم من الأيام بالأمن بالشكل الذي يريده اليمنيون، من يدخل الأمريكيين، من يسمح للأمريكيين أن يدخلوا هو من سيشكل خطورة على أمن اليمن، أوليس كذلك؟ لأن من التأكيد أن الأمريكيين لن ينتظروا اليمنيين حتى يتحرك أحد اليمنيين ليعمل شيئاً ضدهم، هم من سيفجرون على أنفسهم، هم من سيضربون أنفسهم، هم من سيضربون على سفارتهم، هم من سيضربون على أي منشئة لهم؛ ليقولوا: إنهم أولئك، إنه ذلك الشخص، أنها تلك الجماعة.**

وهم من سيدخِّلون من يسمونهم إرهابيين إلى اليمن، قد يدخِّلون أفراداً من [القاعدة] فيبثونهم في مناطق في اليمن، ثم يقولون: هناك في تلك المنطقة واحد من أفراد القاعدة، هناك في تلك المنطقة واحد من تنظيم طالبان، أولئك هم يحتضنون إرهابيين، هم يساندون إرهابيين، اضربوهم!. لن يبقى لليمن أمن ولا إيمان ولا حكمة، نحن نقول عن اليمن: إنه بلد الحكمة بلد الإيمان (الإيمان يمان والحكمة يمانية) لن تبقى حكمة، ولن يبقى إيمان من بعد أن يدخل الأمريكيون.

وعندما يدخل الأمريكيون في هذه الفترة هو يختلف عن دخولهم إلى أي بلدان أخرى دخلوها قبل عشرات السنين، وأنشأوا فيها قواعد عسكرية، الآن هي المرحلة التي يتوجه فيها أولئك لضرب الإسلام، وضرب الأمة.

دخلوا بلدان وبنوا فيها قواعد عسكرية، وفعلاً انهكوها، وفعلاً أذلوها، وأنهكوا اقتصادها، وأذلوا زعماءها، لكن دخولهم في هذه الفترات لبناء قواعد عسكرية، لإرباك وضعية الأمة.. هو فعلاً سيكون في مرحلة تنفيذ الخطة الأخيرة لضرب الإسلام والمسلمين.

وما أجمل ما قال السيد حسن نصر الله - في تحليل هذه المسألة - قال: [إن أولئك عندما يتحركون ليس من أجل أموالهم ومصالحهم، فأموالهم ومصالحهم في المنطقة مأمونة وهناك قواعد تحميها، وهناك أنظمة تحميها، وليس من أجل خيرات معينة، هم من تصب خيرات الشعوب العربية في بنوكهم، إنه تحرك - قال - لضرب الإسلام، إن المستهدف في هذه الفترة هو الإسلام، هو القرآن، وقد نجد أنهم سيلغون هذه الآيات في المنهج أو في الخطب، أو في أي شيء آخر] هكذا تحدث في أول ليلة من ليالي عاشوراء، في هذه المناسبة التي نحن نحتفل بها في هذا اليوم.

من هو الذي يسعى لتحقيق أمن وطنه؟ من ينطلقون لمحاربة أولئك الذين يسعون في الأرض فساداً.. ألم يقل الله عن اليهود والنصارى أنهم يسعون في الأرض فساداً؟ من أين يأتي الفساد؟ من أين يأتي الإرهاب؟ من أين تأتي الجريمة؟. أليس منبعها الفساد الأخلاقي، الفساد الثقافي، الفساد العقائدي، الفساد الاقتصادي؟ يسعون في الأرض فساداً في كل المجالات.

إذا ما انتشر الفساد. ما الذي سيحصل؟ من هو ذلك السياسي الذي يستطيع أن يقول إن انتشار الفساد يؤدي إلى استقرار أمني؟ أليسوا يقولون هم: أن الجريمة تؤدي إلى الإختلالات الأمنية؟ الجريمة تؤدي إلى الإختلالات الأمنية.. من الذي يخلق شاباً، أو يخلق مجتمعاً ينطلق في الجريمة؟.

اقرؤوا أنتم عن الجرائم في أمريكا كم في الدقيقة الواحدة تحدث من جرائم اغتصاب - حسب تعبيرهم - من جرائم سرقة، من جرائم قتل في الدقيقة الواحدة في أمريكا!. في أمريكا نفسها المحلات التجارية يحتاج أصحابها إلى أن يكون داخلها حرس معهم رشاشات لحراستها ممن قد يسطون عليها)[1].

ويوضّح السّيد أنّ من أهداف صناعة القاعدة والإرهاب من قبل الأمريكيّين واليهود هو

(١) محاضرة دروس من وحي عاشوراء.

خلق وصنع قيادات وهميّة للأمّة، تنشدّ وتنجذب إليها، وتلتفّ حولها، بعيداً عن القادة والأعلام الحقيقيّن الّذين يصنعهم الله، ويختارهم للأمّة، ويبيّن السّيد أنّ هذا من مكر وخبث اليهود الشّديد الّذي عرفوا به في حربهم ضدّ الإسلام والمسلمين، يقول السّيد: **(طالبان ماذا عملوا؟ ألم ينسحبوا من المدن ويتبخروا؟ ولم ندر أين ذهبوا؟ هل غلبُوا أم غُلبُوا؟ غُلبُوا أو تَغَالبوا لأن القضية هي كلها خداع ووهم، كلها تزييف وتضليل، حتى لا يبقى منفذ للآخرين لأن يضعوا هنا أو هنا من جانبهم شخصاً آخر وهمياً علماً من أعلام الباطل)**[1].

(١) سورة المائدة الدرس الثاني.

مع الشّعـار.. منذ الصرخة الأولى

(أقول لكم أيُّها الأخوة: إصرخوا. ألستم تملكون صرخة أن تنادوا [الله أكبر/ الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام] أليست هذه الصرخة ممكن لأي واحد منكم أن يطلقها؟ بل شرف عظيم لو نطلقها نحن الآن في هذه القاعة فتكون هذه المدرسة وتكونون أنتم أول من صرخ هذه الصرخة التي بالتأكيد – بإذن الله – ستكون صرخة ليس في هذا المكان وحده، بل وفي أماكن أخرى، وستجدون من يصرخ معكم – إن شاء الله – في مناطق أخرى: [الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]هذه الصرخة أليست سهلة كل واحد بإمكانه أن يعملها وأن يقولها؟ إنها من وجهة نظر الأمريكيين – اليهود والنصارى – تشكل خطورة بالغة عليهم. لنقل لأنفسنا عندما نقول ماذا نعمل؟ هكذا إعمل وهو اضعف الإيمان أن تعمل هكذا، في إجتماعاتنا، بعد صلاة الجمعة، وستعرفون أنها صرخة مؤثرة، كيف سينطلق المنافقون هنا وهناك والمرجفون هنا وهناك ليخوّفونكم، يتساءلون: ماذا؟ ما هذا؟)[1].

هكذا ظهر السّيد/ حسين بدرالدين الحوثي (رضوان الله عليه) في محاضرة الصّرخة في وجه المستكبرين، وهو يتلوا هذا المقطع على حشد كبير من المؤمنين المجاهدين، ثم رفع السّيد يده الطّاهرة الشّريفة، وردّد هذا الشّعار، وردّدته معه تلك الجموع المحتشدة ، وقد كانت هذه أوّل انطلاقة لترديد هذا الشّعار العظيم في قاعة مدرسة الإمام الهادي (عليه السلام) في مرّان – صعدة– بتاريخ ١٧/ ١/ ٢٠٠٢م كما هو موضّح في محاضرة (الصّرخة في وجه المستكبرين).

إذاً كانت هذه هي البداية الأولى لترديد الشّعار (الصّرخة في وجه المستكبرين)، وقد مرّ عليه إلى الآن عقد ونصف العقد من الزّمن، كلّها محفوفة بالصّراعات الدّامية، والحروب، والاعتقالات، والسّجون، تضحية مع الشّعار في سبيل الله سبحانه وتعالى، وموقفاً قوّيّاً في زمن بلا مواقف، زمن يسوده الخنوع، والصّمت، والرّهبة، والرّغبة لغير الله سبحانه وتعالى،

(١) محاضرة الصرخة في وجه المستكبرين، هذه المحاضرة كانت الإنطلاقة الأولى للصرخة ، ألقاها السيد القائد حسين بدر الدين الحوثي بتاريخ: ١٧/ ١/ ٢٠٠٢م ، اليمن – صعدة.

وفي مسيرة الشّعار ثَمَّة ما يجب التّنبّه له، والتّوقف عنده ...سيرة عطرة سجّلها أنصار الله منذ الانطلاقة الأولى للشّعار، نقف فيها مع أهمّ المحطّات، ونعرّج على أبرزها، إلاّ أنّه يجب التّنبيه أوّلاً على أنّ الشّعار كموقف وسلاح برز من بين ثقافة عالية تشبّعت بروح القرآن الكريم وانبلج من بين ثناياها المقدّسة، إذ لم يكن منفصلاً أبداً عن هذه الثّقافة القرآنيّة التي تضمنّتها سلسلة طويلة من الدّروس والمحاضرات للشّهيد القائد السّيد/ حسين بدر الدين الحوثي "رضوان الله عليه" تحت عنوان (دروس من هدي القرآن الكريم) .

أ- البداية الأولى

على هذا كانت البداية مع السّيد الشّهيد القائد المؤسس نفسه كما يظهر في محاضرة (الصّرخة في وجه المستكبرين)، وقد أكّد السّيد مراراً وتكراراً على أنّ الشّعار موقف قويّ من أعداء الله، وتحرّك ضروريّ في مواجهة المشروع الأمريكيّ والإسرائيليّ في المنطقة، كونه أفضل عمل يرضي الله في هذه المرحلة، وفعلاً لبّى من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه دعوة السّيد هذه، وبدأ الشّعار يردّد في كلّ محاضرة، وكل اجتماع، وقد ظهر الشّعار في مقاطع متعدّدة من كلّ محاضرات السّيد ودروسه، وفي البداية كانت محاضرات السّيد متوفّرة على أشرطت الكاسيت الصّوتيّة، ويسمع دويّ الشّعار يردّد أثناء الدّروس والمحاضرات، وانتشرت الصّرخة (الشّعار) أوّلاً في مناطق بلاد (خولان ابن عامر) وبالذات في منطقة (مرّان) محافظة "صـــعدة" وأخذ يتوسّع تدريجيّاً بشكل متسارع، ولقي ترحيباً حارّا في أكثر من مكان ومنطقة.

ب- أساليب ووسائل متعدّدة

تطوّرت أساليب رفع الشّعار ونشره بين الفينة والأخرى، ففي البداية كان يردّد في الاجتماعات العامّة، والمحاضرات، في المدارس والمساجد، ثم وجّه السّيد بطباعة المحاضرات وسرعة توزيعها مقروءة في شكل ملازم كما هي عليه اليوم، كما وجّه بترديد الشّعار في كلّ اجتماع، وبعد صلاة الجمعة من كل أسبوع، وانتشر الشّعار انتشار النّار في الهشيم، وحرص السّيد على إرسال المبلّغين والمنذرين إلى كلّ منطقة وقرية، لتبصيرهم وتوعيتهم بأهميّة الشّعار وفحواه، وتعميم ثقافته الثّقافة القرآنيّة (الملازم والدّروس) إلى كلّ مكان ممكن، وتحرّك الشّباب وبذلوا قصارى جهودهم في سبيل ذلك ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد، عندما احتدم

الخلاف وبلغ أُشدّه بين المعارض والمنكر له، وبين المحبّ والموالي للشّعار طبعاً، وبدء الشّعار يُردّد بعد خطبتي الجمعة من كلّ أسبوع في أكثر من منطقة، وكان أبناء مناطق وقرى خولان بن عامر ممن حازوا فضيلة السّبق، وتفانوا في سبيل ذلك، حصلت معارضة شديدة من قبل بعض الشخصيّات الاجتماعيّة المرتبطة بالسّلطات، وبالمصالح، ومن قبل أجهزة الدّولة وموظفيها ونظراً لسطحيّة النّاس، وضعف وعيهم، وعدم إدراكهم لأهميّة هكذا مواقف، باعتبارها مواقف غريبة عليهم وجديدة.

أصرّ أنصار الشّعار أو المكبّرون كما كانوا يسمّونهم على موقفهم، وظهروا أقوياء المنطق، والحجة، والبرهان، بما أعيا كلّ بيان ومنطق، عندها وجّه السّيد بطباعة الشّعار في ملصقات ورقيّة صغيرة الحجم، ومتوسّطة، وكبيرة، ولافتات قماشيّة كُتب عليها الشّعار بالنّمط الذي أختاره السيد وحدّده، وكما هو عليه اليوم.

عندها طبع الشّعار وانتشر بشكل غير مسبوق، وتهافت عليه النّاس يلصّقونه في براقع جنابيّهم، وعلى أسلحتهم، وسياراتهم، وجدران منازلهم، ومساجدهم، ومقتنياتهم الشّخصيّة حيث حذّر السّيد ومنع من وضع هذه الملصقات على حقّ الغير والأماكن الخاصّة احتراماً للنّهج السّلمي، وحرّيّة التّعبير عن الرّأي، واحترام الآخرين، وتنوّعت الوسائل، والأساليب وفق نمط محّدد وموحّد، وطُبع الشّعار على ملابس الصّدر، الجسميّة الدّاخلية، وعلى الولاّعات، والأقلام، والميداليّات، وجداول الحصص المدرسيّة، والدّفاتر، وكانت تتطبعها آنذاك "مكتبة الوحدة" في مدينة صعدة، وتبيعها لمن أحبّ اقتناءها فقط، دون أن يُفرض على أحد، ثمّ تطوّر العمل وارتقى بأسلوب سريع وحكيم، ووجّه السّيد بكتابة عبارات الشّعار الخمس على الجدران، والخطوط، والأحجار، والجبال، وفي كلّ مكان أمكن، يترافق معه توعية قرآنيّة، ونشر، وتوزيع الدّروس والمحاضرات (الملازم) على كلّ النّاس، وكلّ فئات وطبقات المجتمع دون تمييز، سنّة، وشيعة، وموظّفين، ومسؤولين، في كلّ قطاعات الدّولة، وضبّاط، ومثقّفين، وعلماء، وسياسيّين....الخ، وأحرز الشّعار نموّاً مطّرداً، وتقدّماً ملحوظاً، مع توسّع ترديد الشّعار في المساجد بعد صلاة الجمعة، وفي الاجتماعات، عندها قرّرت السّلطة الدّخول في المواجهة المباشرة، لتقييد حركة الشّعار، والحدّ من نفوذه.

ج- المواجهة المباشرة

بعد أن عجزت السّلطة، عبر أدواتها الإعلاميّة والدّعائيّة، ونشاطها الاستخباراتيّ المكثّف من زرع الفتنة، والعداوة، والقتال بين أبناء المجتمع الواحد، والقبيلة الواحدة، للصّد عن سبيل الله، وتحريضهم المتواصل ضدّ المكبّرين، قرّرت التّدخل المباشر، وكثّفت عبر محافظها في صعدة آن ذاك «يحيى علي العمريّ»، وجهاز الأمن السياسيّ، والأجهزة الأمنيّة، والعسكريّة من النّشاط المعادي للشّعار، وأعلنت حالة الإستنفار، ووجّهت حتّى المكاتب المدنيّة والخدميّة للتّحرك ضدّ الشّعار، وانتشرت فرق مكثفة في محافظة صعدة لطمس ومسح عبارات الشّعار في كلّ شوارع المحافظة، وطلائها بالمعجون البلاستيكيّ والبوية، بما فيها الله أكبر، النّصر للإسلام، جاء ذلك بعد زيارة قام بها السّفير الأمريكي (آد مند هول) لمحافظة صعدة، وأبدى غضبه واستياءه من توسّع حركة الشّعار المناهض لسياسة بلده العدوانيّة، فحصل عكس النتيجة المرجوّة حيث استاء النّاس من هذا التّصرف الأرعن، وكَسبَ الشّعار الكثير من المؤيّدين والأنصار، وأعاد المجاهدون كتابة العبارات بشكل أوسع ممّا كان عليه، وظهر أعداء الشّعار عاجزين في هذا الميدان، جاءت هذه الأحداث بالتّزامن مع العدوان العسكريّ الأمريكيّ على الشّعب العراقيّ في العام٢٠٠٣م، وخرجت المظاهرات، والمسيرات الشّعبية المنددّة بهذا العدوان، في كلّ المحافظات اليمنيّة، وقد ظهر الشّعار يتقدّم هذه الجموع، ويرفرف فوق السّاحات، ويعلو في كلّ المظاهرات في كلّ مدن اليمن، وكسب الشّعار شرعيّة أقوى، وبرز الموقف الوحيد، والتحرك الأمثل في الاتجاه الصحيح المناهض لأمريكا وإسرائيل، وفي المقابل توسّع الشّعار، وتمدّد إلى أغلب المساجد في محافظة صعدة، وكان جامع الإمام الهادي(عليه السلام) محطّ رحال المكبّرين هذه المرّة، إضافة إلى بعض المساجد داخل المدينة القديمة، وما أن يكمل الخطيب خطبتيّ الجمعة حتّى تصدح الحناجر، وتعلو قبضات الأباة بالصّرخة، مردّدين الشّعار (**الله أكبر، الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النصر للإسلام**)، وكانت هذه قفزة نوعيّة للشّعار، وشجاعة عالية في أداء الواجب الدّيني، حينها تلقّت قيادة المحافظة التّوجيهات العلياء بالحسم السّريع، وإحكام القبضة الأمنيّة، والعسكريّة، والبوليسيّة على جامع الإمام الهادي (عليه السلام) بالمحافظة، وصدرت التّوجيهات باعتقال كلّ من يردّد الشّعار، أو يحمله، وينـاصره، وتوجّهت قوّة أمنيّة مدعومة بعناصر الأمن السّياسيّ لتفتيش كلّ المصلين أثناء دخولهم الجامع،

واعتقال من يشتبه فيه ممّن يردّد الصّرخة، أو يحمل مصحفاً، أو شعاراً، وفعلاً حصلت الاعتقالات إلى سجن الأمن السياسي في كلّ جمعة، إلاّ أنّ ذلك لم يكن خياراً مجدياً، ولا عملاً ناجحاً مع نوعيّة راقية وعالية، ممّن يبلّغون رسالات الله ويخشونه، ولا يخشون أحداً إلاّ الله، ممّن لا يخافون في الله لومة لائم.

استمرّ المجاهدون في ترديد الشّعار كلّ جمعة ،واستمرّ التّدفق إلى جامع الهادي من كلّ حدب وصوب، فيما الاعتقالات مستمرّة، حتّى أكتظّ سجن الأمن السّياسيّ بمجاميع كبيرة من المكبّرين، رغم الاعتداء الفظيع الذي كان يمارس بحقهم داخل الجامع في بيت الله وسط جموع المصلين، وداخل أقبية الأمن السّياسيّ، حتّى أصيب بعضهم من شدّة التّعذيب بالمرض والشّلل.

حينها ومع اقتراب موعد الحجّ، قرّر الرئيس السابق (صالح) أن يحجّ إلى صعدة أوّلاً، ثمّ يتوجّه بعدها إلى بيت الله العتيق عبر منفذ البقع الحدوديّ، مصطحباً معه الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر، وعبدالكريم الارياني، وعبد المجيد الزنداني، وتعمّد النزول في يوم الجمعة، وقرّر الصّلاة في جامع الإمام الهادي لفرض هيبته وجبروته، لعلّ ذلك يحول بين المكبّرين، ورفع الشّعار في ظل حضرته... في تلك الأثناء ساد لغط واسع بين صفوف المواطنين في محافظة صعدة متسائلين ماذا سيصنع المكبرون هذه المرّة؟.

علم الجميع بخبر صلاة (صالح) في جامع الإمام الهادي، واحتشد الآلاف لأداء الصّلاة، ومراقبة الموقف، ولم يكن أحدٌ أسرع إلى الجامع من المكبّرين، وشهد الجامع أكبر عدد في حينه من أصحاب الصّرخة، أو أصحاب الشّعار كما كانوا يسمّونهم، وما أن أكمل الخطيب خطبته حتّي دوّت صرخة مجلجلة كادت أن تطير بلب "صالح" وزبانيّتــه"، كنت أنا في الصّفوف الأمامية الأولى، ورأيت "صالح "وقد أنتفض من مكانه خائفاً فزعاً، وأحاطت به حراسته من كلّ مكان، وما أن سلّم الإمام من الصّلاة حتّي ولّى هارباً دون أن يحسن السّلام من البوابة الخاصّة، وانتصر الشّعار على الطاغوت في حضرته، وأمام ناظريه، وتناقل النّاس خبر الصرخة باندهاش، وإعجاب بقوة المكبرين، وصدقهم، وصلابتهم.

ذهب صالح للغداء في منزل الشّيخ/ فارس مناع، وعقد بعده لقاء بالسّلطة المحليّة،

ومـسؤوليّ المحافظـة، والمـشايخ، والشخـصيّات الإجتماعيّـة، ونـاقش معهـم موضـوع الـشّعار، وضرورة القـضاء عليـه، وإسـكات الـصّرخة، قـرّر الجميـع حينهـا أنّ الموضـوع لـيس أكثـر مـن تحدّي، ومغامرة، وعناد، وأنّه لو يُطلق سراح المعتقلين، ويكفّ عن حملة الاعتقالات، لتوقّف الـشّعار تلقائيّـاً، قـرّر (صـالح) إطـلاق سراح المعتقلـين، وإيقـاف الاعتقـالات، وتوجّـه محـافظ المحافظـة، ومـدير الأمـن الـسياسي، وبعـض المـشايخ والمـسؤولين للقـاء المـساجين، وإطـلاق سراحهم، مقابل تعهّدات خطيّة بعدم العودة الى ترديد الشّعار مرةً أخرى، ليُواجهوا بالرّفض الشّديد، وتفضيل البقاء في السّجن على التّعهد، حينها لم يكن بدّ من اطلاق سراحهم، بدون قيد أو شرط، وخرج المساجين أشدّ قوّةً، وصلابةً من ذي قبل، وباءت كلّ جهود المنع بالخيبة والخسران.

حينها كان الشّعار قد بدأ يردّده الطّلاب في المدارس، وانتقلت الحرب إلى ساحة التّربية والتّعليم، وفُصل الطّلاب من المدارس، وأُوقفت مرتّبات المدرّسين للضّغط عليهم، كلّ ذلك حصل، ولكن دون جدوى، ومع هذا كلّه كانت توجيهات السّيد ودروسه تواكب الحدث لحظة بلحظة، مما يزيد في تبصرة النّاس، وتوعيتهم، ومواجهة كلّ المؤامرات، والمخطّطات، والضّغوطات بنفس قرآنيّ وأسلوب محمديّ، وعلت راية الشّعار، وقبضات المجاهدين الأبرار، ودوّت صرخاتهم في كلّ مكان.

المرحلة الثّانية

في الوقت الّذي اكتسح فيه الشّعار السّاحة في محافظة صعدة، كان منزل (السّيد) بمنطقة مرّان يستقبل وفود الزّوار يوميّاً، القادمين من محافظات مختلفة، من سياسيّين، وعلماء، وقضاة، ودعاة، وشخصيّات اجتماعيّة، ويسحرهم (السّيد) بأخلاقه العظيمة، وتواضعه الجمّ، وفهمه العميق الذي آتاه الله للقرآن الكريم، ولا يعودون من عنده إلاّ بقناعة راسخة رسوخ الجبال الرواسي.

واصل الشّعار مسيرته باتجاه كلّ شيء ممكن، المدرسة، والمسجد، البيت، والشارع، الأشجار، والأحجار، السّهل، والجبل، كلّ شيء هنا يتكلّم، وله لسان، وشعار الموت لأمريكا

/ الموت لإسرائيل، يتردّد في كلّ مكان.

أمام هذا التّقدم السّريع والانتصارات السّاحقة، كانت العيون الإقليميّة والدّوليّة ترصد الأحداث، وتقرأ الأخبار أوّلاً بأول، حينها كانت "صنعاء" العاصمة على موعد مع الصّرخة في وجه المستكبرين، وبدأ الشّعار يردّد في الجامع الكبير بصنعاء، حيث السّفارة الأمريكيّة، والتّمثيل الدّبلوماسيّ العالميّ، وأصبح اليمن مناهضاً للسّياسة الأمريكيّة والإسرائيليّة، وهذا ما لا تقبل به السّلطة بحال من الأحوال، حيث وضعت الرّئاسة الأجهزة الأمنيّة والعسكريّة في حالة التأهب، والاستنفار لمواجهة الصّرخة، ومحاولة وأدها في مرحلتها الثّانية، وأحكمت أجهزة الأمن القومي والسّياسي سيطرتها على ساحة الجامع لكبير بصنعاء، وجعلت منه مسرحاً لأجهزتها القمعيّة، ومقرّاً دائماً لعناصرها، لتبوء مرّة أخرى كلّ تلك المحاولات بالفشل الذّريع، ويستمرّ المجاهدون بالتّوافد على الجامع الكبير كلّ يوم الجمعة، من كل أسبوع، رغم الاعتقالات، والاعتداءات المستمرّة، إلاّ أنّ المجاهدين لم يزدادوا من كلّ ذلك إلاّ قوّة وصلابة، وعزماً لا يلين، مرّت أشهر عدّة، وعدد المعتقلين على ذمّة الشّعار يزداد يوماً بعد آخر، مما أضطرّ السّلطات لتوزيع المجاهدين على سجون الأمن السّياسيّ بالمحافظات، ليصل عدد المكبّرين إلى قرابة الألف، وبدأت بعض الصّحف المحليّة، والإقليميّة، والدّولية، تتناول أخبار المعتقلين كلّ أسبوع، وتنشر اسماءهم على صدر صفحاتها.

الغضب الأمريكيّ من تنامي العداء الدّيني في المساجد اليمنيّة يزداد يوماً بعد آخر، فيما السّلطات تحاول استخدام كلّ الأوراق في سبيل الحدّ من الشّعار وإنهائه، بما فيها الورقة الدّينيّة، ودفعت ببعض العلماء وخدعتهم، للإفتاء بحرمة ترديد الشّعار في المساجد، واستقدمت عدداً من العلماء، والدعاة، والخطباء إلى السّجون لمحاورة الشّباب، وإقناعهم ببطلان الشّعار، وثنيهم عنه، مستعينة بعلماء ودعاة من خارج اليمن، أمثال الدّاعية المصريّ "عمرو خالد"، لتتبخّر كلّ تلك المحاولات، وتبوء بالفشل مرّة تلو أخرى، عندها قرّرت السّلطات الإفراج عن المعتقلين، مقابل التّوقيع على تعهدات خطيّة بعدم ترديد الشّعار واتّباع السّيد حسين، ونشر الثّقافة

القرآنيّة، إلاّ أنّها اصطدمت برجال أقوياء صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وظلّ الشّباب على موقفهم يصدحون بالشّعار ليلاً ونهاراً داخل السّجون، والمعتقلات، فقرّرت السّلطات التضييق عليهم داخل السجون، وتعذيبهم معنويّاً وجسديّاً، والتّقليل من الغذاء، ومنع الدّواء، والزّيارة، واستخدام العنف المفرط، والقنابل الغازيّة، وبقي الشّباب على عهدهم ووعدهم، مهما كان حجم الضّغوط والتّحديات.

وعلى أرض الميدان كان الشّعار يكتسح السّاحة بخطوات حكيمة ومتسارعة، والمكبرون يتواجدون بكثرة في كلّ مكان، بما فيه العاصمة صنعاء، وأخذت الصّرخة منحىً تصعيديّاً آخر، حيث انتشرت اللاّفتات القماشيّة الّتي كُتب عليها الشّعار فوق أسطح البيوت، ويعتلي الشّباب أسطح المنازل السّاعة التّاسعة مساءً، ويصرخون بالشّعار دون خوف أو وجل.

التّهديد والوعيد

لم تقتنع الولايات المتّحدة الأمريكيّة بخطوات النّظام في اليمن، وكلّ ما قام به في سبيلها محاولاً إنهاء الصّرخة، وتكميم الأفواه، لذا صعّدت من لهجة احتجاجها مع الحكومة اليمنيّة، وقد نشرت مجلّة "المجلّة" اللندنية في حينه في عددين متتابعين اخبار الشّعار، وذكرت أنّ الولايات المتّحدة الأمريكيّة تقدّمت بمذكرتيّ احتجاج للحكومة اليمنيّة تشكو فيها من تنامي العداء الدّيني في المساجد اليمنية، وفي بداية العام ٢٠٠٤م عقدت وزارة الأوقاف دورة تدريبيّة لخطباء المساجد في محافظة صعدة، محذرةً من الغلوّ والتّطرف الديني، وقد حرصت على تضمين فريقها بعضاً من علماء الزيديّة، فيما كان الغرض شيئاً آخر، وعقد وزير الأوقاف حينها لقاءً خاصاً مع قيادة المحافظة، وبعض علماء الزيدية بمحافظة صعدة حضره من حضره منهم، وطلب منهم التّوقيع على بيان إدانة للسّيد/ حسين بدر الدين الحوثي، تحت عنوان النّقد والتّبين، وغرّهم واستدرجهم إلى ذلك، ليطير بعد التّوقيعات مباشرة إلى العاصمة صنعاء، معرّجا على بعض العلماء في صنعاء ليضيف توقيعاتهم إلى ورقة البيان المزعوم، ليتفاجأ موقعو البيان بنشره في جريدة "الثورة" الرّسمية، وقراءته من إذاعة صنعاء، تحت عنوان "علماء

الزيديّة يعلنون برآءتهم من الحوثي وأتباعه"، ويحذّرون من أفكاره، فَهمَ من فَهم أنّ هذا كان بمثابة إعلان الحرب على السيّد، والتي باتت إرهاصاتها تلوح في الأفق.

وفي الميدان كان رسلاء من الرّئيس السّابق (صالح) قد وجههم للقاء السّيد/ حسين وإبلاغه رسائل التّهديد والوعيد بالحرب، ما لم يعلن توقّفه عن الشّعار، وممارسة النّشاط الدّيني القرآني، استعان السّيد بالله، وتوكّل عليه، ولم تأخذه في الله لومة لآئم، ووضّح، وبين لهم، وللرّئيس بما فيه الكفاية، وقرر مواصلة السّير واثقاً بالنّصر والتأييد من الله المعين، ووجّه للرئيس رسالةً خطيّة يطمئنه فيها من سلامة الموقف، وصدق النّوايا، وهذا نصّها:

(فخامة الأخ علي عبدالله صالح الأكرم السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

وصل إلينا الوالد غالب المؤيد، والأخ يحي بدرالدين الحوثي، والأخ الشيخ صالح علي الوجمان، وتمّ التّحدث معهم في أمور كثيرة، ومنها ما ظهر منكم من انزعاج منّا، وقد أثار هذا استغرابنا، لأنني متأكد أنّه لم يحصل من جانبي ما يثير لديكم هذا الشعور، وما أعمله إنّما هو انطلاق من الواجب الدّيني والوطني ضدّ أعداء الدّين والأمّة أمريكا وإسرائيل، فلا تصغوا لتهويل المغرضين والمنافقين، واطمئنوا من جانبنا فنحن لا نكيد لكم، ولا نتآمر ضدّكم، وماضينا وحاضرنا يشهد بهذا، ويفضح المغرضين، وعند لقائنا بكم إن شاء الله سيتمّ التّحدث معكم في الأمور التي تهمّكم، وتهمّ الجميع، والإخوان سوف يوضحون لكم تفاصيل حديثنا معهم، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم/ حسين بدر الدين الحوثي ٨ ربيع الأول ١٤٢٥هـ)

كانت اللجان تعود بقناعة تامّة بصحة موقف السّيد، وسداد رأيه، وحكمته، لكن للأسف لم يكن أحد منهم ليجرؤ على قول الحقيقة، وكشفها للعيان، فيما الرّئيس يستبدل رسلاء بآخرين، حينها بعث الرّئيس رسالة عبر أحد معاونيه موجّهة إلى علماء الزيدية يبلّغهم فيها غضب الرّئيس، وسخطه، وانزعاجه ممّا يقوم به السّيد/ حسين بدرالدين، وترديد أنصاره للشّعار في المساجد، وبالذّات الجامع الكبير بصنعاء، ويطلب منهم سرعة التّحرّك لإقناع السّيد بضرورة التّوقّف، وسيكون هذا زيادة لهم في رصيدهم لدى السّلطة، ما لم فإنّ الدّولة ستُوقف السّيد/ عند حدّه، وستضرب بيد من حديد، وقد أعذر من أنذر، هكذا كان فحوى الرسالة،

يومها أذكر أنّي كنت في زيارة مع بعض الإخوان للسّيد العلاّمة/ بدر الدين الحوثي (رحمه الله) بمنطقة آل الصيفي، وبينما نحن جلوس عنده إذ دخل علينا أحد أقربائه، وسأله هل وصلتك الرّسالة الموجهة من الرّئيس لعلماء الزيدية؟ ثمّ استدرك قائلاً: لكن صح أنت ما هم معطين لك شيء، وأخرجها من جيبه، قال له العلاّمة الرّاحل اقرأها فقرأها علينا، فقال: السّيد الرّاحل "رضوان الله عليه" **(ينزلوا يلتمسوا الهدى والنّور بدلاً من الصدّ عن الحق)**.

علم الجميع بخبر الرّسالة، وبيان العلماء، وتحضير السّلطة للحرب والعدوان، وتحرّك المرجفون في المدينة في كلّ مكان، وأعدّوا العُدّة، وبقيَ السّيد على ما كان عليه، ومعه من معه من المؤمنين الصّادقين الواثقين بالله رب العالمين

د- الحرب الأولى

وفي يوم ١٧/ ٦/ ٢٠٠٤م شنّت السّلطة عدوانها المباشر على كلّ المناطق المعادية لأمريكا وإسرائيل على أساس الشّعار، وتفجّر الوضع العسكريّ الظّالم، وتصدّى السّيد/ لهذا العدوان الهادف إلى إسكات النّاس عن الشّعار، وتكميم أفواههم عن الصّرخة في وجه المستكبرين، وأصدر (السّيد) بيانه الشهير الذي بين فيه أنّ هذه الحرب تأتي طاعة للأمريكيّين، بغرض إسكات النّاس عن الشّعار حيث قال فيه: (**أيها الأخوة المؤمنون إعلموا يقينا أنكم تجاهدون في سبيل الله، وأنتم تواجهون هؤلاء المعتدين الظالمين، الذين يحاربوننا بمختلف الأسلحة لصدنا عن سبيل الله، وتذكير عباد الله بكتابه المجيد القرآن الكريم، وإسكاتنا عن الهتاف بهذا الشعار العظيم:**

(الله أكبر، الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النصر للإسلام)

ضد أمريكا وإسرائيل التي تشن حربا صريحة ضد الإسلام والمسلمين، وكلنا نعلم كما يعلم أيضا من شن هذه الحرب علينا أننا لم نعمل شيئا غير هذا، وعملنا واضح منذ أكثر من سنتين ونصف، وأنهم الذين هاجمونا إلي ديارنا وبدأوا بالضرب علينا).

وأكّد السّيد/ حسين (رضوان الله عليه) في مقابلاته، وتصريحاته الإعلاميّة أثناء الحرب الأولى على أنّ الحرب ما قامت إلاّ بتوجيهات أمريكيّة بسبب الشّعار، ويقول في اتصال هاتفيّ مع إذاعة ال (بي بي سي): (**هذا شيء فرض علينا فرض علينا هذا حرب بتوجيهات أمريكية شنوها**

علينا بتوجيهات أمريكية ورغبة أمريكية، واسترضاء أمريكي من جانب السلطة)، ويضيف السّيد: **(الحرب هذا علينا إمتداد واستمرار لمحاربتهم لنا كتوجه مناهض لأمريكا وإسرائيل يقوم على أساس القرآن الكريم – ويخاطب المذيعة- عرفتي؟ هم منذ سنتين لا حظي الحرب هذه التي شنوها علينا هي إستمرار وإمتداد لمحاربة منذ سنتين بدأت بشكل سجون مستمرة كل جمعة لدينا في السجون نحو ثمانمائة شخص على الأقل في سجونهم بسبب الهتاف بشعار "الله أكبر، الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود، النصر للإسلام")** ويضيف السّيد: **(الحرب هذه ليست جديدة هي بسبب مناهضتنا لأمريكا وإسرائيل المتمثلة بالهتاف بهذا الشعار ومقاطعة البضائع وتذكير الناس بالقرآن الكريم هذا كل ما نعمله)** وعندما سألته المذيعة لماذا لم يذهب لمفاوضة الرّئيس وقد دعاك للحوار؟ أجاب عليها: **(لم يحصل هذا، حصل قبل الحملة العسكرية هذه بنحو شهرين أن أرسل إلي شخص يقول لي بأن نتوقف عن هذا الشعار عن الهتاف بهذا الشعار وإلا فسيسلط علينا من لا يرحمنا هذا الذي حصل)**، وأكّد السّيد أنّ الموضوع الذي يتحرّك فيه هو موضوع فكريّ أساساً، تثقيف ومواقف طبيعيّة وسلميّة تتمثّل في شعارات، وفي مقاطعة البضائع الأمريكيّة والإسرائيليّة، وتذكير تثقيفيّ للنّاس بالقرآن الكريم ليس أكثر، وقال: **(أنا لا أفرض هذا الشعار على أحد نحن ندعو إلى رفع هذا الشعار ولا نفرضه على أحد ولا نصدر أحكام تكفيرية ولا تفسيقية على من لا يرفعوه)**.

وفي مداخلة له مع قناة أبو ظبي أكّد السّيد على نفس القضيّة قائلاً: **(نحن نذكّر الناس والتذكير ليس معناه مجرد أن نذكر أن هناك عدو فقط بل يجب أن تكون هناك رؤية تقدم للناس رؤية عملية ليتحركوا فيها على هذا الأساس كان أمامنا قضيتان: رفع شعار: الله أكبر الموت لأمريكا الموت لإسرائيل اللعنة على اليهود النصر للإسلام والقضية الثانية مقاطعة البضائع الأمريكية والإسرائيلية والحث عليها كواجب)**.

واليوم ها هو قدّ تحقّق ما كان يدعو إليه السّيد، ويؤكّد عليه، وها هو الشّعار يدوّي في كلّ أرجاء اليمن، وأصبح ظاهراً، معروفاً، مشهوراً على مستوى العالم كلّه، وعلت رايته في كلّ مكـــان، وفعـــلاً حـــصل أن صرخ بـــه أنـــاس في منـــاطق عـــدّة كـــما قـــال الـــسّيد ذات يـــوم.

وختاماً : لن نستطيع أن نفيَ بحقّ هذا الرّجل العظيم، ولا إعطاءه ما يستحقّه، إلاّ أنّنا نبذل الجهد في سبيل ذلك، وفاءً، وعرفاناً، وشكراً لله سبحانه وتعالى.

هـذا الرّجـل العظـيم الـذي منحنـا الحيـاة مـن حياتـه، والعـزّة، والكرامـة، والحريّـة مـن دمـه واستشهاده.

هـذا الرّجـل الذي جسّد الإيمان قولاً، وعملاً، وترجم كلّ ذلك إلى واقع عمليّ لم يفارقه في الحـرب، والـسّلم، وضرب ومعـه الثّلـة المؤمنـة، مـن الـشّهداء الأبـرار، أعظـم دروس التّـضحية والثّبات، بما يدلّل ويبرهن على عظمة هذا الدّين وقوّته.

وإنّما أقول للجميع تعرّفوا على الشّهيد القائد من خلال مسيرته الجهاديّة، ومواقفه العمليّة، ومن خلال دروسه ومحاضراته، النّاطق الرسمي باسمه، والمعبّر الحقيقيّ عنه، الّتي تتحدّث عنه في أنصع صورة، وأصدق بيان.

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله

محتويات الكتاب

الإهداء ٤

مقدمة مركز الدراسات الاستراتيجية والاستشارية اليمني ٥

مدخل ٧

المقدمة ٩

بداية التعرف على السيّد حسين ١٠
شخصيّة السّيد حسين ١٢
عظمة المشروع ١٥
انطلاقة المشروع ١٧
مستويات الطّرح والتّثقيف ٢٠
المستوى الأوّل: ٢٠
المستوى الثّاني: ٢١
المستوى الثّالث: ٢١
المستوى الرّابع: ٢١
المستوى الخامس: ٢٢
المستوى السّادس: ٢٢
جدول توضيحي لتسلسل الدّروس والمحاضرات ٢٣
هدف ومنهج البحث ٢٥

لمحة عن شخصية الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي ٢٨

ماذا يعني الحديث عن السيد حسين؟ ٢٨
السيد حسين محط إعجاب كل من عرفه ٢٨
من هو والده؟ ٢٩
مكان وتاريخ ميلاده ٣٠
شخصيته المتميزة ٣٠
الإسهامات المبكرة للشهيد القائد ٣١
مسيرته الجهادية ٣١
انطلاقة المشروع العملي القرآني ٣٢
قوى النفاق والعمالة تقف في مواجهة هذا المشروع ٣٣

المحور الأول: القيادة والمنهج ٣٧

القيادة والمنهج ٣٩

القيادة ٤٠

القيادة في القرآن الكريم ٤٠
القيادة من أهمّ مقوّمات النّهوض ٤١
سبيل الله ليس مجرد عنوان ٤٢
القيادة مشروع متكامل ٤٣

المنهج ٤٥

التصحيح الثقافي والمعرفي..... ٤٥
تصحيح النظرة إلى الدين ٤٧
شهادة الواقع على بطلان النظرية..... ٤٩
منهجية القرآن العالمية ٥٠
العصر الذهبي للإسلام..... ٥١
الخطط والبرامج العلمية لبناء الأمة ٥٢
القرآن الكريم مفتاح كلّ العلوم..... ٥٥
مقوّمات النهوض لدى هذه الأمة ٦٠
الجانب الإعلامي ٦١
مواجهة المشاريع الأمريكية والإسرائيلية..... ٦٢
التأهيل الإلهي..... ٦٣

المحور الثاني: كيف نهتدي بالقرآن الكريم..... ٦٧

كيف نهتدي بالقرآن الكريم ٦٩

القرآن الكريم كتابٌ عمليّ ٦٩
القرآن يبني الأمّة السبّاقة في كلّ المجالات..... ٧٠
القرآن يطمْئِنُ من يسيرون عليه ٧٢
القرآن عميق في إتجاه واحد ٧٣
القرآن أوسع من الزمن..... ٧٦
كيف نهتدي بالقرآن الكريم؟..... ٧٩
المناهج والأساليب في القرآن الكريم ٨٣
هدى الله يبني الحضارات..... ٨٦
الحضارة معرضة للإنهيار على أيدي اليهود..... ٩٠

عظمة القرآن الكريم ٩٩
ترابط القرآن الكريم..... ١٠٦
التّمسّك بالقرآن ١١٠
التدبر للقرآن الكريم ١١٣
يجب أن نثق بالقرآن الكريم ١١٨
مقوّمات النّهوض بالقرآن..... ١١٩
كيف نقدّم القرآن الكريم؟ ١٢٢
كيف نقرأ القرآن؟ ١٢٤
تلاوة الشّيخ المنشاوي للقرآن الكريم..... ١٢٦
هدىٰ الله واضح وبيّن ١٢٦
خطورة التّعاطي الفردي مع القرآن الكريم ١٢٨
القرآن كتاب عمل جماعي ١٢٩
القرآن الكريم يعمل ليبني أمّة ١٣١
طرق الاهتداء بالقرآن الكريم..... ١٣٤
ورثة القرآن الكريم..... ١٣٦
أهمية الإستماع والتلاوة للقرآن الكريم..... ١٣٦
هدىٰ الله يقدّم بطريقة متكاملة..... ١٣٧
إعجاز القرآن الكريم..... ١٤٠
المحور الثالث: ١٤١

معرفة السُّنّة من خلال القرآن ١٥٣

عرض السُّنّة علىٰ القرآن الكريم..... ١٥٤
الإمام علي يجسّد التّطبيق الحقيقي للدّين ١٥٥
ما كان يتكلّم به الرّسول كلّه يدور حول القرآن الكريم..... ١٥٧
الرّسول نهىٰ عن تدوين وكتابة كلامه..... ١٥٩
الحديث لم يدوّن إلاّ في بداية القرن الثاني للهجرة ١٦٢
لا يوجد تفسيرٌ للقرآن كاملاً عن الرّسول ١٦٣
سنّة الرّسول هي طريقته في حركته الرّسالية..... ١٦٤
حركة الرّسول في بناء الأمّة..... ١٦٥
السُّنّة المعلومة تمثّل قواعدَ مشتركة للحوار ١٦٨
معرفة السُّنّة مرتبطٌ بمعرفة الرّسول..... ١٦٨
الحكمة لا تعني السُّنّة..... ١٦٩

التّمسُّك بالقرآن والعترة..... ١٧٠

معرفة اللُّغة من خلال القرآن ١٧٣

القرآن الكريم بلسان عربي مبين ١٧٣
القرآن الكريم من أهمّ مراجع اللغة..... ١٧٥
أهميّة اللّغة العربيّة في فهم القرآن الكريم..... ١٧٨
اللّغة العربيّة محاربة من قبل اليهود والغربيّين ١٨٠

المحور الرابع: ١٨٣

طاعة الله والرسول وأولي الأمر ١٨٥

الدّور التنفيذي للرسول..... ١٨٥
الرّد إلى الله والرسول ١٩٢

التّولّي لله ولرسوله وللإمام علي ١٩٦

التّولّي لله ورسوله ١٩٦
تولي الإمام علي (عليه السلام) ٢٠١

المحور الخامس: ٢٠٧

معرفة الرّسول من خلال القرآن الكريم ٢٠٩

القرآن الكريم أهمّ مصدر لمعرفة الرسول ٢٠٩
الطريقة التحليليّة لمعرفة شخصيّة الرسول ٢١٦
أهمية معرفة الرسول ٢١٧
تعامل النبيّ مع الغنائم..... ٢٢١
مقارنة عامّة ٢٢٢
محاولة العدوُّ تأليب الجنود على القائد..... ٢٢٣
كيف نتخاطب ونتعامل مع الرسول؟..... ٢٢٧

الرّسول .. رسالة عالمية قابلة للتطبيق (١) ٢٣٢

أولاً: عالميّة الرّسول ٢٣٣
أ. النبيّ الأميّ:..... ٢٣٤
ب. الموقع والبيئة:..... ٢٣٤
جـ.لغة الرّسول والرّسالة: ٢٣٥
ثانياً: عالميّة الرّسالة ٢٣٦

أ. (وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين) : ٢٣٦
ب. ليظهره على الدّين كله: ٢٣٧
ج. الموروث الفكريّ وعالميّة الظّهور: ٢٣٨
د . وضعيّة الظّهور وسنّة الاستبدال: ٢٣٩
هـ . رؤية عمليّة للظّهور:..... ٢٤٠

الرسول .. رسالة عالمية قابلة للتطبيق (٢) ٢٤٢

ثالثاً: الخطاب القرآني لبني إسرائيل ٢٤٣
أ. سُنّة التّبشير بالأنبياء: ٢٤٤
ب. توثيق نبوّة النبي: ٢٤٤
جـ .نصوص في التوراة والإنجيل تبشّر برسول الله:..... ٢٤٥
رابعاً: موقف أهل الكتاب من الرّسول والرّسالة..... ٢٤٦
أ. الإنزواء والكفر بالرّسالة: ٢٤٦
ب. تأويل النّصوص وتحريفها:- ٢٤٨
ج. التفريق بين الله ورسله: ٢٤٩
خامساً: دور الرّسول والرّسالة مع أهل الكتاب..... ٢٥٠
أ. يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر:- ٢٥٠
ب. يقصّ عليهم أكثر الذي هم فيه يختلفون: ٢٥١
جـ. الدّور المطلوب من بني إسرائيل: ٢٥٢
سادساً: كيفيّة التّعامل مع أهل الكتاب؟..... ٢٥٣
أ. التزام المنهجيّة القرآنيّة:..... ٢٥٣
ب. فقه أهل الكتاب والتّعامل معهم: ٢٥٥
جـ . يهود اليمن وتعامل أهل البيت معهم: ٢٥٦
النّموذج والجاذبيّة ٢٥٦

المحور السادس: ٢٥٩

الإصطفاء الإلهيّ وأعلام الهداية ٢٦١

الله هو من يصطفي القادة الأعلام ٢٦١
مبدأ الكمال والإصطفاء الإلهي ٢٦٣
المعايير والمقاييس الإلهيّة ٢٦٥
الإصطفاء في القرآن الكريم ٢٦٩
الإصطفاء الإلهيّ يأتي من أجل النّاس ولمصلحتهم ٢٧٠
التسليم والطاعة لله..... ٢٧٢

مفهوم الإصطفاء في القرآن الكريم ٢٧٣
أعلام الهدىٰ الذين يصطفيهم الله ٢٧٨
نصر الدين وإنقاذ المستضعفين لا يكون إلاّ علىٰ يد أعلام الهدىٰ ٢٨٠

الإمام عليّ (عليه السلام) صمّام الأمان للدّولة الإسلامية ٢٨٢

مفهوم الولاية في الإسلام (السلطة السياسية) ٢٨٣
الإمام علي صمام أمان للدولة الإسلامية ٢٨٥

مفهوم الولاية والسلطة في الإسلام ٢٨٨

ولاية الله ولاية رحمة" ٢٨٨
النّظام السّياسيّ في الإسلام ٢٩٠
ولاية الرّسول ٢٩١
الولاية في القرآن الكريم ٢٩٢
ولاية الإمام علي ٢٩٣
وعي النّاس بولاية الأمر ٢٩٤
الرّؤية السّياسيّة للولاية في الإسلام ٢٩٦
معنىٰ ولاية الأمر في الإسلام ٢٩٧
المهمّة العالميّة للدّين ٢٩٨
ولاية الإمام علي في القرآن الكريم ٢٩٩
الإمام علي يشكّل نموذجاً للحاكم المسلم ٣٠١
أهميّة التّولي لله ولرسوله وللإمام علي في مواجهة اليهود ٣٠٢
لماذا لم يُذكر الإمام علي بالاسم في هذه الآية؟ ٣٠٣
المسألة تقوم علىٰ مبدأ التكامل ٣٠٥
قيادة الأمّة بيد الله ٣٠٧
ولاية الأمر تقوم علىٰ موضوع الهداية ٣٠٧
أمام المسلمين فرصة لتصحيح وضعيتهم ٣٠٩
الأمر الإلهيّ بإبلاغ ولاية الإمام علي ٣٠٩
ولاية الأمر تشكّل ضمانة لمسيرة الدّين ٣١١
الإعلان الصّريح بأمر الولاية ٣١٢
أهميّة ولاية الأمر في الإسلام ٣١٤

كربلاء ... الأسباب والنتائج ٣١٧

الأسباب والنّتائج ٣١٧

١ - الإنحراف الفكريّ والثقافي: ٣١٨
٢ - حبّ السلطة: ٣٢١
٣ - التفريط واللاّ مبالاة: ٣٢٢
المحور السابع: ٣٢٥

التّربية الجهاديّة في القرآن الكريم ٣٢٧

التخويف من الموت وعذاب القبر يخالف المنهجيّة القرآنية ٣٢٧
منهجيّة القرآن تقوم على التّخويف باليوم الآخر ٣٣١
المنهجيّة التّربويّة في القرآن الكريم ٣٣٢
ليس في أسماء الملائكة منكر ونكير ٣٣٤
لا وجود لعذاب القبر في القرآن الكريم ٣٣٥
التّربية القرآنيّة تدفع بالإنسان للتّضحية في سبيل الله ٣٣٧
التّخويف بالموت وعذاب القبر أسلوب غير صحيح ٣٣٩
التّرغيب والتّرهيب في القرآن الكريم ٣٤٢
سؤال عن الموت ٣٤٤
القبر جعله الله تكريماً للإنسان ٣٤٦
الواقع يثبت أنّه لا وجود لعذاب القبر ٣٤٩
فلسفة العذاب في القرآن الكريم ٣٤٩
لو كان عذاب القبر صحيحاً لذكره الله في القرآن الكريم ٣٥٠
الرّوايات الّتي تتحدّث عن عذاب القبر ٣٥١
سؤال عن عذاب آل فرعون ٣٥٤

الجهاد في سبيل الله ٣٥٦

المفهوم الشّامل للجهاد ٣٥٦
معركة المصطلحات ٣٦٥
يجب أن يكون القتال تحت عنوان في سبيل الله ٣٧٠
من نعمة الله على النّاس ألاّ يكونوا في حالة فراغ ٣٧٣
الرّوحيّة الجهاديّة ٣٧٤
خطورة التّراجع عن القتال في سبيل الله ٣٧٥
مفهوم الصّراع ٣٧٦

الشّهادة في سبيل الله ٣٨٢

من الحكمة أن تقتل في سبيل الله ٣٨٢

الصبر العمليّ يأتي بعده الفرج الإلهي ٣٨٦
الإنسان المؤمن يزداد إيماناً مع الشّدائد ٣٨٩
المؤمن ينشد نصر القضيّة الّتي يضحّي من أجلها ٣٩١
عوامل النّصر ٣٩٣
المجاهد في سبيل الله يكون مستعدّاً للتّضحية ولتحمّل كلّ الشّدائد ٣٩٤
على المؤمن أن يجعل حياته ومماته لله ٣٩٥
الله قد منح الشّهيد الحياة الأبديّة ٤٠١
الشّهداء أحياء عند ربهم لا يموتون ٤٠٣
من ينطلقون في سبيل الله لا يخسرون أبداً ٤٠٥
من الحماقة أن يتهرّب الإنسان من الشّهادة في سبيل الله ٤٠٧
المحور الثامن: ٤٠٩

المشروع الوحدويّ القرآني ٤١١

الأمر بالتّوحد جاء بعد الحديث عن خطورة أهل الكتاب ٤١١
أهل الكتاب يسعون لإضلال الأمّة ٤١٣
الإعتصام العمليّ بالله ٤١٣
تقوى الله في مواجهة أهل الكتاب ٤١٥
التّوحد العمليّ والجماعيّ في مواجهة أهل الكتاب ٤١٦
حبل الله هو القرآن الكريم ٤١٨
الوحدة الدّينيّة تتجلّى بشكل مواقف واحده ٤١٩
المنهج العمليّ للوحدة والإعتصام ٤١٩
الخطة العمليّة للتّوحد والإعتصام ٤٢١
المشروع الوحدويّ القرآني ٤٢٣
من معجزة هذا الدّين توحيد العرب ٤٢٥
الرّؤية القرآنيّة قابلة للتّطبيق ٤٢٨
الوحدة تحتاج لتدخّل إلهي ٤٣٣
التّوجه العملي ٤٣٥
المسؤولية جماعيّة في القرآن الكريم ٤٣٦
الله من يرسم طريق التّوحّد والإعتصام ٤٣٨
التسليم لله ٤٤٣
خطورة التّفرّق والإختلاف ٤٤٦
خطورة التّفريط في توجيهات الله ٤٤٨

الله لا يريد لعباده أن يظلموا ٤٥٠
الأمور كلّها بيد الله..... ٤٥١
كنتم خير أمّة أخرجت للنّاس..... ٤٥٢
دور هذه الأمّة هو الدّور النّهائي..... ٤٥٦

الوسطيّة في الإسلام ٤٥٨

مشكلة الأمّة هي مشكلة ثقافيّة ٤٥٨
التّأثر الثّقافيّ ببني إسرائيل ٤٥٩
معنى الوسطيّة في القرآن ٤٦٠
الأمّة الوسط هي الأمّة القويّة ٤٦٢
قيادة الأمّة الوسط ٤٦٤
الأمّة الوسط هي الأمّة الّتي يبنيها القرآن ٤٦٥
تحريف معنى الوسطيّة ٤٦٦
الوسطيّة لا تعني الإعتدال ٤٦٦

المحور التاسع: ٤٦٩

الرّؤية القرآنيّة في الجانب المالي ٤٧١

تحريك رؤوس الأموال وخطورة الإحتكار ٤٧٤

أهميّة الجانب الإقتصادي والزّراعي.....٤٧٨

أهميّة الجانب الإقتصادي والزّراعي في مواجهة الأعداء ٤٧٨
حاجة الأمّة للغذاء أشدّ من حاجتها للسّلاح ٤٨٦

خطورة الإستمرار في زراعة القات ٤٨٨

التفكير في زراعة البديل..... ٤٨٨
شجرة القات نعمة مؤقتة ٤٨٩
خطورة الفساد على الزّراعة..... ٤٨٩
لا يجب أن نعتمد على زراعة القات بإستمرار ٤٩٠
العمل على تصحيح وضعنا..... ٤٩١
تصحيح النّظرة إلى القات ٤٩٢
لا بدّ من العودة إلى الله ٤٩٣
خطورة الإستمرار في زراعة القات..... ٤٩٤

خطورة الربا والتحذير منه في القرآن الكريم ٤٩٦

الرّبا يضرب الأمّة ويحطّم الإقتصاد ٤٩٦
الرّبا يؤدّي لغلاء الأسعار وضرب الصّناعات ٤٩٧
الرّبا من أعمال اليهود ٤٩٩
الرّبا يؤدّي لتحطيم الإقتصاد، وتدمير العلاقات ٥٠٠
آثار الحرب الإلهيّة ٥٠١
الرّبا من أكبر الجرائم عند الله ٥٠٤
الرّبا يفقد الإنسان توازنه ٥٠٥
الموقف العملي من الرّبا والمرابين ٥٠٨
الفقه العملي في القرآن الكريم ٥٠٩
القرض بدلاً عن الرّبا ٥١٠
الرّبا يؤدي لتفريق المجتمعات ٥١٣

الاستقلاليّة الماليّة والإداريّة للأمّة ٥١٦

الإستقلاليّة الماليّة والإداريّة ٥١٧

المحور العاشر: ٥٢١

دور ومسؤولية المرأة في القرآن الكريم ٥٢٣

اليهود يفرّقون بين الرّجل والمرأة ٥٢٤
المسؤوليّة الواحدة للرّجل والمرأة ٥٢٥
إثارة المرأة ضدّ الرّجل ٥٢٦
التّنافس في العمل الصالح ٥٢٩
الرّجل والمرأة عالم وجنس واحد ٥٣٢
اليهود والنّصارىٰ أوّل من ظلم المرأة ٥٣٤
تعدّد الزّوجات ٥٣٥
تعدّد الزّوجات أصون للمرأة ٥٣٦
مهر المرأة ٥٣٩
المتعة في القرآن الكريم ٥٤٠
لو كانت المتعة ثابتة لكانت شائعة في المجتمع كتشريع ٥٤٤
النّكاح الشّرعي الثّابت هو ممّا شرّعه الله في كلّ الأمم ٥٤٦
لا دليل في هذه الآية علىٰ زواج المتعة ٥٤٧
زواج المتعة يتنافىٰ مع الفطرة الإنسانيّة ٥٤٨
مقولة متعتان كانتا علىٰ عهد رسول الله ٥٤٨
ميراث المرأة ٥٤٩

التّعامل مع المرأة ٥٥٠
المرأة الصالحة ٥٥٤
خطورة فساد المرأة ٥٥٧
اليهود يعملون على إفساد المرأة ٥٥٩
موضوع تحديد النّسل ٥٦٣
الرؤية القرآنيّة حول الطّلاق ٥٦٤

تحديد النّسل في القرآن الكريم ٥٧٢

القرآن الكريم يركّز على التّناسل والتّوالد ٥٧٢
من الإهتمام بدين الله الحرص على التّكاثر والتّناسل ٥٧٣
تحديد النّسل مؤامرة غربيّة ويهوديّة ٥٧٦
التّربية والتّعليم منوطة بالقائمين على النّاس ٥٧٧
الشّعوب الكبيرة تحقّق النموّ الإقتصادي ٥٧٩

المحور الحادي عشر: ٥٨١

القضيّة الفلسطينيّة في المشروع القرآني ٥٨٣

خطورة التّفريط ٥٨٥
القوّة هي قوّة النّفوس ٥٨٧
اليهود وسياسة نقض العهود والمواثيق ٥٨٨
يجب أن يكون العمل من أجل تحرير فلسطين ٥٨٩
القضيّة الفلسطينيّة هي قضيّة كلّ المسلمين ٥٩١
هزيمة العرب في مواجهة اليهود ٥٩٣
حتّى لا تصبح فلسطين وسيلة لإمتصاص غضب الشّعوب ٥٩٧
الحقوق تنتزع بالقوّة ٦٠٠
اليهود يخطّطون للإستيلاء على الحرمين الشريفين ٦٠٢
لماذا يستولون على الحج؟ ٦٠٤
إحياء يوم القدس العالمي ٦٠٩
حقيقة الصّراع مع اليهود ٦١٤

كيف نتعامل مع المنظمات؟ ٦١٥

كيف يكون التّعامل معهم؟ ٦١٩
أهل الكتاب ما يودّون لنا أيّ خير ٦٢٠
نحن ضحيّة عدم الإهتمام بالقرآن الكريم ٦٢٣

المحور الثاني عشر: ٦٢٩

الشّعار سلاح وموقف ٦٣١

معركة الوعي ٦٣١
ضرورة رفع الشّعار ٦٣٥
العمل الذي تتطلّبه ظروف المرحلة ٦٣٥
الشّعار يوقف مخطّطات الأعداء ٦٤٠
الشّعار يحول دون حصول أمريكا على عملاء ٦٤١
الشّعار سلاح وموقف ٦٤٢
الشّعار ينمّي السّخط في نفوس المسلمين ٦٤٤
وقلّ لهم في أنفسهم قولاً بليغا ٦٤٨
من يرفعون الشّعار وراءهم الله ٦٥٠

مقاطعة البضائع الأمريكية والإسرائيلية ٦٥٢

الإرهاب... مشروع الاستعمار الحديث ٦٥٧

من يموّل الإرهاب والإرهابيّن؟ ٦٥٨
القاعدة صناعة أمريكيّة ٦٦٠
بداية المخطّط الأمريكيّ ٦٦٨
الاستعمار الحديث ٦٧١

مع الشّعار.. منذ الصرخة الأولى ٦٧٨

أ- البداية الأولى ٦٧٩
ب- أساليب ووسائل متعدّدة ٦٧٩
ج- المواجهة المباشرة ٦٨١
المرحلة الثّانية ٦٨٣
التّهديد والوعيد ٦٨٥
د- الحرب الأولى ٦٨٧

مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية اليمني

الجمهورية اليمنية - صنعاء - حي الجراف.
هاتف: ٩٦٧١٣٣٧٣٠٠+
صندوق بريد: ٤١٩٠
بريد الكتروني: yecscs@gmail.com
الموقع الإلكتروني: www.yecscs.com